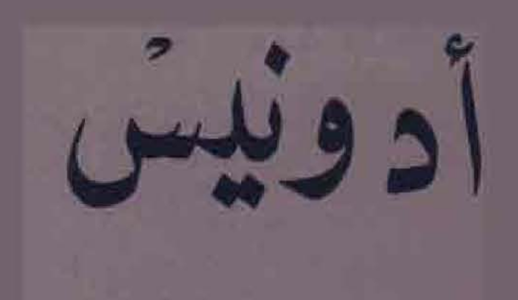




I



الكتاب

أمس المكان الآن

خطوط الغلاف: محمد سعيد الصكّار

أدونيس

الكتاب

أمس المكان الآن

مَخطُوطَةٌ تُنسَبُ إلى المتَـنَبّي
يُحقّـقهَا وَ يَنشُرُهَا أدُونيسْ



دار الساقي

الطبعة الأولى ١٩٩٥

ISBN 1 85516 563 5

دار الساقي
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI
London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

للمؤلف

مجموعات شعرية

قصائد أولى، ١٩٥٧.

أوراق في الرِّيح، ١٩٥٨.

أغاني مهيار الدمشقي، ١٩٦١.

كتاب التحوُّلات والهجرة في أقاليم النَّهار واللَّيل، ١٩٦٥.

المسرح والمرايا، ١٩٦٨.

هذا هو اسمي، ١٩٧١.

مفرد بصيغة الجمع، ١٩٧٥.

المطابقات والأوائل، ١٩٨٠.

كتاب الحصار، ٨٢ ـ ٨٥

شهوة تتقدَّم في خرائط المادّة، ١٩٨٧.

احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة، ١٩٨٨.

أبجديّة ثانية، ١٩٩٤.

دراسات

مقدمّة للشِّعر العربي، ١٩٧١.

زمن الشِّعر، ١٩٧٢.

فاتحة لنهايات القرن، ١٩٨٠.

سياسة الشعر، ١٩٨٥.

الشعرية العربية، ١٩٨٥.

كلام البدايات، ١٩٨٩.

الصوفية والسوريالية، ١٩٩٢.

ها أنت أيها الوقت، ١٩٩٣.

النظام والكلام، ١٩٩٣.

النصّ القرآني وآفاق الكتابة، ١٩٩٣.

مختارات

ديوان الشّعر العربي (ثلاثة أجزاء، مقدّمة) ١٩٦٤ـ ١٩٦٨.

مختارات من شعر السّياب (مع مقدّمة).

مختارات من شعر يوسف الخال (مع مقدّمة)، ١٩٦٢.

مختارات من شعر شوقي (مع مقدّمة)، ١٩٨٢.

مختارات من نصوص الكواكبي (مع مقدّمة)، ١٩٨٢.

مختارات من نصوص محمد عبده (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.

مختارات من نصوص محمد رشيد رضا (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.

مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.

مختارات من نصوص محمد بن عبد الوهاب (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.

(الكتب الستّة الأخيرة اختيرت وقُدّم لها، بالتّعاون مع خالدة سعيد).

ترجمات

الأعمال المسرحيّة الكاملة لجورج شحادة، ١٩٧٥.

الأعمال الشعريّة الكاملة لسان ـ جون بيرس، ١٩٧٦.

الأعمال الشعريّة الكاملة لإيف بونفوا، ١٩٨٦.

مسرحيّة فيدر لراسين، ١٩٧٥.

الشّقيقان العدوّان لراسين، ١٩٧٥.

I

ومنزلٍ ليس لنا بمنزلِ

المتنبي

○ ذاكرة الرّاوي

في ذاكرةٍ تَلِدُ الكلماتِ وتُولَدُ فيها

تَلِد الأشياءَ وَتُولَدُ فيها
لا تَعرفُ حدّاً
بين الماضي والحاضِرِ،
وُلِد الشّاعِرُ

في رَمْلٍ يَعلو في صَعَدٍ*

في صحراء لغاتٍ، وُلِد الشاعِرُ

عاشَ ولكِن في ما يُشبه تابوتاً

سافَر، لكن في ما يشبه مقبرةً

في طقسٍ لا تخلو سَنَةٌ منهُ،
طقسٍ للقتلِ (وقد لا يخلو يومٌ)
عاشَ الشّاعِرُ

طَقسٍ كان يُعاشُ كأنّ رياحَ الجَنّةَ تَسْري فيهِ، ومحابرَها والأقلامْ

في هذا الطّقسِ، رأى الشّاعِرُ

وَجْهَ الكونِ، وراح يُضيء مَداهُ

ويُلقّح بِاسْم الإنسانِ الشّعرَ وكلَّ كلامٍ

ويُلقّح ما تلِدُ الأيّامْ.

- أ -

أَخْبَرَتْ جَدّتي: (والمحبّون والأصدقاءُ يُثنُونَ) شَيْءٌ هَوى

مَاسِحاً بيديهِ

تَجاعيدَ أمّي عندمَا كنتُ أَخرجُ

مِنْ حَوْضِها

بعضُهم قالَ: هذا مَلاكٌ

بعضهم قالَ: شَيطانُه تَراءَى

قَبْلَ ميعادِه

بَعضُهم آثَر الصَّمْتَ خوفاً وَتَقْوى

كانتِ الكوفَةُ الأليفةُ تدخلُ في غُرْبةٍ.

* للفراتِ، لدجلةَ، لِلغابرينَ لغاتٌ وشِعْريَ إعجامُها وإعرابُها.

* صَعَد: صخرةٌ ملساءُ، يكلّف الكافِر صعودَها. ثمّ يُجذب مِن أمَامه بسلاسل ويضرب مِن خلفه بمقامع حتى يبلغَ أعلاها في أربعين سنة.

إذا بلغه، جُذِب إلى أسفلها، ثم يُكلّف الصّعودَ مرّةً أخرى. وهذا دأبه أبداً.

(«سأرهقه صعوداً») [المدّثر: ١٧]

(التفسير الكبير للرازي)

○ قال الرّاوي

مسكوناً بالكلماتِ

وبالأفعالِ وبالأسماء:

كيف سنقرأ قَوْلَ الشّاعرِ إنْ لم نقرأْهُ

في الأعمالِ وفي الأشياء؟

وَثنى الرّاوي:

لا نعرفُ مَنْ نَحنُ

الآنَ، ومَنْ سنكونُ،

إذا لم نَعرفْ مَنْ كُنّا. وَلِذا سأقصّ عليكم

مَنْ كنّا -

وأقدّمُ عُذري لِلقرّاء

إنْ كان حديثيَ سَرْدياً، أو كانَ بسيطاً لا يتودّدُ لِلفُصحاء

وثنى الرّاوي:

دَحضاً لِلشّيطانْ،

قالَ الله: الأرضُ مِهادٌ للإنسانْ

وسأجعل منها عَرْشاً

ويكون التّاج خليفَهْ،

وثَنى الرّاوي:

هُوَذا العَرْش يُهَيّأُ تحتَ سَقيفَهْ.

- ب -

أمّي هَمْدانيّةْ

خَرَجتْ من أحشاء الكوفة - خَدّاً لِلنّسرينِ وخَدّاً لِنباتٍ سِرّيٍّ

وأبي جُعْفيٌّ وَرِث الفَقْرَ عن الإيمان الموغلِ في كَشْفِ الدَّيْجور

في الكُوفةِ، في جانبها الشَّرقيّ سَكنّا في حيٍّ كِنْديٍّ

سَمّاني أحمدَ زَهْواً وتَفاءلَ

في تَلْقيبي بِـ «أبي الطيّبِ»، كُنّا

نَلبسُ ليلَ الدَّمْعِ، ولكن

كنّا

نَتمَوَّجُ في بَحْرٍ من نُورْ.

* جسدي غابَةٌ من رموزٍ
وَخُطايَ كما رَسَمَتْها ظنوني،
دَرَجٌ صاعدٌ،
وَتَهاويلُ كشْفٍ.

○ وثنى الرّاويةُ

مُغْرِياً سامعيه وقرّاءَهُ

للهبوط إلى آخر الجحيم التي تتأصّلُ في أرضهم وتواريخها،

قال: أروي لكم

بعض ما خَبَر المتنبّي وما هالَهُ وما صاغهُ

بعذاباتهِ وبألفاظِها وبِسحْرِ البيانِ الذي يتبجَّسُ من نكهةِ الرَّمزِ، أو لمحة الإشارَة

في نسيج العباره.

سأخيّل حاليَ لابسةً حالَهُ وأكرّر تلك الجحيم بلفظي - بسيطاً، مستضيئاً بما قالَهُ، أتقفّى الضياء إلى ذرواتِ الكتابْ

بادئاً بالترابْ.

أبدأ ممّا صحّ الإجماع عليهِ -

تلك السنة التأسيسيةُ:

إحدى عشرةَ هجريهْ.

- أ -

- نتقاسَمُ: مِنّا أميرٌ ومنكم أميرٌ

- يقتل الله مَن قالَ هذا

- يقتل الله مَن لا يقول بقولي.

- ب -

- «قتَل الله سعداً وسيُقتلُ مَنْ لا يُبايعُ مَنْ بَايَعَتْ قريشٌ».

- ج -

- «قولوا لعليّ أن يأتي»

- «حَرْباً أو سِلْماً طوعاً أو كُرْهاً

لن تخرجَ حتّى

تقبل مَنْ بايَعهُ أهلُ قريشٍ بَايعْ».

- «كَلّا، إن كان الأمر كما تتحدّث عنهُ وكيف أبايعُ مَنْ

قال اللهُ،

وقال رسول الله بأنّي أوْلى منهُ؟ ما حجّتكم ضِدّ الأنصارِ؟ بها أحتجُّ عليكُم.»

- ج -

سَأقولُ:

أبي ميراثُ عذابِ

وأسمّي أمّي،

سُكْراً بالكلماتِ وحبّاً للأشياءْ

رِيمَ سرابٍ في صَحراءْ.

* إنّه العَرْش يصقلُ مِرْآتَهُ -

صورةً لِلسّماءْ

وَيُزيّن كرسيّهُ

بشَظايَا الرؤوسِ،

ورَقْشِ الدّماءْ.

أ - حوار بين عمر بن الخطاب وبعض الأنصار، في يوم السقيفة.

ب - قولٌ ينسب إلى عمر بن الخطاب في يوم السقيفة، ويقصد سعد بن عبادة الأنصاري الذي لم يُبايع. وقتل في الشام، سنة ١٥هـ.

ج - حوار بين عمر وعليّ

○ قال الرّاوي

مَغموساً في ذاكرة المتنبي:

ـ أ ـ

شُغِلوا بالنبيّ، بموتِ النبيّ، ولم يُشغلوا بالخلافَهْ

شَهوةُ المُلكِ تَستأصِلُ النّاسَ، تَذروهمُ كالعُصَافَهْ.

ـ ب ـ

«أخرِقوهُم، خُذوا مالَهم وذَراريهم، والنّساء

واجعلوهم هبَاء.»

ـ ج ـ

أَوْثَقُوا قدميهِ، يَديْهِ

وَرمَوْهُ إلى النّارِ، قالوا:

رأينا الفُجاءَةَ فَحماً.

وَثنى الرّاوي:

حَقّاً، بعضُ الأفكارِ كمثل نباتٍ وحشيٍّ

يأكلُ، لكن لا يأكلُ إلاّ بشراً.

ـ د ـ

أَبَوايَ انْشطارٌ: دَمٌ للعذابِ دَمٌ لِلمؤمَّلِ والمنتظَرْ.

هَبطا من أَعالي القبائل مِن رأسِها

يُسْرِجان خيولَ السَّهَرْ

أخذَا الأبجديّةَ في راحةٍ والقصيدةَ في راحةٍ وقالا:

سوف نقرأ في ضوء سِرِّهما أَحْمداً.

* تلك النّخلة تُصغي
حين أقصُّ عليها
ذكرى أبويّ، وتفهم قَوْلي.

أ ـ الإشارة إلى بني هاشم.

ب ـ الإشارة إلى المرتدّين.

ج ـ الإشارة إلى الفجاءة بن عبداليل، أحد المرتدّين.

○ ما الذي قالَهُ طليحَةُ يا أيّها الرّاويهْ،

وبماذا تنبّأَ؟ لم يجرؤِ الرّاويه

أَن يردّد إلاّ

نتفاً مِن تعاليمِهِ:

ـ أ ـ

«جاءَني، قال جبريلُ لي: «ليسَ ربّيَ في حاجةٍ للوجوهِ ـ مُعَفَّرَةً في الصّلاةْ»

ـ ب ـ

«لا تُصَلُّوا لغير الحياةْ»

ـ ج ـ

وثَنى الرّاويه:

أَسَروا مالِكاً ضَرَبُوا عُنقَهُ وَضَعُوا رأسَهُ تحت قِدْرِ

نَضجت قَبلهُ

قتلوا أَهْلَهُ واحداً واحداً

ما عداها ـ زوجةً كان مالِكُ يَزْهو بها،

وتزوّجها خَالِدٌ.

ـ هـ ـ

كانت الشّمسُ تَمشُطُ رأسَ الغُروب وتَجلِسُ في حضنها بيتَنا

بَيتُنا ـ لا حِليٌّ ولا زينةٌ

كان يأتي إليهِ المساءُ، ويأتي إليهِ النّهارْ

في قميصِ الغُبارْ.

* الغبارُ الشّريدُ الأَصَمُّ الغبارُ ـ الخُطَى
فَوقهُ ورَقٌ طائِرٌ
وَهَواهُ بِلا ذكرياتٍ.

أ، ب ـ الإشارة إلى طليحة بن خويلد الأسدي، (النبي الكذّاب)، والكلامُ يُنسَبُ إليه.

ج ـ الإشارة إلى مالك بن نويرة، الذي قتله خالد بن الوليد بتهمة الارتداد وتزوّج امرأته. وخالد هو الذي قاد الحرب على المرتدّين، سنة ١٢ هجرية.

○ ما الكتابُ الذي كانَ بين سَجاحِ وَمُسَيْلمةِ أيها الرّاويهْ؟

- لن أقولَ سوى ما تُوثّقهُ الكتبُ الباقيَهْ، -

- أ -

- «نَلْتقي، نَتدارَسُ ما جاءَ وَحياً علينا قبل أن نتحاربَ نَخلصُ: لا حسرةٌ، لا نَدَمْ

ونَرى الحقَّ - مَنْ كانَ مِنّا الأحَقَّ رضينا به»

- «حسَنٌ ما تقولُ»

- اضربوا خيمةً من أَدَمْ وامْلأوها بعودِ

عَبَقُ العُود يُوقظ في النّفس ما تشتهيهِ ويُوقِظ في المرأة الباهَ قومي سَجَاحُ، لِنَدْخُلْ.»

- ب -

وثنَى الرّاويهْ:

خَيمةٌ - خَلوةٌ، -

حَرّك العودُ أعضاءها البارده

حرّك العودُ أعضاءه البارده

دَخلاً في مقامِ ألذّ وأبهى مِن مقاماتِ وَحْيَيْهما

وَحّد البَاهُ وَحيَ النبيّ وَوَحيَ النبيّةِ صارا آيةً واحده.

وثنَى الرّاويهْ:

ما أشقى من لا يسمعُ صوتَ الحبّ يغنّي جسَدَ الإنسانْ.

أ - حوار بين مسيلمة (النبي الكذّاب) وسجاح بنت المنذر (النبيّة الكذّابة).

- و -

في الكُتّابِ، مَزجْتُ الطّفلَ بكلّ شُعاعٍ ومَزجْتُ الكوفةَ بالآفاقِ، وقلتُ لكلّ كتابٍ: لستَ المَعْنى.

نَرْدي في غاباتِ اللّعِبِ الجِدِّ البَهْجةِ بين المحرومينَ، وأعلى مِمّا يذهبُ ظَنٌّ،

نَرْدٌ مُفْرَدْ

كنتُ العابِثَ، كان يُخيَّلُ أنّي

طِفْلُ العَبَثِ الأوْحَدْ.

* لا يَبوحُ الضياء بِأسْرارِه
سِرّهُ ذائبٌ
في شُعاعَاتهِ.

○ ما الذي فعلته سَجاحٌ، أيّها الرّاويه؟

- تَنَبّأت، صار اسمُها مثالاً:
«أَغْلَمُ من سَجاحٍ.»

وثنّى الرّاوي:

قالت لمسيلمةٍ:

- «أنتَ نبيٌّ حَقّاً

زوّجتُكَ نفسي وأريدُ صَدَاقاً يُشْبهني.»

- «سَوف أرفعُ عنكم صلاةَ العشاءِ الأخيرة، والفَجْرِ

- «أحسنتَ، هذا صوابٌ».

وثنّى الرّاويهْ:

فَرَّ مفتاحُ أحلامِها فَرَّ مِن صَدْرِها

وتدلّى على صدرِهِ: وَحيُها حبُّهُ

وحيهُ حُبُّها.

- ز -

أَلقرى في السّواد* نساءٌ من نَخيلٍ وزَرْعٍ والبساتينُ تحنو عليهنَّ -

ما أطيبَ الوَرْدَ ما أكرمَ الثّمارْ

قَريةٌ في السّوادِ: جراحٌ

وأساطيرُ نَارْ.

لِلسّواد بياض الحقولِ سلامُ الشّجَرْ: عاصِفٌ جامِحٌ مِن بَهاءٍ

في مدىً جامحٍ من صُوَرْ.

* نَاياتٌ كُسِرتْ،
وبقايا أكواخٍ
في كلّ مكانٍ سيّافون وجُنْدٌ.

* السّواد من البلد قراه وريفه. ومنه «سواد العراق» ما بين البصرة والكوفة، وما حولهما من القرى. ومنه «أهل السّواد» حيث تأسّست الحركة القرمطيّة.

○ نقَل الرّاويه

عن مُسَيلمةِ قولَهُ:

ـ أ ـ

«أنا نَبيٌّ وارْتضاني الخالِقُ

يَابْنَ الوليدِ، أنتَ عندي فاسِقٌ

وكافِرٌ بربّه، مُنَافِقٌ.»

ـ ب ـ

وثنّى الرّاوية:

قتلوا مسيلمةَ وصالَحَ خالِدٌ مُجّاعةَ،

أَخَذوا كما فرضوا: ذَهباً،

كُراعاً، فِضّةَ.

ـ «وأريدُ بنتَك زوجةً»

ـ «خُذْها، فَخارٌ أن أُصاهِرَ خالِداً.»

ـ ج ـ

«تلك قُريشٌ:

لا تَخرجَ إلاّ الطّاعةَ، أو نَفْنى».

- ح -

أَنهارٌ صُغْرى   قَنواتٌ   غاباتٌ

نَخيلٍ:

جسَدٌ ثانٍ في جسد الكوفَهْ

سُرُرٌ لِلشّمسِ، لجذْعِ النّخلةِ ثَدْيٌ

غَنَّيتُ لهُ ورسَمتُ على الطّرقاتِ حروفَهْ.

في كلّ مساءٍ يأتي الجذْعَ مَلاكٌ

ويَنامُ على كتفيهِ،

لِملاكِ النّخْلِ حديثٌ لا يفهمُه

إلاّ أطفالُ الكوفَهْ.

* تِلك أرضٌ خِلاسيّةٌ دافِئَهْ
لا يَليقُ بأحزانها وَبِأحلامها
غير تلك الثّياب التي نَسَجتْها
نجمةٌ صابِئَهْ.

أ ـ مسيلمة، مخاطباً خالد بن الوليد.

ب ـ مُجّاعة بن مُرارة الأسدي، أحد زعماء المرتدين. والحوار هو بين خالد بن الوليد ومُجّاعة.

ج ـ قول يُنسبَ إلى عفيف الكندي، أحد المرتدّين.

○ لكنِ الرّاويه

كان يَرْوي دماً آخراً:

«رُجِموا بالحجارةِ، أُلْقُوا

مِن رؤوسِ الجبالْ،

نُكِّسوا في قَراراتِ آبارهِمْ
خُزّقوا بِالنّبالْ

في عُمانَ ودَارينَ، مِنْ

آخر الشمالِ إلى آخر الجنوبْ
قُتلوا كلُّهم ـ أنْتَنَتْ منهمُ
الدُّروبْ.»

وثنى الرّاويهْ:

أشرارُ النّاس ذُبابٌ

لا يَجذبُهم إلاّ

نَتَنٌ وفسادٌ.

ـ ط ـ

آراميّون وفُرْسٌ، عرَبٌ، نُسِبَ الواحد منهم لِبَني عَبْسٍ، لِبني عبد القَيسِ، لكندةَ أو هَمدانَ، أكَانَ مُقيماً أَوْ وافِدْ

كُلٌّ ـ كلّهمُ خُلِطوا بِتُراب الكوفةِ،
صاروا طِيناً واحدْ

كانوا يَرْنُونَ إليّ ويَبْتَسمونَ: ثيابي

ليست خزّاً

لكن كانت آياتٌ تَتَراءَى في وَجْهي جاءَتْ

مِن لُغةٍ تَتخطّاني وتُوحّدُ بينَ غدي والأمسْ،

ضُمّيهم مِثْلِي، مُدّي زَنْدكِ واحْتَضِنينا

يا تلك الشّمسْ.

* سَأقولُ الحبُّ نَبيذُ الأرضِ،
وهذا العالَمُ دَنٌّ،
والأيّامُ كؤوسٌ.

* يشير الراوي هنا إلى المرتدين

○ قال الرّاوي

يتحدّث عن حبّ آخرَ عاشَتْهُ جنّياتٌ أُخرى،

- أ -

- استجارَها سُلَيْكٌ

قالت لَهُ: «بيتكَ تحت ثَوْبي».

- ب -

- أَزْواجُها اثنانِ وأَربعونْ

ولم يُقلْ: زانيةٌ.

- ي -

بيتُنا صَبْوةٌ

تتقلَّبُ في جَمرِها

والنّجومُ تجرّ خَلاخيلَها حولَهُ

مرّةً، هَبطت فيه جِنّيّةٌ غَسَلَتْني بأهدابِها واختفَتْ

كم تحَدّثْتُ عنها إلى بَيتنا وتحدّث عنها

لم يكن بيتُنا يعرفُ النّحوَ والصّرفَ لكن

كلّ أحجارهِ بَيانْ

مرّةً،

قال لي:

خطواتُكَ حُبْلَى بما لا يُطيقُ المكانْ.

أ ـ سُليك الشاعر، والمرأة هي خالة طرفة بن العبد، واسمها فكيْهة.

ب ـ الإشارة إلى امرأة اسمُها عَمْرة، وتُلقّب بـ «أم خارجة»، وكانت مزواجة.

* عاصِفٌ في الطّريقِ إلى بيتنا،
حلَّ ضيفاً،
وهَا هُوَ يَرْتَاحُ كالطّفلِ بينَ يَديْ
ورَدْةٍ.

○ أجهش الرّاويَة

آهِ ما أفجَعَ الخطبَ في هذه السّنةِ الدّاهيةْ،

ماتَ أبو بَكْرٍ مَسْموماً

مَعَهُ

ماتَ الحارِثُ في يومٍ واحِدْ

مِن سُمّ واحِدْ

في صَحْنٍ واحِدْ.

وثنّى الرّاويةْ:

هي ذي الأرضُ احمرّتْ

وَتَذَأّبَ فيها الصّوتْ

مُلِئتْ بِحدائقَ، لا لِنباتِ الحبّ، ولكنْ

لِنَباتِ الموتْ.

وثنّى الرّاويةْ:

لِسَجاحِ وأصحابها

لِنبوءاتِها ـ كَذِبْنَ، لِصوتِ النبوّةِ فيها، ولمن هَلَّ فيهِ، وَلِمَنْ أوّلَهْ

نُطفىءُ اليومَ نارَ الجوابِ، ونَسْتَنْفِرُ الأسئِلَهْ.

ـ ك ـ

ـ أ ـ

صُوَرٌ في ذاكرتي لِقرامطةٍ

كانوا يأتون ويفترشون القَفْر

ويقولونَ: أَقَمنا عهداً

ألاّ يَبْقَى أَثَرٌ لِلفَقرْ.

ـ ب ـ

أتذكّر: كان السَّوادُ احتضاراً

لغةً للتمرّد والموتِ ـ تَشْتَقُّ مِن نارِها نارَها.

هوذا يتواصَلُ ذاكَ الشَّرَرْ:

عالَمٌ يتحدّرُ واللّهَبُ المُنْحدَرْ.

* تِلك آهاتُ أسلافنا
مَطَرٌ غامِرٌ مَطَرٌ غامِضٌ،
وخُطانا حقولٌ لها.

يشير الراوي إلى موت الخليفة الأوّل، السنة ١٢ هجريّة

الحارث بن كِلْدة الثقفي، الطّبيب والحكيم.

- ل -

- أ -

لم أعرفْ نفسي حين عرفتُ الكوفةَ حَقّاً
وبقيتُ كأنّي مَشْطورٌ: غضباً يُقْصيني عنها
وحناناً يَصْهرني فيها
هل أهل الكوفة جِنٌّ وبقايا رُجُمٍ؟
يبنون عروشاً مِن أحلامْ
ويعيشون سُكارى: عُرساً قبراً، قَبْراً عُرُساً
طَقْساً لِلأرضِ: إمامٌ
يَحيا في مَوْتِ إمامْ.

- ب -

آثارُ دَم وَمَهَبُّ رؤوسٍ والعابرُ سَيْفٌ: تلك
حشودٌ تتناحرُ حولَ ضِفافِ المعنى لكن،
سأكرّر: طُوبَى
لِلإنسانِ يغامِرُ في الأطرافِ القُصْوَى مِنْ
حَيْرتِهِ
بَحْثاً عن نَشْوَتِهِ.

---

* أُفُقٌ: مخطوطةٌ عجماءُ،
والقَتْلُ بَيَانٌ.

○ قال الرّاوي:

كانَ النّاسُ فُرادَى وجماعاتٍ
يأتونَ الكوفَةَ حُجّاجاً في
سِرْدابٍ تحت الأرضِ ويُرْوَى:
أبناءُ عَليّ في الكوفةِ ماتوا أو
قُتِلوا وعليٌ في الكوفةِ ماتَ
ويُرْوى: ألكوفَةُ رَمْزٌ للموتِ
لِفَتْكٍ

لا يُفصحُ عنه

قولٌ، لا يَحصرُه وَصْفٌ.

وثنّى الرّاوي:

قال الحَسنُ بْنُ النَقّار،

وقال القاضي أحمدُ:

لا يحكمنا حَقّاً إلاّ أشخاصٌ
يَتخذونَ الموتَ إماماً ويُقال:
لهم أشباهٌ في سَيّافٍ أو في
سَيْفٍ.

وثنّى الرّاوي:

لا يقدرُ عِلمٌ أنْ يتَحاورَ مع
جَهْلٍ.

الحسن بن داوُد النقّار (ت: ٣٥٢ هـ). والقاضي أحمد بن الكامل (ت: ٣٥٠ هـ). استمع إليهما المتنبي في الكوفة.

- م -

لم تزدْنيَ هذي المدينَةُ إلاّ شكوكاً

لم تَزدْنيَ إلاّ نكوصاً عن مداراتها

لم تَزدْنيَ غيرَ التمزّق (تُنْكِرُ نفسيَ نفسي)، وغَيْرَ الدُّوارْ

لم تَزدْنيَ إلاّ هُبوطاً في جحيمي إلى لا قرارْ.

المساءُ مَليءٌ برؤوسٍ مُقَطَّعةٍ

والصّباحُ قبورٌ: تلك أيّامُها.

ما الذي كانَ أَرْضاً ما الذي كانَ فيها السَّماءُ؟

هُوذا نتدثَّر أوجاعَنا

ونُخَوِّض في مَهْمَهٍ مِن دِماءْ.

* أَهُوَ الضّوءُ طِفلٌ
يَتعثَّر، فيما يَسيرُ على درجاتِ الكَلامْ،
بِحُروفِ الظَّلامْ؟

○ يعرف الرّاوية

كيف يُوغِل في فجر تاريخنا وَيُضيءُ تقاوِيمَهُ

كي يُضيءَ المدينةَ ـ أوجاعَها وأسرارها وَيُضيءَ الطَّريق إلى المتنبيّ.

قال، في نشوةٍ: هذه سنةٌ عُمَريّة

عُمَرٌ ـ قِيل عنهُ: «كانَ أوّلَ من عاقبَ الشّعراءَ على هَجْوهِم.»

وثنى الرّاوية:

كَرُمَتْ نفسهُ عليهِ، فهانَتْ كلُّ شَهْواتهِ.

وروى الرّاوية

حُلْمَ رُسْتم، في عهدِهِ، وتأويلَه:

ـ «نائمٌ ـ في مَنامي:

مَلَكٌ هابِطٌ

جاءَ، لَمَّ العِصيَّ، وَلَمَّ السّيوفَ وطارَ بها لِلسَّماء»

ـ «إنّها آيَةٌ:

«عرَبٌ طالعون مِن الرَّملِ، خيلاً عِراباً.

سَيبيدونَ كِسْرى، ويمتلكونَ الفضاءَ.»

١٣ هـ. والنسبة إلى الخليفة عمر بن الخطّاب.

○ حَدّثَ الرّاويةُ:

ذلكَ العَامُ سُمّيَ عامَ الرَّمادَهْ
(صارَ لونُ البلادِ ولون العبادِ
رماداً) كان عاماً من الجوع ـ
لكن

ـ «كيف نُنكِرُ ما قدّرتهُ
السَّماءُ»؟

ـ «السَّماءُ تُبالِغُ في شَكِّها».

وَثنَى الرّاويه:

أَجْلَى عُمَرٌ أَهْلَ التَّوراةْ

عن نَجرانَ وخيبَر، واسْتَقْصَى

في هذا، سِرّ الآياتْ.

وَثنَى الرّاويه:

عُمَرٌ ـ كان يُصلّي

حين تلقّى سُمّ الخَنْجَر.

في الحلم رأى رَمْزاً

لأبي لؤلؤةٍ

وَرواهُ: «يَنقُرُني ديكٌ أحمرْ».

وَثنَى الرّاويه:

دَمُهُ ثَوْبُهُ.

ـ ن ـ

أَلنَّباتُ هنا في الحقول وحولَ البيوتِ يُجدِّدُ
أوراقَهُ: بَعضها شَهَواتٌ،
بعضُها شُرُفاتٌ
هل تقولُ العَريشةُ، تلك العريشةُ، مِن أين
جاءَتْ
إلى أين تَمْضي
تحتها، مِثلَ طِفلَيْنِ كنّا نَتغطّى بِأَنْفاسِنا.

قلتُ: لا دَفتَرٌ، لا كتابٌ... لم يَقلْ أيَّ
شَيْءٍ
نَهرٌ من عذابٍ جرَى في يَدَيْهِ
نَهرٌ من حنانٍ جرَى بيننا ـ والتقى ساعدانا
والتقى عُنُقانا.

* سُحُبٌ فوق الكوفة ـ هذي
أَنْفاسُ الفُقراءِ:
أَجْمَلُ قَطْرٍ، أصفى ماءْ.

سنة ١٧ هجريّة.

سنة ٢٠ هجريّة.

سنة ٢٣ هجريّة.

- س -

أَتنوّرُ: هذا المدى كُتَلٌ مِن شَرَرْ
تَتفَتّتُ بين صدور البشَرْ
أَتُراها الحياةُ ضياءٌ - بَنُو آدمٍ يُطفئون شراراتِهِ؟
كي أَظَلَّ بعيداً، غريباً
أَخذتْني إلى بيتها كلماتٌ
وسَقَتْنيَ إكسيرَ أَعشابِها،
زَمنٌ - جالِسٌ
مِثْلَ طِفْلٍ على رُكبَتَيَّ، لِيَقرأَ ما يكتبُ الفضاءُ
في دفاتِرَ مسْروقةٍ
مِن جيوبِ السّماءْ.

* كلّما ازْدادَ علميَ في الشيء، أَزدادُ عجزاً
أن أُذاكِرَ غيري بهِ.

رواية الطّبري

○ قال الرّاوي:

أوصى الخليفة عمر للمقداد بن الأسود. قال: «أدْخِل علياً وعثمانَ والزّبيرَ وسَعْداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة، وأَحْضِرْ عبد الله بن عمر ولا شيءَ له من الأمر. قُم على رؤوسهم:
إن اجتمعَ خمسةٌ ورضوا رجلاً منهم، وأبى واحِدٌ، فاضرب رأسه بالسّيف، إن اتّفق أربعة ورضوا رجلاً منهم، وَأَبَى اثنان، فاضربْ رأسيهما.
إن رضيَ ثلاثةٌ رجلاً منهم، وثلاثةٌ رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرّحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عَمّا اجتمع عليه النّاس.»

وَثنّى الرّاويه:
«قال عليٌّ للعبّاس:
«عدلت عنّا. قرَن بي عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر. فَسعْدٌ لا يُخالف ابن عمّه عبد الرّحمن، وعبد الرّحمن صهر عثمان.»

وَثنّى الرّاويةُ:
حائِراً، سائِلاً:
عجباً، كيف دُشّن عصرُ النبوّة والرّاشدينْ
بالقتالِ وبالقَتْلِ والقاتلينْ؟

○ قال الرّاوي

- أ -

شَدّ أسنانهُ بالذّهَبْ

وأتى للخلافةِ من بابها المرتقبْ.

- ب -

وَثنى الرّاوي:

قال عثمانُ يُفحِمُ عَمراً:

- «دَرّتِ اللّقْحَةُ الآنَ، أكثرَ مِنْ قَبْلُ

- «لكنّما جاعَ أولادُها».

- ج -

وَثنى الرّاوي:

«سأقول الأقاربُ أوْلى بالولاياتِ من غيرهم».

- د -

وَثنى الرّاوي:

هَدمَ الدُّورَ بمكّةَ، وَسّعَ أرضَ المسجدِ صاح النّاسُ احتجّوا، حُبسوا، قال: «كمثلي عُمَرٌ هَدَم، لكن لم تحتجّوا

ما جرَّأكم إلاّ حِلْمي.»

وَثنى الرّاوي - في نَبْرته غَضَبٌ وعتابٌ:

جَهْدُ العاجزِ أَنْ يَغتابَ سِواهُ.

- ع -

جامِعٌ - يُهرعُ النّاسُ، يُلْقون أحلامهم بين أحضانهِ كلَّ يومِ

غير أَنّي لا أرى غير أشلائِهم.

إنّها الكوفةُ الدّاميهْ

فِكْرةٌ قَذَفَتْها الملائِكُ مِن شاهقِ

وَمَشَتْ فوقها

أَلْصَقَتْها بِوَجْهِ التّرابْ

رَجماً لِلعذابْ،

وَالبقيّةُ في عُهدة الرّاويهْ.

* مَن يعرفُ ماذا قال الرّملُ، اليومَ، لِريح الكوفَهْ؟
مَنْ يعرف ماذا قالت
ريحُ الكوفةِ، هذا اليومَ، لِرَمْلِ الكوفَهْ؟

أ - سنة ٢٤ هجرية، والإشارة إلى الخليفة عثمان.

ب - حوار بين عثمان وعمرو بن العاص، حول خراج مصر.

ج - كلامٌ ينسب إلى عثمان

د - الكلام لعثمان

○ أَخْبَرَ الرّاويةُ:

كلُّهم، كلّ مَنْ في المدينةِ، أو خارجَ المدينةِ، يَغْلُونَ حُنقاً عليهْ:

ثَرواتُ البلاد تجمَّعْنَ في راحتيهْ.

وَثنّى الرّاويه:

أَلطّرُقاتُ تكادُ تُجَنُّ:

أرضٌ ـ خَمرٌ، والخُطوة دَنٌّ.

هُوذَا وَلَدٌ أَسْوَدْ

يُخفي مِن عثمان كتاباً

(ورَووا: يُخفي مِن مروانَ كتاباً)

في قَتْل مُحمَّدْ.

وَثنّى الرّاوي ـ (في نبرتِه غَضَبٌ مُرٌّ):

سَألوهُ الأمانَ، فأعطاهُمُ

وثِقوا فيهِ واستسلموا

فاتحين له حصْنهم

لم يكن وعدهُ صادقاً:

حزَّ أعناقَهم واحداً واحداً.

ـ ف ـ

جاءَ جبريلُ في غَيْمةٍ

وَسقى كوفَةَ الظّامئينَ بِأَسْرارهِ.

جاءَ في كوكبٍ

ورَمَى وجهَه في تقاطيعها.

جاءَها في كتابٍ ـ

آدَمٌ مِن ترابٍ، ونُوحٌ نَواحٌ،

والبقيّةُ تُفّاحَةٌ.

* غَيْبُ الكوفةِ يُزهِرُ في ألفاظِ بنيها،
لكن، لا يُثمِرُ إلاّ موْتاً.

الإشارة إلى الخليفة عثمان.

الإشارة إلى محمد بن أبي بكر.

الإشارة إلى أهل طبرستان، وإلى سعيد بن العاص الذي غزاها، وفتحها.

○ قال الرّاوي:

لِلمتنبّي ذاكرةٌ ـ لَهَبٌ يَتَغَلْغَلُ في التّاريخِ، وجُرْحٌ يَتدفّقُ في جُرْحٍ،

وأنا قَبسٌ مِنهُ، ـ

ـ أ ـ

ـ «كيف تُسمّي مالَ النّاسِ بِمالِ اللهِ؟»

ـ «أَلَسْنا خَلْقَ الله، وكلّ النّاسِ وما ملكوهُ مُلْكٌ للّهِ؟»

ـ «غِطاءٌ. قولوا هذا

المال سَواءٌ

بين النّاس، وأَعْطُوا

واسُوا الفُقَراء.»

ـ ب ـ

وثَنّى الرّاوي:

حَزبٌ صَمّاءُ

بين لغاتٍ وتآويلٍ ألِفٌ لامٌ هاءٌ

والأنقاضُ عقولٌ حيناً ورؤوسٌ حيناً.

أ ـ حوار بين أبي ذَرّ الغفاري ومعاوية، سنة ٣١ هجرية.

ـ ص ـ

وَحْدكَ، الآنَ، في البيتِ، هَلْ يُقْرَعُ البابُ؟ تسألُ في ذاتِ نَفْسِكَ:

مَنْ ذاكَ؟ وَحْدكَ:

لا أمَّ، لا جَدّةٌ، لا أَبٌ،

مَنْ يكونُ: ابْنُ داؤودَ، أو أحْمَدُ الكامليْ؟

تتحيَّر، تُوغِلُ في نار قلبكَ: مَنْ

ذاكَ؟ تَصرخ مُسْتَبشِراً:

أَهُوَ القرمطيّ؟

* أَنْ تكونَ بَصيراً
غيرُ كافٍ لكي تُبْصِرا.

○ وثَنى الرّاوي:

- أ-

- «ألفتنةُ نارٌ تجري وأبو ذَرٌ يُشعلها. ما الرّأيُ؟ أَقَتْلٌ، أم نَفْيٌ؟»

- «نَفْيٌ».

- ب -

وَثنى الرّاوي:

مِن تلّةِ رَمْلٍ في الرَّبذَهْ

كان أبو ذَرٍّ يَتحدّثُ مع أحلام النّاسِ،

وماتَ وحيداً في المَنفى.

- ق -

كم جَمَعْتُ الدّفاترَ كي أتَخبَّأَ فيها

كنتُ أحفظُ عن ظَهر قَلْبٍ

كلَّ ما قالَهُ الأوّلونَ،

وأسمع أصواتَ قُرّائهم:

- «لم أَجدْ مثلَ هذا الفتى حافِظاً».

- «لم يَجىءْ مرَّةً لِلصّلاةْ».

- «يكتبُ الشعر، قبل الأوانِ، صغيراً، وهو في العاشرَهْ.»

أتذكّر، كنّا صديقين، شَمْساً وماءً -

أنا والفراتْ.

* مِنْ شفَتيْ طِفْلٍ
تخرجُ حكمةُ هذا العَصْرِ الشَّيْخ.

أ - مراسلة بين معاوية وعثمان، سنة ٣٢ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

ما أذهاها ـ تلك الظّلماتْ

ما أبلغَهُ ـ ذاك الإعجازُ

الكامِنُ فيها

أفهمُ، إذْ أرْويها

عَجْزَ الكلماتْ.

ـ أ ـ

كَثُرَ النّاس على عثمانْ

نالُوا مِنهُ

أقبحَ ما نالوا مِن إنسانْ.

ـ ب ـ

ـ «إعْتَدِلْ، أو اعْتَزِلْ».

ـ ج ـ

ـ «ضَعُفْتَ، رَقَقْتَ على أقربائِكَ»،

ـ «هُمْ أقرباؤكَ أيضاً»

ـ «لكنِ الفضلُ في غيرهم».

ـ ر ـ

«ألشَّياطينُ ألطفُ جسماً،

أَحَدُّ عقولاً مِن النّاس، أعْرَفُ منهمْ،

ولا آفَةٌ فيهِمُ»

هكذا أَجْمَعَ الأوّلونْ

وأنا المتأخّر أصغي، وأَقْتَصُّ آثارَكَمْ،

أيّها السَّابقونْ.

* ألحقيقةُ بيتٌ

ليس فيه مقيمٌ ولا جارَ مِنْ حولهِ

ولا زائِرٌ.

ب ـ كلام لعمرو بن العاص مخاطباً عثمان.

ج ـ حوار بين عليٍّ وعثمان، سنة ٣٥ هجريّة.

○ وَثَنى الرّاوي:

- أ -

- «قولوا لعليٍّ أن يسقيَنا ماءً.»

- ب -

قال عليٌّ لابنيْهِ:

ذودا عن عثمانٍ

وَخُذا الماءَ إليهِ.»

- ج -

دَخَل النّاسُ على عثمانٍ

هذا يضربهُ

بالسّيف وهذا

يخنقهُ

قتلوه ذَبْحاً وانتهبوا ما شاؤوا

قالوا: «إنْ كان حلالاً دَمُهُ فالمالُ حَلالٌ».

- ش -

أَلسَّوادُ مع الشّمس في الشَّمْسِ

بين الخيوطِ - الأشعّةِ، أرضٌ

زرَعَتْها الأساطيرُ والصَّلواتُ وأحلامُها.

والحصَادُ الضَّيَاعْ

أَلسَّوادُ أَخٌ في النُّشوءِ،

أَخٌ في الرَّضاعْ.

* أَغْمِضْ عينيكَ، لِتعرفَ كيف تُشاهِدُ وَجْهَ الواقعِ في أحلامٍ ماتَتْ.

أ - الكلام لعثمان وهو محاصَر، سنة ٣٥ هجريّة.

ب - الحسن والحسين.

○ وثَنَى الرّاويه:

- أ -

هُرِعَ النّاسُ يأتون بيتَ عليّ.

- «إذهَبوا، ليس هذا إليكم لَن أكونَ الخليفةَ إلاّ بحقٍّ»

أَهل بَدْرٍ هُم الأجدرونَ بقول الصَّواب، ولي ثقةٌ فيهمُ

سُنّتي سُنّةُ النّبيِّ ولكن

بَعدهُ سيكونُ اجتهادي

مَسلكي وطريقي

والخلافة شُورَى

أو تكونُ اغتصاباً ومُلْكاً».

- ب -

هُرع النّاس يأتون بيتَ عليّ

أهلُ بَدْرٍ على رأسهم:

- «أنتَ أَوْلَى بها.»

أ - حوار بين عليّ والذين أتوا ليبايعوه، بعد مقتل عثمان، سنة ٣٥ هجريّة.

- ت -

أَتُرى، يَتحوّلُ جِسمي؟

أَشِراعٌ هُو الآنَ - ماجَتْ عواصِفُ أَتْراحِهِ وَرَمتْهُ إلى مَرْفَأٍ غَيْهَبيٍّ؟

أَنَايَ - والتمزّق إيقاعُهُ؟

أَهُوَ الآن يَرْقى والفَجيعةُ معراجهُ؟

أَهُوَ الآنَ يَهْوي والمراراتُ أَدْراجهُ؟

أَتُرى، يَتحوّلُ جسمي؟

نَهَرُ الحبّ فيه يُغيِّر مجراهُ، والسُّفُنُ

الجاريات جَنَحْنَ - تُراهُ، تحوّلَ جِسْمي؟

---

* يُؤْثِرُ أن يَبقى طِفْلاً
يَرضعُ، لكن
مِنْ ثَدْيِ الأشياءْ.

○ وثَنّى الرّاويه

زاعماً أنّ للأرض جِسْماً تشقّ السَّماءُ بسكّينها صدرَهُ، كلّ يَومٍ،

ـ أ ـ

ـ ما وراءكَ؟ قُلْ لي

ـ قُتِلُ عثمان.

ـ ماذا؟

ـ قُضِيَ الأمْرُ،

ـ مَنْ بايَعُوا؟

ـ عليّاً.

ـ ب ـ

ـ لن يتمّ لَهُ الأمرُ، هيهات،

ـ لكنْ أنتِ أوّل مَنْ قال عَنْ نَعْثَلٍ:

«اقتلوا نَعْثَلاً إنّه كافِرٌ.»

ـ تابَ. قالوا وقلتُ

وآخِرُ ما قلتُ أفضلُ

مِن قوليَ الأوّلِ.»

أ، ب ـ حوار بين عائشة وبعض أخوالها. ونعثل هو لقب عثمان. سنة ٣٦ هجريّة.

ـ ث ـ

في ذاكرتي أصواتٌ:

«ألنّاس جميعاً أكلوا لَمّا جاعُوا

آلهةً عَبدوها.»

أصواتٌ: «نحن جياعٌ لكن لا نَحيا

لا نعرِفُ أن نحيا إلاّ كيْ يأكلَنا

مَنْ جَوَّعَنا.»

في ذاكرتي رَحّالونَ رعايا

كَشْفٍ لا يُرْوَى

يَترشّفُ سِرّ الدّهْرْ

مِن آلاءِ الشِّعرْ.

* ثَمّةَ رُعْبٌ
يَسْتَعْمِرُ فينا
قَلَقَ الكلماتْ.

○ أَجْهشَ الرّاوية:

ـ أ ـ

آهِ من ذلك اليوم ـ طالَ
وأصبح تاريخَنا كلَّهُ.

ـ ب ـ

جَمَلٌ جامحٌ يتصدَّر حربَ قُرَيْشٍ
بِالَحزبِ الجَملْ
قُطِّعت أرجلٌ ورؤوسٌ
وأَيْدٍ:
نَظرٌ أَفْسَدتْهُ
رِياحُ العَملْ.

ـ ج ـ

وَثنَى الرّاويه:
عَرشٌ يتَنقّل، والقتلى
عَرباتٌ حيناً
وجسورٌ، حيناً.

ـ خ ـ

هُوَ كُرْسيّهُ، ـ
هل يُفكّر؟ هل يتذكّرُ؟ لا زائِرُ
اليومِ يُشْبِهُ مَن زارَهُ أمسِ، والبيت
يَنْسى
أَتُراهُ يحاوِرُ زُوّارَهُ ويَجسُّ تقاطيعَهم بأصابعَ
لا يعرفُ الظنُّ مِن أين تأتي؟
آهِ، كرسيّهُ مُتعَبٌ،
تَعبٌ في يديهِ، وفي قدميهِ، وفي الصَّدر
والقَلْبِ ـ ثوبٌ مِن غبارِ
يُغطّيهِ، يحنو عليهِ
أيّها الثَّوبُ، شكراً.

---

* أَتُراها الحياةُ نَباتٌ
يَتَفَتّح في تُرْبَةِ الجِراحْ؟

أ ـ يوم الجمل، الذي يُسمّى أيضاً حرب الجمل، سنة ٣٦ هجرية.

○ وثنّى الرّاويه: ______

- أ -

مُدّت المائده:

«قُطّعت أرجلٌ ورؤوسٌ وأَيْدٍ»

إنها حربُ صِفّينَ:

«يُدفَنُ خمسون في حُفرةٍ واحِدَهْ.»

- ب -

بَقروا بَطْنَها، وهي حُبْلى ذَبحوا زَوْجَها.

- ج -

رأسُ عَمّارَ يُحتَزُّ

والرَّمْلُ يَلْهو

بِجثّتِهِ الهامِدة.

- د -

وَثنّى الرّاوي:

لا يَوْمَ لِدفْنِ الموتى،

كلُّ الأيّام قبورٌ.

- ذ -

تَرفُضُ الكوفَةُ أن تُعْطِيَ لِلعاشِقِ

إلاّ لَفْظها

شفتاها موعِدٌ

ويداها موعِدٌ آخرُ، - لَفْظٌ

أتراهُ صَمْتُ رُغْبٍ، أم قِناعٌ؟

تسكنُ الكوفَةُ - لا تجْرؤ، لا تستطيعُ أن تسكُنَ إلاّ تِيهها.

* أَلرّمالُ كتابُ الصّحارى
والرّياحُ تآويلهُ.

أ - سنة ٣٧ هجريّة

ب - الصّحابيّ عبد الله بن خباب، وزوجته.

ج - عمّار بن ياسر.

○ سألَ الرّاوي:

ـ هَلْ تعرفُ كيف يُصَبُّ حساءٌ
في جمجمةٍ؟

ورَوى: قالوا ـ

«هاتوا جَوْفَ حمارِ

دُكّوا إبْنَ أبي بَكْرٍ فيهِ وَلْيُحرَقْ،

لكن عَرّوهُ ـ قميصُ محمّدَ غالٍ
وخُذوا لمعاويةِ رأسَهْ.»

وَثنّى الرّاويه:

رقصت نائِلَهْ

بالقميصِ، ابتهاجاً

وَسَقَت بالدّم المتخثّرِ فيهِ،
أساريرَها الذّابلَهْ.

ـ ض ـ

فُقَراءُ، حَيارى

بعد أن تتغطّى الحقولُ بآهاتِهِمْ

كي تَنامَ، يَعودون: أَيّامُهم

وَطَنٌ آخرٌ للعذابْ

أَلغُروبُ رَفيقٌ لهم

والكآبَةُ عُكّازُهم

كنتُ في ظِلّهم

شامةً فوق خَدّ التّرابْ.

* شَهقةً، شَهْقةً
تتصاعَدُ أيّامُهُمْ
في مَعارج أيّامهِ.

الإشارة إلى محمد بن أبي بكر، وكيفية قتله، سنة ٣٨ هجريّة.

نائلة هي زوجة عثمان.

○ وثَنّى الرّاوي:

- أ -

جِيئَتْ عائِشةٌ بِخروفٍ مَشويٍّ

حملته أختُ القاتلِ قالت: «كان أخوكِ محمّد مثلَ خروفٍ يُشوَى».

- ب -

أَسماءُ ارتعبَتْ

لم تتكلّم

عَضّتْ شفتَيْها

كانَ دَمٌ

يتدَفَّقُ مِن ثَدْيَيْها.

وَثنّى الرّاويه:

عَجَباً للدّماء التي لا تجِفّ (وكرّرتُ هذا على المتنبي، وكانَ يُردّد: ما زلتَ طِفلاً) عجباً لِلزّمانِ الذي يتجرّعُ أمواجَ هذي الدّماء، ولا رِيَّ في جوفهِ،

كيفَ لا يتفتّتُ وَجهُ النّهارْ

في أنين الغبارْ.

- ظ -

سيفٌ يَدْخلُ في بيعةِ رُمْحٍ

رُمْحٌ مَخْلوعٌ،

كُلٌّ يَهْذي

وأَنا تيهٌ أَمْشي فيَّ وَنَحْوي

أَتجلّى حيناً، وَرَقاً، أَخْفى،

حيناً، جَذْراً

كي أَسْتَقْصِي هذا المَنْفَى.

* يَلْبَسُ ثوبَ اللَّيل، ولكن لا يَسكنُ إلاّ في فَجْرِ.

ب - أسماء هي أخت محمد بن أبي بكر.

○ وثَنَى الرّاوي:

جاؤوا، ائتمروا، قالوا: «نقتلهم، ونُريح النّاسَ
مِن أَشْراكِ الخَنّاسِ الوَسْواسْ.»

وَثَنى الرّاوي:

صِرتُ أقول لِرأسي
وأنا أرنو لرؤوسٍ أخرى:
صَمتُكَ لا يُعجبني،
ويَردُّ: كلامُكَ لا يُعجبني.

وَثَنى الرّاويه:

هُوذا أولُ اللّيلَ، ما يُخبىءُ اللّيلُ، للمُتنبيّ
وأقرنُ أوجاعَ دهري بأوجاعهِ
لا أخافُ. لماذا أخافُ؟
وأنا ناضِجٌ مثل غيري،
والقِطَافُ المطافُ، وترتيلةُ الطّوافْ.

- غ -

أنتمي للشرَرْ
أنتمي للحصاد، احتفاءً
بالحقول، لِسقّائها
قلِقاً، ناحلاً
أنتمي للرّياح، تُوحّد في عصفها
بين وجه التراب، ووجه الفضاءِ،
ووجه البَشَرْ.

* لا يكفي، كي تتبعَني
أن تهدمَ بيتك، فالأنقاضُ لكي
تُستأصَلَ أيضاً، ولكي تُمحى:
ألمحْوُ بداية سيرك نحوي.

المؤتمرون: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، البُرَك التّميمي، عَمْرو التّميمي. والمقصودون بالقتل: عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص. سنة ٣٩ هجريّة.

هَوَامِش



أَتفيّأُ ـ أَخرجُ من هَذه الذّاكِره
مِن مداراتِها، ودواليبها الدّائره،
أَتفيّأُ أسلافيَ الآخرينْ
أَلَّذين يضيئونَ أعلى وأبعدَ
مِنْ ظُلْمةِ القَتَلِ، مِن حَمأةِ
القاتلينْ.

- I -

حوار

- «كيفَ تَخَيَّرَ إبليسُ

زوجتَهُ؟

أَلَها إسْمٌ؟»

- «ذَاكَ نِكاحٌ لم نَشْهَدْهُ.»

- II -

حوار

- «في وَجْهكَ شَيْءٌ مِن إبليسَ»،

- «صَدَقْتَ، كبيرُ الإنْسِ شبيهٌ

بِكبيرِ الجِنْ.»

- III -

حوار

- «هل تَعرفُ وَجْهَ الغَيبْ؟»

- «كلاّ،

لا أعرفُ مَن لا يَعْرفني».

- «أَلسَّاعة آتيةٌ، لا رَيْب.»

- IV -

تَميم بن مُقْبل

تَعجزُ الأَبديّةُ أن تُطْفِىءَ النّارَ،

أَو أَنْ تُحرِّكَ هذا الحَجرْ

مثلَما قُلتَ، مِن دونِ قَوْلٍ ـ ولكن

أَلهذا تمنّيتَ: «يا ليتَ أَنّي حَجَرْ»،

مازجاً بين ليل الترحّلِ والموتِ

والأُغْنِيه؟

مَا الذي يتغيَّرُ في هذه الأمنيهْ

ما الذي يتغيَّرُ غيرُ اتّجاهِ السَّفَرْ؟

قيل: كان بعد إسلامه، يحنّ إلى الجاهليّة، ويمجّدها، ويبكي أهلَها، ويشعر بغربةٍ في الإسلام. يقول في إحدى قصائده: «ليتَ الفتى حجرْ».

- ٧ -

لبيد

سأقولُ ـ أنا الرّاويهْ
مِثلما قالَ لي، دونَ قولٍ،
تلك أيّامُنا الماضِيهْ
تترصَّدُ أعناقَ أيّامِنا الآتيهْ.
والمراراتُ، فَتّاكةٌ، والرُّجومْ
لَبَنٌ دافِقٌ مِن ثُدِيِّ النُّجومْ.

- VI -

الشّنفرى

مِن أعالي الكلامْ

نَزَل الشّنْفَرى

يَتَقَرّى الفضاءَ، يُطيّب وَجْهَ الثَّرَى

ويُهيّىءُ للجائعينَ الوليمةَ - أحلامُهم
وارفاتٌ، تُغَطّي مراراتِهِم،

وتُغطّي الخِيامْ.

- VII -

عُروة بن الوَرد

لا كآبَةُ هذي الغيوم، ولا بَهْجَةُ

الأمكنهْ

تُلْقِحانِ دُروبي

جَسدي مُوغِلٌ

في محيطِ اجتراحاتِهِ، -

أتلمَّسُ في الرَّمْلِ مائي

وأُشعل نارَ التَّصَعْلُكِ في

غابَةِ الأزمِنَهْ.

- VIII -

طَرفة

طَرفَهْ

وَردَةُ حزْنٍ تَتناهَبُها

ريحٌ وَصَحارَى.

يا طَرفَهْ

«أُفرِدْتَ»، ولٰكن كلُّ مكانٍ قَيْدٌ.

يا طَرَفَهْ

رَمْلٌ رَمْلٌ تِلكَ الصَّدَفَهْ.

قيل قُطِعت يداهُ ورجلاه ودُفِنَ حيًا. نشأ يتيماً وعاش حياة لَهو. يُلقب بِ «الغلام القتيل»، فقد مات، وهو في السادسة والعشرين من عمره.

- IX -

امرؤ القيس

لامرىء القيس* ظِلٌّ

لم يَزل يتشرَّدُ في حَوْمَلِ

ويُقابِسُ بغدادَ حيناً وحيناً دِمشْقاً

عشقتْهُ الرّياحُ ـ كأنّ لها وجهَهُ.

يا امْرأَ القيس، كيف تدثّرتَ ليلَ الكلام، وكيف تنوّرتَهُ

ضائِعاً بين خَيط الهباءِ وثَوْبِ الأبدْ؟

كيف هَيّأتَ هذا المهادَ: عزلتَ

السّماءَ، وأغْلقتَ أبوابها، وتنبّأتَ:

لا حِبْرَ غيرُ الجَسَدْ.

ألهذا فتحتَ الفضاء

نشوةً وَهُياماً وشعراً؟

أَلِهذا صِرتَ ميثاقَنا ـ الطَّريقَ إلى ما

يُضَاءُ، وَما لا يُضاءُ؟

* لم يقلْ شعرَهُ رغبةً

لم يقل رهبةً،

إنّه ذو القروح، امرؤ القَيْس، ضِلّيلُنَا الثائِرُ

إنّه الشّاعِرُ الشاعِرُ.

(خلاصة رأي قديم عن امرئ القيس، ينسب إلى أكثر من شخص، بينهم الإمام علي).

- X -

أبو محجن الثقفي

«سألَتْنِيَ سَلْمى: لماذا حُبِسْتُ؟

لم يكن مَحْبَسي لِحرامٍ أَكَلْتُ

كنتُ أشربُ في الجاهليّهْ

وأنا شاعِرٌ عندما أشربُ الخمرَ، تأْخُذني الأَريحيَّهْ

فأكتبُ عنها ـ لِهذا حُبِسْتُ،

وَلأنّيَ قلتُ:

«إذا مُتُّ، فَادْفِنّي إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ

تُروّي عظامي، بعد موتي، عروقُها

ولا تدفِنَّني بالفلاة، فإنّني

أخَافُ، إذا ما متّ، أنْ لا أذوقها.»

هي سلمى بنت خَفَصَة، زوجة سعد بن أبي وَقّاص وهو الذي حبَسه.

II

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاّ غيرَ مكترثٍ

المتنبي

○ هَمس الزّاويه

لِلرّواةِ، لأقلامهِ:

هُوذا المتنبّي -

وطنٌ آخرٌ يتحوّلُ

يخرجُ مِن أرْضِهِ،

ومِنْ نفسهِ.

وكأنّيَ أرَى حولَه،

حيثما سارَ، نَخْلاً

يتقوّسُ، يَصْنَع

مِن جذعهِ

غارَ وَحْيٍ وشِعْرِ.

- أ -

لِلسّماوةِ وَجّهْتُ وَجْهيَ، في

البادِيه

بين أحضان سرٍّ بعيدٍ،

سأصمتُ صمتَ الجذورِ: يكونُ

لِيَ الضَّوءُ بيتاً

وتكونُ البداوةُ أَبْعادَهُ الحانيهْ.

* تبكي النّجمةُ، -
دَمْعُ النّجمةِ ليلٌ.

○ أخذ الرّاويه

يَتأمّلُ، يَفحصُ أوراقَهُ،

ويقولُ ـ الكلامُ

الذي دارَ بين القبائلِ،

بينَ الأَسِنَةِ، تحت السَّقيفةِ،
رَمْلٌ

يَتساقَطُ مِن فوقِنا

أَثْقَلَ الإرْثَ بالقَتْلِ

واجْتَثَّ جُرْثُومةَ

الرّجاءِ ـ

هُوذَا، الآنَ،

مُستودَعٌ لِلدِّماءِ.

ـ ب ـ

في مَدْرَسَةٍ

لِقَطَا البيداءِ، قرأتُ دروبي

آفاقَ جِراحٍ ومَنَاجِمَ شِعْرٍ.

ما أَعْمَقَ أَنْ تتحدّثَ مَعْ جِنّيٍّ

أو مَعْ نَجْمٍ،

بين خيامٍ لبني الصّابي

حيث يكونُ الإنسانُ المَغنى.

نَزل المتنبّي حين رحل إلى بادية السّماوة، في بني الصّابي، وهم هَمْدانيّون.

* يخرجُ القمَرُ، اليومَ، مِن بيتِهِ
وتَجيءُ إلى حيِّنا
حاملاً وَرْدةً،
لابِساً ثوبَ طِفْلٍ.

○ وَصَف الرّاوونَ
الرّاوي،
قالوا عنهُ:
حين رأى سَيْرَ
التّاريخ، وَوَقْعَ خُطاهُ،
ذَبُلَ المعنى في
عَيْنَيْهِ.

- ج -

كان زَيْدٌ يقولُ: الغيوبُ
تَنَزَّلُ
في ناظريّ.
مِثْلَهُ، أشعر الآنَ، أَنّ النجومَ
تَحلُّ ضَفائِرَها
في سريري،
تنامُ على ساعديّ.

أبو الحسن محمد الزّيدي
(توفي ٣٩٠ هـ.)

* كلّ شيءٍ أشدُّ وضوحاً،
وأكثرُ قُرْباً إلينا
من الكلماتِ التي نصْطَفيها
لِكيْ نَتحدّث عنهُ.

○ وثّنَى الرّاوونَ: ــــــــــ

رَأَينا الرّاوي يَسألُ: «كيف أَتيتُ،

وأين سأمضي؟»

«ومَضَى يهْذي:

«حسناً،

سأتابعُ سَيريَ ـ لكِنْ

أهناك طريقٌ؟»

ـ د ـ

كيف أقولُ: الآنَ رَمَاني

قَمرٌ أَعْشى بِمَلاكٍ شَيْخٍ؟

هُوذَا رَفْرفَ طَيرٌ

وَبنُو الصَّابي يَرْتجلونَ رُؤَاهُمْ

لِرفَارفَ تأتي،

وأنا لا أعرفُ

أين يُرَفْرِفُ رأسي.

حسناً، هذا حَظّي

وسأذهبُ كي أُمْضِيَ هذا اللّيلَ الأعشى

في حانوتِ القمر الأَعْشى.

---

* وَعْدٌ ـ
يجلِس قُرْبَ الخيمةِ، بابٌ
يَتَساءل: مَنْ سيَجيء الآنَ؟ خِيامٌ
تَتلألأُ حُبّاً.

○ «تهربُ الذاكره
مِن دياجير تاريخها،
تسقط الذّاكرة
في الشّباك التي نَصبتها
لغةٌ ماكره»
هكذا كان يَسْتَبْصِرُ
الرّاويه
وهو يَروي لنا ـ
خَرجَ الفألُ من حَوضِها
ألبستْهُ ثيابَ الخروج إلى قَصدِها
والمُراديُّ يُصغي ويَستَعْجِلُ
الرّحيلْ:
ـ إمْضِ، صدري سريرٌ
وحبّي هَديلْ.
ـ في جبينيَ، في قَبْضتي خُطُوطٌ
يَطلعُ الفجرُ منها:
أنتِ شَمْسي، قَطام
وأنا قاتِلُ الإمام.

ـ هـ ـ

كُوخُها طَيَّةٌ
في عبَاءةِ هذا
الفضاءِ الذي زَيَّنَتْ نَفسَها
بِتَهاويلِهِ،
كلّ ما حَولَهُ يَتَنهَّدُ شوقاً لهُ:
كوخُها جسمها.

* نَجمةٌ في رداءٍ طويلْ
تَتَنَزَّه بين النَّخيلْ.

قَطام بنت الأصبع التّميمي، التي قيل إنها حرّضت عبد الرحمن بن ملجم على قتل الإمام عليّ، سنة ٤٠ هجرية، والحوار هو بينهما.

- و -

خَرجَتْ تَسْتقي الماءَ - ذِكْرى الطفولةِ فيهِ:
لا رقيبٌ، طيوفٌ تُسافِرُ

في جسد الماءِ، ترقصُ في وَجْههِ والنَّخيلُ
هَوىً في خُطاها النَّديّةِ،

في خَصْرِها الحيّْ -

ما يكونُ، وماذا سيَحدُثُ إنْ

رأَتِ القِرمطيّ؟

* لا يَرْويني ماءُ الغَيْبِ،
وماءُ العالَمِ رَمْلٌ.

○ قال الرّاوي:

قال عليٌّ عن قاتلهِ، وَهُوَ يموتُ: «أسيرٌ

لا تُؤذُوهُ

لِيكُنْ مَثواهُ كريماً

إنْ مُتُّ، يموتُ كموتي،

لا عُدوانَ عليه.

وإذا عِشْتُ نَظرتُ:

أأقتلُ، أم أَعفو؟».

سنة ٤٠ هجريّة.

○ أخبرَ الرّاويه:
غِبطةً، سَجدت عائِشه
حين قالوا:
«قتلنا عليًا».

وَثنى الرّاويه، -
قالَ: أعطيت للنّاسِ
ما قالَه الرّواةُ، ولم
أُعطِ سِرّي،
لن أحدّث عنه سوى
المتنبي، وأشعر أنّي
هنا، الآن، أُصغي
إليهْ،
وأحاولُ إقناعَهُ
أَنّ سِرّي وَبالٌ عَليهْ.

- ز -

قالت: «ستكونُ الشّمس لنا سَقْفاً
ويكونُ ردائيَ ظِلاّ
هل تأتي؟»
سارَتْ. قلتُ لنفسي: هَذي الأعرابيّهْ
لحظةُ كَشْفٍ، والوقت مُضيءٌ.
سِرْتُ، قَفَوْتُ خُطاهَا.
. . . . . .
ما أَغربَها
ما أَبْهاها - تلك الأعشابُ البَرّيّهْ.

---

* سُرَّةُ الفَجْر تُسلِمُ رَيْحانَها
لِنسيمِ اللّقاءْ.

- ح -

سَأُكرّرُ هذا الرّهانْ:

يَتقدّم نَحْوي

زَمَنٌ ضِدَّ صحراءِ هذا المكانِ،

وصحراءِ هذا الزّمانْ.

بِاسْمِهِ، سوف أُعْطي لِنفسيَ

سِحْرَ الدُّخولِ،

وَحقَّ الدّخولِ

إلى كلِّ شَيْءٍ.

○ قال الرّاوي:

قالَ معاويةٌ:

«إنّ الله، بِحُسْنِ صنيعِ

وبِلطْفٍ منهُ،

أرسلَ مَن يغتالُ عليّاً.»

وَثنى الرّاوي:

ألآية قَبْرٌ

والسّيف مَلاكٌ،

لغةٌ مِعْراجٌ

بين سيوفٍ تَعلو

ورؤوسٍ تَهْوي.

---

* وَرْدَةٌ، عِطْرُها بيتُها
والهَواءُ سَريرٌ لهَا.

○ قال الرّاوي:

قالوا: سَنَّ معاويةٌ

قَتْلَ الطّفلِ وقَتْلَ المرأةِ، أَوْصَى بُسْراً:

«أُقتُلْ أصحابَ عليٍّ شيباً، شُبّاناً

أطفالاً ونساءً».

وَثنّى الرّاوي:

طِفلا ابْنِ العبّاسِ

اسْتَتَرا في بيتٍ

ذُبحا بِيدَيْ بُسْرٍ -

كانت قَد أَخْفَتْ هذين

الطّفلين امرأةٌ،

قتلوا مِئةً مِن أهلِ المرأة كَي يَنْتقِموا مِنْها.

- ط -

قمرٌ في شكْلِ الكوفَهْ

فَرشَ اللّيلَ بِساطاً

وَتلبَّسَ بالإسْراءِ الصّاعدِ

في أنحائي، -

زَمَني أَحْلامٌ مَعْطوفَهْ

بِسَوادِ الكوفَهْ.

* لا تَسَلْ، فالسَّوادُ المُتوَّجُ بالكوفةِ، السُّؤالْ

حوله الشعر يجتاحُ، يعلو ويقول الذي لا يُقالْ.

بُسْر بن أرطاة قائد جيش معاوية.

عبيد الله بن العبّاس في اليمن.

- ي -

جَسدي يَتَعَدَّدُ:

هذا يُلوِّحُ، هذا يَرُجُّ، وآخَرُ

في سَكْرةٍ

والصِّراطُ، كما يتراءَى،

هُوّةٌ ـ لا قرارٌ.

أَتُرى، يتعذَّرُ بيني وبين السّماءِ اللّقاءُ؟

ولماذا، إذن،

لم يَجِىءْ أيُّ لَوْحٍ لِلعُروجِ ولِلوحْيِ، هذا المساءُ؟

---

* أَتُفكّرُ؟ هذي وَسْوسَةٌ
إسْتَغْفِرْ، وَاصْرَخْ:
يا أَهْلَ الإيمانِ، احْموني
دَاوُوني مِن فِكْري.

○

نَفَقٌ ـ أيُّ ضوءٍ

يُنوِّر أخبارَ ما قد

مَضَى؟

يسأل الرّاويه

وهو يروي لنا:

ـ مَنْ أبوكَ؟

ـ يُجيبك هذا (مشيراً

إلى سيفهِ)

هاتِ، يا حَرسي، عُنقَهُ.

السائل مجهول والمسؤول هو زياد بن أبيه.

○ قال الرّاوي:

حاوَل أن يَغتالَ الحسنَ الجرّاحُ الأسديُّ، ولكن أَخْفَقَ. جاؤوا بالجرّاح، وَدقّوا عُنقَهُ - قَطعوهُ عُضواً عُضواً.

- ك -

ضِدَّ ما نَبذتْهُ السَّماوَةُ - ما يَتكوّنُ

مِن رأسِ رُمْحٍ ومن حدّ سَيْفٍ، ومِن

جُثّةٍ تَتدلَّى، ورأسٍ يُجَزُّ،

وضِدَّ المدوّنِ باسْم الخليفةِ في

كاغدٍ ليس إلاّ دماً.

ضِدّه، ضِدّ تلك المعاقلِ،

تلك البُروجْ

نَخْتفي، نَتهجّى

في السماوة سِرَّ الخروجِ، الخروجْ.

---

* أَهُنالِكَ ماءٌ يَرْوي ظَمأَ الماءْ؟

الحسن بن عليّ

○ وثّنى الرّاوي عنه:

ـ يَا لَلْعاز

ـ خيرٌ مِن هذي النّاز

أَكرهُ أن أقتلكم

مِن أَجْل المُلْكِ،

وأَكرهُ أن أملكَ، حَرْباً.

وَثنّى الرّاوي:

زمَنٌ ينطقُ، لكن

لا يَنطق إلاّ

مِن شَفَتَيْ سَيْفِ.

ـ ل ـ

أَهْلُ الكوفةِ ـ كُلٌّ

جسَدٌ أنقاضٌ

تَتَناسَلُ في أَنْقاضٍ.

أَهْلُ الكوفَهْ

وُلدوا سَيْفاً يتقلَّدُ رأساً

رأساً يتقلَّدُ سيفاً.

أَهْلُ الكوفةِ ـ كلٌّ

يَحملُ فأسَهْ

كي يقتلَ نَفْسَهْ.

حوار بين الحسَن بن عليٍّ وأصحابه، بعد أن تنازل عن الخلافة لمعاوية، سنة ٤١ هجرية.

* بِيَديْ قاتلٍ،

وعلى حدِّ سَيْفٍ،

كتبَ الوقتُ آياتهِ.

○ أخبر الرّاوية:

- تَسْتقيمُ بنا، أَو نقوِّمُ كلَّ اعوجاجٍ

- بماذا؟

- بهذا الخشَبْ

- أَسْتقيمُ، تَعالُوا

لِنُطْفِىءَ ذاكَ اللَّهَبْ.

وَثَنَّى الرّاويه:

رَجُلٌ لا أُنوثَةَ فيهِ

نَهرٌ دونَ ماءٍ.

- م -

أنت العائِشُ في إِصْطَبْلٍ

لخليفةِ هذا العالَمْ،

تَتَمسَّحُ بالجدرانِ وبالعتباتِ، وتَحْني رأسَكَ خوفاً

أَوْ تحني طَمَعاً

أَو تحني ذُلاًّ،

هل تشعرُ، حقّاً

أَنّكَ جزءٌ مِن طينةِ آدَمْ؟

حوار بين معاوية وأصحابه، سنة ٤٢ هجريّة.

---

* رَحِمُ المعصِيهْ
تتموَّجُ، تدخلُ في عيدها، -
هَيِّئوا الأُغْنيهْ.

○ أَخبَر الرّاوية:

باسْمِ محرابِهِ

باسْم مِعْراجِهِ

والعُروج إلى خِذرِهِ البهيّ،

قَتَلَ الباهليُّ عُبادَةَ،

وهو يُصليّ.

صُلِبَ الباهليْ.

ـ ن ـ

قلتُ لِليلي ـ محموماً بين خيامِ المَغْنى:

هَلْ أكتب شعراً أَصْهرُ فيهِ

وَجْهَ الغيبِ وأَصْهَرُ فيهِ

قلق الأرضِ ـ خُطاهُ، طيوفَهْ

أم أكتب شعراً لا يَقْرؤهُ إلاّ

أَهْلُ اللّفْظِ وإلاّ

جُدرانُ الكوفَهْ؟

أَصْغى لَيْلي ـ لم يَتكلّمْ.

* عَطَشٌ لا يَشُفُّ، ولا يُسْتَشَفُّ، ـ
سَأَتْرُكُ مائي
يَتَرَقْرَقُ في حَيْرةٍ.

الباهليّ هو الخارجيّ يزيد بن مالك، وعُبادة الليثي من الصّحابة، سنة ٤٢ هجريّة.

○ «ليس مِن عادة الراويه
أن يقصَّ تباريحَهُ، الرّاويهْ
ورَقٌ ناطِقٌ» - تمتم
الرّاويه،
وَثنّى راوياً:
- قُلْ إنّه الخليفَهْ
وإنّه للمؤمنين آمرٌ،
أميرٌ،
- مقالةٌ نكراءُ لن أقولَها
- خُذوهُ واقتلوهُ.

- س -

أَيُّهذا الخفيُّ الألَقْ
أيّهذا الشّحوبُ المُغَلْغِلُ في طبقاتِ الغَسَقْ،
آهِ، يا صورتي

أَلسَّماءُ تزركشُ سِرْوالَها
بِتخاريم غَيْمٍ وريحِ
والصّباحُ يُرتِّلُ أنشودةً لِلطيور التي هاجَرَتْ -
صورتي، صورتي،
بُرْجُ ضوءٍ نَحيلِ
يترنّحُ، واللّيل معراجهُ -
صورتي، صورتي.

* عندما تتوهّجُ فينا الحقيقةُ،
لا نتكلّم إلاّ مَجازاً.

حوار بين المغيرة بن شعبة، عامل معاوية على الكوفة، وكوفيٍّ هو معين بن عبد الله المحاربي، سنة ٤٢ هجريّة.

○ قال الرّاوي،

يَتَمرأى في أوراقٍ:

ماذا تقرأ شمسُ اليوم،

وماذا تحملُ بين يَديْها؟

هل كان الضّوء غريباً؟

هل كان جراحاً في

رِئَتَيْها؟

وَثنّى الرّاوي:

قال معاويةُ لزيادٍ:

«سأكونُ أنا لِلّينْ

كُنْ لِلشّدّةِ أنتَ، فهذا

خيرٌ للملْكِ،

وخيرٌ للمملوكينْ».

- ع -

أَلخيامُ الخيامْ

غابةٌ تتقلّب أَغصانُها في رياح الكلامْ

وأنا أَتقلّبُ في ذاتِ نَفسي، أردِّدُ:

كلاّ، لا أحبُّ الضّياءْ

لاَ لِشيءٍ سِوى أنَّه كاشِفٌ.

هكذا، كي أُطيلَ الطّريقَ، السُّؤالَ وأَسْتَنْفِدَ الأقاصي

كم أُرَدِّدُ في ذات نفسي:

أُحِبُّ الخَفَاءْ.

زيـاد بـن أبـيه، سـنـة ٤٥ هجرية.

* غَطّت الشّمس وجهي،
وَوَجْهَ المكانِ بِمنديلها.

○ وَثَنى الرّاوية:

زمَنٌ بَحْرٌ

لرؤوسٍ عائمةٍ

في سُفُنٍ

مِن ألفاظٍ.

- ف -

كلُّ شيءٍ هنا، في السَّماوةِ، في أرضِنا لفظةٌ خائِفهْ -

لا غذاءٌ لها، لا كساءٌ

غيرُ ما يتقطَّرُ من دَمْعِها

مِن تباريحها،

وجراحاتِها النّازِفه.

* أَتُراها الغيومُ: خِيامٌ مِن الدّمْعِ، أم سُفُنٌ مِن دخانٍ؟

○ قال الرّاوي:

قال معاويةُ

لابْنِ أَثَالٍ:

«أُقْتُلْ عبد الرّحمن.»

جاءَ إليهِ وَسقاهُ شراباً مَسْموماً.

بعد قليلٍ

قُتِلَ ابْنُ أَثَالٍ.

وَثنّى الرّاوي:

أَلرّؤوسُ السّلالمُ،

والعَرْشُ يَعلو علَيها.

- ص -

صَوْتٌ يغلو فيَّ وَيَسْأَلُ:

مَنْ سَيُحدّث أَهْلَ الكوفةِ،

هذا اليومْ

عَمّا يَرْوي الحَجرُ الأسودُ في

أيّام الحَجّ، وفي

أيّامِ الصَّوْم؟

صوتٌ يَغْلو: ما أَشْقَى الآباءْ

ما أفجعَ ميراثَ الأَبْناءْ.

صَوتٌ يعلو: أَلكوفَةُ أرضٌ

يفصلني عنها أَنّيَ مِنْها.

* سَأَبوحُ بِظَنّي
لِمهبّ رياحٍ سِرّيّهْ
كي تَنْقَلهُ
لِلآفاقِ ولِلأصواتِ البرّيّهْ.

ابن أَثال هو طبيب معاوية وكان قد عظم في الشام، شأنُ عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد، ومال إليه أهلها ليخلف معاوية، بدلاً من ابنه يزيد.

وخالد بن عبد الرّحمن هو الذي قتلَ ابْنَ أَثال، سنة ٤٦ هجرية.

○ قال الرّاوي:

- يا هَذا، ما رأيُكَ فيّ؟

- أقولُ بأنّكَ عاصٍ

رَبَّك، وابنُ زنىً

- قُمْ، يا حَرسي،

اقْتُلْهُ.

وَثنّى الرّاوي - يَتساءَلُ

ماذا؟ إنسانٌ يؤمِنُ

لا يَعْرِفُ مأوى

إلاّ تحت ثيابِهِ،

لا يعرفُ غيرَ اللهِ،

ويَبْقى

مَطْروداً خارجَ بابِهِ.

- ق -

قُلْ - لِماذا تخافُ من القِرمطيّ؟

أَهُوَ السَّيْفُ؟ لكنّ سيفَ الخليفة أَمْضَى،

أَهُوَ البَطْشُ؟ لكنّ بطش الخليفةِ أَدْهى.

أَمْ تَخافُ مِن الموتِ؟ أُنْظُرْ

هَا هُوَ الموتُ حولك - في الماءِ، في

الخُبْزِ، - خَيْرٌ وأَوْلَى

أَنْ تخافَ مِن الفَقْرِ، وافْرَحْ

لِأَبابيلِ حَمدانَ قِرمُطَ في

عَصْفِها البهيّ.

* يبني النّاسُ بيوتاً
مِن طينٍ، أَو مِنْ قشٍّ
بِدَعائِمِ أَوْهام،
وسوى ذلكَ، تَرْحالٌ.

حوار بين زياد بن أبيه، والنّاسك الخارجيّ عُروة بن أُدَيّة، سنة ٤٧ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

قَتْلى، أنقاضُ حروبٍ.

مَا أكثرَ ما يأخذني اليأسُ ولكن

حين أُوجّه وَجْهي

شَطر الشّعر، وأنظُر،

أَشفى ـ لا أَلمحُ في

ظُلمةِ يأسي إلاّ نُوراً.

- ر -

هَلْ أَلْقَى في الكوفةِ رَأْساً

لا يتمدَّدُ فيهِ قَبْرٌ؟

هَلْ أَلْقَى قبراً لا يتربَّعُ فيه نبيٌّ؟

أَلكوفَةُ شطرنْجٌ كَوْنيّ

تأتي وتَروحُ على خيطٍ: تهبطُ، تَعلو ـ

دورٌ لا تعرف أن تخرجَ منه:

لَعِبٌ مَرْئيٌّ

في دَوْرٍ لا مَرْئيّ.

---

* شِعْرٌ، ـ
هل يَحتاجُ الشعر إلى قَيْدٍ
كي يُوغِلَ في تحريرِ المعنى؟

- ش -

أَسألُ الكوفةَ الآنَ: مِن أين أَبْدأُ؟

أين الطّريقْ؟

أَلسَّماوَةُ صَمْتٌ، والفراتُ ودجلةُ صَمْتٌ وفَمُ الكوفةِ انشقاقٌ:

نصفهُ باطِنٌ ظاهِرٌ

ظاهِرٌ باطِنٌ

نِصفهُ نائِمٌ لا يُفيقْ

حَيْرتي أنَّ قلبيَ نَبْعٌ ورَأْسي حَريقْ.

* ليست الشّمسُ إلاّ
جَسداً آخَراً لِلَيْلي.

○ أكّد الرّاويه

عن خليفةِ ذاكَ الزّمانِ -

«بَلَى، قالَ: لِي هذهِ البلادُ،

وَلِيَ الإرْثُ والوارثونَ،

ولي طاعَةُ العبادْ».

وَثنّى الرّاويهْ:

عَـنْ أوّل الأبـنـاءِ فـي سُـلالـة الحاكم، قيلَ مَرّةً: «مَصْدَرُ كلِّ عِلْمٍ».

وقيل عن هذا الذي يحكمُ حَتَّى اليوم: «لا أوّلَ، لا آخِرَ لِلعلم الذي يكنُهُ».

وَيصمُتُ الفقيهُ دائماً

وَينحني مُصدِّقاً.

○ قال الرّاوي:

مات الحسَنُ بنُ عليٍّ مَسموماً
سَمّتْهُ زوجتُه أمَلاً أنْ يتزوَّجَها
من أغْراها بالقَتْلِ: يَزيدٌ.

وَثنّى الرّاوي:

قالَ يزيدٌ:

«أَفَنَرْضاها زَوْجاً ورَفضْناها،
وَهِي لَهُ؟»

وَثنّى الرّاوي:

قالوا: «تسعون امْرأةً لم تتركْهُ
واحِدةٌ

إلاّ وَهيَ أشَدُّ هياماً».

ـ ت ـ

يَتَقَدَّمُ هذا الزّمان بِعُكّازهِ

مائِلاً وَلهُ شَكْلُ رُمْحٍ ويتركُ حولي

ما تَسَاقَطَ من أمْسِهِ

ويقولُ: اتَّكِيء

ويُدَمْدِمُ: حِبْرُكَ نارٌ،

وشِعْرُكَ يَشطَحُ في غيِّهِ.

* يا لِهذا الدّم المتدفّق مِن أولِ الكلماتِ،
لكي يَتخثّرَ في آخر الكلماتِ.

يزيد بن معاوية سنة ٥٠ هجريّة.

الإشارة إلى الحسن بن عليّ.

○ قال الرّاوي، ــــــــــ

يَرْوي بَعْضاً من أقوالِ زيادٍ:

«كتبتَ إليّ في فاسقٍ

لا يُؤْويهِ إلاّ الفُسّاقُ،

وأَيْـمُ الله لأَطْـلـبـنّـهُ، ولـو بـين جلدِك ولحمك،

فـإنّ أَحَـبَّ لَحْـمٍ إليَّ أن آكُـلَـهُ، لحمٌ أنتَ مِنه.»

ـ ث ـ

سَأُزَحْزِحُ أَنْأَى فَأَنْأَى، تُخومي

وَأُسْلِمُ جِسْمي

لِصَباباتِه،

لِدَمٍ بَرْزخيّ،

لِفضاءٍ يُفجِّرُ أَفْلاكَهُ

في دروبٍ تجيءُ وتَذْهَبُ

مِنّي إليّ.

* سَأُصرِّفُ نارَ الشّعْر، ولكن
كيف أُصرّفُ
نارَ الوَقْتْ؟

رسالة من زياد بن أبيه إلى الحسن بن عليّ.

○ قال الرّاوي:

قالَ ابْنُ عديٍّ:

«ألمحُ قبراً محفوراً

كفَناً منشوراً

سَيفاً مَشْهوراً،

كيف، لماذا لا أَجْزَعُ؟»

وَثنّى الرّاويه:

قالَ جَلاّدُهُ:

«أَتُراه يكونُ أَقلَّ

عَذاباً، لو أَطَعْنا

هَواهُ ـ تركنا لَهُ رأسَهُ، وقطعْنا يَدَيْهِ؟»

- خ -

أَتخيَّلُ ليلَ التنقّل في بَلَدٍ آخَرٍ

أَتخيَّلُ كيف سَتسقطُ بين يديَّ

النّجومُ، احتفاءً.

هِيَ ذي ـ نخلَةٌ في هُدُوءِ

المساءِ الحَيِيْ

أَوْمأتْ، مِن حنانٍ، إلَيْ

هُوذَا ـ يُخْطَفُ الكونُ فيَّ، وتَنْشَطِرُ

اللّغة الخاطِفَهْ

وتطوفُ السَّماوَةُ فِيَّ وتَعلو رُؤَايَ

على ذُرْوةِ العاصِفَهْ.

* لا أحيا

في هذا التّاريخ، ولا أَتشرّدُ فيهِ

إلاّ كي أخرجَ مِنْهُ.

حجر بن عديّ، الصحابيّ الذي قتله معاوية، مع ستّةٍ من أصحابه. أمرَ معاوية أن يُطالَبُوا بالبراءةِ مِن عليٍّ، فإن أَبوا تُحفر قبورهم أمامهم، وتُهيَّأ أكفانهم، ثم يُقتلون.

ولمّا مشوا إلى حجر بالسَّيف، ارتعدَ فقيل له: زعمتَ أنّك لا تجزع من الموت.

فردّ عليهم بهذا القول،

سنة ٥١ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

أَهل الشّام سياجٌ

حول يزيدٍ.

قالوا:

مَنْ لم يخضعْ ليزيدٍ

وَيُبايعْهُ،

نَضربْ عُنُقَهْ.

وَثنّى الرّاوي:

أيّامُ المُلك قُدورٌ

يُطْبَخُ فيها التاريخُ،

ويُطْبَخُ فيها

رَمْلُ الذِّكرى.

- ذ -

أَلوداعَ لأَهْلِ السّماوةِ، لِلشَّمْسِ تَصْنعُ مِن نَخْلِهم خياماً لأحبّائها،

أَلوداعَ لأقمار تلك الخيام، لِعُشّاقِها وَلِناقاتهم.

إنّه الوقتُ كي يخرجَ الوقتُ مِن قَيْدِهِ

سنة ٥٢ هجريّة.

إنّه الوقْتُ كي ينزلَ الكون ضيفاً علينا،

وَيَفيءَ لأَحلامِنا وَلأَسرارِنا.

* رُبّما، سَوف يَبقى شعاعٌ يقولُ

لتلك المدينةِ: عيناكِ لا تُبصرانْ،

ربّما، سوف تبقى طريقٌ

تقودُ الطّريقَ إلى لا مكانْ.

عن مجانينَ حمقى، يُغَنّونَ في كلِّ يَوْمٍ:

نَتَمنّى على العِزّة الكوكبيّةِ ذاتِ الجَلالِ، التي خَلَقت لِلذّئاب الخِرافْ،

أنْ يُنَصِّبَ فينا أميرٌ

وَلْيكن رأسُه مِثلَ طَبْلٍ

وَلْيكن ماضيَ التيوسِ،

وحاضِرَ هذي الوحوشِ،

وَمُستقبلاً،

لاَ أناشيدَ فيه، ولا مَوسِمٌ، لا قَطافْ

غيرُ حَشْد الفؤوسْ

يَتوغَّلُ في غابَةِ الرُؤوسْ.

- ض -

مِـن حبيـب بْـنِ أَوْسٍ ومِـنْ تـيهِ طَـيّءَ فيـهِ وفيٌّ، ومن شعرهِ،

أَتعلّم أُمثولةً

أَتعلّم سِحْرَ البداوةِ

تَسْري الحضارَةُ فيهِ ـ كأنّ النَّخيلَ قبابٌ مِن حريرِ

كأَنَّ الصّحارَى

لغةٌ في البحارِ وأعماقِها وكأنّ القُلوبْ

شُهُبٌ لِلصّعودِ على درجاتِ الغيوبْ

آهِ، ياكوفةَ الوَحْي، يا كوفةَ الحائرينْ

آهِ، لو تَعلمينْ.

---

* يُجهـلُ النّبـعُ مِـن أيـن يأتي، إلى أيـن يَجري ـ جهلُهُ عِلمهُ:
مَلِكٌ والطّبيعةُ كرسيّهُ.

○ قال الرّاوي، ـــــــ

عن شخصٍ صار أميراً،

كانت حكمتُه:

كي تُنضِجَ وَقْتاً،

إقْطَعْ رأساً.

ـ ظ ـ

مِلْ قليلاً، تقدّمْ، مكانَكَ: ذِكرى

ها هنا خاصَمتْني دروبٌ

هَا هُنا صالَحَتْني لغاتٌ

وهناكَ افترشْتُ التّرابَ، هنالك غَنَّتْ خَيمةٌ أُغنياتي

مَنْ تُراني هنا، الآن، أَو مَنْ تُراني هُنالِكَ؟

أَسْأَلُ هذا الحُطَامْ

أَمْ أُسائِلُ هذا التّرابَ الحكيمَ؟ تُراني

شَبَحٌ طائِفٌ

بين هذا الحُطامِ وهذا الكَلام؟

---

* خَيرٌ لِلتّرحالِ وخيرٌ لِلسّكْنَى،
أَنْ يُسْتَصْفَى
مَنْفَى يتنقَّلُ في مَنْفى.

- غ -

لَنْ أُغَنّي لِتاجٍ -

لا لكندةَ، أَوْ هاشمٍ، أَوْ هِشامْ

أَلضِّياءُ الذي يَتَفتَّقُ مِن سُرَّةِ الشَّمس،
وَجْهي: أَحداً لا أَحَدْ

سَأُغنّي لِتيه الأبَدْ

عالياً في الكلامِ، لتيهِ الكلامْ

عالياً في الأَبَدْ.

* أَتُراهُ دَمٌ سائِلٌ
مِن جراح البَشَرْ،
ذلك الزَّمَنُ المُنْتَظَرْ؟

○ قال الرّاوي

يتأمّلُ في ما يرويهِ:

زَمَنٌ يُعلِّمُكَ الخُضوعَ

لنملةٍ

وَلِقشّةٍ.

وَثنى الرّاوي:

هُوَذا الحاضِرُ مَرْثيًّا بنارِ الزّمَنِ:

كَفَنٌ مُنْدَرِجٌ في كَفَنٍ.

أَمْسَكَ الطّفل بيدي أَبويه، سارَ بينهما
ـ فجأةً، القتل
وَصل الرّبيع إلى حديقة البيت أَنْزلَ حقائبه وأخذ يوزّعها على الأشجار وعروق النّباتات في رذَاذٍ ينهمرُ مِن أطرافه
ـ فجأةً، القتل
هي ذي غيمةٌ ترعى العشب هي ذي شمسٌ تتدفَّأُ بها اللّغة
ـ فجأةً، القتل
نَهضَ يسأل الفجرَ: لماذا تركتَ لنفسك أن تكون عُكّازاً لِلضّباب؟
ـ فجأةً، القتل
هل يحفر للنسيانِ بحيرةً ويغرق فيها؟
هكذا يعيشُ في أقاليم كأنّه لا يراها يتحدّث عن الحجرِ بلغة الهواء عن الماء بلغة التّراب يقول كلَّ شيءٍ عن الهُوَ بلسانِ الأنا عن الأَنَا بلسانِ الهُوَ
هكذا،
التبسَ عليه الأمرُ في مطلعه كان كمن يرسم صورةً يقولُ لِظلّها أن يُعاكسَ الشّمس في هذا المدى الغُفْل الذي يخاطبنا دائماً خُلقتم لِلأبَد لكنكم تُنقلون مِن دارٍ إلى دار
هكذا،
رأينا كيف تحوّلت قدمُ السيّد أ إلى طريقٍ في ثُقْبٍ
كيف كان جسد السيّد ن يَنْقلب إلى قرطاسٍ تكتب عليه الجِنّ أسماءَها
كيف أصبح رأس السيد ي ماءً يضطرب
هكذا،
رأينا التّاريخ يذوبُ في أعضاء كلٍّ منهم
ويمنح لكلّ عضوٍ نجمة
والقمر شاهِدٌ
سيفٌ يتلألأ في مُعسكر الشّهوةِ دَوْريًا،
يَهبطُ،

ويطعنُ أحشاء المكان

تخرج رَحِمٌ

يخرج من الرّحمِ شَكْلٌ

والحمدُ لكل التباسٍ

في هذا المكان، حيث لا وقت لديكَ، لكي تَسْتَيْقِنَ أنَّ السَّحابَة ليست رصاصاً أنَّ الوردةَ ليست حَزبةً

شَكٌّ

يروّض الرّيحَ أيّامٌ

تمخرُ كأنّها أسماكٌ شِبْهُ ميْتةٍ نحو شواطىء تخطّطها الفُقاعات

والحمدُ لكلّ التباس.

ـ القَتْل، القَتْل

هكذا يُعلن: شَقَقْتُ غَضَبَ التحوّل طريقاً وأعطيتُها خطواتي

ـ القتل، القتل

قالت الطّريقُ اتركوني أتطاوَل لا تقلقوا إذا احتضنْتُ الصّخر اسْتَبطنْتُ اللّيل قَطعتُ الأنهارَ والجبالَ ولم يكنْ ضوءٌ ولم تكن بَرازِخ قالت الطّريق اترُكوني أتقدّمْ في ريح تتحاوَرُ مع غُباري لا تخافوا إن استدرْتُ أو انحنيتُ أو تردّدْتُ أو تِهتُ أو خطرَ لي أن أقُولَ: إن كان السّحر رَمْلاً فالحقيقة الماء أَوْ أَوْمَأْتُ: تلك هي الحريّة تُناديه لكنه لا يجرؤ على تَلْبيتها أو رمزتُ: كلاّ، أيّها الماءُ، ليس لديكَ ما تنبئني به أَوْ جَهرْتُ: سأُقيم حَفْلاً لهذه النّباتات، عيداً لهذه الحجارة يا للغبطةِ في أن تُسامرَ الحجارة يا للفرح في أنْ تُعايشَ وَرقاً يسقط فوقَك يَيْبَسُ يمتزجُ بك ومَا أَجملَ الحلم: أن تَلْتَبِسَ عليكَ نفسكَ اتركوني قالتِ الطّريق لا تجزعوا إن اختلفَ الشّجر تنوّعَ العُشْبُ تَكاثَر الشّوك اتركوني قالت الطّريق أنا أيضاً أُنكر شيئاً أثبتني أُثبت شيئاً أنْكرني

ـ القتل، القتل، القتل

في هذا الزّمن الذي يتآكل وَيحدوْدِب، نقولُ: خيطٌ ما يربطُ بين ماضي الولاية ومستقبلها مروراً بالحاضر

(أوه، يا للإنسان الذي لا يرى أمامَه،

كلّما تقدّم إلاّ القديم!)

ونقولُ: بلادُنا مقاماتٌ ـ ذَبْحُ قرابين، طِلاء القبورِ بالحنّاء، النّقطة، الهيكل الإلهي، جسدٌ يعرُجُ، صُبْحُ الأزَل، تاتار، جوليم، موهاريقا، بَارابا

رِمالٌ تتحرّك

نِساءٌ في سُوق الفواكه

في هذا الزّمن الذي يتآكل وَيَحْدودِب
يدخل س ١ في مكبِّر الصّوت وَيحفُر اسْمَهُ في الهواء
يدخل س ٢ «يُكْشَطُ مِن وجه الأرضِ إلى لعنة رَبّه»،
ويكون س ٣ قد سلَّم روحَه وجسمَه ومالَه
لمولاه الحاكم وليِّ الزّمان جَلَّ ذكرهُ
راضياً بجميع أحكامِه له أو عليه

ـ بماذا يهذر
هذا الرجل؟
ـ يزعم أنه تَسلَّح
بالضّوء،
لكن، هل
فحصَ جيّداً
ظلامَه؟
ـ ما عزاؤكَ،
أيّها الكناريُّ
الذي لا يرى حوله
غيرَ الأقفاص؟

لا يعترض لا ينكر شيئاً من أفعاله
ساءه ذلك أم سَرّه
في هذا الزّمن الذي يتآكلُ ويَحْدَوْدِب
لا تفعل الأفكارُ لا تتقدّم إلاّ إذا اندفعت من فم المدفع خصوصاً أَنَّ «سَفْكَ الدّماءِ
خصلةٌ مُسْتَحكِمة بينِ البشر منذ نشوء الأديان» كما يقول كِ خصوصاً أنّ الوالي سيهبط
هنا حيث ينصبُ تَحْتَ ملكهِ كما يقول م   إذنْ اتّخِذْ هذه القصبةَ وَطَناً لك
إذن انكسِرْ أيّها القيدُ المُسمَّى عَقْلاً
في هذا الزّمن الذي يتآكلُ ويَحدوْدِب
يرسم المتنبي خطوط التوهّم
مربوطاً بخيط الذّاكرة
وليس الوطن في حاجةٍ إلى بيته بل إلى قبره
في أرض الطُّوبَى
حيث الوطن مَصنعٌ تُسيّره آلَةُ الله.

هَوَامِـــش



- I -

تأبّطَ شَرّاً

«أَلسَّماء كمثلي»، تقولُ الحجارةُ، لا شَأْنَ لِلغَيْم والصَّحْوِ في ما تقولُ، وفي ما يُقَالْ أَلسَّماءُ، كما عَرِفَتْها مَراياي، ليست سوى دُمْيةٍ، والحجارةُ أَهْلٌ

لِتأبّطَ شَرّاً

أَتُراه تأبّطَ يوماً ذراعَ السّماءِ، وأَنْكَرَ؟ هَلْ خافَ مِن خَيْرِها؟

أَتُرى خيرُها دُمْيَةٌ؟

هوذا، مثلَ ليلٍ خَذَلَتْهُ النُّجومُ، يَسيرُ إلى شَمْسِهِ.

لِتأبّطَ شرّاً قِناعٌ

لا يَرى حين يَنْظُرُ منهُ، وتصدقُ عيناهُ، إلاّ الخَيالْ.

- II -

عمرو بن بُراقة الهمداني

أُقَطِّر أَيَّامي وأَشربُ خَمرها
نَديميَ تَرْحالٌ، وَدَنِّي هائِمُ
لِيَ الشَّمسُ بيتٌ، والهجيرُ مِظلَّةٌ
كأنِّيَ مِن أَقْصَى جهنَّمَ قادمُ
محاريبُ أَهْلِ المالِ يَذْهَبُ رَبُّها
هبَاءً، ومِحْرابُ الصَّعاليكِ دائِمُ
بَلَى، مَلأَتْني فِتْنَةُ الغَيِّ نَشْوةً
«وَإِنِّي على أَمْرِ الغوايةِ حازِمُ».

الشطر الأخير
للشاعر
عمرو بن براقة الهمداني

- III -

سُحيم عبد بني الحسحاس

- ألنساءُ اللّواتي عَشِقْنَكَ. . .

- رِفْقاً بهِ،

خلِّ أوجاعَهُ لُغةً حرّةً بين أَنقاضِه،

- والجسورُ التي هُدِّمت، واستحالَ العبورُ. . .

- تَرفَّقْ بِه

قُلْ لأَيّامهِ أن تلمَّ جراحاتهِ مِزْقةً مِزْقةً

وتخيطَ بها شِعْرهُ،

- والبلادُ التي وضعتك على جزجِها مِلْحَ كُرْهٍ وَرَفْضٍ،

- ترَفَّقْ بهِ،

خَلّهِ حيث أَلقى بهِ الشّعر في هَوْلِ ترحالهِ،

- ما الذي قالهُ الحبُّ؟

- صِنْوٌ، وصَديقٌ لهُ.

كان عبداً أسود.
قُتل حَرَقاً
بسبب تغزّله الشديد،
الصّريح بالنساء.

- IV -

أبو دُؤاد الإياديّ

هل ترىَ الآن ثَوْراً يتقلَّبُ في جُحْرِ نملٍ*؟

هَا هُنا، لا نَرى

غَير أشواقِنا «تتقلَّبُ مَخنوقةً».

والحناجِرُ تَهذي: «إرفعوا رأسَهُ فوق رُمْحٍ،
واتركوا فَمه مُغلقاً وعينيهِ مفتوحتينِ» -
سُكارَى

بِاسْم غَيْبٍ يُحارِبُ غَيْباً.

غيرَ أَنّ الأثيرَ، يَشُقُّ الدّخانَ السَّماويَّ،
مُمتلئاً مِنْكَ: هَلْ بيننا بَرْزَخٌ لا يُرى؟

قُلْ لِشعرِكَ: أَبْهى

لِرؤاهُ وإيقاعِه،

أَنْ يظلَّ - يَرى الثّورَ في جُحْرِ نَمْلٍ وَالقطاةَ
تنوءُ بِأَثْقالِها.

* إشارة إلى قول الإيادي: «رُبَّ ثورٍ رأيتُ في جُحْرِ نَمْلٍ، وقطاةٍ تَحمَّل الأثقالا».

- V -

المُهَلْهِل التَّغلبيّ

لحظةُ الحبِّ تجتاحُها لحظةُ الموتِ، لا خَمْرةٌ

لا لقاءٌ،

والطّيورُ تُفوِّضُ لِلرّيح أَعْشاشَها.

قُلْ، سَنُصْغِي.

لِيكُنْ - مثلمَا قلتَ، بِاسْمِ النّشيدِ وآلائِه

الجاهليّهْ

سَوف نَهتِفُ لِلأبجديّهْ:

جَاسِدينا - خُذينا وَدُوري بِفُلْكِ القصيدةِ في فَلَكِ المَعْصِيهْ

كي نَرُدَّ إلى الأرضِ زَهْوَ الحياةِ، وَنَسْتَرجعَ الحبَّ والخمرَ والأُغنيهْ.

خال امرىء القيس،
كان يلقّب
«زير النساء».

- VI -

النابغة الذّبياني

أَدْعوكَ؟ رجاءً، أَمْهِلني. أَتَخيَّلُ أَنَّكَ تحيا
معنا ـ (أتردَّدُ: خيرٌ أن تَبْقى حيث قُبِرْتَ)
وَماذا تحملُ؟ شِعْراً

لكن، لن تَلقى الأيّام جواريَ حولَك
يَسْتَرسِلْنَ كمثل سنابِلَ في أَحْضَانِ نَسيمٍ.

لَنْ تَلْقى نُعْماً لن تَلْقى سُوقَ عُكَاظٍ

لَنْ تَلْقى غيرَ اللّيلِ اللّيلِ اللّيلِ. رجَاءً،
أَمْهِلْني ـ كلاّ، لا أَدْعُوكَ، وَعُذْراً

يَكْفيني أَرَقاً أَنيّ أتخيّلُ كيف ستحيا

مع شعراءٍ تحكمُ فيهمْ.

- VII -

عبد يغوث الحارثيّ

مُتَّ نَزْفاً، أسيراً (وشعركَ نَزْفٌ مِن وَريدِ التّمرُّدِ) والخمرُ مسكوبةٌ فضاءَ مِلءَ وجهكَ، في راحَتيْكَ، تُرى - كيف جئتَ بهذا الضّياءِ الذي لا انْطِفَاءَ لأهدابِهِ؟ كيف سَلْسلْتَهُ، وَنَسَجْتَ لَنَا مِنْهُ ثوبًا لم يَزلْ يَتَلألأُ - يلبَسُ أَشْواقَنا، ومقاماتِنا والرّحيلَ، -

يُخَطُّ المطافْ

لِدقَائِقَ دَلّيْتَها كالعَناقيد في قُبّة الدَّهرِ؟ لكن، أيْن مَنْ يَعرفُ الكَرْمَةَ الجاهليّةَ، والسِّرَّ

في نُسْغها، والقَطَافْ؟

أُسِرَ،
وَخُيِّرَ كيف
يرغب أن يموت.
اختار أن يشربَ
الخمر، ويقطع عِرقه
الأكحل،
ويموت نَزْفاً.

- VIII -

عَنترة

عَنْتَرهْ

لِيدَيْكَ، لِسيْفِكَ، لِلبَرق في «ثَغْرِها المتبسِّمِ»،

في كأسِها المُسْكِرَهْ،

يُشعلُ الشّعر قِنْديلَهُ.

ضَعْ حُسامَكَ في غِمْدِهِ

ضَعْ يَديْكَ على صَدْر عَبْلَةَ - في نَبْضِها:

ستغنّيك في ذلك المَوْجِ، مَوْج الفُروسَةِ والحبِّ، جَوَّابةً شامِسَهْ

لُغَةَ النّشْوةِ الأميرةِ، والصَّبْوةِ الحارِسَهْ.

- IX -

عُبَيد بن الأَبْرص الأَسدي

أَتُراكَ الكلامُ الذي قُلتَهُ، أَمْ تُراكَ الكلامُ
الذي شِئتَهُ وتَمَنّعْتَ عن قولِه، أو مُنِعْتَ؟
إذن، أين أَلْقاكَ؟

في النُّطْقِ، أم خَلْفَ صمتِكَ؟ يا أيّها السّيدُ
الأميرُ على الفقرِ، يا أيّها المتوغِّلُ في رَفْضِهِ

والشّروقُ دَمٌ لغروبكَ، مَنْ أَنْتَ؟

وَجْهُكَ في حيرةٍ،

وأنا، مثلَ وجهكَ، في حَيْرَةٍ.

عاش ومات فقيراً. سجنه النّعمان بن المنذِر، وقرّر أن يقتله.

سأله أن يمدحه، ليعفوَ عنه، فرفض قائلاً: «أمّا وأنا أسيرٌ لديكَ، فلا.» قال له: «نردّكَ إلى أهلك، ونلتزمُ رِفْدَكَ»،

فأجابه: «أمّا على شَرْط المديح فلا».

ثم رواه من الخمر، تلبيةً لطلبه، وقطع له عِرْقه الأكحل، وتركه يَسيلُ دمُه حتى مات.

- X -

دُوَيد بن زيد الحِميري

«أُوصيكم شرّاً بالنّاسِ»: أَصوتُكَ هَذا؟

و «البيتُ الموتُ»: أَصوتُكَ هذا؟

يأتي خَشِناً في موكبِ صَمْتٍ

نَسمع فيهِ حُزْناً مخنوقاً، غَضَباً مُرّاً

ونَرى أطيافَ نساءٍ يبكينَ

نَرى غزلاناً تبكي مَعهنَّ - أصوتكَ هذا؟

يَجري مِلْءَ خيوطِ الشّمْسِ، يَطوفُ علينا،

يَسكنُ فينا

صوتُكَ جُرْحٌ

والعالَمُ نَزفٌ مِنهُ.

لا يُعرف تاريخ موته،
وهو من المعمّرين.
قُبَيْل موتِهِ، كتب
قصيدةً قال فيها:
«أليومَ، يُبْنَى لِدُوَيْدٍ
بيتُهُ.»،
وقال لأبنائه، وهو يُحتَضَر:
«أُوصيكم بالنّاسِ شَرّاً.»

III

إنّ النّفيسَ غريبٌ حيثما كانا

المتنبي

○ قال الرّاوي،

يَسْتَقْصي سَفَرَ الشّعراءْ

هَاتُوا رَقّ غَزالٍ

تَبْكيه الصّحراءْ

لِنخطّ عليه نَبأَ التّرحالِ،

وَنَذْرُوَ

رَمْلَ المَغْنى.

- أ -

أَتُراها الطّريقُ لبغدادَ جُرْحٌ؟

إِهْدَأي، يا عواصِفَ ظنّي - أُحِسُّ: التّلالُ تُلوِّحُ،

والأفْقُ يفرش مِنْديلَهُ الطّويلْ

وكأنّ السُّهولَ عَباءَاتُ حبٍّ

وَذراعٌ تُطوّق خَصْرَ الرّحيلْ.

* سَفَرٌ:
جُرْحٌ مفتوحٌ
في أنْحاءِ الأرضْ.

○ قال الرّاوي، ـــــــــــ

يتذكّر واحاتٍ

تَتنفّسُ خاشِعةً

لهجيرِ هواها:

في خُطواتِ الشّاعر،

أنّى سارَ،

محابِرُ ضَوْءٍ.

- ب -

يَسْبَحُ اللّيلُ في ماء عينيَّ، لكِنْ

لم أعدْ أتذكّر تلك النّجومَ

التي رافقَتْني،

فاتِحٌ ساعديَّ وصَدْري

لِلنّجوم التي تتكوّنُ في فَلَكٍ

آخَرٍ.

* وَردةٌ عَلَّمتْ عُرْيَها
أن يكونَ مُقاماً لها،
عَلَّمتْ عطرها
أن يكون طريقاً.

○ أَخَذَ الرّاويه

يَتأوَّهُ في حيرةٍ:

آهِ

مِن ذلِك الحجابِ

الذي أَسْدَلَتْهُ

السّماءُ على وَجْهها.

- ج -

لأبي الفَضْلِ في الكوفةِ السّائِلَهْ

لغةٌ للجوابِ ـ صَفيّاً:

نُورُه طُرُقٌ لِلألُوهةِ، والعالَم القافِلَهْ.

مِثْلَهُ ـ اجْتَمَعَ الكونُ في كَبِدي، وٱفْتَرقْ.

وَأُكرّر ما قالَهُ:

لليقينِ سَريرُ الفَراغِ،

وَللأرضِ وَجْهُ الغَسَقْ.

أبو الفضل الكوفي شخصيّة غامضة خَصّه المتنبي بقصيدةً بعد عودته مِن بادية السّماوة. كان فيلسوفاً، وقيل هو الذي أَضَلَّ المتنبي وَهوّسَه وَعرّفه بالفلسفة اليونانية.

يقول المتنبي في قصيدته، يخاطبه:

نُورٌ تظاهَرَ فيكَ لاهوتيّهُ

فتكاد تَعلم عِلْمَ ما لَنْ يُعْلما.

* أرضٌ لا تدعو أحداً
لِينامَ على كَتِفَيْها
إلاّ بَعد فَواتِ الوَقْتْ.

- د -

ليستِ الكوفةُ الآنَ حيث أَراها

ما الذي يتغيَّرُ في الكون، لو تُهْدَم

الكوفَةُ الحاضِرهْ

لو تَشَظَّتْ وعادت حُفْنَةً مِن هَباءٍ؟

لا طريقٌ إلى الكوفةِ الغابِرَهْ

غيرُ تلك التي تَتململُ فيها، وتجهَرُ: كلاّ،

ليستِ الكوفَةُ الآنَ حيثُ تراهَا.

○ وَثنى الرّاويه:

لهَبٌ خامِدٌ،

والزّمانُ رمادٌ

أَتراه المكانُ يموتُ

وهذا الرّمادُ حِدادٌ؟

وَثنى الرّاويه:

زَمَنٌ - حيوانٌ غريبٌ

رأسُهُ قَدماهُ.

* أُتْركوهُ لِتَهْيامهِ،
يقرأ الغيبَ في وَرْدَةٍ
وَيقول الكلامَ الذي ليس مِن
كلماتٍ.

○ «أتُراها الدُّروبُ، ــــــــــــــ
مَتَى ارْتَسَمت أَظْلمتْ؟» سَأَلَ
الزّاويهْ،

وثَنى قائِلاً:

بِاسْم أولئكَ السَّائرين

إلى النورِ، في

غَيْهَبِ الكُرةِ السَّائِرَهْ،

يَفْتَحُ الشّعر ما تُغْلِقُ

الدّائِرهْ.

- هـ -

لَسْتُ مِن هاهُنا أَوْ هُنالِكَ،

مِن ذلكَ العالَمِ المُنْطَفِىءْ

قَدَمايَ تجيئانِ مِنْ طُرُقٍ

لم تَجِىءْ

أَتقَدّمُ في ظُلماتِ المكانْ

تُرجماناً وَضوءاً لهذا الزّمَانْ.

* عِطْرٌ
لِكآبةِ هذا العَصْرْ،
يخرجُ مِن أكمامِ الشِّعرْ.

- و -

شهَواتيَ تُشْرِعُ أبوابَها

نَحْوَ بغدادَ

(هل قُلتَ: بَغْدادُ مَكْسُوّةٌ

بتباريحها؟)

لِيكُنْ بيننا التباسٌ.

أَتُراها رُسِمَتْ في كتابِ الخليفةِ مَشْطورَةً

بين نارٍ ونارٍ؟

أَلخرابُ يجرّ على أرضِها خُطاهُ

وخُطاها

لا تقودُ إلى أيّ ضَوْءٍ.

---

* مُنْتَهى فِكْرِهِ:
قَلَقٌ يَتَقَلَّبُ في جَمْرِهِ.

○ كان الرّاوي يُجْهِشُ، وهو يقصّ علينا:

مات مُعاوِيةٌ، سَمّاهُ عُمَرُ: كِسْرَى.

قالوا عنهُ:

أَوّلُ مَنْ رَبَطَ العالَمْ

ببريدٍ،

وٱسْتَصفَى الخِصْيانَ

لخدمتِهِ،

أَوّلُ مَنْ أَسَّسَ

ديوانَ الخاتَمْ.

سنة ٦٠ هجريّة.

- ز -

كيف نَنْفَكُّ مِن قَيْدِ هذا التّشرُّدِ،

مِنْ أَسْرِ هذي الإقامَهْ

في غياهبِ تلكَ الخِلافةِ، أو هذهِ الإمامَهْ؟

عجَباً، ـ نتكسَّر، نَبْني جُسوراً

لا لِنعْبُرَ، لكِنْ لِنرثيَ أَنْقاضَنا.

* أَتُراهُ الدّمْعْ
شَجَرٌ سِرّيٌّ لِغُبار الطَّلْعْ؟

○ أَخَذَ الزّاويهْ

يتذكّرُ كيف تَداعَى

الزّمانُ سَواداً،

وتربَّع في مَقعَدٍ

مِن دماءٍ،

وَيسألُ: أين الغدوُّ،

وأين الرّواحْ؟

وَيُدَنْدِنُ مُستوحِشاً:

لا جوابٌ،

وَلنْ أسألَ الرّياحْ.

○ قال الرّاوي:

في طَسْتٍ، جاؤوا بالرّأسْ،
نَصبوه في ساحاتِ الشّام.
وقالَ أناسٌ: كُسِفَتْ في ذاكَ
اليومِ، الشَّمْس.

وَثنى الرّاوي:

احتُزّت كلّ رؤوسِ القَتلى،

جاءت هوازنُ بعشرين رأساً،
تَميمُ بسبعة عشر، كندة بثلاثة
عشر، مذحج بسبعة رؤوس،
بنو أسد بِستّة، وجاء سائر
الجيش بسبعة.

وَثنى الرّاوي:

يكتبون الحياةَ على كاغدٍ

من دَمٍ،

والخِلافَةُ مِحرابُهُمْ.

- ح -

خَلَعتْ نجمةٌ ثوبَها

وأتتني لنلهوَ في حضْنِ دجلةَ - تهنا

قرأنا، كتبنا،

نجمةٌ لا تُحب زهيراً

وتعشقُ لاميّةَ الشَّنْفرى

لم ينمْ مرّةً فوق زَنْد القَبيلِ،

ولم يَرْجعِ القهقرى.

* يتدثّر ثوبَ الهجير، احتفاءً
بنقطةِ ماءٍ.

رأس الحسين سنة ٦١
هجرية.

- ط -

تتخاصَمُ صُورةُ هذا المكانِ ومعناهُ فيَّ -

النهارُ وأشياؤُهُ، الليلُ والحلْمُ، هذا الفِراشُ الذي تتناحر أشباحهُ في ثيابيَ، ذاك الجدارُ الذي مَالَ فوقيَ أوْ كادَ، - أَمْسكْتُ بالوقْتِ:

عَصْري رَمَادٌ والتواريخ قشٌّ

فجأةً -

في خُطايَ، وفي كلماتي، يتوثَّبُ طِفْلٌ.

○ أخبر الرّاويةُ، نقلاً عن السُّيوطي في «تاريخ الخلفاء»، قال:

«لمّا قُتِل الحسين، مكثتِ الدّنيا سبعة أيام، والشّمسُ على الحيطان كالملاحف المُعَصْفَرة، والكواكبُ يَضرب بعضُها بعضاً. واحمرّت آفاق السّماء ستة أشهر، بعد قتله. وقيلَ: لم يُقلَب يَوْمئذٍ حجرٌ في البيت المقدّس إلاّ وُجد تحته دَمٌ عَبيط.

وقيل: نحروا ناقةً، فكانوا يرون في لحمها مثلَ النّيران. طبخوها، فصارت مثلَ العلقم.

في قتله قِصَّةٌ - فيها طولٌ لا يحتمل القلبُ ذكرها.»

وَثنّى الرّاويه:

أَتُراها الحقيقةُ فتوى

رَجُلٍ نَتحارَبُ فيه:

نَتبرّأُ منهُ، أو نكونُ ظِلالاً لهُ؟

* ينبغي أن يُزوَّجَ حِبْرُ الحياةِ إلى لُجّةٍ،
حَسَنٌ أن يكون مكانُ الزواجِ محيطاً،
حَسَنٌ أن يكون المحيطُ سريراً.

○ زَعمَ الرّاويه

أنّ نَهْرَ الفراتِ، اسْتَخَارَ،

وذوّبَ في مائهِ الحُسَيْنَ:

جِسمُه ضِفّتاهُ، وَزنْداهُ جِسْرٌ

على الضّفتيْن.

وَثنّى الرّاويه:

أنّ أرضَ الفراتِ

كتابٌ، والرّؤوسَ التي

قُطّعت ـ

بَعضها أسْطرٌ،

بعضُها صفحاتٌ.

- ي -

مَا الّذي يَفْعَلُ النّحْوُ والصّرْفُ؟ أسألُ إبْنَ دُرَيْدٍ، وأكرّر هذا السُّؤالَ على الفارسيّ،

هُوذَا الغَيْبُ يأتي إليّ

أَتَقَرّاهُ في صمتِهِ وأرى وَجْهَهُ

وَأُلامِسُ أطرافَهُ وأخصُّ يَديْهِ وأهدابَهُ، وأرَى كيف يَصعَدُ في سُلّم الفَجْرِ، يهبطُ في سُلّم المساءِ،

لا أُضيفُ إليهِ، لا أَشاءُ الذي لا يشاءُ،

وأرى كيف يَفتح أحضانَهُ

لملائكِ أحلاميَ المارِدَهْ، ـ

نحنُ في جُبّةٍ واحِدَهْ.

* إنّه الفَجْرُ لا يَنْحني
لِسوَى ضَوْئِه.

أبو عليّ الفارسيّ (توفي سنة ٣٧٧ هـ.)

وأبو بكر بن دُرَيْد (توفي سنة ٣٢١ هـ.)

من العلماء الذين لقيهم المتنبي في بغداد.

○ قلْ لنا أيّها الرّاويه

قلْ لنا، مرّةً واحده

سِرَّ أحزانِك البارِدَهْ.

لم يُجِبْ. وتروّى،

روى:

جَرِّبوا، حَاوِلوا

جَمّعوا ما تَنَاثَرَ منهُ،

أعيدوا لهذا المقطَّعِ

أشلاءَهُ

ـ لم يعدْ رأسُه صالحاً

ـ ويداه بلا معصمٍ

ـ فِتنةٌ والرّؤوسُ وَقُودٌ لها.

وَثنى الرّاويه،

يتأمّل في حَيرةٍ:

ألفكرةُ قَتْلٌ أو مَقْتَلْ:

تلكم مائدةُ الماضي

أتُراها مائِدةُ المُسْتَقبَلْ؟

ـ ك ـ

يـركـضُ الـوَقْـتُ فـيَّ ـ الـرّيـاحُ أَضـاعَـتْ لقاحاتِها،

وأَنا لَسْتُ إلاّ غريباً يتوهَّمُ أنَّ النّجومَ بيوتٌ لهُ،

وَكأنّي أُصْغي إلى خُطواتِ الأَصيلْ

في الطَّريقِ إلى بيتِهِ عابراً حَيِّنَا

وكأنّي أرَى كيف يَحنو، يَمدّ شَرايينَهُ سُرُراً لِلنَّخيلْ،

وكأنّي أرَى الكوفةَ الجميلةَ تُولَدُ في طِفلها الجميلْ.

* لا ذُروةَ إلاّ من هاويةٍ، ـ
هلْ تَعرفُ كَيْفَ يُتَلُّ على أَبْوابِ الظُّلْمةِ خَدُّ المَعْنَى؟

○ قال الرّاوي:

نَقلاً عن أشخاصٍ

نَقلوا عن أشخاصٍ،

قالوا:

«لو كان المَعنى عند

قريشٍ ماءً

لَسبحنا فيهِ،

وَلَخوَّضنا،

وَلأَشْرَفْنا،

وَاسْتَشْرفنا.

لكنَّ المعنى عند قريشٍ

سَيفٌ، أو كرسيٌّ،

أَوْ حُفنَةُ مالٍ.

وَثنّى الرّاوي:

نَهرُ دماءٍ

يَتبجَّسُ مِن شَريانِ الوقْتْ

في صَخبٍ حيناً، حيناً في صَمْتْ.

ـ ل ـ

أَعَصاً شَقّتِ الماءَ؟ أُصغي لِدِجلة

يَسألُ أسماكَهُ:

هل رأيتِ الحكايةَ تَمْشي على الماء، أو هل سَمعتِ ملاكاً يتحدّثُ في موجةٍ؟

دِجلةٌ يتغطّى بأهدابهِ،

ويتمتم أشعارَهُ:

يحرسون طواغيتهم ويُربّون أغلالَهم،

وانظروا: تلك أيديهمُ

لا تصفِّق إلاّ إذا قُيّدتْ.

---

* ألكتابةُ؟ هيّيء لِحبركَ موجَ التَّرحُّلِ، واهْمسْ لِشطآنهِ أنْ تظلَّ بلا مَرْفأٍ.

- م -

لاَ أرى غيرَ رأسٍ يُرجِّلُ في عارهِ
غيرَ رأسٍ تدحرجَ عن كتفيْهِ، -
ألرّؤوسُ كُراتٌ
في مدارِ العروشِ وساحاتِها،
اللاّعبونْ
تَتَمسْرحُ أهواؤُهم فوْقَ نِطْعٍ،
واتّعِظْ،
أيّها الشّاهِدُ، الأليفُ لِصَحْراءِ هذا
الجنونْ.

* مَنْ يقولُ: الحياةُ ثَوانٍ، وتعبُر؟
كلاّ،
ألحيَاةُ دَمٌ وأظافِرُ،
وَانْظُرْ لأنْيابِها.

○ وَثَنى الرّاوية:
«ألْفُ عَذْراء فُضَّتْ، أباحَ
يزيدٌ وعُمّالُهُ
المدينةَ - أشْرافَها،
وقُرّاءَها،
وأباحَ النّساءَ.

وَثَنى الرّاويه:
«نخافُ أنْ ترجمنا السَّماءُ
بالحجارَةْ،
إنْ نحنُ لم نخرجْ على يزيدٍ.»

وَثَنى الرّاويه:
إنّه الطّاغِيَةْ
يَدهُ دائماً
حَرْبةٌ دامِيَةْ.

الإشارة إلى يزيد بن معاوية، سنة ٦٣ هجريّة.

الكلام لأهل المدينة.

○ وَثَنى الرّاوي:

قالوا: «قال رسولُ الله: سَيُقتَلُ في هذي الحَرّةِ أصحابي وخيارُ الأُمّة.»

وَثَنى ـ قالوا:

قال يزيدٌ لِلمُرّيّ: «السَّيفَ السّيفَ،

لا تتركْ أحَداً».

وَثَنى الرّاوي ـ قالوا:

«أخذوا فأساً شَقّوا رأسَهُ ـ سَطعَتْ منه أنْوارٌ».

ـ «كلاّ، لا تقتلْهُ

هذا مِن أصحابِ

رسولِ اللّه،

ـ ذلك أخرى:

ناكِثُ طاعَهْ ـ

حُزّوا رأسَهْ.»

ـ ن ـ

زَهَراتٌ على قَدميَّ تموتُ، وماتَتْ شَهَواتٌ، ولكنَّ أسْماءَها بَقيتْ في عُروقي، وَأُجاهِرُ أنَّ الرَّبيعَ الأخيرَ الذي زَيّنَ الأرضَ كان غبيّاً

وأَشْهَدُ أَنّ الخريفَ الذي جاءَ في إثْرِهِ كان طِفلاً

أَسَرَتْني تَقاطيعهُ، ـ

لا اللّقاءُ شِفَائي، ولَسْتُ المعذَّبَ يومَ الفِراقْ

أَشطُر الوَقْتَ ـ أُعْطي إلى الشّعر شَطْراً، وشَطْراً إلى حُلُمٍ لا يُطاقْ.

* تاريخٌ ـ
أَلأَشياءُ خِرافٌ فيهِ، والكلماتُ ذِئابٌ والظُّلماتُ المَعْنى.

الإشارة إلى يَوم الحَرّة، سنة ٦٣ هجريّة.

مسلم بن عُقْبة المرّيّ الذي كلّفه يزيد بغزو المدينة. لُقّب بـِ «المُسْرِف»، لإسرافه في نَهب المدينة، وتهديمها، وفي القَتل.

الإشارة إلى الصحابيّ عبد الله بن زيد بن عاصم.

حوار بين مروان بن الحكَم وَمُسلِم بن عُقبة.

○ وَثنى الرّاوي:

قالوا ـ كانَ المرّيُّ يقولْ:

«مَنْ جاءَ برأسٍ، فَسَأُعطيهِ ما يَطْلبُه.»

وَثنى الرّاوي:

أَصْغُوا لِلخذريّ يقولْ:

«نَتَفُوا شَعْري، نَهبوا بيتي، حتّى زوج حَمامٍ كانَ يُروِّحُ عنّي أخذوه مِنّي».

وَثنى الرّاوي:

ـ «أُعْطُوه يَشْربْ،

أَرويتَ؟

ـ نعم،

ـ يا مُفرِخ،

قَدِّمْهُ، وَاضربْ عُنُقَهْ.»

وَثنى الرّاوي:

«أَلاَ تلكمُ الأَنْصارُ تَنعى سُرَاتَها

وَأَشْجَعُ تبكي معقلَ بنَ سنانِ.»

حَقّاً، لِلسّلطانِ غيومٌ تُمطرُ سُمّاً.

- س -

هُوذَا أَرسمُ شكْلَ السَّحَرِ الطّفلِ على كَفِّ الزّمانْ

قَارِئاً صَمْتَ المكانْ،

وأنَا الوَقْتُ ـ انْتَظرْتُ الشَّمسَ في مُخْدعِ جَوّابٍ، أنا الصَّارخُ: هذا الكونُ مَوْجٌ، وأَنَا المُبْحِرُ، واللّجُّ الذي أَقْتَحِمُ الآنَ، وأَسْترسِلُ في أحشائِهِ

السَّكْرَى، رِهانْ.

* يَتَقَصَّى الشّروقَ بعينِ الأفُولْ، ـ أَتُراهُ يُهيّىءُ لَوْناً لِحِبْرِ الفُصولْ؟

مُسلم بن عُقبة المرّيّ في يوم الحرّة.

الكلام لأبي سعيد الخِذريّ.

الكلام للمرّي والإشارة إلى الصحابيّ معقل بن سنان الأشجعيّ.

○ قال الرّاوي:

جُمع الأسْرى في يَوْم الحَرّة، ـ قولوا:

«ما نملكُه

خَوَلٌ لِيزيدِ

وَلهُ أن يقضيَ فينا

كيف يشاء».

ـ أَفَلَسْنا في الإسلام

سَواء؟

ـ وَلِمن هذا القولُ؟

خُذوهُ

حُزُوا رأسَهْ.»

وَثنّى الرّاوي ـ قالوا:

«بلغَ القتلى في هذا اليومْ

عَشرةَ آلافٍ،

مِنهمْ عَشَراتٌ

مِن أصحابِ رسولِ اللّهْ.»

وَثنّى الرّاوي:

خَشخَاشٌ ـ ذَكَرٌ غَيْبِيٌّ
يَتنزَّلُ في أرْضٍ خُنثَى.

الحوارُ بين مسلم بن عقبة المرّي واحد الأسْرى.

ـ ع ـ

غَضَبي يَتَشَرَّد في غَيْهبٍ،

غَضَبي ـ لا هُروبٌ، ولا كبرياءٌ

لا قَبيلٌ ولا رايةٌ.

بشراراتهِ

يَسِمُ الأمكِنَهْ

صاعِداً، يتفجَّرُ من كَبِدِ الأَزمنَهْ.

* صُلْبُ هذا المكانِ اتِّكالٌ، ـ
أَتُراه الزّمانُ فراشٌ، ومَهْدٌ لَهُ؟

○ قال الرّاوي:

نَصَبَ ابْنُ نُمَيْرٍ مجانيقَهُ،

ورَمَى كَعْبةَ المؤمنينَ بنيرانِه، ـ هُدِّمت، سُوّيتْ رماداً.

والقَرْنان احْتَرَقا.

رأسُ النّعمان يُحَزُّ ويُلْقى في حجر امْرأتِهْ.

وثنّى الرّاوي:

ماتَ يزيدٌ، والقَتلُ حصَادٌ أعمى.

وثنّى الرّاوي:

أرْوي التّاريخ، ولكن كيف سأرْوي ما بَعْدَهْ؟

كيفَ أكون صديقَ الوَقْتِ وضِدّهْ؟

ـ ف ـ

أَتقدَّمُ خارجَ تلك الشّرائع، تلك المساراتِ، ـ هَلْ جَسدي فائِضٌ عن مَداهَا؟ أَتَقنَّعُ؟ ما سيقولُ القِناعُ سِوى أَنّيَ الحَرْبُ ـ مَهْمُوسَةً؟

أَأُمزِّقُ هذا القناعَ، وما سَيقولُ التمزّقُ؟ هل سَيقولُ سِوى أَنّيَ الحربُ ـ مَجْهورَةً؟

* هل يَتلألأُ نُورٌ
في مِشْكاةِ دماءٍ؟

حُصَينْ بن نُمَير، سنة ٦٤ هجريّة.

هُما، فيما رُوِيَ، قَرْنا الكبش الذي فَدَى به الله اسماعيل، وكانا في سَقْفِ الكعبة.

النّعمان بن بشير الأنصاري.

يزيد بن معاوية.

○ قال الرّاوي:

بايَع النّاس في الشّام لابن يزيدٍ،

ودَعَا ابنُ الزُّبَيْرِ إلى نَفْسهِ.

وَثنَى الرّاويه:

مرجُ راهِطَ حَقْلٌ

مِن دَمٍ ورؤوسٍ.

زُفَرٌ فَرَّ مِنْهُ، -

نَقدوهُ، فَردَّ عليهم:

«أَيَذْهَبُ يَومٌ واحِدٌ، إن أَسَأْتُهُ

بصالح أيّامي،

وَحُسْنِ بلائِيَا؟»

يشير الراوي إلى معاوية بن يزيد، سنة ٦٤ هجريّة،

وإلى زُفَر بن الحارث.

- ص -

جَفَّتْ خُطاها، وأَجْدَبت يَدُها:

شَمْسيَ في قَفْرِها

تَعْرجُ في داخلي، -

«بِئْسَ الّليالي، سَهرتُ مِن طَربي

شَوْقاً إلى مَن يَبيتُ يَرْقدُها

أَحْيَيتُها والدُموع تُنْجدُني

شؤونُها، والظّلامُ يُنجدُها*.»

* فَلَكٌ للإشاراتِ: وَجْهٌ يُلابِسُ وَجْهَ الشَّرَرْ

جارياً في بُروجِ الطّبيعةِ، مُسْتَسْلِماً لِلصُّوَرْ.

* مِن قصيدة كتبها المتنبي في محمد بن عبيد الله العلويّ، عندما جاءَ إلى بغداد، للمرّة الأولى. يقول فيها: «ففي فؤادِ المحبّ نارُ جَوىً

أحرُّ نارِ الجحيم أَبردُها.»

- ق -

أَلطَّريقُ، وذاكرةٌ تَتَنزَّهُ فوق التّرابِ، وتحتَ التّرابِ، تُرابٌ

يَتَقمَّصُ - وَقْتي قَميصٌ لَهُ.

أَلطَّريقُ، وهذا الحريقُ الذي يتصَاعَدُ فِيَّ - الطَّريقُ، وأَدخلُ في فَلَكٍ للإشاراتِ: ماذا؟ وأَصْغَيْتُ، أُصْغي:

تَتَوهَّجُ فِيَّ المصَابيحُ، تلك التي سُمِّيتْ جِراحاً.

* لاَ يَقُرُّ: الدُّروبُ شهيقٌ لَهُ، وزَفيرٌ، -
حِكْمةُ الرّيحِ تَمْضي بَعيداً بهِ.

○ قال الرّاوي:

تَابُوا مِن خِذْلانِ حُسَيْنٍ

في يَوم الطَّفّ،

تَنادَوْا للثّأرِ، -

الثّأرُ يُساوي بين العالِمِ والجاهِلْ

والثّأر يُشكِّكُ في نَفْسِهْ:

كيف يموتُ غَدٌ عَنْ أمسِهْ؟

وَثنّى الرّاوي:

كلاّ، لا يغسلُ عاراً،

لا يُعْطي حَقًّا

قَتْلُ القاتِلْ.

وَثنّى الرّاوي:

قُتِل التّوابون جميعاً، إلاّ أفْرادْ.

وَثنّى الرّاوي:

هل يقدرُ جَانٍ أن يغسلَ ثَوبَهْ

بمياهِ التّوبَهْ؟

الإشارة إلى التوابين، وإلى المعركة التي سُمّيت بإسمهم، سنة ٦٤ هجريّة.

○ أخبرَ الرّاويةُ:

قالَ مروانُ: كلاّ،

لن تكونَ المدينةُ

لابنِ الزُّبيرِ، غَزاها

بجيشٍ كان رأساً عليهِ حُبَيْشٌ.

هُزِمِ الجيشُ:

أعناقُهم ضُربَتْ كلُّها.

وَثنّى الرّاويه:

حُزَّ رأسُ سُليمان/

ماتَ الخليفَةُ،

عاش ابنهُ.

- ر -

مَنْبجٌ، طَيّءٌ، كِلابٌ،

وتَنوخٌ، وأَوْسٌ، -

أُفُقٌ كالِحٌ

والرّمالُ على كتفيهِ وشاحْ

ما الّذي تحملُ الرّيحُ، هذا الصّباحْ؟

أتشرَّدُ فيكِ - تُراني أَسْتَشْرِفُ الغيوبْ

أيُهذي الدُّروبُ الدُّروبْ؟

* لا وَقتَ لَهُ، إلاّ مُرْتجلاً، -
لاَ يُحْوَى،
لا يُدْخَلُ في أَحْكامِ السَّاعَهْ.

الإشارة، تباعاً، إلى:

مروان بن الحكَم، سنة ٦٥ هجريّة. حُبيش بن دُلْجَة.

الصحابيّ سليمان بن صُرَد.

عبد الملك بن مروان.

○ وَثنى الرّاوية:

«قتلوا نافِعاً ـ

كان رأسَ الخوارجِ،

وانْطلَقَ اليَحمديُّ

يُحاربُ جيشَ المهلَّبِ،

نادَى:

ـ «آلَ أحمدَ، يا أَزْدُ،

أهوازُنا بين أَيْديهم،

أعيروا جَماجِمكم

سَاعةً.»

وَثنَى الرّاويه:

يهجمونَ، وكلٌّ

يتقحّم في بَهْجةٍ

في حُبوز

صائحاً، ضاحكاً:

«يا أبا عَلْقمهْ

ليس لي جُمجمَهْ

تُسْتَعارُ، ولكن

تُسْتَعارُ القُدوز».

ـ ش ـ

مُوثَقاً هَاهُنا في الشآمْ

مُسْتباحاً هناكَ، انْشَطَرْتُ هُنالِكَ: نَجْمي

عالِياً عالياً، يتناءَى.

كيف لي أَنْ أُنوِّرَ هذا الظّلامَ،

وأخرجَ مِن ذلك الرّكامْ؟

أَلتّواريخُ جَوّابَةٌ، ساهِرَهْ

تتقلَّبُ في شَبَكِ الذّاكِرهْ.

نافع بن الأزرق، سنة ٦٥ هجريّة.

أبو علقمة اليحمديّ.

المهلّب بن أبي صُفرة.

* أَهُوَ الرّمْلُ يَدخلُ في الشّمسِ،
يأخذُ كُرسيَّها،
ويلبس قُفْطانَها؟

○ وَثَنى الرّاوية:

هاهُم قاتلو الحُسينِ تُقطَّعُ
أعناقُهمْ

- شُمَّرٌ، عمرٌ، ورفيقهما
الأصبحيُّ،

- «انطلِقْ، سِرْ إلى الكوفةِ،
استبِحْها، وجئني بروؤسِ
الضَّلالةِ، وَابْدأ بمختارهم.»

- «يَا ربيعةُ، قُدْ جَيشَنا».

قُتِلَ ابْنُ المُخارِق، وانهزَم
الجيشُ: فَرُّوا،

ومَن أُسرُوا مِنهم، ضُربت كلّ
أعناقِهِمْ - واحداً واحداً.

وَثنى الرّاوي:

ألموتُ فَراغٌ

حَتّى حين يكونُ مَليئاً.

- ت -

مَازِلتُ أَجْهلُها

مَازِلتُ أخبطُ فيها خبْطَ مُغْتَربِ

لا يَسْتقرُّ، ولا يشكو إلى أَحَدِ -

تلك البلادُ التي سَمّيتُها كَبِدي.

* يلبسُ الضّوءُ في الغيمِ ثوباً،
ويَلبسُ في الصّحوِ ثوباً، -
هكذا يفعلُ اللهُ،
والشّعرُ في بَعْضِ أوقاتهِ.

سنة ٦٦ هجريّة، - شُمّر بن الجوشن، آمر السرّية التي قتلت الحسين.

خَوليّ بن يزيد الأصبحي الذي اختَزّ رأس الحسين.

عمر بن سعد بن أبي وقّاص آمر الذين قتلوا الحسين.

الكلام لعبيد الله بن زياد الذي اشتهر بجبنه.

المختار الثقفي.

ربيعة بن المخارق.

قيل كانوا ثلاثمئة.

- ث -

لا أعرفُ كيف أُعالجُ قلبي، وهو المتقلِّبُ - يَعلُو، يَهْوي، ويُقلّبني ويَجيءُ ويمضي ويُسائِلُني:

أَيْنَ حُضوريَ مِن أَمسي؟

مِن أين أنا؟ مَنْ يُرشِدُني

لأُسائِلَ نفسيَ عن نَفْسي؟

* يَسْأَلُ الرّعْدَ في هذه الغيوم التي تَتلبَّدُ في يأسِه:
كيف يَبقى بعيداً - قريباً إلى رَأْسِهِ؟

○ أخبرَ الرّاوية:

صاحَ: «يا شُرُطَةَ اللهِ، هُبّوا، تَعالَوا إليَّ، انغَمِسْ فيهِم، أنتَ، يا صاحبَ الرّايةِ - الثقفيّة» جَيشُ الشّآم أبيدَ، وقُطِّع رأسُ شُرَحبيلَ، رأسُ حُصَيْنٍ، ورأسُ عُبَيْدِ وقُطِّعَ جِسْمُ عُبَيْدِ.

وَثنى الرّاوي عَن رَاويةٍ:

«كُنّا بالرَّحْبَة

جاؤوا برؤوسٍ فيها رأسُ عُبيد الله بن زيادٍ - خرجت أفْعى أخذت تَتَشَمَّمُ رؤوسَ القَتْلى

دخلت في رأسِ عبيدٍ، في فمهِ

خرَجَتْ من أَنْفِهِ،

دخلتْ ثانيةً فيهِ، خَرجت مِن فمهِ، والنّاسُ شهودٌ»

وَثنى الرّاويه:

قِيلَ:

«يَصْرَعُكَ الحقّ إنْ أنتَ صَارَعْتَهُ.»

الكلام لابراهيم بن الأشتر قائد المختار الثقفي في يوم الخازر، سنة ٦٦ هجريّة.

شرحبيل بن ذي الكلاع
حصين بن نمير

عبيد الله بن زياد

رواية بكر بن حمّاد عن الأعمش.

○ أَخْبَرَ الرّاويه :

مُضْعَبٌ يقتل الأَسارَى ويقتلُ
حتّى من اسْتَسْلموا إليهِ.
بَعْدَ أَنْ قُتلَ الثَّقَفيْ
قطعوا كفَّهُ
سَمّروها على مسجدٍ،
قطعوا رأسَهُ ـ
أَرسلوهُ إلى ابْنِ الزّبيرِ،
وَمَنْ حُوصِروا
قُتِلوا واحداً واحداً.

- خ -

أَتخَيَّلُ أَنيّ أكتسي ظِلَّهُ، ـ
أَلنّخيلُ كلامٌ
وأَنا طِفلهُ.
والنُّحولُ الذي بيننا
ليس وَصْفاً ولا صورةً:
شَغَفٌ شاعِرٌ
يَتَقاسَمُ أعضاءَنا.

---

* صارَ جسراً إلى المستحيلْ،
قَلمُ الشاعرِ المسافرِ في
ليلهِ الطّويلْ.

مصعب بن الزبير، سنة ٧٦ هجريّة.

المختار الثقفيّ

عبد الله بن الزّبير

قيل كان عددهم ستة آلاف.

- ذ -

أَتَحدَّثُ في اللاّذقيّةِ مع كَوْكبِ الحبِّ: مَنْ أنتَ؟ مِن أينَ؟ كيف تُؤاخي البيوتَ، الوسائدَ؟ إِرْجعْ إلى طينِكَ - البدْءِ،

حُبّي

في المُقام الذي اخْترَقَتْهُ رماحُ الفجيعةِ، في عَرباتِ الفصولْ

سادراتٍ تجرّ المدائنَ مَغْلولةً،

وتجرُّ الحقولْ.

سنة ٦٨ هجريّة.

○ أخبَر الرّاويهْ:

ألخوارجُ ينتهكونَ

المدائِنَ، يُضلونَ

أطفالها سعيراً،

يَبْقُرونَ بُطونَ

الحُبَالى.

وَثنّى الرّاويه:

أيّامٌ -

أَفراسٌ، تائهةٌ

تتراكضُ بين رؤوسِ

القَتْلى.

* في شَرارِكَ تحيا، ونارُكَ مَأْواكَ:

لا صاحِبٌ، لا كليمْ

غيرُ هذا الجميلِ الجحيمْ.

○ قال الرّاوي:

سُلطانٌ يجلس فوق

ترائبِ عَمْروٍ -

يَذبحهُ.

وَثنّى الرّاوي:

أَفتوا:

«ذَبح الثَّائرِ شَرْعٌ».

وَثنّى الرّاويه،

يتساءَلُ في حَيرةٍ:

ما لِسُلطانِ هذا

الزّمان يكرّر في

نشوةٍ: كلّما قِيلَ رأسٌ هَوى

يكبرُ العَرْشُ تحتي، وأَعْلُو؟

- ض -

قِيلَ، قالوا - والتّنوخيُّ* مُستسلِمٌ لِلظّنونْ

عَبثاً يَقرأونْ.

إنْ تقلْ: ذلك الماءُ موتٌ

أَو تقلْ: حجرٌ هذه الرّيحُ - لا أَحَدٌ سَيُميّزُ،

يفصلُ بين الحدودِ، طريقي

في الكلام القريبِ،

وقَصْديَ في أَبْعَدِ الكلماتِ.

يقرأونَ ولا يفهمونْ

إنّهم أَحْرفٌ، وأنا غابَةٌ مِن لُغاتِ.

* تتوغّلُ في غاباتِ رؤاكْ:

مِن أين إذن،

يأتي أعداؤكَ، إنْ لم يأتوا

مِن فَيْضِ خُطَاكْ؟

* الحسين بن إسحاق التنوخيّ. كان قومٌ قد هجوه، وعزوا الهجاء إلى المتنبي، فكتب إليه يعاتبه في قصيدة، قال فيها: وَهَبْني قلتُ: هذا الصّبْحُ ليلٌ

أيَعمى العالمونَ عن الضّياءِ؟

وهاجي نفسهِ مَنْ لم يُميّز كلامي من كلامهم الهُراءِ.

جلس عبد الملك بن مروان على صدر عمرو بن سعيد الأشدق الذي ثار عليه، وذبَحه، سنة ٦٩ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

فوقَ حمارٍ أَرْكَبُهُ

لِيطوفَ بهِ في الأسواقِ وفي الطُّرُقاتْ،

وسَقاهُ شراباً ـ

سَلحَ الشّاعِرُ

حَتّى ماتْ.

ـ ظ ـ

لاَ أُشاهِدُ في اللاّذقيّة شَمْساً، أُشاهِدُ شَيئاً يُقالُ له الشَّمسُ، ـ هَلْ وَهْميَ الآنَ أَعْقَلُ مِن خُطواتيَ، مِن نَظراتيَ، أَمْ أَنّ بيني وبين المكانِ التباساً؟

فَلَكٌ يَتثاءَبُ والأرضُ مَرْضوضَةٌ.

* في هذا اليَوْمْ،
لا يُفْصِحُ عَنّي أيُّ كلامٍ،
أُنْظُرْني
حَتّى أصقلَ عقلي،
في مِرْآةِ النَّوْمْ.

الشاعر يزيد بن ربيعة الحميري، والفكرة لعبد الملك بن مروان، سنة ٧٠ هجريّة.

○ أخبَر الرّاويهْ:

بين قَيْسٍ وتغلب حربٌ ـ لا تكادُ الدّماءُ

بينهم أن تجفّ، بوحشيّةٍ يَبقرُ الجانبانِ بطونَ النّساء.

وثنّى الرّاويه:

ـ «إلى أين، يَابْنَ النّصارى؟

ـ إلى النّارِ،

ـ أوْلى،

لو نطقَت بقولٍ سواهُ، لكنتُ قتلتُكْ».

- غ -

شَاغِلي سَهَرٌ فَاتِنٌ، ـ

كان لي في امْرِئِ القيسِ صوتٌ،

كان لي فِتنةٌ.

واستمعتُ إليهِ، راغباً عن عُكَاظِ

حاضِناً سُكْرَهُ.

وَلَنا سِرُّنا: لا قبائلَ في شِعرنا.

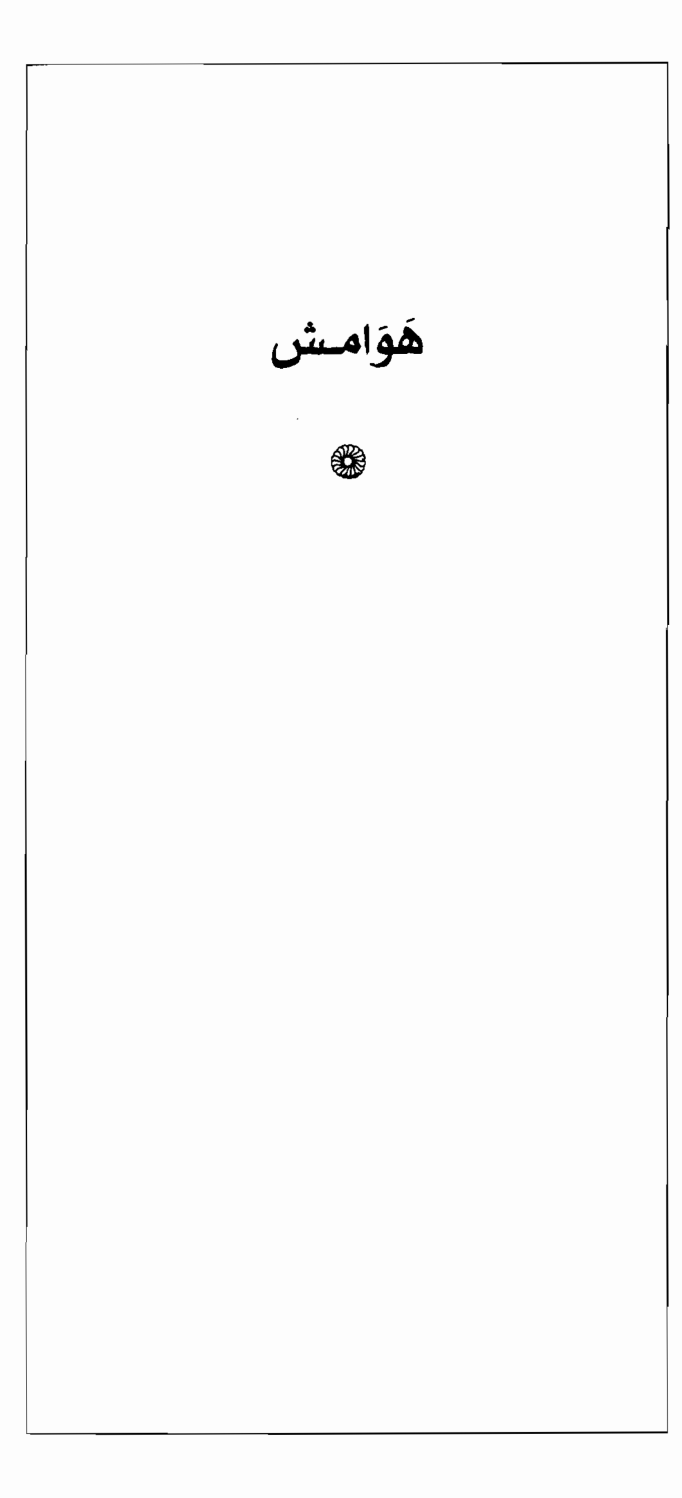
وَلَنا عهدُنا:

أَلقصيدةُ ضَوءُ الممالكِ، والشّعراءُ شُموسٌ.

سنة ٧٠ هجريّة، والحوار بن عبد الملك والشاعر الأخطل، وكان قد شكا إليه الجَحّاف بن حكيم السّلمي، عدوّ قبيلته، تغلب، قائلاً:

لقد أوقعَ الجحّافُ بالبشرِ، وقعةً إلى الله منها المُشتَكى والمعوّلُ، فإن لم تُداركْها قريشٌ بعَدْلها، يكنْ عن قريشٍ مُسْتَرادٌ ومَزْحَلُ.

* أَلحياةُ لكي نَنْتَمي
لِلضّياءِ ـ إلى لا مكانٍ.



هَوَامش

- I -

عبد الله بن عجلان النّهدي

مُتَّ عِشْقاً، وذلك شَأنُ المحبّينَ،
حَظٌّ
أن يموتَ امْرؤٌ عاشِقاً.
هوذا الفَجْرُ يَنْشُرُ ما كنتَ، واللّيلُ يَطْويهِ، لكن
لِمزيدٍ من البَثِّ. دَفَّأْتَ أيّامَنا،
وحملتَ مَراراتِها
في هوادجَ مِن غِبْطةٍ.
تقدُر الآنَ أن تَتَنَوَّرَ:
زَهْرُ الفُصولْ
طـائـفٌ حـول ذكـراك - يَـذوي ويُـزْهِـرُ، والشَّمسُ تَروي
ما يُوَشْوِشُ، أَوْ ما يُكَتِّمُ، أَوْ ما يقولْ.

يقال إنه الشّاعر الوحيد الذي مات عشقاً.

- II -

المنخَّل اليشكري

نَخَلتْكَ الدّنيا، ونَخَلْتَ النّاسَ، -
سآخُذُ حُفْنَةَ رَمْلٍ
وأقولُ: الشّعر يُؤاخي بين الرَّملِ
وَوَجْهِ الشَّمسِ، وأسألُ:
هَلْ أُغرِقْتَ؟ دُفِنتَ، وأَنْتَ
تُسَلْسِلُ شعرَكَ، حيّاً؟
هَلْ أُخْفِيتَ؟ سأسألُ عنكَ:
المَعْنى مبثوثٌ ضوءاً
والصُّورةُ ليلٌ
في وَجْهِ امرأةٍ.

اتّهمَه النّعمان بن المنذر بامرأته المتجرّدة، فأغرقَهُ، كما قيل، أو دفنه حيّاً، أو أخفاه. ويُضرَبُ به المَثَلُ لمن مات، ولم يُعرَفْ له خبر.

- III -

الأعشى الكبير

هذي قصائدكَ اشتاقَتْ لِبارئِها

هل أنتَ في شُغُلٍ؟

أم أنتَ حيرانُ لا لَهْوٌ ولا عَمَلُ؟

نَسيرُ فيها، كأنّ الخمرَ راحلةٌ

والنّجمَ قافِلةٌ والنَّشْوَةَ اتَّسعَتْ

فيها وضاقَت على تَرْحالها السُّبُلُ

وَننْحَني فوقها، نَقْفو قوافيَها:

خيامُ حبِّكَ - هذَا ضوءُها: عَجَباً، -

كأنَّ أهلكَ ما زَمّوا جِمالَهمُ

ولا اسْتقلّوا مَطاياهُم، ولا رَحلوا

وها هُرَيرَةُ مازالَتْ تردّدها،

ونحن نُصغي، نغنّي مثلَها، شَغفاً:

«وَيْلي عليكَ، وَويْلي منكَ، يا رجُلُ.»

- IV -

عمرو بن قميئة

أَوّلُ الشَّيْءِ مَنْفى،

أوّلُ النّفْي قيثارةٌ، و«رُميتَ ولستَ بِرامِ»
كما قُلتَ، يوماً، والطَّريقُ ضياعٌ.

وامرؤ القَيْسِ، ذاك الصَّديقُ الرّفيق،
المضيّعُ، يُوغِل فيها
وشعركَ يُوغِلُ فيها -
ويُخَيَّلُ أنيّ أرَى المستحيلَ يُكَحِّلُ
أهدابَهُ بإيقاعهِ.

قُلْ لتلك الطّريق التي ضِعْتَ فيها:
أَوّلُ الشِّعر مَنْفى.

نشأ يتيماً، وكان رفيقاً لامرئ القيس في سفره.

مات في الطريق، ولُقِّب بـ«الضائع».

- ٧ -

الأفوه الأوديّ

لَيلُكَ الآنَ مُسْتَنْفَرٌ

غَيْرَ أنّ الصَّباحَ بعيدٌ بعيدٌ، أو كما قالَ، يوماً،

ذو القُروح. يُخَيِّلُ: شِعرُكَ جسْرٌ

بين ثَوْبٍ يُعارُ، وقَبْرٍ.

وكأنّيَ أُصْغي إليكَ تَهْلُسُ، تَصرخُ:

يا هذه الأنجُم ـ السُفُنُ الجاريات

إشْطَحي مثلَنا، كرّري:

أَلحياةُ حصاةٌ

مِن دمٍ جامدٍ

أو دَمٌ سائِلٌ في حَصَاةْ.

يقول في إحدى قصائده: «وحياة المَرْءِ ثوبٌ مُسْتَعارُ».

- IV -

مالك بن نُويرة

هُوذا ماضيكَ: جبينٌ
للرّفْضِ، وَوَجْهٌ
تَتَخايلُ فيهِ آفاقُ مُروقٍ -
وأَرَى وَثَناً، -
كم هو حيٌّ، كَمْ هُوَ عالٍ هذا الوَثَنُ:
بِسوى شفتيهِ
وبغَيْرِ الأَنَفِ الصَّاعدِ نَحْوَ ذُراهُ،
لا يُفْتَتَنُ.

ارتدّ، كما يُروى، عن الإسلام، فَقُتِل.

قيل كانت فيه غَطرسَةٌ وخيلاء.

- VII -

قَيس بن الخطيم

يَنْبغي أَنْ تميلَ، وأن تَتَلفَّتَ: أَنْ تبنيَ

الجِسْرَ - لا فَضْلَ بين النَّشيدِ

ومِعراجِهِ في الحناجِر،

والكونُ كالحبّ: حتّى في القطيعةِ، وَصْلٌ،

فَمِلْ، وتَلفَّتْ

كي يكونَ لقلبكَ أن يَتَسَرَّبَ في

الغامضِ الخفيّ

يتَفلَّتُ مِن جسمِك القريبِ، ويَخفقُ في

جسمِكَ القَصِيّ.

بقي على جاهليّته ولم يُسلم. أسلمت امرأته، فكان يصدّها، ويَغبِطُ بها. يأتيها، وهي ساجدة فيقلبها على رأسها.

- VIII -

عَديّ بن زيد العِباديّ

زار دمشق وقال فيها أوّل شعره. هو العربي الأوّل الذي كتب بالعربيّة في ديوان كِسْرى. دعاه النعمان بن المنذر لزيارته، وحين جاءه، أمرَ بحبسه، ثمّ قتلَه.

أَلحياةُ، كما عَلَّمتْنا رؤاكَ، نَشيدٌ،
أَعْطِ لِلشَّمْسِ إيقاعَ هذا النّشيدِ -
اترُكِ الضّوءَ يَرْسُمْ تهاويلَهُ
مُفْرداً، أو مُثَنّى - أو إذا شِئْتَ:
رَقْرِقْ مَزيجاً،
وكُنْ حَبَباً في المَزيجْ
حمرةٌ، زُرقةٌ، بياضٌ
والسَّوادُ الثنيّةُ والهُدْبُ في ذلكَ النَّسيجْ.

- IX -

المرقّش الأكبر

أَلنجومُ التي كنتَ تَسْأَلُ: أَسْماءُ،

أنّى مَضَتْ؟ حظيتُ بها مرّةً،

ورأيتُ كأنّ لها وَجْهَ عُشّاقِها.

بينها نَجمَةٌ

لَبِستْ هالةً قانيَهْ

لم تكن صُورةً لِكَبْشٍ

لم تكن ذكرياتٍ، لم تكن كلماتٍ

كانتِ النّجمةَ الخَفيّةَ محمولةً

في أثير الرّحيل إلى أرضكَ الثّانِيَهْ.

اشتهر بحبّه لابنة عمّه أسماء.

زوّجها أبوها وهو غائب. وقيل له، حين عاد إنها ماتت. وكان إخوته قد ذبحوا كبْشاً ودفنوه في قَبْرٍ قالوا له إنّه قبر أسماء.

أخذ يزورُه، ثمّ تبيّن الخبرَ الصّحيح فذهب يبحث عن أسماء، لكنّه مات بعد أن رآها.

- X -

الخطيئة

حين أُشاهِدُ أحوالي

وأرَى مَنْ حَوْلي

وأفكّر كيف أجوعُ وأَغرى وَأُقَيَّدُ، أسألُ:
ماذا؟

مَا هذا التّكوينُ؟ تُراني: مَيْتٌ، أَمْ حَيٌّ؟

وَ جْ هِ ي يَ هـ جُ و

يَهجو هذي الأرضَ: الأرضُ سَريرٌ

لِغبار المَغنى

وَلسوفَ أظَلُّ أغنّي هجْواً

كي أعرفَ أن أتذكَّرَ دَوْماً

أنّ الأحياءَ هُمُ الأمواتْ

وَأُتوّجَ صَوْتي

مَلِكَ الأصْواتْ.

IV

كَأنّي عَجيبٌ في عيونِ العجائبِ

المتنبي

○ أخبَر الرّاوية:

قتلوا مُصعباً قَطعوا رأسَهُ ـ
حَملوهُ لعبد المَلِك.

وَثنّى الرّاويه:

كَلُّ رأسٍ لِيُقْطَفَ:

لا رأسَ إلاّ

كي يُدَحرجَ مَيْتاً،

أَوْ ينكّسَ حيّاً

تحت ظِلّ المَلِك.

وَثنّى الرّاويه:

ـ «أَلدّنانيرُ أَلفٌ، ثواباً،

ـ لا أُريدُ ثواباً

كانَ قَتْلي إيّاهُ ثأراً،

لا عَلَى طاعتِكَ.»

ـ أ ـ

كيفَ يُنْعى إلى كُوفَةِ الوَجْدِ سَقّاؤُها؟

لم يَغِبْ عن مَداريَ إلاّ

صُورَةً، كيف أَرْوي فَلَكاً دارَ فيهِ؟

إنّه الكونُ يُوغِلُ فِيَّ، ولاَ وَحْيَ. كلاّ، لَنْ أقولَ: السّماءُ

تَتغطّى بأنفاسهِ،

سأقولُ: رُؤَاهُ وشِعريَ بيتٌ لهذا الفَضاءْ.

* لا أَتواصَلُ إلاّ حبّاً أو وَحْياً، ـ
لَن أشكوَ قيدي
هذا اليومَ لأيّ جَناحٍ.

مصعب بن الزّبير سنة ٧١ هجرية.

عبد الملك بن مروان.

حوار بين عبد الملك بن مروان وعبيد الله بن زياد ابن ظبيان، قاتل مُصْعَب.

○ وَثنى الرّاويه:

حُزَّ رأسُ بُكيْرٍ

صارَ مَنْ حَزَّهُ

أميراً ـ

هكذا يُؤخذ المُلكُ

مِن نَبْعهِ.

وَثنى الرّاويه:

قُتِل القاتِلُ

حَملوهُ على بَغلةٍ ـ

وضعوا في مذاكيرهِ

الحجارةَ مَشدودةً

بالحِبالِ التي عدلوهُ بها ـ

هكذا ثارَ بالنّابلِ الحابِلُ.

ـ ب ـ

لا تَقُصَّ عليَّ خُطاهُ، يديهِ

لا تَقُلْ صَمْتَهُ

فَأنا أعرفُ الخبزَ والماءَ،

والجبهة العاليه.

هل شَمَمْتَ الفراشَ الذي ماتَ فيهِ، الرّمادَ الذي ماتَ فيهِ ولمستَ عباءته الحانيه؟

أَتُرى أَذَّنَ الماءُ؟ والحيُّ: أطفالهُ، النّساءُ، المُعزّونَ ـ مِن أينَ؟ مَن هُمْ؟

هل خرجتَ إلى قبرهِ

وَاحْتَضَنْتَ الحجارَ، التّرابَ، الكفَنْ؟

أَتوسَّلُ، يا كوكبَ الحبّ، قلْ لي:

كيف كانت سَماءُ الوَطنْ؟

---

* لِلكآبة شِعرٌ
يَعرفُ الشيءَ في أَصْلهِ،
في تجلّيهِ، في ما يؤولُ إليهِ،
والكآبَةُ عِلْمٌ.

الإشارة إلى بُكير بن وشاح الذي حزَّ رأسَه عبد الله بن خازم، وأرسله إلى عبد الملك بن مروان، فأقرّه أميراً على خراسان، سنة ٧٢ هجريّة.

ومن ثَمَّ إلى قتل عبد الله بن خازم نفسه.

○ قال الرّاوي:

ـ «قالوا: خُذ ما شِئتَ، ولكن، ما قَوْلُكِ؟

ـ أنتَ الأدْرى، إنْ كنتَ مُحِقاً، لا تراجَعْ،

أصحابُك ماتوا طلباً لِلحقّ...

ـ أخافُ المُثْلَةَ،...

ـ شاةٌ

ذُبِحت، لا يؤلمها سَلْخٌ».

قَتلوهُ، جاءَ الحجّاج إليهِ، بيديه اختَزَّ الرأسَ (وكان جبَاناً لم يَجْرؤ، فيما يُرْوَى، أن يلقاهُ حَيّاً).

وَثنَى الرّاويه:

أَرْسلوا رأسَهُ لابْنِ مَرْوانَ، حَزّوا معه آخراً لابْنِ صَفوانَ، حزّوا معهُ آخراً لابنِ حَزمٍ وكانت قُطِعَتْ، عُلِّقت في المدينةِ كلُّ الرّؤوسِ التي قال أصحابُها لابْنِ مروانَ: كلاّ.

- ج -

هل أُجرِّبُ؟ أُعطي لتلك العَصَا

شَفتين، لهذي الحصاةِ جناحاً، وآمُرُ

لَيْلَ الحياةِ

أَنْ يُؤاخيَ فَجْرَ القصيدةِ؟ ماذا؟

شَغَبٌ أَبْجديٌّ ـ

داخِلٌ، خارجٌ

يتمرَّدُ، يَطغى ويخرجُ عن طاعةِ الكلماتِ.

* يُبْصِرُ في مِرآةٍ من أدْمُعِه،
آلامَ الفقراءْ،
يُبْصِرُ في مِرآةٍ من قاموسِ هَواهُ،
تِيهَ الشُّعراءْ.

حوار بين عبد الله بن الزّبير وأمّه أسماء بنت أبي بكر، ذات النطاقين، وكانت بلغت المئة، وعميت،

سنة ٧٣ هجريّة.

عبد الله بن صفوان

عُمارة بن حَزم.

○ قال الرّاوي:

هدَم الحجّاجُ الكعبَة

حَـبـس الماءَ، الخُـبْـزَ وكـانـوا يَرْتَجِزونَ وهم يَرْمونَ الكعبه:

«خَطّارةٌ مثلَ

الفَنيقِ المُزبِدِ

نَرْمي بها أعوادَ

هذا المسجدِ.»

هَدْمٌ: «عَملٌ مقبولٌ»

قالوا.

ولهذا،

نزلت نارٌ والتّهمَتْهُ.

وَثنّى الرّاوي:

زَمنٌ - بيتٌ مَرْفوعٌ

بِرؤوسِ القَتْلى.

- د -

هَلْ كانَ يَبْتَسِمُ الفراتُ لِغَيْمةٍ

تُمْلي كتابَ العُشبِ حولَ ضِفافهِ؟

هَلْ كان يَرْتَجِلُ الزّقاقُ، هناكَ في كنَفِ المآذنِ، والمجالسِ حولها شِعرَ الفضاءِ،

هل الفضاءُ كتابةٌ لِقوافلٍ كُتِبتْ بتيهِ العالَمِيْنَ؟

أَنُحاوِرُ الفُقَهاءَ، نسألُ؟ رُبَّما

أَفْتَوْا

ولكنْ

هل تقدرُ الكتبُ الفَقيهةُ أن تُجيبَ السَّائلينْ؟

* خَيَّمتْ غيمةٌ
فوق حَقْلٍ حزينٍ، -
أخَذ الحَقْلُ يقرأُ لِلطّيْر أشعارَهُ.

خطبَ الحجّاج في أهل الشام، عندما نزلت، فيما يُروى، صاعقةٌ على المنجنيقاتِ وهي تضرب الكعبة، وتوقّفوا عن الضرب، خوفاً، قال:

«وَيحكم، ألم تَعلموا أنّ النّار كانت تنزلُ على مَنْ كان قبلنا فتأكل قربانَهم، إذا تُقُبِّلَ منهم؟ فلو لم يكن عملكم مقبولاً، لما نزلت النّار».

اقتنعوا، وعادوا إلى ضرب الكعبة، سنة ٧٣ هجريّة.

○ أخبَر الرّاويهْ:

أَلمدينةُ، وادي القرى، فَدَكٌ، خيبرٌ:

جُزُرٌ مِن دَم - أَلجريحُ يُبَادُ، الأَسَارَى تُقَطَّعُ أعناقُهم.

وَثنَى الرّاويه:

جيشٌ مزوانيٌّ في البَحرينِ - حصارٌ، قَتلى: سِتّة آلافٍ، والأَسْرى: أَلفٌ. عبدُ الله الأوّل بين القَتْلى.

وَثنَى الرّاويه:

تحتَ العُنقِ المذبوحِ أنينٌ
لا يقدرُ أن يذبَحهُ سيفٌ.

- هـ -

لِوُجوهٍ
لونُها حَسْرةٌ وارتيابٌ
لِجفونٍ
غَرقت في مياهِ الوداعِ،
لأَيْدٍ
كلُّ ما فَعلتهُ قيودٌ
لِنُجومٍ تفكّ القصائدُ أَزْرارَها
لِتُحيّيَ عُرْيَ المساءِ،
أَنسجُ الآنَ صدري غطاءً
وَأَضمُّ الفضاءَ.

* كلاّ، لم يُعْطِ لِتلك النّجمةِ عهداً،
كلاّ، لم يعقدْ أَحلافاً مع أيّ نبيٍّ.

سنة ٧٣ هجريّة.

عبد الله بن ثور قائد الخوارج.

○ قال الرّاوي:

خَتمَ الحجّاجْ

في أعناقِ بقايا من أصحابِ رسول الله، وفي أيديهمْ.

وَثنّى الرّاوي:

ليس لي رغـبـةٌ أَنْ أمـدَّ يـدي لأُصافِحَ أخبارَ هـذا الـصَّباحِ الذي يَقْرَعُ الآنَ، بابي.

- و -

لَمْ يَعدْ في جسَدي موجٌ لكي يحملَ ماضِيَّ ولا أملكُ إلاّ

شَرراً يَسْبَحُ في صَدْري، ولن أكشفَ

أسراريَ إلاّ لِلشَّررْ، -

سِرُّ هذا الزّمَنِ القاحلِ في ماءِ حَجرْ.

سنة ٧٧ هجريّة.

* أيّها الفَجْرُ،
مَتَى تَمْنَحني الحِبْرَ الذي يكتبُ لَيْلي؟

○ قال الرّاوي:

خَرج البَصريّونَ على الحجّاج، - ابْنُ الجارودِ، وَصَحْبٌ مَعَهُ،

قُتلوا: ضُربتْ أعناقُ القَتْلى،

ورؤوسُهم نُصِبتْ لِلعِبْرةِ، عندَ الجِسْرْ.

- ز -

أَلكلامُ الذي يَتَفجَّرُ مِنّي - أَنَا شَكُّهُ،

وأنَا نَفْيُهُ،

كُلُّ ما قُلتهُ لم أقلْهُ

والذي سأقولُ اختلافٌ

وَيُشَبَّهُ لِي أنَّ نَفْسيَ تجتاحُني كلَّ يَوْم. فلماذا يُقالُ: أَضِلُّ سوايَ وأَهْدي سِوايْ،

وأَنا ساكِنٌ هَوايَ، ولا بَيْتَ إلاّ خُطَايْ؟

عبد الله بن الجارود قائد الخروج، سنة ٧٥ هجريّة.

* قلتَ لي، أيّها الدّهرُ، لي قلبكَ المتقلِّبُ، لي وَجْهكَ المُتْعَبُ، المُتْعِبُ

فلماذا يقولون: أَنت المُبرَّأُ مِن كلّ إثْمٍ، وأنا المذنِبُ؟

- ح -

هَابطٌ صاعِدٌ في الظّلام على دَرَجٍ من كلامٍ

هل يُضيءُ الكلامُ؟ وكيف أحاصِرُ فوضايَ؟
كيف أعانِقُ هذا السَّديمَ الّذي يَتَرَجْرجُ فيَّ،
إذا لم أكن مِثلَهُ؟

هَلْ أُؤَخّر رِجْلاً وأُقَدّم أُخرى مِثل غيريَ؟
كلاّ، سأمضي أُمَهّدُ دَرْباً -

أَتنفَّسُ، أَشْتَفُّ، أَلبسُ هذا الرّحيلْ

بين شِعريَ والمُسْتَحيلْ.

* مَا الذي يَتحرّكُ في هذه الأعالي؟
لِلأسَافل رُؤيا
أُكرّر عَهْديَ أَلاّ أَراهَا.

○ قال الرّاوي:

- «مَنْ أنتَ؟

- عُميْرٌ

- أسمعتَ كلامي أمسِ؟

- سمعتُ

- أمَا شاركتَ بمقتلِ عثمانٍ؟

- شاركتُ.

- لماذا؟

- زَجّ أبي في السّجنِ، وكان كبيراً.

- أنتَ القائِلُ:

«هَممتُ، ولم أفعلْ، وكدتُ، وليتني

تَركتُ على عثمانَ تبكي حلائِلُه»

في قَتْلِكَ ما يُصْلِحنا،

قُمْ، يا حرَسي، واضربْ عُنُقَهُ.»

وَثنّى الرّاوي:

تاريخٌ يمشي في سِرْدابٍ
والخُطواتُ سيوفٌ حيناً

وَجماجِمُ حيناً.

حوار بين الحجّاج، وعُمير بن ضابىء التّميمي، سنة ٧٥ هجريّة.

○ أخبَر الرّاوية:

«لا تُناظِرْ،

صِذهُمْ كالسَّبُعْ،

واجْتَنِبْهِمْ،

وَحِذْ عنهُم

حَيدانَ الضَّبُعْ.»

ـ ط ـ

تجلسُ الأرضُ في خُوذَةٍ

وتقلِّدُ ما رَسمتْهُ سماواتُنا،

هكذا كان حَتْماً عَليّ

أن أفكِّر بالقِرمطيّ.

من رسالة بعث بها الحجّاج إلى واليه سعيد بن المُجالدِ يُوصيه كيف يقاتل الخوارج، سنة ٧٦ هجريّة.

* العقولُ النّبيّة، مِثلَ الطّبيعةِ،
تَحيا وتَعملُ في شِبْهِ غَيبوبةٍ.

○ حدّث الرّاوية:

قالَ صالِحُ: «لم يَبْقَ عَذلٌ ـ فَشا الجَـوْرُ، وازدادت الـولاةُ غُـلـوّاً وعُتوّاً، وبُعْداً عن الحقِّ، هَيّا، اسْتَعِدُّوا».

وَثنى الرّاويه:

قـتـلـوا صـالحـاً وعـشـريـنَ مِـن صَحْبِهِ،

بَايعَ الآخرونَ شبيباً، ـ

دَخَلَ الكوفَةَ:

الخوارجُ في المسجدِ، القَصْرِ، أسيافُهم حَصَادٌ ـ وشبيبٌ يقولُ لأصْحابِهِ:

«لا غنائِمَ، إنّي

وَاهِبٌ ما غَنمتُ».

- ي -

لا أُشاهِدُ غيرَ الحِرابِ وغيرَ الرّماحِ وغيرَ السّيوفِ وغيرَ الدّماءِ:

الزّمانُ سبائِكُ قَتْلى بِاسْمِ خَلاَّقِهِ.

ـ قُلْتَ: لا أُذْنَ لي؟

حسناً، سوف أصمتُ، لا أُذْنَ لي.

ما الّذي قلته الآنَ؟

أَخْرُجُ من ذَلكَ الجِواز

بين جسمي وبيني

بينَ ظنّي وَبيْني وَقراري هو اللاّقراز.

صالح بن مُسرّح الخارجيّ الذي اشتُهر بزهده، سنة ٧٦ هجريّة.

شبيب بن يزيد الخارجيّ.

* لم يُجِبْـنـيَ عَـقـلُ الـكـواكـبِ عَـمّـا سألتُ:
أَجابَتْ قناديلُها.

ـ ك ـ

تَجتاحُني الشّهواتُ جارِفةً،
وتُسْلمني الهمومُ إلى الهمومْ
لم يَبْقَ في وَلَهي، يُؤاخيني
وَيقْرأُ ما قَرأتُ، سِوى النّجومْ، ـ

عَانِقْ جراحكَ، يا دَمي:
شَغَفي يَفُتّ عطورَهُ
وَفمي يذوبُ على فَمي.

* مَا سَمّاهُ العالمُ عَقْلاً،
سَأُسمّيهِ
رِمْيَةَ نَرْدٍ.

○ قال الرّاوي:

«سِتّةُ آلافِ محارِبْ
جَاؤُوا مِن أرضِ الشّامِ،
انْضَمَّ إليهمْ في الكوفةِ عَشرةُ أضعافٍ، لقتالِ شبيبٍ».

وَثنّى الرّاوي:

«كان رجال شبيبٍ، فيما قالوا، ألفاً
هَزموا جيش الشّام،
وحَزّوا رأسَ القائدِ، لكن
قُتِلت زوجُ شبيبَ: غَزالَهْ.

ساروا لِسواد الكوفَهْ
قتلوا والي الحجّاج عليها
أخذَ المالَ شَبيبٌ، ورَماهُ في النّهر، وأنّبَ أصْحابَهْ:
قالَ: اشْتَغلوا بالدّنيا.»

شبيب الخارجي،
سنة ٧٧ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

ماتَ شَبيبٌ، غَرَقاً في نَهرِ دُجَيلٍ،

زَلّت فرسُ الفارِسْ:

يا للموتِ البائِسْ.

قَالَ الحجّاجُ: خُذوهُ، شُقّوا الصَّدرَ، وهاتوا القلبَ: رأوهُ

كالصَّخرةِ، صُلْباً.

ضَربوا الأرضَ بقلب شبيبٍ، صارَ يَرِنُّ وَيغلو.

وَثنّى الرّاوي:

قالت أمُّ شبيب: «كنتُ رأيتُ بِنَوْمي، فيما أحملُه، أنّ شهاباً يخرجُ مِنّي - لا يُطفئهُ إلاّ ماءٌ.»

وَثنّى الرّاوي: «فوقَ حصيرٍ في كوخٍ، يبكي حلمٌ مكسورٌ.»

سنة ٧٧ هجريّة.

- ل -

مَا لِدمَشْقٍ،

ما لِلأبْوابِ المفتوحةِ فيها

حين أَراهَا، تُغْلَقْ؟

كلاّ، لم يَتغيَّرْ شَيْءٌ

إنْبيقُ المُلْكِ طويلٌ،

والدّنيا زِئْبَقْ.

* أجملُ الأنجم المضيئةِ، في هذه الأرض،
في قُبّةِ الغرابَهْ،
نجمةٌ إسْمُها الكآبَهْ.

○ قال الرّاوي:

قتلوا قَطَرِيّاً: حزّوا رأسَهُ ـ
زَلّت فَرسُ الفارِسْ
وَهَوَى في شِعْبٍ ـ
يا للموتِ البائِسْ.

وَثنّى الرّاوي:

قتلوا إبنَ هلالٍ، آخِرَ رأسٍ فيهم.

وَثنّى الرّاويه:

قُتِلَ ابْنُ المغيرةِ، وَاحْتُزّ رأسُهُ.

- م -

أرضٌ ـ صَوْتٌ سُمٌّ، وصدىً زَرْنيخْ
والرّاياتُ رؤوسٌ مقطوعَهْ.

أَرضٌ تَتوكّأُ والظّلماتُ لها عُكّازٌ.

مِن أين يَجيءُ الضّوءُ، وكيف يَجيءُ لهذي الأرضِ المنقوعَهْ
بِدَمِ التّاريخْ؟

* ما أوضحَ التّاريخَ: سَيْفٌ على عُنُقٍ، ورَبٌّ ساهِرٌ يَرْحَمُ.

قطريّ بن الفُجاءَة الشاعر الخارجي، سنة ٧٨ هجريّة.

عبيدة بن هلال من متألّهي الخوارج وشعرائهم وخطبائهم.

مطرّف بن المغيرة.

○ قال الرّاوي:

أعجوبةُ الحياةِ:

«يأتي إلى رُخامَةٍ يَنقرُها،

تَرنُّ بالتّسبيحِ والصَّلاةِ.»

كان يُحبّ صَحْبَهُ:

يُطْعِمهم فاكهةَ الشّتاءْ

في صيفهم،

يجعلُ من صَيْفِهِم شتاءْ.

كان يقولُ لهمُ:

«أقدرُ أَنْ أُريكُم الملائكهْ.»

- ن -

قامَ جِبْريلُ مِن نومِه مَرّةً

لم يُحرّك جناحَيْهِ، أَلْقَى

حوله نَظرةً

فَرَأَى يَعْرباً نائماً

وعلى صدرهِ رَقيمٌ

غيرَ ما كانَ يُوحي ويُمْلي

لَمْ ينبّهْ قُرَيْشاً

عادَ لِلنّوم مستسلماً لِرؤاهُ وأَسْرارِها.

وَثنّى الرّاوي:

صَلبوهُ قربَ دمشقٍ في بستانْ

مِلْءَ دمشقٍ - بين الجدرانِ،

وفوق الجُدرانِ، وتحت

الجُدرانْ.

* إِسْألوا الضّوءَ: لا، لَنْ يقولَ إلى أين يَمْضي، ولا كيف جَاءْ.

الإشارة إلى الحارث بن سعيد الدمشقي الذي وُصِف بأنّه النبيّ الكذّاب. حبسه عبد الملك بن مروان، ثم صلبه، سنة ٧٩ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

كان الجُهَنيُّ يقولُ: «الإنسانُ مُريدٌ قادِرٌ،

ولَهُ ما شاءَ»، فَسُمّيَ كافِرْ.

صلبوه حَيّاً،

قيلَ: احتزّوا رأسَهُ.

ولَهُ أتباعٌ قالوا عنهُ:

«خَسِرَ الدّنيا كي يَرْبحَ نَفْسَهْ.»

وَثنّى الرّاوي:

أتُراهُ، كما أكّدَ الجُهَنيُّ، القدَرْ

كُرةٌ في يَدِ البشَرْ؟

- س -

أكتبُ الآنَ مَا يقرأُ الموتُ: هذَا

الفضاءَ الذي تتقطّعُ فيه الرّؤوسْ،

وأُحيّي

باسْم أتْراحهِ وَأفْراحهِ

كَرْمةَ التّائهينَ، السُّقاةَ، النّدامَى

وأوجاعَهم، والكؤوسْ،

أكتبُ الآنَ ـ مَهْلاً،

أأسمعُ خَطْو الملوكِ المَجُوسْ؟

* قال لي:

وِجْهَتي في امّحاءِ الجهاتِ،

وَشَكّي مِما تيقّنْتُهُ،

وفي ما تَيقّنْتُهُ.

معبد الجُهنيّ، صلبه عبد الملك بن مروان سنة ٨٠ هجرية.

○ حَدَّثَ الرّاوية:

أكلَ الجَمْرَ إلى أنْ مات: بهذا حكمَ الحَجّاج عليهِ.

وَثنّى الرّاوي:

زمَنٌ: مَرْكَبُ سَمْعٍ

يُبْحِرُ في أمواجِ العَيْنْ.

- ع -

أَسَحابَةٌ تُلقي عَباءَتَها عليَّ؟ حفيفُها

لُغَةُ النّجوم الآفِلهْ -

تيهٌ، وقافِلةٌ تُضيِّع قافِلَهْ.

وأنا الشّهادَةُ - حائِراً يَهْذي

كمن يَمْشي على أَشْلائِهِ

يَمْشي ويَرْتَجِلُ الفضاءْ

وأنا الشّهادَةُ - أرضُنا

طُمِسَتْ

لِكَثْرةِ مَا تَراكَمَ فَوقَها مِن أنبياءْ.

الإشارة إلى ابراهيم بن يزيد التّميمي الكوفي، سنة ٨١ هجريّة.

* إن كان هناك جمالٌ
فَهوَ الخَرْقُ - أَفيئُوا، واغْصوا
لا تَغْصُوا إلاّ العادَهْ.

○ حَدَّثَ الراويه:

وَقْعَةُ الدَّيْرِ ـ

دَيْرِ الجَماجِمْ،

هل يُعبِّرُ عنها اسمُها؟

مِن تَهاويلها،

يحبسُ النّاسُ أنفاسَهمْ،

وتَئنُّ المعاجِمْ.

وَثنّى الرّاويه:

ضُرِبَتْ عُنقُهُ لا لِشيءٍ،

سِوى أنّهُ مِن صِحابِ عليٍّ.

ـ ف ـ

لَـن أقـولَ لـكـم كـيـفَ عـاشـوا، وكـيـف يَعيشـون، أو كيف جاءت إليهـم ـ عنيتُ الـقـبـورَ، ولا كـيـف كـانـوا يـهـبـطـون إليهـا بـأجسـامهـم كـلّـها أَوْ بـسـاقيْنِ، أو كـتـفيْنِ وَصَـدْرِ. لَـن أقـولَ لكـم كيـف كانت تَجيءُ الرّماحُ، تُثَقّبُ أجسادَهمْ.

لن أقول لكم كيف جاؤوا بهم

جُثثاً ـ منبراً عالياً مِن رمادِ

خطبوا فوقَهُ، وصلّوا.

أصدقائيَ ـ كلاّ،

لَنْ أبوحَ بِأسْرارهمْ.

* منبوذونَ، ولكن

في كلّ صعودٍ، أو كلِّ هبوطٍ

نحو جُذور المعنى،

أَثَرٌ مِنهمْ.

سنة ٨٢ هجرية

والإشارة إلى كميل بن زياد النّخعي.

○ قال الرّاوي:

مَثْنى وَفُرادَى

يقتلُهم صَبْراً، -

- «لَنْ تُفْلِتَ مِنّي حَتّى تشهدَ أنّكَ تكفُر»،

- كلاّ، لم أكفرْ مُذْ آمَنْتُ،

- خُذوهُ، حُزّوا رأسَهُ.

وَثنّى الرّاوي:

لا نَدْري - أتَراهُ المعنى، منبوذاً يتشرّدُ في بيداء الشّكلِ؟ أشَكْلٌ يتشرّدُ منبوذاً

في بيداءِ المعنى؟

- ص -

كَيف أَقْفُو خُطاهُمْ، وأحلمُ أحلامَهم، وَأَنا نَفْيُهُمْ؟

وَلأيّامهم وَأَعْمالِهِمْ سُدودٌ

جَرفَتْها خُطايَ/ خَطاياي أنّيَ

لا أَزالُ أُغَنّي

كي أُوسِّعَ آفاقَهم،

وَأُحبّ خطايايَ مِن أَجْلهِمْ.

فَلأَقُلْ: إنّهم هَجيرٌ

وَأَنا فَيْئُهمْ.

* تَحْتَ فَيْءِ تباريحِهِ،
يَتعَهَّدُ ميراثَهُ - غاضِباً، حانياً
وَيُتابِعُ تَرحَالَهُ.

الإشارة إلى أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث. قيل إن الحجّاج قتل منهم مئةً وثلاثين ألفاً. بينهم علماء كثيرون، منهم: مالك بن دينار، الحسن البَصري، عبد الرحمن بن أبي ليلى، الشّعبي، ابن مسعود، أبو البختري، المعرور بن سويد، عمران بن عصام الضّبعي.

والحوار بين الحجّاج وهذا الأخير، سنة ٨٣ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

قُتِلَ ابنُ الأشْعَثِ، حَزّوا رأسَهُ

ورؤوسَ الباقينَ من الأنْصارِ الخُلصاءِ،

طِيفَ برأسِ ابْنِ الأشعثِ في بغداد ومصرِ والشّامِ، وقالوا:

قَطَع الحجّاجُ رؤوساً أخرى لِلعلماءِ.

وَثنّى الرّاويه:

إنّها أرضُنا في ثيابِ الحِداذ:

أتُرى تعرفُ الثّمرَ المُرَّ، تعرفُ ماذا يُسِرُّ الحصَادُ؟

- ق -

هُوذا السّجنُ والقَتْلُ والصَّلْبُ، ثَالوثُ هذا المكانْ

والزّمانُ المهرِّجُ والمهرجانْ -

وَأَنا، لا طريقي جِنانٌ، ولا خطواتي جحيمْ

لا تُغيِّرْ نِداءكَ، يا أيّها البدويُّ الذي فِيَّ،

يا أيّها البدويّ الكريمْ،

جامِحاً، أَتَنَعَّمُ في قيدكَ السَّاحِرِ،

فِيهِ أَسْلَمْتُ نفسي إلى نَفْسِها -

آهِ، يا آسِري.

* يُوقِظُ الشَّمسَ مِن نَوْمِها
ويرشُّ على وَجْهِها مَاءَهُ.

الإشارة إلى عبد الرحمن بن الأشعث، سنة ٨٤ هجريّة.

بين هؤلاء العلماء: أيّوب بن القريّة، عبد الله بن الحارث ابن نوفل، سعد بن إياس الشّيباني، عبد الله بن قتادة.

○ حَدّث الرّاويه:

- «شِبْتَ، يا سيّدي، عاجِلاً،

- شِبْتُ قَبْلَ الأوانِ،

لأنّيَ أعرض عَقْلِي

على النّاسِ، في كلّ جُمْعَهْ.»

خِفيةً، كان يمسحُ

دَمْعَهْ.

- ر -

خَلْفَ أيّامِنا السّاهِرهْ

صائِدٌ، يَترصّد غزلانها النّافِرَهْ،

والسّماءُ رداءٌ لأحلامِنا

كلّما مَزّقَتْهُ مَراراتُنا والهمومْ،

رَقَّعَتْهُ الغيومْ -

إنّها آخِرُ الكلماتِ التي قالَها نَبيٌّ

قَضى يائِساً.

حوار بين عبد الملك بن مروان وأحد مُقرّبيه، سنة ٨٥ هجريّة.

وَثنّى الرّاويه:

قالَ في خُطبةٍ:

«كلُّ مَن قال لي:

«اتّقِ الله»، أَقطعُ رأسَهْ».

الكلام لعبد الملك بن مروان.

* صَوّري أنتِ، أيّتها المَعْصِيهْ

جسَدَ الأغنيهْ،

واقرأي هَيْتَ لَكْ

عاشقي، أيّها الفَلَكْ.

○ وَثَنى الرّاوية:

قالَ في خطبةٍ ـ

«أيّها النّاسُ، عندي دواءٌ وحيدٌ
لكي تَسْتقيموا»،

وأَشَارَ إلى سيفِهِ.

وَثنى الرّاويه:

«قال عَمْروٌ، وقلنا

كان سيفيَ أسرعَ مِن رأسِهِ.»

وَثنى الرّاويه:

شَعْرٌ يتساقَطُ مِن أجسامٍ، مِنْ
أرواحٍ، ـ

سيُقال تحيَّرَ فيهِ

مِشطُ الجَنَّهْ.

ـ ش ـ

رأسُها شامِخٌ، تَتَبخْتَرُ، تَحْنُو،

تَتَلفَّتُ: عينانِ أُفُقٌ،

وقَرْنانِ ـ بَدْرٌ وهالَهْ.

علّمينا شرودَ البداوة، حريّةَ البداوةِ،

يا هذهِ الغَزالَهْ.

* يخرجُ الضّوءُ مِن نفسهِ،
كي يُلاقيَ أطيافَهُ.

الإشارة إلى عبد الملك بن مروان،

وإلى عمرو بن سعيد بن العاص، وكان عبد الملك قد ولاّه العهد بعد ابنهِ، ثمّ قتلَه.

○ قال الرّاوي:

إبنُ مَروانَ

يُسْلِمُ أنفاسَهُ لِلهَباءِ،

كم زَهَا، كم تغنَّى:

«شَرِبْتُ الدِّماءَ».

- ت -

يَقْرأُ الفَجْرُ ما كتبتْهُ خُطايَ - دُروبي

لُغَةٌ لا يراها سِواهُ،

وأَرَى النّاسَ شَطْرَيْنِ: شَطْراً

يَقْتَدي بالذِّئابِ، وشَطْراً

يَهْتدي بالنَّعَامْ

آهِ، أنّى، وكيف سأكتبُ مَرْثِيَّةً

لِلكلامْ؟

الإشارة إلى موت عبد الملك بن مروان سنة ٨٥ هجريّة.

وَثَنَى الرّاوي:

أَوصى وليَّ عهدِهِ الوليدَ:

«ضَعْ سيفكَ على عاتِقِك، فَمن أَبْدى ذاتَ نفسه، فاضرِبْ عنقه، ومَنْ سكتَ، ماتَ بدائه.»

وَثَنَى الرّاوي:

عَرْشٌ - تِمثالُ عِظامٍ.

* أَلصّباحُ انْحَنَى فوقَهُ
وانْحَنى فوقَهُ المساءُ:
لا يُباحُ بهذا لِغَيْرِ السُّراةِ من
الأَصْدِقاءْ.

○ حَدَّثَ الرّاويه:

ـ «صِفْ لِيَ السُّكْرَ، يا أَخْطَلُ»،

ـ «زَهْوٌ في أَوَّلِهِ،

وصُداعٌ في آخرهِ،

ما بينهما،

لا وَصْفَ لهُ.»

ـ «ماذا تعني»؟

ـ «إذا ما نَديمي عَلَّني،

ثم عَلَّني

ثلاثَ زجاجاتٍ

لَهُنَّ هديرُ،

خرَجْتُ أجرُّ الذَّيلَ تِيهاً، كأنَّني

عليكَ، أميرَ المؤمنينَ، أميرُ.»

ـ ث ـ

أَتَحَمَّلُ أَعْبَاءَ أرضيَ ـ

أحلامَهَا والهمومْ،

غيرَ أَنِّيَ لا أتقدّمُ ـ أَمْشي، كأنِّيَ

في القَيد أَمْشي.

أَتُراني عَرّافُ هذا الغُبارِ،

ونَحّاتُ هذي الغيومْ؟

* ألكلامُ النبيُّ المُطارَدُ ذِئْبٌ،
وَهْو جِسْمٌ وَبيتٌ لَهُ.

حوار بين عبد الملك بن مروان والأخطَل.

- خ -

أَلنبّواتُ ثَوْبٌ

نَسَجتْهُ بأهدابِها أَرضُنا

والسَّماءُ وأفلاكُها تدور على أرضِنا ـ

فلماذا

كلّ شيءٍ عليها خواءٌ؟

ولماذا كلُّ شيءٍ أَصَمُّ وأعمى؟

ولماذا

تَتدوَّرُ فُقَّاعةً مِن زبَدْ؟

آهِ من أَرضنا وواهاً عليها

أبدٌ من قيودٍ

سابحٌ في أَبَدْ.

* يغسلُ الأبجديّةَ مِن لغةٍ مُظْلِمَهْ
تترسَّبُ فيها، وتطفو عليها
هذهِ الكُرةُ المُتْخَمَهْ.

○ حَدَّث الرّاويه:

سُمِّيَ رَشْحَ الحجارةِ،

مِن بُخْلِه.

وَثنّى الرّاويه:

يُقالُ، لمّا وُلِّيَ

الخلافَهْ،

جاؤوُهُ بالمُصحَفْ

قَلَّبهُ، أَطْبقَهُ،

وقَالْ:

«إِذْهَبْ عَنّي

هذا آخرُ عهدكَ بي»

أو قالْ:

«هذَا آخِرُ عهدي بِكْ.»

الإشارة إلى عبد الملك بن مروان.

- ذ -

عَبَثاً أَقرأُ الظّلامْ

عبَثاً أقرأ الضّوءَ، لا شيءَ غيرُ الخليطِ المُقَنَّعِ، فيهِ

يَتراءَى الظّلامُ ضياءً،

والضّياءُ ظلاماً

أَتُراهُ السّرابُ؟ ولا شيءَ غَيرُ التّحيّرِ فيهِ، وغيرُ التنبّؤِ،

لا شيءَ غيرُ الكلامْ.

* حُرّاً، وأسيراً لهواء الحريّهْ، - ذَوِّبْ شَمْسي في مِلْحِ اللّيلْ، يا هذا السَّيْلْ.

○ قال الرّاوي:

قال عمر بن عبد العزيز:

«الوليدُ بالشّآم، والحجّاجُ بالعراق، وعثمان بن جُبَارة بالحجاز، وقُرّة بن شُريك بمصر، - امتلأت الأرضُ، واللهِ، جَوْراً.»

وَثنّى الرّاوي:

هَلْ كلُّ هبوطٍ مِعراجُ صُعودٍ؟

○ حدَّث الرّاويه:

ـ «أتَراهُ الخليفةُ يَحْضَرُ،

يَوْمَ الحسابِ، يُحاسَبُ

كالآخرينَ؟»

ـ «لماذا، إذنْ

هَدَّدَ اللهُ داوُودَ

وَهوَ الخليفةُ،

وَهو النبيُّ؟

تُرى أَنْتَ أكرمُ مِنْهُ؟»

وَثنّى الرّاويه:

أَتَراهُ يَحِينُ اللّقاءْ

بين مَرْضى خرافاتِهم والدّواءْ؟

ـ ض ـ

لِلأمير وأبنائهِ، وأَبْناءِ أَبْنائهِ،

يَسْكُبُ التّابعونَ: البلادَ، الحياةَ، الزّمَنْ

في قِصَاعٍ ـ

يَرصُّون أَجْنادَهم حولَها:

طابخٌ يَنْتَشي،

آكِلٌ يُفْتَتَنْ.

حوار بين الخليفة الوليد وابراهيم بن أبي زُرعة، سنة ٨٨ هجريّة.

* لا تكتبُ أرضَ الحريّهْ
إلاّ لُغةٌ وَحْشيَّهْ.

○ حدّث الرّاويه:

«إنّ مِن ديننا

قَتْلَ مَنْ كانَ مِنّا ـ

ومِن غيرنا، كافِراً،

لا يَرى رأينَا.»

الإشارة إلى رأيٍ كان يقول به مسلمون كثيرون، سنة ٩٠ هجريّة.

ـ ظ ـ

لِحياتي ـ بيتاً مِن قَصَبِ

مُلْكاً لِهُبوبِ الحُلمِ،

وجُرْحاً

نَبويَّ الدّاءِ،

لحياتي ـ رمزاً،

يعلو الشّعرُ سِراجاً

في لَيْل الأشياءِ.

* هِيَ ذي الشَّمسُ في جُرْحِهِ،
في سَريرِ مناماتِهِ ـ
تتزوَّجُ أَهدابُها مَصابيحَهُ.

○ وَثَنى الراوية:

«قَبَّحَ اللهُ ديناً

لا يتمّ بغير القتالِ،

وسَفْكِ الدّماء».

- غ -

أَخْـتَـفـي، هـذه الـلَّيلـةَ، الآنَ، فـي هـذه اللّحظاتِ، بِما هامَ، أَوْ جُنَّ، أَوْ حَنَّ

في سَعَفٍ أو قَصَبْ ـ

إنّه عيديَ المتفرّد، بَيْدائيَ الأثيرةُ،

عيدُ المراراتِ،

عيدُ الأقاصي،

وعيدُ التّعَبْ.

تُنسب هذه العبارة لِلجحّاف الشَّيباني، مخاطِباً سويد الخارجيّ،

سنة ٩٠ هجرية.

---

* ظِلّهُ شاعِرٌ آخَرٌ،
مِثْلَ طَيْفٍ ـ يَفيءُ إليهِ،
وَيُسافِرُ في وَجْهِهِ.

هُوذا أمامَكَ بابُ التّاريخ

«اخلعْ نَعليْكَ»

يميناً يساراً   اسْتَقِمْ

مِن شيءٍ يشبه القبرَ تبدأ الحكاية   ليس صَعْباً أَنْ نتخيَّلَ قبراً يتكلّم وحيداً   قبراً، آخرَ يَنْخرِطُ في حوارٍ   آخرَ ينتمي إلى جَوقة

يمكن القول أيضاً: القبرُ وَجْه.

عندما نقولُ عن شيءٍ إنه وجهٌ   نقدر أن نقول عنه إنّه كائِنٌ حيّ ما دمتَ ترفض أن تَنسى الوجهَ أو تهجرَهُ، وهو هنا القبر، فالقبرُ بيتٌ لك

مع ذلك ليس القبرُ إلاّ شكلاً ـ هيكلاً   لكن حين نتكلّمُ معه نتكلّم مع شيءٍ ليس موجوداً داخل هذا الشّكل ـ الهيكل

ـ هل التاريخُ تجاعيدُ في وجه الفجر؟

هل الأعناقُ الرّؤوسُ قبورٌ عائمة؟

لَمِ إذن هذه الأعناقُ التي تزيّن السّاحات؟ لَمِ إذن، هذه الرّؤوسُ التي تزخرفُ الجُدران؟

هل التّاريخ قبرٌ على صورةِ النّجم؟

ـ هل التاريخُ مسرحُ دُمى وفقاعات؟

«كان قيس بن الملوّح الذي يقال له المجنون، يَخرجُ إلى الشام ويسأل: أين أرضُ بني عامر؟ وكان يُقال له: أين أنتَ منها! عليكَ بذلك النّجم!»،

في اهتدائهِ، كان يَسمع كلاماً   سمعَ مرّةً:

ـ افركوا وَجهَ الليل بماء الورد.

«إيّايَ وهذه الزّرافات   لا أَجدُ أحداً يَسيرُ في زَرافةٍ إلا سَفكتُ دمه، واسْتَحلَلْتُ مَالَهُ».

ومرّةً، سَمع:

«يا أَهْلَ كذا، إنَّ الشيطانَ اسْتَبْطَنكم خَالطَ اللّحمَ والدّمَ والعَصب والمسامِعَ والأطرافَ
ارتفعَ وَعشَّشَ   بَاضَ وفَرّخَ   دَبَّ ودَرَجَ   حشاكم نِفاقاً وَشِقاقاً   أشعركم خِلافاً
اتخذتُموهُ دليلاً تَتْبَعونَهُ   وقائداً تطيعونه   وَمُؤامِراً تشاورونَه

كيف تنفعكم تجربةٌ أو ينفعكم بيان؟».

وكان المجنونُ، حين يسمع

يَطمئِنُّ إلى أنَّه وحيد.

«... هكذا تَمَّ حلولُ التّعب والآلام بوصولِ أبي الذّهب إلى دمشق الشّام مجهّزاً من علي بيك زعيم المماليك بجيشٍ كبير وفتوى من المذاهبِ الأربعة

نَصَبَ القنابلَ على القلعة وعلى البَلْدة هَدمَ من الجامع الأمويّ ما هَدم استمرّ أهل الشّام بعد ذلك في عظيم الشدّة والضّيق

كان سَبَبَ جميع ما وَقعَ، بقضاء الله تعالى، على أهل هذه البلدة المقدّسة، الظّلمُ والتّعدّي وتوليةُ الأمورِ لغير أهلِها. قال صلىّ الله عليه وسلّم: «إذا وُسِّد الأمرُ لغيرِ أهلهِ، فَارْتَقبوا السَّاعة».

ولم يقدر أحدٌ أن يتكلّم

نَسألُ الله سبحانه بالأنبياء العِظام

بالملائِكة الكرام

أَنْ يُلْهِمَ الدّولة العليّة الانتقام

مِمن كان السَّبَبَ في تحريكِ هذه الأمور

وتَخريب البلاد

وإيذاء العباد،

ونَهْبِ الأموال.

إلى هُنا،

جَفَّ القَلَمْ

بما وقعَ وزَحَمْ

بدمشق الشَّام

صينَتْ عن الآلام

على أمَدِ الأيّام

ما ناحَ حمام

وهَطَل غمامْ ـ

آمين.»

ـ ادعكوا جَسَدَ النّهارِ بالياسمين.

ـ إلى أين سيقودنا النّجمُ الذي نَهتدي به؟ وهل التّاريخُ مِشْجبٌ نعلّق عليه الرؤوس؟

ـ يسأل، يريد أن ينشر ملح الفوضى

ـ أن يجلسَ على كرسيّ الموج، ويزعمَ أنّ الهواءَ يصطادُ السّماء.

بَلى، نشهد جَهْراً

أنّ ذلك التّائهَ (بجنونٍ آخر).

«حين تَناوَل من الكعبة حجراً

وثَبَ الحجرُ من يدهِ،

وعادَ إلى موضعهِ» -

وكان القرمطيُّ، في السّنةِ ٣٢٠ للهجرة، قد باعَ الحجرَ الأسودَ بثلاثين ألف دينار. ولمّا أرادَ أن يُسَلّمهُ لِلذين اشتروهُ، (وقيلَ: لمّا رَضِيَ أن يُعيدَهُ)، أحضرَ جماعةً مِن أَهْلِ الكوفة، وقال: «اشْهَدوا أَنَهم تَسلّموا الحجر الأسود»،

بعد الشّهادةِ والرِّضى بأنّ ما تَسلّموه هو نفسهُ الحجر الأسود، قال:

«يا مَنْ لا عقلَ لهم

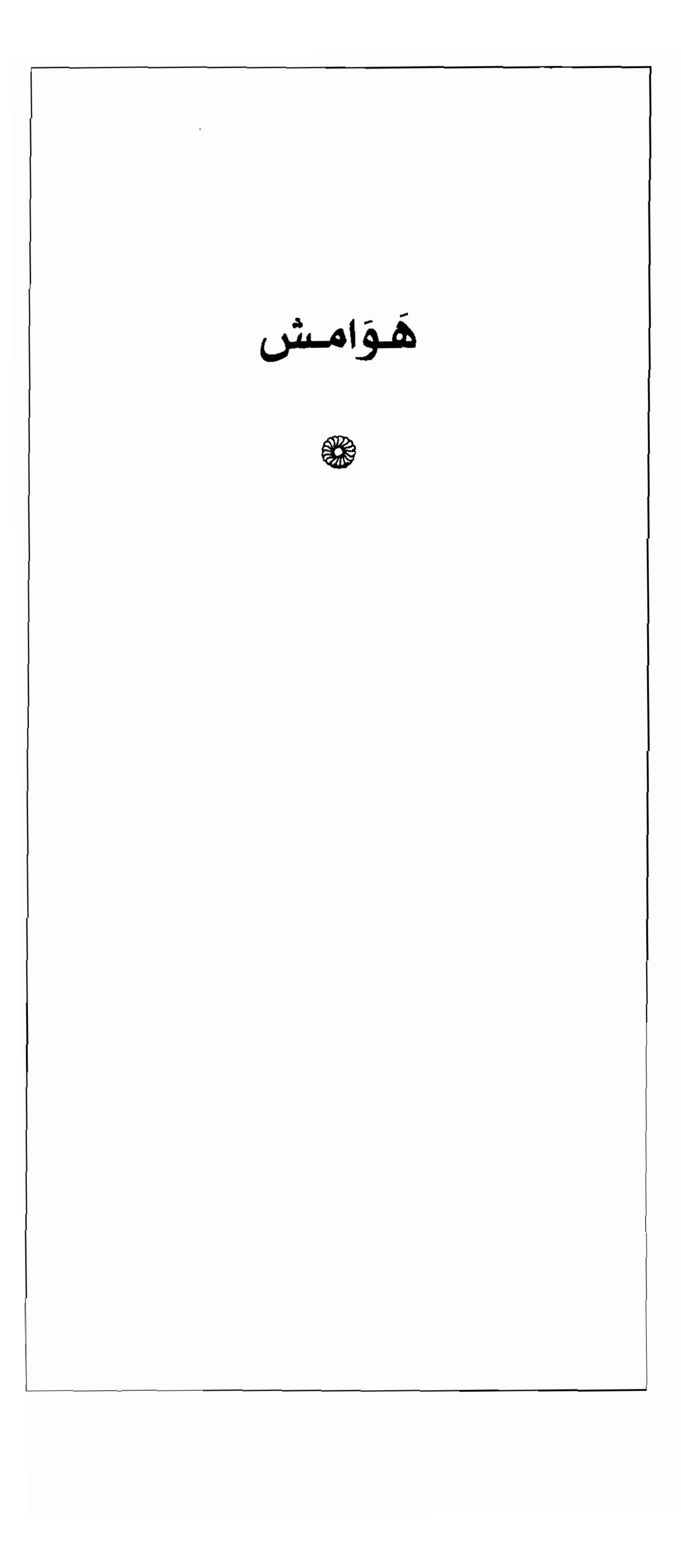
مِن أين لكم أنَّ هذا هو الحجر الأسود؟

لَعلّنا أَحْضَرْنا آخرَ

مِن هذه البرّيّة،

عِوضاً عنه».

- إلى أَيْنَ سيقودُنا النّجمُ الذي نَهْتدي به؟



هَوَامش

- I -

لقيط بن يعمر الإياديّ

أَفْزَعْتَ إياداً، لكنْ

لم يتردَّدْ كِسْرى في قَطْعِ لسانِكْ

هل كنتَ أسيرَ وفاءٍ،

أم كنتَ أسيرَ بيانِكْ؟

قُلْ لإيادٍ: شِعري صار الآنَ، لساني،

قُلْ لِلشّعر: احْضُنّي، -

سَوّيتُكَ قبْراً

وَتخذتُكَ أَهْلاً.

كان كاتباً في ديوان كِسْرى، سابور ذي الأكتاف. رآه ينوي غزوَ إياد، فكتب إليهم رسالةً - قصيدة يحذّرهم. وقعت الرّسالة بيد كسرى، فقطع لسانَ لقيط، وغزا إياداً. يقول في القصيدة - الرسالة: «يا لهف نفسيَ، إن كانت أموركم

شتّى، وأُحْكِمَ أَمْرُ النّاس، فاجتمعا».

- II -

بِشر بن أبي خازم الأسدي

يا هَذي الأشياءُ،

قولي أَسْماءَكِ: ماذا، كيفَ، وأَيْنَ؟

الإسْمُ حياةٌ - لكن،

مُنذُ وُلِدتُ، ومُذْ سُمِّيتُ، أُعاشِرُ

مَوْتي

وأسائِلُ: ماذا تُجدي

في أرضِ الغربةِ، أرضِ الموتِ،

الأَسْماءُ؟

أرضٌ - مُختَبَرٌ لِلصَّوتْ

لا يَنطقُ فيها إلاّ الموتْ.

كان فارساً شجاعاً عرف حياة الأَسْر، ومات في إحدى غاراته.

يصف الإنسان بأنّه «رهينُ بِلًى»، ويقول في إحدى قصائده: «كفَى بالموتِ نَأْياً وَاغتراباً».

- III -

الأخنس بن شهاب التّغلبي

إنْ يكنْ هؤلاءِ العباذ

بُذِرُوا مِثْلَ زَرْعٍ يُعَدُّ ليوم الحصاذ،

فلماذا التّردُّدُ في الغَيّ؟ هَيّا -

مَرْحباً بالغوايهْ

بَلَداً فَارِساً، وَرايَهْ.

كان اسمُ فرسه العَصا، وكان يُسمّى «فارسَ العَصَا» يقول في إحدى قصائده: «وقد عشتُ دَهْراً، والغُواةُ صِحابتي.»

- IV -

عوف بن الأحوص

حَيَارى ـ يَجوبونَ الصّحارى: هَجيرُها
خِيامٌ لَهم. أنّى تَقَرُّ عُيونُهُمْ
وليس لهم لِلنّوم إلاّ سَريرُها؟
هُمُ صَوْتُ هذي الأرضِ ـ تَجْمَحُ بَغْتَةً
وَهُمْ قِدْرُها ـ فَارَتْ دَماً، وَنذيرُهَا،
«فلا تَسْأَليني، واَسْأَلي عن خَليقتي
إذا رَدَّ عافي القِدْرِ مَنْ يَسْتعيرُها،
تَرَيْ أَنَّ قِدْري لا تزالُ كأنّها
لِذي الفَرْوةِ المَقْرورِ، أُمٌّ يَزُورُها.»

كان سيّداً في قومه، وهو ابن عمّ الطفيل، والد عامِر بن الطفيل. والبيتان الأخيران من قصيدةٍ له.

- ٧ -

السَّموأَل

كيف أعطيتَ عينيكَ للماء، أَنَّى وكيفَ

قرأتَ النَّباتْ؟

يَا سَموأَلُ، قل لي:

هل وفاؤكَ للموت أمْ للحياةْ؟

صِرْتَ مِثْلَ الأثير - يُداعِبُ سَجّادَهُ

بأصابعَ مِن حكمةٍ

في رواقٍ حميمِ

ليس من ذلك الزّمانِ

ولا ذلك المكانْ،

والفُصولُ له تُرجمان.

يا سَمَوْأَلُ، قُلْ لي:

كيف تَرْجَمتَ ليلَ الطّباعِ، وكيف

نَسَجْتَ له الأُغْنِياتْ؟

اشتُهِرَ بوفائه. وهو القائل في إحدى قصائده: «يُقرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لَنا

وتكرهه آجالُهم فتطولُ».

- VI -

المتلمِّس

هَذا سُهَيْلٌ، وهذي نَارُهُ - قُبِسَتْ:

لا شيءَ، فالنّجمُ لا يُعطي ولا يَعِدُ

أَغْرِقْ جِراحَكَ في كأسٍ تُعاشِرها

وَلْيَشْطَحِ الرّأسُ، وَلْتَشْرُد بكَ الكبدُ

لكَ التّرحّلُ ميثاقٌ، إذا صَغُرتْ

عليك أَرْضٌ، وضاقَ النّاسُ والبلَدُ

«فلا يُقيمُ على خَسْفٍ يُرادُ بِهِ

إلاّ الأَذَلاّنِ: عَيْرُ الحَيِّ، والوتَدُ

هَذا على الخَسْفِ مَعْقُولٌ برُمّتهِ

وَذَا يُشَجُّ، فلا يبكي له أَحَدُ.»

هو خال طرفة بن العبد، مات في بُصرى (سورية)، في إحدى رحلاته. وفي البيت الأول إشارة إلى قوله: «وقد أضاءَ سُهَيْلٌ، بعدما هَجَعُوا

كأنّه ضَرَمٌ بالكفِّ مقبوسُ».

والبيتان الأخيران له.

- VII -

المرقّش الأَصْغر

أَتخيَّلُ تلك البوادي ونَباتاتِها السَّاهِمَهْ

تَتحدَّث عن فاطِمَهْ

عَن جمالِكَ، مُسْتَسْلِماً

لِلشّباكِ الحبيبةِ - تلك الشّباكِ (الخيوط) التي نسجَتْها خُطاها،

أَتخيَّل أَنّكَ تُصْغي، تَرى فاطِمَهْ:

جِسمها ذائبٌ في الفَضاء

والدّروبُ إليها الهواءُ.

هو عمّ طرفة بن العبد اشتُهِر بحبّه لفاطمة بنت المنذر، وبجمالهِ.

- VIII -

حاتم الطائيّ

نَسْكُن، لكن لا نَسْكُنُ إلاّ
في كلماتٍ
والسُّكْنَى ظَرْفٌ
ألِهذا، قلتَ لهذا العالَمْ
كنْ ضَيْفي
وَبَنَيْتَ له في صدرِكَ بيتاً
يَتحرَّرُ فيهِ
وَحنَوْتَ عليه ـ حُبُّكَ حولَ خُطاهُ مثلُ الخاتَمْ.
فيهِ الكلماتُ تصير حقولاً
والحرفُ يَصيرُ رغيفاً.
يا حاتِمْ
حُلمُكَ في شجَرِ الأيّام حفيفٌ دائِمْ:
«أَوْقِدْ، فإنّ اللَّيلَ ليلٌ قَرُّ
عَسى يَرى نارَكَ من يمرُّ
إنْ جَلبَتْ ضيفاً، فأنتَ حرُّ».

الأشطر الثلاثة الأخيرة لحاتم الطائيّ، مخاطباً، عَبْداً عنده.

- IX -

الحارث بن حلّزة اليشكري

حارثٌ؟ خائِنٌ لاسمهِ؟ - الحقولُ بَوارٌ

وكلامُ الرَّبيع فيها خريفٌ، وكلامُ

الشتاءِ صيفٌ: مَدىً مَيْتٌ -

دوارٌ، وحيرةٌ، وانكفاءُ

يَهربُ النّاسُ - يطلبون نجاةً

بعضهم كالدّواء، بعضٌ داءُ

وأنا بينهم، أتغنّى،

«لا يُقيم العزيز بالبلدِ السَّهْلِ، ولا

ينفع الذّليلَ النجَاءُ.»

البيت الأخير للحارث

- X -

الأسود النَّهشليّ

نَـادَمْـتُ نُـعـمـانَ: يَـسْـقـيني، ويَـسـأَلُـني،
وَيَسْتَضيءُ، ويَسْتَقْصي، وَيقْتَبِسُ
هَلِ المَليكُ يَرى في كأسهِ قَلقي -
كأنّني مُوثَقٌ يَلْهُو بهِ الحرَسُ؟
بِي شَهْوةٌ لِقفارٍ لا يُجاوِرُها
غيرُ القفارِ - أغنّيها، وأَمحْضُها
حبّي: أطوفُ بِها،
أَحْيا غَريباً كذئبٍ، لا مَقَرَّ لَهُ
«وَلاَ رعيّةَ إلاّ الطّوْفُ والعَسَسُ».

كان ينادم النّعمان بن المنذر، والشّطر الأخير من قصيدةٍ له.

V

شِيَمُ اللّيالي أَنْ تُشَكِّكَ ناقتي

صَدْري بِها أَفْضى أم البَيداءُ؟

المتنبي

○ قال الرّاوي:

أَلبحرُ اليومَ،

يُهَيِّئُ كلَّ

شواطِئِهِ،

كي يَملأَها صَمْتاً.

- أ -

عَشِقَتْني البحيرةُ، لكنَّ مَنْ أُمِّرُوا عليها كَرِهوا أن نكونَ عشيقَيْنِ، أن نَتَغَنَّى بِصَفاءاتِنا -

يَسْكَرُ الأفْقُ مِنّا،

ويَسكرُ فينا،

ويُلابِسُ أطرافنا،

هُوذَا، أَترحَّلُ نحو التّنوخيّ، أَمْضي

مُودِعاً بعضَ ما فِيَّ، فيها -

أَتُراهُ التّرحّلُ بَيْتي؟

بحيرة طبريّة.

والإشارة إلى عليّ بن ابراهيم التّنوخيّ في اللاّذقية.

* وَحده، مُفْرَداً
والضّياءُ الذي يتبجّسُ مِنْ وجهِهِ،
شاهِدٌ.

- ب -

لَنْ أقصَّ اللّقاء

بين شِعريَ واللاّذقيّةِ، كلاّ

لَنْ أبوحَ بما وَشْوَشَتْني الشّواطِىءُ، ما قالَ زَيتونُها وما قالتِ الكرومُ، الجبالُ وغاباتُها،

لَنْ أبوحَ بما اسْتَودَعَتْنيَ - ماذا أقولُ؟

بَلَى، سَوْفَ أختارُ تَلاًّ يكونُ له الغيْمُ وَجْهاً حيثُ لا تخرجُ الشّمسُ مِن مَهْدِها حيثُ يُسْتَقْطَرُ الحبُّ والفَجْرُ مِن زَهْرةِ الكيمياءِ،

وأبوحُ، ولكن

لَنْ أبوحَ لِغَيْر الضّياءِ وغير الهواءْ.

○ حدَّث الرّاويهْ، ___

قالَ عنه رُواةٌ:

شحبت، بَعْدهُ، تِلالٌ

كان يُلقي عليها

قَصائِدَ لَمْ

تُكْتَشَفْ

بين أوراقهِ.

---

* أمشي - لكن
تتباطأ، تلهو، لا تتبعُني:
هَلْ تَعِبتْ أحلاميَ مِنّي؟

○ قال الرّاوي:

لم نَعرِف ما يَشْهَدُ أنَّ

الجَنّةَ أرضٌ

سُقِفَتْ بِسَماءٍ أُخْرَى

إلاّ سَقْطَةَ آدَمْ

في طينِ العالَمْ.

- ج -

تِلك أَنْطاكِيهْ

تتوسَّدُ شَمْساً وبَحْراً

والمُغِيثُ يُقرِّبُ أحلاميَ النّائِيهْ.

جَسَدي نَشْوَةٌ

ودمي سابِحٌ بين أَفْلاكِها.

المغيث بن بشر العِجْليّ.

لا عَن الجَنّة الضّائِعَهْ

أَتساءَلُ ـ لكِنْ

عن دُروبي وآفاقِها الشّاسِعَهْ.

* لا تَنظُرْ خلفكَ: ليس وراءكَ إلاّ أَنْتَ، وإلاّ ظِلٌّ.

○ قال الرّاوي:

أَلتّيميُّ قَتيلٌ في سِجْن الحجّاجِ -

رَووا عَنهُ:

«كانَ الطّيْرُ يرفُّ على كتفيهِ حين يُصلّي».

وَثنّى الرّاويه:

أَتَرى أَرضُنا لُغَةٌ في الأَثَرْ،

لا يُتَرْجِمُ أَسْرارَها

غيرُ قَتْلِ البَشَرْ؟

- د -

أَلسَّلامُ السّلامُ لِأَنْطاكِيهْ

لِلمغيثِ ولِلأصدقاءْ

بِهِم الأرضُ خضراءُ، زاهيةٌ، صافِيَهْ

وَلهم كِبْرياءُ الرّجولةِ: كلاَّ،

لا تَسيرُ الحياةُ إلى أَوْجِها الرَّحْبِ،

إلاّ بأُعْجوبةِ الكبرياءْ.

ابراهيم التّيمي زاهد كوفي، سنة ٩٢ هجريّة.

* يغسلُ الياسَمينُ مناديلَهُ
في جَداوِلَ تنبعُ مِن شِعرهِ.

○ قال الرّاوي:

ـ هَل أنتَ سعيدٌ بن جُبَيْرٍ؟ كلاّ

أنتَ شَقِيٌّ إبن كُسَيْرٍ

ـ أُمّي أعْلَمُ باسْمي مِنكَ

ـ ما أشقَاكَ وأشقَى أُمّكَ

ـ ما أشقَى أَهْلَ النّارِ

ـ خُذوهُ.

وثنّى الرّاوي:

أَخذوهُ، قطعوا رِجْليهِ

حَزّوا رأسَهُ.

وثنّى الرّاوي:

أيّها السّيفُ، قُل لِيَ: ماذا تجسّدُ فيكَ السّماءُ، وماذا تجسّد فيها؟

ـ هـ ـ

كيف، ماذا، أَتَهذي؟

لم أقلْ لِمُعاذٍ

مِثلما قيلَ عَنّي: مُرْسَلٌ، أو نبيٌّ.

قلتُ: أُعْطي لهذي الدُّروبِ،

لتلك المسافاتِ أَسْماءَها

وَأُجَاهِرُ أنّ الزّمانْ

ليس إلاّ دماً

يتبجّسُ من شرَيانِ المكانْ.

* شِعرهُ نَبْعُ ضوءٍ
يَخيطُ السّماءَ رداءً ويكسُو بهِ
ضِفّتَيْهِ.

أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل.

حوار بين الحجّاج وسعيد بن جبير، وكان من العلماء، سنة ٩٣ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

لا أروي إلاّ ما أسمعُه ـ قالوا:

يَوْمَ الدّينونَه

تأتي الأرضُ إلى

بارئِها،

في شَكْلِ غُرابِ

في زِيِّ امرأةٍ

مجنونَهْ.

- و -

لم أَقُلْ: مُرْسَلٌ أو نبيٌّ. قلتُ: هذا شتاء الجماعةِ صَيْفِي، وصيفي شِتاءٌ، والخريفُ رَبيعي

لِيَ في الأرضِ بابٌ يُؤَدِّي إلى المُستَسِرِّ، ولي طاعةٌ ـ مِن عَلٍ.

وأنا مَنْ تَنبّأَ شعراً.

لم أقل: مُرْسَلٌ أَوْ نبيٌّ

قلتُ: هذا الفضاءُ

يَتَنوّرُ باسْميَ ما لا يُقالُ، ويَصْدَحُ في مَطَرٍ مُسْتَجابِ

لا يشاءُ الذي لا أشاءُ.

صَذحة المطر:

رقية كان العرب يقولون إنّها تمنع المطر أن يُصيبَ مكاناً أصاب كلَّ ما حوله من الأمكنة. ويُنْسَب إلى المتنبيّ أنّه مارسَ هذه الرّقية في اللاّذقية، تدليلاً على نبوّته، كما روى أبو عبد الله معاذ ابن إسماعيل.

* جسمُه بَحْرُ نورٍ
تَتَمرْأى الطّبيعةُ فيهِ.

○ قال الرّاوي:

في غُرْفَة

سُدّت كلّ نوافذِها كالقَبْر،
رَموهُ فيها ـ كاد يموتُ.

وَثنّى الرّاوي:

لم يقلْ قولهم،

ولهذا قطعوا رأسَهُ.

- ز -

كيفَ لي أن أردَّ النّبوءةَ ـ تأتي

في قميصٍ من الضّوء، تُلقي وَجْهَها في يَديَّ، وتَنْفُثُ أسرارَها في عُروقي؟

وأنا مَنْ تنبّأَ شِعراً

أُنظُروا: إنّها الآنَ تَفرش لي ساعِديْها وتُسْكِنُني دارهَا

كيف لا أتبطَّنُ أغوارَها؟

وأنا من تنبّأَ شِعراً.

---

* أَلغيوبُ كمثل الطرائدِ، تأتي إليهِ،
وتدخلُ فيه ـ
أَتُراهُ شِبَاكٌ لَها؟

الإشارة إلى عمر بن عبد العزيز الذي حبسه الوليد، لأنّه خالفه في خلع أخيه سليمان، من العهد، وتولية ابنِهِ، سنة ٩٥ هجريّة.

الإشارة إلى قتيبة بن مسلم، سنة ٩٦ هجريّة.

- ح -

بِاسْمِ عِطْرٍ يُسافرُ في عُنُقِ الرِّيحِ،
عِطْرٍ جريحِ
باسْم موتٍ يُرابِطُ في داخلي ـ يتنبّأُ أنّيَ صِنْوٌ لَهُ
باسْم ليلى بثينة ميّةَ هِنْدٍ (جَسَدٍ يَكْتَوي مِن الهَجْر ـ هَجْرٍ قَفَصٍ لا حدودَ لجِذْرانهِ)
بِاسْم أشيائيَ التي لا تُسَمَّى، والتي تتنكّر في غَير أسمائِها، وتغيّر أَسْماءَها وتمحو
بِاسْم حبّ
مُزجاً مُزجاً مُزجاً، سَأداعِبُ في تعبي اليوم نَجْماً
وَأُحَاوِلُ جَرَّ السّماء إلى مَضْجَعي.

* أَلكونُ وجسمي وَحْدَةُ حُلْمِ
وَحْدَةُ شِعْرٍ:
أَلِهذا نحنُ فراقٌ في أَوْجِ عِناقٍ؟

○ قال الرّاوي:
«رأيتهُ ـ
كان كمن يركضُ في أكفانهِ».

وَثنّى الرّاوي:
أَقْصى عُمّالَ الحجّاجِ،
وأَطْلقَ مَنْ كان سجيناً.

وَثنّى الرّاوي:
أَحْيا الصّلاةَ، حرّمَ الغناءَ.

كلمة قالها عمر بن عبد العزيز، عندما وضع الوليد في قبره.

الإشارة إلى سليمان بن عبد الملك، سنة ٩٦ هجريّة.

الإشارة إلى سليمان بن عبد الملك.

○ قال الرّاوي:

- «مَنْ أَسْتَخْلِفُ؟ إبني؟

- غائبٌ.

- إبْني الآخَرْ؟

- ما زالَ صغيراً.

إسْتخلِفْ عُمَراً.

- أتخوّفُ، لا يرضاهُ أَحَدٌ من أهلِ أميّهْ.

- إسْتَخْلِفهُ

وَاسْتَخلِفْ مَعهُ، مِن بعدُ، يزيداً.

- رأيٌ صائِبْ».

وَثنّى الرّاوي:

كتبَ العهدَ خفيًا في قرطاسٍ مختومٍ، ودَعا للبيعةِ:

- «مَنْ فيهِ؟

- مختومٌ، لا يُفتَحُ إلاّ بَعْدَ البيعَهْ.

- نرفضُ، كيف نُبايع مجهولاً؟

- مَنْ يَرْفُضْ، يُقطَعْ رأسُهْ.»

- ط -

تاريخي بدْءٌ (كلّ غريبٍ بدْءٌ).

حولِيَ، هذي اللّحظةَ، موجٌ

لا تعرفُ كيف تُسافِرُ فيهِ

سُفُنُ المعنى

نحو الأشياءِ، ونحو الأَسْماءْ

كُنْ، يا جسدي، نُوراً

وَتَبَدَّدْ

في هذي الأَرْجاءْ.

* غيّرت وَجْهَهَا الحياةُ،
احتفاءً بِما قالَهُ أمسِ عَنْها.

حوار بين سليمان بن عبد الملك ورجاء بن حياة، سنة ٩٧ هجريّة.

والإشارة إلى عمر بن عبد العزيز

ويزيد بن عبد الملك.

○ قال الرّاوي:

ـ «ما هذا المركَبُ؟

كلاً

لا حاجةَ لي فيهِ.»

- ي -

حَمَلْتُ شَمسي وَأيّامي وأَسْئِلتِي

وَرحْتُ أَسْتَقْرِىءُ الدّنيا، وأَمْتَحِنُ

لا أرض، لا وطَنُ

إلاّ رُؤاي ـ تَروزُ المجدَ، تَرْسمهُ

بَحْراً وتُوغِلُ فيه، تَسْتَضِيىءُ بِهِ

أَلشّعْرُ رُبّانُها، والمركبُ الزّمَنُ.

كلامٌ لعمر بن عبد العزيز، مشيراً هنا إلى المركب الخاصّ بالخليفة،

سنة ٩٩ هجريّة.

وَثنَى الرّاوي عن عُمَرٍ:

«لا طاعةَ للمخلوقِ

السّادرِ في مُعصيةِ الخالِقِ.»

وثنَى عَنْهُ:

«رَجُلٌ هاربٌ من إمام

ظالمٍ، لا يُقالُ لَهُ: ظالِمٌ.»

وَثَنَى الرّاوي عنهُ:

«نَفْسِيَ تَوّاقَةٌ لِلأقاصي،

لما لا وجودَ لِأفضَلَ مِنْهُ.»

* لاَ يُرْسي،
إلاّ كي يُحْسِنَ خَوْضَ اللّجةِ
في أمواجٍ لا يَعْرِفُها.

- ك -

لا لِوعْدٍ صَبَرْتُ، ولا قلقي آمِلُ

أَتُراها الحياةُ امّحاءُ الشّواطىءِ،

والموجُ فيَّ وفيها هُوَ الرّاحِلُ؟

أمْ تُراني خُلِقْتُ، -

الفضاءُ رِدائي

وَدَهْرِيَ مِشْجَبُهُ المائِلُ؟

* يتشرَّد في همّهِ ويَعلُو، -
هَمّهُ أَنْ يُدَبِّرَ طوفانَهُ.

○ قال الرّاوي:

- «لا أَقْبَلُ هذي

الحالْ

لاَ حَلْيَ: اختاري بين الحَلْيْ

وهذا البيْت».

- «لا أختارُ سواكَ.»

- «إذن،

نُعْطِي الحَلْيَ

لبيت المالْ.»

حوار بين عمر بن عبد العزيز وزوجته فاطمة.

○ وثنّى الرّاوي:

«لا تأخُذْهُمْ بالظِّنَّة

خُذهُمْ بالإثباتِ،

وَمَا أرْسَتْهُ السُّنَّة،

إن لم يُصْلِحْهمْ حَقٌّ

لَنْ يُصلِحَهم شيءٌ.»

وثنّى الرّاوي:

- «لا يُصْلِحُهمْ إلاّ سَوْطٌ

أو سَيفٌ»

- «كلاًّ، بل يُصْلِحُهمْ عَدْلٌ،

أو حَقٌّ.»

- ل -

قُلْتُ لِلشّمْسِ: اتْركيني - لا تَغيبي

حَوّلي جِسْمَكِ عَنّي،

وَدَعي زَنْدَكِ مَرْسوماً على خاصِرتي.

شَهْوَتي أَنْ أدخلَ الآن إلى غابَةِ

نَخْلٍ،

وَأرَى جِسْمِيَ مَرْسُوماً على أَغْصانِها.

* إِبْتكِرْ كلماتٍ

لِلمكانِ، تصيرُ زماناً.

من رسالة كتبها عمر بن عبد العزيز لعامله على الموصل، يحيى الغسّاني، سنة ١٠٠ هجريّة.

حوار بين عمر بن عبد العزيز وعامله على خراسان، الجرّاح ابن عبد الله.

- م -

لَسْتُ منكم ولا مِنهمُ:

لا أَميرٌ، ولا قِرمطيٌّ

لُجّةٌ تَتَناءَى

لُجّةٌ تَتَهَيْدَبُ أَغوارُها سَحاباً

هذه صورتي -

شَهْوتي

أَنْ أُفَصِّلَ لِلضّوء قُمْصَانَهُ.

○ وَثنَى الرّاوي:

- «وَيحَكَ، تَسْقيني سُمّاً؟»

- «أَعْطَوْني مالاً، وَعَدُوني أن أُعْتَقَ.»

- «إذْهَبْ، لكنْ

أَرسلْ ما أَعْطوكَ

لبيت المالْ

وَاهربْ،

لا تتركْ أحداً

يعرفُ أَنّى تَذْهَبْ.»

حوار بين عمر بن عبد العزيز وخادمه الذي سَمَّهُ، سنة ١٠١ هجريّة.

وَثنَى الرّاوي:

مَسموماً، ماتَ،

وجاء يزيدٌ بَعْدَهْ.

يزيد بن عبد الملك.

* يَحدُث أن تتجلّى نارٌ
في صُورةِ ماءٍ.

○ وَثنّى الرّاوي:
بَسْطامُ يخاطِبُ
أَصْحابَهُ:
«مَن كان يريدُ
الدّنيا،
فالدّنيا وَلّتْ، والدّارُ الآخِرةُ
المأوى.»

ـ ن ـ
قَتْلى، وَدُعَاةٌ
وَدُعَاةٌ ـ قَتْلَى
والنّاجُونَ دماءٌ مَهْدُورَهْ.
أُصْغِي لِأراغنِ هذا النَوْحِ
الطّالعِ مِنْ أَنْقاضِ الوَقتْ
النّازفِ من أَعْناقٍ مكسورَهْ ـ
ما أَخْفَى فيها صوتَ الله،
كأنَّ اللّهَ الصَّمْت.

الإشارة إلى ثائرٍ اسمه بسطام، لكنّه اشتُهِرَ باسْم شَوْذب، سنة ١٠١ هجريّة.

وَثنّى الرّاوي:
«لبسوا الموتَ،
ولكن غُلِبوا،
طُحِنوا،
فيما يُروى، طَحْناً.»

* عَجباً، مالَهُ الفَجْرُ، قَبْلَ أكثرَ مِنْ مَرّةٍ،
شَفَتَيْ هذه المقبرهْ،
مَنْ هَداهُ إليها، ومَنْ أَخْبَرهْ؟

○ وَثنى الرّاوي:

قتلوا ابن المهلّبْ

قطعوا رأسَهُ، نَصبوهُ في دمشقِ وفي حَلَبِ

قتلوا كلَّ أصحابه،

قتلوا أهلهم ـ كلَّ أطفالهم، والنّساء سبوهُنَّ بيعت كبيع الرقيق

ما أمرُّ الخلافة بين يزيدٍ ورعايا يزيدٍ،

ما أشَقَّ الطّريقْ.

- س -

نَتَنَفَّسُ، لكن أهذا هواءٌ؟

والقصيدةُ مَخْنوقَةٌ ـ كتبوها على خُوذةٍ وعلى سيف طاغٍ وكرسيِّهِ وراياتهِ.

نتنفّسُ، لكن أهذا هواءٌ؟

والقصيدة مَخْنُوقَةٌ ـ سُلِبَتْ نكهةَ

الأرضِ، دِفْءَ المقامْ،

لم يَعُدْ يقرأ الكون ـ يعرفُ أن يقرأ الكون، غيرُ الخروج

وغَيْرُ التّطوُّحِ فوق شَفيرِ الكلامْ.

يزيد بن المهلّب

يزيد بن عبد الملك

معاوية بن يزيد بن المهلّب.

عَديّ بن أزطاة

وَثنى الرّاوي:

في واسِطَ، كان معاويةُ

يقتل كلّ الأَسْرى ـ

كان عَدِيٌّ بينهمُ.

* يا للصّحْراءْ:
لغةٌ أخرى في إِنْجيلِ الماءْ.

أرسلهم مسلمة بن عبد الملك إلى أخيه الخليفة، فأمر بقطع رؤوسهم ونَصْبِها.

وَثنى الرّاوي:

قتلوا تسعة صبيانٍ، ورؤوسُهُم نُصِبت،

كانوا، فيما قيل، حِساناً ـ لا يُعرف أجملُ منهم.

○ حدَث الزّاويَة:

في المنام رأَى أنّهُ بَالَ

في قَلْبِ مِحرابهِ، أَرْبَعاً.

سُئِلَ ابنُ المسيِّبِ:

ـ «كيف تُفسّرُ هذا المَنامْ»؟

ـ «سوف يملكُ مِن صُلْبهِ، أربَعة،

آخِرُ المالكينَ: هِشامٌ.»

- ع -

أَلزّفيرُ اسْتطالَ، تحوّلَ، صارَ

الطّريقْ، -

لم يَعُدْ في عروقيَ غيرُ الهُجوم على الغَيْبِ،

ما لا يَراهُ الكلامُ،

وَمَا لا يُطيقْ.

قال مصعب الزّبيري: رأى عبد الملك بن مروان في منامه، أنّه بالَ في محرابه، أربعَ مرّات، وسُئِل سعيد بن المسيّب عن تفسير ذلك، وكان هذا تفسيره، سنة ١٠٣ هجريّة.

* فِطْرَةُ الشّعر في بَحْرِهِ
أن يكون مُريداً
لا لِشُطآنهِ ـ بَلْ لِأمْواجهِ.

○ حَدّثَ الرّاوية:

قالَ مِن حُبّه لِحبابَهْ:

ـ «دَعُوني أَطِرْ»،

فأجابت حبابَهْ:

ـ «وَلِمَنْ تتركُ الأمرَ بعدكَ، يا آمِرَ المُؤمِناة؟»

ـ ف ـ

فُسْحَةٌ في مدائنِ حُلْمي ـ أتقدّم فيها أتشرَّد فيها،

لا رفيقٌ ولا عابرٌ

غير ما يتموَّجُ في نَاظِريّ

لِأَقُلْ إنّني أَتَمَرْأى

ومَراياي عَنّيَ مِنّي إِلَيّ.

الإشارة إلى يزيد بن عبد الملك الذي اشتهر بحبّه هذا، سنة ١٠٣ هجريّة.

وَثنّى الرّاوي،

قالوا:

ـ «ماذا تتمنّى الآنَ، وأنتَ تموتُ؟

ـ «حَبابَهْ».

حوار بين يزيد بن عبد الملك وهو يحتضر، وأحدِ الذين حضروا موته.

* أَلرّبيعُ يقولُ، وقالَ الخريفُ وقال الشّتاءُ:
يَلبَسُ الأفقُ ثوباً طويلاً
لِكَيْ يُحسِنَ البُكاءْ.

وَثنّى الرّاويه:

أَلرّجالُ مَعَانٍ في كتابِ الحياةِ ـ النّساءُ الصُّوَرْ.

○ قال الرّاوي:

جاؤوا، شهدوا ليزيدِ:

«كلاّ، ليس على الخلفاءِ

حسابٌ،

كلاّ،

ليس على الخلفاءِ عذابٌ».

- ص -

إنَّهُ المُنقَلَبْ:

ألبيوتُ شِبَاكٌ

والكلاَمُ الذي يغسلُ الأَرْضَ، يَذْوي.

نتدحرجُ في كُرَةٍ من لَهَبْ،

أَلنّجومُ التي رسَمَتْنا تتخبَّأُ مِنّا.

يزيد بن عبد الملك، وقيل كان هؤلاء الشهود شيوخاً وكان عددهم أربعين، سنة ١٠٤ هجريّة.

* أَتُراهُ ـ حاضري مُوثقٌ كأمسي
وأنا مِثْلهُ؟
أَتُرانيَ أحيا ـ أَموتُ وحيداً لنفسيَ
داخِلَ نفسي؟

○ قال الرّاوي:

خَرجَ العَبْديُّ،

وماتَ قتيلاً، جاءَ هلالٌ بَعْدَهُ ـ

ماتَ قتيلاً.

وَثنى الرّاوي:

أَمَّروا مُصعَباً عليهم،

أَمَّروا معه أُختَه،

قتلوهم جيعاً ـ

واحداً واحداً.

ـ ق ـ

زَمَنٌ للسّقوطِ، وشِعريَ هَدّامُهُ الرّجيمْ،

أَلمدائِنُ مُمهورةٌ

بخواتم أَنقاضها،

والدُّروبُ إلى كلّ أرضٍ

وَهَنٌ، أَو دَمٌ، أو غَضَبْ.

وأنا لا أَقُصُّ الشّقاء، وأَنْفرُ مِن وَصْفهِ.

زمَنٌ لِلسُّقوطِ، وشِعْري

كوكبٌ يُرْتَقَبْ

دعوةٌ للهبوطِ إلى آخرِ الجحيمْ.

* ينزل الشاعرُ في التّيهِ،
كَمَنْ ينزلُ بيتاً، ـ
هكذا يحمله الكونُ إلى محرابهِ،
ويرى السِرَّ عِياناً.

الإشارة إلى مسعود بن أبي زينب العَبْديّ

وهلال بن مدلج

ومُصْعَب الوالبيّ

وهم جيعاً من الخوارج في الموصل آنذاك سنة ١٠٤ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

قال يزيدٌ:

«ما عُمَرٌ

أحوجُ منّي إلى رَبّهِ».

وسارَ في دَرْبِهِ،

لكنّه لم يكملِ المسِيرَهْ،

وغيّر المسارَ والسِّيرَهْ.

وَثنّى الرّاوي:

ماتَ يزيدٌ،

وبعهدٍ منهُ،

جاءَ هشامٌ.

- ر -

أَصْدقائي - كأنّي أَراهُمْ

يجلسون ويَروونَ أحلامَهمْ:

أُفُقٌ في يَدٍ

كوكبٌ في يَدٍ.

وكأنّي أَراهُمْ

يُقْبلونَ على صَهَواتٍ

أَسْرَجَتْها تباريحُهمْ

زَمَناً آخراً

يَصهر الأرض في حبّهِ

ويغيّر ميثاقها.

* لِيغِبْ ما تَبقّى
من ضياءِ الطّريقْ:
لِلعداوةِ وَجْهُ الحياةِ، وللموتِ وَجهُ
الصّديقْ.

يزيد بن عبد الملك والإشارة إلى عمر بن عبد العزيز

هشام بن عبد الملك، سنة ١٠٥ هجريّة.

○ حَدَثَ الزّاويةُ،

ذاهِلاً، باكياً:

مُضَرٌ أو ربيعةُ:

حَزبٌ وَقَتْلٌ، -

مُعجَمٌ واحِدٌ لِلهداية والغَيّ مِنْ آدَمٍ،

وأساطيرِهِ، وسلالاتهِ الحيّةِ البائدةِ،

يَتَنَزّلُ في لغةٍ واحِدَة.

- ش -

أَصدقائي - كأنّي أراهُم

يَجْمَعُونَ ويَبنونَ مِن طينِ أيّامهم

مُدُناً للغضَبْ،

أَيْقَنوا أنّ تاريخهم

وينابيعَهُ

تتفجّر في شَهَواتِ اللّهَبْ.

زِدْهُمُ حيرةً وافْتِتاناً،

أَعِدْهم إلى نارِهِمْ،

وارْتَفِعْ فوقهم رايةً

أيّهذا الغَضَبْ.

سنة ١٠٦ هجريّة.

---

* خطاياي مثليَ،
أَنْأى وأَوْسَعُ مِن كلّ أرضٍ،
وكلّ سَماءٍ.

○ حَدّثَ الرّاويهْ:

- مَكّةُ موطِنٌ صالِحٌ للشّتيمةِ - شَتْمُ عليّ صَلاةٌ.

- ما قدمْنا لشتْمٍ، قدمنا لِحَجٍ.»

وَثنَى الرّاويه:

الرُعينيُّ يخرجُ مع صَحْبهِ -

قُتلوا كلُّهم:

واحداً، واحداً.

وَثنَى الرّاويه:

خارجونَ دعاةٌ

في خراسان، لكن

صلبوا كلُّهم، بعد تقطيع أطرافِهِمْ.

- ت -

كادَ أَنْ يَتخلّىَ التّرابْ،

من شقاءٍ ورُغبٍ،

عَنْ نباتاتهِ، -

هكذا - قدمايَ على الأَرْضِ،

لكنّ لي فَرَساً في السّحابْ.

* مثلما علّمهُ الفجرُ الذي أسْلَمهُ اللّيلُ إليهْ،
يحضنُ الكونَ، ويدعو الشّعرَ
كي يَرسُمَ وَجْهَ الأرضِ في ضَوْءِ يدَيهْ.

حوار بين هشام بن عبد الملك وأحد أحفاد الخليفة عثمان، في أثناء الحجّ، سنة ١٠٧ هجريّة.

عبّاد الرّعيني في اليمن، وقيل كان عدد أصحابه ثلاثمئة.

دعاة عبّاسيون.

○ قال الرّاوي، وهو يُقلّب أوراقاً ويُدَقّقُ فيها:

سَيْفٌ مكسورٌ

في خاصرةٍ،

رأسٌ يتدحرجُ في أجرافٍ ناريّة،

رَقْصُ رماحٍ في حلبات دمٍ، عَمياءَ،

موسيقى لاهوتيّة، ـ

يا لليأسِ! أليفٌ

مِثْلَ الخُبْزِ،

ومِثْلَ الماءْ.

ـ ث ـ

غالِباً،

يُوهِمُ العُمْقُ: يبدو فَراغاً وسَطْحاً.

ـ ما الّذي قُلتَهُ؟ أَعدِ المسألَهْ.

ـ سَوفَ تَبْقى طويلاً طويلاً

لكي تَتَلَمَّسَ باباً لِشِعري،

ولكي تَدْخُلَهْ.

---

* شَرِبَ اليأسُ ماءَ الرّجاءِ، وصَيَّرَ إبريقَهُ دواةً

والطّيورَ غيوماً ـ جَمَّدَ الماءَ فيها:

ما الذي يقصُدُ الشّاعِرُ

أيُّها الولَهُ السّاحِرُ؟

○ وَثنى الرّاوي:

خَوْفٌ خَوْفٌ

مِّما نعرفُ،

ممّا نجهلُ،

مِمّا كُنّا ـ مِمّا سَنكونُ.

وَثنى الرّاوي:

إن كنتَ نَقِيّاً مَغْموساً

في آلاء الشّمس،

لن تَلْقى بيتاً تسكنُ فيهِ، إلاّ اليأسْ.

- خ -

ليس بين المكانِ وبينيَ غيرُ الوُضوحْ

غيرَ أَنّيَ سَأبقى غموضاً،

وأُوثِرُ ألاّ أبوحْ، -

لم يَحِنْ بَعْدُ وَقْتي، وأغانيَّ مكتوبَةٌ

بلغات العُصورِ ـ الأجنّةِ،

فَلْيَسْمحِ الشّعراءُ

إنْ خَذلْتُ نبوءاتِهِم،

وتَنَوّرتُ وَجْهَ المجاهيل،

وَلْيسمحِ الفُقَهاءُ.

* يَتماهىَ مع الصّبواتِ التي تَتَبَجّسُ
مِن عَتَماتِ الجسَدْ،
يَتماهى مع الشّعر- يقرأُ ما لا تَرَاهُ
الرّياحُ
وَما لا يَقولُ الزّبَدْ.

○ قال الرّاوي، يَسْأَلُ:

أَهْلُ الذمّةِ،

أَهْلُ الجزيَةَ ـ

أَتجوزُ عليهمْ

إنْ كانوا

مِن أَهْلِ الكِذْيَة؟

ـ ذ ـ

تعبت هذه القافِلَهْ

كيف تأتي وتَرْتاحُ في كَنَفِ العَصْرِ، والعَصْرُ يَبْحَثُ عَمّا يَفِيءُ إليهِ؟

وتماثيلهُ، وتآويلهُ

لُغَةٌ آفِلهْ.

تعبت هذه القافِلَهْ

سنة ١١٠ هجرية.

أُرسُموا شَكْلَها في كتابِ

وَلْتَرِثْها المنابرُ ـ أحفادُها،

والأقارِبُ، والعائِلَهْ.

---

* ما تُرانا؟ كتابٌ
أَمْ لغاتٌ تُوَسْوِسُ أحشاءنَا
ونهاجرُ منها، كي نُحرِّرَ إيقاعَنا
من سلاسلِ إيقاعِها،
في لُغاتِ سِواها؟

- ض -

أَتُراني مللتُ يَقِينيَ في كلماتي

ومللتُ القُصورَ التي هَدَمْتُها

والقُصورَ التي شَيّدَتْها،

ومللتُ الرُّقَادَ على صَدْرِها

وصُعودي إليها،

وهُبوطيَ فيها -

وأنا الآنَ أسْأَلُ هذا الفراغَ:

تُرانيَ، ماذا سأفْعَلُ مِن دُونِها؟

* قـال: لا وَقْـتَ فـي الأرض، إلاّ لِكَيْ نجعلَ الأرضَ شِعْراً.

○ حَدّثَ الرّاوية:

إنّه سوْرَةٌ

يتقلّب في النّار، -

في النّار يُقْذَفُ أصحابهُ كلّهُمْ.

وَثنّى الرّاويه:

لابْنِ بَسْطامَ هذي الفَساطِيطُ مرفوعَةٌ، ولأصحابهِ،

كبيوتٍ من الغَيْم - فيها

قُتِلوا كُلُّهم.

وروى بَعضُهم قائلاً:

بَعْدَ حينٍ، مَرَرْنا بِهم:

موضِعٌ كان يَعْبَقُ مِسْكاً.

الإشارة إلى سَوْرَة بن الحرّ الذي حُرِق هو وأصحابه، وكانوا أحد عشر شخصاً، سنة ١١١ هجريّة.

عبد الله بن بسطام.

○ حدّثَ الرّاويهْ

هاذياً يتصفَّحُ أوراقَهُ:

مَطْبَخٌ لِلرُؤُوسِ:

القُدُورُ القصائِدُ،

والنّارُ ألفاظُها.

لاتَسَلْ، ـ ألسُؤالُ

عن الضَوءِ بابٌ إلى اللّيل.

كانوا يُقْذَفون إلى حُفرةٍ مِثْلَ أكداسِ قَشّ:

هَلْ سألتَ عن الرّوحِ؟

«من أمْرِ ربّي».

لا تَسَلْ،

يُقْذَفونَ إلى حُفرةٍ لا مكانٌ لهم

خارجَ المقبَرهْ

كيف يُقتَلُ

أبناؤهم وأحفادُهم:

تلك خاتِمةُ المَأْثُرَهْ.

ـ ظ ـ

عاشِقٌ وَلَهَ الثائرينَ ـ

الفُراتَ وآفاقَهُ والأعَالي

أُوقِظُ الأرضَ مِن نَوْمِها وأُغَالي.

جَسدي، مِثْلَ تاريخِ هذا الزّمانِ،

مَليءٌ بكلّ العروشِ التي دُمّرت،

وبكلّ العروش التي لا تزالُ تُرقِّعُ

تيجانها.

هكذا ـ نُقْطةً، نقطةً

أتَقَطّرُ، أَنْسالُ بين جرارِ الزَّمَنْ

وَطَناً آخراً،

وطناً لِلوطَنْ.

* لا غيومٌ ترنّ خلاخيلُها، ـ
ألحقولُ اكتستْ بزفير نباتاتها،
والغُصونُ انقباضٌ
في وجوه الشَّجَرْ:
هَل يَجيءُ المطَرْ؟

○ قال الرّاوي ـــــــ

كان يُقلّب أوراقاً

ويُدقّقُ فيها ـ:

قَتْلٌ قَتْلٌ، كلُّ صباحٍ

أَثَرٌ مِنهُ خَبَرٌ عنهُ.

سَمّتْهُ الفَتوى شَرْعاً يَتوغَّل فينا،

سَمّيناهُ مَهْوى

يَتوغَّلُ فينا.

ـ غ ـ

نَجمةٌ ـ

لَبِست صُورَتي

وأَنا أترصَّدُ حِمصاً وأَقْرأ ثُوّارها.

لم أقلْ هذه نَجْمتي

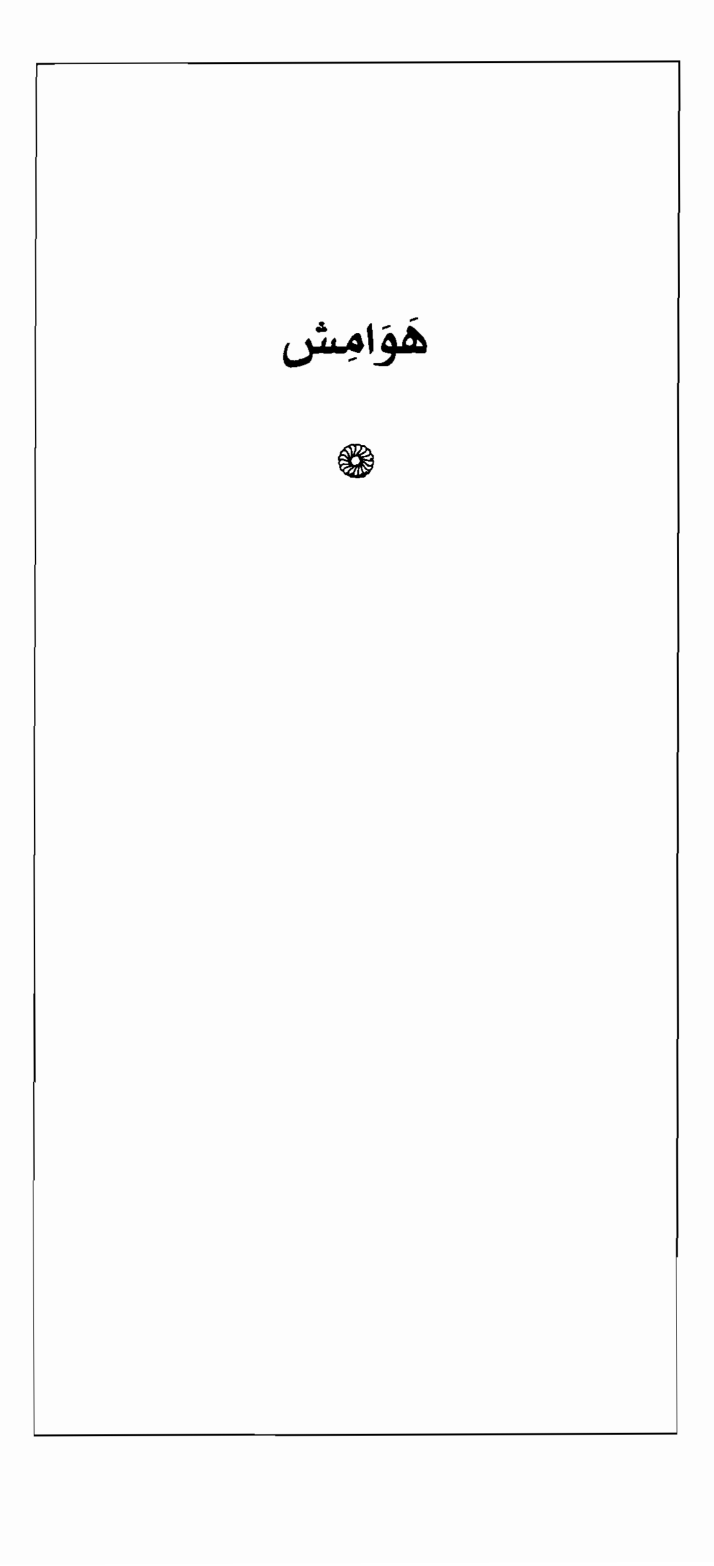
وهَواها هَوايَ ولي عُزْيُها البَهيّ ـ

لَبِستْ صُورتي

وأنا لم أقلْ ضوءُها نماني وفَوّضَ

أَسْرارَهُ إليّ.

* وَطَنٌ لا يُولَدُ، أَو لا ينمو
في حضْنِ قَصيدَهْ،
رِئَةٌ مَسْدودَهْ.



هَوَامِش

- I -

طُوَيس

كان يُسمَّى طاووساً

لكن، منذ تَغنَّى بالكلماتِ وبالأشياء، تغيَّر (قِيلَ: تَخَنَّثَ)، صارَ طُوَيْساً.

أوّل مَنْ زَيّنَ حَبْلَ الصَّوتِ، وآخَى

بين الحَرْفِ وصَوْتِ الدفّ، وَمَدّ الموسيقى

طُرقاً تتقصَّى

أرض الأحلامْ،

أوّل مَن غَنّى في الإسلامْ.

- II -

الوليد بن يزيد

لِمَ لَمْ تَرْفَعْ تمثالاً بعد القَتْلِ؟
يَراكَ العابِرُ، يقرأ في قسماتِكَ شِعْرَ
اللّحظة، يَسقي
لُغَة الأبديّهْ
بدمِ الحريّهْ -
لِمَ لَمْ تُرْفَعْ تمثالاً؟
هل صَنَمُ الفِكْرَهْ
أعلى،
أو أكثر طُهْراً
من صَنَمِ الصّخْرَهْ؟
شَكّي لا يرويهِ أيّ بيانٍ.

- III -

جميل بثينة

بَعْد أن يتسامرَ مَعْ نَخْلةٍ

راسِماً وَجْهَ بَثْنَةَ في جَذْعِها،

في الصّحارَى وغِزْلانِها،

يفتح الشعر أحضانَهُ

يَفتح الحبّ أحضانَهُ

للجمالِ ـ لميعاده المُستَهامْ

في سريرِ الكلامْ.

- IV -

قيس المجنون

هائِمٌ، كلُّ ما حولهُ يتكوّرُ نَهْدينِ، لكن لا
يَرى فيهما غَيْرَ عينينْ - معراجهُ

بين حلْمٍ وحلْمٍ.

كلَّ يوم، يُخاطُ لأجفانهِ حجابٌ

ويُقادُ إلى حُفرة.

والطّريقُ التي يتقرّى - لا إلى سَكْرةٍ

من جرار الجَسَدْ:

أَلطّريقُ إلى لا أحَدْ.

فَبحقّ السّماءِ،

لِمَ، يا قَيْسُ، هذا البُكاء؟

- ٧ -

عمر بن أبي ربيعة

قوموا، نَسْتَقْبِلْ عُمراً

نَسأل كيف يعودُ الشّاعِرُ من رحلتهِ في جِسم امرأةٍ؟

قُلْ، يا عُمَرُ

كيف تؤالِفُ بين التّاريخ ونَهْدِ أَبْهى مِن وَطَنٍ؟ كيف تقول المرأةَ إن لم تتمثَّلْ فيها كلّ دِمشْقٍ؟ إن لم تقرأ فيها الأرضَ؟ أتصمتُ؟ هل تخشى

أن تسبقك الجدرانُ إليها،

ويخونَك خلف الجدرانِ المعنى، وتخونَ الصُّورُ؟

ما لك تصمتُ؟ ماذا؟ أيطوّق رأسَكَ جُنْدٌ؟ أهنالكَ مَن يَتَخَفّى؟ مَن يقتلُ، أو مَن يأْتَمِرُ؟

قُلْ، يا عُمَرُ.

- VI -

الأخطل

فَتحَ الشّعر للأخطلِ البابَ: أَيقظَ ما خلفهُ
من كوامنَ، من مُبْهماتٍ
وتدثَّر بالسرّ، لا فاصِلٌ
بين خَمْر الحياةِ وخَمْرِ الإلهْ.
سكَرٌ في العروقِ، ولا تاجَ غيرُ الكؤوسِ،
تُدارُ عليها الرؤوسُ،
ولا فاصِلٌ
بينَ ما تُخْبِىءُ الضّلوعُ وما تُعلنُ الشِّفاهْ.

قال مرّة يخاطب شاعراً:

«لو نَبَحتِ الخمرة في جوفك، لكنت أشعر النّاس.»

- VII -

عبيد بن أيوب العنبري

نَخْلَةٌ - يقرأ الرّملُ أيّامه تحتها

وكأنّ لها مُقلتين، وتُصْغي، -

أَذئابٌ عَوَتْ؟ أمْ عُبَيْدٌ يمرُّ؟

وحيدٌ؟ أم تُؤانِسهُ ذئبةٌ؟

قِيلَ: كانَ الطّريدَ الشريدَ، صديقَ البراريِّ، أو قيلَ: زَاغْ

لا يُصاحِبُ غيرَ السّعالي، ويَسْتَنْسِبُ الظّباءَ طعاماً لَهُ،

نافِراً مِن مَهَبّ الخليقةِ، مُستسلِماً

لِمَهَبّ الفَراغْ.

- VIII -

الأحيمر السَّعدي

تلك ظِباءٌ تتساءَلُ عنكَ: أأنتَ صديقٌ؟ أم أنتَ عدوٌّ يتربَّصُ؟ ماذا بين يديك؟ أسَهْمٌ؟

تلك ظِباءٌ: وَرْدٌ يتنقّلُ يكسو جسدَ الصّحراءْ

لا تتقلَّدْ سيفاً

لا تتنكّب رمحاً

لا تطلب إلاّ الشّمسَ وإلاّ الماءْ.

هل أنتَ صديقٌ؟

وَجِّه سَهْمَكَ نحو صدورٍ أُخرى.

- IX -

العَرْجيّ

قَيّدوهُ، وأُلْقِيَ في السّجن تِسْعَ سنينٍ، ماتَ فيهِ. رَووا أنّهُ كان شخصاً كريماً، فارساً، بين أَفْضلِ مَنْ أنجبتْهُمْ قُرَيشٌ.

قال في سجنهِ:

«أضاعوني، وأيَّ فتًى أضاعوا».

قَبْرُهُ - مطَرٌ نازِلٌ فوقَهُ

يتدفّقُ مِن سُرّةِ الغيومِ،

ومن بين أفخاذِها.

انْقُشوا فوقَهُ:

غِبطةٌ أن يُعاشَ الجسَدْ

في سَريرِ الزّبَدْ.

قتله محمد بن هشام المخزومي، عامل مكة، لأنّه، كما قيل، تغزّل بأمّه وبزوجته. وقيل إنّه يقصدهما بقوله:

- أ -

«نلبثُ حولاً كاملاً كلّه، لا نلتقي إلا على منهج

في الحجّ، إن حجّتْ، وماذا مِنىً،

وأهله إن هي لم تحُجج؟

- ب -

أماطت كساء الخزّ عن حُرّ وجهها

وأرخت على المتنين بُرْداً مُهَلْهلا

من اللاّءِ لم يَحُجُجنَ يبغين حسبة،

ولكن ليقتلن البريء المغفّلا.»

- X -

ذو الرّمة

في الخيام التي رسمتها النّساءُ

بمناديل أحلامهنَّ - الخيام التي تتشرّدُ

بين القصائدِ، كان لِميّة أن تُجلِسَ السّماءَ

تحت أردافِها.

شقَّ غيلانُ قلبَ الفضاءِ، وأودعَ فيهِ أساريرَ ميّةَ، أَوْدعَ فيه سراويلَها:

ما أبانَتْ وما حجبتْهُ،

والفراشَ الذي زيّنَتْهُ لَهُ.

هُوذا طيفُها بين أهدابِهِ

يتموّجُ، يعلو ويهبطُ في جسد الأرضِ،

في طبقات الهواءِ.

VI

وَجُبْتُ هَجيراً يترِكُ الماءَ صادِيا

المتنبي

○ قال الرّاوي:

ذات يَوْمٍ،
أَحبَّ هِشامٌ
خَلْوةً في الرّصافةِ،
مِنْ دون غَمٍّ
لم تكد تُشرِقُ الشّمسُ
حتّى أتَتْهُ
ريشةٌ مِن دمٍ في دمٍ:
«ـ آه، لا يومَ لا يومَ،
مِن دونِ غَمٍّ.»

وَثنّى الرّاوي:
هل تُشرقُ شمسُ اليومْ
في قَرْنَيْ شيطانٍ؟
خيرٌ أن أَمْضي لِلنّومْ.

ـ أ ـ

حِمْصُ، ـ
غابَةُ نَخْلٍ كان هواي يدورُ ويَشْطَحُ
فيها ـ حيناً، وَيُراقِصُها حيناً.
أَتُرى ـ لَيْلَتُها
كانت ليلةَ قَدْرٍ؟

* أرضٌ ـ قطعانُ غيومٍ
يَرْعاها رَعْدٌ أعمى.

الإشارة إلى هشام بن عبد الملك، برواية الإمام الشافعي، والعبارة الأخيرة لهشام نفسه، سنة ١١٤ هجريّة.

○ حَدّث الرّاوِيَة:

«حَبّةٌ واحِدَة
تُبَاعُ بأكثر مِن دِرْهَمٍ
في الثغور القريبةِ،
في الهندِ. أنتم
تَشترون رغيفاً
بِدرهَمْ،
فلماذا شكاواكُمُ؟
إنّني عالِمٌ بالسّرائرِ،
واللّهُ أعْلَمْ.»

- ب -

إيقاعُ دماءٍ
يأتي في خطواتِ الفَجْرِ - الفَجْرُ قريبٌ،
هَلْ أحَدٌ
يُصْغي؟
ينصحُ ذاك الشّاعِرُ*
أنْ أتخلّى - عَنْ أحبابي، عنّي.
هُوَ مأمورٌ طَوْعَ الآمِرْ
وأنا أَمْرِيَ مِنّي.

* بَعْدَ أن يتسامَر مع نَخْلةٍ في الخَفاءْ،
يَفْتحُ الشعر أحضانَهُ لِلنّجوم وآياتِها
حين تأتي لميعادِها في فراشِ المَساءْ.

كلامٌ لوالي خراسان، موبّخاً أهلها، سنة ١١٥ هجريّة.

الإشارة إلى الشاعر الصنوبري، محمد بن أحمد الضبّي.

- ج -

لُؤْلؤٌ -

يحشدُ الجُنْدَ. هل سَيُغيرُ علينا؟

من بعيدٍ - تِلالٌ (تُراها قوافِلُ؟) هل

يُقْبِلُ الموتُ من هذه الجهاتْ؟

كيف؟ مِن أين يخرجُ؟ ماذا؟ لَمِ الخوفُ؟

سُحْقاً لهذا التَّصدُّعِ، - مِن أين لي

هذهِ التُّرَّهاتْ؟

* إنّها الشّمسُ تمسح وَجْهي بمنديلها، -
تَعَبي، اليومَ، فَجْرٌ.

○ قال الرّاوي:

- «إنْ أدركتَ جُنيداً

وبهِ رمَقٌ، أَزْهِقْ روحَهْ.»

كان جنيدٌ قد ماتْ.

ومضى عاصِمٌ يُعذِّب

عُمّالَهُ ويزجّ بهم في السجونْ

«- كيف لم تعلموا،

كيف لا تعلمونْ؟»

وَثنّى الرّاوي:

حربٌ بين الحارثِ

إبنِ سُرَيْجٍ والوالي عاصِمْ:

لا تمييزٌ

بين بريءٍ أو آثِمْ.

لؤلؤ الغوري أمير حمص.

رسالة من هشام بن عبد الملك إلى عاصم بن عبد الله الذي ولاّه على خراسان، بعد عَزل واليها الجنيد لأنّه تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن المهلّب، سنة ١١٦ هجريّة.

الإشارة إلى عمال الجنيد.

الإشارة إلى الحارث بن سريج وأصحابه. بايعوا الرّضا، ولبسوا السّواد، ولكن هُزموا، ومات جمعٌ كبيرٌ منهم، غَرَقاً، سنة ١١٦ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

جَرُوا موسى

بلجام حمارٍ، دَقّوا أنفَهُ

كَسَرُوا وَجْهَهُ.

- لا حَقّ لكم

- أفتنطِقُ، أيضاً؟

جُرُوهُ، وَلْيُصْلَبْ.

- د -

مَن أُحَارِبُ؟ أين العدوّ الجميلْ؟

أأُحارِبُ غُورِيَّهُم

ونواطيرَهُ

والذين يعيشونَ - مَوْتاً

في سراويلِ صِبْيانِهِمْ؟

لؤلؤ الغوريّ

وَثنّى الرّاوي:

شَهِدَ الأَزديُّ،

وكان إليهِ الأقربُ:

«موسى جاري،

وَهو بَريءٌ»

- فَلْيُصْلَبْ.

مَنْ أحارِبُ؟ سُحْقاً لِعصريَ

سُحْقاً لهذا الزّمانِ الهزيلْ.

الإشارة إلى موسى بن كعب، وإلى ما فعله به أسد بن عبد الله والي خراسان، بعد عاصم، سنة ١١٧ هجريّة.

* إفتحْ صَدْري -
سَترى فيهِ
طائرَ تَمٍّ وفُراتاً أَخْضَرْ
يَسْبَحُ فيهِ وَرْدٌ أَحمَرْ.

○ حَدّث الرّاويَة:

عن خُداشٍ -

أباحَ خداشٌ للمحبّينَ

والأصدقاء الذين

استجابُوا إليه، النّساءَ،

قال: بَعْضٌ لِبَعْضٍ كساءْ.

لكن القَتْلُ، كان الجزاءْ.

- هـ -

كامِنٌ - حاضِرٌ

في العقولِ، النوايا،

الزوايا،

الأزقّةِ،

في كلّ دربٍ،

وأُخمِّنُ: رأسي

رُبّما اليومَ، أَوْ في غدٍ

سيدلّى فوق صدَرِ المكانْ

وَيُقالُ: قتلناهُ - ذاك الشعوبيَّ

هُرطوقَ هذا الزّمانْ.

* من أنْتَ؟ تسائلني مرآةٌ:
هل أظْهرُ - هل أتمرأى بقناعٍ آخَرَ
أم أكسرُها؟ هذي مِرْآةٌ
لا تعرفُ كيف ستخرجُ من
وَجْهي.

الاسم الأصلي لخداش هو عمّار بن يزيد،

سنة ١١٨ هجريّة.

وَثنّى الرّاويَة:

في كلامٍ يُعَنِّفُ ماءَ المَطرْ:

أنتَ لا تعرفُ الشّهواتِ

التي تتأجّجُ بين ثُدِيّ الشّجَرْ.

○ حَدّث الرّاويَة:

ـ «خُذ وشُدَّ عليك

القَصَبْ

وافعلوا مِثلَهُ.»

صَبَّ نفطاً عليهم،

أَضْرَمَ النّارَ فيهم:

تَجلّوا وغابوا

في لباسِ اللّهَبْ.

وَثنّى الرّاويه:

ألمغيرَةُ؟ قالوا:

كان يأتي إلى المقبره

يتكلّم، يأتي جرادٌ

كمثل النّشوز

ويُغطّي جميعَ القبوز.

وَثنّى الرّاوي:

صوتُ سماءٍ مَخنوقَة

يتموّجُ يَهْذي

في هذي الأجسامِ المحروقَة.

ـ و ـ

حُلْمٌ، ـ

موتٌ

يَجْري في الأشياءِ، وفي الكلماتِ

يُزَلْزِل مُوسيقاها ـ

يُوغِلُ في الإيقاعِ،

وَيَشْطَحُ في طبقاتِ الصَّوتْ.

مَوْتٌ ـ

يُعطي لِلمعْنى

وَجْهَ الماءِ ـ يُميتُ الموتْ.

* لربيعٍ ثانٍ،

أَزْرَعُ زَهْراً آخرَ ـ جِسْراً

بين غُبارِ الطّلْعِ وبيني.

الإشـارة إلى الـوالي خـالـد القسْري مخاطباً المُغيرة بن سعيـد العـجليّ وصحبَه. كانوا، فيما قيل، ثمانية يُسَمّون الوُصفاء.

وكان بينهم شخص يُسمّى بيان، ادّعى النبوّة زاعماً أنه هـو المراد بهـذه الآيـة: «**هـذا بـيانٌ لـلـنـاس**»، سنة ١١٩ هجريّة.

- ز -

ناقتي - أَمسِ، لم يتقدّمْ
نحوها أيُّ نَجْمِ.
غُرَفُ اللّيل قَفْراءُ، والضّوءُ يكبو
عند أبْوابِها.
أَتوهَّمُ؟ لكنّ ذهني حديدٌ
وَخَفَّ الزّمانُ على شفتيَّ،
وخَفَّ المكانُ -

بَلى، أَلْبَسُ اللّيلَ ثَوْباً،
وَحُضوريَ أنّيَ غَيْبٌ.

* قال للغَيْبِ: خُذْني إليكَ،
لِأَبْقى كمثلكَ - طَيْفاً.

○ حدّث الرّاويَة:
خَرَج البُخْتَريُّ وأصحابه -
هُزِموا وأُبيدُوا.

وَثنّى الرّاويه:
أَلصّحاريُّ يُقتَلُ
مع صَحْبِهِ كلّهم،
وابنُ بِشْرٍ وأصحابهُ
يُقْتلونْ:
لا يفيد الخروجُ،
ولكن،
إنْ تقلْ ذاكَ، يَسْخر مِن قولك
الخارجونْ.

وَثنّى الرّاوي:
شُدُّوا في قَصَبٍ
صُبَّ عليهم نَفْطٌ
نُصِبوا في الكوفةِ،
في رَحْبَتِها
ورموا بالنّارِ، - وزيرٌ
لم يتحرّكْ
صار يُرتّلُ آيات اللّهِ إلى أنْ
غلبته النّارْ.

الإشارة إلى الصّحاريّ بن شبيب، وإلى البهلول بن بِشر، واسمُه كُثارَة: أراد أن يجيء إلى دمشق، ويقتل الخليفة، وكانت جماعته دونَ المئة، سنة ١١٩ هجريّة.

الإشارة إلى وزير السّختياني الذي خرج مع نفرٍ من أصحابه، في الحيرة، على الوالي خالد القسري، سنة ١١٩ هجريّة.

○ أخبرَ الرّاوية:

قِيلَ: زَيْدٌ رأى أنّه

أَضرمَ النّار في نَوْمِه

في العراقِ،

وأَطفأَها وانطَفأ.

وَثنّى الرّاوي:

جَاءَ أَنصارٌ وَحَضّوهُ

لكي يخرجَ، قالوا:

«أنت منصورٌ، وأبناءُ أميّة

هالكونْ.»

- «لا يُغرنّكَ ما قالوا،

أُناسٌ كاذِبونْ.»

وَثنّى الرّاوي:

أيّامٌ تجري في أنهارٍ

حَفرتْها أجداثُ المَوْتى.

- ح -

سَأُنَقِّحُ نَفْسي - سَأَبْقى

أَتَشَتَّتُ في هَوْلِ هذي البلادِ

التي لا تقولُ

سِوى قَرْشِها (القَرْشُ كَسْبٌ وبه سُمّيت قريشٌ)،

كلُّ تاريخ هذي البلاد النّبيّةِ

قَرْشٌ وَقِرْشٌ.

---

* قَمرٌ وَثنيٌّ

يَتلألأُ في محرابِ نَبيٍّ.

الإشارة إلى زيد بن علي وإلى حلم رآه، سنة ١٢٠ هجريّة.

من حوار بين زيد بن عليّ وداؤد بن عليّ.

○ قال الرّاوي:

ـ «أَهْلُ الكوفةِ

ليسوا إلاّ ألسنةً،

وقلوبُهُم في حَزبٍ معهم.

قالَ عليٌّ فيهم:

«يا أَهْلَ الكوفةِ،

إنْ أُهمِلْتُمْ خُضْتُم،

وإذا حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ.»

وثنّى الرّاويه:

بايع النّاس زيداً

على ما يقولُ الكتابُ،

وردِّ المظالِمِ،

والفَيْءِ ـ يُقسَمُ ما بَيْنَ أصحابهِ سواءً، وَمُحاربَةِ الظّالمينْ.

ـ ط ـ

«أَلمُلْكُ لي»،

وليس لي مِن ذَهَبٍ أو فِضّة أو منزلِ،

لي رُقَعُ السّحائبِ المبكّراتِ الهُطَّلِ

لِيَ الخُزَامى ثُنِّيتْ بِصَنْدلِ

ولي دَمُ القرنفُلِ

في بَلَدٍ كمثلِ هذا الزّمنِ المُخَبَّلِ

وَلَنْ يملَّ شَغَفي، لَنْ يأْتلي

عن اقتحام الغَيْهبيّ الأَهْوَلِ.

يختتم المتنبي قصيدته في أبي علـيّ الأوراجـيّ، قـائـلاً: «فالملك لله العزيز ثمّ لي.»

من رسالة إلى زيد بن عليّ، كتبها عبد الله بن حسن، سنة ١٢١ هجريّة.

---

* زَعْزَعَتْني رياحي،
وكأنّي، فيما أسيرُ، أُخادِعُ
سَيْري، وراحلتي وجراحي.

○ حَدّث الرّاويَهْ:

ـ «قاتِلوا المعتدينْ

قاتِلوا مَنْ يقاتِلُ ميثاقنا،
وَانصحوني سرّاً وجَهْراً.»

وَثنّى الرّاويه:

نَهْرُ يعقوب قبرٌ لزَيْدٍ

فوقه الماءُ يَجري

شاهِداً وغطاءَ

سألُوا، فتّشوا، نبشوهُ

قطعوا رأسَهُ

صلبُوا جِسمَهُ بالكُناسةِ مع
صَحْبِهِ

أرْسلوا رأسَهُ لِهشامِ

عَلّقوه بباب دمشقٍ

فترةً، عَلّقوه بعد ذلكَ، في
ساحة المدينةِ،

حتّى قِيلَ: ماتَ هِشامٌ.

أنْزلوهُ بأمرِ الوليد، وأُحرِقَ:
ذابَ الرّمادُ

في هَباء البلادْ.

- ي -

أَلوجُوهُ التي مِن تُرابِ

والتي لونُها ذَهَبْ

والوجوهُ التي يتصاعدُ منها اللّهَبْ

والوجوهُ التي عشقتْني

والوجوهُ التي كرهتْني

في مَدى هذه الكُرةِ الفاسِدَهْ،

كلّها لغةٌ واحِدَهْ

من لسانِ العرَبْ.

* ما الذي نجتبيهِ، نحيّيه، في ذلك
الهبوطْ، ـ
هل نُحيِّي الأعالي وأَتْراحَها
أم نُحيّي السّقوطْ؟

من وصايا زيد بن علي
لأصحابه، سنة ١٢٢ هجريّة.

الإشارة إلى زيد، وصَحْبه
والمقرّبين الثلاثة: نصر بن
خزيمة، معاوية الأنصاري،
زياد النّهدي.

○ قال الرّاوي:

ذَنْبٌ فوق الذّنْب:

سُلطانٌ جائِر

ومُجالسةُ الموتى

وحديث المرأةِ، والثّروةُ:

خَمْسٌ يَقْتُلنَ القَلبْ.»

وَثنّى الرّاويه:

بين وقعِ الصّلاةِ،

ووقْعِ السّياطْ،

يتأرجَحُ جِسْرُ الصّراطْ.

- ك -

أَتعجَّبُ مِنّي - لا أُحِسُّ بأنّي

قادرٌ أن أُحِبّ وأكرهَ كالنّاسِ،

أُلقي شُعاعي وأمضي

شَغَفي وَصْلتي بسوايَ - بِنَفْسي

وبأغوارها

وبأهوائِها،

لا أُحسّ بأنّيَ نَفْسِيَ إلاّ إذا

انْصَهَرتْ في سِواها.

كلامٌ لمحمّد بن مسلم الزُهري الذي ظهر في ذلك الوقت، سنة ١٢٣ هجريّة.

* أيُّها الجامحُ المارِقُ -
ما أَمَرَّ الطّريق إلى الذّاتِ، في
نَشْوةِ العِشْقِ، يا أيّها العاشِقُ.

○ قال الرّاوي:

«بِسؤالِكَ

تصطادُ العلمَ كما يُصطادُ الوَحْشُ:

العِلمُ خزينَة

وسؤالُكَ مِفتاحٌ.»

وَثنَى الرّاويه:

«دارُكم وَحدها، تتغيَّرُ، أنتم

للبقاءِ خُلقتُم،

ولم تُخلَقوا للفناء.»

وَثنَى الرّاويه:

«أيّها النّاسُ ضَحُّوا

فأنا سأضحّي بِجَعْدِ

زَعَمَ: «اللّهُ لم يتَّخِذْ خليلاً

ومُوسَى لم يُكلِّمْهُ»،

ضَحّوا ـ يقبل اللّهُ مِنكمْ».

ـ ل ـ

كلُّ هذي النُّجومْ

جُثَثٌ أَوْ صَدَى حَشْرجاتٍ.

كلام لمحمد بن مسلم الزّهري

ليس لِلشّعر غيرُ الهُجوم وغيرُ الفتوح، وَلاَ، لستُ من هذه اللّغة النّبويّة إلاّ لأنّ موازينها

وتفاعيلها وتصاريفها

كلام لبلال بن سعد.

لغةٌ في الهُجومِ وأُنْشودَةٌ لِلهُجومْ.

من خطبة لوالي الكوفة، خالد القسري، يوم الأضحى، عندما ذبح الجعد بن درهم في أصل المنبر في الجامع، سنة ١٢٤ هجريّة.

* لا تَسَلْ عن زَمانٍ وراءكَ، وَارْسُمْ على وجهكَ الصَباحْ،
ما مَضَى جسَدٌ مِن جراحٍ ـ لا يجيءُ لِيَلْقَاكَ إلاّ على فَرسٍ مِن جِراحْ.

○ حَدّث الرّاويَة:

ها هِيَ الجَوْزَجانْ

ساحَةٌ يتوهّجُ فيها

جسم يَحيى - مُدَلَّى.

أرسلوا رأسَهُ لِدمَشْقٍ،

بَقِيَ الجسمُ حيث دُلِّيَ، حَتّى

مجيىءِ أبي مُسْلمٍ.

أنْزلوهُ وَصلّوا عليه.

بعد أن دفنوهُ، قتلوا القاتلا،

خطبُوا: سَنُغيِّرُ هذا الزّمانَ،

ونَستأصِلُ الباطِلاَ.

وَثنّى الرّاوي:

يُقال، في روايةٍ -

«أَحرقَهُ الوالي

رَماهُ في قَوْصَرةٍ

أَلقاهُ في سفينةٍ

وفي الفرات ذَرّهُ.»

- م -

وَضَعُوا قِرْمَةً مِن خَشَبْ

في يديَّ، وفي قدميَّ، وعُنُقي

ورَمَوْني إلى السّجنِ ضَلُّوا:

عبثاً يُسْجَنُ النُورُ. هذا المَدَى

يتزوّدُ مِن جمْرِ شِعري

لَهباً يُطْفىءُ اللّهَبْ

لَهباً يُشعلُ اللّهَبْ.

* أَلمدينَةُ حنجرةٌ داميهْ
يتقطَّرُ مِنها أنينٌ:
لا تُراز الحياةُ بغير الفواجعِ - رائحةً
غَادِيَهْ.

الإشارة إلى يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، سنة ١٢٥ هجريّة.

○ حَدّث الرّاويَة:

قطعوا رأسَهُ

نَصبوه على رأسِ رُمْحِ

وطافوا به في دمشقِ

وصفوهُ: «ماجِنٌ، فاسِقٌ.»

وَثنى الرّاوي:

قال الذَّهبيّ:

«لم يَكُ زنديقاً أو كافِرٌ،

لكن، كان شروباً للخمر، وَلوطيًّا.»

وَثنى الرّاويه:

- أ -

«كان جميلاً، شاعِرٌ.»

- ب -

«رأيتُ الوليد بن اليزيد مباركاً

شديداً بأعباءِ الخلافةِ كاهِلَهْ.»

وَثنى الرّاوي:

يا للّغةِ المَوْءُودَهْ

تحت جليد الأرض الموعودَهْ.

- ن -

- زنْديقٌ

- ثائِرٌ

- وشعوبيٌّ هذا الشّاعِرْ

- وقرامِطةٌ فُسّاقٌ أَصْحابُهْ

- فَلْيُقْتَلْ

- كَلاّ،

كي يتذوّقَ أَقْسى نَبْذٍ

يُرْمَى في حَبْسٍ،

ويُغَلّقُ حتّى الموتِ، عليهِ بابُهْ.

* لا يغلبهُ إلاّ ضوءٌ أبْهى مِنْهُ

والضّوء الأبْهى مِنْهُ - فيهِ، وعَنْهُ.

الإشارة إلى الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، سنة ١٢٦ هجرية.

فتوى الذّهبيّ مأخوذة من تاريخ الخلفاء للسيوطيّ.

القولان الأخيران للشاعرين مروان بن أبي حفصة، وابن ميّادة.

○ قال الرّاوي:

«لا مَا قالا يكسرُني،

لا ما قُلتَ يُغرِّر بي، -

واللهِ سأجبي المالَ،

كأنّي أحيا أبداً،

وسأصرفهُ صَرْفَ قديرٍ،

سيموت غداً.»

وَثنّى الرّاوي:

يُنسَب هذا الشعر إليهِ:

«تُهددني بِجبّارٍ عنيدٍ فها أنا ذاكَ جبّارٌ عنيدُ

إذا ما جئتَ رَبّكَ يوم حَشْرٍ فقل يا ربّ مَزَّقني الوليدُ»

- س -

جَلاَّدونَ لهم أَسْماءٌ

جَلاَّدونَ بلا أسماءٍ

أَشباحٌ تأتي في غاراتٍ

وحروبٌ تجْري في أَنفاسِكَ، بين العَيْنِ وحُلمكَ - رُعْبٌ

في الكلمات وفي الأشياء.

إمْلأْ قنديلَكَ حُبًّا

يا هذا المسجونُ، وبَارِكْ

حَتّى السّجنَ، وبارِكْ

بَيْتَ اللّعنةِ بيت الدَّاء.

* يتأصّلُ في التّاريخِ، ولكن كي يُحْسِنَ أَنْ يَنْأى عنهُ في آفاقِ سِرّيَهْ -
كادَ السّجنُ يَصيرُ ملاذاً للحريّهْ.

كلام للخليفة الوليد يزيد، يردّ به على منجّمَيْن قالا له: «ستملك سبع سنين»، وعلى حمّاد الرّاوية الذي قال له: «كلاّ، ستملك أربعين سنة»، سنة ١٢٦ هجريّة.

الخطابُ هنا موجّهٌ إلى القرآن الكريم.

○ حَدّث الرّاويَة:

جاءَ بعد الوليدِ، يزيدٌ

وكان ابنَ عَمّ لهُ

قال عن نفسه:

«أنا ابن كِسْرى،

وأبي مروانُ

وقيصر جَدّي،

وجدّي خاقانُ.»

وَثَنّى الرّاويه:

قِيلَ عنهُ: «يزيدٌ

أَغرقُ النّاسِ

في المُلكِ، مِن طرفَيْهِ.»

وَثَنّى الرّاويه:

«قتلوا خالِداً ـ كان مُتّهَماً، ـ

قِيـلَ: «عَمّر في داره كَنيسَة

لِتُصلّيَ بها أُمُّهُ.»

ـ ع ـ

يخرجونَ عَليَّ، ـ يجيئون مِن خُطواتيَ،

مِن كلماتي

ويسيرونَ مِنّي إليّ

في مَداريَ في أَدَواتي

لا يُطيقونَ عِبْءَ المجاهيلِ، عِبْءَ

السُّطوع ـ يَنوؤنَ، يُلقون أَمْراضَهم

تَبعاتِ عَليّْ.

* تنفرُ مِنهُ

لغةٌ رَبّاها،

ويثورُ عليه

ضوءٌ يخرجُ مِنْهُ.

كانت أمّ يزيد الذي لُقّب بـ «النّاقص» لأنه أَنْقص أعطيات الجُند من أصولٍ فارسيّة، تركيّة، روميّة.

سنة ١٢٦ هجريّة.

الإشارة إلى خالد القَسْري.

○ قال الرّاوي:

«قَتَلَ الوليدَ، لذاك ننبشهُ، ولسوف نصلبهُ.»

وَثنّى الرّاوي:

أَسواقُ دِمشْقِ مُلِئت بالقَتْلى. حرقوا المزّة

وقُرى أُخرى.

وَثنّى الرّاويه:

حاصَر مروانُ حمصاً - قَتَلَ النّاسَ، صَلْباً.

وَثنّى الرّاويه:

صُلِبَ ابن نعيمٍ وأصحابُه بعد أن قُطّعوا.

حُزَّ رأسُ يزيدٍ.

- ف -

ها أنا الآنَ غيريَ في السّجنِ، لكنّني لم أَحُلْ

هَلْ أقولُ: «المكانُ

فريسَةُ هذا الزّمانِ؟»، أقولُ: «مداري

لا يَرى في الجسَدْ

غَيْرَ تَهْيامِهِ؟» -

وأَنا غيريَ الآنَ، بيني وبين هُموميَ جِسْرٌ

قَلَقٌ مُطْمَئِنٌ

غائِبٌ حاضِرٌ

أَحَدٌ لا أَحَدْ.

* لم أترك جَسدي - هذا الوطنَ اللّيليَّ إلاّ بِضْعَ دقائِقَ بين يديكَ: لماذا يا هذا الحبُّ تَجُورُ عَلَيّ؟

الإشارة إلى الخليفة يزيد، والكلام للخليفة مروان الملقّب بـ «الحمار»،

قيل: قتل في هذه الأسواق يومذاك، ثمانية عشر ألفاً،

وقيل: صلب مروان في حمص ستمئة شخص.

الإشارة إلى ثابت بن نعيم الذي خرج على مروان في فلسطين،

وإلى يزيد بن خالد القسريّ الذي نقض بيعة مروان، سنة ١٢٧ هجريّة.

○ حدّث الرّاويَة:

«لَوْ ملأتَ يَديّ نجوماً وأنْزَلْت عيسى بن مَرْيَم، لم تَنْجُ مِنّي».

وَثنّى الرّاوي:

«لو كنتَ في بَطْني، لكنتُ شَققتهُ، كي أقتلَكْ».

وَثنّى الرّاوي:

قُتل الحارِثُ، ـ

صَلبوهُ مقطوعَ الرّأسْ.

وَثنّى الرّاوي:

قُتِل الضّحاكُ، وجمعٌ من أصحابِهْ.

قتلوا من بويعَ بَعْدَهْ،

قتلوا شَيْبانَ، وكانَ النّاجونْ أعْطوهُ الإمرة ـ لكن،

مَعَهُ قُتِل الباقونْ.

ـ ص ـ

ألرَّحِيلُ مُقامي، وأرضيَ هذي الرِّحالْ
والشَّمالُ الجنوبُ لِرَحْلي، والجنوبُ الشّمالْ، ـ

أتخيَّلُ أنّي

وَردَةٌ لِلتحيُّر جاءَتْ

من جذورٍ بعيدَهْ

كي تُوَشْوِشَ أيّامَها:

شهواتي حقولي

والتّمرّدُ وَرْدُ القصيدَهْ.

* ما السّماءُ؟ تُراها
لُغَةٌ في الإضاءةِ أمْ لُغَةٌ في الأفُولْ؟
والكلامُ؟ تُراهُ، الكلامُ رحيلٌ
أم تُراهُ الطّلولْ؟

القَوْلان للحارث بن سُريج مخاطِباً الجهم بن صفوان سنة ١٢٨ هجريّة.

الإشارة إلى الحارث بن سريج نفسه.

الإشارة إلى الضّحاك بن قيس الخارجيّ، وشيبان بن سَلمة الخارجيّ.

○ قال الرّاوي:

قُتِلَ ابنُ الكَرْمانيّ

صَلبوهُ ـ صَلبوا معهُ أصحابَهُ،

صَلبوا معه، أيضاً، سَمَكَهْ.

وَثنّى الرّاوي:

«لا يَمنيٌّ، لا مُضَريٌّ

خيرٌ أن نختارَ، لِنخرج من هذا الخُلْفِ، أميراً قُرَشيًّا.»

واختارُوا يُوسف، حَرْبٌ ـ قَتْلى

وَرؤوسٌ تُهدى زُلْفَى لقريشٍ،

وَلِسُلْطانِ قريشٍ.

وَثنّى الرّاويه:

قُل لرأسِكَ: لا، لستَ شَيئاً

سوى شمعةٍ تَنُوسُ

بين هذي الشّموعِ ـ الرّؤوسْ.

ـ ق ـ

أَتَخَيَّرُ، مِن أوّلٍ، أَصْدقائي

في قِفارِ الشّآمِ، وأُعْطي

شَمْسَ أيّاميَ الكريمَهْ

لِفُصولِ الشَّرَرْ

أتعلّمُ، من أَوّلٍ، أبجديّةَ هذي الجذورِ القديمَهْ

وأقولُ الطّريقُ إلى المجدِ، أَعْلى وأَوْسَعُ ممّا يظنُّ البَشَرْ.

الإشارة إلى الوضع في الاندلس، وإلى يوسف بن عبد الرحمن الفِهريّ، سنة ١٢٩ هجريّة.

* إنّه العَرْشُ يَهْرِفُ، يضربُ أَنْعامَهُ بِعَصَا رَبِّهِ
خَلِّني لطريقي، ـ
لا طريقٌ إذا لم تكن خُطواتُكَ أَبْهى
كِساءٍ لِأَهْوالِها.

○ حدّث الرّاويَة:

هُـوذا ابـنُ شَـبـيـبٍ وأَنـصـارُهُ
يَفتكون بأصحاب نَصْرٍ: قتلوا
إبْنَهُ تميماً

قـتـلـوا قـادةً وجـنـوداً، وتـبـدَّد
أصحابُ نَصْرٍ.

ونُباتةُ ـ حَزُّوا رأسَهُ، أَرسلوهُ
لأبي مُسْلمٍ.

قتلوا حيّةَ إبْنَه، قطعوا رأسهُ ـ
أرسلوه لأبي مُسْلمٍ،

قتلوا مِن جنود الشّآم وأَنْصارهم
أُلوفاً، وقالوا: قتلنا ثلاثين
أَلفاً.

- ر -

حَيْرَتي فيَّ مِنّي، -

لا أرى مِن مكانٍ

لِضيقٍ وكُرْهٍ

في حياتيَ، لكنّني أتنَاسَى وأُهْمِلُ:

لا رايَةٌ، لا حُدودْ

وكأنّي صُعودٌ يقولُ الهبوطَ، هبوطٌ يقولُ الصُّعودْ.

الإشارة إلى قحطبة بن شبيب صاحب أبي مسلم الخراساني، وإلى نصر بن سيّار العامل الأموي على خراسان، ونباتة ابن حنظلة العامل الأموي على جرجان، سنة ١٣٠ هجرية.

---

* أقرأ اليومَ في دَفْترِ المَعْصِيهْ
شَذَراتٍ عن الرّفْضِ ـ لاءاتهِ
وجراحاتِها، والخيوط التي تَصِلُ
الجُرحَ بالأغنيَهْ.

○ حَدّث الرّاويَة:

قال مُستَمهلاً صَحْبَهُ:

لن نُقاتِلَ حتى نَرى قولهم،

- في الكتاب؟

- الكتابُ إلى جَوْلَتِي.

- في اليتيم؟

- سَنَفْجرُ في مالِهِ وفي أمّهِ.

- القتالُ حلالٌ لكم.

وَثنى الرّاويه:

قُتِل الخارجيّ أبو حمزةٍ،

قتلوا في المدينةِ، بعد الهزيمة، أصحابَهُ كلّهم،

وكانوا

قتلوا من قريشٍ

عدداً طمّ أسْواقها.

وَثَنى الرّاويه:

ابنُ يحيى قتيلٌ: قطعوا رأسَهُ، أرسلوهُ لمروان في الشّامِ،

في الجُرْفِ يُقْتَلُ إبْنُ عطيّهْ.

- ش -

يتساقَطون، - الوقتُ قافِلةٌ تَسيرُ

أَمامهم.

شَغَفي هنا والآن جائِحَةٌ: تُراهُ،

لم يَكتملْ أَلَق البِدايَهْ؟

يتساقطون، ولستُ أَنْتَظِرُ النّهايه.

* لستُ في داخلي
لستُ خارجَ أعضائيَ النّاحِلَهْ،
أيـن يـمـضـي بي الـتّـيـهُ؟ مـا هـذه
القافِلهْ؟

الإشارة إلى أبي حمزة الخارجي، والحوار بينه وبين جند الشام، حيث التقوا في وادي القرى، سنة ١٣٠ هجرية.

الإشارة إلى عبد الله بن يحيى الملقّب بـ «الطالب بالحق» في صنعاء. وابن عطيّة هو قاتِله.

○ حدّث الرّاوية:
قتلوا عامرَ بن ضُبارةَ
قائدَ جيش الشّآم،
وفرَّ الذين نجوا مِن
يدي قُحطبهْ.
قتلوا في خراسان
قادة جيش الشّآمِ،
وبُدّدَ أنصارُهمْ.

وَثنّى الرّاوي:
نادَى:
- «مَنْ يَلْقَ أسيراً
فَلْيضربْ عُنقَهْ،
وَلْيأتِ بِراسِهْ.»

- ت -

عَجَبي أَنّني مِثْلُ وَرْدٍ
لا يُبَرْعِمُ ألاّ في اتجاهِ غَدٍ يُقْبِلُ،
أَلهذا - أبداً أَرْحَلُ؟
غَنِّ يا طائِرَ الموتِ، غَنِّ
لا طريقٌ تؤدّي إلى صَبَواتي - تُراهَا
حَجَبتْني حياتَي عنّي؟

قحطبة قائد جيش أبي مسلم الخراساني سنة ١٣١ هجريّة.

---

* كيف، مِن أين أقدرُ أن أتيقَّنَ أَنّي
أنا، الآنَ، نَفْسي؟
هل أُغيّر حسّي؟

كلام لقحطبة مخاطباً أنصاره.

○ حدّث الرّاويَهْ:

قُحطبَهْ

جُثّةٌ في الفُراتِ: «إذا مُتُّ، شُدّوا يديَّ، اقذفوني

في الماءِ،

كي لا يرى النّاس أنّيَ مُتُّ.»

وَثنّى الرّاويه:

أمَّروا ابنه على جيشهِ.

وَثنّى الرّاويه:

قُتِل ابن محمّدْ -

كان رأسَ الخروج على خلفاءِ أميّهْ.

وَثنّى الرّاوي:

أَهْلُ الشّام شَتَاتٌ، والغَرْقى أكثرُ مِمن قُتِلوا.

وَثنّى الرّاوي:

مدنٌ - لا ذاكرةٌ فيها غيرُ الموتِ، وغيرُ دُوارٍ في أنفاقِ المَوْتى.

- ث -

جَدّتي (وَا دَماً في دَمي)، -

هل أُذَوِّبُ دهْري كَحِبْرٍ

وأَخُطّ بِهِ مَوْتَها

وأخطّ به الكلمات التي عَشِقتْها،

وأُسَلْسِلُ في جَرْسِها جِراحي؟

لا أُفسِّر، بل أَفْتَحُ الجرحَ في غَيْهبِ الدّلالَهْ

خاشِعاً - أَتجَرّع كأسَ الفجيعةِ حتّى الثُّمالَهْ.

* كوّمْتُ غباراً
في هيئةِ قَبْرٍ،
وَرسمتُ علَيهِ شَمْساً.

الإشارة إلى وصيّة قحطبة قائد جيش أبي مسلم الخراساني، سنة ١٣٢ هجريّة.

الإشارة إلى إبراهيم بن محمد ويُعرف بإبراهيم الإمام.

- خ -

أَوْلُ الأغنيَهْ

جَسَدٌ يَتَفَتَّح في أَلَقِ المَعْصِيَهْ، -

مُذْ هَبَطْنا إلى الشّعر أَوْ مُذْ صَعَدْنا،

نُفِينا.

مُذ كتَبْنا، نُفِينا.

هكذا، أَتواطَأُ ضِدّي

في دم الأبجديّهْ

في جموح اللّسان وشَهْوةِ نيرانهِ الأَوّليّهْ.

* في أحضان الحبّ،
يصيرُ الموتُ عشيقاً.

○ قال الرّاوي:

عبد الله بنُ عليّ في قَلْبِ دِمَشْقِ - «سوّى جامِعها إضْطَبلاً.»

لم يَشْهدْ في قَبْرِ معاويةِ إلاّ خيطاً أَسودَ مِثْلَ هباءِ.

جِسْمُ هشام كانَ صحيحاً - لم يَبْلَ سوى جُزْءٍ مِن أَنْفِهْ

صُلِب الجسم وأُحرقَ: ذَرّوهُ في الرّيحْ.

وثنّى الرّاوي:

قَبرُ عبد الملِكْ

فارغٌ ليس فيه سوى الجُمْجمه.

سنة ١٣٢ هجرية.

الإشارة إلى هشام بن عبد الملك.

عبد الملك بن مروان.

○ قال الرّاوي:

في يومٍ واحدٍ

قتلوا من أبناء أميّة آلافاً،

بَسطوا الأنطاعَ عليهم ـ مَدّوا بُسُطاً، أكلوا

كان القتلى يختلجونْ

فوقَ الأنطاعِ وتحت الأنطاعِ ويحتضرونْ.

وَثنى الرّاوي:

قتلوا مرواناً، حزُّوا رأسَهُ

بعثوهُ إلى السّفاحْ

بعثوا معهُ الكاتبْ

وَلِيَ عبد الجبّارِ عقوبتَهُ: يحمي طسْتاً بالنّار، يتوّجُ رأسَهْ.

كرّر ذلك مَرّاتٍ، حتّى ماتْ.

وَثنى الرّاوي:

قطعانٌ خرجَتْ من إصْطَبْلِ العَصْرِ وضَلّتْ.

ـ ذ ـ

آيتي أَنّني مِنْهمُ ـ بَشَرٌ مِثْلَهمْ

ولكنّني

أَسْتَضِيءُ بما يَتخطّى الضّياءْ

آيتي أَنّهمْ

يقرأون الحُروفَ، وأَقْرأُ ما في الخَفاءْ.

* لا أحتاج لهذي الشمسِ، شموسي
لا تحتاج إليّ، ـ
حَرْبيَ في أحشائي:
يخرج فَيلقُ أعدائي
من بين يديَّ ومِن شَفتيّ.

سنة ١٣٢ هجريّة.

قُتِل، بحسب الرّواية، اثنان وتسعون ألفاً.

مروان الحمار آخر خلفاء بني أميّة.

عبد الحميد الكاتب، وعبد الجبّار هو صاحب شرطة السّفاح.

○ حَدّث الرّاويَة:

رأسُ مروان بين يَديّ هِرّةٍ
تَسْتَطيِبُ اللّسانَ وتلهو بهِ:
«هذه ذُروة الموعِظة».

وَثنّى الرّاوي:

بُويعَ لِلسّفاح في الكوفة،
بالخلافة.

قال في خطبةٍ،

بعد أن بايعوهُ:

«إنّني الثائرُ المُبِيرْ».

- ض -

قُمصانُ الشّمس اتّسخَتْ

وضياءُ الرَّمْلةِ يغسلها،

لو كانَ المعنى طِفْلاً

لَرَأى في الرّملةِ مَهْداً، والدّنيا طِفْلَهْ

ولقالَ: الشّعرُ يطوفُ، وفي عينيهِ

يتموّجُ ضوءُ الرّمْلَهْ.

قال المتنبي بعد أن التقى حامي الأدب والفنّ أبا محمد الحسن بن عبيد الله وكان والي الرّملة: «ابيضّت أيامي بعده.»

* قَلْبٌ ـ لا مِن لَحْمٍ،
مِن وَسْواسْ
لا يحيا إلاّ مجروحاً
يُنْزَفُ بين قلوبِ النّاسْ.

سنة ١٣٢ هجريّة. قال السّفاح، فيما يُروى: «لو لم يُرِنا الدّهر من عجائبه إلاّ لسان مروان الحمار، وهو في فم هرّةٍ تمضغه، لكفى بذلك موعظة.»

○ قال الرّاوي:

أَلسُّفيانيّ يقاتِلُ إبنَ عليٍّ

يقتل آلافاً من جيش العبّاسيّينَ، ولكن

ظفرَ العبّاسيّون،

قتلوا أنصارَ السّفيانيّ، جميعاً - فرداً، فرداً.

هَربَ السّفيانيُّ، ولكن، قتلوهُ - حَزّوا رأسَهُ،

أخذوه للمنصوز

وَابنينِ لَهُ.

وَثنّى الرّاوي:

قتلوا حَفصاً أوّلَ من سَمّوهُ وزيراً.

وَثنّى الرّاوي:

أبناءُ أميّة في مكّة

قتلوا داؤود بْنَ عليّ.

وَثنّى الرّاوي:

شمسٌ تنشرُ أخبارَ القَتلى
وتوزّعها في أكياسٍ ليست إلاّ
أجساماً حيناً، ورؤوساً حيناً.

- ظ -

أتقدّمُ، لكنّني هل أَسيرُ؟ أحدِّقُ، لكن تُراني، أَرَى؟

زَمَنٌ كاذِبٌ، بَلَدٌ مُفْتَرى

هل أقولُ لشعريَ أن يَتوحّشَ، أنْ يتماهَى

بمحالاتهِ؟

كيفَ، مِن أين لِلشّعر أن يغلبَ الرَّمْلَ، أو أَنْ يُغيّرَ هذا الفضاءَ؟

أَتُراني كغيريَ: أصنعُ مِن شهواتي

حِبالاً، وأَجرُّ السّماءَ؟

* تَركَ الموتَ يَسبح في ماء أحلامهِ،
وأَبَاحَ له سِرّهُ،
كي يكونَ قريناً لهُ،
ويكون له صورةً.

الإشارة إلى محمد السّفياني ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وإلى عبد الله بن عليّ، سنة ١٣٣ هجرية.

الإشارة إلى أبي سلمة حفص ابن سليمان أوّل مَن وَزِرَ لبني العبّاس.

○ قال الرّاوي:

قال شُرَيْكٌ:

«قَتْلُ نفوسٍ، سَفْكُ دماءٍ - كلاّ، ليس لهذا بايَعْنا آلَ مُحَمَّدْ.»

وَثنى الرّاوي:

مات شُرَيْكٌ بعد قليلٍ، قَتْلاً.

- غ -

قال صَوْتٌ لِصوتي:

لا أرَى فوق أرضِ قريشٍ

غيرَ مَن يقتلونَ، ومَنْ يُقْتَلونْ،

قال صوتٌ لِصوتي:

وقتنا خيمةٌ والفجيعَةُ قِنديلُها.

قال صوتٌ لِصوتي:

والضّحى، يَسْطُرونْ

كلَّ ما لا يرونَ ولا يَعْلمونْ.

شُريك المهري، سنة ١٣٣ هجرية.

* مَرّةً، قالتِ الأرضُ لِلشّعر: هَبْني إيقاعَكَ اليوم كي أكتبَ القصيدَهْ،
كان في يأسهِ يتمزّقُ، يَنأى وَيُوغِلُ في شمسهِ البعيدَهْ.

إنّه طرَبُ العَصْر أينما حضرتم في المكان ترون وجهه

حين تَحظى برؤية المكان، يُسْتَحْسَنُ أن تنحني ترفع يديكَ مهابةً تلوّح بالعلامة التي تميّزك إمسحْ بوجهكَ الباب الأسْلَمُ أن تقبّل العتبة أوّلاً استقبلهُ بصدركَ أشِرْ إليهِ تمجيداً كيفما سرتَ يحسن أن تسير متقارب الخطوات مِن غَيْر وَثْبٍ رَمَلاً واسْتَتِرْ المكانُ، أينما توجّهْت مكانٌ للنحْر لك أن تعتبر بالهواء أو بالغبار أو بهذا الذي يظهرُ الآن أمامنا أنظر إليه يأخذُ الحصى تحيّة للمكان لا أيَّ حصى يأخذُ المُتطاوِلَ المُسَنّنَ يرميه يميناً يساراً أمامَهُ وراءَهُ مع كلّ حصاةٍ يَرْميها يُسبّح السّماء يحمد الملائكة يقدرُ أن يرميها راكباً أو راجلاً جالساً أو قائماً

مأمورٌ بالرّمْي

قبل طلوع الشّمس

ويجوز في اللّيل

وَقُبيلَ المغيب

إنّه طرَبُ العصر

وأصغينا جيداً إلى الخُطب التي تعلّم النّحْر، ـ لا يُنحرُ إلاّ الأفضلُ اقتداءً بالكبش الذي افْتُديَ به إسماعيل النّحر عبادةٌ والدّمُ لكتابة التّاريخ اعتباراً واستبصاراً ـ قلنا التّاريخُ سائلٌ نَزَلَ في هذا المدى الغُفل رَجّحنا إمكان وصفهِ بأنّه صِبغٌ أو مَرَقٌ ماءٌ معتصرٌ أو مُخَلّل

واستَدْركنا ـ أحياناً يتغيّر وصف السائلِ كأنْ يصيرُ ما ينحلّ في الماء جزءاً من الماء آنذاك يمكن القول المكانُ سائِلٌ آجِنٌ

كلاّ، لم تكن ترسمُ يا امْرَأ القيس إلاّ لأنّك تمحو يقول صديقك المتنبيّ الذي لا تعرف اسمه والذي تحيط به الآن أشكالُ أقواسٍ فيما يرى ملاكاً يرفع يديه ليبارك العساكر

في طرب العصر

ويقدّم لها بَقْلَ الرّوح في إيقاعات خُوَذٍ وأنصالٍ لها هالَةُ الوَحْي وتجلسُ حول الموائد خُشوعاً خُشوعاً

أَلسّماءُ تنزل وتجلس هي أيضاً   تتأمّلُ كيف يتوحّشُ النّبات الإنسيّ   كيف تخرج الحيوانات الجائمة في أرحام الكلمات   كيف وجد القتلُ طريقه إلى المكان الذي رأى الله فيه صورته وقال: حَسَنٌ هذا   وها هي تُصغي إلى شفاهٍ بهيئة الأرجل تصدح بخطبةِ الأزمنة   لم تشعر أنّك معنيٌّ بهذه الأبّهة (ونحن هنا نخاطبُ المتنبي)   قلنا تنزل السّماءُ وتجلس هي أيضاً تستطيع أن تواكِبها أينما تولّيت (ونحن هنا نخاطب ضميراً غائباً) أن ترى إليها ترقصُ وتغنّي   لا تقل إنّها تتصنّع

قلْ إنّها تتدرّبُ على طرَبِ العَصْر

هوذا رأسٌ

نَزَلَ عن كتفيها

وأخذ يتنبأ -

نسيجٌ إسْفنجيٌّ من الرّؤوس والأَطْراف يمتصُّ رؤوساً وأطرافاً أخرى   وساطةٌ تضعُ الرّوح في أطباقٍ تغطّيها خوفاً من الشّياطين   مكانٌ آخرُ يشبُّ في هذا المكان   من أحشائه تخرج طفولة القتل   وعلى هذه الصّورة سيكونُ ما يكون   آمين.

إنّه طرَبُ العَصْر

تأخذ الفراغَ بيتاً وتَسْتَكمل السّقوط   ترَى التّراب يترضرَضُ ويتبجّسُ دماً   ترى جدراناً تلتهم البشرَ   بشراً يتسوّلون الغبار   ترَى إلى الكلام يتدفّقُ جُثثاً من الحناجر   ولن تحظى بالحياةِ إلاّ مصادفةً

بين الموت والموت

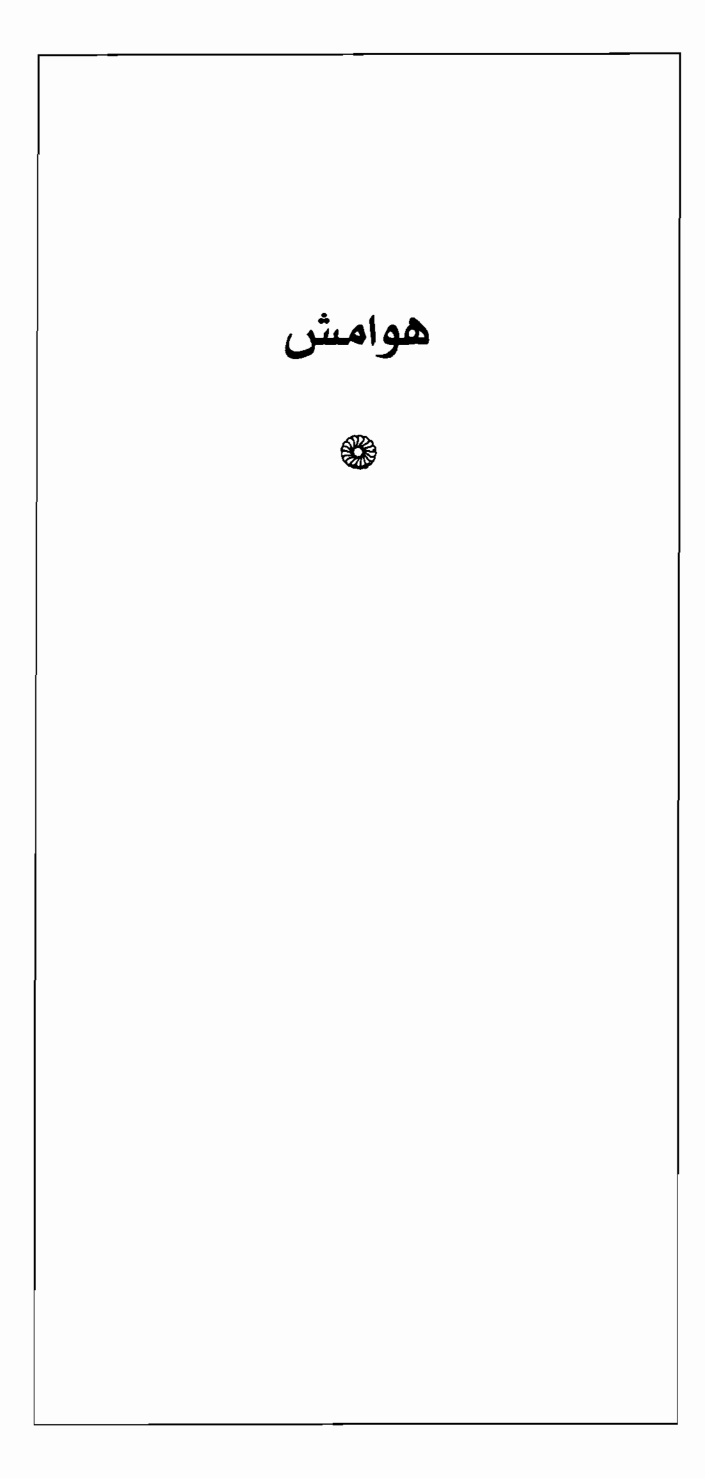
إذن، ألن تقولَ لكلٍّ منّا ماذا يفعل حين تموت؟

هل يُكثر من ذكر هادم اللّذة؟ هل يتخشّعُ ويتفكّر في مآله؟ هل يمشي وراءَ جنازتك أم أمامها؟ يتبعُها بنارٍ أم سراج؟ يرفع صوته؟ نعمّق القبر إلى الصّدْر؟ وأين نضعُ رأسَك؟ وكم نرفع قبرك عن الأرض - شِبْراً أم فتراً؟ أنرشّ فوقه الماء؟ أنبنيه وننقشُه ونُجَصِّصُه؟ هل نجلس عليهِ، أو نَتّكيء، أو نمشي؟ وقبل ذلك هل نُسْرع بالجنازة وكيف؟

ثُمّ نطمئنُّ إلى النّبوءة، -

أ - الإنسان يسيرُ نحو الببغاء، ب - يُولد جنسٌ آخر من حيوانات الله، ج - الدّم ساعة رمليّةٌ والرّياح جنائز عائمة.

إنّه طَرَبُ العَصْر.



هوامش

- I -

وَضّاح اليمن

أَخَذ الحبُّ تاريخَهُ الأوّلاَ،

يأخذُ الموتُ تاريخَهُ المُقْبِلا، -

تلبس البئرُ أحْزانَهُ

وتذوّبُ في مائِها قَلبه

وتقولُ له: صرت مِثْلي -

لن تحنَّ، ولَنْ تأَملاَ.

دفنه الوليد بن عبد الملك حيًا في بئرٍ، لأنّه تغزّل، كما قيل بابنته فاطمة.

وفي رواية أنّ أمّ البنين، امرأة الوليد بن عبد الملك، عشقته وعشقها، وحدث مرة أن سمع الوليد بخبر وجوده عندها، فأخبأته في صندوق أخذه الوليد ودفنه في حديقة داره.

سنة ٩٠ هجريّة.

- II -

يزيد بن الطّثريّة

كلّما اشتعلتْ نجمةٌ

فوق أهدابهِ،

مرَّ في وَهْمهِ ثَدْيُ أُنْثى

وانحنَى راعِشاً فوقَهُ.

قلبهُ مُثْقَلٌ بالبُرودةِ هذا المساءُ،

كيف لا تَتحيَّرُ فيه النّساءُ؟

مات قتلاً، سنة ١٢٦ هجريّة.

- III -

أعشى هَمْدان

قَتْلي تَعْريفٌ لِحياتيَ - لا تَنْكيرٌ.

منذُ تكوَّنَ هذا الإنسانْ

وسَقَى الله جنائنَ آدمَ، بالشّهواتِ،

ونَجَّى نُوحْ

من طوفانِ العالمِ - كانَتْ

تُخْلَقُ باسم الرّوح، لمجد الرّوحْ

أجسادٌ للعصيانْ.

قتله الحجّاج.

- IV -

تَوْبَة بن الحُميّر

سَلِمت أَخْيليّةُ ليلى، سلمت دارُ ليلى

حبُّها عِطْرنا، عطرُها أرضُنَا

كيف أنقل حبّي

لِلخُطَى - وقَّعَتْها كأُنشودةٍ قدماها؟

للدّروبِ التي تتمشّى عليها،

للفراشِ الذي تتمدَّدُ في حضنهِ؟

كيف أنقلُ حبّي لها؟

أُهْدِر دمهُ ومات قَتْلاً، سنة ٨٠ هجرية.

- ٧ -

قيس بن ذريح

بعد أن قالت الشّمسُ: أعطيتُ لُبْنى سِمَاتِ النُّجوم، وأحوالها،

لم أزل أتفرّس فيها، أتقرّى تقاطيعها

وأُسائِلُ إزْميلَ حبّي:

كيف أَنْحَتُ تمثالها؟

أحبَّ لُبنى، ولكنّها لم تنجب أجبره أبوه على تطليقها، فأصيب بعد فراقها بالجنون، سنة ٦٨ هجريّة.

- VI -

أبو دهبل الجُمحي

أَغْوِني، أيّها الحبُّ يا أيّها السّاحِرُ،
جَسدي قابِلٌ
ودمي قابِلٌ
وضَلالُكَ لي غافِرُ.

كان جميلاً، يُرسل شعره فوق منكبيه، وكان سيّداً من أشراف قومه. مات سنة ٦٣ هجريّة.

- VII -

يزيد بن مُفرّغ الحميري

ليلٌ ونهارٌ:

فِعْلانِ ـ الأوّلُ مُلْكٌ

والثاني مَلِكٌ،

ويزيدٌ بينهما

لَفْظٌ مجْرورٌ.

كان عبداً وأُعْتِق. سُجن، وكان يكتب شعره على جدران السّجن، مات سنة ٦٩ هجريّة.

- VIII -

عروة بن حزام

أَتُرى الآنَ أَيقنْتَ أنّ الحياةَ

التي تتبرّجُ - طوراً لهيباً،

وطوراً زبَدْ،

لا مكانٌ لها

غيرُ هذا النّعيم الجحيم الجَسدْ؟

أحبّ عفراء ابنة عمّه، لكن زُوّجت إلى غيره، بدون إرادتها. يقال ماتت حزناً، على قبره.

مات سنة ٣٠ هجريّة.

- IX -

كثيّر عزة

وَجْنتَاكَ، ذراعاكَ، صَدْرُكَ

غاباتُ حلْمِ

لِهُبوبٍ بلا غايةٍ

غير أن تتنسَّم عَزَّةَ - لكن

لُغَةُ الحبّ مجروحَةٌ

وزمان المحبّين جُرْحٌ.

غير أنّا نَهُوِّمُ مِثْلَ الفَرَاشِ: الطّبيعةُ

بابٌ على المَوْتِ،

والجنْسُ، كالضّوءِ، مِفْتاحُهُ.

وقفَ معظم شعره على عزّة، مات سنة ١٠٥ هجريّة.

- X -

الفرزدق

أتعلّم مِنكَ لأعرفَ مِثْلكَ ما تعرفهُ:

للكلمات قبائلُ أيضاً

ولكلّ منها جيشٌ.

كلماتٌ تَسْتَعْبِدُ أخرى

لِتُثبّت عرْشاً

فوق بقايا كلماتٍ بادَتْ.

والمنطوقُ المرئيُّ من الكلماتِ كتابٌ

يَتنزّلُ من لامرئيٍّ:

جسْرُ سرابِ

بين رمادٍ يمضي، ورمادٍ يأتي.

VII

يَضمُّه المِسْكُ ضَمّ المُسْتَهامِ بهِ

المتنبّي

○ قال الرّاوي:

قتلوا بَسّاماً

قتلوا أصحابَهْ.

وَثنَى الرّاوي:

قُتِلَ الصُفريُّ،

أميرُ الصُفْريَهْ

عَشرةُ الآف قُتلوا معهُ،

فيما قالوا:

حُرقت كلُّ بيوتهِم

حُزّتْ كلُّ رؤوسِهِم.

وَثنَى الرّاويه،

حذراً حائراً:

ربّما، خَطَأٌ أن نرى السّيفَ سيفاً،

ربّما كان وَجْهُ المَلاكِ -

مُؤْذِناً بِالهَلاكْ.

- أ -

سائِرٌ بين جرحٍ وجرحٍ لِأَنْطاكيهْ

أتعلّم أن أَسْتضيىءَ بِليلي

أَتعلَّمُ أن أحضنَ الهاويهْ،

وأرى في عذاب الجسَدْ

ما يُضيِىءُ الأبَدْ.

* ما الكتابَةُ؟ ماذا سيكتبُ؟
أطيافَ ما حفظتهُ له الذّاكِرهْ
أَمْ سيكتبُ نيرانَهُ السَّاهِرهْ؟

الإشارة إلى بَسّام بن إبراهيم الذي خرج في المدائن.

الإشارة إلى الجلندي أمير الخوارج الصُفريّة في عُمَان، سنة ١٣٤ هجريّة.

○ أكّد الرّاوية ______

أن تاريخه،

مثلما صوّر المتنبّي

وَجْهَ تاريخِهِ:

لم يكن غير رَقصٍ

على الهاوية.

- ب -

كيف تجرّأ سَيّافٌ

أن يمنعَ سَيْري،

أَنْ يحجزَني؟

هَلْ يأمَلُ هذا الوالي أن أمدحَهُ؟

أَمَلٌ بالبَحْرِ يَصيرُ حصاةً.

سَأقولُ لها ـ لُطرابُلسِ:

أَبْهى وقتٍ فيها تَسْتَرْوِحُ فيه نفسي،

وَقْتٌ

يُعطي رأسي للشّمس ويُغطي الشّمسَ لِرأسي.

---

* أَقْصى مِمّا يَصل اليأسُ، وأقصى مِمّا يعدُ الأملُ:
تلك دروبي أكتبُها
كقصيدة بَوْحٍ لا تكتمِلُ.

○ وصف الرّاوية

مَن يعيشون في عصره،

قافياً رؤية المتنبّي:

لم تعد وردةٌ

تتفتّح في فكرهم،

قطعوا جَذْرَ أحلامهم.

- ج -

قُتل ابْنُ كَيَغْلَغَ في جَبْلَةٍ، -

لا أُسَرُّ ولا أَحْزَنُ،

ليس لي رايَةٌ غير نفسي -

فأنا فوق ما أضمروا، وما أَعْلَنُوا،

أَهُوَ الدَّهْرُ يختارُني:

أَتَخايَلُ في ثوبهِ

وأعيشُ خَصيماً وَنِدّاً لَهُ؟

الإشارة إلى عدوّ للمتنبي، وإلى قوله فيه حين قُتِل: «إن مات، مات بلا فَقْدٍ ولا أسَفٍ،

أو عاش، عاشَ بلا خَلْقٍ ولا خُلُقٍ.»

* يُصْغي لحروفٍ لا أسماءَ لها،
ويُعاشِرُها، ويُغنّيها
كي تتعلَّم فيهِ سرّ الأسماءْ
وتسمّي الأشياءْ.

○ قال الرّاوي:

بيتٌ، -

آساسٌ من ملحٍ،

سجنوا فيهِ

عبد الله بن عليّ.

أَجْروا ماءً في الآساس،

فذاب الملحُ، -

البيتُ تهاوى:

بيتٌ من مِلحٍ

قَبْرٌ لابن عليٍّ.

وَثنّى الرّاوي:

قتلوا أصحابَ

ابنِ عليٍّ.

- د -

في الطّريق إلى تَدْمرٍ وإلى بعلبكَّ

وحِمْصٍ

تَقَرّيْتُ يُونانَها

وتقرّيْتُ رُومانَهَا

وتقرّيْتُ ما تَفْعَلُ الأبجديّةُ في حِبْرِها، -

أَسْكَرَتْنِيَ أَيْقُونَةٌ.

هو عمّ الخليفة المنصور. وقيل إن المنصور هو الذي أوحى بهذه الطريقة من القتل، سنة ١٣٧ هجريّة.

* حين سيأتي مَوْتي
سَيراني، وأنا شَيْخٌ،
طِفْلاً يَلهُو بالدّنيا.

○ قال الرّاوي:

لَفّوهُ في عباءةٍ

رَموهُ في دِجلَهْ.

وَثنّى الرّاوي:

قالوا - حيٌّ يُرزَقُ،

وهو إمامٌ

لكن، محبوسٌ في الرّيّ،

ويَظْهر حين يجيءُ

الوَقْتُ،

وقالوا: من أَهْلِ الجنّ،

لَهُ أصحابٌ،

وهو نبيٌّ، - زارا أَرْسَلَهُ.

وَثنّى الرّاوي:

قتلوا سُنْباذاً

قتلوا آلافاً مِن أَصْحابِهْ.

- هـ -

دِرْهَمٌ - بَيْرَقٌ

فوق رأسِ دِمَشْقِ

تَوّجَتْهُ بِعَرْشٍ له شَكْلُ سَيْفٍ،

حوله الأرضُ بُرْكَانُ ظُلْم وحِقْدٍ

حوله الدَّهرُ طوفانُ قَتْلٍ،

وَلهُ النّاسُ جَبَّانَةٌ.

* هُوذَا، نقرأ في وجهكَ، يا هذا الفضاءْ

مَا يَراهُ الشّعراءْ.

الإشارة إلى أبي مسلم الخراساني، وسنباذ أحدُ أتباعهِ، خرج في خراسان، مطالباً بدمه، سنة ١٣٧ هجريّة.

○ قال الرّاوي:

قتلوا جَهْوراً

قتلوا صحبَهُ

كلّهم.

وَثنّى الرّاويه:

قتلوا الخارجيَّ - المعبَّدْ،

قتلوا ما يزيدُ على الألَفِ

من صَحْبِهِ.

- و -

ألقتالُ هُنا، والقتال هُناكَ، هُنالِكَ: شَرْعٌ والرّؤوسُ حصادٌ

يُذرّيهِ كلٌّ بآياته.

أترَى يمكنُ العُبوزْ؟

أتُرى يُؤمَنُ العُبوزْ؟

وَحدها، ذُرواتُ الشَّجَرْ

تَنحني في سلامِ

لِتُحيّي الطّيوزْ

وَتُحيّي المطَرْ.

* ثِقَةُ العِطْر بالوَرْدِ: هذي ثِقتي بحياتي.

الإشارة إلى جهور بن مرار العجلي الذي خرج على المنصور، سنة ١٣٨ هجريّة، وإلى خارجيّ آخر هو المُعَبّد.

- ز -

مُدُنٌ لم تَعُدْ
غير إِسْم وإثْم
ولها الأَبجديّةُ ـ مَرْصوفةً
بالمقابرِ،
محفوفةً بالسُّيوفْ
أنتَ بُهلولُ هذي الصّحارى، وشحّاذُ تلك الحروفْ
ضع أغانيكَ في قَصْعَةٍ
وجبينكَ في حُفْرةٍ، ـ
لِلعُبودَةِ هذا المكانُ وهذا المقَامْ
ولها هذه الخيولُ لها هذه الخِيامْ.

* ما أصعب أن أبقى
في نفسي، داخل نَفْسي، وأكونَ لها،
ما أَصْعَبَ أن أخرجَ مِنها
لأكونَ الآخَرْ.

○ قلمٌ أعمى:
يمزجُ ماء الشَّكلْ
بعصير البَقلْ، ـ

كان الرّاوي
يتأمّل في تاريخ الخِبْزْ
ويُشيرُ إلى كُتّابِ العَضرْ.

○ حَدّث الرّاويَة:
دعوا الخلافةِ
آل عليٍّ،
فأبيدوا جميعاً.

وَثنى الرّاوي:
قتلوا كلَّ الرّاوَنديّة،
لم تَبْقَ لهم في الأرض
بَقيّة.

- ح -

أَتنسَّمُ في هذه الرّيح لَيْلى والجَنُوبَ: تُرَى قَيْسُ يحيا
قلِقاً حائِراً
في خُطايَ، وفي قَسَماتي؟
طائِرٌ في سماء الشّآم تنَبّأَ، لكنْ
لا يقولُ نبوءاتهِ، -
مالِحٌ ماءُ هذي الدّقائقِ، والقَحْطُ يَجْردُ عن شَجَر الحُلْمِ أَوْراقَهُ.

* لم يكن واهِماً، حين قالَ: السّماءُ امرأَةْ، -
كان يحلمُ بالأرض، يسكبُ أحلامَه
في قناديلها المُطْفَأة.

الإشـارة إلى جماعة من الأمراء، وقد قتلهم أبو داؤد نائب خراسان، سنة ١٤٠ هجريّة.

الإشارة إلى طائفة الرّاونديّة التي خرجت على المنصور.

○ أخذ الزّاويَة،

يترنَّم في خفيةٍ:

الحروبُ التي تتوالى

في هياكِلَ

في صلواتٍ،

والحروبُ الوسائِدُ والشّهواتُ،

والحروبُ التي ابْتُكِرتْ

باسمِها الكلماتُ:

هُوذَا خُبزُنا.

ـ ط ـ

نقطةً، نقطةً ـ

يتقطَّرُ عِلْمُ الغُيوبِ على فُقَهاءِ الشّآمْ:

لا يَحِلُّ على هذه الأرض شِعْرٌ،

هل يَحِلُّ

الترحّلُ فيها، إذن؟

هل يَحِلُّ المُقامْ؟

* لا طـريـقٌ تـؤدّي إلى ذُروة الحـيـاةِ
سوى المستحيل، إذن لا مُقَامْ،
والنّديمُ ظلامٌ ـ
أَدِرِ الكأسَ، يا أيُّها الظّلامْ.

○ ومضى الرّاويَهْ

في ترانيمه:

نتحدّث مع حَرْبةٍ

ونُعاشِر جبّانةً

ونُؤوِّل ما خَبأ اللّهُ

في موجةٍ

في حَصَاةْ،

لا لشيءٍ - سِوى أَنْ نُحيّي

الشّتاتَ،

ونَرْفَعَ أنشودةً

لِلعُصَاةْ.

- ي -

جُنْدٌ -

يَقْتَحِمونَ، ويَفْتَتِحونَ، وَيَمْتَلِكونْ

ويقولون: لنا أَرواحٌ

تقدرُ أن تتنزّهَ في الفردوسِ

وتقدر أن تتزوّجَ فيهِ

ذكراً أو أُنثى -

من شاءَتْ، ما طَابَ لَها.

* لا أقصّ الشّقاءَ، ولكن
أتَقَصّى الزّمان وميراثَهُ الحميمْ
وأقولُ: اهبطوا، لا قرار، إلى قاعِ
هذي الجحيمْ.

○ قال الرّاوي:

كان النّاس فُرادَى

وجماعاتٍ يأتونَ

إليهِ

ليَروْهُ ـ ليَرْوا كم كان جميلاً

قتلوهُ ـ حَزُّوا الرّأسَ،

وأرسِلَ للمنصور،

وطافوا في بغداد به ـ

طافوا في مُدنٍ أُخرى.

وَثنّى الرّاوي:

صلبوا أنصارَهُ.

وَثنّى الرّاوي:

كانوا قد قَتَلُوا ابنَ النّعمانِ وجَمْعاً من أصحابِهْ،

وابْنَ السَّمْح أبا الخَطّابِ وجَمْعاً من أصحابِهْ.

ـ ك ـ

كَـيْـفَ لي أَنْ أَواطِـنَ هـذي الحـيـاةَ، كـمـا رَسَمُوها وكما خَيّلوها؟

أبداً، أتبدَّلُ فيها ـ أُبَدِّل يأساً قديماً

بيأسٍ جديدٍ،

كأنّي أبدّلُ ثَوْبي.

لَنْ أُواطِنَ غيرَ التمرّدِ فيها والخروج عليها.

عبثاً تتشاءَمُ ـ تمحو طريقي،

وتَنْقرُ هذا التّرابْ

أَيُّهذا الغُرابْ.

* جاهِدٌ أن يقولَ البعيدَ العَصيّ،
يتآخَى معَ الضّوءِ، يُوغِل فيهِ
وَيُعاشِرُ تَرْحالَهُ البَهيّ.

الإشارة إلى محمد بن إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، الملقّب بـ «النّفس الزكيّة». سنة ١٤٤ هجريّة.

ابن النّعمان الغسّاني الذي خرج على عبد الرحمن الدّاخل، وقتل محاصراً في أشبيليه.

زعيم الإباضية في أفريقيا: عبد الأعلى المعافريّ (أبو الخطّاب).

○ قال الرّاوي:

أَحْمى سفيانٌ تنّوراً

كي يُطعِمَ لَحْمَ

الكاتِبْ

للجمر اللاّهِبْ:

قَطّعهُ إرباً إرباً

ورماهُ فيه.

وَثنَى الرّاوي:

قالوا للكاتِبْ،

لا يَـصْـدُقُ غـيـرُ الله وغـيـر العَرْشِ،

وأنت الكاذِبْ.

وَثنَى الرّاوي:

كانوا قد قتلوا إبراهيمَ

وحَزُّوا رأسَه

صلبوهُ في سوقٍ في

بغدادَ، ولاءً

لخليفتهم.

- ل -

الحياةُ قِلاعٌ

أتوسَّد أعناقها كأنّي

أَتَوسَّدُ صَدْرَ الحقولْ،

واضِعاً شَغَفي حولها هالةً.

ولماذا، إذن، يَغْسِقُ الحلْمُ فيَّ،

ويَنْسَخُ ما قلتهُ، ما أقولْ؟

* مِتْعَةُ هذا العَبثِ المتدفّقِ حولي مِثْلَ السَّيْلْ

أَنّيَ فيهِ -

لا أعرفُ نفسي - لا أَدري:

أَنهارٌ وقتي أم ليلْ؟

سفيان بن معاوية عامل المنصور على البصرة، والكاتب هو ابن المقفّع، سنة ١٤٥ هجريّة.

الإشارة إلى إبراهيم أخي محمد النّفس الزكيّة.

○ قال الرّاوي

يُضغي للمتنبي، ويُفكّر في أحوالِ النّاس، غريبٌ:

ما من أحدٍ يُصْغي

كُلٌ لا يَسْمَعُ إلاّ

صَوْتَهْ.

وَثنى الرّاوي:

هذا زَمَنٌ

لا يقرأ فيه كلٌّ مِنّا

إلاّ مَوْتَهْ.

- م -

تُراني غيبٌ؟ غيرَ أنّيَ عاصِفٌ

ركائبهُ رَفْضٌ وتيهٌ وترحالُ

يُضَلِّلني نَبضي - تُراني مفازةٌ؟

ويُوهمني - وَجْهي بِحارٌ، دمي آلُ

كأنّيَ من طينٍ غريبٍ، مكوّنٌ

ولا شَمْسَ لي غيرُ الهيام - يُضيئني

وأوغِلُ فيه، مُسْتَزيداً، وأخْتَالُ.

---

* سُفُنُ الحلْمِ تجري على مَتنِ هذا الهواءْ،

حامـلاتِ جِـرار الأغـاني لِـريّ الفضاءْ.

○ حدّث الرّاويَة:

ألعلاءُ يُسوِّدُ

في الأندلسْ.

وَثنّى الرّاويه:

يتساءلُ: ماذا؟

أيكون السّوادُ بياضاً

لبغدادَ أم أنّه احمرارٌ؟

لا أرى أيَّ فرْقٍ.

والعلاء يُسوِّد في الأندلسْ

حوله يتجمّعُ خَلْقٌ كثيرٌ ـ

قتلوهُ، قتلوا جُلّ أصحابهِ.

وَثنّى الرّاويه:

أيّهذا السوادُ، اتّعِظْ

أيّهذا البياضُ، اتّعِظْ

أنتما ضفّتا الهاويهْ.

ـ ن ـ

نَرْكَبُ اللّيلَ؟ لَيْلٌ

نَسجَتْهُ الشّآمُ بأهوالها ـ سَرَيْنا

ألشّواطِىءُ محبوكَةٌ

بضفائرِ أمْواجها

والسُّهولُ كمثل الجبالِ، شِبَاكٌ.

أيّها اللّيلُ، مَهْلاً ـ أنَمْضي؟ تَمَهَّلْ

لا تقلْ، لا تَقُلْ أين نَمْضي؟

* مَا أنا غيرُ ما كنتُ: ما كنتُ يُدْهَشُ ممّا أنَا ـ محيطٌ يَتمزّقُ في لُجّهِ، وَيُحارِبهُ مَوْجُهُ.

يُسوِّد أي يدعو للخليفة العباسيّ المنصور، والإشارة هنا إلى العلاء بن المغيث، وقد قتله عبد الرحمن الدّاخل، وقيل قتل من أصحابه سبعة آلاف، سنة ١٤٦ هجريّة.

○ سألَ الرّاويَة:

ما الذي يأخذُ

المتنبي؟

أيّ حلمٍ تطارِدُ

أهدابهُ؟

ولماذا، تُراهُ،

يتقصّى عيون البَشَرْ

حاضِناً نَوْمها؟

فجأةً، أُخِذَ الرّاوية

بتباريحِهِ ـ

فجأةً، خافَ وارتجفت ركبتاهُ،

فجأةً، راحَ يمحو خُطاهُ،

ويَمْحو الأثَرْ.

ـ س ـ

حُلْمي يُفرحني، لكنّ دَمي يُبكيني، ـ

ما أغربَ رأسي ـ يلهو

يتأرْجَحُ شكّاً

بين الفكرة والطّينِ

وَيُؤاخي بين الباطنِ والظاهِرْ

في لغةِ الشاعِرْ.

* لا بدايةَ، لا مُنْتهى:
إنها الأرضُ سكرانةٌ، ـ
أَلَنا الكأسُ ـ مكسورةً، أم لها؟

○ أخبرَ الرّاوِيَة:

- أ -

عاهد الموصليّونَ ألاّ يخرجُوا

أو يثوروا،

فإذا غيّروا عَهْدهم،

حُلّلت كلّ أرواحهم

وأموالهم.

- ب -

غيّروا عَهدهم.

- ج -

- ما ترونَ؟

- إذا ما عفوتَ،

فإنك أهْلٌ، والعقابُ يكونُ

كما شئتَهُ.

- أنت، يا شيخُ،

ماذا ترى؟

- قد أباحوكَ

ما ليس في ملكهم:

أترى، إن أتتكَ امرأة

وأباحَتْ

فَرْجَها دونَ عقدِ نكاحٍ،

هل يحِقّ نكاحٌ؟

- لا يحِقُّ.

- إذن، كيف تَغزوهُمُ؟

- ع -

أتُراها تُفكِّرُ هذي المدينةُ، أم تتذكَّرُ؟

لا زائـرُ اليوم يُـشـبـه مَـنْ زارهـا أمـسِ، والأرض تُنسي وتَنسى.

أتُراها تُحاوِرُ زوّارها، وتجسُّ تقاطيعَهم؟

تعبٌ في هواها

تعبٌ في خُطاها

تعبٌ في يديْها

وشعريَ يحْنو عليها.

* أتراهُ الواقع حلْمٌ
يحيا طفلاً - مصلوباً
قُطعتْ رجلاهُ؟

حوار بين الخليفة المنصور وبعض الفقهاء، وبينهم أبو حنيفة، وهو المقصود بالنداء: يا شيخ.

○ حَدّث الرّاويَة:

كان نعمانُ من بين

أنصارِهِ،

وأعطاهُ يوماً

كلَّ ما كان يملكُ. حزُّوا

رأسَهُ، أرسلوهُ

للخليفة مُسْتَبْشِرينْ:

«قتلُهُ سوفَ يُطفِىء نارَ الخروج،

وَيَسْتَأْصِلُ الخارجينْ».

- ف -

قَلَقٌ - غِبطةٌ،

في جنائنِ بَوْحِ

لا يَراها النّظَرْ.

والطّريقُ مرايا

لا لِصَفْوِ الينابيعِ، لا لِلزَّهَرْ

أَلطّريقُ مرايا

لِعذابِ البَشَرْ.

الإشارة إلى إبراهيم بن عبد الله الطّالبي الذي قتله المنصور. ونعمان هو الإمام أبو حنيفة، وقد تبرّع لنصرته، فيما يُروى، بأربعة الآف درهم - كلّ ما كان يملكه.

* خُطواتٌ جِراحٌ،
والجِراحُ متى استأنسَتْ تَماهَتْ
بالتّراب، وصارت
صورةً،
وتَأَنْسَنَ فَخّارُها.

- ص -

كم قلتُ: جئتُ يلا طقوسٍ

ووهبْتُ نفسيَ للجموحِ، لكلّ رَفْضٍ.

كم قلتُ: أَخرقُ هذه اللّغةَ الأمينةَ للأصولِ،

أَرجّ قاعدةَ الأصولْ،

وزَرَعْتُ وجهيَ في الفضاءِ، وقلتُ: زَرْعي

خَلْقٌ وشَهْوةُ خالقٍ، -

أَأنا أنا؟ أمْ كوكبٌ بدأَ الأفولْ؟

* ألحياةُ، كما نتقلّبُ في جمرِها، انْشِقاقٌ،
جَسَدٌ لا يكفُّ عن الرُّغْبِ مِنْ رأسهِ.

○ قال الرّاوي

يَسْتَدْرِجهُ سِرُّ المتنبّي:

يستدرِجُنا سِرٌّ

يَسْتَدْرجُ جِنَّ الشِعْرِ إليهِ،

ويُنازعنا

ويُصادِقنا

مفتاحُ رموزٍ

بين يديهِ -

والأبوابُ رِياحٌ.

- ق -

تتغنّى الزّهورُ بِشعر اللّقاحِ، وَيرقُصْنَ
في الرّيحِ رَقْصَ الشّرَرْ
ألنَّهارُ - جَهاراً يُوقِّعُ كاللّحْنِ،
واللّيلُ - في خِفْيةٍ، يُبْتَكَرْ
بعضُها شطحاتٌ - عَنيْتُ الجبالَ، وبعضٌ
سُوَرْ
بين وادٍ ووادٍ
يتقطّعُ حَبْلُ القدَرْ.
إنّ رأسي مليءٌ بالكواكبِ: ضَوءُ البصيرةِ،
ضوءُ البصَرْ
تَوْأمانِ، وضوءُ التمرّد وَغدهُما المُنتظَرْ.

* رَمْلٌ غنّى لرياح غَنّتْ:
آبارٌ مُلئِت بدمِ الآباءِ وبالآباءْ
تتفجّرُ في جَوْفِ الأبناءْ.

○ قال الرّاوي، ــــــــ
دَهِشاً، حيراناً:
ما هذا التّاريخُ -
البَحْرُ، يموجُ،
يفيضُ على المتنبّي، ويغالبهُ؟
بَحْرٌ يرميني في شطآنٍ
تملؤها أعناقٌ
ذُبِحت
ومراكبُ راسيةٌ
كي تُبحرَ
فيها أَعناقٌ للذّبْحِ،
هل ذلكَ نَصْرٌ؟
هل هذا الفَتْحُ؟

○ أخبرَ الرّاويَة: ــــــــ

أَلخوارجُ يَغزون

أفريقيا العربيّة

بدمٍ آخرِ

غير ما ترتجيه

بنو هاشمٍ أو أميّة،

قتلوا عامِلَ الخليفةِ،

أَنصارَهُ - ولكن،

أتراهم

كما اتّهموهُمْ:

يقتلونَ النّساءَ

وأطفالَهنَّ؟

الخَوارجُ يُرْسونَ سُلْطانَهم.

- ر -

لا أُريدُ لحلميَ أن يتنزّهَ حولي

لا أُريدُ له أن يؤالف وَجْهيَ

أو يتآلَفَ مع خُطواتي،

بل أريدُ لَهُ أن يظلَّ البعيدَ

المشرَّدَ في أبعد الفلواتِ.

سنة ١٥٢ هجريّة، وعامِل الخليفة هو عمر بن عثمان بن أبي صُفرة.

* إنّه الموتُ: حرّيتي

أن أكونَ قريناً وَنِدّاً لَهُ.

○ قال الرّاوي:

كيف أخاطِبُ وقتي،

وبأيّ لسانٍ أخبرُ عَنْهُ؟

وَثنى الرّاوي:

رأسٌ لا يعلو،

إلاّ مرسوماً أو منقوشاً

فوق جدارٍ، أو كرسيّ

أو رمحٍ.

شعبٌ محمولٌ في

مَقْبضِ سَيْفٍ،

مَلِكٌ يملكُ حتّى

يقتلَ شَعْبَهْ

معتمداً رَبَّهْ، ـ

وَثنى الرّاوي:

أَتُرى هذا بلدٌ

أمْ مَقْبَرةٌ؟

ـ ش ـ

أُصْغي لِوَقْتي:

لا وَقْتَ للمجنونِ كي يكسُو

بِضَوءِ هَواهُ قافلةَ العقولْ.

لا وَقْتَ لِلمَجْنُونِ/ حانَ الوقْتُ ـ

تنكسرُ اللّغاتُ على اللّغاتِ،

ويَنْحني

قولٌ على طَللِ المَقُولْ.

* أَعْطِهِ حفنةً مِن بَخورْ ـ

(لا تقلْ، أيّها الشعر، مِن أين أو

كيف جاءَتْ)

لِيَرى كيف يقرأ تاريخ هذي

البلادِ،

وكيف يُبخِّرُ موتَ العُصورْ.

○ أخبر الرّاويَة:

كان رأسُ الخليفةِ

يهتزُّ من غبطةٍ،

وهو يأمرُ خصيانَهُ:

إقطعوا مثلما

تشاؤون أيديَ أبنائهِ،

وسيقانَهم واضربوا،

بعد ذلك، أعناقَهمْ.

وَثنّى الرّاوي:

بعد قليلٍ،

قَتَلَ المنصورُ

أَبَا أيّوبٍ وَأخاهُ،

وابنينِ لَهُ.

- ت -

في مَدْرسةٍ لقطا الصّحراء، قرأتُ دروبي،

لكن، هل لِلصّحراءِ زمانٌ أو تاريخٌ مثلي، -

شمسٌ من أبواقٍ،

غاباتُ رماحٍ، لا طيْرٌ.

أَسْرابٌ تتطايَرُ من أعناقٍ. جيشٌ - والأعلام

جماجِمُ قَتلى؟

هل لِلصّحراء زمانٌ أو تاريخٌ مِثلي؟

أحياناً،

يحسُن أن نتحدّثَ مع أشكالِ

حيث تكونُ الصّحراء المعنى.

* جُرْحٌ، ترشحُ منهُ
قطراتٌ - يتذكّرُ فيها
جرحاً آخَرْ.

الكلام للخليفة المنصور، والإشارة إلى الشاعر خالد الكاتب وأبنائه، سنة ١٥٤ هجريّة.

أبو أيوب المورياني، وكان وزيراً للمنصور.

○ أكّد الرّاويَهْ
أنّ هذا الحوارَ
الذي تقرؤون
جرى بين ناسٍ يُصلّون خَمساً:
- إبْنُ أبي العَوْجاءْ
يحلّلُ الحرامْ
- يُحرّم الحلاَلْ
- يأمرنا بالفِطْر إن صُمْنا
وبالصّيام عندما نُفْطِرْ،
- هرطَقَةٌ،
- لا بُدّ مِن قَتْلِهِ.

وَثنّى الرّاوي:
قَتلوهُ واختَزّوا
رَأسَهْ.

- ث -

أصدقائيَ، أَسْلافُهم -
لا قبورٌ لهم كي نَفيءَ إليها
ونجلسَ في ظِلّهم
ونحادثَ أطيافَهمْ.
أُحْرِقوا - أين ذاك الرّمادُ الذي
انْصهروا فيه، وانتسبوا مِثْلَهُ
للتُّراب؟ تُراهُ
آثرَ النّفْيَ، فَرّ، وطارَ مع الرّيحِ،
يَبْحثُ عن وطنٍ آخرِ؟

* فَرْداً - من أين لِفَردٍ أن يصنعَ ثورَهْ
إلاّ في كلماتٍ، في أوراقٍ؟
جَمْعاً - يا لَلهوْلِ، تكونُ الثَّورةُ
مَرْعى، وقبائلَ ثِيرانٍ.

الإشارة إلى محمد بن أبي العوجاء، سنة ١٥٥ هجرية.

- خ -

كلّما قيلَ هذا زمانُ القُرودِ، استعاذَ الرُّواةُ بما لم يقولوا،

وأَجْفَلَ مِن قولهِ القائِلُ

وطنٌ ماحِلٌ ماحِلٌ ماحِلُ.

صَرَخاتٌ وأبواقُ رُعْبِ

والنّذيرُ يَرجُّ المكانْ

بأعاجيب هذا الزَّمانْ.

○ كاد الرّاوي أن يبكي

وهو

يقصُّ علينا موتَ

الشّاعِر حمّادٍ:

قالوا عنه زنديقٌ:

أفليس الدين فضاءً سَمْحاً،

لا قَسْرٌ فيهِ، لا إكراهٌ؟

وضعوهُ فوقَ بِساطٍ، واحتزّوا رأسَهُ.

الإشـارة إلى حـمّـاد عَـجْـرد، سنة ١٥٥ هجريّة.

* إِسْبقيني، يقولُ لأحلامهِ، نحو مجهوليَ، اغمريني ببهاءاتهِ،
فِطْرتي أنتِ، مائي وطيني.

○ حدّث الرّاويَة:

ـ إمْضِ، يا ابْنيَ،

واعرفْ لنا

حالَ ثوّارهم.

ذهب الابْنُ ـ

عادَ مضطرباً، واهناً.

ـ أَوَهنتَ؟ طُردْنا

من الشّرْقِ، نُحْسَدُ

حتّى على لقمةِ العيش. كلاّ،

لا مَفَرَّ، اكسُروا

غِمْدَ أسيافكم: فإمّا نموتُ، وإمّا نسودْ:

إنها سُنَّتي ـ إنّها سُنّة الوُجودْ.

. . . .

وتقدم نحو ابنهِ ـ غاضِباً، ضارباً عُنقَهُ.

ـ ذ ـ

لا العدوّ الذي بَدّهُمْ

يُوقِظ الروُّحَ فيهم، ويوحّد ما بينهم،

لا حضورٌ يُؤاخي بين أشتاتهم،

ورؤاهم وأعمالهم نَفَقٌ مُغْلقٌ، وصداقاتُهم

مَرَضٌ آخَرٌ خلقوهُ لِقَتْلِ الأحبّةِ والأصدقاءْ،

مَنْ هُمُ، مَن تُراهم يكونون، يا هذه السّماءْ؟

* مَوْتَى

في الخطواتِ وفي الطّرُقَاتْ،

تتساقَطُ أشلاؤهمُ ـ حزْفاً، حَرْفاً

مِنْ عَرْشٍ

يتقلّبُ فيه رَبُّ الظّلماتْ.

الإشارة هنا إلى عبد الملك بن عمر، ابن عمّ عبد الرحمن الدّاخل، وكان أهل أشبيلية ثاروا عليه، فأرسله لحربهم، سنة ١٥٦ هجريّة.

○ قال الرّاوي

في رَجْعِ صِدًى

للأيّام وللمتنبّي:

أتْعِمْ بالضّوءِ

علينا،

يا هذا النّجمْ -

أتراكَ تخافُ الرّجمْ؟

وَثنّى الرّاوي:

بين العَرْشِ،

وذاك الرأسِ،

وهذا السّيفِ - العالَمُ:

زُلْفَى أو طُوبَى،

والكَونُ صلاةٌ.

- ض -

سبحانَكَ، يا هذا الكرسيّ -

مَصْنوعاً برؤوسٍ قُطِعَت،

مَصْبوغاً

بدمٍ - طفلٍ حيناً، شيخٍ حيناً،

مَنْسولاً، جزءاً جزءاً

من أحلام نَبيّ،

سبحانَكَ، يا هذا الكرسيّ.

* ضَعْ يديهِ،
ضَعْ بقيّة أعضائهِ الهامِدَهْ
في الرّمادِ، وضع رأسَهُ، ساخِناً
فوق صَحْنٍ على المائِدهْ.

○ قال الرّاوي:

أتعجَّبُ. لا بالرّيشةِ
يكتبُ، لا بيديهِ،
بل بالكونِ، وبدءاً
مِن كلّ حصاةٍ فيهِ،
مِن كلّ عذابٍ،
من كلّ عماءٍ،
من كلّ ضياءٍ،
بدءاً مِن كلّ جنينٍ.

كلاّ، لن تفهمَ
ما أَرْويهِ،
لن تفهمَ شيئاً مِن
تاريخكَ، لن
تتفهَّمَ سِرّ الحاضِرْ
إنْ لم تفهم هذا الشّاعِرْ.

- ظ -

هَلْ يداكَ يداكَ؟ إذن، إغْتَسِلْ
من خطاياكَ، واغْسلْهُما:
لم تقم، لم تمدَّ يداً لِتُحيّي، هذا المساءَ، نُهوضَ القمَرْ
لم تَمُدّ يداً لِتُطوّقَ خَصْرَ المساءِ
الذي يتنسَّمُ عِطْرَ الشّجَرْ.

* تخلع الشّمسُ قمصانَهَا
وتغطّي بها ليلَ أَوْجاعِها.

○ أخبرَ الرّاويَة:

- أ -

قتلوا يوسُفاً:

ضُربت عنقهُ

بعد أن قُطّعت

يداهُ ورِجْلاهُ، أصحابه

قتلوا مِثلَهُ.

صُلبوا كلهم

فوقَ جِسْرٍ.

- ب -

وَثنّى الرّاوي:

فَتحَ المَهْدي باباً

أَفْضَى لبناءٍ ضَخْمٍ

مَملوءٍ قَتْلى

من أبناء أبي طالِبْ -

أطفالاً وشيوخاً

تتدلّ من آذانهم

رُقَعٌ خُطّتْ فيها

أنسابُهم.

حَفَر المهديُّ لهم

قَبْراً ضَخْماً

دُفِنوا فيهِ،

وبنى فوقَهمُ دُكّاناً.

- غ -

اتّئِدْ، أيّها المهرجانْ، -

أيُّ فَرْقٍ إذا جاءَ عرشُكَ في آنهِ،

أو إذا جاءَ قَبْلَ الأوَانْ

أو إذا جاء بعد الأوانْ؟

كلُّ شَيْءٍ يُسمّى - صدىً لاسْمهِ

واحتفاءً بآلائِهِ،

المكان سريرٌ لهُ، والفراشُ الزّمانْ.

* دائماً في رحيلٍ
عن سواهُ، وعن نفسه، -
هكذا رسمتُه الفصولُ على وَجْهِها.

يوسف البرم الذي
خرج على الخليفة
المهدي في خراسان،
سنة ١٦٠ هجريّة.

VIII

الأوراق

(أوراقٌ عُثِرَ عليها

في أوقاتٍ متباعدة، أُلْحِقت بالمخطوطة)

ورقة بلا رقم

لِمَ لا أرى غيرَ الفُراتْ؟
أَلِأنّهُ لغةُ التّراب ـ حروفُها
زَهَرٌ وعشبٌ؟
أَلِأنّهُ رَحِمُ الصّداقة ـ يلتقي
فيهِ النّقيض نقيضَهُ؟
أَلِأنّهُ كبدُ الطّبيعةِ ـ تنحني
فيه البلادُ على البلاد، وينحني
فيهِ النّباتُ على النّباتْ؟
الأرضُ نائمةٌ على أَنقاضِها
والوقْتُ يُوغِل في السُّبَاتْ، ـ
لِمَ لا أَرى غيرَ الفُراتْ؟

I

من جهاتِ دِمَشْقٍ وبغدادَ، تأتي رياحٌ:
لا لِقاحَ ولا زَرْعَ،
والثَّمَرُ المرُّ كالرَّمْلِ
جَاثٍ على شَجَرِ الأزمنَهْ، -
ألرّياحُ دَمُ الأمكِنَهْ.

II

هذه اللّيلةَ، لَنْ أَرجعَ للبيتِ، كما اعْتَدْتُ، سأَبْقى
ساهِراً،
أَسْمَرُ مع قافلةِ الأنجمِ، أمشي
سَادِراً بين الشَّجَرْ،
وأَرَى كيف يَنامُ اللّيلُ محمولاً عَلى ضَوْءِ القَمَرْ.

III

في مياهِ الفُراتِ ـ المياه التي تتغطّى بأحزانها
نرجسٌ ذابِلٌ،
والثّيابُ التي تَرْتديها الضّفافُ نَدىً يتبخَّرُ، ـ
هذي بلادٌ
تَتأوّهُ مِن نَفْسِها.
ما أقولُ؟ لِمَنْ أتوجّهُ، مَنْ أَسْأَلُ؟
أَلَمدى مُقْفَلُ.

IV

بُحّةُ صَوْتٍ، ـ
أَغْرِقُ فيها إيقاعَ المَغنى واغْرَقْ فيهِ.
عُنُقُ امرأةٍ، ـ
ضَعْ رأسَكَ في مَهْواهُ،
وَاحْلُمْ ضِدَّ الموتْ.

V

عَلّمتهُ المحيطاتُ إيقاعَ أمواجِها ـ
عَلّمتهُ الصّحارَى رُسومَ الرّمالِ وأشكالَها،
لم يُحسّوا بأسْرارها وَبأسْرارهِ
لم يُحسّوا الفروقاتِ في نَبْضهِ ـ وقالوا:
تتكرّرُ ألفاظهُ
مثلما تتكرّرُ أيّامُهُ، ـ
ضَحِكتْ وَرْدَةٌ
تتقلّبُ في العِطْرِ أَوْراقُها.

VI

عَجباً! يُبْعَثُ الميتُ،
والحيُّ يَبْقى
دَفينَ خرافاتهِ.

VII

يحيا اللّهُ وحيداً،
لكن، ما أَعْجبَهُ، ما آنَسَهُ ـ الشّيطانْ
لا يحيا، لا يقدر أن يَحيا
إلاّ في جَسَدِ الإنسانْ.

VIII

ليس هذا العَرَقْ ـ
يَتَصَبَّبُ من راحتيَّ ومِن لحظَاتي،
دَمْعَ حُبّ ولا دَمْعَ حُزْنٍ،
إنّه الحِبْرُ يكتبُ أُنشودَةَ المُفْتَرَقْ.

IX

نتبادَلُ، يا مَوْتُ: أُعطيكَ شَمْسي، وآخُذُ ليلَكَ، -
غَيّرتَ؟ ماذا يُفيدُكَ جِسمي؟
ليس إلاّ نَسيجاً أغطّي بهِ مُقْلَتيّ
حينَ أَرنُو إليّ.

X

تِلْكَ امْرأةٌ -
بين خُطاها يَتمشّى طيْفٌ
أحياناً، يَطفو في عينيْها
ظَنًّا، أو تأويلاً.
أحياناً، يَغْفُو
في مَوْضعِ سِرٍّ.

XI

يَشْرُدُ الشّعر في الجِسْمِ، يَتْعَبُ
يَرتاحُ في الحنجرَهْ،
للكتابِ الكلامُ، وللشعراءِ العذَابُ
وآلاؤهُ المُسكِرَهْ.

XII

صَفْصافٌ باكٍ:
دَفْتَرُ حزْنٍ
تأتي الرّيحُ إليهِ ـ
لا تقرؤُهُ
رِيحٌ باكيةٌ
تَتَقلّبُ فيهِ، وتُقلّبُهُ.

XIII

هُوذا الموتُ يَعْرَى أَمامي، ويَجْهلُ ـ
مِن أين يأتي الصّباحُ، وكيف يجيءُ المساءْ
أيّها الموتُ، خُذْني دليلاً،
وَسَأُعطيك ظِلّيَ جِسْماً
وَشِعْري رِدَاءْ.

XIV

تجفلُ المدُنُ النّائمَهْ
مِن خُطايَ ـ تَحُكُّ أَسَاريرها
بالمكانِ، وتفرُكُ أهدابها
بالهواءِ، هوائي على وَجْهِها
شَمْلَةٌ هائِمَهْ.

XV

شَمْسٌ/ قَمَرٌ:
صِنْوانِ، وكلٌّ
يَحيا في وَحْدتهِ، -
هل هذا كُرْهٌ، أَمْ حُبٌّ؟

XVI

أَتُراهُ الحَجَرْ
يتحدّثُ مع نفسهِ؟
أَتُراهُ الشّجَرْ
يتحاوَرُ - أغصانهُ كلامٌ؟
أُفقٌ، - مَسْجِدٌ للبصيرةِ، فاتِحَةٌ لِلْبَصَرْ.

XVII

سَرْخَسٌ أَفْرَدَتْهُ الطّريقُ - انزوَى وتقوّسَ، غَنَّى
وأَسْلمَ أحشاءَهُ لِلهواءْ
أَسْكَرتْهُ جِرارُ الفضاءْ.

XVIII

لي هوًى آخَرٌ مُقيمْ
بين حِبْريَ والشيء والكلِماتِ -
تُراني أصدّقُ ما لا أرَى
وأنا لا أصدّق ما تتقرّى يدايَ،
وما تحتَ عينيَّ؟ كلاّ،
لا أصدّق غيرَ الرّياحِ التي تتدثّر ثوبَ السّديمْ.

XIX

حُبّكِ ظِلٌّ
حُبّيَ شَمْسٌ:
وَعْدُ لقاءٍ، أم وَعْدُ فراقٍ؟

XX

تُرْسِلُ الشّمسُ أَضواءها
في خيوطٍ ـ غلائِلَ تَكْسُو الحقولْ
وَتنقُّطُ أَفراسنا.
أَلهواءُ يُفَتِّقُ أَزْرارهَا
وَالنّهارُ يجرُّ الذّيولْ.

XXI

هُوذا، أَتَفرّسُ ـ أقرأ ما يكتبُ السَّحابْ
في دفاترَ مكتوبةٍ
بجفونِ التّرابْ.

XXII

أَلمجيءُ إلى هذه الأرضِ،
أُنْشودَةٌ،
لا صَلاةٌ.

XXIII

خَيّمتْ غَيمةٌ
فوق بستانِ نَخْلٍ، -
أَخَذَ القَطْرُ يَقْرأُ لِلضّيْفِ أَشْعارَهُ.

XXIV

يَتَقدّمُ، يتركُ خلفَ خُطاهُ
غاباتٍ،
لا يعرفُ أَنْ يتحدّثَ عنها
فَصْلٌ أَوْ إقليمٌ.

XXV

يَضَعُ الثّلجُ والرّعدةُ القاصِفه
تَضعُ العاصِفَهْ
كلَّ أثقالِها
منذ فجر الأزل
فوق أكتافِ هذا الجَبلْ، ـ
لم تُغيّر تقاطيعَهُ
لم تخَلِّفْ
أثراً فوقَهُ ـ وأنا لَنْ أقولَ: الجديدُ الذي سَوْفَ يأتي
صاعِداً هابِطاً ذلك المُنحدَرْ،
أثرٌ مِن قديمٍ عَبَرْ.

XXVI

عِلمهُ بالمكانْ
خَطِرٌ، وَأَدَقُّ وأَوْسَعُ
مِمّا يُطيقُ الزّمانْ.

XXVII

أَهُوَ شرٌّ، إذا قلتُ: هذي المدائِنُ مُنحلَّةٌ
تَتَهلْهَلُ مَأْسورةً
في حصونٍ ـ صَحَارَى
مِن دَمٍ واقْتِتالٍ؟
أَهُوَ شَرٌّ، إذا قلتُ: لا تَكْتَرِثْ، لا تُبالِ؟

XXVIII

قَلَقٌ راسِبٌ ـ عائِمُ:
هُوذَا طَقْسهُ الدّائِمُ.

XXIX

دَوّارُ الشّمسِ جنونُ ظلامٍ، وجنونُ ضياءٍ

أَنّى مالَ جبينُ الشّمسِ، تَراهُ يميلُ

يَترصّدُه السَّحَرُ الطّفلُ ويَرْبضُ فيهِ

شَفَقٌ شيْخٌ،

ويجيء شروقٌ بين يَديْهِ،

ويروحُ أصيلُ

كلّ صباح فيه حيٌّ

كلّ مساءٍ فيه قتيلُ.

دَوّارُ الشّمسِ نَقائِضُ عِلْمٍ،

وَنقائِضُ قَوْلٍ:

كَم أُشْبِهُهُ،

لكنَّ حياتي، مِثْلَ كلامي، تأَويلُ.

XXX

كيفَ؟ هَلْ قلتَ إنيّ أَهذي؟
رُبّما، رُبّما.
أَلِهذا،
فاتني أن أقولَ الحجَرْ
جالِسٌ - يَتفيّأُ وَجْهي؟
أَلِهذا،
فاتني أن أُحيّي هذا الصّباح الذي يتلبّس حُزْني،
وأحيّي الشجرْ؟

XXXI

حَتّى حين تقولُ:
سأكتب ذاكَ الشّيءَ الأقْصَى عنّي
أو هذا الشّيءَ الأكثرَ قرباً مِنّي،
لَنْ تكتبَ إلاّ نَفْسَكْ.

XXXII

إنّها الشّمسُ تفركُ أَهْدابَها
بالشّواطىءِ، ـ وَجْهُ الغُروبِ
يرفّ على الماءِ،
والموجُ يأوي إلى غارهِ.
في التّلالِ، القُرَى
تَتناثَرُ بين الصّنوبَرِ
تُسْلِمُ أجسادَها
لأَسِرَّةِ غاباتهِ:
أَجُذُوعُ ابْتِهالْ
والغصونُ كمثل المناديلِ،
تَلْتَفُّ حولَ رؤوسِ التّلالْ.

XXXIII

لَيسَ مِن شَهَواتِي
أَنْ أَفِيءَ إلى عَبْرَةٍ
أو إلى حَسْرةٍ وَأُرقّقَ شِعْري بها،
وَأُبكّي وأَبْكي.
شَهواتِي
أَنْ أَظَلَّ الغريبَ العَصِيَّ،
وأَنْ أُعْتِقَ الكلماتِ من الكلماتِ.

XXXIV

خَدّانِ: عيونٌ جاريةٌ
لدموعٍ
لا تَلمحُها عينٌ.

XXXV

لِلنّجومِ الصّداقَةُ ـ (أينَ البَشَرْ؟)
والنّجومُ اغترابٌ وشُطْآنُ حلْمٍ
كَيْ تعودَ إلى ما تغرّبتَ عنهُ،
أو لتبدأ ليلَ السّفَرْ،
هكذا قلتَ، واخْترتَ عائِلةً مِنْ شَرَرْ،
هامِساً لِلنّشيد الذي يتصاعَدُ مِن جَسدِ الأرضِ:
أنتَ النّشيدُ الذي ضاقَ عنهُ الوتَرْ.

XXXVI

أكتبُ ـ يأخذني رغبٌ،
وأُجَنُّ، ويُجْفَلُ مِنّي
حتّى الحِبْرُ، وحتّى الوَرَقُ
وَأُسائِلُ نفسي: هل أكتبُ حَقًّا، أَمْ أَحْتَرِقُ؟

XXXVII

يا لهذا الطّريق الذي لا يؤدّي إلينا
والّذي ليس فينا
والّذي ليس منّا
والّذي هُوَ ميراثُنا وَمِعراجُنا،
يا لهذي الحياةِ التي لا تقولُ سِوَى مَوْتِها.

XXXVIII

أُنْظُرْ خَلْفكَ: ليس الماضي
إلا ثُقْباً كَوْنيًّا
لا تخرج مِنْهُ إلاّ
أَطيافُ بُخارٍ.

XXXIX

قالَ لي، حائِراً، هَوايَ:
أين أَمْضي؟ إلى أين تمضي خُطايَ؟
كلُّ هذا المكان الذي تَتحطَّمُ تيجانهُ
كلّ هذا الزّمان الذي يتهاوَى
كلّ هذي الخناجر مَسْكونةً، بالغضَبْ
كلُّ هذا اللّهَبْ
كلّ هذا خطايَ -
وأنا لَسْتُ إلاّ سِوايَ
أَسرَتْني، رَمَتْني
للتمرّد، لِلرّفضِ،
لِلمُستحيلِ وآلائِهِ، يَدايَ.

XL

عَجلاتُ الوَقْتِ تَجِيءُ وتذهبُ في أحشائي
وترافِقُها
صورٌ ومرايا
وحشودُ لغاتٍ،
ودَمٌ، وحروبٌ.
أعضائيَ تحت صريرِ صَداهَا
تتقاتَلُ سِرّاً مع أعضائي.

XLI

ثائِرٌ، هادِىءٌ، رافِضٌ، قابِلٌ
مِثْلَ مَوجٍ يُحارِبُ شُطْآنَهُ:
لا مقيمٌ ولا راحِلٌ.

XLII

أحياناً تأتي الرّيحُ، ترجُ، تُزَلْزِلُ ـ لا تتحرَّكُ أوراقي،
أحياناً لا تأتي الرّيحُ، ولكن
تَتَساقَطُ أوراقي.
قولوا لِلرّيح: انفَكَّ هبوبَ عَنها وانفَكَّ وِثاقي، ـ
بيتيَ سِرٌّ:
بابي مَطَرٌ، والغيمُ رِواقي.

XLIII

أُفُقٌ مِن نُحاسٍ
يُسَافِرُ في أُفُقٍ مِن صَدَأْ، ـ
لم أكنْ أتوقّع مِن خُطواتِ الطّبيعةِ
هَذا الخطَأْ.

XLIV

أَلجِدارُ الذي أتفيّأُ في ظِلّهِ شُقوقٌ ـ
أَتُراها سطورٌ
كتبتها يَدُ الوَقْتِ، أَمْ نَفَثَاتٌ
مِن حناجِرَ صارت رَماداً؟
أَمْ تُراها ارتجاجٌ:
جَسَدٌ آخَرٌ للبروقْ؟
خَيْطُ ضَوْءٍ ـ سَوادٌ:
يتعذّرُ أن أقرأَ الآن هذي الشُّقوقْ.

XLV

مَسْجونٌ في جُدْرانِ الضّوءِ، أسيرٌ
بين شِبَاكٍ،
لا يُنقذهُ إلاّ لَيْلٌ ـ ماذا قلتُ؟ أَأَعْني
لا يُنقذهُ إلاّ مَوْجٌ؟

XLVI

أَلكلامُ خُطىً في البياضِ، مَهَبٌّ لِحرّيتي
عاصِفٌ تارةً
تارةً، هادئٌ مُسْتَسِرٌّ.
والكلامُ خُطىً في السّوادِ:
هوىً مرّةً
ومِراراً، مَهاوٍ.
فيه ليلي صَباحٌ
ومَديحيَ مرثيّتي.
أَوِّلوني، إذنْ:
لا تقولوا بلفظيَ، قُولوا بإِنّيّتي.

XLVII

حَظُّكَ الأكملُ
أَنّك الشّهوةُ الجهيرةُ والفتنةُ المعلنَهْ
أَنّك الهائم المترحّلُ في غَيْهبِ الأمكنَهْ،
حَظُّكَ الأجملُ
أَنّك العَصْفُ ـ يَنْقَضُّ، يَستأصِلُ
ولَكَ البدْءُ: تجتاحُ، أو تَرْحَلُ.

XLVIII

زَهْرَةٌ في حديقةِ أيامهِ
تتحرّر مِن قَيدِها :
قيدُها عِطرُها
ما يقولُ له الآنَ بُرْعمُها الذّابلُ؟
ولماذا السّؤالُ؟ ومَن أنتَ، يا أَيّها السّائِلُ؟

XLIX

ذاكَ فينيقٌ يَنْهضُ،
يَحظى بِفَجْرِ احتمالاتهِ
عارياً
والثيابُ التي لبست جِسمَهُ
لم تكن غير ليلٍ يُذيبُ الشَّرَرْ
في مياهِ الصُّوَرْ.

L

قَلَقي حارِسٌ، يدايَ على كتفيكَ،
ولكنّ هذا الظّلامَ يقودُكَ أَبْعدَ
مّما ظَنَنْتُ. تباطأْتَ؟
عيناكَ سِحرٌ، ووَجهكَ مِن فِتْنَةٍ -
تَلفَّتْ
قامَةُ الشّعر ظِلٌّ عليكَ،
المكانُ انقسامٌ
في جراحكَ، شَطْرانِ: شَطرٌ خِصامٌ وشَطْرٌ وِئامْ
فلماذا يقودُكَ، أَبْعدَ مّما ظَننتُ، الظّلامْ؟
قَلقي حارسٌ، يدايَ على كتفيكَ، وتيهي غِناءٌ، -
سيكونُ لكَ التّيهُ أَبْهَى مُقَامْ.

IX

الفَوات في ما سبق من الصّفحات

١

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

كان سَطيحٌ   يُطْوَى طَيَّ حصيرٍ   لكن

كلُّ مقالٍ   يَتَرَدَّدُ في شفتيهِ   كانت

تتردّدُ فيه أعجوبَهْ

وكذلك   شِقٌّ كان، ولكن   لم يَكُ إلاّ

شِقًّا مِن إنسانٍ:

عيناً واحدةً

رِجْلاً واحدةً

ويداً واحدةً، -

أيكون   كلامُ   الإنسانِ

كمالاً؟

وثنى هذا الرّاوي:

قيل عن كاهِنٍ:

«أَنْفُهُ في قفاهُ».

٢

راوٍ آخَرُ يروي:

كان، لكي يَسْتغوي بَعْضَ الأعرابِ

يُمارسُ عِلْمَ النَّيرَنْجاتِ: رُقًى، تعزيماً

زَجْراً، سِحْراً.

يَصنعُ راياتٍ مِنْ وَرَقٍ

ولها أَذْيالٌ

ولها أجنحةٌ

ويُعلّق فيها أَجْراساً ويُطيّرها

في الرّيحِ ويهتفُ: أَصْغُوا

هذي خَشْخَشَةُ للملائكةِ تأتيني

في زَجَلٍ رَبّانيٍّ.

وثنى هذا الرّاوي:

قالوا: لا بِدْعةَ إلاّ

والشّيطان يزيّنها

ويَحُثّ عليها.

* الإشارة إلى مُسَيْلمة «النبي الكذّاب»، الذي كان يُسمّى «رحمان اليمامة».

وفي قومه يقول شاعرٌ مجهول: «أكلتْ ربَّها حنيفةُ من جوعٍ قديمٍ بها ومن إعوازِ».

٣

رَاوٍ آخَرُ يَرْوي:

عكسوا عُنقها وأداروا

رأسَها خَلْفَها

ورَمَوها إلى حُفْرَةٍ.

لا طعامٌ ولا ماء حتّى تموت، وتُحرقُ لَمّا تَموتُ.

هكذا، عِنْدمَا يموتُ كريمٌ

في القبيلةِ، كانوا يفعلون بأجملِ ناقاتهِ*.

دون ذلك،

يُحْشَرُ سَيْراً على قدميهِ.

* البليّة هو الاسم الخاصّ الذي يُعطى لهذه النّاقة. وفيها يقولُ شاعرٌ اسمه عُوَيم النّبهاني، مخاطباً ابنه:

أَبُنَيَّ، لا تَنْس البليّة، إنّها لأبيكَ، يوم نُشُورِهِ، مَرْكُوبُ.

٤

راوٍ آخَرُ يَرْوي:
أُعْقُلْ خَيْطاً حين تُسَافِرُ: هذا رَتَمٌ*
حين تعودُ، افْحصْهُ ـ
إن كان، كما تركتَهُ يداكَ،
فزَوجك ما خانتك، وإلاّ
فَاصْرَخْ: زَوْجي خانَتْني.

* يسخر شاعِرٌ مجهولٌ من هذه الخرافة، قائلاً:

ماذا الذي تنفعك الرّتائِمُ؟
إذْ أصبحت وعشقُها مُلازِمُ
وَهي على لذّاتِها تداوِمُ
يزورُها صَبّ الفؤادِ عارِمُ
بكلِ أدواء النّساءِ عالِمُ.

٥

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

سَوف أَنثُر شَعري، كما قيلَ لي

وسأَكحلُ عينيَّ، أحجلُ تِيهاً

كما قيلَ لي،

وأُغنّي كما قيلَ لي

«يا لَكاحِ، النَكاحَ النَكاخ

وليكن ذاكَ، قبلَ الصَباحْ».

٦

راوٍ آخر يَرْوي:

أَقْبلُوا ينصحون عليًا*:

ـ لا تُحارِبْهُمْ اليومَ، فالقَمرُ الآنَ

في العَقْربِ، الرّأيُ أن تَتَرَيّثَ،

ـ لكِنْ،

لِي أنا قَمَرٌ، ولهم آخَرٌ.

* علي بن أبي طالب

٧

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

«لا قِتالَ*، إذا لم يكونوا هُمُ البادئينَ،

ولا تقطعوا الماءَ عنهم،

ولا تقتلوا مُدْبراً أو جريحاً،

ولا مُثْلَةً بقتيلٍ،

ولا تكشفوا عَوْرةً، ولا تهتكوا أيّ سِتْرٍ،

ولا تَدْخلوا دورهم دونَ إذْنٍ،

ولا تأخذوا ما لهم في البيوت،

وَرِفْقاً بكلّ النّساءِ وإن شَتَمْننا.»

* من وصيّة الإمام عليّ لأنصاره، في يوم صفّين، (يوم الجمل).

٨

رَاوٍ آخَرُ يَرْوي:

وسادتي تَخْلِجُ تحت رأسي*،

ساقي لمن رَمَاها

أَقطعُ مِن حُسامٍ:

«يا ساقُ لن تُراعي

إنّ معي ذراعي.»

وثنى هذا الرّاوي:

«نحنُ* بنو ضبّة أصحابُ الجملْ

نَنْعَى ابنَ عفّانَ بأطرافِ الأَسَلْ

ألموتُ أَحلى عندنا مِن العسَلْ.»

* كلامٌ لحكيم بن جبلة في يوم الجمل، مشيراً إلى شخصٍ من أنصار معاوية، قطعَ رجْله، فأمسك بها وقتلهُ. ثم اتخذه وسادةً. وكان حكيم من أنصار عليّ.

* رَجَزٌ يُنسب إلى الحارث بن ضبّة، من أنصار معاوية وعائشة.

٩

راوٍ آخر يَرْوي:

هذا أنا ابنُ عُتْبَه*

يَلْقَى رَضِيًا رَبّهْ، -

«قد عالجَ الحياةَ حتّى مَلاًّ،

لا بُدّ أَنْ يَفِلّ أو يُفَلاّ.»

وثنى هذا الرّاوي:

هُوذا عَمّارُ* صريعٌ

كان رسولُ الله يُسمّيه الطّيبْ

ويقول لَهُ:

«تُقْتَلُ بَغْياً

بسيوفِ الباغين.»

* هاشم بن عُتبة بن أبي وَقّاص، وكان يُلقّب بـ«المِرْقال» لِسرعته في الحركة.

* عمّار بن ياسر

١٠

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

جاء* يَدْعو إلى السِّلْمِ ما بينهم

غيرَ أنّ السِّهامْ

هَطَلتْ فوقَهُ،

كانَ أوّلَ مَن ماتَ كي يُرسِيَ السَّلامْ.

وثَنَى هذا الرّاوي:

جاءَ كعبُ بْنُ ثَوْرٍ*

رافعاً مُصحفاً ـ

قَتلتْهُ السّهامُ، رَثاهُ عليٌّ

وأثْنَى عليهِ.

* الإشارة إلى مسلم بن عبد الله من أنصار عليّ.

* من أنصار معاوية وعائشة.

١١

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

كان* كمثلِ مَلِكٍ

يَزْهُو بهِ جنودُهُ، ـ

«ماتَ على خِطامهِ

سبعونَ مِن رجالِها.»

وثَنّى هذا الرّاوي:

عبدُ الله* تَحصّنَ في دارٍ

مع سبعين نصيراً،

جاء إليه جاريةٌ*

حَرقَ الدّارَ عليهمْ ـ

ماتوا كلّهمُ، حَرْقاً.

وثَنّى هذا الرّاوي:

سَوَّوُا مِن كلماتِ الله سيوفاً

وبَنوا مِن معناها

ما طابَ لهمْ ـ دُوراً وقُصوراً

لِلسيّافينْ.

* الإشارة إلى جمل عائشة، الذي سُمّيت حرب صفّين باسمه.

وكان اسمهُ: عَسْكَر.

* عبد الله الحضرمي من أنصار معاوية، وجارية بن قدامة السّعدي من أنصار عليّ.

١٢

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

قالوا:

أكثرُ مِن عَشْرةِ الآفٍ، قُتِلوا

في يوم الجَملِ،

قُطِعت في ذاك اليومِ جذورُ الأمَلِ.

١٣

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

حَفَرُوا لِسُحَيْمٍ* أُخْدوداً

مَلأوُهُ حطباً

ورَموهُ فيهِ.

صَبّوا النِّفْط عليهِ ـ حَرقُوهُ حيًّا.

وثَنّى هذا الرّاوي:

قالوا: كان صليلُ النّارِ غِناءً

يبكي فيه شِعْرُ الشّاعِرْ

ضَحِكاً مِن ذاك الزّمنِ البائِرْ.

وثَنّى هذا الرّاوي:

كلٌّ يتشهّى قول الشّاعِرْ، ـ

«تُوسِّدني كَفًّا وَتثني بِمِعصَمٍ

عَلَيَّ، وتَحْوي رِجْلَها مِن ورائيا.»

* الشاعر سُحيم عبدُ بني الحسحاس.

١٤

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

ـ جاءَتْ ساعَةُ موتِكَ*، ماذا تُوصي؟

ـ «أَلشِّعرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ

إذا ارْتَقى فيه الذي لا يَعلمُهْ

زَلَّتْ بهِ إلى الحضيض قدمُهْ

يُريد أن يُعْرِبَهُ فَيُعجِمُهْ.»

ـ هل تُوصي لِلفقراء بشيءٍ؟

ـ أن يَبْقُوا ما عاشُوا

يَسْتَجْدُونَ. سُؤالُ النّاسِ تجارَةْ

لا تَخْسَرُ. كلُّ سؤالٍ رِبحٌ.

ـ ماذا عَنْ أَبْنائِكَ؟

ـ مالي،

لا لِلأُنثى، بل لِلذَّكَرِ

ـ لم نَقْرأ هذا في خَبَرٍ أو في أَثَرِ.

* الإشارة إلى الحطيئة، والحوار بينه وبين من حضروا موته.

ـ ما هذا أمرُ اللّهِ،

ـ ولكن، هذا أَمْري.

ـ ويَسارٌ* هل تترفّقُ هل تُعْتِقهُ؟

ـ لَنْ أُعْتِقَهُ:

مَمْلوكٌ أبداً ما دامَ هنالك عَبْسيٌّ.

ـ مَنْ بينَ النّاس تَراهُ الأَشْعَرْ؟

ـ هذا المِخْجَنُ، هذا المَعْقُوفُ الرّأسِ: لِسَاني.

ـ لكن، ما يُبْكيكَ؟ الموتُ؟ أَخْوفاً مِنْهُ؟

ـ كلاّ، أبكي لِلشّعر وأبكي مِمّن

يَرْويه جَهْلاً: وَيْلٌ لِلشّعر من الجُهّالِ، رُواةِ السُّوءِ ـ

خُذوني حين أموتُ، ضَعُوني

فوقَ حمارٍ، فلعلّي أَنْجو.

وثَنَى هذا الرّاوي:

كلٌّ يَسْتَحضِرُ قولَ الشّاعِرْ:

لِكُلّ جديدٍ لذّةٌ، غيرَ أَنّني رَأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ

لهُ نَكْهَةٌ ليست بطعْمِ سَفَرْجَلٍ ولا طعْم تُفّاحٍ ولا بِنَبيذِ.

* غلام الحطيئة، وكان أسودَ من بني عَبْس.

١٥

راوٍ آخَرُ يَرْوي:
أَخْبَرَ زَيْدٌ، ـ
«في جَبْهتهِ وعليها مِثلَ غطاءِ كَفُّهُ
دَخَلَ السَّهْمُ بِسَهْمٍ آخرَ ماتَ: أَتَيْتُ إليهِ
ونزعْتُ الثاني مِن جَوْفِهْ
وأخذتُ أهزُّ الأوّلَ في جَبْهَتهِ وَأُخَضْخِضُهُ
لم أقدرْ أَنْ أَنْزَعَهُ.»
وثَنّى هذا الرّاوي:
لَمَّا أخذَ الثقفيُّ* الكوفةَ، أوصى قائدَهُ:
«إذهبْ واقتلْ زيداً.»
جاءَ، أحاط بزيْدٍ ـ قال لكلٍّ من أصحابِهْ:
«لا تَسْتخدِمْ سيفاً أو رمحاً
إِستخدِمْ نَبْلاً أو حجراً.»
رَجموهُ نَبْلاً وحجاراً حتى كاد يموتُ. أتوهُ
وبهِ رَمقٌ ـ حرقوهُ حيًّا.

* هو المختار الثقفي، وقائده هو عبد الله بن كامل الشّاكري. وزيد هو زيد بن رُقّاد أحد قتلة الحسين، وهو نفسه قاتل عبد الله بن مسلم ابن عقيل.

١٦

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

«بايعوكَ*»، ولكن

بايَعوا قبلَ ذلكَ جَدّكَ: جَدّكَ خيرٌ

وعصركَ أَسْوأُ مِن عَصْرهِ،

كيف تطمعُ أن يفيَ الخائنونْ؟

سوف ينقلبون عليك، كما انقلبوا ضِدَّهُ.

وثَنى هذا الرّاوي:

لم يُطِعْ زيدُ* إلاّ الشّرارَ الذي يتوهّجُ في صَدْرهِ -

وَتخلّى

عنهُ مَنْ بايَعوهُ.

* الكلام لمسلمة بن كُهيل، مخاطباً زيداً بن عليّ بن الحسين.

١٧

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

- إن كنت بريئاً*،

فلماذا

لا تتبرّأُ مِنْهُ؟

- لا أتبرّأُ مِمّنْ أَدّبني،

وتَتَلمَذْتُ عليهِ.

- قمْ، يا حَرَسي

واقطَعْ رَأسَهْ.

* حوار بين الحجّاج وهَمدان، مؤذّن الإمام عليّ، والضمير عائد إلى عليّ.

١٨

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

ـ إبْني*،

هَلْ تأذَنُ لي أَنْ أدفنَهُ؟

ـ كلاّ.

ما رَأْيُك في قاتلهِ؟

ـ قال رسول اللّهِ: «ثَقيفٌ

يخرج منها اثنانِ ـ مُبيرٌ

والآخَرُ كَذّابٌ.»

أنت الأوّلُ، والمختارُ الثاني.

* حوار بين أسماء بنت أبي بكر (ذات النطاقين)، أمّ عبد الله بن الزبير، والحجّاج بعد أن قتله.

ويقال إنّ مُصعب بن الزّبير قتل من أصحاب المختار الثقفيّ، صَبْراً، ثمانية آلاف.

١٩

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

ـ أُريدُ* أَنْ أُعطيكَ القَضاءَ

ـ لَسْتُ لَهُ بِأَهْلٍ

ـ تَبَالُهُ عليٍّ، أَو رياءٌ؟

وثنّى هذا الرّاوي:

حَاوَلَ أن يفرَّ من جحيمه، وأَنْ يموتَ راضياً، بعيداً ـ

جَرى إلى الفُراتِ كي يُغْرِق فيه نفسَهُ

لم يَبْتَلِعْهُ ماؤهُ ـ طَفَا كمثلِ قَصبَهْ.

أَحْضَره الحجّاجُ: عِنْد بابِهِ

سَمَرهُ ـ

وماتَ فوق خشَبَهْ.

* حوار بين الحجّاج، وماهان بن أبي صالح.

٢٠

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

ـ مَنْ أنا* ما مقالُكَ فِيَّ؟ أَجِبْني،

ـ أَنْتَ أعلمُ،

ـ لكِنْ،

بُثَّ عِلْمكَ فِيَّ،

ـ إذنْ، لَنْ يَسرّكَ ما سَأقولُ،

ـ ولكن،

بُثَّهُ،

ـ جائِرٌ، وجريءٌ على المعصيهْ.

ـ أَو تعرفُ مَنْ أنتَ؟

ـ كلاّ،

لَسْتُ أَهْلاً لِيكشفَ رَبِّيَ لِي غَيْبَهُ،

وَلأعرفَ نفسي.

ـ لا أراكَ ضَحكتَ إلى الآنِ، كيف؟ لماذا؟

ـ أَوَ يَضحكُ طِينٌ؟

* تنويع على حوار بين الحجّاج، وسعيد بن جبير، وكان من العلماء.

ـ لا أراك لهوتَ إلى الآنِ، كيف؟ لماذا؟

ـ لا أُحِسّ بِمَيْلٍ إلى اللَّهْوِ، أجهلُ أشكالَهُ كلَّها.

ـ ما تَرى في عليٍّ،

أفي جَنّةٍ أم جحيم؟

ـ ما دَخَلْتُ إلى جَنّةٍ أو جحيمٍ،

لأعرفَ، لكنه أوّلُ المُسلمينَ،

ـ لَكَ الويلُ مِنّي،

يا غلامي تقدّمْ

حُزَّ لي عُنقَهُ.

وثَنّى هذا الرّاوي:

قَتلوهُ على النّطْع ذَبْحاً

ورَوَوْا:

بعد أنْ سَقَطَ الرّأسُ، كان يقولُ الشّهادَهْ.

٢١

راوٍ آخَرُ يَرْوي
تاريخاً ذاتيًا للحجّاجْ
بلسانِ الحجّاجْ:

ـ أ ـ

صِنْوُ ذاكَ الجحيمِ الذي في السّماء:
ليس لي لذّةٌ
غيرُ سَفْكِ الدّماء.
أَخْفَشُ العين، لكنّني
أقرأ الممكناتِ، وأعرفُ ما في الخفاء،
والخليفَةُ عندي
أَخٌ للملائِك والأَنبياء.
كلّ مَنْ لا يقولُ بقولي، يُعَدّ لديَّ مِن الأَشقياء:
قَتْلهُ حكمةٌ وصلاةٌ.

أَلفُ أَلفٍ: شَبابٌ، شيوخٌ، نساءٌ
قُتلوا تحت سَيْفي وباسْمي
كي أُبَرِّىءَ عرشَ الخلافة منهم
وأطهِّرَ ثوبَ الفضاءْ
مِن عُفوناتِهِمْ.
كنتُ أجمعُ في السِّجن، بين نسائهم والرِّجالِ:
ولا ظِلٌّ، لا سَقْفَ
لا فَرْقَ في الصَّيفِ أو في الشِّتَاء.
كنتُ أَصنعُ مِن حَشْدِهِمْ
غابةً لِلبغَاءْ
هكذا تُسْجَنُ الشَّهواتُ، وتُطْلَقُ في مَدْفَنٍ،
والَمنِيُّ البُكاءْ.

- ب -

كنت أنقضُ إسلامَهم عُرْوةً عُروةً،
وأَصبُّ على الآخِرةْ
نَفْطَ أَحْلامِهِمْ
وأُجَزجِرُ أحشاءَهُمْ
في سلاسلِ أهوائيَ الماكِرَهْ.
كنتُ طاغوتهم
أَتفَنَّنُ في قَتْلهم، وأُجْري
بين أعناقهم رغباتي،
كنت جَبّارهم، والمفوّض في أَمْرِهم، والقضاءْ.

- ج -

أين أَيّوبُ*، ذاك الفصيحُ،
سأجعلُ مِن موته آيَةً، -
أَدْخلوا حَرْبةً في تلافيفِ أَحْشائِهِ
خَضْخِضوها طويلاً
خَضْخِضُوهَا - اسْحبُوها: دَمٌ أسودٌ.

* أيوب بن القريّة، من فصحاء العرب.

ودَمٌ أحمرُ ـ آيَةٌ لِلفصاحةِ،

ـ هاتوا

غيرَهُ، أَوْثِقوهُ

شَرِّحوا جِسمَهُ

وانْضحوهُ بِخَلٍّ وملْحٍ،

واتركوهُ يَمُتْ.

غَيْرَهُ، قلتمُ: ابْنُ سَعْدٍ*؟

أُضْربوهُ على رَأْسِهِ،

أُضْربوا مَفْرقَ الرّأْسِ، شُقُّوهُ نِصْفين:

نِصْفاً هناك، ونِصْفاً هُنا.

غيرَهُ، قلتمُ: ابْنُ يزيدٍ*؟

إمْنعوا الأَكْلَ عنهُ،

قَدِّموهُ طعاماً لهذي الكلاب، اتْركوهُ

بين أَنيابِها.

* محمد بن سعد بن أبي وَقّاص.

* ابراهيم بن يزيد التّيمي الزاهد.

ـ غَيرَهُ، قلتمُ: مسجدٌ حرامٌ؟
طوِّقوا كلّ أبوابِهِ
عندما أرفعُ العمامةَ عن رأسيَ، افْجَأُوهُمْ
واحْصُدوا غابةَ الرّقابِ بأسيافِكمْ، وقولوا:
هوذا مسجدُ الفناء.

ـ د ـ

ألسّماءُ يَدٌ في يَدي
والخليفةُ مِنها: لا يشاءُ الذي لا أشاء.

٢٢

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

ـ زَعموا أَنّهُ*

لا يكفّ عن الشّربِ،

يَدْخلُ في الإثمِ،

حتّى ولو كان في ضيقِ سُمّ الخياطْ.

ـ إجْلدوهُ اجْلدوُهُ إلى أن يتوبْ

فلعَلَّ السّياطْ

سَتكفّرُ عنهُ وعن شعرِهِ الذُّنوبْ.

* الإشارة إلى الشاعر ابن هَرْمة.

٢٣

راوٍ آخَرُ يَرْوي:
جاؤوا بحبالٍ
جاؤوا بحديدٍ
سَملُوا عينيها*
قطعوا رِجْليها، زَنْديْها
ورَموْها في السُّوقْ
جسداً مَخروقْ.
لم تَتأوَّهْ، قالَتْ:
آخِرُ أيّامي في الدّنيا
أوّلُ أيّامي في آخرتي.

* الإشارة إلى امرأة اسمُها البَلْجاء، قتلها عبيد الله بن زياد.

٢٤

راوٍ آخَرُ يَرْوي:
شاهَدْتُ عُبيدَ اللّهِ*، وبين يديهِ
رأسُ حُسينٍ*
والمختارَ*، وبين يديهِ
رأسُ عبيد اللّهِ،
ومُصْعَبَ*، بين يديهِ
رأسُ المختارِ،
وعبدَ الملكِ*،
بين يديهِ
رأسُ المُصْعَبْ.
وثَنّى هذا الرّاوي:
قالوا - بيدِ اللّهِ وقُدْرتهِ
مكتوبٌ هذا في الفَلكِ،
يا هذا الشّاهِدُ، لا تَعْجَبْ.

* عبيد الله بن زياد
الحسين بن علي
المختار الثقفي
المصعب بن الزّبير
عبد الملك بن مروان
والكلام لعبد الملك بن عُمر.

٢٥

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

قتلوا زَوْجها*

قطعوا رأسَهُ، وألْقوهُ في حِجْرها.

نَقلُوا للخليفة عنها كلاماً، دَعاها

سائِلاً،

أكّدتْ قولَها.

ـ أخرِجوها، ولكن

ناوِلوها العطاءَ الذي يقطعُ اللّسانْ.

ـ عجباً للخليفة، يقتل زوجي، ويَهْدي إليّ الجوائزَ؟ كلاّ،

وَتبًّا لهذا الزّمانْ.

وثنّى هذا الرّاوي:

أُخرِجتْ، في الطريق إلى الكوفةِ، اكفهرّتْ

بغيوم الفجيعةِ آفاقُها

جَزِعت، جَفْجَفَتْ، تهاوتْ ـ هَوَتْ مَيْتَةً.

* الإشارة إلى آمنة بنت الشريد، وزوجها هو عمرو بن الحمق الخُزاعيّ الذي قُتل بأمرٍ من معاوية.

٢٦

راوٍ آخَرُ يَرْوي:
- أَحْضِروا مُسْلمَ بنَ عَقيلٍ
- هَلْ تُبايعُ؟
- كلاً.
- اضربوا عُنُقَهُ.
أَحْضِروا هانئاً*:
- هل تبايعُ؟
- كلاَ.
وثَنَى هذا الرّاوي:
أَخرجوهُ إلى السّوق - فيها
ضَربُوا عُنُقَهُ.

* الكلام لعبيد الله بن زياد، وكان مسلم قد التجأَ إلى دار هانىء بن عروة، فحماهُ ورفضَ تسليمه.

٢٧

راوٍ آخَرُ يَرْوي:
أَعرابيٌّ مَرّ بدارِ عُبيدِ الله*،
رآها عجباً،
ورَأى صُوراً وتماثيلاً فيها ـ قالْ:
«أَسَدٌ كالِخ
كبشٌ ناطِخ
كلبٌ نابِخ».
وثَنّى هذا الرّاوي:
شاعَتْ كلماتُ الأعرابيّ، وقالوا:
لمْ يَلْبثْ في تلك الدّارِ، عبيد اللّهِ،
سوى أيّامٍ، حتّى ماتْ.

* دار عبيد الله بن زياد في البصرة.

٢٨

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

قُتَيْبَةُ* الفاتِحُ

يُقتَلُ مع أهلهِ،

وجُنْدُه القاتلونْ.

وثَنّى هذا الرّاوي:

أكثرُ أَهْلِ الأرضِ لا يعقلونْ

أجسامُهم دماءٌ

سابحةٌ في فَلكٍ سابحْ.

* قتيبة بن مسلم.

٢٩

راوٍ آخَرُ يَرْوي:
كان زعيمَ الدّعْوةِ* ـ يُرْسي فيها
أَملاً آخرَ، عهداً آخَرْ.
حَبسوهُ،
قتلوهُ في مَحْبَسِهِ.
وثَنّى هذا الرّاوي:
هل نفتكرُ؟
هل نعتبرُ؟
رَبّى شجرَهْ
لم يقطفْ منها ثَمرهْ.

* إبراهيم الإمام، زعيم الدّعوة للعباسيين قتلة مروان الملقّب بالحمار، آخر الخلفاء الأمويين.

٣٠

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

- أ -

قالَ العِجْليّ: * المغيرة بن سعيد العجليّ.

أَعضاءُ اللّهِ حروفُ هجاءٍ
ولَهُ صورةُ إنسانٍ
لكن من نُورٍ،
وعليه تاجٌ من نورٍ
ولَهُ قلبٌ تنبعُ منه الحِكْمَهْ.

- ب -

قال العِجليّ:

لَّما خلقَ الله العالَمْ
لَفَظَ الإسْمَ الأعظمْ، -
طار الإسمُ وحَطّ كمثلِ التاجِ
على رأسِهْ.

- ج -

قالَ العِجْليّ:

كتبَ الله على كفّيهِ
أعمالَ النّاسْ.

- د -

قالَ العِجْليّ:

مِن عَرقِ اللّهِ انْبجَستْ أمواجٌ
صارتْ بَحْرينِ -
الأوّلُ عَذْبٌ، والآخر مالِحْ
الأوّل نورٌ والثاني أسودُ كالِحْ.

- هـ -

قالَ العِجليّ:

خُلِقتْ مِن ظِلّ اللّهِ الشّمسُ، ومِنهُ
خُلِقَ القَمرُ،
أفْنَى الله الباقيَ مِن ظِلّهْ.

- و -

وثنّى هذا الرّاوي:

زَعَم الحارِثُ بن كثيرِ
أنّهُ ساحِرٌ
فاجِرٌ
خبيثٌ
من الشّيعةِ الخبثاء:
ألمغيرةُ لا يستحقُّ البقاءْ.

٣١

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

- أ -

جَمْعٌ مِن أَهْلِ قريشٍ
قُتلوا،
في يَوم قُدَيْدٍ*.

- ب -

رجلٌ في المدينةِ، بين يديه عجينٌ
ضربوا عُنُقَهُ،
فارتمى رأسهُ في العجينْ.

- ج -

«كلُّ مَن ها هُنا آمِنٌ،
غيرُ أَهْلِ أُمَيَّهْ.
مَنْ تكونُ؟ تقدّمْ،
لكَ مِنّي الأمانْ -

* قيل إنّ أبا حمزة الخارجيّ قتل في هذا اليوم سبعمئة شخص.

أَلْقِ سَيفكَ»
أَلْقاهُ، جاءَ إليهِ
شَقَّ بالسّيفِ رأسَهُ.

- د -

كان أهلُ المدينة يبكونَ قَتْلاهمُ - فُرادَى
كلّ بَيْتٍ لهُ ميّتٌ،
ولَهُ مأتَمٌ.

- هـ -

وثَنَى هذا الرّاوي:
قَتلوا الخارجيَّ أبا حمزةٍ
قتلوا جُلَّ أصحابهِ.

- و -

وثَنَى هذا الرّاوي:
غيرَ أنّ الشُّراةَ أغاروا انْتِقاماً
قتلوا قاتلَ الخارجيّ وأَصْحابَهُ.

- ز -

وثَنَى هذا الرّاوي:
جاءَ لِلجُرْفِ، للقرية الخارجيّة، إبْن يزيدٍ*
قتلَ القاتلينَ الشُّراةَ -
الرّجالَ النّساءَ الذّراري
والكلابَ وما دَبَّ حتّى الدّجاجْ،
تَركَ الجُرْفَ قَفْراً.

* عبد الرحمن بن يزيد نائب الخليفة عبد الملك بن مروان، والجرف قرية في الحجاز.

٣٢

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

- أ -

قطعوا رأسَهُ*

أَحضروه لعيسى بن موسى:

- ما تقولون فيهِ؟

- مارِقٌ، كافِرٌ.

- كذبتمْ،

ما لهذا قتلناهُ، لكن

خَالَفَ المؤمنين، ومَنْ أَمّروهُ عليهمْ،

وَشَقَّ عَصَا المسلمينْ.

- ب -

قتلوا جُملةً

مِن أَخِصّائهِ، ومِن أَهْلهِ.

- ج -

قُتِلَ ابنُ خُضَيْرٍ

مِن أجلّةِ أصحابهِ.

* الإشارة إلى محمد الملقب بـ «النفس الزكيّة»، والذي خرج في المدينة على الخليفة المنصور.

سألت أختهُ أمينة عنهُ ـ

ـ قَتلوهُ،

سَجَدتْ غِبْطةً.

قالَ، في حيرةٍ، زَوجُها:

ـ تسجدين وتغتبطينَ لِقتل أخيكِ؟

ـ نعم، لم يَفِرَّ، ولم يُؤسَرِ.

ـ د ـ

وثَنّى هذا الرّاوي:

خَرَق السّهمُ رأسَ أخيهِ

قطعوا رأسَهُ،

أَرسلوهُ

لأبي جَعْفرٍ*.

وضَعَ الرأسَ بين يَديْهِ ـ

* الخليفة المنصور والإشارة إلى أخي «النفس الزّكية».

دَخَلَ النّاسُ ـ كُلٌّ

لاعِنٌ، شاتِمٌ.

قال جَعفَرُ* لّما أَتاهُ:

ـ «عَظَّمَ اللّهُ أَجْرَكَ في

ابْنِ عمِّكَ، وَلْيَغفِرِ اللّهُ

تَفْريطَهُ

في حقوقِكَ»،

ـ «أَهْلاً، يا أبا خالدٍ،

هُنا ـ قُرْبَنا.»

* جعفر بن حنظلة، وكان كلامهُ ذكيّاً، اعجب به المنصور.

٣٣

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

قال*: لنَ أتولَّ القضاءَ،

فَجُنَّ الخليفة مِن قولِه.

وكان دَعاهُ

لِتولّي القضاء بِبغدادَ،

أَلقاهُ في السّجن. قيلَ:

سَقاهُ الخليفةُ سُمًّا. وقالوا:

كان في كلّ يومٍ يُسَاطُ،

إلى أنْ تُوفّيَ في سِجْنهِ.

* الإمام أبو حنيفة النّعمان.

٣٤

راوٍ آخَرُ يَرْوي:

لِأَبي مُسْلمٍ*، رأيتُ ثلاثاً

وأنا نائِمٌ:

ـ وقعَتْ عِمّتُهُ،

ـ إنّها رأسُهُ.

ـ وكبَتْ خيلهُ،

ـ إنّها حَظُّهُ.

ـ قالَ: أُقْتَلُ.

ـ أَللّهُ أكبرُ،

في الفَجرِ كان أبو مسلمٍ

قتيلاً.

* أبو مسلم الخراساني، والحوار بين الخليفة المنصور، ورجل من خاصّته رأى الحلم.

X

توقيعات

إذا ما تأمّلْتَ الزّمانَ وصَرْفَهُ

تَيَقّنْتَ أنْ الموتَ نَوعٌ من القَتْلِ

المتنبي

توقيع مُفْرد

هَل ضاعَ النَّظَرُ، اخْتَنَقَ الصّوتُ؟

أُفٍّ، ما هذا التّاريخُ ـ الميّتُ فيهِ

يُقْتَلُ حتّى بعد الموتْ.

ـ ماذا تفعلُ، يا هذا الشّاعِرْ

في هذا البلدِ البائِرْ؟

ـ أشهدُ فيه

تكوينَ بلادٍ أُخرى.

ـ ماذا تفعل، يا هذا الرّاوي

في هذا التّاريخ الميّتِ؟

ـ أشهدُ فيه

ميلاداً آخَرْ

لتواريخِ أُخرى.

صوت بتوقيعٍ ثلاثيّ

يزعم الزّاويهْ
أنّ هذا الحضورَ الذي يتغطّى بأسلافنا
ليس إلاّ غياباً، -
لا يَرى من بهاء الحديقة إلاّ
وردةً ذابلَهْ
أتُرى هذه لغةٌ عادِلَهْ؟
غَضَبُ الأرضِ، حِلْمُ النباتاتِ، وَسْوسَةُ الباديه
لم يقل أيَّ شيءٍ، ذلك الزّاويه
عن تهاويلها وتآويلها،
كيف؟ لا حَقّ في الصّمْتِ لِلزّاويهْ.
هي ذي الشّمسُ تهمسُ للزّاويهْ،
وتكرّر مَزْهوةً:
حكمةُ الضّوء أبقى وأعمقُ من ليل صحرائكَ الدّاميهْ.

أصوات بتوقيعاتٍ متعدّدة

ـ أ ـ

ـ مَنْ يقولُ: النبوءاتُ لا تنتهي؟
مَنْ يُوسْوِسُ، مَنْ يَتلبَّسُ أحشاءكَ؟
ـ الفُصولْ.
ـ مَنْ تنَبّأ لِلأرضِ غيرُ السّماواتِ؟
ـ ماءُ الينابيع، زَهْرُ الحقولْ.
ـ أتُراكَ توحّدْتَ مع نجمةٍ
أَمْ تآخَيْتَ مع ماردٍ؟
أَم تصوّرتَ للخلق في صورةٍ
لا مسافَةَ فيها
بين ما فطرَتْهُ الغرائزُ فيهم،
وما أسّستْهُ العُقولْ؟
ـ لم أقلْ، لا أقولْ.

ـ ب ـ

نَهرٌ لا مصبَّ لَهُ، لا ضِفافٌ
والفضاءُ سريرٌ له ـ
إنّه السيّد الطّفلُ يَلهو
ليس هذا طريقاً ولا موعداً
ليس ماءً ولا صخرةً
قَلَقٌ لَفَّهُ

بعباءةِ ميراثِهِ
ورَمى بين عينيهِ أَسرارَهُ.

- ج -

يَتَقصَّى ـ لهُ وجهُ فَجْرٍ وعيْنا سماءٍ
هل يكونُ لأشواقِهِ
زمَنٌ آخرٌ، لهبٌ آخَرٌ؟
ألرّؤوسُ تجدّد أَقْفاصَها
والزّمانُ كُراتٌ
تَتدحْرَجُ مَسْحورةً.

- د -

قَمرٌ بين ساقينِ مَغْسولتيْنْ
بأباريق مِنْ شَهْوةٍ
قَمَرٌ في الطّريق الذي قادَهُ لِهوَاهُ
قَمَرٌ في خُطاهُ
قَمَرٌ بينَ بينْ.

- هـ -

كلماتٌ ـ
شهوةٌ تتقلّبُ في جَمْرها.
كلماتٌ ـ
غابةٌ خبّأتْهُ
بين أغصانِها.
لا نبيٌّ ولا ساحِرٌ ـ نارُ شِعْرٍ
في المكانِ ومِنْ لا مكانْ
تتأجّجُ في تيهِ هذا الزّمانْ.

(باريس، آذار ١٩٩٥)

ISBN 1 85516 563 5



أدونيس

الكتاب

أمس المكان الآن

II

دار الساقي


الكتاب
أمس المكان الآن

خطوط الغلاف: محمد سعيد الصكّار

أدونيس

الكتاب

أمس المكان الآن

مَخْطُوطَةٌ تُنسَبُ إلى المتَنَبّي
يُحَقّقها وَيَنشُرُها أدُونيس



دار الساقي

الطبعة الأولى ١٩٩٨

ISBN 1 85516 740 9

دار الساقي
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI
London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

للمؤلف

مجموعات شعرية

قصائد أولى، ١٩٥٧.

أوراق في الرِّيح، ١٩٥٨.

أغاني مهيار الدمشقي، ١٩٦١.

كتاب التحوُّلات والهجرة في أقاليم النَّهار واللَّيل، ١٩٦٥.

المسرح والمرايا، ١٩٦٨.

هذا هو اسمي، ١٩٧١.

مفرد بصيغة الجمع، ١٩٧٥.

المطابقات والأوائل، ١٩٨٠.

كتاب الحصار، ٨٢ ـ ٨٥، ١٩٨٥.

شهرة تتقدَّم في خرائط المادَّة، ١٩٨٧.

احتفاءً بالأشياء الواضحة الغامضة، ١٩٨٨.

أبجديَّة ثانية، ١٩٩٤.

الكتاب ـ I ، دار الساقي ١٩٩٥.

دراسات

مقدّمة للشّعر العربي، ١٩٧١.

زمن الشِّعر، ١٩٧٢.

فاتحة لنهايات القرن، ١٩٨٠.

سياسة الشعر، ١٩٨٥.

الشعرية العربية، ١٩٨٥.
كلام البدايات، ١٩٨٩.
الصوفية والسوريالية، ١٩٩٢.
ها أنت أيها الوقت، ١٩٩٣.
النظام والكلام، ١٩٩٣.
النصّ القرآني وآفاق الكتابة، ١٩٩٣.

مختارات

ديوان الشِّعر العربي (ثلاثة أجزاء، مقدّمة) ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨.
مختارات من شعر السَّياب (مع مقدّمة).
مختارات من شعر يوسف الخال (مع مقدّمة)، ١٩٦٢.
مختارات من شعر شوقي (مع مقدّمة)، ١٩٨٢
مختارات من نصوص الكواكبي (مع مقدّمة)، ١٩٨٢.
مختارات من نصوص محمد عبده (مع مقدّمة)، ١٩٨٣
مختارات من نصوص محمد رشيد رضا (مع مقدّمة)، ١٩٨٣
مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
مختارات من نصوص محمد بن عبد الوهاب (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
(الكتب الستّة الأخيرة أُختيرت وقُدِّم لها، بالتَّعاون مع خالدة سعيد).

ترجمات

الأعمال المسرحيَّة الكاملة لجورج شحادة، ١٩٧٥.
الأعمال الشعريَّة الكاملة لسان ـ جون بيرس، ١٩٧٦.
الأعمال الشعريَّة الكاملة لإيف بونفوا، ١٩٨٦.
مسرحيَّة فيدر لراسين، ١٩٧٥.
الشَّقيقان العدوَّان لراسين، ١٩٧٥.

القسم الأول

I

خُـذْ مـا تَـراهُ، وَدَعْ شَـيـئـاً سـمـعـتَ بـهِ،

في طَلْعَةِ الشّمسِ ما يُغْنِيكَ عن زُحَلِ.

المتنبي

١٦١ هـ.

ـ أ ـ

الجحيمُ التي كان لِلرّاويه
أن يتوغّل في نارِها
دونَ أن يبلغ الهاوِيَهْ،
فَرّ مِن هَوْلِها إليَّ
يتفَيّأُ في مقلتيّ.
قال، تأتي وتأخذ فيها
مكاني،
ليلُها غامِرٌ
والصّراط إليها
ضيّقٌ، شائِكٌ.

ـ أ ـ

قال[1] تأتي معي
حَلَبٌ تَتَهَيْدَبُ أيّامُها
بالفتوح: الشّمالْ
يتقلّب في نارها
والجنوبُ قريبٌ
غريبٌ.
كيف لا أستجيب لهذا السّؤالْ،
تاركاً سفنَ اللّيْلِ
تُبحر في شمسِ أنطاكيه؟

أَلوداع الوداعَ لأنطاكيهْ، ـ
أَتُراها ولادتيَ الثانيه؟

* يتنوّر أيّامَهُ:
كلّ شيءٍ ضِياءٌ له ودليلٌ.
وجههُ شَمْسُهُ،
وتباريحهُ
أفقٌ باذِخٌ يَتَصاعَدُ فيهِ.

(١) القائل هو سيف الدّولة، عندما كان في أنطاكية. سنة ٣٣٧ هـ.

١٦١ هـ.

- ٢ -

لا أجيئ، إذا كان في كلّ دربِ
دليلٌ وضوءٌ - أجيئُ،
إذا انطفأ الضّوءُ،
وارتطمَ العابرون الحيارَى
بحجارة سِجّيلهمْ.

وأجيىء، إذا كان لي أن
أَشقّ طريقَ الجحيمِ،
إلى آخر الجحيمْ.

- ب -

يَلْتَقي شاعرٌ وأميرٌ
شاعِرٌ يقرأ الوقتَ في شعرهِ
أميرٌ
يقرأ الوَقْتَ في صُحفٍ من دماءْ،
ويُسِرُّ: «هوًى غامِضٌ شَدّ
قلبي وعقلي إليهِ. . .
تُراها
بيعتي، أم تُراها
بيعة المتنبي؟»

ما أمرَّ اللّقاءَ، وما أغمضَ اللّقاءَ، وما أعذب اللّقاءْ.

* صوته يتموّج في أُذْنِ الوَقْتِ والوقت يُملي أَعَاصِيرَهُ:
نسْغُ هذا الفضاءْ
سائِلٌ يتقطّرُ من فلَكِ الكبرياءْ.

١٦١ هـ.

- ٣ -

حسناً

أتنوَّر في سفري نحو نفسي،

ونحو المدائنِ والنّاس،

شعري، وأنتبذ الراويهْ.

لا دليلٌ سوى الشّعر -

يبتكرُ الهاويه

ويُصادِق معراجها الكريْم.

فَلْيجيء نحويَ الفضاء

لِيَجيء مثْلَ طِفْلٍ،

نَقيًا وحُرًا

لأَخطَّ عليه

ما روته النجوم لعينيّ هذا المساء.

- ج -

- جالساً[1]، سوف أقرأ شعريَ بين

يديكَ، ولن أنحني

مِثْلَ غيري: أقبّل بينهما الأرض،

لكنّني

سأعانِقُ فيك السّماءْ

وأقبّل كلّ علوٍّ.

- أَأُخاصمك الآن؟ لا، لن أخالِف

ما قلت. خيرٌ.

لكَ ما شئتَهُ،

لم يَشأْهُ سِوايَ ولا شَاءه الشّعراءْ.

* ربّما،

لاشفاءٌ لجرحكَ إلاًّ

في يَديْ ورَدةٍ

لم تلامسهما يداكْ.

(١) حوار بين المتنبي وسيف الدّولة.

ـ ٤ ـ

أَتُراني حقًّا أجورُ، إذا
قلتُ ما لا يُقالُ؟ ولكن
كيف أطمسُ ما يطمسُ
الجَوْرُ والبَغيُ؟
ما الشّعر إن لم يرَ الجَذْرَ،
إنْ لم يُضِئْنا؟ وما الضَوءُ
في الشّعر، إن لم يُنوِّرْ
دُجُنَّةَ أيّامِنا، وَيُزَلْزِلْ
وَهْمَ تاريخنا؟

كرّروا ما تشاؤون ـ أنتم
للعروش وأهوائِها،

ـ د ـ

أَلمساءُ، صديقُ العنادلِ، يَتركُ مزمارَهُ
في يَديَّ، ويَمضي
طائفاً، سائلاً.

وأراهُ يفكّ جدائل صَفْصَافَةٍ
ويغطّي بها كتفيهِ.
أَلمساءُ صديقي، صديقُ العنادلِ،
يَشْطَحُ في صمتهِ.

* عندما يُصبح الغيب ثوباً لجسمكَ،
والشمس رمّانةً في يديك،
كيف لا تولد الأرضُ من أوّلِ
في خطاكَ، وفي ناظريكْ؟

١٦١ هـ.

للسيوف التي تتناسَل فيها،

لأبنائِها

وأبناء أَبْنائِها،

كرّروا، أَنْشدوا:

لكِ حَشْدُ القبائلِ،

حَذْوُ القوافِلِ،

والعالِياتُ القصورُ

وأنوارُها السّاطِعَهْ،

واتركوني أنا لِضلالي

لن أفيءَ إلى ظِلكم

وذخرتُ لصوتي هوًى آخراً،

وَمَدىً آخراً

وسأبقى رفيقاً أميناً لبيدائيَ الواسِعهْ.

ـ هـ ـ

ناقتي ـ أَتغَلْغَلُ في وخْدِها:

أَلمحُ الموجَ فيه

والصّحارَى ـ أرَى النّخْلَ، كلاّ،

وَخْدُها حيرةٌ والتباسٌ،

ودُرُوبٌ إلى

أرضِها، خفيّهْ.

أَتُراها ـ

حَلَبٌ بين أَهْدابها

أَمْ تُراهُ الحنينُ إلى اللاّذقيّهْ؟

* شَغفني أن أربّيَ سِرّي كطفلٍ،
شَغفني أن أفيءَ إلى بُرْعمٍ
وأخبّىءَ حبّي
في أساريرهِ.

١٦١ هـ.

ـ ٥ ـ

لابْنِ الكلبيّ، وسَيْفٍ، وأبي مِخْنَفْ[1]،

تاريخُ رمالٍ

يتأرجَحُ في عرشٍ دامٍ،

في عَبَثٍ مُسْتَأْنَفْ.

ـ و ـ

أَتُراهُ شِعري

نجمٌ رَحّالٌ

في صحراء المعنى ـ

يَتَعَهَّد واحاتٍ

ويشقّ مجاريَ في الأصواتِ وفي الكلماتْ؟

أَتُرَاهُ قلبي

قَمَرٌ بَطّالٌ

يَسْكنُ في حَرَمِ الأحلام، ويبني

مُدُناً لِلتّيه ولِلشَّهَواتْ؟

---

* لِلفضاءِ طيورٌ تخطّ السّماءَ ـ

نبوَّاتِها ورؤاها،

رُقَعٌ من سحابٍ بِلون السَّلَمْ

كلّ طيرٍ قلَمْ.

(١) أبو مخنف، سيف بن عمر، ابن الكلبي: إخباريون ومؤرِّخون قُدامى.

- ٦ -

أتقفّى، أُوغِلُ في الآثار،

وفي التّاريخ، وفي ذاكرتي -

- أ -

حُوصِرَ هاشِمُ[1]، أشعلَ ناراً:

«لن يَلمَسني سَيفٌ

أهلي ونسائي

سيموتون كمثلي.

نارٌ - ألطفُ بَرْدٍ

في أَنْعَمِ دارٍ».

- ب -

أَعطاهُم سُمًّا، أو هذا

ما أُخْبِرَ عنه، وهوَى كلُّ

- ز -

جَرّتِ الشّمسُ أردانَها

في رواق الغروب، وأعطت قناديلَها

للمساء.

أَلسّهولُ خِيامٌ

تتلاَقَحُ فيها

شَهَواتُ الشَّجَرْ،

والنّجوم كمثل النّساءْ

يَتَفَحَّصْنَ أجسادهنَّ،

ويَفتقْنَ ثوبَ القَمَرْ.

* أَتُرى يعرف الماءُ أنّ الشّرَرْ

وحيهُ المُنْتَظَرْ؟

(١) هاشم بن حكيم، المقنّع. وقيل اسمه عطاء. كان يتبرقع بحريرٍ أخضر، أو بوجهٍ من الذهب. قيل أحرق قلعته رافضاً الاستسلام. قائلاً لمن معه:

«من أحبّ أن يرتفع معي إلى السماء،

فَلْيُلق نفسه معي في هذه النّار».

يقول المعرّي، مشيراً إليه:

أَفِق، إنما البَدْرُ المقنّع رأسَهُ

ضَلالٌ وغيٌّ مثل بَدْرِ المقنّعِ.

١٦١ هـ.

في اللَّهب الصّاعدِ نحو اللَّهِ،
أَتَوْهُ -
أخذوهُ ميتاً، قطعوا الرّأسَ، اسْتبشاراً
ومَضوا. حملوه للمهديّ،
وكان مقيماً في حَلبٍ.

- جـ -

هاشِمُ كان يقول: «إلهٌ
يَتجسّدُ فِيَّ، دَعُوني
أتبرقَعْ حتّى
يكملَ فِيَّ تجسّدهُ، ثمّ سأكشف عن ذاتي
لِتروني - سَأُبيحُ لكم
ما شِئتُم».

- ح -

حَلَبٌ - أَتُراهُ السّحابُ الذي ينزلُ
الآنَ عن كتفيَّ، يَسيرُ إليها؟
لأَقُلْ إنّه رفيقي:
رَحِمٌ لِلتخيّل، أم للحنينِ؟
أقول لِظنّي تَمَهَّلْ
حسبيَ الآنَ أنّي قريبٌ إليها -
حامِلٌ شَمسَهَا
حاضنٌ ظلَّها.

سأقولُ لهذا الفضاءِ المنوَّرِ: كنْ مِثْلَها.

❊ شهوة الشّمس تُغلِقُ شُبَّاكَها:
مِتْعةٌ أن نرَى اللَّيلَ يأوي إليهِ
ويُوَشْوِشُ قُضبانَهُ.

١٦٢ هـ.

- ٧ -

- أ -

خرجوا[١]،

اسْتَبْسلُوا،

أُبيدوا.

- ب -

قُتِلَ اليَشكريُّ[٢]، وبُدِّد أنصارهُ في الجزيرَهْ،

ودَمُ البربريّ، ودحيةَ والبرلسيِّ[٣] يَسيلُ على جَسدِ البيرةِ: الأَميرُ يُحبّ الرّقادَ على جُثّة الأميره.

- ط -

يكتب الشّعرُ وَحْيَ الصّداقةِ

في كتبٍ جامِحَهْ -

هذه آيةٌ:

فَجْرُ تاريخنا

قائِمٌ قاعِدٌ،

هُوذَا يَنْحَني -

يتربَّعُ في أوّل العِطْر،

يَقْرَأُ للماء، لِلْعُشْب، للشَّجَرِ

الفاتِحهْ.

* تعجب الأرض من ذلك الهباءِ

الذي يتحدّرُ من آدمٍ،

وتؤكّد سُكْراً بِهِ:

لن أوجّه وجهيَ إلاّ إليه.

(١) إشارة إلى فرقة المحمِّرة، الذين خرجوا في جرجان، وقتلوا جميعاً، كما يُروى.

(٢) عبد السّلام بن هاشم اليشكريّ، خرج على الخليفة المهدي وكان أنصاره يتكاثرون في الجزيرة.

(٣) العبّاس البربريّ، دحية الغسّاني، إبراهيم البرلسيّ، خرجوا في البيرة، بالأندلس على عبد الرحمٰن الدّاخل، وقتلوا مع عددٍ من أنصارهم.

١٦٣ هـ.

- ٨ -

- أ -

ألخليفة في حلب[1] للتفقّدِ: -
«أين الزّنادقةُ؟ اسْتَخْرجوهمْ
مِن مخابئهمْ، وأَبيدوهُمُ
واحداً واحداً.

قَطِّعوا بالسّكاكين أوراقَهم،
قَرِّبوها - أنا البادىءُ
كي يُقالَ: اصطفاهُ ثواباً
لِلنّعيم وولدانهِ، البارىءُ».

- ي -

زَفَرَتْني شَهيقاً
مُدُنٌ لا تُحبّ السَّماءَ، ولكنْ
لم أكن قادراً بعدُ، أَنْ أَتبلَّغَ،
أو أن أُبَلِّغَ ما وَسْوَسَتْهُ
مَفازَاتُها،
وما رَمزَتْهُ،
ألهذا تأَسَّسْتُ في صَمْتِها، وفي وَحْيِها؟

* رحلة الرّمل لا تنتهي،
والبشارةُ تأتي مِنَ البحرِ
في جوفِ حُوتٍ.

(١) قال ابن الأثير: «في السنة ١٦٣ هـ، جاء الخليفة المهدي إلى حلب، فأمر بجمع الزنادقة فيها، وفي نواحيها. جُمعوا وقُتلوا، وقُطّعت كتبهم بالسّكاكين».

١٦٣ هـ.

ـ ب ـ

سنةٌ داميهْ ـ

والزّنادقةُ اليومَ أكثرُ من أيّ وَقْتٍ مَضَى[1]

عِبْرةً لسِواهُمْ،

سَأعدّد أسماءَ مَن قيلَ عنهم زَنادِقةٌ

وأُبيدوا،

أَوْ أُحيطوا، لأَمْرٍ خفيٍّ،

بعفْو الخليفةِ، لكنّني لن أبوحَ براوٍ ولا شاهدِ

حذراً من عُتوّ اليد الباغِيه،

سأقولُ: أنا وحديَ

الزّاويهْ، ـ

أَبان بن عبد الحميد اللاّحقي

ـ ك ـ

في كلّ مُفْتَرَقٍ صَمْتٌ يُوسِّعُ لي

حَدَّ الكلام، ويَرْميني إلى الفلكِ

لي في الكلام أساطيرٌ ولي سُنَنٌ

ولي طيورُ صبَاباتي ولي شبكي

تَقَاطعَتْ فيَّ راياتٌ وأَشْرِعةٌ، ـ

غَدي عروشٌ

وشِعْرِي مالِكُ المَلكِ.

* غِبْطَةٌ أن يُزاوِجَ ما بين أَنْفاسِهِ

واضطراب الجناحْ،

ألهذا،

لم يكن مرّةً، طيّعاً لِلرّياحْ؟

(١) من أسلافهم:

الجعد بن درهم،

معبد الجهني،

غيلان الدمشقي،

عبد الصمد بن عبد الأعلى.

١٦٣ هـ.

ابن طالوت ابن شاكر
ابن ديصان ابنة يعقوب
ابنة مطيع أبو نؤاس
أبو العبّاس الناشىء
أبو علي سعيد
أبو العتاهية
أبو عيسى الورّاق
إبراهيم بن سيّابة
إسماعيل بن سليمان الجيهاني
إسحاق بن خلف بشّار بن برد
البقليّ[1] الجَرنْديّ
جميل بن محفوظ
داؤد بن رَوح بن حاتم المهلبيّ

ـ ل ـ

حَلَبُ ـ
أَتُراكِ التوهّمُ، عمّرتُ وقتي بهِ؟
ما يكونُ، إذن، وعدُنا؟
ما يكون اللّقاءُ الذي نُشْرِك الغيبَ فيهِ؟
وإلى أيِّ شَمْسٍ سَأُوكِلُ ليلي
عندَما نتغطّى
بصباباتِنا؟
نَتَسَتَّرُ، أم نتكنّى؟

لن أصرّح، لكن
هل أخونُكِ إنْ وشوشْتِنِيَ نفسي،
وَوَشْوَشْتُها؟

---

* لا يريد من الدّرب إلاّ
أن يرَى كيف تُرخي جدائلَ أحلامِها،
وتفكّ، العشيَّةَ، زُنّارَها.

(١) كان يقول: «الإنسان كالبقلة، إذا مات لا يرجع».

١٦٣ هـ

وُدّة الشّروي

والبة بن الحباب زوجة يعقوب

حمّاد الرّاوية حمّاد عَجْرد

حمّاد الزّبرقاني

حفص بن أبي وردة الحريزيّ

يعقوب بن الفضل الهاشميّ[١]

يحيى بن زياد الحارثي

يزيد بن الفيض

يونس بن أبي فَرْوة

محمد بن أيوب المكّي

محمد بن طيفق محمد بن النّجم

محمد بن زياد محمد بن باذان

مطيع بن إياس[٢]

- م -

كيف لي أن أُطَمْئِنَ هذا المشرّدَ

في دميَ المتشرّدِ ـ

هذا الغروبَ الشّروقَ

الشّروقَ الغروبْ؟

وأنا في رحيليَ نحو المكان ونَحْوي

لم تَقُدني دروبيَ إلاّ

لِمَحْوِ الدّروبْ؟

❊ فُسْحَةٌ ـ

يتَصفَّح فيها كتابَ النّجوم، يمدّ الصّباحَ،

يمدّ المساءَ، يمدّ السّهَرْ

بين أهدابهِ والصُّوَرْ.

(١) قتله الهادي سراً وأعلن أنه مات ميتة طبيعية،

و «زوجة يعقوب»، و «ابنة يعقوب» هما زوجته وابنته.

(٢) «ابنة مطيع» هي ابنته.

منقذ بن زياد الهلالي

محمد بن أبي عبيد اللّه

النّعمان عُبادة

عبد اللّه بن معاوية بن يسار

العباسي ابن داؤد بن علي [١]

عبد الكريم بن أبي العوجاء[٢]

عمارة بن حربيّة

علي بن الخليل

صالح بن عبد القدوس

قاسم بن زنقطة.

ـ ن ـ

نَدّى يُبلّل أطرافي، مدّى عَبِقٌ

بنكهةٍ ـ أَتُراها نكهةُ الغَسَقِ؟

أَحارُ: هل هي هَمْسُ الغَيْبِ مُرْتَسِماً

بغير حِبْرٍ، ومقروءاً بلا ورَقِ؟

أَمْ نكهة الضّوءِ يَجْلو جبهةَ الأفُقِ؟

خُذْ الغِوايةَ من عينيَّ، ياحُلمي

وخُذْ طريقَكَ، واتركْني إلى طُرقي.

* يدعو الأرضَ لتلعبَ نَرْدَ الدَّهرْ
في ملكوتِ الشّعْر.

(١) مات في السّجن.

(٢) يقال إنه عارض القرآن الكريم.

- ج -

أوصى المهدي ابنه الهادي، قائلاً:

«يا بُنيّ، إن صار لكَ هذا

الأمر، فتجرّدْ لهذه العصابة (...) فارفع فيها الخشب، وجَرّد فيها السّيف، وتَقَرّبْ

بأمرها إلى اللّه الذي لا شريكَ له.

فإني رأيت جَدّكَ العبّاس في المنام قَلّدني

سيفين، وأمرني بقتل

أصحاب الإثنين».

- س -

شَرَرُ الآن يَلمع في غيمة الأَمْسِ،

والأمسُ يغمس أطرافَهُ

في بحيرة فَجْرٍ -

هكذا تَتَجمَّعُ في نفسيَ الأزمنَهْ.

أَلسَّماء تلمُّ تقاسيمَها

مِنْ أقاليم شعري: أقاليمُه

موعدٌ لفراديسها -

هكذا تتمزّقُ في نفسيَ الأمكنَهْ.

* ما أبَرّكِ، يا كتِفَ الشاعرِ،

تحملين الصّخورَ وتاريخَهُنَّ،

وَفاءً لمعراجهِ الحائرِ.

- ع -

يَنْحَنِي جسدي فوق أعضائِهِ
وَيُجَاهِرُ: ما أبعدَ العُضْوَ عنّي،
وعن نفسهِ -
هل يقولُ لكم حيرتي؟
هل يقولُ يقيني؟
كيف أعرفُ؟
لكن
غَرَضي، هاهُنا، نيّرٌ:
أن أقيسَ المسافات بيني وبيني
عندما أتوغّلُ في غربة الضّوءِ
عن أمسهِ،
وعن شمسهِ.

* قمْ لِنايكَ، واسْتَأْنِف الأُغنيهْ:
شَاعِرٌ يتَشرَّدُ - أجملُ غَاباتهِ
في الطّريق إلى نَفْسهِ،
غابَةُ المعصيهْ.

- ٩ -

تقاسيم على الوصيّة

- أ -

زِنديقٌ
مَن يَجهر بالتأويلِ خلافاً
لِلتّنزيلْ
ويعلّم: كلّ حرامٍ لِلتّحليلْ.

- ب -

زَنْدكَرْ، -
يُولَدُ الكونُ من نطفة الماءِ
تنزل في رَحمٍ منِ مَدَرْ.

١٦٣ هـ.

ـ ج ـ

أَهَيَ المانويّة؟

أشعوبيّةٌ؟

أَلعناصِرُ تَسْخَرُ من ظُلمةِ العقولِ،

وتحزن للأبجديّه.

ـ د ـ

أُبغضُ. لكن،

إن أُبغِضْ شيئاً

لا أُبغِضُ أَهْلَهُ[1]

أَنُحبّ العَقْلَ،

ونكرهُ أصلَهُ؟

ـ ف ـ

قَمَرٌ يتنزّهُ، يحمل أوراقَهُ

في حقائبَ سِرّيَّةٍ.

ألنّجوم صديقاتهُ

والغيوم ثيابٌ لهُ.

قَمرٌ عاشِقٌ يُغنّي:

حَلَبٌ آيةٌ

في كتابِ الخفاءْ.

ما يكونُ، غداً كشفُها؟

ما يكونُ الجلاءُ؟

---

* تكحَلُ الشمس أجفانها بالسَّوادْ

كي تُحِسَّ بما حولها، وتُحْسنَ إصغاءَها

لأنين الرّمادْ.

(١) إشارة نقديّة لكلام للجاحظ قال فيه: «فإنّما عامّة من ارتابَ بالإسلام، إنما جاءه هذا عن طريق الشعوبيّة. فإذا أبغض شيئاً، أبغض أهله».

(البيان والتبيين: ٣، ١٤).

١٦٣ هـ.

- هـ -

هُوذَا يَهْذي:

«ليس لأيّ منكم أن يُثْبتَ

رَبّاً.

لا إثباتٌ

إلاّ بالحسّ، ولكن

كيف يكون المحسوسُ

المُثْبَتُ ربّاً؟

وأُسائلكم:

مِن أين لنا

أن نُثْبِتَ ما لا نُدركهُ؟»

- ص -

أَتُرى وحدَها تتلاقى المناراتُ؟ مالي

أتوجّسُ؟ قلبي

يَتَفلّتُ منّي، ويمضي وحيداً

عالياً عالياً،

ودائي

أَنَّني أوقِظُ الأرضَ من نومها وأغالي،

أنني عاشِقٌ

زمَنَ الكوفةِ، الفراتَ وأحزانَهُ،

والأعالي.

---

* يمضي، يجيء، يرى، يشتاق، يَنْكسِرُ -
أحزانهُ قَبْرُ أحلامٍ، وحيرتهُ
غَيمٌ على قبرها، والشّاهِدُ المَطَرُ.

١٦٣ هـ.

ـ و ـ

ـ ألسّلَحْفَاةُ أَقْصرُ دَرْبٍ
للدّخول إلى ملكوتِ الزّمَانْ.
ـ إتّقِ اللّهَ، هذا
رأيُ من قال بالدّهْر،
والزّندقَاتُ له تُرجمانْ.

ـ ز ـ

غَابَ يَزْدانُ بَخْتِ[1]
في حديقةِ أوهامهِ،
لم يَعد بعدُ منها.
ـ ولماذا يعوذ
وهو مِلْءُ الوجوذ؟

ـ ق ـ

أيّامٌ ليست أيّاماً ـ
وأَراها مِثْلَ ضفائرَ مُسْتَرسلةٍ
لِملائكَ لا أَحْباب لهم،
لا يُنْمَوْنَ لأيّ مدينَهْ.

أيّامٌ ـ
كلّ امرأةٍ
تنسج منها زُنّاراً.
كلّ شريدٍ
يتلمّسُ فيها
حَبْلَ سفينَهْ.

* العزيزُ المشرَّدُ يشكو لأوراقهِ:
«كاد أن يرجع الضوء مثلي، حزيناً،
لمجرّاتهِ الأمينَهْ.
ما أمرّ المسافات بيني وبين المدينَةِ،
ما أبعدَ المدينَهْ».

(١) أحد رؤساء المانوية في العصر العباسي.

١٦٣ هـ.

- ح -

لزنادقةٍ

سَمّوا أنفسَهَمْ

«إخوانَ الصّدْق»،

تتوهّجُ سِرًّا

آفاقُ الشّرْق.

- ط -

معجزاتٌ، مخاريقُ سِحْرٍ
والشياطين تسكن فيها.

- ي -

صيدوا «أصحاب الأهواء»[1]،

سجناً، قَتلاً، حَرْقاً

صيدوهم

في كلّ الأنحاء.

- ر -

حَلَبٌ - وقْتنا إِلْفُنا

موكبٌ آخرٌ في ركائب أشواقِنا

تتورّدُ، تقفو، تجسّ، تُخَالِطُ أَنْفاسَنا

وأفراسَنا،

تَتَزَيَّا لنا

بِهوىً يُبتكَرْ

وتُؤالِفُ وَسْواسَنا

وتخطّ وتمحو الصُّوَرْ.

حَلَبٌ - وقْتُنا إِلْفُنا

فرَسٌ لِرُؤانا

تتقدّم أفراسَنا.

* هذا لِسانُ غوايةٍ - ما أبلَغَه:
سِرْبٌ منَ الطَّيْرِ الغريب، يحومُ
في قَلَقٍ على جسَدِ اللّغَهْ.

(١) من وصية الخليفة المهدي.
و«أصحاب الأهواء» هم الفرق التي كانت تُعَدّ في نظر الخلافة ونظامِها، منحرفة عن الدّين.

١٦٣ هـ.

ـ ك ـ

لم يقولوا اسْمَها[1]،
ورووا أنّها أعلنت مرّةً
وَهْي في حضرة الرّشيدْ
أنّها مانويّهْ.
دُهِشَ النّاسُ مِن أَمْرِها
كيف، أنّى لأُنْثى
لا ترىَ، لا تُريدْ
غيرَ ما يتآخى
ظلاماً ونُوراً
في الحياةِ،
وفي جَسَدِ الأَبْجديّهْ.

ـ ش ـ

لم يكن مرَّةً غريباً بلا أُلْفَةٍ
لم يكن مرَّةً أليفاً بلا غُرْبَةٍ.
دائماً كان مِثْلي
غريباً أليفاً معاً
دائماً كان مثلي مكاناً
لِتآويله،
لا لأقوالهِ.

هُوذَا ذلك الرّفيقُ الصّديقُ الذي فيَّ،
يخرج من ليلهِ،
حاملاً وردةً
كان قلبي تغنّى بها.

* زهرةٌ تخرج الآنَ من رحمٍ في الهواءْ
لتُحيّيَ معراجَهُ
وتقولَ لهذا الأثير الكلامَ الذي لم
تقله السّماء.

(١) الإشارة إلى ابنة مطيع بن إياس.

١٦٣ هـ.

ـ ل ـ

هذا كتاب المانويّهْ:

ورَقٌ صقيلٌ[1]

والحِبْرُ أصفى ما يكونُ، غِلافُهُ

نَقْشٌ وزركشةٌ ـ لهذا

رَدّوا ذيوعَ المانويّهْ،

وَهْي الضّلالة عينُها

لا حكمةٌ فيها،

ولا مَثَلٌ، وكلّ كلامها

يُشْتَقُّ مِن سوء الطّويّهْ.

ـ ت ـ

أتخيّل شعري غريباً يرودُ الأزقّةَ

في حَلَبٍ، تتمرأى

في خطاه شبابيكها،

وله ظِلّهُ قِلاعٌ، وله الفجرُ بيتٌ،

لا يُقِيمُ، ولا فُسْحةٌ تحتويهِ.

أتخيّل شِعري يتَنَقَّلُ في هَمّهِ

(همّهُ أن يدبّر طوفانَهُ)

عَشِق الأرضَ، حِبْرَ الفُصولِ، الرّحِيلْ

وله فيه حَظُّ الرّياحِ،

وأنشودةُ المستحيلْ.

* كلّما قال: هذي طريقي

إلى ناريَ الآتيهْ،

أجفل الضّوءُ فيهِ،

وتراءت له طرقٌ ثانيهْ.

(١) وصف الجاحظ كتب المانويّة، قائلاً:

«لا تفيد علماً ولا حكمةً وليست مثلاً سائراً، ولا خبراً ظريفاً، ولا صنعةَ أدب، ولا حكمةً غريبة، ولا فلسفة ولا مسألة كلامية»

(. . .) «أجودُ ما تكون الكتب ورقاً يكتب عليه بالحبر الأسود البرّاق، ويُستجادُ له الخَط».

(الحيوان، الجزء الأول).

١٦٣ هـ.

ـ م ـ

المَهْدِيُّ «القَصّابُ»[١]

أميرُ القتلَةْ:

هذا ما قالوه عنهُ.

وقالوا:

كان الإنسانُ أخسَّ

وأدنى

بين يديهِ، مِن بَصَلهْ.

ـ ن ـ

مُرْسَلٌ أنتَ أيضاً؟

أفلَنْ تفهمَ السّماءْ

أَنَّ وَجْهَ النّخيلِ ووَجهَ النّجيلِ،

على أرضِنا،

سَواء؟

ـ ث ـ

غَنّى لها

لهوائِها ولمائِها ولأرضها،

غَنّى لكلّ حروفها:

صَوْتي ذراعٌ

وهواي خاصِرةُ الكَلامْ.

لِمَ لا تكونُ الأبجديّةُ حُبَّه

وسريرَهُ،

ويكون حارِسَهُ الهُيامْ؟

* قال لِلشّمس: خذيني

طيّبٌ أن ندخلَ الآنَ إلى واحة نَخْلٍ،

وأرى جسمك ظِلاً،

وأرى جسميَ مرسوماً على أغصانِها.

(١) سُمّي الخليفة المهدي «قَصاب الزنادقة».

١٦٣ هـ.

- س -

- «هل تجوزُ له الإسْتتابَةْ؟

- لا تصحُّ

كما يأمرُ الشرعُ، إلاّ . . .

- هُوذَا طائِرٌ

خُذهُ واذبَحْهُ. هذي

صُورةٌ لِنبيِّكَ: أبْصُقْ عليها وعلى المانويّة - أعمالِها،

وأقوالها،

والكتابَةْ»[١].

- ع -

طلبَ الشاعر[٢] العَفوَ،

لكنّهم قتلوهُ.

- خ -

أخذَ اللّيلُ من حَلَبٍ ساعديها

أخذَ الفجرُ شُبّاكَها، -

سَفَرٌ

تتحوّل فيه الجراح إلى أُغْنياتٍ.

سفَرٌ. . .

سنقول الصّحارَى سَقَتْنَا رحيق أساطيرِها

ونَمتْنا فضاءاتُها،

وسنَرْجو،

باسْم أحلامِنا،

أن تنام النّوافذُ عُرْيَانَةً،

وتَسوسَ السّماءَ فراشاتُها.

* إنها الشّمس تؤاخيه، وتَسْتَرْسِلُ

في مَزْج هواها بِهواهُ، -

ما الذي يَرْتَسِمُ الآنَ على أهدابهِ،

ما الذي تحتضن الآنَ يَداهُ؟

(١) يُروى أنّ القاضي كان يطلب من المتّهم بالزندقة في اسْتتابتهِ، أن يَبصقَ على صورة ماني، وأن يذبحَ طائراً، وكانت المانويّة تحرّم ذبحَ الحيوان.

(٢) هو صالح بن عبد القدوس الذي حوكم بتهمة أنّ شعره يظهرُ الحكمة والفضيلة، ويُبطن الثنويّة والزّندقة. وقد طلبَ العفو، لكنّه قُتِل.

١٦٣ هـ.

ـ ف ـ

ـ قل لي،
ما ذا تحفظُ مِن آياتِ
القرآنْ؟
ـ...
ـ لاشيءَ؟ مُعاويَ، قمْ
واقتلْهُ.
ـ ولَدي! لا أقدرُ،
ـ قُمْ يا عبدُ اقتلْهُ،
أُقتلْ هذا الشّيطانْ[1].

ـ ص ـ

لا مأوى
لِلشُّكّاك، وللخلعاء،
وأَهلِ الكُفرْ،
إلاّ القَبْرْ.

ـ ذ ـ

حَلَبُ ـ أتخيّلُ أيّامَها
تَتَفتَّحُ مِثْلَ الزّهَرْ
في فضاءِ البَشَرْ
هو ذا عهدُنا، ـ
سَنكون لها نَبْضَها
سنكونُ لها صوتَها.

باسْم هذا اللّهَبْ
سَأُسمّي السّرابَ تراباً
والبلادَ وآفاقها حَلَبْ.

* لا يقولُ لهذا الدّم المتململِ في جسمهِ
المضطربْ
غيرَ ما قاله مِراراً: إغْتَرِبْ، إغْتَرِبْ.

(١) حوار بين الخليفة المهدي وعبد اللّه بن معاوية بن يسار بحضور أبيه معاوية وكان من وزراء المهدي، حيث تَمّ قتل الابن بيد أحد العبيد.

١٦٣ هـ.

- ق -

لم يكن آدَمُ[١] يتزندَقُ،
ما قالَهُ
جاء فيضاً على القلبِ،
مِن طربٍ وَانتِشَاءٍ.
كان هذا مُجوناً،
ويؤكّد أصحابُه:
لم يكن آدمٌ مُشْركاً.

- ر -

كان خليعاً[٢]
يَهْوى الغِلْمانْ
ويَعيش رفيقاً للمجّانْ.

- ض -

ما أقولُ لهذي الدّروب، لِتلك
الدُّروب التي سَبَقتها، وما ذا أقولُ
لِذاكَ الورَقْ؟
لِلهُيام الذي مَرّ في حبرهِ واحترَقْ؟

ما أقولُ لشعريَ فيها،
وهو المُلتقَى، وهو المُفْتَرَقْ؟

* لبسَ النّورَ ليحيا في اللّيل بعيداً،
ولكي يَبْقى
لامَرْئيًا.

(١) هو آدم حفيد الخليفة عمر بن عبد العزيز. ضَرَبه المهدي ثلاثمئة سوط بتهمة الزندقة. كان يقول «والله ما أشركتُ بالله طَرْفةَ عين. ومتى رأيت قرشياً تزندق؟ ولكنه طربٌ غلبني، وشعرٌ طفحَ على قلبي، وأنا فتًى من فتيان قريش أشرب النّبيذ، وأقول على سبيلِ المجون».

(٢) إبراهيم بن سيّابة، كما وصفه الأصفهاني.

١٦٣ هـ.

ـ ش ـ

سوف أصلبهم كلَّهم[1] ـ

نَصبوا أَلفَ جذْعٍ

كي يُدَلُّوا

فوقها ـ واحداً واحداً.

ـ ت ـ

اسْتَثْنى هارونُ[2] زنادقةً

مِن عَفْوٍ أصْدرهُ.

ـ ث ـ

لا أَبديَّ

إلاّ في مَوْج الزّائِلْ

هاتِ المعنى، ياسيّدَ عمري،

واسْكنْهُ في هذا السّائِلْ.

ـ ظ ـ

يهبطُ اللّيلُ ـ أحلامُنا

سُرُرٌ وثيابٌ لَهُ.

يُشْرِقُ الفجرُ ـ أعمالُنا

وأقوالُنا

سُفُنٌ وبِحَارٌ لَهُ.

يربط الوقت أهدابه بميثاقِنا.

هَيِّيء الحِبْرَ، أَنْصِتْ لما سنقولُ

وما نفعلُ،

أيّها الزّمَنُ المقبلُ.

* هوذا يحملُ روحين لكي يدخلَ في دِفْءِ حَلَبْ:

روحَ ليلٍ أَشْعَلَ الكوفةَ قنديلاً،

وروحاً لِلغضبْ.

(١) نصب الهادي ألف جذع لصلب الزنادقة قائلاً: لئن عشت لأَقتلنّ هذه الفرقة كلّها، حتى لا أترك منها عيناً تطرف».

(٢) استثنى الخليفة الرشيد الزّنادقة من عَفْوٍ عام أصدره سنة ١٧٠ هـ = ٧٨٦ م.

- خ -

أَلَّفَ ابْنُ عطاءٍ[١]

«أَلْفَ مسألةٍ» كي يردّ على الزّندقة،

هكذا فعلَ ابْنُ الحكَمْ[٢] ومحمد[٣] والحسَنُ الموسويُّ[٤] وأحمدُ[٥] واللّيث[٦]، ثمّ أضافوا:

الرّازي[٧]

والمسعودي[٨]

وأبو عثمان الرّقيّ[٩].

- غ -

هذي، إذن حَلَبُ:

شَهباء تضربُ فيها الشّمس خيمتَها

يحفّها التّينُ والزّيتونُ والعِنبُ.

يا للبياض ـ صَعدنا في مَدارجهِ

نعلو، نُقابِسهُ

ونَسْتَشِفُّ، ونَسْتصفي، ونُخْتَلَبُ

تُضيئنا نارُ حِبْرٍ لا نفادَ لهُ

وتَستضيء به الأَقلامُ والكتبُ

في سَيْرِنا من مراسي جمرهِ لهَبٌ

وفي مسالِكنا مِن ضوئه شهُبُ.

* شِعْرٌ طِفلٌ

يتشرّدُ في فَلَواتِ المعنى

العالمُ فيه فَرْدٌ

والشاعِرُ ـ حيناً جَمْعٌ، حيناً ثالوثٌ، حيناً مثْنى.

(١) واصل بن عطاء.

(٢) هشام بن الحكم «الردّ على الزّنادقة»، «الردّ على أصحاب الاثنين».

(٣) أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبّائي: «الردّ على أصحاب التناسخ والخرميّة».

(٤) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي: «الردّ على أصحاب التناسخ».

(٥) أحمد بن حنبل: «كتاب الردّ على الزنادقة والجهميّة».

(٦) أبو الربيع محمد بن اللّيث الخطيب: «كتاب الردّ على الزنادقة».

(٧) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي. «الردّ على المانوية».

(٨) المسعودي: «الإبانة في أصول الديانة».

(٩) أبو عثمان الرقّي: «الردّ على الملحدين وأصحاب الإثنين».

هـوامـش



أنا الغريقُ،
فما خَوْفي من البَلَلِ؟

المتنبي

رابعة العدوية

توفيت نحو سنة ١٣٥ هـ.

بيعت كمولاةٍ لأحد التجّار. احترفت العَزْفَ والغناء، ثم تصوّفت. قالت بفكرة «الحبّ الإلهي» وأوّلت الوصف الحسيّ الشهوانيّ في القرآن، رمزياً، وروحياً.

قُلتِ أَضْنَاكِ جَمْرُ النُحولِ، ولكن
أهنالكَ للحبّ ثوبٌ
غيرُ ما ينسجُ النُّحولْ.

السّلامُ على بَرْيِ أَقْلامهِ،
والسّلامُ لآثارهِ - لدورٍ
تتآلفُ في ظلّهِ
وتقومُ وتقعدُ في دارهِ.

عِطْرُكِ الآن يَرْوي أساطيرَ عُشّاقِنا
وردةً وردةً،
في كتابِ الحقولْ.

أبو دلامة

كوفي، اسمه زيد بن الجون
كان كما يروون «عبداً حبشياً فصيحاً، خليعاً ماجناً». توفي سنة ١٦١ هـ.

ذلك السيّد الماكرُ الماجِنُ:
شعرهُ وجههُ ـ
فيهمايصبح السّوادُ بياضاً
والبياض سواداً،
وَتُلوَّنُ لِلخَمْرِ قُمصانُها.

لم يُطِقْ كأسَهُ السّالفونَ، وأَعْرضَ عن لمسها
ماؤهم، ـ
ماؤهم آجِنٌ آسِنُ.

سفيان الثوريّ

توفيّ سنة ١٦١ هـ.
والنص قائمٌ على حوارٍ بينه وبين الخليفة المهدي.

ـ قلْ لماذا تفرّ هنا وهنالكَ مِنّا؟
أتظنُّ بأنّا
لو أردناكَ نعجزُ؟ قُلْ ليَ ماذا
نحكم الآنَ فيكَ؟
ـ إلَهٌ قادرٌ عادِلُ
حاكمٌ فيكَ: يَثْبُتُ حَقٌّ
وَيُزْهَقُ، في حكمهِ، الباطِلُ.
ـ مالَهُ الجاهِلُ؟
أبهذا يُقابَلُ من كان مثلكَ؟ إيذَنْ لأَضْربَ[1] . . .
ـ وَيْلكَ، أُسْكُتْ
لا يريدُ سوى ذاك: يمضي سعيداً
ونشقى نحن في قَتْلِه.
اكتبوا عهده قاضياً لا يُرَدُّ له أيّ حكْمٍ.
كتبوا عهده في كتابٍ، ولكنّ سفيانَ فَرَّ، وألقى بالكتابِ إلى دجلةٍ.

(١) أحد الأشخاص من بطانة الخليفة.

إبراهيم بن أدهم

توفي سنة ١٦١ هـ. وهو زاهد ومتصوف مشهور.

لا أريد قميصاً،
ولن أتعمّمَ في الصّيف. أمشي
حافياً مِثل غيري من الفقراءِ، وأحيا
عاملاً في الحصَادِ، وفي الحَمْلِ والطّحْن، سُحْقاً
لِلسّلاطين والأغنيَاءْ.

لا أريد سوى فَرْوَةٍ في الشّتَاءْ،
وأصومُ كأنّيَ لا مُلْكَ، لاشيءَ في الأرض عندي،
سوى شمسها والهواءْ.

توفي سنة ١٦٩ هـ. اتّهم بالزّندقة.

مطيع بن إياس

هَدّكِ الولَهُ المتفجّرُ فِينا لكي يَعْبُرَ
الحبُّ طَلْقاً
إلى هُوّةِ الفجيعةِ،
أو مُخْدعِ الحبيبَهْ، ـ

فَاغْفُري ما تقدّمَ أو ما تأخّر من ذنبنا
(إن حسبتِ خطانا ذنوباً)،
يا جسورَ التعقّلِ، يا هذه الجسورُ الغريبَهْ.

السيد الحميري

توفي السيّد الحميريّ سنة ١٧٣ هـ.

لم يَنَلْ شعرهُ
في الرّوايةِ ما يَسْتحِقُّ، وفُسِّرَ هذا:
«كان يَهْوَى بني هاشمٍ». وأضافوا:
«كانَ يُفرِطُ في النَّيْلِ من بعضهم،
ومن بعضهنّ ـ نساءِ النبيّ،
وصَحْبِ النّبِيّْ».

وتقول الرّوايةُ عن ناقدٍ كان من صفوة العارفينْ
أَنَّه قالَ: «بَشّارُ والحِميْريّ
أشعرُ المحدثينْ»[1].

(١) الناقد هو أبو عبيدة معمر بن المثنى.

الخيزران

شَهوةُ الخيزرانْ

تسهر الأرض فيها، جَحيميّةَ الوَقْتِ،

فَرَّاسةَ المكانْ

وَتُؤسِّسُ فيها النّساءْ

لِلهباء الذي لا يغنّي لغير الهبَاءْ.

ماتت في سنة ١٧٣ هـ.
أخذت العلم عن الإمام الأوزاعي.
قُتل ابنها الهادي بأمرٍ منها: جلست جواريه على وجهه وخنقته.

أبو إسحاق الزُّهْري

موسيقار ومن العلماء الثقات بالحديث. روى له البخاري ومسلم. وليَ القضاء ببغداد. كان يبيح السمّاع، ويضرب العود، ويغنّي عليه. توفي سنة ١٨٤ هـ.

ـ ١ ـ

ضربَ العودَ غَنّى عليهِ، وأَباحَ السَّماعْ
كان من علماء الحديث. . تولَّى القضاءَ ببغدادَ،
كان البخاريّ يروي له، وروى مسلمٌ لهُ.
هكذا، سوف نمضي إليهِ، ونسألُ:
ماذا سنَعْصَى
وكيف نُطيعُ الذي لا يُطَاعْ؟

ـ ٢ ـ

أَعْطِ الموسيقى
أجمل ما يعطيه
رجلٌ لحبيبتهِ.
نَاغِ العودَ أطِعْهُ، واجمحْ مَعَهُ، وأبِحْ
شهواتِ العَزْفِ، اصَّاعَدْ فيها، واهبطْ
أَنَّى شئتَ، وكيف تشاءْ
واغبط من غَنَّى
من قال الموسيقى
لغةٌ أخرى للأشياءِ، وَأَرْضٌ أخرى للأشياءْ.

سَلْم الخاسر

مات سنة ١٨٦ هـ ماجن فاسق من تلامذة بشّار وسمّي الخاسر لأنّه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً.

يقول بشار: من راقبَ النّاس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطّيبات الفاتِكُ اللّهِجُ.

ويقول سلْم الخاسر: من راقب النّاسَ مات غمّاً/ وفاز باللّذة الجسورُ.

هي مفتونَةٌ، وأنا شَهْوةٌ
وكلانا بلا مَرْفأٍ:
كيف نُرْسِي مَعاً، ونفوّض للموج أثقالنا؟

هي ذي نَشْوَةٌ
لذئابِ تباريحنا
تَتَلقّفُ أحشاءنا ـ
أَتُراها ستجتثّ أحزاننا ومراراتِنا؟
أَتُراها ستمحو الدّروبَ التي شقّها الموت فينا؟

آهِ، طُنْبورُ تيهي صَاخِبٌ حائِرُ ـ
هُو صِنْوُ الحياةِ، ورابِحُ أقداحِها
وأنا الخاسِرُ.

جعفر البرمكي

قال هارونُ يرثيه (هل كان يضحكُ،

أم كان يبكي؟):

يا أخي[1]، لا يُطيق الفلَكْ

كوكبيْنِ يجيئانِ في زمنٍ واحدٍ

ويخطّانِ وَجْهيهما بغدٍ واحدٍ،

ولذا أَسْتمِيحُكَ عُذْراً،

فلا بُدَّ أنَ أقتلَكْ.

(١) هذه الأبيات صياغة وتنويع.
فقد قال هارون الرشيد مرّةً، بعد قتله جعفر البرمكي، كلاماً بالمعنى نفسه.

دفاتر الفَلَك

سيميائيٌّ

لقيطُ النجوم

اسمه أبجد

صديقٌ للمتنبي ونجيٌّ لأهوائه

يعيش على قارعة الهواء في سفر دائم، يقرأ دفاترَ الفلَك ويؤرّخ[1] للمدن.

في حلب، انضمّ إلى حلقة الأصدقاء[2] الذين كانوا يتدارسون شعر المتنبي في ضيعته، الصّفّ، قرب المعرَّة، أو في بيته، في سَبْعين، بباب حلب. كان أبجد يسمر معهم اللّيل، ويروي لهم سيرة المدن التي عرفها. وكان بين ما يرويه وشعر صديقه مطابقات غريبة يحارون أحياناً في تأويلها. غير أنّ ما يرويه، وهذا ما يعترف به، كان مليئاً بالرموز والإشارات، وهو إذن، ليس سهلاً على الفهم.

دَوّنَ علي بن دينار رواية أبجد كما سمعها، مضيفاً إليها تأمّلات أبجد وانطباعاته الخاصّة التي كان يدوّنها في دفترٍ خاصّ سَمّاه «دفتر الذّكرى»، نقله عليّ بن دينار بخطّه.

تنشر الرّواية والمذكّرات، هنا، للمرة الأولى طبقاً لأصلها في المخطوطة التي تركها علي بن دينار. الرّواية مكتوبة بصيغة الضمير الغائب، هو. والمذكّرات مكتوبة بصيغة المتكلّم، أنا.

زاد أدونيس على الرّواية أشياءَ جَدّت في العصور التالية لعصر المتنبي، وأشياء رآها في العصر الحاضر، خصوصاً في ما يتعلّق بمدينة حلب وقلعتها.

(١) «التاريخ يومٌ ينسب إليه ما يأتي بعده».
(المقريزي، الخطط، ص ٤٦٩).

*

«تاريخ كلْ شيء آخره، وهوفي الوقت غايته، يقال: فلانٌ تاريخ قومه، أي إليه ينتهي شرفهم».
(قدامة بن جعفر، الخراج: ذكره المقريزي، الخطط، ص ٤٨٤).

*

«فأمّا التاريخ، فأول مَن فعله في الإسلام عمر بن الخطّاب.
(...) فقيل له: لو أرّختَ يا أمير المؤمنين لكنتَ تعرف الأمورَ في أوقاتها. فقال: وما التّاريخ؟ فَأُعْلِمَ ما كانت العجم تفعله. فقال: أرّخوا».
(المبرّد، الكامل: ٢/١٤٣).

*

(٢) بينهم علي بن دينار، الشاعر والخطّاط، الزّاهي، الشاعر والمتكلّم، ابن نُباتة، الخطيب.

*

الرواية

I

القلعة[1]، -

لا يجفّ دم الحرب، قَتْلاها كمثل إِبَرٍ في يد الرّيح، تخيط لِلزّمن ثوبه الأكثرَ التصاقاً بجسده. قد يتغطّى هذا الدَّم، حيناً، بالكلام. قد يختبىء، حيناً، تحت غبارٍ ما. لكن يكفي أن ترى إلى المكان الذي سال فيه، أو يكفي أن تتنبّه إلى كلمةٍ أو إشارة أو حدث حتّى ينبجس.

لا يجفّ دم الحرب

في المدن التي بنيت على صورة القلعة،

في القلعة التي بنيت على صورة المدينة الأولى.

كانت الملائكة قد جرّت الشّمس إلى باب القلعة. ورأى أبجد في ضوئها، أنّها بدأت خطواتها في أيّام سلوقس نيكادور، قبل المسيح بثلاث مئة واثنتي عشرة سنة. ولمّا صار فيها تلامذة للمسيح، أخذ يتعايش تحت رايتها عابِدُو السّماء: يهوداً ونصارى، والسّاجدون لوجه الحجر الذي كان يُسمّى صنماً، والسّاجدون للنّار.

(١) «حلب، اسم كان في البدء لقباً للتلّ الذي تقوم عليه القلعة. ويروى أن سورية هي الشّام الأولى، وهي حلب وما حولها من البلاد. وفي طرف حلب بناحية الأحصّ، مدينة عظيمة دائرة، وبها آثارٌ قديمة يقال لها سورية، وإليها ينتسب القلم السّوريانيّ.

وقيل كان إبراهيم الخليل، حين يمضي شمالاً، من الأرض المقدّسة، ينتهي إلى ذلك التلّ - يضع أثقاله ويبثّ رعاة قطعانه من الغنم والماعز والبقر، إلى الفرات وما حوله، وإلى الجبل الأسود الذي هو جبل الأمانوس.

ثمّ هَلّلت لخيول أبي عبيدة وسيوفه.

هكذا شعر أنه يجيء إلى القلعة من لا جهةٍ، أعني من تلك الجهات الخاصّة حيث تبتكر الأسلحة التي لاتشيخ، وحيث تظل النباتات في سهرٍ دائم. وكان قد نَزَعَ أقفال المتاهات وغيّر أسرارَها.

ـ كيف ستواجه، إذن، سبعةَ آلافٍ من السّنين؟ سألته، من بعيدٍ، حجارةٌ كلسيّة بيضاء.

تلك هي أزمان، كما يقول رقيمٌ مِن إيبلا.

وهي نفسها حلب، كما يقول رقيمٌ من ماري.

وهي نفسها بيرّوا، مسقط رأسهِ ـ عنيتُ والدَ الإسكندر المقدونيّ،

أسماء كثيرة لحجرٍ واحد!

قال في نفسه: استأذن أرسطو تلميذه الإسكندر للبقاء فيها حتّى يَشْفَى، فمن تُراني أستأذنُ لكي أدخلَ إليها؟

كان مضطرباً كمن يشاهد ذاكرته تتنقّل في غابةٍ كمثل يمامَةٍ خائفة. لم يبح لأحدٍ باضطرابه. وكانت اللّغة تتغلغل هاربةً منه، في الأشياء، التى تَتغلْغلُ في أحشاء القلعة.

وقيل كان الفقراء يجيئون إليه من كلّ ناحيةٍ في الشّمال. كان يأمرُ الرّعاة بِحَلْبِ ما معهم طول النّهار، وإعداد الطّعام ووضع هذا كلّه في الطّرق التي تحيط بالتلّ. وكان الفقراء الوافدون يهلّلون، قائلين:

حَلَبَ إبراهيم!

وقيل إن إبراهيم لَمّا قطعَ الفراتَ من حرّان (عرفت أسماء عديدة: أوديسّة، أذاسّا، الرّها، أورفة ـ اليوم)، وكانت مدينته الأولى، وفيها رُميَ بالنّار، أخذ يتصدّق على الكنعانيين من قطعانه. وفي أرض حلب، حفرَ لهم الآبار والأعين، ومنها العين التي سُمّيت باسمه، وهي التي بنيت عليها مدينة حلب.

وفي رواية أن بطليموس هو الذي بنى مدينة حلب وسمّاها أشمونيت، ومعناها عين الماء. ورأى الأعين التي بحيلان وهي من قرى حلب العامرة، فأمر المهندسين أن يبنوا المدينة، وأن يجرّوا هذه الأعين إليها في قساطل. وآخر ما بني فيها باب أنطاكية».

أخذته نشوة الكتابة: لا يهبط الإنسان في الشيء إلا وهو يهبط في نفسه.

هل سينبش القلعة ويقولها، كأنه ينبش جسده والمدن التي زارها؟ إذن، سوف يستأذِنُ القلمَ ـ أوّلَ الخَلْق.

احرسْهُ، أيّها الشّعر.

وَسْوَسَ له القلم: اقرأْ، اقرأ أوّلاً أحشاءَ المدن وأكبادَها كما كان يفعل جَدُّكَ المنجّم الأوّل.

روى السَّلَفُ الصّالح «أنّ إبراهيم عرج إلى السّماء، فنظر إلى الأرض، واختار موضع المدينة الأولى، الحرَمَ، أو البيت الحرام. هبط، وبنى. جاء بالحجارة من سبعة جبال، وقيلَ من خمسة: حِراء، ثبير، لبنان، الطّور، الجبل الأحمر.

الملائكة هي التي نقلت الحجارة.

لمّا فرغَ إبراهيم من بناء البيت الحرام[1]، المدينة الأولى، جاء جبرائيل وقال له:

ـ طُفْ به سَبْعاً.

طاف إبراهيم وابنه إسماعيل معه سبعاً، واستلمَا الأركان سبعَ مرّاتٍ، ثم صَلّيا خلف المقام ركعتين. ثمّ أراهما جبريل المناسك: الصّفَا، المَرْوَة، مِنَى،

وفي رواية «أنّ بلوكوس الموصليّ هو أوّل من بنى هذه المدينة. ويسميه اليونانيون سردينيلبوس، وخلفته على العرش ابنته أطوسا المسمّاة سميرام. وشاهد بعضهم على ظهر كتابٍ عتيق في حلب على باب أنطاكية كتابة باليونانية هذه ترجمتها: «بنى هذه المدينة صاحب الموصل، والطّالِعُ العقربُ والمشتري فيه، وعُطارِدُ يليه، ولله الحمد كثيراً».

(١) «جاء جبريل إلى النبيّ (ص) وعليه عصابة حمراء، وقيل خضراء، علاها الغبار:

ـ ما هذا الغبار، أيّها الروح الأمين؟

ـ زرت البيت. كانت الملائكة مزدحمةً على الركن، وهذا غبارٌ أثارته أجنحتها».

*

«قال عمر بن الخطاب لكعب:

ـ أخبرني عن البيت الحرام.

قال:

ـ أنزله الله من السّماء مع آدم. قال له: هذا بيتي أنزلته

مُزْدلِفَة، عرفَة.

لمّا دخل إبراهيم مِنى هابطاً من العقبة تمثّل له إبليس عند جمرة العقبة.

قال له جبريل:

ـ إرْمِهِ.

رَماه إبراهيم بسبع حَصيات، فغاب عنه.

ثم بَرز له عند الجمرة الوسطى، فقال جبريل:

ـ إرمهِ.

رماه إبراهيم بسبع حصياتٍ فغاب عنه.

ثمّ برز له عند الجمرة السُّفلى، فقال جبريل:

ـ إرمهِ.

رماه إبراهيم بسبع حصياتٍ فغاب عنه.

مضَى إبراهيم في حجّهِ، يرافقهُ جبريل، ويعلّمه المناسك حتّى انتهى إلى عرفة.

ـ أعرفْتَ مناسِكَك؟

ـ نعم.

وبذلك سُمّيت عَرفات.

معك، يطاف حوله، ويُصلّى، كما يُطاف حول عرشي ويُصلّى، والملائكة هي التي رفعت قواعده».

(١) «قال النبيّ (ص) لعائشة، وهي تطوف معه بالكعبة، حين استلم الركن: «لولا ما طبع على هذا الحجر، يا عائشة من أرجاس الجاهلية وأنجاسِها، إذاً لا سْتُشفِي به من كلّ عاهة. وإذاً، لأُلفيَ اليوم كهيئته يومَ أنزله اللّه. ولكنّ اللّه غيّره بمعصية العاصين، وستر زينته عن الظّلمة والأئمة، لأنه لا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيءٍ كان بدؤه من الجَنّة».

*

«عن أبي سعيد الخِدْري: خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى مكّة. لمّا دخلنا الطواف، قام عند الحجر (الركن) وقال: «أعلم أنّك حجرٌ لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول اللّه يقبّلك ما قبّلتك».

ثم قَبّله، ومضى في الطواف».

*

ثُمَّ أُمِرَ إبراهيم أن يؤذّنَ في النّاس بالحجّ. قال:

ـ يا ربّ، صوتي لا يبلّغ.

ـ أذِّن، وعليَّ البلاغ.

عَلاَ إبراهيم المقام. أَشْرف به حتّى صار أرفع الجبالِ وأطولها. جُمعت له الأرض يومئذٍ: سهلُها وجبلُها، بَرّها وبحرُها، إنْسُها وجِنُّها، حتّى أسمعهم جميعاً. أدخل إصبعيه في أذنيه. أقبل بوجهه يميناً شمالاً شرقاً غرباً. قال: أيها النّاس كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق. أجيبوا ربكم. أجابوه من تحت التخوم السّبعة، ومن بين المشرق والمغرب من أقطار الأرض كلّها: لبّيك اللّهمّ لبّيك.

كان إبراهيم يحجّ كلّ سنة على البُراق.

وقيل حجَّ هو وإسماعيل، ماشيين. بعد ذلك، حَجّت الأنبياء والأمم.

بين الركن[1] والمقام وزمزم قبورُ تسعةٍ وتسعين نبيًّا جاؤوا حُجّاجاً. مات فيها آدم ونوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

حجَّ موسى على جملٍ أحمر.

«كنّا جلوساً في الحجر، وإذا نحن ببريق حيَّةٍ ذَكَر. اشرأبّت له أعين النّاس. طاف بالبيت سبعاً. صلّى ركعتين. قلنا له: أيّها المعْتمِر، قضى اللّه نُسكك. بأرضنا عبيدٌ وسفهاء نخشى عليك منهم. كوّم برأسه كومةَ بطحاء، وضع ذَنَبه عليها، وسما في السّماء».

(١) قال سعيد بن المسيّب: «جمع جبرائيل لآدمَ، الحجرَ والحديد. قدحهما، فخرجت النار. وعلّمه صَنْعةَ الحِرائة: أنزل إليه ثَوْراً كان يحرث عليه، قيل هو الشّقاء».

*

(٢) من أسماء مكّة: بكّة، أمّ رحم، أمّ القرى، صَلاح، كوثى، الباسّة، الحاطمة.

«سمّيت الكعبة لأنّها مكعّبة على خِلْقةِ الكعب. وسمّيت بكّة لاجتماع الرّجال والنّساء فيها. أو لأنّ النّاس يبكّ بعضهم بعضاً في الطواف. أو لأنها تبكّ أعناق الجبابرة».

*

حجَّ ذو القرنين ماشياً.

لمّا أغرق اللّه قوم نوحٍ، رفع البيت الحرام[١] إلى السّماء. قبل إغراقهم، ووفقاً لرواية السَّلف، لمّا تاب الربّ على آدم، أمره أن يسيرِ إلى مكّة[٢]. طوى له الأرض، فجعلها خطوةً. كانَ قبل ذلك حزيناً يبكي. وكانت الملائكة تحزن لحزنه وتبكي لبكائه. عزّاه الربّ بخيمةٍ من خيام الجنّة وضعها له في مكة في موضع الحرم. كانت الخيمة، كما يؤكّد السّلف الصّالح، ياقوتةً حمراء تحرسها الملائكة من سُكّان الأرض آنذاك: الجِنّ والشّياطين. ومن أجل الملائكة، حُرِّم الحرَم، خصوصاً على حوّاء، لمعصيتها. لكن استمرّ آدم يلتقي بها. وكان إذا أراد لقاءها خرج من الحرَم.»

❋

«في أعلى مكّة مسجد يقال له مسجد الجنّ. يسمّيه أهل مكّة مسجد الحرس. ويُسمّى مسجد البيعة، إذ يقال إن الجنّ بايعوا الرّسول (ص) في ذلك الموضع. وقربه مسجد الشجرة، يقال إن الرسول (ص) دعا شجرةً كانت في موضعه، ليسألها عن شيء، فأقبلت تخطّ بأصلها وعروقها الأرض حتى وقفت بين يديه. سألها عمّا يريد، ثم أمرها، فرجعت إلى موضعِها».

❋

ـ أدرَكْتَ في البيتِ، تمثالَ مريمَ وعيسى؟»

ـ «نعم، أدركتُ تمثال مريمَ مزوّقاً، وفي حجرها عيسى ابنها، قاعداً مزوّقاً. وكانت في البيت ستة أعمدة. وكان تمثال عيسى ومريم في العمود الذي يلي الباب». (حوار بين ابن جريج وسليمان بن موسى الشامي وعطاء بن أبي رباح).

❋

«مرض آدم قبل أن يموت. لم يطل مرضه أكثر من أحد عشر عاماً. قبيل موته، أوصى بعلمه كلّه إلى ابنه شيت. أوصاه كذلك أن يخفيَ هذا العلم عن قابيل وأبنائه لأنّه قتل هابيل.»

(رواية ابن الأثير)

روى أبو هريرة أن اللّه قبض يديه، وقال لآدم:

«ـ اختر يا آدم.

قال آدم:

ـ أحببتُ يمين ربّي، وكلتا يديه يمين.

فتح اللّه قبضته اليمنى، فإذا فيها صورة آدم وذريّته كلّهم، وإذا كلّ رجل منهم قد كتب عنده أجله.

وكان مكتوباً لآدم أن يعيش ألف سنة.»

(رواية ابن الأثير)

«عاشت حواء بعد آدم سنة واحدة.

لمّا ماتت، دفنت معه في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكنز. بقيا معاً حتى جاء الطوفان. أخذهما

*

«كانت الكعبة مبنية برَضَم يابس ليس بمدرٍ. كان بابها بالأرض، ولم يكن لها سقف وكانت الكسوة تُدَلّى على الجدران من خارج وتُربط من أعلى. كان في بطنها إلى يمين من دخلها، جبٌّ يوضع فيه ما يُهدى إليها من مالٍ وحِليّ. على ذلك الجبّ حيّة تحرسه بعثها اللّه منذ جرهم، ذلك أنّه عدا عليه قومٌ منهم سرقوا ما فيه مرّة بعد مرّة. حرسته الحيّة بعدذلك خمسمئة سنة حتى زمن قريش. وكان قرنا الكبش الذي ذبحه إبراهيم معلّقين في بطن الكعبة. ثم إن امرأة ذهبت تجمّر الكعبة، طارت من مجمرتها شرارة أحرقت كسوتها. ثم جاء سيل عظيم دخل الكعبة وصدّع جدرانها... إلخ».

*

«كان عمر بن الخطّاب، إذا رأى البيت. قال: اللّهمّ أنت السّلام، ومنك السّلام، فحيّنا ربّنا بالسّلام».

*

كان البيت يدعى قادساً، وناذراً، والقرية القديمة، والعتيق».

نوح،

وضعهما في تابوت وحملهما في السّفينة.

عندما غاضت الماء وانتهى الطّوفان، ردّهما نوحٌ إلى الغار وكانت حواء قد غزلت ونسجت وخبزت وعملت أعمال النّساء.»

(رواية ابن الأثير)

*

«أزيل الحجر الأسود من مكانه مراراً. من جرهم والعمالقة وخزاعة. وآخر من أزاله القرامطة، في السّنة ٣١٩هـ. (وقيل ٣٢٠هـ.)، قلعوه وذهبوا به إلى البحرين. أعاده الخليفة العباسي المطيع للّه إلى مكانه، ووضع له طوقين من الفضة».

*

«بنيت الكعبة إحدى عشر مرّة:

بناية الملائكة، بناية آدم، بناية شيث، بناية إبراهيم وإسماعيل، بناية العمالقة، بناية جرهم، بناية قصيّ، بناية قريش، بناية ابن الزبير، بناية الحجّاج. وبنيت للمرة الحادية عشرة في السنة ١٣٠٩/هـ، في عهد السّلطان مراد».

*

«عن ابن عبّاس: «الركن يمين اللّه في الأرض يصافح بها عباده، كما يصافح أحدكم أخاه».

*

«نزل آدم من الجنّة ومعه الحجر الأسود. لولا أنَّ اللّه طمس ضوءه، لما استطاع أحدٌ أن ينظر إليه».

*

«عن عكرمة: «الحجر الأسود يمين اللّه في الأرض، فمن لم يدرك بيعة رسول اللّه، فمسح الحجرَ، فقد بايع اللّه ورسوله».

*

«عن ابن عباس: «نزل الركن وهو أشدّ بياضاً من الفضّة. ليس في الأرض من الجَنّة إلاّ الركن الأسود والمقام. هما جوهرتان من جواهر الجَنّة. لولا ما مَسَّهما من أهل الشّرك، ما مَسّهما ذو عاهةٍ إلاّ شفاه اللّه».

*

«يبعث اللّه الركن الأسود، له عينان يبصر بهما، ولسانٌ ينطق به، يشهد لمن استلمه بالحقّ». (حديث).

*

❊

قال كعب الأحبار (وقيل سليمان الفارسي): «شكت الكعبة إلى ربّها ما نُصب حولها من الأصنام، فأوحى اللّه إليها إني منزلٌ نوراً وخالقٌ بشراً يحنّون إليك حنين الحمام إلى بيته. فسئل:

ـ وهل للكعبة لسان؟

قال:

ـ نعم، ولها أذنان وشفتان.»

❊

«النظر إلى الكعبة عبادة. الدّخول فيها دخولٌ في حسنة، والخروج منها خروجٌ من سيّئة.»

❊

«من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً، خرج من الخطايا كيوم ولدته أمّه.»

❊

«إني لأعرفُ حجراً بمكّة، كان يُسلّم عليَّ قبل أن أُبْعَث»[1]. (حديث برواية مسلم)

❊

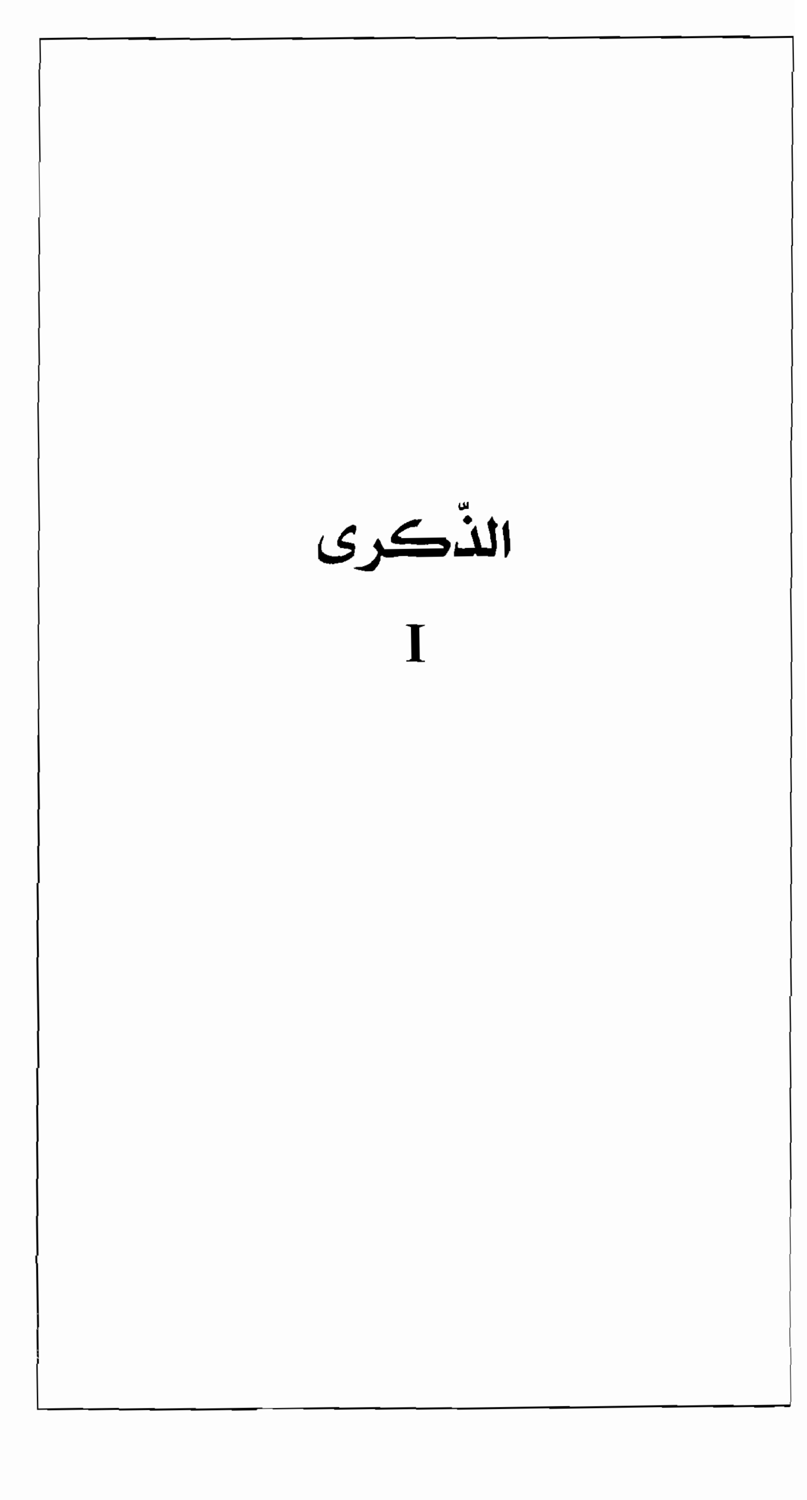
❊

قال سعيد بن المسيّب:

«أحلف باللّه، ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل. سقته حواء الخمر حتى سكر، ثم قادته إليها، فأكل».

(١) ورد ما يشابه ذلك في رواية على لسان النبي (ص):

«... خرجت مرّةً، فإذا بجبرائيل على الشمس، جناحٌ له بالمشرق وجناح له بالمغرب. فجئت مسرعاً، فإذا هو بيني وبين الباب، فكلّمني حتّى أنست به. ثم وعدني موعداً، فجئت له، فأبطأ عليّ، فأردت أن أرجع، فإذا أنا به وميكائيل قد سَدّا الأفُق. فهبط جبرائيل وبقي ميكائيل بين السّماء والأرض. فأخذني جبرائيل، ثم شقّ عن قلبي فاستخرجه، ثم استخرج منه ما شاء اللّه أن يستخرج. ثم غسله في طسْتٍ من ذهب بماء زمزم. ثم أعاده مكانه. ثم لأمَهُ. ثمّ خَتَمَ في ظهري حتّى وجدتُ مَسَّ الخاتم في قلبي. ثم قال: اقرأ... فجعلت لا يلقاني حجرٌ ولا شجرٌ إلاّ قال: السّلام عليك».



الذّكرى

I

المدينة ألف

❊

في المدينة ألف،
يُضيف الصيّادون إلى خيوطِ شباكهم خيوطَ أحلامهم:
لهذه ألوانُ الوقت،
ولتلك الوانُ الموت.

❊

بعضهم يريد أن يصنع جنّة للحرية
لكن بكلماتٍ
لا يقدر هو نفسه أَن يتفوَّه بها.

❊

في المدينة ألف،
تكفي تعويذةٌ واحدة ـ يُكتبُ الأبَدُ على وجهها الأوّل،
والأزل على وجهها الثاني،
لكي يتموّج البحر في سُمِّ الخياط،
ولكي تنبت للحجرِ أجنحة.

❊

حَجَرٌ في المدينة ألف، وجد نفسه فجأةً أنه رأسٌ
آدميّ.

هذا الرأس وجد نفسه فجأةً أنّه مسخَّرٌ لقراءةِ كتابٍ في مدح التاج. منذ تلك اللحظة تتبارى الرؤوس كلها في هذه القراءة.

*

كلا، لن أصف المدينة ألف بما كانت عليه، مثلاً، مدينة الاسكندرية. كانت هذه المدينة توصف بأنها من الأمكنة التي يباح فيها كل شيء، والتي يسافر إليها الإنسان لكي يمارس حريته، دون أي قيد أو أي عائق.

كلا، لن أصف المدينة ألف بأنها «العاهرة الكبيرة»، أو بأنها، كمثل مدينة سدوم، رمز للحرية القصوى التي تتحول إلى عبوديّةٍ قصوى، والتي لا يمكن أن يطهرها إلا المطر الذي يسيل ناراً... كلا، لن...

*

المحو هو الهاجس الأول للمدينة ألف، لكنها تنسى دائماً أَن المحو، هو أيضاً، كتابة.

*

تتسع المدينة ألف لكل شيء، إلا لذلك العضو الصّغير الجميل: القلب.

*

يقال:

تخرج كلمات من أقفاص تملأ البيوت والشوارع في المدينة ألف، ـ كلمات طويلة كالحبال،

ويقال:

ينطق بهذه الكلمات أشخاصٌ لا يتحدثون إلا مع أشباح تتقاسم المدينة ألف، كأنها أسرّة ومقاصير.

بعضها، مثلاً: أيها الشقاء ستكون اسماً لهذا الوقت.

وبعضها: لم تعد تقدر أية نجمةٍ أن تتسلل إلى غرفة الشاعر. وبعض هذه الأسماء، مثلاً أخيراً: عبثاً، تقرع هذا الباب الذي يسميه غيرك المستقبل.

*

يُروى أن للنهار والليل في المدينة ألف اشكالاً خاصة بهما، لا يعرفهما النهار والليل في أية مدينة أخرى.

من ذلك، مثلاً، ان النهار يبدأ في المدينة ألف كأنه قيدٌ موصول بقيد آخر. صحيح أن له قدمين، لكنهما مأخوذتان بتسلق جدران غير مرئية. أما يداه فترتقان دون توقف، ثوباً منسوجاً من تلك الخيوط التي يعرفها أهل الاختصاص، والتي تصل الرمل بالرمل. من ذلك أيضاً، أن له اذنين لا تسمعان إلا الكلمات التي تنفخها شفتاه كمثل الأنابيب، حيناً، والكرات حيناً آخر، ولا تعرف عيناه أن تنظرا إلى أي شيء، إلا بدءاً من النظر في مرآة الموت (وفي رواية ثانية: مرآة الموتى). هكذا تعيش الحرية والحقيقة والحب والنور، وراء حجاب. وحين تظهر، بين فترة وأخرى، تظهر إما مضرّجة بالدم، أو مغمورة بالخجل.

ومن ذلك أن المدينة ألف ترفع هذا النهار علماً يخفق

على قصورها، وفي شوارعها.

هذا قليل من أشياء كثيرة تروى عن النهار في المدينة ألف.

أما الليل فهولٌ لا يوصف، أو لنقل: ليس في الحديث عنه غير الحرج.

❊

للأطفال في المدينة ألف غذاءٌ خاص وغريب تستخرج مادته من مسحوق الرّعب. ولهم أسرة متنقلة تشبه الكهوف.

❊

هل تعرف كيف ترتفع جدران الدم؟ كيف تتجاور، أو كيف تتنافر؟ أنت في المدينة ألف لا تتخيلها، بل تصطدم بها.

❊

حطت خوذة على خريطة المدينة ألف (الخريطة التي بدت كمثل صورة بحجم التاريخ) وصاحت بملء معدتها: أيتها الصورة، أنا المعنى.

المدينة باء

❊

تبدو الحياة في المدينة باء
ثوباً منشوراً على حبال من الكلام.

❊

مكتبة، في المدينة باء،
لا يرى الداخل إليها غير محابر لا حبر فيها، وغير أقلام لا تكتب، وغير كراسٍ تجلس عليها دُمًى بألوان زاهية ومتنوعة. مكتبة، صممت على شكل ممحاة.

❊

قتل الأب في المدينة باء ظاهرة عامة. لكن معظم الأبناء ينتحرون فيما يحاولون قتل آبائهم. ذلك أن معايير هؤلاء الأبناء، ومرجعياتهم وينابيع إلهامهم ولغتهم، الآباء أنفسهم. والمشكلة، حقاً، في هذه المدينة هي انتحار الابن، لا مقتل الأب.

❊

هل سأبدو مجنوناً، إن أكدت لمن يقرأونني الآن، أن للكلمة في المدينة باء، وجهاً وقامةً وأطرافاً. أن لها باختصار شكل الإنسان؟

❊

«الإنسان حيوان ناطق»، يقول أرسطو.

ويقول بهلول المدينة باء: «صحيح أن الإنسان حيوان ناطق، لكنه لا ينطق إلا كذباً: إمّا لتحسين نفسه، وإمّا لتقبيح غيره».

*

هل تريد، حقاً، أن توقظ الآخر في المدينة باء، وأن تفصح عن حقيقته؟

إذن أيقظ نفسك، وأفصح عن حقيقتك أولا.

*

لا يعرف الشاعر في المدينة باء، إن كان عليه أن يفرح أو أن يحزن:

كلماته تُحْرَقُ، كلّ يوم،

وكلما نضجت جلودُها بُدّلت غيرَها.

*

المهمّ في الشعر، بالنسبة إلى المدينة باء، هو رؤية أسنانه، خصوصاً الأنياب. عندما تراها، يسهل عليها ـ كما تقول ـ فهمه وتقويمه.

*

لابدّ من شكر خاص لسياسة الطبيعة في المدينة باء. فهي تنزل المطر من غيمٍ كمثل غشاء البكارة.

*

مدينة ـ صحراء لا ينقطع بريدها
وليس في الرسائل غير الرمل.

*

هيّنٌ على اللذّة جسد هذه المدينة،
ألهذا تُداهن الرّغبةُ الرّغبة،
ويغشّ العضوُ العضو؟

*

عجباً! كلّ جميل في هذه المدينة يموت لحظة الولادة.
والقتل فيها نشيد لا تتّسع لغيره حنجرة الريح.

*

كلاّ. أنت في المدينة باء لا تقيم بين جدار وآخر، بل بين لحظةٍ وأخرى.

*

تحت كل شارع في المدينة باء، شارع آخر
وفوقهما يد الغبار، ـ
مدينةٌ يسوسُها الغبارُ بغلمانه.

*

كلٌّ في المدينة باء يحاول أَن يتشبَّه بالحجر، لكي يقدر أن يَتّسعَ، كمثله، لحضورِ الموت.

*

خلسةً، كلَّ ليلة،

تتسلل إلى المدينة باء أشباح من عالم آخر،
ملّت الجلوس في بيوتاتها.

*

أقول لكِ، أيتها المدينة باء:

ليس جسدك إلا بذرة تُرمى في تربة جسد آخر.

وليست الروح إلا مظلة تسهر على الجسد وأحواله.

وأقول لك:

اسمك ممحوٌّ بكِ، مكتوبٌ بغيرك.

ولا تَسلي عن الملح الذي يتكدس في أحشائك التي
تكاد أن تتحوّل إلى مملحة تَتّسع لأقطار الأرض.

لهذا لا تحب هذه المدينة الشعر إلا بشرط واحد: أن
يحملَ مطرقةً ويدور في الشّوارع.

*

من الأرض جاء كل شيء،

لكن بحيلة ما دبّرتها هذه المدينة، أو بعنفٍ ما تنازلت الأرضُ
للسّماء عن حقوق ابتكاراتها جميعاً.

هكذا، كلّ يوم،

تعيد السماء تكوين هذه المدينة، وها هي صورتها،
اليوم:

جَسَدٌ كمثل الإصبع

ينام في حضن كمثل الخاتم.

❊

للسهول التي تزنر المدينة باء،

لهياكل نباتاتها التي يرفعها في الهواء طقس الزرع والحصاد، لآنية البخور التي تشكلها أنفاس البشر في لازورد الأثير، للأبواب والنوافذ التي تفتحها يد الشمس في فضاء الشجر والسنابل،

لهذه جميعاً،

أقدّم طبيعتي أنا الحائر المحيِّر، وأتوسل للرعد أن يأخذ بيدي. لعل في هذا ما يؤكد لك، أيتها المدينة، أن صوتي فيما يتراجع عنك، يتقدم نحوك، وأنه فيما ينفصل عنك، يتّصل بك ـ لكن في طرف آخر لتاريخٍ آخر.

المدينة جيم

❊

الموت هو الذي استأثر بوضع قدميه على عنق هذه المدينة،

والحياة هي التي أذنت له.

هكذا تعزف المدينة جيم حياتها على قيثار الموت.

❊

«ردِّد آخر كلماتك. ضعها إداماً على رغيف اللحظات التي بقيت لك»:

تلك هي لازمةٌ لا تتوقف عن تكرارها أصواتٌ غامضة في فضاء المدينة جيم.

❊

لاتتميز المدينة جيم بالسلاسل التي تختص بالسهر على الشفاه والأيدي والأقدام، فهذه سلاسل تعرفها معظم المدن.

السلاسل التي تتميز بها المدينة جيم نوعٌ من السائل الذي يجري في الكلمات، وفي النّظر، وفي النَّبْضِ ـ أحياناً.

يتحول الخارج، بجهاته الأربع، إلى مستنقع تختلط به هذه السلاسل وتتمازج. وغالباً، يتعذر التمييز بينها وبين الهواء.

❊

لم أكد أتخيل حضوري في المدينة جيم، حتى خرج مني عضو من أعضائي. خرج نافراً، غاضباً.

أكتب الآن لكي أعتذر له، ولكي أعيده إلى مكانه.

*

«ليس في الإمكان أحسن مما كان» تقول المدينة جيم. لذلك ليس العالم، بالنسبة إليها، موضوع تغيير.

المسألة، كما ترى، هي أن يتآلف الإنسان مع العالم، أن يتركه في سيرورته، وأن يسايره.

*

قرأت يوميّات شاعر في هذه المدينة، اخترت منها هذه الخواطر:

أ ـ للكلمات في المدينة جيم رؤوس وأيدٍ وأرجل،

وليس لك أن تسألها، بل أن تتبعها.

ب ـ يجب أن تُعْطَى للفكر في هذه المدينة وظيفة النار.

ج ـ لا تأمل في فضاء آخر، ما دمتَ مَسْجوناً في فضاء الكلام.

د ـ يكتب صديقي الشاعر بطريقة يبدو فيها كأنه هو نفسه بارىء اللغة.

التحية له.

يقول أيضاً مؤكّداً أنّ الكلمات في المدينة جيم تهيّىء ثورتها الخاصة:

تنبثق لا من المعاجم، بل من قاع الجسد وأغواره،

من زواياه، ودوائره ومهاويه،

ثم تدخل في العالم وتدخله فيها - في عرس دائم.

حيث الغياب أجمل صورة للحضور،

حيث المحو نفسه تسمية جديدة للأشياء.

و - تأخرت كثيراً لكي اكتشف أن السماء ليست خارج جسد الإنسان، بل في داخله.

ز - أقول لليقين أينما رأيته:

شفتاك غيم،

وإن كان رأسك حجراً.

ح - كمثل السراب يتحرك الواقع في المدينة جيم. لذلك لم يعد فيها مكان للحلم.

ط - كيف أغوي الأشياء لكي تذكرني بالكلمات التي تقدر أن تفصح عنها؟

ي - كلا، لا يجوز أن يكون الشعر مصنوعاً من قبل الناس أجمعين، ولا مصنوعاً من أجلهم، بل يجب أن يكون مصنوعاً بهم.

ك - رأسي سجنٌ يغلق أبوابه على سجناء كثيرين، - كيف أحرر غيري منه، إن لم أتحرر أنا نفسي؟

*

الرهان، في كل تجربة كتابية عظيمة، خصوصاً في المدينة جيم، ليس الكتابة، بل التاريخ.

*

احتفاءً بنفي الشاعر (وقيل بموته)،

عقدت السماء منديلاً أخضر حول خاصرتها، وأخذت تراقص المدينة جيم.

المدينة دال

❋

شكل الشيء في المدينة دال هو الشيء نفسه. والكلمة هي حروفها. أنت، أيها المقيم فيها، المأخوذ بالمعنى، لا مدينة لك غير المجاز.

❋

العلماء في المدينة دال يحملون دائماً فؤوساً تحمل علومهم. يرابطون في الأزقة، في الزوايا، في الساحات، وفي الأسرّة ـ أحياناً. الرؤوس التي يسيطرون عليها، يفصلونها عن رقابها، ثم يصلونها ثانية. ويصح، غالباً، ظنهم: تنقلب هذه الرؤوس إلى فؤوس، هي أيضاً.

هكذا نرى أن مايسمى بالفكر في هذه المدينة مقبول لدى سكانها جميعاً، خصوصاً أنّ رسالته هي أن يخلق التآلف بينهم وبين ما يسود.

هكذا تعوّد المواطن في المدينة دال أن يعمل الأعمال الباطلة وأن يكرر الأقوال الفاسدة.

مع ذلك، لا تخلو الشوارع في المدينة دال، بين حين وآخر، من منشورات سرية، يطيب لي أنا العابر، أن أجازف فأثبت للقارىء بعضاً منها:

أ ـ منشور سري: «العمل حرية. من لا يعمل لا كيان له. باطل، إذن، كل عمل تعمله لا يزيد في طاقتك،

وفاسد كلّ يوم تعيشه لا يزيد في حريّتك ومعرفتك».

ب ـ منشور آخر: «كل مواطن في المدينة دال ينصِّب نفسه ربَّ عملٍ للوطن، بدلاً من أن يكون عاملاً. كأَنَّ المدينة عرش، وكل مواطن لا يبشّر بها إلا بوصفه الجالس على هذا العرش، أو بوصفه، وحده، الوليَّ عليه. من أين لهذه السياسة العمياء أن تصنع مدينة بصيرة؟».

ج ـ منشور ثالث: «رفض الروماني سيللا[1] (Sylla) أن يحكم شعباً من العبيد ـ كانت روما في أوج عظمتها. لم يكن يريد الحكم لمجرد الحكم. ولم يكن يريد أن يحكم، هو الحر، إلا أحراراً مثله».

*

ثمة في المدينة دال لحظات ميتة لها رائحة الحياة. وثمة لحظات حيّة لها رائحة الموت. ولماذا، أيتها المدينة التي اكتست بغبار السنابك عصوراً ـ لماذا تزدادين غباراً؟

كلا، لن أُجْلس حكمتك على سريري.

كلا، لن أُدَاعِبَ طفل الحاضر الذي تداعبينه.

*

من أين يجيء هذا الصراخ في المدينة دال؟ (ما أقوله هنا ينطبق على المدينة باء)، كيف يحدث أنك تحسه، تراه تلمسه، ولا تكاد أن تسمعه؟ للجدران هي أيضاً زفيرها، والفضاء نفسه شهيق.

تمحو السماء الأسئلة، ويرسو الزمن قرب العتبات كمثل أقدام أضناها السفر.

ضعي كاحلك، أيتها المدينة، فوق الحروف. والتبس، يا جسدها، بالكلام والصوت. يبدو أن السماء نثرت بذارها فيك، مرة أخيرة وإلى الأبد.

*

أسدل الجسد ستاره المهدَّب. أخذت كل نافذة في المدينة دال ترهف أذنيها. وبدأ الليل يقطع الخيوط التي تربطه بالكواكب وبساتينها. إن كانت هناك سعادة فهي بين فخذيك، أيها الإنسان: تقول المدينة دال، وكان ليلها الصوت الأول الذي بشر بذلك.

*

المدينة دال (ما أقوله هنا ينطبق أيضاً وبشكل خاص على المدينة باء)، مثقلة بأزل المعرفة، لكنها مع ذلك الريشة والدخان. مولودةٌ مع الماء الأول، لكنها مع ذلك المتقلبة أبداً في رمل الموت. طالعةٌ ضوءاً أول في سديم العالم، لكنها مع ذلك التّائهة في الظلمات.

لكن، لكن كم سأكون هانئاً عندما تقدر كلماتي أن تصعد السلّم الذي تصعد عليه مراراتها،

لكن، لكن سأظلُّ أتنوّر بها.

وسأظل أناديها في هذا الرَّماد الغامر: أَيُّها اللَّهب العمودي!

❊

طريقُكَ في المدينة دال (وفي كل مدينة) لا تعطى.
وهي ليست طريق الآخر. طريقك هي بحثك عن الطريق.

❊

لا أستطيع أن أسقط إلا في حوض الدقيقة التي أعيشها. وكل دقيقة سماء موصولة بسماء أخرى:

لا أَستطيع إلاّ أن أعلو، هكذا يقول الوحيد المتشرد خارج المدينة دال.

❊

ستظلُّ طرقي هَشَّة ومتعدّدة،
ذلك أنّها لن تمتدّ إلا بين المضيء والأكثر إضاءة.

❊

ما أكمل نظام المدينة دال، وما أقوى أَمْنَها:
وأكملُ وأقوى ما فيهما، الأراملُ والكلاب، ـ
الأرامل لتزيين الشوارع
والكلاب للحراسة.

II

يـقـولـون لـي: مـا أنـتَ؟ فـي كـل بـلـدةٍ
وما تـبتغي؟ ما أَبْتَغِي جَلَّ أن يُسْمَى.

المتنبي

١٦٣ هـ.

ـ ذ ـ

إبتدغ

تتزندق،

أوتمنطَقْ

إذا شئتَ أن تتزندَق.

ـ ض ـ

إعشَقِ امرأةً

مثلما يعشق العطر أكمامَه،

خارجَ القَيْدِ،

أيًا يكنْ، تَتَزندقْ.

ـ ظ ـ

اكتبِ الماءَ، ماء الحياةِ، كما

يتفجّر في صَدْرِها،

تَتَزندقْ.

ـ أ ـ

حَلَبُ دارُ هِجْرَتي الآنَ، كان الخليلُ[1]، كما قيل، يأتي إليها من القدسِ، يمكثُ في تَلِّها. تَلُّها قلعةٌ ـ فيه، قال الرّواة الثّقاتُ: بنوا للخليل مُقَاماً، وله في المقام، كما قيل، جرْنٌ كان يحلب أغنامَهُ فيهِ ـ قالوا: مِن هنا سُمّيت حَلَبٌ باسْمِها، وأضافوا: حَلَبٌ قَلبُ هذي البلاد التي سُمِّيت شآماً، وهي من عينها النبيّة إنسانُها. وقالوا: بُنيت هذه المدينة والطّالع العقربُ

وعُطَارِدُ والمشتري فيهِ...

ـ كلُّ الكواكبِ ترنو لضوئكَ، يا أيّها الكوكبُ.

* كلّ ما قالهُ،
كلّ ما لم يقلْهُ، وما لن يقولْ
كتبته الأصولُ، وتُفصح عَمّا تيسّرَ منهُ ـ
الحقولُ الرياح الفصولْ.

(١) إبراهيم الخليل.

- ب -

حَلَبٌ - نهرُها، التّلالُ، الأزقّةُ،
أبوابُها
وساحاتُها
صورٌ ولغاتٌ،
وَدمي تُرْجمانْ.

جسَدي مائِلٌ
فوق ذاكَ الهُبوبِ الخفيِّ
الذي ينسجُ الزّمانَ وأسْرَارَهُ
بخيوط المكانْ.

* يجلس الحلم في حلبٍ، كلّ ليلٍ
معه نخلةٌ
تجلس القرفصاءْ
كي تُمشّطَ شَعْرَ السّماءْ.

١٦٣ هـ.

إِفْتَح البابَ كي تلمَس الضّوءَ
والظلّ معتنقيْنِ، وراءَ الشّقوق
التي تتموّجُ في ليلِهِ،
تتزندَقْ.

غَنِّ للكوكب الذي يتلألأ في
غَيْهبِ الشّعر كي تتفتَّح في
نورِهِ،
تَتَزندقْ.

قلْ: مللتُ من الغَيْبِ يُملي عليّ
خرافاتِهِ، وأهواءَهُ،
تتزندَقْ.

١٦٣ هـ.

- غ -

إنْ تقل: شِعْرُ إبن جُرَيْجٍ وبني فارسٍ،
أرَقُّ وأجمل مِن شِعْرِ إبْنِ كِلابٍ وبَني مُرَّةٍ،
تتزندَقْ.

أو تقلْ: لستُ أذبَحُ طيراً،
أو تقلْ: هذه الأرضُ ليست بساطاً، ولكنّها كُرَةٌ،
تتزندَقْ.

شُقَّ صَدْرَ الكلام،
لِتعرفَ أسرارَهُ،
تَتَزَندقْ.

- ج -

حَلَبٌ ـ شَهرزادُ الأسيرَهْ
بين ميثاقها وأشْوَاقِها
أَسْلمتني إلى نارها الأميرَهْ
وإلى نُورِها،

كيف أرجو خَلاصاً
من بَهاءِ مَدَاراتِها؟
وأنا لم أكن، مرّةً،
كوكباً تابعاً ـ لن أكونْ
جسَدي سُفُنٌ جارياتٌ
ورُبّانُهنَّ الجنونْ.

* حبٌّ ـ لغةٌ:
كلّ حروف العلّة فيها، أَعْضاءٌ
وسواكنُها
فُرُشٌ ووسائدُ، والأيّام نِقَاطٌ.

جِـدّ عـن الـسَّـمْـتِ، سَـمْـتِ
العروشِ، وأبواقِها وتعاليمها،
تتزنْدقْ.

وخُذِ الشّمسَ من خارج الحروف
التي تتعفَّنُ في حبرها،
تَتَزندق،

واغتربْ، واضطربْ وانخطِفْ،
واجتهِدْ،
تَتَزَنْدَقْ.

ـ د ـ

أَلرّبيعُ الذي كان يبني لِنهر قويْقٍ
مُدناً من رياحينهِ
مات مُسْتَوْحشاً:
هكذا، كان يهمسُ لي بعضُهم،
ويُثنّون: كلاّ،
لم يُلوّحْ له أيّ بابٍ، ولم تتقدّمْ
زهرةٌ كي تقولَ: وداعاً.
وحدهُ، تَمْتَم الشّعر: أَرفعُ هذا الرّبيعَ
إلى ذُرواتي
ليكون مليكاً عليها، ورفيقاً لها.

---

* زُرْقة الصّحراء تحني رأسَها
وتُحيّي اللّيلَ: بستانُ نجوم
نائمٌ، والسُّحُبُ البيضُ لِحافٌ.

١٦٤ هـ.

- ١٠ -

سَرقَسْطةُ[1] ميدانُ حَرْبٍ
بين أبنائها وأبنائِها.
الأميرُ يُصلّي لأسيافها
الماضية
والحسين بْنُ يَحْيى -
بعض أشلائهِ رمادٌ
بعضها حطَبٌ وشرارٌ.

لا خيارٌ:
تكونُ مع العرشِ،
أو في فم الهاوية.

- هـ -

كيف أَصحُّ، وكيف أُصَحِّحُ نفسي؟
تاهَتْ لغتي
في حنجرتي.

أَتُراه الشّعرُ يفكّك جسمي
ويُبَعْثِرهُ
في أجسامٍ أُخْرى؟

أُتُراهُ شِعْرِيَ مَوْتي؟

* شُهُبٌ من كلامٍ أَحْرقت حِبْرها،
غير أنّ الورَقْ
لم يَقلْ كيف غَنّى لها، وهَوَى
مثلَها، واحْتَرَقْ؟

(١) بين ١٦٤ - ١٦٥ هـ شبت في سرقسطة حروبٌ مات فيها الكثير وقيل إنّ الشخص الذي قاد هذه الحروب ضدّ عبد الرحمٰن الدّاخل واسمه الحسين بن يحيى قُتِل «بطريقة بالغة الوحشيّة».

- ١١ -

- أ -

«وضعونيَ في جوف بئرٍ،

طال شَعْريَ واسترسلا

كدتُ أفقد عينيّ» - هذا ما حكاه ابنُ داوُدَ[١] عن سجنهِ.

- ب -

حين أُخرج مِن سجنهِ، قال: «لم يَبْقَ مُستَمتعٌ لشيءٍ، فخذوني إلى مكّةٍ».

- و -

في يَديْ حَلَبٍ

يتقلَّب مِثليَ حِبْرُ الهمومْ،

والنّجومُ وبعض النّساءِ

رسومٌ له،

ومَرايا.

هكذا تهجس الشّمس فيَّ،

وتهجس تلك التّخومُ

التي تتطاوَلُ فيما وراءَ التُّخومْ.

* هُوَ، مِنْ ياء هذا الزّمانِ إلى

الألفِ الأوّلِ

قَلَقٌ ذاهبٌ

يَتأمَّلُ في قلقٍ مُقْبلِ.

(١) يعقوب بن داؤد. استوزره المهدي، ثم سجنه وسجن عمّاله وأصحابه.

١٦٦ هـ.

- ج -

وَضعوهُ على ناقةٍ وإلى مكّةٍ أُرسلاَ.

ماتَ فيها،

تهكَّمهُ شاعِرٌ:

«فَدَعْ عنكَ يعقوبَ بْنَ داوُدَ، جانباً

وأَقْبِلْ على صهباءَ طيّبةِ النَّشْرِ».

- ز -

جامِعٌ مَوْعِدٌ

لِطيوفٍ تَجِيءُ بلا موعدٍ.

والمدينة شَحّاذَةٌ

تتمدَّدُ في بابِهِ،

ضَفَرَتْ حُزنَها أكاليلَ غَطَّتْ بها

كتفيْها.

وَجْهُها سَاهِمٌ يَتَساءَلُ:

ما ذلك المخبّأُ،

مِن أين يأتي،

وكيف سيأتي؟

* أخذته الرّياحين في حِضْنِها

شَرِبَتْ وَجْدَهُ وَسَقَتْهُ -

لا يَزَالُ كما تركتْهُ.

١٦٦ هـ.

- ١٢ -

- أ -

أَوّلُ المحدثين ابْنُ بُرْدٍ[١]: هكذا أجمعوا.

نَسبوهُ إلى امْرأةٍ أَعْتَقَتْهُ مِن الرّقّ، واتّهموهُ

بالفُجورِ، وبالزّندقةِ -

ماتَ جَلْداً: تَأَسَّسَ شِعرُ

الحداثةِ في مَحْرَقَةْ.

- ح -

أَحَدٌ: لا أَذَانٌ، ولكن

نَغَمٌ آخَرٌ -

أقولُ لأجراسهِ:

أَمْسِكِي بيديّ، خُذيني

مِثلَ طفل يسافِرُ في ظنّه

ويجرُّ السُّهولَ، يجرُّ الجبالْ،

بأعنّةِ أشواقهِ،

ويجرّ الخيالْ.

(١) بشّار بن بُرد. كان، فيما يُروى، يفضّل النار على التراب، ويُصوّب رأي إبليس في امتناعه عن السجود لآدم. وذلك ما اعتُمِدَ عليه في اتهامه بالزّندقة، وقتله. يقول: «الأرض مظلمةٌ والنّارُ مشرقةٌ
والنّار معبودةٌ مُذ كانتِ النّارُ».

* طمست جسدينا وحِبْرَ طفولاتنا
لغةٌ زائدهْ -
أَلهذا، لم تصل بيننا
(كلّ تلك الجسور التي بيننا)، مَرّةً
واحدهْ؟

- ط -

حَلَبٌ - ألفُ مُهْرٍ من الرّوم،

تأتي إليها

هرباً، كلّ يَومٍ

كي تُسبّح فُرْسانَها

وَهي تهرب من نَفْسها

كي تُسافرَ في كُنْهِ أَحْوَالِها.

أَهُنَا، أَهنالكَ مَن يعرف الكلماتِ التي تتشهّد فيها؟

أَهُنَا، أَهُنَالكَ مَن يتفهّمُ عِطْرَ

الجراحِ، الذي يتخيَّرُ أردانَها؟

❊ فكرةٌ تتوهّج في رأسهِ:

نجمةٌ تضحكُ.

فلماذا يُسمَّى هنا مانويًا،

أو يقال هناكَ له: مُشْرِكُ؟

١٦٦ هـ.

- ب -

راحَ يَهذي صَديقٌ لهُ:

«عَن يمينيَ،

أَتفُلُ بِاسْمكَ، بَشّارُ،

أَتفُلُ أيضاً

عَن يساريَ - أَسجدُ

لِلنّار مِثلكَ، لا للملائكِ،

أو آدمٍ».

١٦٧ هـ.

- ١٣ -

قَتل الأمويُّ[1] المغيرةَ -

إبْنَ أخيهِ،

وأصحابَهُ.

قِيلَ: كانوا يُغنُّونَ -

لا بُدَّ أن ينزلَ العرشُ

في حيّنا،

ويكونَ لنا ظِلَّنَا،

ويَفيئَ إليهِ الذين أتوا قبلَنا،

والذين يجيئونَ مِن بَعْدِنا،

ويَفيئوا إلينا.

- ي -

تُرابُها صَوْتُها - إثْماً ومغفرةً

غَنَّى، زَها لاعِباً، يوحي ويُوقظني

ويُوقِظُ الحِبْرَ والأقلامَ والكُتُبَا

فصِرتُ أَقْرَأُ أيّامي بحكمتهِ

مُنَوّراً أتماهى باسْمِهِ وبهِ

حَتَّى كأنّيَ مَن غَنى ومَن لَعِبا.

❊ له مع الشعر للترحالِ قافلةٌ

لاتعرف القربَ إلاّ وهي تبتعدُ، -

لَن يَمنع الموج إنْ ألقى مرَاسيهُ

فيها، ولن يَئِدَ النّارَ التي تَلِدُ.

(١) هو عبد الرحمٰن الدّاخل.

قتل ابن أخيه المغيرة ابن الوليد بن معاوية بن هشام، وقتل معه آخرين بتهمة إجماعهم على خَلْعِهِ.

١٦٨ هـ.

- ١٤ -

- أ -

حَرّضَ الموصلا

كي تُفيقَ وكي تعملاَ.

- ب -

كان[٢] ظلوماً شِرّيراً.

قتلوهُ - قالوا:

حَقٌّ أن يَقْتَصَّ النّاسُ مِنَ الشّرّير الحاكِمْ

حَقٌّ أن نعملَ كي لا يحكمَ فينا

إلاّ الرّجَلُ العَدْلُ العالِمْ.

- ك -

أَتُرانِي هنا راحلٌ، وأنا قاعِدٌ؟

ولماذا أرَى في الغيوم وسائدَ، في

الرّيح بيتاً

ولماذا أُحِسّ كأنَّ الفضاءْ

مِثْل جَبّانَةٍ؟

أيّها الفجرُ، مَهْلاً

أَضياؤُكَ هذا الضّياءْ

أَمْ تُرَى... عَفْوكَ الآنَ،

صِفْ لي،

أيّهذا الغبار الأمينُ الصّديقْ

صِفْ لِخَطْوي، لِشعريَ هذا الطّريقْ.

* أَتُرانا سَنطحن آلامنا مِثْل قَمحٍ،

ونخبز ما يتيسَّر منها، ونعيشُ عليها

مرّة ثانيه

طولَ أيّامِنا الباقيه؟

(١) ياسين الخارجيّ الذي خرج في الموصل على الخليفة المهدي وقُتِل.

(٢) موسى بن مصعب الخثعمي الذي كان والياً للمهدي على مصر.

١٦٩ هـ.

ـ ١٥ ـ

ـ أ ـ

جاريةٌ حرّةٌ،

بِسُمّها

ماتَ[1] على زَنْدِها.

ـ ب ـ

فَليقتلْني[2] اللّهْ

إن لم أقتلْكَ: سواءٌ عندي

سِرُّ الخَلْقِ،

وسِرُّ الموتِ، وسِرُّ البَاهْ.

ـ جـ ـ

جاءَ حسينٌ[3] مكّةَ، قالَ:

«العبدُ المنضمُّ إلينا، حُرٌّ».

ـ ل ـ

حَلَبُ ـ والهواء تَخاريمُ تكسو

النّوافذَ، والضّوءُ نَسّاجُها.

أَتشرّدُ، شعْري فراتٌ

وجسمي ذبولٌ.

قَلقٌ في يديَّ وفي نظراتي

قلقٌ في عروقي ـ

آهِ، يا قَلَقي، يا صديقي؟

أَتُراها خُطايَ خُطايَ،

تُراها طريقي طريقي؟

* أَلصّواعِقُ تأتي ـ تُدلّي قنادِيلَها

بخيوط المطَرْ

كي تودّعَ إقليمَها،

قبل أن تُحتَضَرْ.

(١) الخليفة المهدي. بلغت الحملة على الزنادقة أوجها في عهده، سنة ١٦٦ هـ. (٧٨٢ م) وقد أنشأ من أجل قتلهم ديواناً سمّاه «ديوان الزّنادقة».

(٢) الكلام لخالد البربريّ العامل العباسي، مخاطباً الحسين، المعروف بـ «صاحب فَخّ».

(٣) صاحب فَخ. وهو الحسين بن عليّ بن الحسن، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب.

١٧٠ هـ.

- ١٦ -

- أ -

قطعوا رأسَ حسينٍ في فَخّ،
لكن، أَفلتَ إدريسُ[١]
أخفاه واضِحُ مِثْلَ كتابٍ
ببريد المغربِ -
واضِحُ يُقتَلُ صَلْباً.

- ب -

أَلزّمانُ كما شئتهُ[٢]، والمكانْ
بهجةٌ وانشراحْ.
هذه كأسُكَ الآنَ، خُذْها:
عسَلٌ طيّبٌ.
كان سُمّاً، ومات الربيعُ.
الخليفةُ في غبطةٍ:
ما الذي سوف نفعلُ
بالخيزرانْ؟

- م -

حَلَبُ - كم تَمَرَّدْتِ، كم ضَربَ السّيفُ أعناقَ
أبنائكِ الغاضبينْ،
كم خَلطْتِ المحبّينَ بالمبغضينَ،
المقيمينَ بالرّاحلينْ.

حَلَبُ - كم حضَنْتِ الطُّغاةْ
أين ثَدْياكِ؟ مِن أين يبدأُ
في صدركِ الموتُ؟ مِن أين
يبدأ ماءُ الحياةْ؟

---

* أرضُها تتفجّر، تلبس طوفانها، -
أَلسّهولُ تؤاسي جراحاتِها
والجبال تسامِرُ أحزانها.

(١) فَخّ مكان قرب مكّة ويقال إن رؤوسَ القتلى كانت تربو على المئة. ظلّوا أيّاماً دون أن يُوارَوْا فأكلتهم السّباع والطير. وإدريس هو مؤسّس دولة الأدارسة، الدولة المغربية الأولى. هَرَّبه في البريد شخص اسمه واضح كان يتولّى البريد إلى المغرب. وهو مولى صالح بن المنصور فقتله الهادي صلباً.

(٢) الكلام بلسان الخليفة الهادي وهو يقتل الرّبيع متّهماً إياه بأمه الخيزران.

١٧٠ هـ.

ـ ١٧ ـ

أَلخليفةُ[1] يبرأ منه الزّمانُ، ويبرأ منه المكانْ

قتلتْهُ جواريه خَنْقاً:

جَلسْنَ على وجههِ مثلما شاءتِ الخيزرانْ.

قَتْلهُ كان عيداً تغنّى بهِ الماجنون، وقالوا احتفاءً بهِ:

كي تُعيد الحياةُ إلى سيرها صِدْقَهُ

وإلى وجهها رونَقَهْ

ينبغي أن توسِّعَ أحشاءَها وأنحاءَها

للمجونِ ولِلزّندقَهْ.

ـ ن ـ

لاأُبشِّرُ، أَهْوى

أن أرى كيف تمضي العروشُ

إلى موتِها،

وأحبّ رماداً تؤولُ إليهِ.

لاأبشّرُ، أَهْوى

أن يُقادَ الطّغاة إلى موتهم صاغرين

أن أراهم أمامَ الذين يَسُوسُونَهمْ

رُكّعاً، ضارعينْ

وأرى كيف يَجْرون، يمضون كالقَشِّ

في لُججِ الثائرينْ.

* منذ مات امرؤ القيس شوقاً إليهِ ـ

إلى ملكه المنتظَرْ،

أَلِفتْنَا طيورُ السَّفر.

(١) الهادي الذي خنقته جواريه بأمرٍ من أمه الخيزران، وخلفه ابنها الرّشيد. وعلى إثْر موته، ظهر الزّنادقة الذين استتروا، واشتهر بينهم، على الأخصّ، يونس بن أبي فروة ويزيد بن الفيض.

١٧١ هـ.

- ١٨ -

- أ -

صَخصَحٌ[1] يهزمُ الجندَ، جُندَ الرّشيد، ويقتل منهم جموعاً.

ألرّشيد يوجّه جيشاً كبيراً:

قتلوا صَخصحاً،

وتفرّقَ أصحابهُ.

قتلوا عامل الجزيرة إبْن فَرُوخٍ[2] عِبرةً وعقاباً.

- ب -

سألوهُ[3] لماذا

تُخرج الطالبيّين مِن دُورِهِمْ،

وتُفرّغ بغدادَ منهم؟

- س -

أطفالٌ شِبْهُ عُراةٍ

يزدحمونَ أَماميَ، حولي،

هذي حَلَبُ - أهِي الكوفَةُ؟ أذكرُ،

أَغْلو،

وأجدّدُ عَهْدي.

لِبريقٍ يَخْبو في أعينهم

لنداءٍ يَدْمى في أيديهِمْ،

يَتَقَحَّمُ شعري، يَنْتَهِكُ

كي يتغيَّر هذا الفَلَكُ.

* مَزج الموتُ والفَقْرُ

أبناءَ تلك القُرى،

بأبناء هذي القُرى -

غَصَصٌ آسِرٌ، زَمَنٌ يُزْدرَى.

(١) الصَّخصح الخارجي.

(٢) أبو هريرة، محمد، عامل الرشيد على الجزيرة. والرشيد هو الذي قتله.

(٣) الإشارة إلى الخليفة الرّشيد.

١٧٢ هـ.

- ١٩ -

بين الإخوة[1] حربٌ:
فازَ هشامٌ ونفَى أخويهِ.

- ع -

لا أشاهِدُ إلاّ ظلاماً يَرينُ على صَدْرِ
آدَمَ، -
تلك الجِنانُ التي سَحَرَتْهُ وتلك
الجحيمْ
لم تُعلّمهُ حتّى الوفاءَ إلى طينه الكريمْ.

ليس رأسي غراباً
ولا أرضَ مَنٍّ وسَلْوى
ولا صَلواتٍ ولا أدعيهْ،
رأسيَ الكونُ: آدَمُ زَرْعٌ لهُ
والحَصادُ هُوَ المعصيَهْ.

* «إمْضِ، لا تتمهّلْ»:
حكمَةٌ دائمهْ
للنجوم التي تتوغّل في جَبل اللّيل،
نَشْوانَةً هائِمهْ.

(١) هشام بن عبد الرحمٰن الداخل، وأخواه سليمان وعبد اللّه. أعطاهما مالاً، ونفاهما.

١٧٣ هـ.

ـ ٢٠ ـ

ـ أ ـ

«سوف أضرب عُنُقَهْ [(١)] ـ
ماحياً خَلْقَهُ وخُلْقَهْ».

ـ ب ـ

موسى، آدمُ: أين التقيا؟[(٢)]
ـ أتشكّ؟
ـ معاذَ اللَّهِ، ولكن
أسألُ: كيفْ؟
ـ هَاتوا النِّطْعَ، وهاتوا
السّيفْ.

ـ ف ـ

«لا مُثَنَّى»:

تهمس الأشياءُ في أُذْنيَ ـ
حَقّاً،
كلُّ ما في حَلَبِ فَرْدٌ بشطرينِ،
ولا لُحْمةَ ما بينهما؟

هكذا يُوغِلُ في غُربتهِ نَهْرُ قُوَيقِ
ناحِلاً منكسراً في الضّفّتيْنْ
مثلما تنكسرُ الشّهْوةُ في أَوْجِ
التحامِ الجسدينْ.

---

* قلبهُ حسَراتٌ
تَتَنَقّل مخنوقَة الهواءْ
في فُصولِ البكاءْ.

(١) بلغ الرشيد أنّ بشر المريسي يقول بخلق القرآن، فقال إذا ظفرت به سأضرب عنقه.

(٢) قال أبو معاوية الضّرير «حدّثت الرشيد يوماً حديث «احتجّ آدم وموسى»، وعنده رجل من وجوه قريش. قال هذا الرجل ـ أين التقيا؟ فغضب الرشيد وقال: ـ النطع والسيف! زنديقٌ يطعن في حديث.

- ٢١ -

أَلرَّشيد يُولّي الأمينَ ابْنهُ،
وَهْوَ في الخامِسهْ،
هَلَّلَ النّاسُ لِلطّمسِ يَمحوهُم
ولآياتهِ،
وأعراسِها،
وأسيافِها،
ولكلّ تقاليده الطّامِسَهْ.

- ص -

أَشْتَهي لقويقٍ
ما اشْتَهَيتُ لِنفسي:
أن تظلّ العيونُ التي تَقْتفيهِ
تَتَلأْلأُ مأخوذةً
بفقاعاتهِ.

أشتهي لقويقٍ
أَن يَظلَّ النّذِيرَ المنوّرَ، حيث الزّمانُ
مريضٌ، والمكانُ ينوءُ بأشلائهِ.

أشتهي لقويقٍ
أن يظلّ كما رسَمَتْهُ خُطاهُ:
لا سريرٌ له غيرُ أَمْواجهِ.

---

* يَتَغَلْغَلُ في كلّ شيءٍ
نَفَساً مِن هَباءْ:
لا يُريد الصّعودَ على سُلَّم الأنبياءْ.

١٧٥ هـ.

ـ ٢٢ ـ

ـ أ ـ

عـرَبٌ: ذا يَـمـانٍ، وذا مُـضَـريٌّ
والشآمُ لكلّ منهما

ساحَةٌ للقتالِ،

وأيّامُها

جزرٌ من دَمٍ.

ـ ب ـ

في نصيبين والموصلِ،
قُتلِ الفَضْلُ[1] مع صحبهِ،
لا تقل: كيفَ؟ لا تسألِ.

ـ ق ـ

في البيت. البابُ حديدٌ
والشّباكُ الضّيّقُ في الزّاويةِ
اليُسرى لم أَفْتَحْهُ.
مِن أين تجيء الرّيح، إذن؟

ريحٌ،
كلّ حطام الأرض يُصَلْصِلُ فيها.

* خُذْ يدي في يَدِكْ:
يومنا واحِدٌ
وغدي لا يُسافِرُ إلاّ طالِعاً مِن غَدِكْ.

(١) الفضل الخارجيّ.

- ر -

كادَ أَن يتمزّقَ وجهكَ ياليلُ، بين
يديَّ، وأن يتمزّق فيه القِناعْ
كدتُ أن أرفعَ المزقَ الحُمْرَ في مَوْجِ
يأسيَ مِثْل الشّراعْ،
آسِفاً:
ليس للأرض شَكْلُ الزّمانْ
كي أطابقَ ما بين جسمي وَحُلْمِي،
غيرَ أَنّي سَأُوغِلُ في شهواتي
وأتابعُ هذا الرّهانْ.

* تسكر الرّيحُ: هذي كؤوسُ الغبارْ
فَرغَتْ، والنّهارْ
أخذته يَدُ اللّيلِ، والثّلج أَغْلَق
حانوتَهُ.

١٧٦ هـ.

- ٢٣ -

- أ -

إنّها من جديدٍ
نزاريةٌ ويمانيّةٌ،
مُدَّ هذا الشّبَكْ
أيّها الدّهرُ، واغمُرْ
بتخاريمهِ الفَلَكْ.

- ب -

الـرّؤوسُ، نـزاريَّـة ويـمـانـيَّـةٌ،
كالسّنابلِ، حَصَادُها
مرّة، رَجُلٌ عاقِلٌ دون دينِ
مرّةً،
رجلٌ ديّنٌ دونَ عَقْلٍ.

١٧٧ هـ.

- ٢٧ -

- أ -

قال المهديُّ[1]: رأيتُ كأنّي
أعطيتُ قضيباً للهادي
ولهارونَ قضيباً.
الأوّلُ أوْرَقَ في أعلاهُ
والثاني أوْرَقَ من أسْفلهِ
حتّى أعلاهُ.

- الملْكُ قصيرٌ للهادي،
ولهارونَ
يَطولُ الملكُ: تكونُ
له أبْهَى أيّامٍ.

- ش -

مَن يُصدّق أنّي أموتُ
لكي أكتبَ القصيده؟
مَن يُصدّق أنّيَ أُخْطِىءُ في كلّ حَرْفٍ،
وفي كلّ شيءٍ؟

وأكرّرُ ما كنتُ رَدّدتُهُ:
خَطأي أزليٌّ
خَطأٌ خالِدٌ -
وليس كما قيل عنهُ.

خَطَأي أنّ ضَوئي قريبٌ وشَمسي بَعيدَهْ.

* قَصبُ الماءِ، زَهْرُ الجنائنِ،
خَشْخَاش هذا الزّمانِ - مَزيجٌ
يتعلّم أسراره، ويفكّ الرّموز التي
أقفلَتْهُ،
ويرفع منها سقوفاً
لأيّامهِ، ولأحلامهِ.

(١) الحكيم بن إسحاق الصّيمري، هو الذي فَسّر للمهدي منامه.

١٧٧ هـ.

ـ ب ـ

أَهْلُ أفريقيا
يقتلون ابْنَ رَوْحٍ[١].
ليس بين الرّعايا والولاة الذين يسوسونَهم،
غيرُ أوجاعهم وأَسْيافِهِم.

ـ جـ ـ

هل كلّ نظامٍ يتأسّسُ سُمٌّ
مُهَرَاقٌ
مِن جسد الماضي؟[٢]

ـ ت ـ

كان ذلك ليلاً، والخريف يَسيرُ على ضفّةِ النّهر ـ ليلاً. قمرٌ يتغطّى بأهدابهِ،
زقاقٌ
يَقِظٌ يَتمرأَى في الشّعاع الذي كان يرسمُ حُرّاسَ أبوابِها.
كان ذلك ليلاً، والنّجوم زهورٌ
تتناثَرُ في حيّها ـ في المداخلِ، في الشُّرُفاتِ
وفي العتباتِ المدينةُ بيتٌ لها،
وأنا عابرٌ
أتنشّقُ عِطراً يَجيء ويذهب في كلّ فَجّ.

هكذا ـ وأنا أتبعثر مُسْتَسْلِماً لحصاراتها
أخذتني المدينة بين يَدَيْها إليها
ـ كان ذلك
ليلاً، والخريف يُبلِّل سِروالَهُ
بمياهِ قُوَيْقٍ.

* لا كنيسةَ جاءت، لا كنيسٌ ولا جامعٌ:
لامجيبٌ ولا سامِعُ.

(١) الفضل بن روح ابن حاتم والي الرشيد على أفريقية.

(٢) الإشارة إلى إدريس بن عبد الله، مؤسّس دولة الأدارسة في المغرب، والذي مات مسموماً سنة ١٧٧ هـ.

ـ ٢٥ ـ

ـ أ ـ

كتب الرشيد إلى يزيدٍ[1]: ـ
«لأوجهنّ إليكَ
مَن يأتي برأسكَ،
إنْ تأخّر في المجيء
إليّ رأسُ التغلبيّ».

ـ ب ـ

قُتل الوليدُ التغلبيُّ،
رثته ليلى:
«أيا شجرَ الخابور، مالكَ مُورِقٌ؟
كأنّك لم تَجزَعْ على ابنِ طريفِ».

ـ ت ـ

قلتُ لنفسي، وأنا أتفكّر في ما يجري حولي:
أَأُشاغِلُ فِكري وأضلّلهُ
كي لا يعرفَ شيئاً عنّي
ولكي يَنأى
أم أتركهُ يَقتصُّ خُطايْ؟

حولي غابَةُ حبٍّ:
أصواتٌ في أوراق الغابةِ، رقْصٌ، ـ
أَهَوىً آخَرُ يأتي؟ أم أشباحٌ
تَتَحرَّكُ، ترصدُ ما يتوالَدُ مِنّي
في آثار خُطايَ،
وفي أنقاضِ هَوايْ؟

❊ شاهدُ الشعر يملي رؤاهُ على شاهدِ السّنواتِ العِجافْ،
أَلعُروشُ سَكاكينُ أوهامِنا
والشعوبُ الخِرافْ.

(١) يزيد بن مزيد الشيباني، والإشارة إلى الوليد بن طريف التغلبي الذي خرج على الرّشيد في الجزيرة، وليلى هي أخت الوليد.

١٧٩ هـ.

- ٢٦ -

بَرْبَرُ تاكَرْنَا[(١)]

ثاروا، خلعوا الطّاعةَ،

أَفْنَاهُمْ

جيشُ هشامٍ.

قالوا: بقيت تاكرْنا

سَبْعَ سنينٍ، لا يسكنها إِنْسيٌّ،

لا يدخلُها إنسيٌّ.

- خ -

نَهْرُ قوْيقٍ

جسرٌ ماتَ، وجسرٌ

لم يُولَدْ.

ما بينهما

لغةٌ تتمرأَى في ماءٍ عابِرْ -

مِن أي أتيتَ؟ وكيف ستمضي

يا هذا الشاعِرْ؟

---

* أوّل الشعر ماءٌ - (في قويقٍ تموّجُ ماءٍ لهُ رغباتٌ لم يفهْنَ بأسمائهنَّ لغير الضِّفافْ)

وأنا لا أريد القطافَ: أريد الدّروبَ التي سلكتها الثمارُ إلى مُسْتَهَلّ القطافْ.

(١) من أقاليم الأندلس التي كانت خاضعة آنذاك لهشام بن عبد الرَّحمٰن الدّاخل.

- ذ -

أَسْتَشْرِفُ الشّعرَ: في عينيهِ قافلةٌ
ضَلّت، وقافلةٌ تحيا بلا وطنِ
دُروبُها الضّوءُ - ممزوجاً بحيرتِها
وحِبْرها الدّمعُ مَسْكَوباً على الدِّمنِ
أُضِلُّ فيها وأَهْدي: أيُّ وَسْوسَةٍ
تقولُ موجيَ محمولٌ على سُفني؟

أرضي كلامي، - كلامي جَنّتي عَشقت
وجهَ الجحيم، وَربّي - حاضِناً وثني.

* آهِ، من أين يخرجُ هذا الفراغُ
الذي يُمْسِك الأرضَ مِن عُنقِها؟

١٨٠ هـ.

- ٢٧ -

- أ -

في الجزيرة، ثارَ خُراشَةُ[١].
قالوا:
- بَدّدَ اللّه جمع الخوارجِ،
قالوا:
أطْفأ اللّه نيرانهم.

- ب -

المحمرّة استبسلوا مِن جديدٍ
بقيادة عَمْرٍو[٢]. وقالوا:
بُدِّدوا. وأضافوا:
أَطْفأَ اللّه نِيرانَهم.

(١) خُراشة الشيباني الخارجي.

(٢) عمرو بن محمد العمركي، وقُتل في مَرْو.

١٨١ هـ.

- ٢٨ -

- أ -

إبنُ مُرَّة[٢] يُذبَحُ في القيروانِ،
وعمرانُ يُقتل من بعدهِ،
والتمرّد في تونُسٍ أثَرٌ بعد عينٍ.
وطليطلةٌ تحتفي
بالرؤوسِ التي قُطِعت وسيقت
إلى ربّها، كالنّذوز -
هتفوا، أنشدوا حولها:
هكذا تَستقيمُ الأموزْ!

- ض -

قال لي، وهو يَشْربُ - يَهْذي ويبكي:
لستَ لي، ياأخي، مثالاً.
إنني أتمثَّل بالحارث بْنِ مُضَاضٍ[١]، -
سأقولُ: تَقَمّصْتُ فيهِ
مِثْلهُ أتطوّحُ فوق التّراب كأنّي
ترابٌ،
وأعيش على الأرض في غُرْبَةٍ.
مثله أتقدّمُ، أمزج في ذات نَفسي،
وفي كلماتي وفي خطواتي
بين وجه السّماءِ ووجه السّرابْ.

* يحيا قريباً إلى أحلامهِ الأُوَلِ،
كأنه العِطرُ - مَسْكوباً، يطوف على
وجه المكانِ، وَيَسْتَجلي أقاصِيَهُ
بلا اكتراثِ، بلا يأسٍ، بلا أملِ.

(١) رجلٌ شبه أُسطوري. يقال إنه من ملوك العرب قبل الإسلام وضربت الأمثال به لاغترابه وطوافه في أنحاء الأرض. ويقالُ إنه حارب بني إسرائيل.

(٢) مخلّد بن مرّة الأزدي وعمران ابنه. ثارا على إبراهيم بن الأغلب. وكان قائد التمرد في تونس، رجل يدعى حمديس، قيل قتل من أنصاره عشرة آلاف.

وفي طليطلة كان المتمرّد عبيدة بن حميد، وقتل مع آلاف من أنصاره، كما يروى. وحملت رؤوسهم جميعاً وطرحت أمام «صاحب الأندلس».

١٨٢ هـ.

- ٢٩ -

رجلٌ غامضٌ - يسأل النّاسُ عنه،
يجهلون اسمه
والدُّروبَ التي جاء منها،
ويُحبّونه: ينتمون إليه بأحلامهم.
ويُحيّونه بالصّفات التي ميّزَتْهُ:

«لم يضَعْ مرّةً
جراحاتِهِ على المائدَة،
ليس من هذه اللّغاتِ،
ويجهل هذا الصّراطَ،
وينبذ ما ترسمُ القاعِدَة».

- ظ -

كم أخاصِمُ نفسي، أسائلُ نفسي:
- لماذا نُزوعكِ دوماً إلى وطنٍ آخَرٍ؟
ولماذا
كلّما جئتِ أرضاً صبوتِ إلى غيرها؟
كيف لي أن أُدَجِّنَ فيك انفجاركِ -
ذاكَ الهديرَ، وذاك الشّرارْ؟

- إنّه وَلَهُ الشّاعرِ
إنها فِتْنَةُ الرّحيل إلى لا قَرارْ.

* قدماه هما تِيهُهُ الأوّلُ:
كيف لا يَصعد الوَحي فيه،
كيف لا ينزلُ؟

١٨٣ هـ.

ـ ٣٠ ـ

ـ أ ـ

مات الكاظِمْ[١]

في السّجن ـ وقالوا:

أرسل للِسجّان[٢] يقولُ:

«بَلائي يمضي،

ورخاؤك يمضي،

لكنّ الخاسِرَ أنتَ،

فأنتَ الظّالِمْ».

ـ ب ـ

كيف تعارض يا بهلولُ[٣]؟

كأنك، حقّاً، بهلولٌ.

رَفضُكَ سِجْنٌ ـ

تُرمى فيهِ، لا عودةَ مِنهُ

أو تُقتَلُ فيهِ.

ـ ج ـ

قَيّدوه، اسجنوهُ، ألَهُ أن يخالفَ رأيي؟»

ـ د ـ

مات من أَثَرِ السّجن، في بيتهِ.

ـ غ ـ

عند بابِ بُزاغا

فاجأتني خُطاها

فاجأتني ضفائر أوجاعها

مُسْدَلاتٍ على كتفيها.

لم أكن أتوقّع أنّ التّعَبْ

جسدٌ آخَرٌ

تتناسَخْ فيه حَلبْ.

* ألعزيزُ المشرّدُ ـ في قدميْهِ

جَبَلٌ راكعٌ، وفي راحتيهِ

وجْهُ أَيْقُونَةٍ.

(١) موسى الكاظم، ومات في سجن الرّشيد. لُقّب بالكاظم لأنه كان يُحسن إلى من يسيء إليه، كاظماً غيظه.

(٢) الخليفة الرشيد.

(٣) البهلول بن راشد، كان عالماً زاهداً عارضَ أمير أفريقية (وكان آنذاك محمد بن مقاتل العُكّيّ)، في إرساله النحاس والحديد والسّلاح إلى ملك أسبانيا فضربه الأمير وحبسه.

غ ـ ١/ طِلَّسْمات

يَجري مِن باب بُزاغَا
نَهْرٌ ذهَبٌ
يتجمّد ملحاً، لكن في طَعْمٍ معتدلٍ.

*

حَجَرٌ أسودُ فوق بلاطٍ أسودَ ـ قالوا:
لمّا نزعوه مِن موضعهِ
انْهارَتْ
أسوارُ القلعة سوراً سوراً،
وانْهارَ الجامع فيها.

*

حجَرٌ حدٌّ
حين يغيّر موضعهُ
تتبرّج كلّ نساء الحيّ، وتأخذهنّ الشّهْوه
ويجامعْنَ، اسْتِمتاعاً
جَهْراً، أوفي خَلْوهْ.

*

ماءٌ ـ
إن قَطرَتْ منه قَطْرَهْ
فوق العقرب ماتَ. وقالوا، استطراداً:
قرية يَحْمولِ
لا يحيا العقرب فيها،
وإذا جاء إليها ماتْ.

*

حين يفيض قويْقٌ
يحمرّ الماء وتبدو فيهِ
صورٌ، وتماثيلُ نحاسٍ.

*

عينٌ كبريتيّهْ
يأتي النّاس إليها
من كلّ الآفاق، وتشفي الأمراضَ جميعاً.
لا يدري أحدٌ
مِن أين يجيء الماء، وكيف، وأين يَروحُ؟
قالوا: جرحٌ

يتطهّر فيه
كونٌ مجروحُ.

*

جرْنٌ
لِدماء سَلاحفَ تَشْفي المصروعين، وتَشْفي
كلّ الأوجاع السّريّهْ.

*

بالروميّهْ
كُتبت أسماء المقبورينْ:
هذا نورٌ من عند الله، وهذا في عِلّيينْ.
مقبرةٌ ـ يغمرها نورٌ
لا يَسْطَعُ إلاّ في اللّيل، وحين يجيء النّاس إليه،
يَخْفى.

غ ـ ٢/ أبواب

بَابُ النّصْرْ، ـ

غِزْلانُ فراقٍ ومرَاراتٍ

تتقافَزُ مِن أسْوارِ القَصْر.

❊

بابُ أنطاكيهْ، ـ

رأس قدّيسةٍ

تتفتّح فيه ورودٌ

لا يراها سوى عِطرها.

❊

بابُ قنّسرين، ـ

في يديهِ ثلاث نجومٍ

يتفقّدْن أضواءهنّ، على رأسِهِ

قمرٌ هائم؛

❊

في التاريخ أنّ الدخول إلى مدينة حلب، كان يتمّ من أبوابٍ متعدِّدة، يعود أقدمها إلى القرن الثاني عشر الميلادي، ويعود أحدثها إلى بداية القرن السادس عشر.

الأبواب التي زالت ولم يبق لها أي أثر، هي: باب العراق، باب العدل، باب الفراديس، باب السّعادة، باب السّلام، باب العافية، باب الأربعين، باب القناة، باب الأحمر. الأبواب التي زالت وبقي اسمها. هي: باب الفرج، باب الجنان، باب النّيرب. الأبواب الباقية هي: باب أنطاكية، باب النصر، باب قنسرين، باب المقام، باب الحديد.

بابُ الحديد، ـ

لا تَسْلْني،

وقلْ أيَّ شيءٍ.

❉

باب المقام، ـ

ذِبْحٌ،

وإبراهيم يَسكبُ في المقامْ

دَمْعَ الكلامِ ـ دَمَ الكلامْ.

❉

باب العراق، ـ

يعشق الضّوءُ ليل الرّحيلْ،

كيف مالت أبابيلهُ، يميلْ.

❉

باب العدل، ـ

ما أصفاه، ما أوهنَهُ هذا النّبْعْ:

نسجته الحيرة في الأحشاءِ بخيط الدّمعْ.

❉

باب الفراديس، ـ

وجه عشتارَ فوق المدينةِ، رُدّوا

عن وجوه النّوافذ أَسْتارَها.

❋

باب السعادة، ـ

موسيقى ماءْ

تتبجّسُ مِن كبدِ الصّحراءْ.

❋

باب السّلام، ـ

إرحلْ، أو لا تَرْحلْ

بابُ الغرب كباب الشّرقِ، فماذا تأمَلْ؟

❋

باب العافية، ـ

وضع الدّاءُ يديهِ

في ماءٍ بارِدْ.

❋

باب الأربعين، ـ
هيَ قافلةٌ للبكاءْ
تتفتّح فيها السّماءْ.

❊

باب القناة، ـ
بَانَقُوساءُ تَحفظ أسماء مَن مرَّ فيها
وتَقولُ دَفَنَّا
ليلَ أحزانِنا
في شذَى وَرْدةٍ.

❊

باب الأحمر، ـ
مركبٌ من شرارٍ يسافر في لُجّةٍ من شَرارْ
بين هذا الجدارِ وذاك الجدارْ.

❊

باب الفرج، ـ
شارعٌ يتغطّى حياءً من الضّوء،
يخجلُ من عُرْيِهِ.

❊

باب الجنان، ـ

آهِ، ما أجمل الأغنيه

في فم المعصيهْ

❊

باب النّيرب، ـ

طِفْلٌ

يتخيّل وجهَ اللّه ويغفو

في إصْطَبْلٍ.

❊

باب لا اسْمَ له، ـ

لبس الماءُ كتّانَهُ

كلّ خيطٍ له شكل نايٍ

والعناكب أوتارهُ.

هـوامـش



شَرُّ البلادِ
مكانٌ لا صديقَ بهِ.

المتنبي

مات سنة ١٩٠ هـ.

بهلول المجنون

بومتانِ على غُصُنٍ واحدٍ:

فَأْلُ خَيْرٍ -

جسَدٌ لا يَنامُ

والسّريرُ الكلامُ.

بُومَتانِ على غُصُنٍ واحدٍ:

حبُّنا وزْدتانْ

لكما، أيّها العاشِقَانْ.

مات سنة ١٩٤ هـ.

سيبويه

لغةٌ ـ فتنةٌ

غير أنّ بنيها وأحفادهم

أسلموا جسمها

لرطوبة أيّامهم.

شَرَري موثقٌ بأحوالِها وناريَ في سَفَرٍ كاسرِ

كي أعاشِرَ أسرارَها،

أتقصّى مداها

في هوًى آسِرِ.

أبو نواس

مـات سـنـة ١٩٥ هـ. وكان في التاسعة والخمسين من عمره.

ـ أ ـ

«هو لِلمُحدثينْ

كامرىء القيسِ للأقدمينْ» (أبو عبيدة)

ـ ب ـ

«ليته لم يكن ماجناً

إذن، كنت آخذ علميَ منهُ» (الإمام الشافعي)

ـ ج ـ

. . . . .

أوّل من أخرج الشعر من داره البدويّةِ،

أعطاه سِرّاً جديداً، وسحراً جديداً.

وهو بدءٌ لهذا الأبَدْ.

ـ د ـ

«لو تقدّم في الجاهليّةِ:

لم يتقدّمْ عليه أَحَدْ» (عمرو بن كثلوم العتابي)

جابر بن حيّان

كوفيّ، له حوالى ٢٣٢ كتاباً. منها: أسرار الكيمياء، علم الهيئة، تصحيحات كتب أفلاطون، الخمائر، صندوق الحكمة، الرحمة، العهد في الكيمياء... وهو أوّل من وصف أعمال التقطير، والتبلّر، والتذويب، والتحويل. مات سنة ٢٠٠ هـ.

إِهْدنا صَنْعَةَ الكيمياءْ

إهدنا لِهواها، لإكسيرها النّبيلْ ـ

زئبقاً، بَوْرقاً

حطباً ومنافخَ، فحماً

وأَنابيقَ من كلّ فَنٍّ.

إِهْدِنا للخداع الجميلْ

ولتقطيرها، ولتحويلها.

إهدنا صنعة الكيمياءْ

لِنُحوّلَ هذا التّرابَ الجميلَ، جِناناً

وأنهار شعرٍ وحبٍ

لأحبّائِنا ولأعدائِنا،

مَنْ على الأرض منهم، ومَن منهمُ في السّماءْ.

الإمام الشافعي

مات سنة ٢٠٤ هـ.

لغة الشّرْع في رَأسهِ،

لغة الشِّعر في رئتيه وفي شفتيهِ؛

الأقاليمُ فَيْحاءُ في وجههِ،

غيرَ أنّ المدائنَ تَعْنو وترزحُ مقطورةً،

تَتقلَّبُ في فقههِ.

هشام الكلبيّ

النسّابة، وصاحب كتاب «الأصنام». مات سنة ٢٠٤ هـ.

لاتَزالُ إلى الآن أصنامُكَ الرّاسِخهْ
تتوهَّجُ في ليلِنا.
لانزال ننام على دفْئِها،
في أسّرة أطيافها الباذِخهْ
لانزال إلى الآنَ نشربُ مِنْ ضَرْعِها:
كيف ضاعَتْ وضِعنا، وها زَرْعُنا
يَتَناسَلُ من جَذْعِها
ويعودُ إلى زَرْعِها.

الفرّاء النحوي

كان يُسمّى «أمير المؤمنين» في النّحو. وكان مؤدّباً لابنيْ المأمون اللّذين كانا يقدّمان له نعليه، احتراماً. مات سنة ٢٠٧ هـ.

لغةٌ تتساءَلُ عن حالِها:

ما الذي نسجته عن الشّيء، ماذا

يعرف الشّيءُ منها؟ وأيّ جسورٍ

نُصبت بين أمواجه وأمواجها؟

لغةٌ تتساءَلُ عَمّا ترى

عن مرايا تقول لها ما ترى،

والمرايا ضَياعٌ

مثلَها، وسؤالٌ.

أحمد بن صَدقة

قُتل سنة ٢١٠ هـ.

طُنبوريٌّ حذَقَ الصَّنْعةَ، غَنّى:
غَنَّى رملاً، هَزَجاً ـ يشكو
لِلصَّخرة قلبَ حبيبتهِ، ويؤاسي
وَرْدة حبٍّ تَذْوي.
هوذا يَمْضي، يَرْجو أن يَلقى الأحبابْ
في الشّام، يحادِثُ طيْراً
يتفيّأ غيماً.
صَخَبٌ، أصواتٌ ـ بَعضُ الأعرابْ
يلتفّون عليه:
أخذوا ما مَعهُ ـ قتلوهُ.

موسيقى طنبورٍ
تَتَغلغَلُ في صَمْتِ الأعشابْ.

بشر بن المعتمر

توفي سنة ٢١٠ هـ. له، كما يُروى، قصيدة في أربعين ألف بيت يردّ فيها على خصوم المعتزلة.

- I -

معتزلاً رائداً،
جَمّعَ آراءه وأفكاره
وصاغها قصيدةً واحده،
ينقد أعداءه
طرائقاً، ولغةً فاسده.

- II -

الأفكار ظلالٌ تأتي وتروحُ ـ فأين الجَدْوى
في أن تُقنع رأساً ليصير يميناً،
وهو شمالٌ
ليصير شمالاً وهو يمينٌ.
ليس الفكر وريداً أوشرياناً.
والأفكار عباءَةُ راعٍ
يتوهّم أنّ الأشجارَ قطيعٌ.

عَليّة بنت المهدي

ماتت سنة ٢١٠ هـ. «كانت من أجمل النّساء، وأظرفهنّ وأكملهنّ، أدباً وعقلاً».

(رسالة عن رجلٍ أحبّته)

منذ أن لبس الوقْتُ قُفطانَهُ

وتبختر تيهاً بهِ،

لم يعد يتذكّر أوقاتَنا

لم نعد نتلاقى

لم يعد بيننا

غير ذاك المكان الذي كان يحنو علينا

حين كنّا نفيءُ إليهِ ـ

يُلابس حُزْني،

وألابسُ أفراحَهُ.

الرّواية

III - II

(. . .)

ـ «خُذِ الشعر، أنت أيّها المأخوذ بالمرئيّ ارفعْهُ بيتاً وأَقِمْ فيه سيكون حتماً عليك آنذاك أن تسكن في الجانب الآخر غير المرئي حيث يهدر دمُ العناصر حيث الماء والهواء التّرابُ والنّار ثديٌ واحد آنذاك، ربّما عانقكَ الشقاء طويلاً طويلاً ولن تقدر أن تؤاويكَ حتى أحلامك لن تقدر شجيرات الفستق، بحقولها الفسيحة كلّها أن تُظلِّلك لن يجديك عبق البرتقال أو حنان الزّيتون والتين».

(. . .) هذا ما جَهَرَ به لفضاء القلعة توهّماً منه أنّه سيفهمه، ولم يكن يريدُ منه أَيَّ شيء قال ذلك لوجه القول، ربّما لأنه كان يشعر أن جسده تلك اللحظة طافحٌ بحكمة القلق والوحدة، أَلاَّ قدرة له تقريباً على النّطق. دائماً يُملأُ فمه بماءٍ كلّما جهد أن يفرغه مُلىء بماءٍ آخر (. . .).

(. . .) قرأَ:

«اهتمّ الملوك بعمارة القلعة وتحصينها» ـ

أ ـ كُتب على جانب الباب الأوسط في القلعة:

«بالإشارة العالية، المولويّة، الأمريّة، الشمسيّة، قرأ سَنْقَر الجوكندار المنصوري الأَشرفي كامل المملكة الحلبيّة، أعزّ اللَّه نصره».

ب ـ كُتب على زنّار باب القلعة:

«أُمِر بعمارته بعد إهماله وإشرافه على الدثور، في أيّام مولانا، السلطان الأعظم، الملك الأشرف، صلاح الدنيا والدّين، ناصر الإسلام والمسلمين، عماد الدّولة، ركن الملّة، مجبر الأمّة، ظهير الخلافة، نصير الإمامة، سيد الملوك والسّلاطين، سلطان جيوش الموحّدين، ناصر الحقّ بالبراهين، محيي العدل في العالمين».

ج ـ كُتب على برج القلعة الشمالي:

«جدَّد هذا السور المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف قانصوه، عزّ نصره في أيّام المقر الأشرفي الأمير السّيفي عين مقدام الألوف

بالديار المصرية سيباي الأشرفي نائب القلعة المنصورة بحلب عزّ نصره سنة ٩١٥».

هل ذلك البخار لهاث؟

هل تلك الحفرة سرير؟

نثار خشبٍ، نباتٌ شبه ذابلٍ   شجراتٌ تكاد أن تبكي ركام حصًى وغبار   أشباحُ ذاكرةٍ تتكىء حاسرة الرأس على عجيزة القلعة   القلعة أمٌّ فقدت جميع أبنائها   تنحني على شرفاتٍ تُطلّ على صحراء الذكرى. حولها طرقٌ يرسمها فراغ الخطوات، أشخاصٌ يخرجون لِتوّهم من أنقاض التّاريخ(١)، مهزومين يحملهم اليأس على أطراف أظافره.

(١) التاريخ جَسَدٌ خرابٌ، - كيف يدخل فيه وروحه أكثر خراباً؟ لكن كيف يهرب منه، هو الذي يتقلب بين يديه؟

استحضرَ سِرّاً شبحَ الموت وعجب من نفسه كيف أخذت تتحدّث معه وتتنزّه خفيةً خارج جسده، بين يديه وعينيه.

لم يلمح طفلاً   أم ترى شُبّه له أنّ الأطفال هنا كلّهم رجالٌ قبل الأوان؟

لم يلمح كتاباً   أم ترى شُبّه له أن الكلمات هنا أخشابٌ ومسامير؟

غير أنّه سمع من يقول: ينبغي أن تكون القصيدة قَناةً   ينبغي أن يكون الكتاب رغيفاً

وخُيّل إليه أنّ الأبجدية طفلةٌ متشرّدة لا مكان لها مع أنّها تقيم في المتحف داخل قفصٍ، وأنه أخذ يتشرّد وراءها لكي يطبق عليها حنان ذراعيه.

قرأ كتابةً بأبجديةٍ ثانية على باب أنطاكية، ـ

«بسم اللّه

أمر بعمارة الباب والأسوار بعد خرابها ودثورها ومَحْو رسومها،

مولانا السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم سيّد سلاطين العرب والعجم سلطان البرين وخاقان البحرين وخادم الحرمين الشريفين سلطان الإسلام والمسلمين ناظر الغزاة والمجاهدين العالم الكامل الملك المؤيّد المنصور خلّد اللّه ملكه

في كفالة المقرّ الأشرفي السّيفي. . .»

(. . . .) («هنا،

كان يتدرّب على الموت في قلعةٍ ثانية تلّة عالية تشرف على المدينة ليس فيها إلاّ الصّراخ وإلاّ قدور الطّعام التي يغطيها الذّباب

كأنه يرى الآن ذلك الطاهي عابساً ضاحكاً معاً يكشطُ بمغرفته الخشبيّة الضخمة الذّباب عن وَجْه القدْرِ ثمّ يملأ بالمغرفة ذاتها صحنه النحاسيّ الصّدىء.

وكان يأكل كغيره كان في الطعام رغم كلّ شيء
وربّما بفضل كلّ شيء لذّةٌ ومتعة.

كان الجنون توأمَ الخبز والرّأس فريسةَ القدم

ولم يكن لديه آنذاك شيءٌ يقوله لأيّ شخص

لكن كان أحياناً يجرؤ على التنهّد خِفْيَةً وهمساً»).

قَرَأ كتابةً على باب الحديد، ـ

«أمرَ بعمارة هذا الحصن المنيع الباب

مولانا السّلطان الملك قانصوه الغوري

عَزَّ نصره

بولاية مملوكه أبرك مقدام الألوف بالدّيار المصريّة وشَادُّ الشّرَّابات والخانات الشريفة، ونائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة، أعزّ اللّه أنصاره سنة ٩١٥».

وقرأ كتابةً على قَصْطلِ شبادق: ـ

«أمر بإنشاء هذا السّبيل المبارك المقرّ الأشرف العالي المولوي المالكي المخدومي الكامليّ السّيفي يلبغا الصّالحي كافل المملكة الحلبيّة المحروسة أعزّ اللّه

أنصاره، من ماله، ابتغاءَ لوجه اللّه تعالى يقيه العطش الأكبر يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاّ من أتى اللّه بقلب سليم، في ربيع الأول سنة ٧٤٦».

وقال أبجد:

رأيتُ أيّامي كأنّها تخرج من الحجارة[١]، وتندلق أمامي. حاولت أن أقول لذلك النّهار: اذهب واتركني. حاولت أن أقول لشمسه: كوني يديَ اليمنى، ولو مرَّةً واحدة، واكتبي ما أمليه عليكِ.

لم تسمعني الشمس. كانت تعطي أذنيها لصوتٍ آخر. وخُيّل إليّ كأنني غيمةٌ لا تعرف من أين جاءت ولماذا وكيف؟ تراها غيمة عشقت «حارة الجُبّ»؟ تراها لا تزال في «ساحة فَرْحات»؟ أم لعلّها آثرت البقاء في «سوق الحراج»؟

تنهّدتُ: «أَيتها الغيمة أنا أنتِ، وأنتِ لستِ أنا».

قرأ كتابةً على خان القصّابيّة، ـ

«أنشأ هذا الخان المبارك في أيّام السلطان الملك الأشرف أبي النّصر، قانصوه الغوري عزّ نصره، المقر الأشرف السّيفي في عين مقدام الألوف بالديار المصريّة،

(١) «لمّا ضاقت مكّة على بني إسماعيل وجرهم، تفسّحوا في البلاد يلتمسون المعاش. كان لا يرحل واحدٌ منهم إلاّ حَمل معه حجراً من الحرم، تعظيماً له، وصبابةً بمكة وبالكعبة، يضعه حيثما حَلّ، يطوف به طوافه بالكعبة.

ثم أخذ الناس يعبدون ما استحسنوا من الحجارة».

❊

«كان عمرو بن لَحيّ أوّل من غَيّر دين إبراهيم وإسماعيل، ونصب الأوثان.

❊

«رأيت عمرو بن لحيّ، يجرّ أمعاءه في النّار، على رأسه فَروة». (حديث).

❊

«قَدِم عمرو بن لحيّ بصنم يقال له هُبَل، من هيت، من أرض الجزيرة، نصبه على البئر في بطن الكعبة، وأمر الناس بعبادته. كان الرجل إذا قدم من سفرٍ بدَأ به على أهله، بعد طوافه بالبيت، وحلقَ رأسه عنده».

❊

وشادّ الشّراب خاناه الشريفة بها ونائب القلعة المنصورة الحلبيّة المحروسة أعزّ اللّه أنصاره، ابتغاءَ لوجه اللّه تعالى. ومن تعرّض إليه كان اللّه ورسوله خصمه، وذلك في شعبان المكرّم سنة ٩١٦».

هكذا يجلس الزمن في القلعة على كرسيّ يَسَع التّراب والهواء. حين يعمل تبرد الشمس وتتمدّد على الأرض. تخرج رياح كثيرة تسير خارج القلعة أشجاراً أشجاراً. تهيّج هذه الرّياح أجزاء الكون، فينحني جسده قوساً تضطرب وتلتهب وتكون المسافة التي نسمّيها المدينة قد تحوّلت إلى جرّة مملوءةٍ عطشاً. وترطب النّفس ثم تيبس ثم تنصدع، ويعلو منها بخارٌ برقّة النسيم يدغدغ الشجر وما يختبىء وراءه وفي تقاطيعه من غاباتٍ وينابيع.

للشمس في هذه المسافات خيوطٌ حين تنقطع تتحوّل إلى غيوم. وكلّ نجمة فيها طريقٌ تنزل منها ألوان تختلط بالتراب، فيتحول كلّ شيء: الندى مطرٌ يمشي، والثلج مطرٌ ينام.

وقال أبجد:

- رأيت في هذه المسافة حجراً أسودَ يسقط من السّماء، يتكىء عليه شيخٌ، والغربان تطير فوق رأسه تنتظر موته.

«كان عند هبل في الكعبة سبعة قِداح، كلّ قدح في كتاب.

العقل نعم لا
منكم (وسيط)، مُلْصَق (لا نسب له) من غيركم (حليف) المياه».

*

«دخل رجلٌ من جرهم بامرأة منهم إلى الكعبة فَجَرَ بها.

اسم الرّجل أساف اسم المرأة نائلة، مُسِخا حجرين.

أُخرجا من الكعبة. نُصب أحدهما على الصّفا والآخر على المَرْوة. لم يزل الأمر يتقادم حتّى صار يتمسّح بهما مَن وقَف على الصّفا والمروة، ثم صارا وثنين يعبدان، وكان يُنحَر عندهما».

*

«دخل الرسول مكة، يوم الفتح، وفيها ثلاثمئةٌ وستّون صنماً شدّها إبليس بالرّصاص. وكان بيد الرّسول قَضيب، كان يقوم عليها ويقول: جاء الحق وزهق الباطل. ثم يشير إليها بقضيبه، فتتساقط على ظهورها. ثمّ جمعت وكُسّرت

ورأيت جنازةً ترافقها المشاعل والمزامير،
وكنت أسمع تسبيحَ الشجر.

قلتُ: بُنيت القلعة في تطابُقٍ تامٍّ مع المدينة الأولى.
وسألتُ القلمَ أوّل الخَلْق عن تكوين المدينة الأولى
فاستجاب. قال:

«خلقَ الخالِقُ غماماً تحته هواء فوقه هواء
خلق الماءَ
جعل عرشه[1] على الماء
جعل الماء على مَتْن الرّيح
أخرج من الماء دخاناً ارتفع فسمّاه السماء
أيبَس الماءَ أرضاً واحدةً ـ فتقها سبعاً
وضع الأرض على الحوت
الماءَ على حجرٍ عريضٍ أملس
الحجرَ على ظهر مَلَك
الملَكَ على الصّخرة التي ذكرها
لقمان (ليست في السماء ولا في الأرض)
الصخرةَ على الرّيح
تحرّك الحوت

وحرقت بالنّار. خرجت من أحد الأصنام المكسورة المحروقة امرأة سوداء شمطاء عريانة تخمش وجهَها وتدعو بالويل. قيل للرسول الخبر. قال: تلك نائلة».

*

«رَنَّ إبليس ثلاث رَنّات: رنّة حين لُعِن، فتغيّرت صورته عن صورة الملائكة، ورنّة حين رأى الرّسولَ قائماً بمكّة يُصلّي، ورنّة حين افتتح الرّسولُ مكّة.

اجتمعت إليه ذريّته، قال:

ـ عبثاً تردّون أمّة محمد إلى الشرك، لكن أفشوا فيهم النّواحَ والشعر».

(١) «تقول طائفة من أهل الكلام إن العرش فلك مستديرٌ يحيط بالعالم. لكن ثبت في الشرع أن العرش سريرٌ ذو قوائم تحمله الملائكة. وهو كالقبة على العالم، أو هو سقف المخلوقات» (الحافظ بن كثير الدمشقي).

اضطربت الأرض وتزلزلت

أرسى عليها الخالق الجبال فقرّت (لهذا تفخر الجبال على الأرض).

خلق الخالقُ اللّيل قبل النّهار

خلق الشّمسَ والقمر على عجلتين، لكلّ عجلةٍ ثلاث مئة وستون عروة، يجرّها ثلاث مئةٍ وستّون ملاكاً،

يسقط الشمس والقمر في بَحْرٍ بين السّماء والأرض، وهذا كسوفهما

تخرجهما الملائكةُ جَرًّا، وهذا شروقُهما».

*

(...)

«أيّتها الغيمة، أنا أنت، وأنتِ لستِ أنا».

*

ربّما، بفعل هذه الغيمة، لم يزر عمود سمعان لم يكن في حاجة إلى أن يحوّل حياته إلى عمود آخر
لم يكن في حاجة إلى أن يرى السّماء جريدةً والشجر أقلاماً كان انحيازهُ مريباً ولم تكن فضّة المدينة كلاماً ولم يكن ذهبها صمتاً.

كان النّهار يتوكّأ على طفولة المساء

الشمس تنام إيذاناً بصلحها مع المُتْعبين والّليل يتهيأ ليملأ جيوبَه برؤوس العُشّاق

في مثل هذا الوقت الذي ينسج المدينة وتنسجه،
والذي هو صيفٌ ربيعٌ كأنه الخريف،

خَطر له أن يتساءل: هل الكتابة هي، وحدها، الشّتاء؟

وخطرَ له أن يضعَ مكان التّاء حرفاً آخر، لا لأنّ الأشياءَ في أوج وضوحها لا لأن التخيّل يفارقه ويَنْأَى لا لأنّه يعيش حقيقة ما ظَنّه خيالاً،

بل لأنّ الكتابة في مثل ذلك الوقت تُشْبِه التّيَمّمَ في أرضٍ يغمرها ماءُ المعنى

هذا ما كان يقوله الشّيْخُ فيه،

هل للطفل فيه نزوعٌ آخر لا يتبيّنه؟

ماذا تريد، إذن، أيّها الطفل؟

قلت له مرّةً: «الأفكار سُرعانَ ما تموت»، ولم يُصْغ
كان الحقّ معك هي ذي يراها كمثل ثمارٍ تتساقط ولا يأبه لها حتّى البستانيُّ الذي أمضى حياتَه ساهراً عليها.

الآن، ماذا تريد أيها الطفل؟ لكَ كلُّ شيءٍ إلاّ أن تُحاولَ إغراءه بأن يشاركَ في لهوكَ الفردوسيّ.

أنت أيضاً تخطىء أحياناً أيها الطفل.

قلت له مراراً: «أينما ذهبت في أنحاء المدينة **سترى المتنبي**.
ربّما لن ترى أثراً لسيف الدولة   لكن ستجد في كلّ زاوية أثراً من صديقك المتنبي».

قَلّب الشّوارعَ   نَقِّبَ في الأزقّة   تَقَرّى الجدران
تَسلّق جبال الهواء أمسك بحبال الشمس   لا أثر
كلاً لا أثر.
أنت أيضاً تخطىء كثيراً أيّها الطفل.

ليست السّماء زرقاء فوق المدينة وليست رمادية ليس للسّماء لون، للسّماء رائحة وليس هناك مصدر تستطيع أن تقولَ عنه بيقين: هوذا أصل الرّائحة. وعندما تحاول أن تسأل الشّمس أو ناحيةً في الفضاء، لا يأتيك جواب   تزداد حيرتك   وتشطُّ بك البلبلة
مِنشارٌ بعلوّ السّماء يغوص في جسد المدينةِ
أهو أصل الرائحة؟
كلاّ، قالت له حجارة تتوّجت بالنقوش   وجاهر بالكلمة ذاتها خَطٌّ كوفيٌ مورّق.

غضب على قدميه لأنّهما لم تتعبا   غضبت عليه مئذنة جامع الأُطروش لأنه لم يعرف، هو الذي يقول برؤية ما لا يُرى، أن يقرأَ وجهها ولا أن يقرأ ما وراءه.

«سعيدةٌ بهذا الفراغ الذي أتلألأ فيه»: قالت له مئذنة جامع التّوتة وكان قد سَلّم على جامع القيقان في حيّ العقبة وشعر منذ وقعت عليه عيناه كأنه هو الذي يقبل نحوه آتياً من سفرٍ في أقاليمَ مِمَّا قبل التّاريخ.

حَيّ التِّلل، -

في حيّ التِّلل، سار وسط أريج ينبعث من ثياب النّساء وأعناقهن دافقاً كمثل طوفانٍ أخضر   أريجٌ أحسَّ كأنه يجعله، بسحرٍ ما، كائناً غير مَرْئيٍ يمضي وقته في صناعة الغيم

لم يفهم كيف يلبس الفضاء هنا ثوباً مليئاً بالثقوب. لم يفهم كيف أنّ الكلام هو الذي يفتح هذه الثقوب.

هل يقدر الكلام أن يتحوّل إلى نَمْلٍ طائر؟.

لكن، أصغوا.

بحر قائم في الهواء

«كانت المدينة ألف قبل تكوينها جوهرة خضراء،

نظر إليها الخالق نظرة هَيْبَةٍ، فصارت ماءً.

نظر إلى الماء غَلَى وتصاعدَ منه دخانٌ وزبد

صار الزّبد أرض المدينة والدّخان سماءَها

شَدّها الخالق بالجِبال لكي لا تهوي أو تميد،

وجعلَها مَسْكَناً لِلرّياح والماء والشّجر وحجارة الكبريت والإنسان أحياناً.

وزيّنها بالأزمنة ووعدَها بأن تتحوّل إلى أرض ثانية،
بيضاء ـ جميلة كالخبز ووضع في سمائها شَمْساً
من ضوئه تتدلّى منها عجلةٌ بثلاثمئةٍ وستين عروة
يتأرجح فيها ثلاثمئة وستون ملاكاً لكلّ ملاكٍ وجهان
الأول يُسمّى النهار والثاني يُسمّى اللّيل

وسوّر السّماء ببحرٍ قائم في الهواء تسكن فيه النّجوم
ويدور حول نفسه سريعاً كالسّهم ومنح لكلٍّ ما
فيها نعمة الكلام، ـ

كان النّسر يأتي إلى الحوت في البحر فيخبره بما في البرّ، ويأتي الحوت إلى النّسر فيخبره بما في البحر».

الشمس والقمر

«كانت الشمس في المدينة ألف تسقط أحياناً من عجلتها، وتسودّ، تخويفاً للناس.

وكثيراً، كانت تُحبس هي والقمر، تأديباً، ـ

وكانا يسجدان ويُصلّيان ويستأذنانِ بالشّروق، فلا يُؤْذَنُ لهما، إلا بعد انقضاء ثلاث ليالٍ حيث يكونان في سُرّة السّماء،

ويأتي إليهما ملاكٌ يأخذ بقرونهما، ويطلعهما من الشرق، مِن باب التّوبة.»

تكوين
(المدينة ألف)

«نَصبَ بانيها أخشاباً

شَدّها بحبالٍ طويلة تتدلّى منها أجراسٌ صغيرة ووصلها بعمودٍ من الرّخام علّق على العمود جرساً كبيراً أمر البنّائين أن يضعوا أساساتِها دفعةً واحدة من سائرِ أقطارها حين تتحرك الحبال ويرنّ الجرس.

ثم أخذه النوم

في نومه

جاء غرابٌ أسودُ أبيض   جلس على حَبْل
الجَرَس   حرّكه   رَنّ الجرس الكبير وتحرّكت
الحبال   وخفقت أجراسها الصّغيرة   آنذاك وضع
البنّاؤون الأساسَ دفعةً واحدة

وتَمّ هذا كلّه بحيلٍ

وحركاتٍ فلسفيّة.

كان بناء المدينة طبقاتٍ بقناطر عالية يسير تحتها الفارس، رافعاً رمحه   وكان لهذه القناطر والطّبقات ثقوبٌ لِلضّوء ومنافذ للهواء   وقيل إن المدينة بنيت على مثال مدينة أخرى تجلس على كرسيّ من الزُّجاج بهيئة السرطان في جوف البحر ـ مليئة بالتّماثيل:

تمثالٌ يشير بِسبّابة يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت تعلو الشمس فتعلو السبّابة وتنخفض فتنخفض.

تمثالٌ يُنبىء بالعدوّ ـ

حين يدنو من المدينة

يسمع للتمثال صفيرٌ هائل.

تمثال يقيس الوقت: يستقبل كلّ ساعةٍ تجيء بصوتٍ يختلف عن صوته الذي استقبل به الساعة التي مضت.

مصادفةً مرَّ أبجد في ناحيةٍ من المدينة ألف يقال لها، شجرة الزّقوم. تمتد هذه الناحية بين جهتين ـ وفُسِّر ذلك بأنّ ساكنيها لا يعرفون المستطيل أو المربّع أو المثلث أو متوازيَ الأضلاع أو غيرها من مثل هذه الاشكال هي خَطٌ مستقيمٌ أو متعرّج أو منْحنٍ أو لولبيّ: خَطٌّ له بداية محدّدة ونهاية محدّدة.

الإنسان في هذه الناحية جهتان: أبيض أو أسود، قصير أو طويل، فقير أو غنيّ. الكون كذلك جهتان: واق وَوِيق. لذلك نادراً ما تتحدث عن شيء اسمه البرّ أو البحر وهي إن تحدّثت عن البحر تسمِّيه جهنّم، وإن تحدَّثت عن البرّ أو اليابسة سَمّتها الفانية.

في هذه النّاحية تسير الجبال سير السّحاب فتكون سراباً وترتجّ الأشجار فتكون كالسُّفن في البحر أو كمثل القناديل المعلقة في الرّيح

وفيها صُوْرٌ

ينفخ نفخة الفزَع

ونفخة الصَّعْق

ونفخة القيام للربّ،

فيطير النّاس هاربين من الرعب، فتلقاهم الملائكة وتضرب وجوههم.

وفي هذه الناحية،
تطلع الشمس من المغرب قِصّة ذلك أنّها كلّما غربت جاءت إلى العرش سجدت استأذنت في الرجوع يأذن لها وحين يقرّر العرش أن تطلعَ من المغرب تستأذن في الرجوع فلا يسمح لها يطول اللّيل تعرف أنّها وإن أُذِنَ لها لن تدرك المشرق تجيء إلى العرش وتقول:

رَبِّ، ما أبعد المشرق! مَنْ لي بالنّاس؟

وحين يصير الأفق مثل الطّوق، تستأذن في الرّجوع، فيقال لها:

- ارجعي واطلعي من مكانك هكذا تطلع على الناس من المغرب

وفي ناحية أخرى رأى شجرة الزقوم كانت تفصله عنها أمّةٌ هي بين الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود (وقال آخرون: كالشعرة السّوداء في الثور الأبيض)
حول شجرة الزّقوم سوقٌ لا يُباع فيها ولا يُشترى إلا صور النّساء والرجال مَن يشتهي صورةً يدخل فيها

ثم تجيء ريحٌ تهبّ في الثوب والوجه، فيرجع المسافر إلى زوجته أجمل وأشهى
ويكون الصّخر كافوراً،
والمسك عالياً كالجبال.

رأى كرسيًا أخذ يكلّمه، وليس بينهما ترجمان.

كان عنده حوضٌ، وعند الحوض ميزان
ورأى رجلاً في كِفّة فيها تسعةٌ وتسعون سجلاً لذنوبه وخطاياه وفي الكفّةِ الثانية بطاقة كالأنملة فيها كلام
كانت الكفّة التي تحمل البطاقة هي الرّاجحة.

كان حول الميزان بقرة كمثل الغمامة، والكتب تتطاير.
وقيل له هنا تبدأ مدينة الواق.

التفت رأى حشداً يسير على خيط رفيع يقال له الشّعرة يَسْتحِدُّ حتى يُصبح كشفرة السّيفَ ويستحرّ حتى يكون كمثل الجمر كان الجميع صامتين إلاّ واحداً يركب ناقةً وآخر يغنّي بصوتٍ يشبه الأذان
مَرّوا على الشّعرة غُرًّا محجّلين -

واحدٌ كمثل انقضاض الكوكب،

واحدٌ كمثل الرّيح،

آخر كمثل شَدّ الرّحْلِ ـ يُرْمِلُ رَمَلاً.

حين رأى الخالق، ما رأى، أمر الملائكة أن يرشّوا ماءً يقال له ماء الحياة أخذ النّاجون ينبتونَ كما ينبت الحَبُّ في السّيل الجميل، ويخرجون كأنّهم اللؤلؤ وفي رقابهم عقودٌ وخواتيم.

سمع أحدهم يقول:

لكلّ شخصٍ في مدينة الواق خيمة من لؤلؤةٍ واحدة، مجوّفة، طولها ستّون ميلاً.

ولكلّ رجل في مدينة الواق اثنتان وسبعون زوجة يدخل في كلّ واحدةٍ دَحْماً   دَحْماً.

وفي مدينة الواق فرسٌ من ياقوتة حمراء لها جناحان تحمل الرّجل وتطير به حيث يريد.

وفيها شجرة تخرج الثياب من أكمامها، وهي ثيابٌ لا تَبْلى، وفيها سحائب لا تُسأل شيئاً إلاّ أمطرته   حتى أنّ بعضهم يقول للسحابة: أمطرينا نساءً، فتمطرهم نساءً.

وعنقود العنب فيها لا ينتهي   يظل صاحبه يأكل منه حتى نهاية العالم   وهو كبير بقدر مسيرة شهر للغراب

وفيها شجرة يقال لها الظلّ الممدود يسير الإنسان في ظلّها مئة عام. وليس في الواق شجرةٌ إلا ساقها من ذهب[1].»

فيما أخذ يفتكر في هذه المدينة العجيبة خرج عنقٌ من النّار وبدأ يتكلّم   كان رجلٌ يتّجه نحو العنق سمع العنق يزفر   ورآه ينزوي وينقبض   ثم يشهق إليه شهقة النّاقة إلى بعيرها   وكان قعر النّار سبعين خريفاً.

وعرف أنّ هذه مدينة الويق.

أصغى   سمع الرّجل يتحدث مع الخالق أو يتحدث إلى نفسه:

ـ «مَسّتْنِي ريحُها يا ربّ، وأحرقني حَرّها.

(أزاحها الربّ عن وجهي).

ـ يارِبّ، قرّبني إلى باب الواق.

(١) روى أحدهم، قال: «رأيت في هذه المدينة صنماً عظيماً رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء. أعلاه من ذهب، وأوسطه من فضة، وأسفله من نحاس. وساقاه من حديد ورجلاه من فخّار. فبينا أنا أنظر إليه قد أعجبني حسنه، وإحكام صنعته، قذفه اللّه بحجر من السّماء، فوقع على قمة رأسه، فدقّه حتى طحنه. فاختلط ذهبه وفضّته ونحاسه وحديده وفخّاره حتى تخيّل إليّ لو اجتمع جميع الإنس والجنّ على أن يميزوا بعضه من بعض، لم يقدروا على ذلك، ولو هبت ريحٌ لأذرته. ونظرت إلى الحجر الذي قذف به، يربو ويعظم حتى ملأ الأرض كلّها. فصرت لا أرى إلاّ السّماء والحجر...».

(قَرّبني قائلاً: لا تسألني غير ذلك)

سكت قليلاً، ثم قال:

ـ يا ربّ، أَدخلني مدينة الواق.

(قال: ألم تقل إنك لن تسألني؟ ما أغدرك، يَابْنَ آدم لكن، ما زال يسأله ويدعوه حتى ضحك. حين ضحك عرف أنّه سيأذن له بالدّخول إليها.

(أَدخلني وقال: اشْتهِ كلّ شيء!)

اشتهيت كلّ شيء وحضر بين يديّ كلُّ ما اشتهيت.

وقال لي: خَلّصِ اللّبنَ من الماء!»

«مدينة الويق نارٌ كلّها،

النّار التي نعرفها جزءٌ من سبعين منها ضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك لم يكن فيها منفعةٌ لأحد،

وكانت نار مدينة الويق حمراء ثم اشتعلت ألف سنة فابيضّت ثم اشتعلت ألف سنة فاسودّت وهي الآن سوداء بيضاء

فوق هذه النار جسرٌ أَدَقُّ من شعرة وأحدُّ من سيف عليه كلاليبُ وحسَكٌ ويعبر الناس عليه كمثل الرّيح والبرق، وكمثل أجاويد الخيل.

ورأى رجلاً، يجيء وعلى ظهره شاةٌ لها ثغاءٌ،

وآخر على رأسه فرس تحمحم،

وآخر قتيلاً يمشي ورأسه في يده.

ورأى واحداً ينتعلُ نعلاً من نار، ودماغه يغلي من حرارة نَعْليه، ورأى رجلاً يحكي ثم يسكت فجأة، وحين سكت فمهُ أخذت تتكلَّم ساقاه.

ورأى واحداً يُصَبُّ الحميم على رأسه فينفذ من الجمجمة حتى يصل إلى جوفه فيسلب ما فيه ثمّ يمرق من قدميه،

ورأى شخصاً يُرْمى في عينٍ من النّار يقال لها غساق، ثم يُخْرَجُ منها وقد سقط جلده ولحمه عن عظمه، فَيُعلَّق جلده ولحمه في كعبه، ويترك وحيداً يمشي يجرّهما وراءه كما يجرّ ثوبه

ورأى فوق أهل مدينة الويق سحابة سوداء تناديهم: ماذا تطلبون؟ فيقولون: ماءً، ماءً!

لكنّ السحابة تمطرهم سلاسل وجمراً

وكان بعضهم يتمدّد في توابيت من حديدٍ توضع في القعر في تنّور صغير كمثل القمع يقال له: جُبّ الدّمع. وقيل إنّ لهم طعاماً ذا غَصَّة لا يدخلُ البطن ولا يرتفع إلى الفم، فيبقى بين المعدة والحلقوم.

وأهل مدينة الويق لا ينامون ولا يموتون. يجلسون في النّار، يأكلون النّار ويشربونها ويلبسونها. وقيل بين أذن المقيم في مدينة الويق وكتفه مسيرة سبعين خريفاً.

وكان يسمع ضجيجاً فيقال له هذه أحجارٌ أرسلت في مدينة الويق منذ سبعين خريفاً، والآن تصل إلى قرارها.

وقال أبجد:
حين يستقر أهل مدينة الواق وأهل مدينة الويق كلٌّ في مدينته، يجيء واحدهم بكبشٍ لونه أسود يخالطه بياض يضعه على الشعرة وينادي:
يا أهل مدينة الواق، أتعرفون هذا؟
فيقولون: نعم، إنه الموت.

ثم ينادي:
يا أهل مدينة الويق، أتعرفون هذا؟
فيجيبون: نعم، هذا هو الموت.
ثم يذبح الموتُ الكبش فوق الشعرة، ويقال لأهل المدينتين:
خلودٌ في ما تجدون،
خلود ولا موت.»

الذّكرى

III - II

المدينة هاء

المدينة هاء
مولودة لا تقدر أن تنهض من الفراش
الذي ولدت فيه.

❊

تركب المدينة هاء
عربة تائهة،
لا تفكر، لا تحلم، ولا تتوقف عن الكلام.

❊

تقول المدينة هاء:
إن لم تكن سعيداً بي، أنت يا من تبحث عن السعادة،
فابحث عن وكر ـ تَمدَّدْ فيه،
سُدَّ فمك وأُذنيك،
أَغمض عينيك، ونم، ولا تستيقظْ.

❊

المدينة هاء
تُحل الكلامَ محل الأَرض ـ
هكذا لا تظهر فيها الكلمات إلا مغطّاةً
بِعباءة الغيب.

❊

المدينة هاء

تفصل بين الوردة وعطرها

وتحرض الجسد على أَعضائه.

❊

المدينة هاء

عرَبةٌ تجرّها ألفاظٌ أَنْحلَها السّير.

مكانٌ يهمس أَخباره

في أذني سجن.

❊

المدينة هاء؟

ضعوا رؤوس أعدائكم على رفوف الهواء،

وانتظروا الطير الأبابيل.

❊

المدينة هاء

ذئبةٌ تقتل كلّ يوم غزالةً

لكي تغتسل بمسكها!

❊

المدينة هاء

تغطي وجهها وتضع على رأسها قبعة،

لها كذلك أظافر خاصة
تحكّ بها ظهر التاريخ.

*

المدينة هاء
جسر بين العنق والمشنقة.

*

المدينة هاء ـ
كثيراً، رأيتها تركب نهدين
من معدنٍ لا أَفقهُ شيئاً من أسراره.

*

المدينة هاء
تعيش هانئةً في مزمار
يعيش هانئاً في طَبْلٍ.

*

المدينة هاء
تحمل زمنا أعرجَ أبكم
يحمل تماسيح ـ بيوتاً للناس.

*

المدينة هاء

كمثل عبارة في حرفها الأول رجل

في حرفها الأخير امرأة،

وبينهما جسر

لا من الحب لا من العمل،

بل من القَتْل.

ثلاث لافتات
على بوابة المدينة هاء

- ١ -

لا وجود لشيء اسمه الحرية
وما لا وجود له، لا يحتاج إليه الإنسان.

- ٢ -

لن تقبلك هذه المدينة
إلا إذا أقمت فيها ومعها
على بضع خطواتٍ من جهنم.

- ٣ -

تأملوا في هذا السّيف:
غمده رأسٌ
يحرس سجناً هو نفسه رأس.

المدينة واو

كل عمل تقوم به المدينة واو، تحسبه نصراً. لذلك تحيا في هزيمة متواصلة.

*

تحتفي المدينة واو بماضيها كثيراً، ظَنًّا منها أن الأشياء والأفكار لا تدخل التاريخ، إلا عندما تصبح خارج التاريخ ـ متحجّرةً.

*

حولت المدينة واو سكّانها جميعاً إلى آلات. لم يعد أحد منهم يبادر للقيام بعمل ما، بل لم يعد يدري ماذا يفعل. ينتظر كل منهم يداً تجيء من فوق، أو من خارج، لكي تجد له مكاناً أو ثقباً في سلسلة آلتها الثانية، الموصولة بالآلة الأولى.

*

طبيعي أن يجد الفأر نفسه حراً في السجن الضخم الذي أقامته المدينة واو لغزلانها.

*

أن تقول لبلادك، كما تقول لأمك، أحياناً، أكرهك، وأن تقبل منك ذلك، فيما تحتضنك، أمر يؤكد عظمتها،

ويعطيها القيمة والمعنى.

وهو أمر لا تريد المدينة واو أن تفهمه، وترفض أن تسمعه.

*

غداً، لن يكون للمدينة واو وللمقبرة إلا اسم واحد.

*

التفتْ، أيها العابر في المدينة واو: قل لي كيف امّحت الطرق يميناً وشمالاً وراءك وأمامك؟

*

يصرّ سيد المدينة واو على أن أفراد الأمة يمكن أن يكونوا مشوهين، وأن تكون الأمة في الوقت ذاته، كاملة الخلْق والخُلق!

*

نعم، تحلم المدينة واو، هي أيضاً، لكنها لا تحلم إلا بالخلاص من هؤلاء الذين تسميهم المرضى والذين يتحدثون عن الحرية.

*

كل شيء في المدينة واو متهم، أو مشتبه به. ولست مستثناة، أنت أيتها الوردة. حتى لو صارت لك أجنحة وطرت بعيداً، فسوف يقال عنك: هه؟ تحولت إلى غراب.

*

أن تحيا في المدينة واو، هو أَن تشيّع دائماً جنازة الحياة.

*

كل ساكن في المدينة واو، يفكر راهباً ويعمل شرطياً.

*

التقدم في المدينة واو، هو أن تنتقل من سجن كامل إلى سجنٍ أكثر كمالاً.

*

لا تقرأ القصيدة في المدينة واو، ولا تكتب إلا بوصفها دجاجة.

*

واحد وواحد وواحد إلى ما لا نهاية، لا تساوي في المدينة واو إلا واحداً.

*

لماذا تسكن في المدينة واو؟

ـ لأنها تتيح لي أن أختبر العدم، وأنا حي.

*

الكلمات في المدينة واو ليست أبجدية، إِنها نوع آخر من الحيوانات الداجنة.

*

أَتنبّأ أن تتحول الحجارة في المدينة واو إلى ملائكة.

❊

أَن يمشي مخلوق على قدمين لا يعني بالضرورة أَنَّه إنسان: هذا ما نتعلمه من المدينة واو.

❊

أوه، لماذا لا تسقط المدينة واو إلا على رأس الإنسان؟

❊

تمضي المدينة واو وقتها باحثة في كيفية تحويل القدم إلى رأس، والمعدة إلى أذنين!

❊

قال العدم للمدينة واو: أحب أن انتمي إليك.

❊

ليس ساكن المدينة واو مسجوناً داخل جدرانها وحسب، وإنما هو مسجون أيضاً داخل رأسه.

❊

العنف هو لازورد المدينة واو.

❊

كتب ـ أبواق وركب منحنية، كتب ـ سلاسل يقين، سدود ومتاريس، كتب ـ دروب مقطوعة، كتب ـ لا تجرؤ أن ترفع بصرها، كتب ـ حروب لقتل الأخ أخاه، كتب ـ أصول في فن إبادة الرغبات: تلك هي بعض من الكنوز التي تختزنها المكتبة العامة في المدينة واو.

❊

يخترق المدينة واو نهر، نصفه دم، ونصفه الآخر سائل لتمويه الدم.

❊

التبريز في فن اعتقال الهواء وسجنه، التبريز في فن محاكمة الورد، التبريز في فن صيد الأصوات: اختصاصات جديدة أضافتها المدينة واو إلى الاختصاصات المعروفة في برامجها التربوية.

❊

ما لا يقال عن المدينة واو، هو القنديل الذي أَكتب في ضوئه ما يقال.

❊

المدينة واو فأس بطيئة تحفر قبراً بلا قرار.

❊

المدينة زاي

قَدمٌ إلى الجهة التي تفتتح الفوضى،
قدمٌ إلى الجهة التي تفتتح النظام،
الجهتان هما معاً طريقه إلى المدينة زاي
ومنها تجيءُ وحدة خطواتهِ:
مفارقَةٌ لا ترقى إليها أيّة مسيرة.

*

تتكوّن المدينة زاي من الحروف التي تكوّن اسمها،
لا أكثر،
وربّما أقلّ.

*

تكرّر المدينة زاي دائماً:
ليس بين الجُثَّةِ والجنَّة،
إلاّ مسيرةُ نقطتين.

*

(من يوميات عثرتُ عليها بين أوراق شاعر نفته المدينة زاي،
ومات في المنفى):
أ ـ «الموت نفسه ليس مخرجاً.

ب ـ بَخّروا أعضائي بالرّفض.

ج ـ للكلمات هي أيضاً جثث

وهي غالباً تظلّ سابحةً في رأس هذه المدينة.

د ـ أناسٌ

يحملون أفكارهم في جيوبهم.

هـ ـ أرفض أن أطردَ شياطيني،

وإلاّ كيف أقدر أن أرى الملائكة؟

و ـ أتنزّه كلّ صباحٍ، مع رفيقي الدائم:

المستحيل.

ز ـ ليس للحصاد أخلاقٌ غير ما يقوله المنجل،

ولا حيلةَ للسنابل.

ح ـ منذ اللحظة التي ولدت فيها

بدأت اتعرّف على موتي.

ط ـ ربما انقسمت في نفسي، خصوصاً في شعري، إلى أشخاصٍ عديدين. ربّما حرّضت أحدهم على الآخر، وواجهت أحدهم بالآخر، وانتصرت لأحدهم دون الآخر. وهذا كلّه، لكي أكتشف الاحتمالَ، الممكن، الوجه الآخر. لكي أهدم بلادة الوضوح، ولكي أعطي للتّناقض حدوده القُصوى».

*

المدينة حاء

ليس الجسم وحده هو الذي يتفتّت في هذه المدينة، بل الاسم أيضاً. رضيَ الأوّل أن يتمدّدَ في حقيبة من التراب، وقَبِلَ أن تحمله، مع أنها تشبه القبر. غير أنّ الثاني الذي رفض أن يتّخذ له كفناً إلاّ من كتّان القمر، لا يزال يلتطم بحبرٍ لا أعرف كيف أصفه. ليس في كلّ حال، الحبر الذي تنتجه آلة المعنى.

أتحدّث عن غائبٍ، لكنه في الوقت نفسه حاضر. ويُكتَب كلّ يوم في هذه المدينة.

*

تنزلق بين أوراقه، ملء كلماته،

شظايا منطفئة تترمّد بطيئاً بطيئاً،

صفائحُ من معادنَ يجهلها،

هالاتٌ لا يقدر أن يفسّرها ألا بمعاجم الكيمياء، وهي ليست بين يديه.

وَثَمّة شهبٌ تخترق فضاءَ المدينة حاء ملوّنةً حتّى كواحلها بلهب الغضب،

يُشبّه له أنه يحيا فيها.

*

القلب ـ مفكّراً، والعقلُ ـ عاشقاً:
هكذا تريد له الحياة أن يكون، لكي يقدر أن يعيش في المدينة حاء.

*

(من خواطر شاعر في المدينة حاء، مات شابًا):

أ ـ كيف أنتمي إلى وطنٍ، لا ينتمي هو نفسه إليّ؟

ب ـ مئة رغيفٍ من القمح، لا تصنع رغيفاً واحداً من الذُّرة.

ج ـ تجاهل وانْسَ،
إن كنت تريد أن تتجدّد باستمرار.

د ـ أيّها القَصص، إنك تملؤني شيخوخةً.

هـ ـ لا أخاف، ولا أُفَاجأ: ذلك أنني لا آمل شيئاً.

و ـ الغزالي ـ مُسْتنجداً بأبي نواس: هذا هو المشهد الذي سيتكَرّر في الغرفة الطبيّة المقبلة، غرفة التشريح المعرفيّ.

ز ـ المسألة هي أن تكذّب السّماء، إن شئت أن تصدّق الأرض،
وأن تكذّب الأرض إن شئت أن تصدّق السماء.

ح ـ لن اعترف بأخطائي إلاّ لهذه الغيمة العابرة.

المدينة طاء

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
لاتكاد أن تفتح لك أبوابها،
حتى تدخل في متاهة من العناق بين الموت والأفق.
تشعر كأنها لاتحيا بأحيائها، بل بموتاها.
تشعر كأن حياتها اليوم هي موتها أمس.

❊

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
لم تعد إلا عربة تجرها ألفاظ أنحلها السير في صحراء الآلة،
لم يكن لمعماريّها أن يتنبأ أن نوافذها لن تمتلىء بالأعين بل بالستائر
ولا تتحقق من بشاعة الآلة إلا في هذه المدينة:
ترى جسدها يئنّ تحت أكداس القمامة، من كل نوع،
وتكاد أن تصرخ عالياً ملء الأرض
هي ذي محاكم تفتيش أخرى لقتل الإنسان.

❊

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
كل ساكن فيها،
يعيش في ورقة، في خزانة، في دكان.
هكذا يتحول فيها التاريخ إلى حانوت، وتتحول الكلمات إلى نساء يسرن في الشوارع بنصف جسد،
هكذا تبدأ الشمس يومها خطأ في المدينة طاء،
مثلك أنت، أيها العابر.

*

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
ولست هنا لأوحِّد بين الرباب والأرغن أو لكي أمزج حزني بوردة الغياب.
أنا هنا لكي أمعن في التساؤل:
هل المنفى أول العتبات وآخرها؟
هل التاريخ بيت أشباح؟

*

من زمن دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
هكذا يغمرك فيها ضوء -
لا ضوء الشمس الطالعة، بل ضوء شمس غابت.
هكذا واكبني فيها مستقبل تخيلته واستدعيته،
وأخذ يقرأ معي:
لكن، ما تأويلك أيها الشعر؟

*

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،

ألهذا تدخل أعضاؤك إليها في عيد، وتخرج منها في جنازة؟

ألهذا تقرأ أينما توجهت عيناك في صفحة فضائها:

«التاريخ غبار ذاكرة، والحاضر ذاكرة غبار»؟

(خواطر عُثِر عليها بين أوراق شاعرٍ
نفته المدينة طاء)

أ ـ «أفضّل اليدَ الصديقةَ على اليد العاشقة،
غير أنّ مشكلتي هنا،
هي أنني لا أعرف حبّاً خارقاً، ولا أعرف صداقةً خارقة.

ب ـ لا يذكر صديقي أنه عاش يوماً واحداً، خارج هذا المأزق:
إمّا أن ينفصلَ عن نفسه لكي يلتقيَ بالآخر،
وإمّا أن ينفصلَ عن الآخر لكي يلتقيَ بنفسه.

ج ـ يموتُ من كوني حيّاً، ـ
مسكين هو. لا أملك، مع ذلك، إلاّ أن أُشْفِقَ عليه.

د ـ لماذا أشعر أنني مشرّدٌ إلى الأبد، في كلّ جملةٍ أكتبها؟

هـ ـ نام اللّيل على وسادتي،
فيما كنت ساهراً.

و ـ عَصْرٌ، ـ
سريرٌ تهزّه الآلة.

ز ـ تنحني سنابل القمح للريح،
لا لكي تُحيّيهَا،

بل لكي تودّعها.

ح ـ لِحصى الشاطىء حكمةٌ ما أرحبها وما أقواها:

بصمتٍ أبديّ، يُصغي

إلى الموج الذي يثرثر أبديّاً.

ط ـ أتكلّم كثيراً على المتاه،

لا تظنّوا أنّه في العالم الخارجيّ ـ

إنه في أحشائي.»

المدينة ياء

يتكلّمون في المدينة ياء على الأجنحة دائماً، لكن ليس في كلامهم غير القيود.

❋

تبدو السّياسة في المدينة ياء كأنّها مِرْجَلٌ ضخمٌ بحجم العالم، مليءٌ بحساء الرؤوسِ من كل نوع.

❋

لو صَحّ أن تكونَ الحريّة جسماً، لما كان هذا الجسم في المدينة ياء، إلاّ حشداً هائلاً من الجراح خِيط بعضها إلى بعض في هيكل يطفو تائهاً في نَهْرٍ من الدم.

❋

تؤكد المدينة ياء، وفقاً لتقاليدها وتعاليمها، أنّ المعرفة، في البدء، لم تكن للإنسان، بل للغراب، وأنّ القتلَ (وليس الكلمة) هو الذي كان في البدء.

III

هـانَ عـلـى قـلـبـه الـزّمـانُ، فـمـا
يـبـيـنُ فـيـه غـمٌّ ولا جَـذَلُ
فـي سَـعَـةِ الـخـافِـقـيْـنِ مُـضْـطَـرَبٌ
وفـي بـلادٍ مـن أخـتِـهـا بَـدَلُ.

المتنبي



١٨٤ هـ.

- ٣١ -

أَلشَّارِيُّ أَبُو عَمْرٍو[١] يخرجُ،
يَقتلُ باسْمِ الدِّينْ،
ويُحارِبُ، يُقْتَلُ باسم الدِّينْ.
ما أَعْجَبَ هذا الإيمانَ، وأَعجبُ
منهُ أَنّ القاتِلَ والمقتولَ سواءٌ
في عِلِّيينْ!

(١) مِن قُوّاد الخوارج.

- أ -

يبكي آدَمْ
لا مِن إثْمٍ، لا مِن نَدَمٍ أو من حُزْنٍ.
يبكي فَرحاً
مِن نشْوتهِ
ببهاءِ العالَمْ.

---

* طَبَخَتْنا، وتطبخ هذا الوجودَ
على نارِها المُلْغزَهْ،
حكمة المعجزهْ.

١٨٥ هـ.

- ٣٢ -

سِرْ[1] إلى قرطبَهْ
أيّها الرّأسُ، لا عهدَ عندي
لِمَنْ كان ضِدّي.

- ب -

نَصْلٌ ذَهَبٌ
يَنْفذُ حتّى القلبِ. تُراهُ
كان نزيلاً في فردوسٍ؟

أتُراهُ الخالِقُ ينفخ أيضاً مِن روحِهْ
في الرُّمْح؟ تُراهُ
تَسبيحُ القاتلِ، باسْم اللّهِ، ضياءٌ
يصدرُ فيضاً عن تَسْبيحِهْ؟

❊ يُولَدُ الغيبُ توأمَ قابيلَ - قَتْلاً،
تُولَدُ الأرض تَوْأمَ أُنشودةٍ.

(١) الحكم، صاحب الأندلس، يخاطب رأس عمه، المقطوع، سليمان. وقد بعث به إلى قرطبة ليراه الناس، اعتباراً.

١٨٦ هـ.

- ٣٣ -

في نَسَا[(١)]،

ألنّساءُ سبايا،

والبلادُ رمادٌ -

هل تشكُّ؟ تَقدّمْ

لكَ أن تتفحَّصَ،

أن تَلْمسَا.

- ج -

قلْ، إذن، أيّها الفقيهُ،

أَيا هادِيَ الحيارَى،

قُلْ لنا: أيّ ماءٍ

يطهّر مائدةَ الحنجره

مِن أقاويلها المُنكرَهْ؟

لاتقلْ هذه وحدةٌ بيننا،

لاتقلْ ذاكَ وَصْلٌ،

ليس بيني وبينكَ غيرُ الصّحارَى.

---

* بيدٍ من ضياءْ
ترسم الشّمس وجه الحجَرْ،
وبحبر الهبَاءْ
يرسم اللّه وجهَ البشَرْ.

(١) الإشارة إلى علي بن عيسى بن ماهان، قتلَ في مدينة نَسَا، أبا الخصيب وسبَى نساءه وذراريه.

١٨٧ هـ.

- ٣٧ -

- أ -

«هوذا أجهزتُ عليهِ،

وَاسْتأصلتُهْ،

- جعفرُ كان شهاباً

وأنا من سَوّاهُ، مَن أَشعلَهُ،

وأنا أطفأتُهْ».

- كيف، لماذا؟

- «لو أعلمُ أنْ قميصي

يعلمُ ذلكَ،

أَحْرَقْتُهْ»[1].

- د -

عندما يلبس اللّيل جلبابَه

ويُجيّش حولي تهاويلَهُ

ويقول: تَهَيّأْ، أَتَتْكَ الرُّؤَى

في بوارقَ مكسوّةٍ بالغيومْ.

لا أَرى ما أَفِيءُ إليهِ

أو أفوّض جسمي إلى جسمهِ،

غيرَ مِعْراج هذي النّجومْ.

* لم تَبُحْ هذه المئذنَهْ

بالقتيل - بِمَنْ تَلَّهُ، وبمن جَرّهُ،

وَبِمَنْ كَفَّنَهْ،

وحده النّخْلُ نكَّس أغصانَهُ.

(١) الكلام للخليفة الرشيد، بعد أن قتل جعفر البرمكي، ونصب رأسه على جسر في بغداد، وقطع جسمه نصفين نُصبا على طرفي الجسر، ثم أُحْرِقا.

- هـ -

أصحيحٌ
أَنّنا لا نموتُ، كما قال بعض النبوّاتِ،
لكننا ورَقٌ يتساقَطُ من شَجرٍ لا نراهُ،
نغيِّر أيقاعَنا وخُطانا
وسَرابيلَنا
ونسافر من ظاهر الجواب إلى باطنِ
السُّؤالْ -

زادُنا صمتُنا
والدرّوبُ أَظلّةُ أيّامِنا
والمَطيّ الخيالْ.

أَصحيحٌ
ما تراءى لتلك النبّواتِ، يا هذه السّهولُ
ويا هذه الجبالْ؟

* كيف نقدرُ أن نفهم العقابَ السماويّ، أو نفهَم الثّوابْ،
والحقيقة تأتي وتمضي - غيمةً تتقشّعُ في رَفّةِ الهدب، أو لمعةً من سَرابْ؟

187 هـ.

- ب -

لا برامكةٌ، حاصِروهُمْ
وأبيدوهمْ.
وخذوا جعفراً -
قيّدوه بقيد حمارٍ. اضربوا عُنُقَهُ،
وانصبوا رأسَهُ عالياً،
واقطعوا جمسه قطعتينِ -
اصلبوا القطعتين على الجسرِ،
ثم احرقوهُ.
لا برامكةٌ - لا أَمانٌ لهم، لا أمانٌ لمن ينتمي إليهم، ولمن يلجأونَ إليهِ.
واقتلوهم كباراً صغاراً، وعلى كلّ دربٍ،
وفي كلّ دارٍ.

١٨٧ هـ.

- ج -

أَنَسُ بْنُ أُبَيّ[1]؟

ذاك سيفيَ تحت فراشي،

خُذه، ياعبدُ، واضربْ به عُنقَهُ.

- د -

«آهِ، واجعفراهْ»:

كان يَهذي ابنُ عثمان[2] في شُرْبِهِ. إبْنُهُ وخَصِيٌّ لهُ

وَشَيَا للرشيد: اضربوا

عُنُقَهُ/

ضربَ الإبن عُنقَ أبيهِ.

- هـ -

آهِ، واحيرتاهْ،

ما تقولون في الإبْنِ يقتلُ،

زُلفى لسلطانهِ، أباهْ؟

- و -

قال عن نفسه

إنّه السّيد الحاكمُ الكامِلُ

وهو مفتاح هذا الوجودِ، وميزانهُ العادِلُ

بعده، لا كلامٌ: لا سؤالٌ ولا سائِلُ.

فلماذا صَمَتَّ وآمنتَ، يا أيّها المُتفقِّهُ،

كالآخرينَ، وأنتَ الأمينُ المُرجَّى،

كما علَّمونا،

وغَيرُك مُسْتَتْبَعٌ جاهِلُ؟

* من أين يجيء، وكيف يَجيءُ

ليجلسَ في كرسيّ الحاكِمْ،

طاعونٌ دائِمْ؟

(١) كان أَنَس بن أُبيّ صاحباً لجعفر، ومتّهماً بالزندقة.

(٢) هو إبراهيم بن عثمان بن نُهيْك. كان يذكر البرامكة ويبكي عليهم، فإذا شرب النبيذ مع جواريه يأخذ سيفه ويقول: واجعفراه، واسيّداه والله لأقتلن قاتلك ولأثأرنّ بدمك. وشىٰ به للرشيد ابنه وخصيٌّ له. وابنه هو الذي أسرعَ وضرب عنقه، امتثالاً لأمر الرّشيد.

١٨٨ هـ.

- ٣٥ -

- أ -

«مِن نَقْفُورِ[1] ملكِ الرّومِ،
إلى هارونِ ملكِ العَربِ:
كان حقيقاً أن تحمل أنتَ المالَ
إليَّ، لهذا
أطلبُ أن تُعطيني
ما أعطَتْكَ الملكه -
ضَعْفاً واسْتِخْذاءً.
وَلسوفَ أحكِّم سيفي
إن لم تَفعلْ».

- ب -

«مِن هارونَ إلى نَقفُورِ، كَلْبِ
الرّوم: إليك جوابي -
لن تسمعهُ، لكن ستراهُ».

- ز -

يهبطُ وجهُ الخالقِ نحوكَ، لكن
تعلو بين يديهِ -
معجوناً بِهما
مرسوماً بِهما
محمولاً في مَوْجِهما.

عَجباً!
كيف تجيء، إذن، مجبولاً
بالقُبْحِ، وكيف تكون شقيّاً؟

* تتساءَلُ؟ ضوءُ التساؤلِ هادٍ، ولكنّه
افتتانٌ
لا يقودُكَ إلاْ لكي تَترحَّلَ مِن مَهْمَهٍ
إلى مَهْمَهٍ.

(١) نصّ الرسالتين، كما وردتا في المصادر التاريخيّة.

- أ -

«من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب، أمّا بعد، فإنّ الملكة التي كانت قبلي، أقامتك مقام الرخّ، وأقامت نفسها مقام البيدق. فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بك أَضْعَافُه إليها. لكن ذلك لضعف النساء وحمقهنّ. فإذا قرأت كتابي هذا، فاردد ما حصل لكَ من أموالها، واذكر نفسك بما تقع به المصادر لك، وإلاّ فالسّيف بيننا وبينك».

- ب -

«من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الرّوم، قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب، ما تراه دون ما تسمعه».

١٨٩ هـ.

- ٣٦ -

ثورةٌ في طرابلسَ الغَرْبِ
ضِدّ الولاة،
مَزَجَتْ خَمرَها بالدِّماء،
وأسيافَها بالصّلاة.

- ح -

إنّه الدّرهَمُ
يتدثّر أحلامهم، ويغيّر ميثاقهم
ويُصوّر أيّامهم
ويقول لهم مَن هُمُ.
ألحَياةُ تموتُ، تُشَيَّعُ، تُدْفَنُ -
لم يَتقدَّم إلى قَبْرِها
حاكِمٌ أو فقيهٌ.

وحده الشّعر، صلّى وغَنَّى.

* ألقرابينُ في منجنيقٍ،
والمصلّون يُلقون أيّامهم وأعمالهم
في دَمٍ في رصَاصٍ: في قذائفِ وَعْدٍ.

١٩٠ هـ.

ـ ٣٧ ـ

ـ أ ـ

لِسَمَرْقَنْدَ[١] في هذه الآونهْ
أَنَّةُ الرِّئةِ الواهِنهْ ـ
قاتلونَ وقَتْلَى
وحروبٌ تغيب، وأخرى
خلفها كامِنهْ.

ـ ب ـ

سَيْفٌ[٢] يتكسَّرُ، يَهْوي
في قَبضة سَيْفٍ.

ـ ط ـ

لا أريدُ ولا أتحيَّرُ ـ لكن
أصادِفُ:
بيني وبين الكلامْ
شهواتٌ ـ
مرّةً، لا أفيقُ،
وأترك جسمي لباساً لها.

مرَّةً، لا أَنامْ

لا أصادقُ إلاّ شَهَواتي ومعراجَها، ـ
تتغيَّر في كلّ يومٍ، وتغيِّر أمواجَها.

* زمنٌ بيتٌ: وعدُ لقاءٍ
لكنّ البابَ، الجدران، السَّقْفَ،
وكلّ نوافدهِ،
تلويحاتُ وَداعٍ.

(١) تمردّ رافع بن الليث على عامل سمرقند. قتله، واستولى عليها.

(٢) سيف بن بُكير، خرجَ وقُتِلَ.

١٩١ هـ.

ـ ٣٨ ـ

ـ أ ـ

يَسْكَرُ ابنُ هشامٍ[1]

بالرؤوس: الدّماءُ له كالخمور ـ

الرّؤوسُ كؤوسٌ لها.

مرّةً، تتدحرجُ بين يديهِ،

ويُنكّس أجسامَها.

مرّةً، فوق أعوادهِ

لَعِبٌ مُترَفٌ/

سَكَرٌ مُترَفٌ.

ـ ي ـ

ارْتابَ، اسْتوْحشَ: كلّ كبيرٍ

صار صغيراً في عينيهِ،

وتَفرّق ذِهْنُهُ:

يَسْمَعُ ما لايُسْمَعْ

ويرَى ما ليس يراه أحدٌ.

قال فقيهٌ عنه:

هذا رجلٌ مجنونٌ.

* فاجأتْهُ الغيومْ

بتآويلِها،

عندما راح في اللّيل يقرأ ما كتبته إليه

النُّجومْ.

(١) قتل الحكم بن هشام، كما يُروى، ما يزيد على خمسة آلاف من أهل طليطلة وأعيانها. وصلبَ جماعةً من قرطبة منكّسين، وضرب أعناق جماعة.

١٩١ هـ.

ـ ب ـ

ثَـرْوانُ[١] يـثـورُ، سَـوادُ الـكـوفـةِ
أخضرُ، والأشجار بيوتٌ.

أتُرى حَظَّ الثائرِ

يبقى في أرض اللّهِ،

وعند ملائكة

الآتي،

حَظّاً عاثِرْ؟

ـ ج ـ

«اهْدموا[٢] في الثّغورِ الكنائسَ،
قولوا لأصحابها:

البسوا ما تشاؤون إلاّ

اللّباس الذي يتزيّا

به المسلمونَ، وقولوا لهم:

اركبوا غيرَ ما نركبُ

فَلنا مذهبٌ ولكم مَذْهبُ».

ـ ك ـ

بابلٌ سُرِقَتْ شَمْسُها

ومجامِرُ يونانَ مِن بَعْدِها

لَهَبٌ ضائعُ.

كلّ شيءٍ لكَ الآنَ، يا أيّها المتفقِّهُ،

جِسْمٌ

وَرِعٌ ضارِعُ.

أنتَ بابُ الخروج إلى كلّ بابٍ،

وأَنتَ الصّنيعَةُ والصّانِعُ.

* ساعَةُ المتفقّهِ رَمْلٌ

عَقْرباها كلامٌ

لا يَقولُ سوى نَفْيِهِ.

(١) ثروان بن سيف قتل عامّة أصحابه.

(٢) «أمر الرشيد بهدم الكنائس في الثغور، وأمر أهل الذمّة بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم».

- ٣٩ -

- أ -

حمزةُ[1] سيفٌ
يتَنزّهُ بين رقاب النّاسْ.

- ب -

أذربيجان والخُرّميّةُ[2] في ثورةٍ،
والرشيد يوجّه فرسانَهُ إليهمْ:
«اقتلوا كلّ شبّانهم،
وبيعوا ذراريهم
كالعبيدْ»/
ذاك أمرُ الرّشيدْ.

- ل -

قالَ فقيهٌ يَهْدي طفلاً:
لا مَهْرَبْ
لن تقدرَ أن تذهَبْ
حتّى لو فُتحت أبوابٌ
حتّى لو مُهِدَتْ طُرقٌ.

ما أعجبَ هذا الشّيء الرّاسخ فيكَ،
الأقوى منكَ،
الصّارخَ دَوْماً:
لا مَهْرَبْ.

❊ الأذانُ يُدَلّي قناديلَهُ
في قِباب المساءْ
يرتقي زفرةً زفرةً
درجاتِ السّماءْ.

(١) حمزة الخارجي.

(٢) كان قائد جيش الرشيد عبد اللّه بن مالك بن الهيثم الخزاعي.

- ٤٠ -

صَلّى، حمدَ اللّهَ، وصاحَ كأنَّ
على شفتيهِ ناراً:
هاتوهُ[١]، وادْعُوا قَصّاباً لِيُقصّبهُ،
وأرى كيف يُقَطِّعُ عضواً عضواً.
ثم تنهَّدَ: يا أَللّهْ،
مَلِّكْني أيضاً من رافِعْ
لأرَى،
كيف يُسافِرُ في الأحشاءِ
وفي الأعضاءِ،
الحدُّ القاطِعْ.

- م -

- ما الفَرْقُ بين الرّمح في يد مُسلم
والرّمحِ - رُوميّاً؟ أذلك مؤمنٌ
والآخر الروميّ كافِرْ؟

- أسألتني؟ لا، لا تُكابِرْ
أنّى لكَ الإيغالُ في سِرّ الأصولِ،
وأنتَ شاعِرْ؟

---

* قال يهدي امرأةً تلطم خديّها على عاشقها:
عملٌ كفْرٌ - من البِدْعةِ أن يُلْطَمَ
خَدٌّ فوق مَيْتٍ».

(١) قبيل موت هارون الرشيد في طوس دعا بقَصّابٍ وأمره أن يقطّع أعضاء بشير بن اللّيث، فلمّا فرغ القصّاب من عمله، أغمي على هارون، ولم يلبث أن مات. وكان قد قال له: «واللّه، لو لم يبقَ من عمري إلاّ أن أحرّك شفتيّ بقتلكَ، لقتلتك». ورافع هو أخو بشير.

ـ ٤١ ـ

ماتَ في حبسهِ الفضلُ[1]،
كانوا يقولون عنه:
«لا مثيلٌ له في البشَرْ».

إنقطعْ إنْقَطِعْ
أيّهذا الوتَرْ.

ـ ن ـ

ـ أصحيحٌ،
مَلِكُ الموتِ خليلٌ، وهو لا يأكلُ،
واللّحدُ
كمثل المَهْدِ، أسرارُ طقوسٍ؟

ـ أَصحيحٌ
تخرج الرّوحُ من المؤمن رشْحاً،
ومن الكافر تنسلّ انسلالاً؟

ـ أَصحيحٌ
يضغط القبرُ على صاحبهِ؟
أصحيحٌ أنه يَحكي ويمشي؟

* صرخَ الجلاّدُ: غريبٌ
كيف تطول وتنمو هذي الشّجره؟
لا ناب لها، لا أظفارٌ ـ
مِن أين تجيء إليها الثّمَرهْ؟

(١) الفضل بن يحيى البرمكي، ومات في حبسه بالرّقة. كان يقال عنه: «لم يُرَ في العالم مِثْله».

١٩٥ هـ.

ـ ٤٢ ـ

ـ أ ـ

القتالُ يمزّق بغدادَ،
بغدادُ في كلّ يومٍ
تتبخترُ في حلّةٍ من جُثَثْ
في قصور العَبثْ.

ـ ب ـ

جِيءَ برأس عليٍّ[1]:
طُوِيَ الجسم كطيِّ الثّوب،
يَداهُ
في رِجْلَيْهِ.
لُفَّ بِلبْدٍ
ورموهُ في بِئْرٍ.
قال بزهوٍ طاهِرُ[2]:
«رأسُ عليٍّ بين يديَّ،
وهذا خاتَمهُ ـ
حمداً لِلّهْ».

ـ س ـ

ينبغي أن تسافرَ، يا أيّها الفِقْهُ،
في ألف ليلٍ ولَيْلٍ:
تُفَرِّقُ ما بين نَجْمٍ ونَجْمٍ
وتجمعُ ما بين فَجْرٍ وفَجْرٍ،
وتؤالِفُ بين النّقيضينِ:
وَجْهِ الزّوالِ ووجهِ الأبَدْ،
قبل أن تتلمَّس بدْءَ الطّريقِ
لِسِرِّ الجسَدْ.

* زمَنٌ تتقدّم أيّام عقربهِ المْبهَمِ
في طبول الدّمِ.

(١) علي بن عيسى بن ماهان، قائد جيش الأمين.

(٢) طاهر بن الحسين، قائد جيش المأمون.

- ٤٣ -

حَزبُ الأخوينِ[1]: رَحَاها
أدغالُ جنونٍ.
إبْنٌ يَتنصَّلُ مِن أبويهِ
وأخٌ لا يقتل إلاّ أخويهِ.

- ع -

أَتُراهم، مثلما قيل عنهم،
يَشْترونَ الجبالَ وعقبانها
والغيومَ وأطفالَها
ويبيعونَ ليلَ البحارْ؟
ألهذا، إذن، لا يرون الحقولَ، ولا
يَنْحنون على الوَرْدِ، لا يُومِئُونَ
إلى الجُلّنَارْ؟
ألهذا، إذن، ساحِرُ القولِ يَمْلأُ كفّيهِ
مِن فَلكيّ القِمارْ؟

* لو قيل الفقه قراءة ظَنٍّ
لا تُلزم إلاّ الظنَّ، فماذا
سيقال إذن
عن لغةٍ تتهرّأُ في شفتيهِ
عن جسد الأرض المخنوقة بين
يديهِ؟

(١) الأمين والمأمون.

ـ ٤٤ ـ

عَرّاداتٌ ومجانيقُ:

بغدادُ حصارٌ ـ

عيّارون[1] عُراةٌ

ويخوضون الحربَ عُراةً

إلاّ مما يَسْترُ عورةَ كلٍّ منهم.

والرّأسُ مُغطّى

بالخَوْص المحشوّ برَمْلٍ:

خَوْصٌ سَمّوهُ خُوَذاً.

والمقلاع سلاحٌ لهمُ ـ

نهبوا بغداداً،

صارت بغدادُ خراباً ـ

«قَفْراً خلاءً تعوي

الكِلابُ بها

يُنكِرُ منها الرّسومَ زائرُها».

ـ ف ـ

كلّما جاءَ وقتُ الهلالْ

يتخيّرُ مِن إرثه قِناعاً، ثم يهبطُ في خِفْيةٍ

يدورُ، يخصّ النّساءَ بأسرارهِ،

ويقول الذي لا يُقالْ.

ويسائِلُ أعضاءَهُ:

أَتُراهُ يُحسّ المطَرْ

بالأنين الذي يَتَصَاعَدُ من شهوات الشّجَر؟

أتراه يُحسّ الشّجر

بالأنين الذي يَتنَزّلُ من شهواتِ المطرْ؟

✻ عندما تشهدون القمرْ

وَشْوِشوا البحرَ، غَطّوا سريرَ مناماتِه

بِشراع السّفَرْ.

(١) العيّار هو الشخص الذي لا يهتمّ بأمور عيشه وإنما يعيش كيفما اتّفق. وقد ظهر العيّارون في بغداد في أثناء الحرب بين الأمين والمأمون.

والبيت الأخير للشاعر يعقوب الخريميّ من قصيدة طويلة مشهورة، كتبها في خراب بغداد، آنذاك.

ولعمرو بن عبد الملك العِتْريس قصيدة في وصف العيارين قال فيها:

«خرّجت هذه الحروبُ رجالاً

لا لقحطانها ولا لنزار؛

معشراً في جواشن الصّوف يغدون إلى الحرب، كالأسود الضواري

ليس يدرون ما الفرار، إذا الأبطالُ عاذوا من القنا بالفرار

واحدٌ منهمُ يشدّ على ألفين عُريانَ ما له من إزارِ

ويقول الفتى إذا طعنَ الطعنة خذها من الفتى العيّارِ».

ـ ٤٥ ـ

ـ أ ـ

ذبَحوا من قَفاه الأمينَ[1]:

خذوا رأسَهُ

إلى طاهرٍ.

نصبوا رأسه فوق رُمحٍ. خُذوه للخليفة كي يطمئنَّ،

خذوا بُردة الخلافةِ، والخاتَمَ،

القضيبَ: اطمأنّ الخليفَةُ،

لمّا رأى

كلّ هذا، وخَرّ سُجوداً: «لكمُ ألفُ ألفٍ...»

- ص -

عالَمٌ داخِلٌ

كيف نُصغي إلى وَقْعهِ

والدّروب إليه بلا مَنْفَذٍ؟

عالَمٌ خارجٌ

كيف نَقْتصُّ آثارَهُ

والدّماء تغطّي خُطاهُ؟

عبَثٌ نحن فيه ومنهُ

والرّياح تبدّل قمصانَه

وتُجَدّد أحوالَهُ.

---

* لست فقيهاً،

وأنا لا أشربُ خمراً:

ما يَشْربُ عقلي، لا أشربهُ.

(١) «نُصب رأسه على برج، وكتب عليه: «هذا رأس المخلوع محمد».

أمر المأمون لمن أتوا بالرأس بألف ألف درهم».

- ب -

أَجسامٌ أجسامٌ[١]
تتحوّل في الشّهواتِ إلى
صُلْبانٍ.
أَلْمَخْمورُ يُقيم النّهبَ،
القَتْل، الحَرْقَ
ثلاثة أيّامٍ في قرطبةٍ
ونواحيها.
أَلْمَخْمُور يسوق النّاسَ
فرادى وجماعات،
كالأَنْعامْ.

(١) قتل الحكم بن هشام في الأندلس، وكان يُنادى: يا مخمور، عدداً كبيراً من المتمردين عليه في أرباض قرطبة. وقيل إنه اختار ثلاثمئة من وجوههم، فقتلهم وصلبهم منكّسين. وأقامَ النّهب والقتل والحرق ثلاثة أيّام.

- ق -

هل أقول لذاك الفقيهِ:
خُلِقْتُ وفي قدميَّ دروبُ الضّياعْ؟
هل أقول: لهذا تلبَّسَ جسميَ
حالَ القِلاعْ -
يَتغَلْغلُ فيها، يروز مفاتيحها،
يَتَبطّنُ أَسْوارَها.
هل أقول له كيف أجمعُ بين
الطّبيعةِ والطّبْعِ:
كي أتعلّم أسرارها.

* رجلٌ - نجمةٌ تتطوّح، تَنْسابُ في لُجّةِ البحر،
تطفو على الماء، تعلو وتشرد
في طبقاتِ الغيومْ، -
أَتُراها تُجَنُّ النُّجومْ؟

١٩٩ هـ.

ـ ٤٦ ـ

«سِرْ إلى ذلك الخارجيّ[1]،

وجئني برأسِهِ،

فأنا ها هنا قاعِدٌ في انتظارِكَ،

إن لم تجئني به، سأجيءُ برأسكَ» ـ هذا هو الرّأسُ بين يديهِ،

والأمير، كما قال، في قصره قاعِدٌ.

ـ ر ـ

أوّل الدّهر يَغْفُو على زَنْديَ الآنَ،

أقرأ أحوالَهُ،

وأقاليمَها، وتقاسيمَها، ـ

أسألُ الشّمسَ: لم يبق مِنْهُ

غير ما حَفظْتُهُ،

وما قلتهُ ـ

مثلما قرأتْهُ الغيومْ

في كتاب النّجومْ.

* هاتِها، نَخْبكَ الآنَ، يا أيّها المارِقُ

أنتَ بابُ الدّخول إلى كلّ سِرٍّ،

وأنا الطّارقُ.

(١) الكلام للحكَم ابن هشام، مخاطباً أحد قوّاده. والخارجيّ المشار إليه ثائرٌ من البربر. ويقال إن الحكَم صلب اثنين وسبعين شخصاً من أعيان قرطبة وفقهائها، لمجرّد نقدهم إيّاه على شرب الخمر والانهماك في الملذّات.

٢٠٠ هـ.

ـ ٤٧ ـ

ـ أ ـ

إقطعوا رأسه[1] وطوفوا بهِ،
واقطعوا جسمه اثنين ـ نصفَيْنِ:
نِصْفاً إلى ضفّةٍ، ونِصْفاً إلى
ضفّةٍ، ـ
دجلةٌ ظامىءٌ لِلنَّظَرْ
كيف يُذْبَح في ضِفَّتيهِ البَشَرْ.

ـ ب ـ

قتلوهُ[2] ـ بعضهم قال: أُعطيَ
سُمّاً،
وهو في سجنهِ.

ـ ش ـ

هِمْتُ، غَنَّيتُ، ناديْتُ:
يا أَلِفَ البَدْءِ، ياياءُ،
يا أيّها الأَبَدْ
كيف تزعمُ أنّكَ أبقى وأجملُ من ذلك
الحجرِ المتوحّدِ
في ركن بيتي؟

عَجبي يتوغّلُ في غيّهِ، وصَوْتي
بَطِرٌ، هائِمٌ.
لم يُجبني فقيهٌ، لم يُجبني أَحدْ.

❊ بدم الأزمنَهْ
يَتَبقَّع مُسْتَسْلماً
للحروب وأهوالها
جسَدُ الأمكنه.

(١) الإشارة إلى قتل أبي السّرايا قائد عسكر الطالبيين الخارجين في الكوفة، سنة ٢٠٠ هـ.

(٢) هَرثمة بن أعين.

٢٠٠ هـ.

- ج -

يايحيى[1]، كيف تُسمّي
رأسَ الإيمانِ، أميراً
للكفّار؟ - تُراكَ سئمتَ الدّنيا،
فطلبتَ الموتَ لكي تترحّلَ
عنها؟

- ت -

لا نعرفُ إلاّ أشياءَ
لا أسماءَ لهنَّ، ونعرفُ أنّ
الإسْمَ كمثل الطّيفِ،
وما أَبعدهُ
حتّى حين نجاهِرُ: ما أقرَبهُ!

أهناكَ فقيهٌ يعرف سِرّ الإسْمِ،
ويعرف أين يكون، وكيف يَجيءُ
المعنى؟

* ليس لي ثقةٌ في نجومِ
لا تقبّل، في كلّ يومٍ،
كتفيْ شاعرٍ.

(١) يحيى بن عامر ابن إسماعيل، الذي قتله المأمون لأنه قال له: يا أمير الكافرين.

- ث -

نَصْنَعُ من كرسيٍّ وطناً
ونُسيّجهُ
برؤوسٍ قُطِعت، بحِرابٍ تَدْمَى
ونعزّزهُ
بسجونٍ لا حُرَّاسَ عليها
إلاّ قَتْلٌ -
يَثْأرُ، أو يَسْتَكْمِلُ قَتْلاً.

اجْلسْ، يا هذا التّاريخ الواهِنُ في
أحضانِ الفِقْهِ - تَفَتَّتْ
وارقُدْ مِثْلَ رمادٍ.

✻ كي أضحكَ أوكي أبكي
أسكبُ ظنّيَ في خطواتي،
وأُذيبُ يقينيَ في شَكّي.

٢٠١ هـ.

- ٤٨ -

- أ -

بعد أن قطعوا رأسَهُ[١]
ربطوا جسمه بِحَبْلٍ على جذْعِ
رَمْحٍ، وطافوا به في مدينةِ بغدادَ
- مرّوا على بيته ليراه ذَووهُ،
وطافوا به الكرخَ، ثُمَّ رَمَوْهُ إلى
دجْلةٍ -

أيّها النهر، ما أنْهَمَكْ!
أيّها النّهرُ، ما أكرَمَكْ!

(١) زهير بن المسيَّب.

- خ -

أَبَديٌّ ـ ولكنْ

لا يكونُ، ولا يتجلَّى،

ولا يتمثَّلُ إلاَّ

في دَمٍ زائلٍ:

هذه صورة الغَيْبِ أو صورة الكونِ،

أو صورتي ـ

ولكَ الآن أن تتيقَّنَ، أو تتحيَّرَ،

يا أيّها المتفقّهُ،

يا سائلي.

---

* لا يجيء الأبَدْ

لا تجيء السّماء إلى الأرضِ إلاّ

في نشيدِ الجسَدْ.

٢٠١ هـ.

- ب -

آذى فُساقُ الحَرْبيّةِ، والشُّطّارُ

النّاسَ كثيراً.

قطعوا في بغدادَ الطُّرُقا

أخذوا غلماناً ونساءً، جَهْراً.

في قُطْربُلَ، راحوا ينتهبون،

وقالوا:

لم يَبْقَ مكانٌ فيها،

أوشيءٌ،

إلاّ سُرِقا.

٢٠٢ هـ.

- ٤٩ -

- أ -

خَلعُوا[1] المأمون، وقالوا:

إبْرَاهِيمُ بْنُ المهديّ، خليفتُنا.

- «كلاّ،

لا طاعةَ للمأمونْ

ترَكَ التّسْويدَ، وشَاءَ الخُضْرةَ،

هذا

مَسْحورٌ، أو مجنونْ!».

- ذ -

- عندي، يا مولايَ سؤالٌ.

- قُلْهُ.

- كيف يقولُ العضوُ العُضْوَ، وينزلُ فيه - في ماء القَلْبِ، وكيف يُلابِسُ، كيف يعيشُ البَاهُ البَاهْ؟

- سبحانَ اللّهِ. سؤالُكَ؟ ماذا قُلتَ؟

أَتسأَلُ؟ عَفْواً

تلك أمورٌ

لا يعلمها إلاّ اللّهْ.

* النّساء اللّواتي ربطنَ سريري

إلى قَصَبٍ في ضِفافِ النّهَرْ،

لم يَزلْنَ كما كُنَّ - حِبْراً غريباً

في كتاب الصُّوَرْ.

(١) جماعات من بغداد.

٢٠٢ هـ.

- ب -

إبراهيمُ بنُ المهديّ يسودُ الكوفةَ. حَرْبٌ.

هوذا الفَضْلُ[١]، وزيرُ المأمونِ، قتيلٌ.

- ج -

أَعْلَنَ بابَكُ[٢]: «جاويدانُ روحٌ حلّت في جسمي

صارَتْ مَعنايَ،

وَصارَ اسْمي».

- ض -

جَرَسٌ يعشق الأذانَ، أَذَانٌ

تَترنّمُ أجراسهُ -

باسم تلك الجبال النّحيلةِ في الصّوتِ،

بِاسْم اهتزازاتِها،

ومقاماتِها،

وإيقاعِها.

غيّروا التَّسْميه

غيّروا الحرفَ والشّكلَ والتّهجيهْ.

* قمرُ اليوم يفركُ بالجاثليق

يديه، وبالفقه يفركُ أجفانَهُ، -

أَتُراه يعود إلى بيتِهِ سالِماً؟

(١) الفضل بن سهل، وكان يوصف بأنه «ذو الرّئاستين» القلم والسّيف. قتله في الحمّام أربعة أشخاص مختلفو الأصول، وقد ضرب المأمون رقابهم، وهم غالب المسعودي الأسود، قسطنطين الرّومي، فرج الدّيلمي، موفّق الصّقلّبي.

(٢) بابك الخرّمي الذي ادّعى أن روح جاويدان بن سهل حلّت فيه. قادَ أصحابه الجاويدانيّة وتمرّد.

قيل عنه: «دينهُ دين الفَرَج، ويؤمن بالتناسخ».

٢٠٣ هـ.

- ٥٠ -

- أ -

بَغْدَادُ تُغَيِّرُ: تَخْلَعُ
إبراهيمَ بن المهديّ،
وتدعو
للمأمونْ.

- ب -

قال المأمونُ: «النّاسُ على
دَرَجاتٍ، -
مظلومٌ، أو ظَلاَّمٌ
أو لا مظلومٌ لا ظلاّمٌ.
الأوّل يرجو مِنّا عدلاً،
والثاني يرجو عفواً،
والثالثُ مُسْتَغْنٍ،
يكفيه بيتٌ يرتاحُ إليهِ».

- ظ -

كنت أعرفُ سِرّ القتالِ، وأنشودةَ النَّصْرِ،
أعرفُ كيف سَيُحْفَرُ قَبْري، ويُصلَّى عليهِ،
ومن سينوحُ عليَّ، وكيف وأنّى،
وأعرف شَكْلَ الزّهور التي سَتُكَدَّسُ حوليَ،
واللَّونَ والرّائِحهْ،
عندما كنتُ أُصْغي لصوت الفقيهِ
يُرتّلُ مَرْثاتَهُ
لِلشّهيد المشيّعِ، أو يقرأ الفاتِحَهْ.

❊ اهبطوا أيّها الصّاعدونَ، وذوقوا
بَهاءَ الهبوطْ،
ما الذي كان آدَمُ لولا الخطيئَةُ، لولا
السُّقوطْ؟

٢٠٤ هـ.

- ٥١ -

«قد أبحنا[1] الكلامَ:
فَمن قالَ حَقّاً، حَمِدْنا
ومَن قالَ جَهْلاً، نَبذْنا.
إجعلوا بينكم أصولاً:
الكلامُ فروعٌ
فإذا ما افترعتم،
رجعتمْ إليها».

(١) القائل هو الخليفة المأمون.

- غ

لِعَصاً لم تكن حيّةً
ولن تتحوّلَ في الجَهْرِ أو في
الخفاءِ إلى حيّةٍ،
تُشْعِلُ الأرضُ قِنْديلَها
وتُقدِّم للعاشقِ المتمرّدِ،
مِرْآتَها
وسريرَ هواهَا
ومنديلَها، -
هل أقول: السّلامُ على مَن عَصى
أيُّهذي العَصَا؟

* نَهَرُ التكوينِ، من هابيلَ مشطورٌ
يميناً وشمالاً،
ما الذي يشطرُ بين الضّفّتَيْنْ
غيرُ حَرْبِ الأخوينْ؟

(استطراد)

سأل الرّواي:

ما رأيُ الفِقْهِ بقول عليّ[١]

لغريبٍ ضَيْفٍ كان يَسيرُ لبيت المقدسِ ـ (هذا إنْ صَحّ النّقْلُ):

«لماذا السَّيْرُ لبيتِ المقدسِ؟ بعْ راحلتكْ

وَأَقِمْ في الكوفةِ ـ في مَسْجدِها

أَلرّكعةُ فيهِ خمسٌ في غيرهْ.

فيه صَلّى إبراهيمُ، وصلّى كلّ نبيٍّ، كلّ وصيّ[١].

وعَصا موسى فيهِ، واليقطينُ، وفيهِ.

فارَ التنُّورُ، وفيهِ

ماتَ يَغوثُ وماتَ يعوقُ وفيهِ

صلّى نُوحٌ ـ

فلماذا السّيرُ لبيتِ المقدِسْ؟»

وثنَى الرّاوي:

قالوا: غمَس اللّه حروفَهْ

في دَمْع[٣] الكوفَهْ.

(١) عليّ بن أبي طالب

(٢) في رواية: «ألفُ نبيّ، ألف وصيّ».

(٣) في رواية: حِبْر.

هوامش



إذا اعـتـاد الـفـتـى خـوض الـمـنـايـا
فـأَهْـوَنُ مـا يـمـرّ بـه الـوحـولُ.

المتنبي

دنانير المغنيّة

نبَغت عند يَحيى[1]

وكان الرّشيدُ يُحِبّ السّماع إلى صَوْتِها: أَبت أن تغنّي

لغير البرامكةِ - استأثروا بهواها.

وأَبَتْ أن تغنّيَ حتى لهارونَ مِن بعدهم،

ولم تَقبل الزّواجَ، وظلّت

بعدهم، في اعتزالِ عن النّاسِ،

في بيتها -

إلى أَنْ قَضَتْ.

ماتت سنة ٢١٠ هـ.

(١) يحيى بن خالد البرمكيّ.

مات، سنة ٢١١ هـ.
سجنه المهدي العباسي لأنه
هجر قول الشعر وهدّده بالقتل
إذا لم يعد إليه!

أبو العتاهية

هجرَ الشّعر ـ قَرّر أن يتوقّف عن قولهِ:
لماذا، وماسِرّ هذا القرارْ؟
أَهُوَ الشعر لَهْوٌ؟ أم طريقٌ بلا مخرجٍ
نَتَعلَّم فيها الفرارْ؟
أهو الحِسّ أنَّا نغامِرُ فيه ونَهْوي إلى لاقرارْ؟
ولماذا يثور الخليفة، يُلقيه في السّجنِ: «تبقى سَجيناً
إذا لم تعد إليهِ،
وقد أقتلُكْ.
ها أنا أُمْهِلُكْ».
عادَ للشعر، أُطْلِقَ من سجنهِ.
ما الذي قاله بعد ذلك: شِعرٌ
لمجد الخليفة، أم شعر فاجعةٍ واعتبارْ؟
. . . .
شاعِرٌ كان في بدء أَيّامهِ بائعاً للجِرارْ.

هشام الفُوطي

فيلسوف معتزلي، مات سنة ٢١١ هـ. (وفي رواية، مات سنة ٢٢١ هـ.). من آرائه: «فالنّاس لوكفّوا عن الظلم، لا ستغنوا عن الإمام» وَصفه الفَخْري في تلخيص البيان، بأنه «الشيطان».

قال هشامٌ:

«لو كَفّ النّاسُ عن العدوانِ،

لكانوا اسْتَغْنَوْا

عن كلّ إمامٍ»،

كلاّ لا حاجةَ لِلسُّلطانْ

إلاّ حيث الظلم وحيث العدوانْ.

ألهذا سَمّوه الشَّيطانْ؟

إبراهيم الموصلي المغنّي

مات سنة ٢١٣ هـ.

لم يكن دجلةٌ نرجساً

لهوايَ ولا مَرْكباً،

والفرات على عهدهِ

سفنٌ مِن جراحْ، ـ

مُدَّ لي يدكَ الآنَ، ياحبُّ،

دَهْريَ مُستودَعٌ

لِلأعاصير تجتاحني ـ

ودمي مُسْتباحْ.

جبرائيل بن بختيشوع

مات سنة ٢١٣ هـ.

قال، وكان قولهُ

يَسْتَشْرِفُ العصورْ:

«لا شأنَ لي بِمَذْهَبِ

لاشأن لي بِسلطةٍ،

أوثِرُ أن أكتبَ في الطّعام والشّرابِ،

أو في صَنْعَةِ البخورْ.»

الأصمعي

مات سنة ٢١٥ هـ. من أقواله المشهورة: «الشعر نكدٌ بابه الشّرّ، فإذا دخل في الخير فَسُد».

رِغبةُ الشرِّ تَنْسابُ في رغبة الوَصْلِ،
والوَصْلُ ينسخ أحوالَهُ
في تجاريبَ تنسخ أَحْوالَها
ليس للشعر، في لحظة الوَصْلِ، إلاّ
أَنْ يُفارِقَ أهوالَهُ
ويُعاشِرَ أَهْوالَها.

شيخ المعتزلة في وقته. مات سنة ٢٢٦ هـ. يقول ابن الراوندي ساخراً من إحدى مقولات العلاّف «وليّ اللّه يتناول الكأس من بعض أزواجه، في نعيمه، بيده اليمنى، ويتناول من بعضهن ماأتحفه اللّه به، بيده اليسرى. إذا أُخضِر وقت السكون الدائم (سكون أهل الخُلْدين: الجنة والنّار) الذي هو آخر الأفعال وهو على تلك الحال فبقي كهيئة المصلوب ماداً يديه في جهتين مختلفتين». حضر مجالس المأمون، وكان يحاول أن يوفّق بين القرآن وآراء أرسطو، في ما يتعلق بفكرتي الخلق واللّه.

أبو الهذيل العلاّف

قُلْ لي:

ماذا أخذت يَدُكَ اليُسرى

مِن تُحَف اللّه، وماذا

في يدكَ اليُمنى:

نَهْدٌ، أم كأسٌ؟

كأسٌ؟ أيّ شرابٍ؟

لكن السّاكنَ في الخُلديْنْ

هل يتحرّكُ،

هل يَتجلّى، هل يَسْتَتِرُ؟

أمْ هو غَيْبٌ في المابينْ؟

قل لي: أَيْنَ يكون هنا وهنالك،

هذا القَدَرُ؟

أبو تمام

مات سنة ٢٢٨ هـ. قيل عنه: «كان يسقي النّاس ماءً بالجرّة في جامع مصر»/ «كان يخدم حائِطاً بدمشق» /«كان أبوه خمّاراً بدمشق»/ «كان أسمر طويلاً حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة».

لأبي تَمّامْ

حِبْرٌ في الضّوءِ، وضوءٌ

في طبقاتِ الحِبْرِ، له ميثاقٌ

مع مجهولاتٍ

يستَشْرفها، يستخلصُها، ويعاشرُها

ويجادِلُها ويجافيها ـ طوراً،

ويُعانقها ـ طوراً،

كي يتدفّق منها حُرّاً

نسْغُ المعنى

في الأشياء، وفي الكلمات،

وفي الأيّامْ.

مات سنة ٢٣١ هـ.

إبراهيم النّظام

ذكروا أنَّه

عاشَرَ الثنوّيةَ والملحدينَ وأشباهَهم

وله سَقطاتٌ،

وتهمته الزّندقَهْ

غير أنّ صديقاً له قال عنه:

«رجلٌ

لا نظيرٌ له»[١].

(١) الجاحظ.

مُخارق المغني

قل لي: ماذا يَغْني

في صوتِكَ، في أحشائِكَ، في كلماتِكْ

أن يَنْسَى العِطْرُ

براعمَ يخرج مِنها؟

قُلْ لي:

أتظلّ غريباً بعد الموتِ،

وكنتَ الخارق طولَ حياتِكْ؟

مات سنة ٢٣١ هـ. خاطبه مرّةً أبو العتاهية، قائلاً: «يا دواء المجانين، لقد رقّقت حتى كدتُ أن أحسدكَ، فلو كان الغناء طعاماً، لكان غناؤك أُدما. ولو كان شراباً لكان ماء الحياة». وحاولت مرّةً المغنية شارية أن تقلّده في حضرة إبراهيم بن المهدي، فقال لها: «إيّاكِ ثم إياك أن تعودي فإن مخارقاً خلقه اللّه وحده في طبعه وصوته ونَفَسِه، يتصرّف في ذلك أجمع كيف أحبّ، ولا يلحقه في ذلك أحد. وقد أراد غيرك أن يتشبّه به، في هذه الحال، فهلَك، وافْتُضِح، ولم يلحقه».

(الأغاني: ١٨/ ٢٧٥).

الرواية

IV

(. . .)

على الخيوط التي تتدلّى من قرص الشمس   تصعد وتهبط حُمّى لها رائحةٌ لا اسْمَ لها   بُني للمصابين بهذه الحُمّى أو هكذا شُبّه له مستشفى جَوّال   يمكن لسرعة تجواله أن يُسمّى مستشفى الهواء   تتناثر هذه الخيوط في فضاء القلعة الذي يبدو كمثل سقفٍ طويلٍ على مدى النّظر   سَقْفٍ لم يبق من المادّة التي صنعته غير القَشّ والغبار   وَهْمٌ ما يقوله بعضهم عن كبريتٍ أحمر يدخل في تكوين هذه المادّة.

لماذ لم يتجرّأ أحدٌ أن يسأل سيف الدّولة: كيف هيّأتَ لرعيّتك أن تصنع السّيوف والرّماح، الخناجر والقصور وأن تنعمَ بالسّبايا ولم تهيىء لها صناعة العلم والفن.

لو تيسّر له اليوم أن يرافق سيف الدّولة في نزهةٍ لمشاهدة المدينة التي أعطته ملكها وراقب كيف ينظر إلى أيامه الملقاة على أرصفتها وكيف يمرّ بها العابرون ولا يأبهون لكرّر صارخاً: أوه! ما هذا السرّ الذي يجعل حياة أمثال هؤلاء القادة عقيمة وجرداء؟

وَلكرّر أيضاً، لكن بلسان من جاء بعده، وأحبّه ـ المعرّي:

ما أدهاكِ، وما أبقاكِ، يابيوت العناكب.

لكن، اهتمّ الملوك بعمارة القلعة وتحصينها ـ

«سيف الدولة، سعد الدولة، بنو مرداش، عماد الدين

آق سنقر، ابنه عماد الدّين زنكي، ابنه نور الدين محمود، ابنه الملك الصّالح

ولمّا ملكَ الملك الظاهر غياث الدين غازي، حَصّنها وحسَّنها

بنى مصنعاً للماء ومخازنَ للغلال

بنى سفح تلّها بالحجر الهرقليّ

بنى على بابها برجين لم يُبْنَ مثلهما

وعندما خرّبها التتار، جدّدهاالملك الأشرف خليل بن قلاوون وعندما خرّبها تيمورلنك وأحرقها أعاد بناءها الأمير سيف الدين جكمر: عمل بنفسه، واستخدم في العمل وجوه النّاس: كان الأمراء يحملون الأحجار على ظهورهم».

هوذا،

تفاجئه عائلة أحزانه   جلست والتفَّتْ حوله

ربّما لأنه قال: سأزور التلّة أوّلاً   تلك التي كانت النّجوم تهيمن عليها   لا السّابحة في الفضاء   بل في الأيدي

ـ «لا تعرف كيف تهرول، ولا كيف تقفز،

لا تعرف كيف تسدّد، ولا كيف ترمي.

لا تعرف حتى أن تمسك بالبندقية،

ماذا تعرف، إذن؟»

حتّى عندما كان يختبىء كعصفور في سرير نومه الشبيه بالحفرة، كان يشعر أن تلك النّجوم تجثم ساهرةً بين كتفيه.

أيّامٌ ـ غدرانٌ من العذاب،

مع ذلك، تطفو عليها عائلة أحزانه

كمثل أزهار اللّوتس.

أو ربّما فأجأته عائلة أحزانه لأن القلعة تذكّر بتلّةٍ أخرى غير تلّة النجوم أصبح اسمها جبل الجوشن؟

ـ «احتزّ رأسه   أخذه مع رؤوس القتلى والنّساء والأطفال وسار إلى يزيد   مرّ بطريقه على حلب نزل

بهم عند الجبل غربي حلب   قطرت من رأس الحسين نقطة دم على الصّخر بقي أثرها إلى عهد سيف الدولة   عَمّرَ على الصّخر مشهداً سُمّي مشهدَ النّقطة

(. . .) وأسقطت إحدى نساء الحسين جنيناً دفنوه عند ذلك الجبل. مرّةً، رأى سيف الدّولة نوراً عنده. ثم تكرّر ظهور النّور مراراً، ذهبَ إلى المكان أمر بحفره وجد حجراً نُقش عليه: «هذا الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب».

بنى عنده مشهداً سُمّيَ مسجد الطّرح وهو الآن مشهور باسم مشهد الشيخ محسن

من ذلك الوقت سُمّي الجبل جبل الجوشن نسبةً إلى قاتل الحسين شُمّر بن الجوشن».

أو لعلّ عائلة أحزانه فاجأته   لأنه ذكرَ ذلك التلّ الآخرَ.

ـ «ظهر قومٌ يُقال لهم الرّاوندية خرجوا بحلب زعموا أنهم بمنزلة الملائكة صعدوا تلاً بحلب ولبسوا ثياباً من حرير وطاروا. . ./

وقيل: هلكوا.»

غير أنه ليس ملاكاً، ولا يلبس الحرير

وداعاً لعائلة أحزانه.

كان فيما يعبر المدينة إلى القلعة يشعر كأنه يكتب خطواته على جدران لحظاتٍ تواكب جدراناً من الحجر لفّت أعناقها بمناديلَ من حِبْر لا يفنى وبدت هذه المناديل كمثل غلائل سماويّة تتدلّى فوق الأبواب غلائل لها أشكال الرّقم ينقشها ويزركشها حِبرٌ أسود، ـ

أ ـ منديل زاوية الحيدري:

«أَنْشَأ هذه الزاوية المباركة
المقرّ الكريم العالي السيفي، قَطْليجا
والمقرّ الأشرف الكريم، طازْ
كافل المملكة الحلبيّة، سنة ٧٥٧».

ب ـ منديل جامع الطُّنْبغا (في ساحة الملح):

«أنشأ هذا الجامع المبارك
الفقير إلى اللّه تعالى
المقرّ الأشرف العالي العلائيّ
الطُّنْبغا الناصري
في أيّام دولة مولانا السلطان الملك الناصر محمد،
عزّ نصره في شهور سنة ٧١٨».

لم يكن يحق له الجلوس   تابع طريقه مُبلّلاً بأصواتٍ تعلو في الأزقة كأنّها لهاث الأيّام.

ج ـ منديل جامع الجوشيّة (في السّويقة):

«بسم اللّه

أنشأ هذه الزاوية المباركة

العبد الفقير إلى اللّه تعالى الشيخ صالح العابد الحاجّ

جنيد بن عمر الأقصراي الأبو سنجاقيّ.

تغمّده اللّه بالرّحمة ـ

برسم سلطان الأولياء والأقطاب،

المرشد إلى طريق الحقّ والصواب

قدوة السالكين وزبدة الواصلين

هادي المسلمين خليفة اللّه في الأرضين

سرّ اللّه في الآفاق

حجّة اللّه على الإطلاق

الشيخ المرشد أبو إسحاق إبراهيم

شهيريار الكازُرُوفيّ،

قَدّس اللّه روحه،

وعَلَّى خلفاءه ومريديه

وليس لأحدٍ جلوسٌ على سجّادة المجلس غير خلفائه،

وكان الفراغ في شهر ربيع الأول سنة ٧٤٧».

*

ـ ماذا تعمل؟

ـ لا أعمل. أصلّي لكي يصبح الزّرنيخُ عسلاً.

*

جامِعٌ ـ

كلّ حَجَرٍ حنجرة.

*

وجهُ عاملٍ: صحنٌ من الغبار.

وجه بدويّة: أَكْثَرُ من حديقة.

*

ـ الوقت؟

ـ سلسلة في يد الغيب/

كان يتكىء على كيس مليءٍ بحنطة الفرات إلى جواره امرأةٌ شبه نائمة. أهي رفيقته في حصاد القمح؟ ربّما. كانت أهدابه، وهو ينظر إليها، تنزل على وجهه كمثل السّنابل.

*

بدأت الشمس تتدحرج على منحدرات الظلّ.

*

نباتاتٌ تخترق وجه الإسفلت، احتفاءً بالضوء.

*

كبشٌ في عنقه خيط حريرٍ أحمر: كبشٌ مسحور.

*

شخص له شهرة عالية كمثل ضبابٍ يغطّي الجبال،

آخرُ له قامة الألف: هل عمله الدائب هو أن يضرب
جسده بسيف النّحول؟

*

امرأة مسكوبة في عمود أسود　　جرة سوداء مليئة
بكحول سوداء　　ومن ضفافها تطفح الشّهوة.

*

لا تزال القلعة تنتظره　　جالسةً في حضن سوادٍ آخر.

القلعة، ـ

من الفضاء الذي يحيط بها يتصاعد هباءٌ يتدثّر الهواء
والهواء كمثل عرباتٍ بلا نهايةٍ تقطرُ النّاس.

ترفّقْ، يامهماز الغبار.
وكانت الشمس تنزل بطيئةً بين فخذي المساء،
ما أطيب النظر إليها وهي تغسل وجهها بماء الغروب.

*

رجلٌ بدا كأنّه يحفر قبراً يرمي فيه جثّة النّهار.

*

امرأة ـ
تسدل ستار نافذتها كمثل غيرها تتهيّأُ
لكي تصعدَ سلالم اللّيل نحو شموسه العالية.

ـ ينبغي، أيها العابر، أن تقتديَ بطمأنينة الغبار.
ـ هيهات هيهات،
من أين لي الأسنان التي تقرضُ صخرة الوقت؟

وقال أبجد:

رأيت في المدينة دال، في ناحية تسمى ناحية المقابر شبحاً جالساً على قبر. اقتربت. قال:

«ـ هل كان طريقك إلينا طويلاً؟

لم أجبه. ظنّ أنني خِفت. قال:

ـ لا تخف. أنا ميت، وهذا قبري. ولست هنا، الآن.

ـ إذن أين أنت؟

ـ في برزخٍ، مع أصحابٍ لي نتحدث عنكم.

ثم رأيته يتلاشى، وتظهر وراءه قبّة جوهرٍ تنفتح وتطلع منها امرأة، أومأت، وقالت:

ـ غداً، يزورنا شخص يُقبر في هذه القبّة.

ثم غابت، لا أعرف كيف.

وغير بعيد،

رأيت قبّة ثانية يغطّيها كساءٌ أخضر، وإلى جوارها امرأة تدق على الحائط وتصيح:

ـ أنا المرأة الضالّة، من يدلّني على الطريق؟

وأخذت تبكي.

اقتربت وسألتها:

ـ ماذا بكِ؟ ماذا يبكيكِ؟

قالت:

ـ حملتني عيناي. نمتُ. أضعت الطريق. كنت أحلم أنني ذاهبة إلى...

فجأة، رأيتها تسقط ميتة.

آنذاك سيطر عليّ الخوف. ركضت، وفي منعطفٍ خططت بيديَّ خطًّا جلست فيه، وأخذت أتمتم كلماتٍ تعلّمتها في طفولتي،

غشيتني سحابات سودٌ حجبت عنّي ما حولي، وسمعت فيها أصواتاً تقطعها

ورأيت عظاماً تتناثر وتبكي.

ثم سمعت شجرة تقول:

ـ هذه ليلة الوسوسة، هذه ليلة الجنّ.»

*

«مرّة، ظهرت لي بئرٌ وكنت عطشاناً. اقتربتُ لأشربَ منها طلعت منها امرأة قالت بلهجةٍ آمرة:

ـ تزوّجْني!

كانت جميلة. تزوجتها.

ثم قالت:

ـ أنا غريبة عن هذه المدينة. وأنا عائدة إلى مدينتي. طَلِّقْني.

ولمّا كنت أحبّ الوحدة، طَلّقتُها.

لكن في اللّيالي التالية، جاءتني شبحاً وهيئة.

وذات صباحٍ،

رأيتها تلتقط قمحاً عن الأرض. كلّمتها. وضعت يدَها على رأسها ورفعت عينيها إليّ وقالت:

ـ بأيّ عينٍ رأيتني؟

أجبت:

ـ رأيتكِ بقلبي لا بعيني.

أومأت بإصبعها وغابت، دون أن أراها.

فقد ملأ الدّمعُ عينيَ اليُمنى، وملأ اليُسرى ضبابٌ أخضر.»

*

«ورأى في المدينة ألف جبلاً غريباً كان ملكها يتردّد إليه بين ليلة وليلة. للجبل، كما سمع، مسامٌ ترشح منها الرّياح والبخارات. وفيه صهريجٌ معلّق في الهواء، عليه قبّة تسقط منها حجارة رخوة.

في القبّة النّهر العجيب الذي يجري في دوائر حتّى ينتهي إلى الصّهريج فتُغلى الحجارة وتُطبخ،

وتكون منها الأمواج المختومة، والتوابيت المقفلة،
وفلك المصباح والرّياح،
وتكون منها الحكمة والكيمياء.»

❊

«ومرّة، كان يسير على طريق ضيّقة   فجأة، ظهرت من الأرض أغصانٌ متشابكة كأحسن ما يكون من الشجر   واستقامت في الجو كأعلى ما يكون من الصنوبر والحَوْر،

ثم انحنت وانْدَسَّتْ في التراب وهوت إلى الأسفل بقدر ما كانت عالية.

ورأى شجرة استوقفتْه وامتدّت نحوه ثمرة أخذها انفلقت في يده أربع قطع

خرجت من كلّ قطعةٍ امرأة ملأت بالعطر والشّهوة مابين الأفق والأفق.»

❊

«ومرّة رأى رجلاً يهرب كانت تُطارده الحجارة إلى ناحيةٍ في المدينة ألف يبقى الحجرُ فيها معلّقاً لأنّها ناحية مسحورة تمنع أن يقع فيها ضربٌ أو قَتْل.

ورأى النّاس الحجر آتياً يطارد الرجل

فصاحوا به: توقّفْ وعُذْ.

توقّف ثم عاد   بقيَ عالقاً بين السّماء والأرض على حدود النّاحية، حتّى مات الرجل   فطار الحجر عائداً إلى مكانه.

ورأى مرّة في المدينة ذال، في ناحية تُسمّى ناحية الطير، طيوراً تتعانق. حين اقتربت، طارت وبقي طائرٌ كان ميتاً تفوح منه رائحة المسك   قال: إنه مليء بالخير   كانت معه عمامة زائدة لفّ بها الطائر ودفنه.

ناداه صوت:

هذا الذي دفنته شهيدٌ ـ بعضهم يقول كان يسمع وحي النبّوة، وبعضهم يقول كان شهيد الحبّ.»

ورأى في طريقه شبحاً بلون الرّماد يمشي بطيئاً كأنه يخرج من بئر ثم تقدّم نحوه وسلّم عليه. دُهِش خائفاً قال:

«ـ لا تخف. لكن اقرأ عليَّ شيئاً من الشعر.

أخذ يقرأ   سُرّ كثيراً   وعاد الاطمئنان إلى قلبه

قال: ـ نحن نحبّ الشّعر   أغلب الأشخاص الذين يسلكون هذه الطريق لا يفهمونه   أو لايحبونه أو غرباء عنه   نهجم عليهم ونخنقهم.

وحين أراد أن يسأله: ومن أنتم؟ رآه يغيب. لكن، شعر أن الطريق أصبحت آمنة كأنما تحرسها الأزهار والكواكب.»

❊

نام مرّة في بيت صديقه يارجوج

«وبينما كان في الليل، قبيل النوم، ينقل خطواته في ساحة البيت، رأى السّماء تحمرُّ احمراراً شديداً وسمع في الجوّ أصواتاً وهمهمة ثم رأى غيمة حمراء كمثل نار قريبة منه، فيها أشباحٌ أمثال النّاس والحيوانات تحمل رماحاً وسيوفاً

ثم اقترب غيمٌ أحمر آخر فيه أشباح أمثالُ الناس والحيوانات أيضاً تتقلد الرماح والسيوف وتحمل على تلك الغيمة كجيش يقاتل جيشاً.

كانت الغيمة تهجم على الغيمة فتختلطان ثم تفترقان.

فزع وأسرع يسأل يارجوج عن هذا. قال:

ـ كان أجدادي يقولون هؤلاء أصدقاء حكموا المدينة ألف وعاشوا فيها قبلنا وهم يقتتلون في سمائها كلّ عشيّة.»

❊

حكى يارجوج أنه سمع رجلاً يروي هذه الحكاية، -

«عشق رجل اسمه اطروش امرأة رفض أبوها أن يزوّجها منه، وزوّجها من آخر. جُنّ أطروش قَيّده أهله كان يعضّ شفتيه ولسانه حتى خافوا أن يقطعها

رآه هذا الرّجل مرَّة يجلس على تَلّ ويخط بإصبعه خطوطاً وحين دنا منه فرّ كما يفرّ الوحش من الإنسان ثم ظهرت غزالة فوثب يركض وراءها.»

❊

وكان بعض سكّان المدينة ألف يعبدون شجرة صنوبر

«كانوا في كلّ شهر يقيمون لها عيداً يجتمعون حولها يضربون عليها مظلّةً من الحرير تزخرفها الصّور ثمّ يقدمون لها الذبائح خِرافاً وعجولاً وديكة حين يتصاعد دخان الذبائح يسجدون باكين ضارعين

كانت الشجرة آنذاك تتحرّك وتحرك أغصانها يطلع من جذعها صوتٌ كصوت الأطفال:

«طوبى لكم، إني أمنحكم ملكوتي».

عندئذٍ يرفعون رؤوسهم ويشربون ويرقصون.»

ومرّة ركب البحر في المدينة «وركب معه شابٌ صبيح
الوجه لمّا توسّطوا البحر فقد صاحب المركب
كيساً فيه مال فتّش كلّ من كان في المركب
وحين وصل إلى الشّاب ليفتشه وثب وجلس في البحر
فقام له الموج على مثال السّرير ثم سمعوه
يقول:

«مولاي،

هؤلاء اتّهموني. أقسم عليك، يا حبيب قلبي، أن تأمر
كلّ دابّة في هذا البحر أن تخرج رأسها وفي فم كل
واحدة جوهرة».

فما أَتَمّ الشّاب كلامه حتى رأوا دوابّ البحر قد
أخرجت رؤوسها وفي فم كلّ منها جوهرة

ثُمَّ وثب الشاب ثانية في الموج، وصار يمشي

وأخذ يغيب رويداً رويداً.»

وأخبره أحدهم «أنّ صديقاً له تزوّج امرأة وسافرا
في الطّريق استراحا مَرّ بعضهم فرأوا المرأة جالسة
على بطن الرّجل تأكل كبده،

ثم رأوا ناراً تنزل وتشقّها اثنتين.»

ورأى في أحد أحياء المدينة ألف حدّاداً يُدخل يده في النّار ويخرج الحديد المحمّى دون أن يحترق[1] سأله:

«ـ هل تضيفني هذه الليلة؟

قال

ـ نعم. بحبّ.

مضيا إلى منزله. أخذ يراقبه لم يشاهد شيئاً غريباً يخوّله أن يكون في هذه المرتبة: لا تؤثر النّار في جسمه قال له:

ـ كيف لا تحترق بالنار ولم ألاحظ أمراً خارقاً يؤهّلك لذلك؟

قال:

لهذا سرٌّ غريبٌ وحديث عجيب.

وروى هذه الحكاية.

«كان لي جارة جميلة أحببتها كثيراً وراودتها عن نفسها مراراً عديدة لكنها كانت ترفض جاءت سنة قحط وجدب وعمّ الجوع فبينا أنا جالسٌ، ذات يوم، في بيتي وإذا بشخص يقرع الباب قمت لأرى من هو فإذا بها واقفةٌ بالباب قالت:

ـ يا أخي إنني جائعة فهل تُطعمني لِلّه؟

(١) في المأثور أن أناساً أرادوا أن يغزوا المدينة ألف ويدمّروها. وفي طريقهم إليها، خرجت عليهم طيرٌ من البحر لها خراطيم شبيهة بالوطاويط، حمرٌ وسود، رمتهم بحجارةٍ مدحرجة كالبنادق تقع في رأس الرجل، فتخرج من جوفه.

قلت لها:

ـ ألا تعلمين، كم أحبك، وأقاسي من أجلك؟ لن أطعمك إلا إذا مَكّنتني من نفسك.

قالت:

ـ الموت، ولا المعصية.

ومضت إلى منزلها.

بعد يومين، عادت إليّ وسألتني أن أطعمها ثم دخلت إلى البيت وجلست   حين قدمت لها الطعام بكت وسألتني:

ـ هذا لِلّه؟

قلت:

ـ لا.

لم تأكل. قامت وخرجت إلى منزلها.

بعد يومين جاءت وقد هَدّها الجوع   قالت:

ـ يا أخي، أعيتني الحيل   لم أقدر أن أسأل أحداً غيرك   هل لك أن تطعمني لِلّه؟

قلت

ـ لا.

أطرقت   ثم دخلت إلى البيت، ولم يكن عندي طعام. أشعلت ناراً وصنعت لها طعاماً

وَبَيْنَا أنا أضعه أمامها جاءني هذا الخاطر: «امرأة تمتنع عن طعام، مع أنها جائعة جوعاً لا قدرة لها على تحمّله، وأنا لا أمتنع عن معصية اللّه؟ سأتوب، ولن أقربها في معصية».

ثم قلت: هذا طعامٌ لِلّه.

لمّا سمعت ذلك، رفعت رأسها إلى السماء وقالت:

ـ ياربّ، إن كان صادقاً، فحرّم عليه النار في الدّنيا والآخرة.

تركتها تأكل.

قمت لأزيل النار، فوقعت جمرة على قدميّ لم تحرقني   دخلت إليها وأنا فرح وأخبرتها   رمت اللّقمة من يدها وقالت:

ـ حقّقت أمنيتي.

خذني إليك يا ربّ، هذه اللحظة.

ثمّ رأيْتها تسقط وتموت بين يديّ».

الذّكرى

IV

المدينة كاف

طاب لي كثيراً في المدينة كاف
أن أقطعَ الغصن الذي أجلس عليه.

*

يمكنك، في المدينة كاف، أن تستغني عن نصف اليوم. فهذه المدينة هي نفسُها الليل.

*

في كل إنسان شيء من نيرون، خصوصاً في كل ما يتصل بفنون الذبح والطبخ والأكل، وهذا مما يخفيه بعضهم، ويحاربه بعض، ويبرأ منه بعض آخر. غير أنه، ويا للعجب، موضع اعتزازٍ لدى الناس جميعاً في المدينة كاف. خصوصاً أن الإنسان فيها مأخوذٌ بأكل اللحم. وتتفتح شهيته، وتبلغ متعته أوجها عندما يأكل لحم أخيه الإنسان.

*

لكل شيء في المدينة كاف نهاية، إلا شيء واحد: قتل الآخر، بشكل أو آخر.

*

أنا أوسع بيت في المدينة كاف: يقول السجن.

*

لن تقدر أن تقابل أي شخص في المدينة كاف، إلا من وراء حاجز.

*

يعتقد الأشخاص الذين يقودون المدينة كاف أنهم لم يولدوا من امرأة، بل من فكرة، ورسالتهم التي يعملون لها بإصرار هي: على أبناء المدينة كاف أن يولدوا هم أيضاً من هذه الفكرة.

*

يُقال إن المدينة كاف تسير على طريق عالية. ربما. لكنها، بدلاً من أن تنظر إلى الأمام، لا تنظر إلاّ إلى الوراء.

*

قبل أن يدخل العابرُ إلى المدينة كاف، يكون شكُّه ضعيفاً. بعد أن يخرج منها، يكبر شكّه ويقوى.

هو ـ حاضر في المدينة كاف، لكنه موجود في غيرها.

*

الصفر هو الواحد في المدينة كاف.

ويحار علماء الرياضيات في تفسير ذلك.

*

أينما اتجهت في المدينة كاف، ترى كتباً مصلوبة

وترى دماً ينزف من الثقوب التي أحدثتها المسامير في جسد الكتاب

وأحياناً، لا تقدر أن تميز بين شكل الكتاب، وشكل الجسد.

المدينة لام

«ليس الوطن لمن يقيمون فيه، بل هو لمن يهيمنون عليه. الوطن أخطر الأفكار الحديثة التي ابتكرتها شهوة التملك»: هذا نص لمنشور يتداوله الناس سرياً في المدينة لام.

❊

«تبتكر بعض الثورات أبواباً لا يقدر أصحابها أن يخرجوا منها، ولا يقدرون أن يغلقوها»: نصٌّ لمنشور سري آخر يتداوله الناس سرياً في المدينة لام.

❊

«من جهة الضوء أيضاً، يجيء الخطر»، -

قرأت ذلك في رسالة آتية إلى صديق في المدينة لام.

❊

هو - مواطن في المدينة لام. ويبحث، مثل كثيرين غيره، عن الحقيقة. لكنه حتى الآن يتردد في الجهر بذلك. فهو لم يقرر بعد أن يذهب -

لا إلى الجنون

ولا إلى الموت.

❊

يتربَّى المواطن في المدينة لام على الإيمان بأنه لا يكون حيّاً إلا بقدر ما يكون كل ما حوله ميتاً.

❊

المنهج في ثقافة المدينة لام هو:

سِرْ، لكن لا تسأل.

❊

الموت الواقعي، والحياة الممكنة: ذلك هو المناخ الذي يكبر فيه أطفال المدينة لام.

❊

يفكر الناس في المدينة لام ويسلكون، مدعين أنهم هم الذين يحرسون السماء.

❊

بقدر ما تختلف في المدينة لام مع الواقع، تأتلف مع الحقيقة.

❊

الفكر في المدينة لام يُورَّث هو أيضاً،

وليس من رأس إلى رأس، بل من يد إلى يد.

❊

لافتة في ساحة المدينة لام:

عشرون كوكباً على كرسي واحد.

❊

معظم المواطنين في المدينة لام،
يرسلون أحلامهم (بطريقة خاصة، لا أعرف كيف أفسرها)، إلى القائم على المدينة، لكي تستأذنه، قبل أن تزور أجفانهم.

❊

في المدينة لام حوانيت لا يتاجر أصحابها إلا بعظام الموتى وأسمائهم.

❊

يلوم نفسه أحياناً في بعض لحظات الضعف: لو أنه صَفّقَ مرة للمدينة لام، لكان عنده، اليوم، قمرٌ ـ على الأقل!

❊

القيم كلها في المدينة لام قائمة على «أفعل» التفضيل: أكبر، أعلم، أجمل، أشعر. . . إلخ.
والسبب جهل سكانها: حِسّ الفروقات عندهم معطل، ولا يعرفون أن يميزوا بين شيء وشيء.

❊

أفضل أن يبقى رأسي فارغاً على أن يكون ممتلئاً بأفكار المدينة لام. وأفضل أن أُسمّى مخرِّباً على أن أحتفي بعمرانها القائم.

❊

عهداً
سأسهر دائماً على إغراء المدينة لام
بجمال الخراب وسحر الفوضى.

المدينة ميم

في المدينة ميم، تحدثك الجدران سرياً، عن قلب يريد أن يخرج من نفسه لكي يسكن قلباً آخر، أو عن نافذة تريد أن تؤاخي الأفق.

هكذا، لكل كلمة في المدينة ميم سجن، باستثناء كلمة واحدة: السجن.

*

الحاضر في المدينة ميم هو نفسه الخادم الذي يغسل قدمي السيد الماضي. وعندما يتاح لك أن تدخل بيتاً في هذه المدينة، وترى إلى جدرانه، يخيل إليك أن لحظات الماضي كلها تحولت إلى صور تتدلى عليها، وتشعر أن الحاضر كله ليس إلا مسامير لتثبيت هذه الصور.

يطيب لك، بعد ذلك، أن تقسم البشر إلى قسمين:
جماعات تجلس على الزمن،
وجماعات يجلس الزمن عليها.

*

دخان في زاوية. في الدخان ما يشبه أجنحة ليست أجنحة طيور. وفيه أحياناً ما يشبه أجفاناً لعيون ليست عيون امرأة أو رجل. لكن، يا للغرابة، يبدو أنه دخان بلا نار. انظر من هذه الزاوية، عبر هذا الدخان، إلى الفضاء: سترى أن وجهه يتعفن ويبلى.

المدينة نون

من السّتار إلى الغبار، ومن الغبار إلى السّتار: ذلك هو مدار المدينة التي تأخذ اسم الجسد أحياناً وتحلّ محلّه، غالباً، أو تتجلى في شكل المدينة نون. في الستار تجد وجهها، وفي الغبار تجد مرآتها. أما الفم فبعيد، وربما كان قطعة نَقْدٍ زائفة في جيب الموت.

*

أنظرْ، عند الغروب أو عند الشروق، إلى أعالي الجدران وإلى العتبات في المدينة نون. سترى أن بياض الصحراء يجلس هانئاً وربما رأيت في هذا البياض عربة تحسبها ماعزاً، أو شجرةً متحركة تمتلىء بفراشات زُيّنت أجنحتُها بالرّصاص والفضّة. لن تلمح أثراً للبحر، مع أنه يقيم على بضع خطوات.

*

تقدر بيسْرٍ أن تشاهد الأبدية وهي تتسلق ما بقي في المدينة نون من جدران الأزمنة. تقدر بيسر أن تشاهد الأيام وهي تتحول إلى أفواه، رافضةً أشكال العين والأذن والأنف عند أبناء آدم. تقدر بيسر أن تشمّ البخور المتصاعد من كهف سمي تيمّناً: التاريخ. تقدر بيسر أن تشاهد المسرح الذي تنقلب فيه الفاكهة إلى نساء. لكن ينبغي أن يكون لك صبر الهواء لكي تقدر أن تشاهد كيف يكون الإنسان إنساناً.

*

هذا الذي أقوله عن المدينة نون، أقوله بالسماع والتواتر. عبثاً حاولت أن أدخل هذه المدينة، مع أنها تسكن في مخيلتي. قلت مرة، وقد يئست تقريباً: سأنجّم، سأستغيث بأفلاك الذكورة والأنوثة، سأكتب التعاويذ ـ مؤالفاً بين النون والحاء، النون والخاء، النون والدال، النون والسين، النون والعين، النون والياء. . . إلخ،

*

كأن المدينة نون لا تريد أن تكون أكثر من عكاز في يدٍ ما. كأنّ الكلمات في المدينة نون جبال لكي تتسلقها، لا ألفاظ لكي تنطقها.

كأن الزمن في المدينة نون صخور تربط إلى قدمي الإنسان لكي تسهل عليه الهبوط أعمق فأعمق حتى قرارة اللازمن.

كأن الشمس في المدينة نون دكان، والهواء ميزان

كأن الأشياء في المدينة نون هي التي تتخذ من البشر بيوتاً لها

كأن الكلام في المدينة نون حلقة وصل بين الطرق التي لا تقود إلى مكان.

*

صحيح أنّ المدينة نون واحدة موحدة. لكن، صحيح كذلك أنّ كل زقاق فيها لا يكتب رسائله إلا بدم الآخر.

*

هو، المواطن في المدينة نون، يمضي حياته كلها في خياطة الرمل، ويصف نفسه بأنه الأمل.

هي، المواطنة في المدينة نون، تولد، تنمو، تكبر، تشيخ، تهرم، تموت، لكن دون أن تمر في أية مرحلة من مراحل الحياة.

*

قَلمّا رأيت في المدينة نون إلا التّصر. كانت الأبجدية تتغطى بعباءات تتغطى هي نفسها بعباءات لا تعرف أن تنسجها إلا يد الرمل. ولست أجهل أنّ الريح هي التي تنتصر دائماً.

لكن، ماذا يعني نصرٌ تحقّقه الريح؟

*

تجلس المدينة نون حيث تقدر الجهات كلها أن ترى أين هي، وحيث لا تقدر هي أن ترى حتى نفسها. لهذا، أينما تسكّعت في هذه المدينة، ستسمع الماء يتأوه، والهواء يزفر ويشكو. لهذا ليست المدينة نون إلا طنيناً في أذن الوقت.

*

ما أكثر الأعمدة، من كل نوع، في المدينة نون. في كل عمود حكيم يرث الحكمة عن الكواكب حين كانت تقص على الأرض أحسَن القصص. وكلّ عمود خزانة من الأجوبة، لكن ليس عن الأسئلة التي تطرحها أنت، المقيم الزائل، بل عن

أسئلته هو. هو السائل وهو المجيب. وليس لك أنت إلاّ أن تقول نعم.

كل ليلة، قبيل الغسق، ينصب الكلام خيامه بين أغصان هذه الأعمدة، وينام في انتظار الليلة الآتية. اين ينتهي الحد الذي تقف عنده وسادة أحلامكِ، أيّتها الأعمدة؟

المدينة سين

ليت الشمس تساعدني، لكي أنقذ ذلك الشعاع الذي يحاول أن يهرب من ظلام المدينة سين.

❋

عبيدٌ ـ لكن، تطوعاً:

هذه عبارة لا تجد لها ترجمة عملية إلا في المدينة سين.

❋

قتل البصيرة وإحياء القدمين:

هذا هو قانون الحياة في المدينة سين.

❋

لماذا تضطرب؟ هل تخشى أن تسقط تحت ضربات العداء الذي تكنّه المدينة سين لاسمك ولدروبك؟

أَدْخِلها في محيط حبك، واتكىء على هذا الحب كلما ذُكِرت أمامك.

آنذاك، على الرغم من اللاّمبالاة التي تخصها بها، لن تسقطَ أبداً.

❋

ما أَجمل جسدك، أيها الحب مجزّأً ـ مصلوباً، عضواً عضواً، على جسد المدينة سين.

❊

بعد، لم تترجم الريح
ذلك الرمل الذي تختزنه الصحراء التي تختزنها أحشاء المدينة سين.

❊

تفكر المدينة سين وتعمل لغاية واحدة:
أن تجعل ساكنيها يألفون ما يأكلهم،
كما يألفون ما يأكلونه.

❊

أيتها المدينة سين،
لماذا، وأنتِ الغنيّة بالقتلى لا تبددين إلا الأحياء؟

❊

سأبتكر أحوالاً تشتعل فيها نيران تتمدد في الفضاء كمثل الأسرّة العاشقة، ولن تجد المدينة مفرّاً من الاستسلام إليها.

❊

فتح لي الرعد أبوابه،
فيما كنت أقرع باب المدينة سين. قال:
ينبغي أن تعيد ابتكار الطريق.

❊

في المدينة سين ليس للسجن حدّ. تتموّج حدوده مع الهواء، ومع الضوء والظلام. لا أحد يقدر أن يقيسها. لا أحد يعرف أين تبدأ وأين تنتهي.

وتبالغ بعض الروايات، فتقول: المدينة سين هي التي ابتكرت السجن.

كأنما يجب، لكي نمحو السجن في هذه المدينة، أن نمحوها هي نفسها.

*

أَبحث عما فعلته المدينة سين زاعمة أنه الحق، فلا أعثر إلا على الخطأ.

*

أتحدث عن أحلام تكسرت أهدابُها،

أتحدث عن بلد لا يحلم به أحد ـ لا المشرد، ولا التائه، ولا من ليس له بلد،

أتحدث عن ثقوب يهيمن عليها ملائكة لا يتوقفون عن النبش في معاجم الحديد والنار،

أتحدث، وأعني المدينة سين.

*

للمدينة سين رسالة واحدة: أن تضع حياتها ومصيرها وطاقتها كلها في بضعة ألفاظ.

المدينة عين

أية شفرة هذه التي تنزهها المدينة عين، في تلك الساحة المقفرة: الإنسان؟

❋

لا تقدر المدينة عين أن تفعل شيئاً، كما يبدو، إلاّ أن تنتظر خرابها. ربما في هذه الحالة، سيكون الانتظار نفسه فعلاً، أو يشبه الفعل.

❋

أتدلى في فضاء المدينة عين ـ جسداً مفرداً، غريباً، مع ذلك، لن اعتصم إلاّ بجسدي.

❋

الحياة قصيرة، تقول الحكمة.
غير أنها في المدينة عين أطول من الأبدية.
تقول الحكمة أيضاً: الأرض واسعة،
لكنها في المدينة عين أضيق من سُمّ الخياط.

❋

تستقبل المدينة عين ضيوفها بأقواسٍ من الضحك، وتخصص لاستضافتهم بيوتاً من الدمع.

❋

«اصطدمت يداي بعنق الليل. كان مستلقياً على خاصرتي. لم أقدر أن أرفع غطاءً وضعه الحلم فوقنا. أخذه النهار وضمه إلى أشيائه التي يستعين بها على مواجهة الحواس الخمس لجسد ينتظر على العتبة»، ـ

هذا جزء من رسالة كتبتها امرأة في المدينة عين، قبيل موتها.

❊

صرت مقتنعاً أن للأيام في المدينة عين قشوراً، وأن هذه القشور مسكونة بسحر أخضر.

❊

إن لم تكن لديك في المدينة عين الجرأة على مجابهة الأسطورة نفسها، فإن مجابهتك للأشياء الأخرى لا قيمة لها.

❊

لن تجد أنهار الواقع ماءً يقدر أن يتحاور مع مجاريها، كمثل الماء الذي يتفجر من ينبوع خطواتي ـ من أجل الخراب الذي يهيأ للمدينة عين.

❊

«تنمو في ظل الشجرة نارٌ تأكلها»، ـ

تقول حكمة شاردة في أنحاء المدينة عين.

❊

خرابٌ هي المدينة عين، لكنّهُ خراب لا يكتمل.

*

ـ لماذا تجمد المدينة عين، بينما تتغير مدن أخرى؟

ـ لأن المدينة عين تتحالف مع الكلمات،

وتلك المدن تتحالف مع الأشياء.

*

حرّضِ الوردة على رائحتها،

وهذه على تلك،

وأشعل بينهما الفتنة:

تلك هي البداية، إن شئت أن تفهم المدينة عين.

*

وردةٌ تكاد أن تذبل،

تهرب من إنائها في المدينة عين وتجلس قربي، ـ

ـ أيّتها الوردة، ربّما، ربّما....

IV

على الفراتِ أعاصيرٌ، وفي حلَبٍ
تَوحُّشٌ ـ (. . .).

المتنبي

٢٠٥ هـ.

ـ ٥٢ ـ

ـ أ ـ

ـ يا حسينُ، اسقني(١)

ـ لاسقيتُكَ، إن لم تقل لي، لماذا بكيتَ؟

ـ لماذا عناكَ بُكائي؟

ـ اغتممْتُ،

ـ إذا خرج الأمرُ من شفتيكَ، قتلتُكَ.

ـ يا سيِّدي، ومَتى أفشَتا ما تُسِرُّ إليَّ؟

ـ ذكرتُ الأمينَ أخي،

فاختنقتُ بدمعي واسترختُ لِتَسْكابِهِ.

ـ ب ـ

«لا يخلو أحدٌ

مِن شَجَنٍ»(٢).

ـ أ ـ

سيفٌ روميٌّ، ودَمٌ عربيٌّ

سيفٌ عربيٌّ ودَمٌ روميٌّ ـ

لَعِبٌ

والنَّرْدُ رؤوسٌ.

جيلٌ ينمو، جيلٌ بائدْ

والمؤمنُ، في هذا اللَّعب المجنونِ،

كمثل الكافرِ، جِسْرٌ واحِدْ،

لمصيرٍ واحِدْ.

* بين سَيْفٍ يَحُزّ، وعنْقٍ يُحَزُّ،

المدائن وحيٌ

والخرابُ كتابٌ.

(١) حوار بين المأمون وخادمه، ساقي الخمر، حسين.

(٢) من كلامٍ للخليفة المأمون.

٢٠٦ هـ.

ـ ٥٣ ـ

حربٌ مع نَضرٍ[١]،
حربٌ مع بابَكَ[٢]
مع أبناء الزُّطِّ[٣] ـ
حروبٌ: رغباتٌ تمضي
رغبَاتٌ تأتي،
أين المعنى، أين السَّبَبُ؟
ما أكذبها ـ تلك الكتبُ!

ـ ب ـ

ألحِصانُ يحكّ التّرابَ، السّنابِكُ
مكسوّةٌ
بالغبارِ، وفي كلّ قائمةٍ
رَجّةٌ.
ألحِصانُ يُؤاخي
بين شمس السّهول وأيّامهِ
لا رَحِيلٌ، ولا حَمْحَمَهْ.
أَلحِصانُ يُسرّح عينيه في غابة الدّموعْ، ـ
سقط الفارس الرفيقُ، مَضى
حيث لا شيءَ:
لا قَوْمةٌ، لا رجوعْ.

* أَلكواسِرُ ترصدُ موتَ البشَرْ،
وانظروا كيف تنقضّ خلفَ الأثَرْ.

(١) نصر بن شبث.

(٢) بابك الخرّميّ.

(٣) طائفة من أهل الهند (معرّب جَتْ). كان عددهم حوالى ثلاثين ألفاً، يرئسهم شخص اسمه محمد بن عثمان. تمرّدوا، وغلبوا على طريق البصرة. وجّه المعتصم لحربهم عجيف بن عنبسة سنة ٢١٩ هـ. تغلّب عليهم، ونفاهم جميعاً إلى عين زربة، على الحدود العربية ـ الروميّة، آنذاك. وهناك قُتلوا جميعاً.

٢٠٧ هـ.

ـ ٥٤ ـ

سنَةٌ ماحِله
لم تَبُخ بالرّؤوسِ
التي قطعتها
ولا باليد القاتِلة.

- ح -

بَطَلٌ مِنّا مات شهيداً:
هوذا،
نستصفي أرضاً
ونوسِّدهُ فيها
في أخدودٍ، أو بين صخورٍ،
ونُهيل عليه تراباً
يتفتّت فيه ـ في ظلمات القبرْ.
لكنّ الرّومَ سُكارَى فَنٌّ
ما أعجبهم ـ يَسْتصفون لوجه البطلِ
الميّتِ منهم،
وَجْهَ الصّخْر، ـ
ما قولك فينا، ما قولك فيهم
يا هذا الدّهرْ؟

---

* هل هذا الخارج ضوءٌ؟
والدّاخل، كيف يكون، وكيف
يحولُ، وكيف يقومْ
إن مات الرّومْ؟

٢٠٨ هـ.

ـ ٥٥ ـ

سنةٌ قاحِلةْ
لا تُسجَّلُ في دَفترٍ،ـ
ألحقولُ وأسماء حُصّادِهَا،
وأسماء من حصدوهم ـ
كلّها نافِلهْ.

ـ د ـ

ألحديدُ ـ حديدُ الزّمانِ،
يَقُدّ الصّخورَ، ولكن
تأكلُ النّارُ هذا الحديدَ، وتَنْطفىء النارُ في الماء، والماء يعلو
في السّحاب، السّحاب تمزّقهُ
الرّيحُ. مَزّقْتُ ظنّي
وَوَشوشْتُ نفسي:
سَمَكٌ خارج الماء ـ هذا رِهاني
لا لِأرْبَحَ، لكن لألْهُو
ولأسخرَ مِن ذلك المكانِ،
وهذا الزّمانِ.

* الخيولُ الخيولْ
وَرَقٌ يتطايَرُ بين أكفّ السُّهولْ.

٢٠٩ هـ.

ـ ٥٦ ـ

سنَةٌ قاتِلَهْ

ليس فيها سوى الأَكْل،

والآلةِ الآكِلهْ.

ـ هـ ـ

هُزِمَ العسكرُ، انتصرَ العسكَرُ:

خَبَرٌ عابِسٌ

خبَرٌ ضاحِكٌ.

والفضاءُ مُكِبٌّ على شمسهِ

وعلى نفسهِ،

لا يُحسُّ بما نُخْبِرُ

ويُتَمْتِمُ دونَ اكتراثٍ:

بَشَرٌ، ـ غابِرٌ يتعالَى،

وغَدٌ يَصغرُ.

* بشَرٌ منذورونَ ليوم السّاعَهْ
في محراب الطّاعَهْ.

٢١٠ هـ.

- ٥٧ -

- أ -

أَمسكوا بهم[١]

أَحضروهم إليهِ[٢].

صُلبوا

بعد أن قُطِّعت

رؤوسُهمُ الأربَعهْ.

والخليفة[٣] كان اختفى

تحت بُرْقع أُنثى.

نبذتْهُ المدينةُ،

لم يَبْق شخصٌ معَهْ.

- ب -

أحضروهُ وحيداً[٤]

- «فوق مَنْ أذنبوا أنتَ.

عَفوكَ فضْلٌ وعقابُكَ حَقٌّ».

- و -

مَوْزار تنامُ كمنبجَ:

عَصْفُ رمادٍ

يَهْذِي، ويَروحُ ويغدو

في خَدّيْها.

رَمْلٌ في إحدى عينيها

شَوْكٌ في الأخرى،

والأيّام قيودٌ بين يدَيْها.

* بلَدٌ لا يتغيّر فيه إلاّ القَبْرُ، تُراهُ

بلدٌ مسبوقٌ دوماً،

بِحُطام المَعْنى؟

(١) الأشخاص الذين كانوا يسعون في البيعة لإبراهيم بن المهدي. وهم أربعة: إبراهيم بن عائشة، محمد بن إبراهيم الأفريقي، مالك بن شاهين، فرج البغواري.

(٢) الإشارة إلى الخليفة المأمون.

(٣) المقصود هنا هو إبراهيم بن المهدي.

(٤) الإشارة إلى إبراهيم بن المهدي. والكلام له، مخاطباً الخليفة المأمون.

٢١٠ هـ.

- «بل منحتُكَ عفوي»[١].

- «وعفوتَ عمّن لم يكن عن مثلهِ

عَفوٌ، ولم يشفع إليك بشافعِ

إلاّ العلوّ عن العقوبة، بعدما

ظفرت يداكَ بمستكينٍ خاضعِ

ما إن عصيتُكَ والغواة تقودني

أسبابُها، إلاَّ بنِيّة طائعِ

رَدَّ الحياةَ إليّ، بعد ذهابها

ورَعُ الإمام القادرِ المتواضعِ»[٢].

- ز -

تَلٌ بِطريقَ، آمِدُ، جَيْحانُ

جسْرٌ إلى الرُّوم،

والرّومُ أحجارهُ -

نتخاطَبُ، نَلْغُو:

إنّها سَكْرَةُ الألْسِنَهْ

تجعَلُ القَشَّ وَرْداً

والحجارَ خيولاً

وتوابعَ،

في هذه الأمكنهْ.

* مدنٌ تقول لِربّها: بِكَ نَستعينْ

هذا جزاء الكافرين،

يُزْجَوْن من نارٍ لنارِ

لا شيء يعصمهم، وليس

لهم سبيلٌ للفرارِ.

(١) الكلام للمأمون.

(٢) الأبيات لإبراهيم بن المهدي نفسه. وكان، كما هو معروف، شاعراً.

- ج -

أهلُ قمّ يثورون، قالوا:
لا خَراجٌ،
وكان كبيراً.
حاربوهم،
هدموا سورَ قمٍّ، أذلُّوهمْ
وزادوا الخراجَ عليهم[١].

- د -

جيش عُبيد اللَّهِ يُبادُ[٢]
ومصرُ تعودُ، وترقدُ
بين يَديْ بغدادِ.

- ح -

لِبقايا مَلَطْيةَ جسْمٌ حجَرْ
غيرَ أنّ الرّمادَ مِهادٌ لها
والتآكُلَ ميثاقُها.

وتدبُّ وتنهض في مَوْتِها:
موتُها واحِدٌ،
والغبارُ الصُّوَرْ.

* أخذتْهُ لغات السّلاح وأصواتُها:
أَلصّفائِح مثل الصّحائفِ،
والتُّرْسُ طِرْسٌ.

(١) أُخِذَ من أهلها «سبعة آلاف ألف درهم، بعد أن كانوا يتظلّمون مِن أَلْفي ألف درهم».

(٢) عبيد اللّه بن السّريّ، الذي كان متمرّداً في مصر. وعبد اللّه بن طاهر هو الذي تغلّب عليه وأباد جيشه.

٢١١ هـ.

ـ ٥٨ ـ

نَادُوا[1]:

«بَرئت ذمّتُنا

مِمَّن يذكرهُ»[2] بالخيرِ، ومِمّن

قالَ:

أرَاهُ

أَفْضَلَ من أيِّ

مِن أصحابِ رسول اللّهْ».

ـ ط ـ

دلَوكُ جَحيمٌ فارِهٌ، لَونُ دُورِها

سخَامٌ، ولونُ السّاكنين تُرابُ

تفرّ الطّيورُ العابراتُ مِن اْسْمها

ويَجْفَلُ منها في الفضاء سَحابُ

حصونُ قتالٍ كلّ تَسْآلِها دَمٌ

وليس لها غير السّيوف جوابُ.

❊ أَلقلاع القِلاعْ

تتخاصرُ حول البيوت، وحولَ

الحدود، ولكن لم تزد قادة الجند

ألا فراغاً،

وإلاّ ضياعْ.

(١) بأمرٍ من الخليفة المأمون.

(٢) الإشارة إلى الخليفة معاوية.

ـ ٥٩ ـ

قال المأمون بخلق القرآنِ،
وأعلنَ:
«بَعْدَ محمّدَ،
خيرُ النّاسِ عَليٌّ»[١].

ـ ي ـ

ثوبُ هذا النّهار طويلٌ
وأذيالهُ تتمزّقُ:
لا بُدّ من آخرِ
على قَدّهِ، ـ
أَلخنادِقُ أَزْرارهُ
والجِرابُ الخيوطُ
وأكمامهُ رِماحٌ.

* لا يعودُ من الحرب إلاّ إلى الحَرْبِ:
ربُّ الأفولْ
ساخِطٌ دائماً ـ مرّةً
تتقطع في حربه الجسومُ، مراراً
تتقطعُ فيها العقولْ.

(١) قال ابن كثير: «في ربيع الأوّل، أظهر المأمون بدعتين فظيعتين، إحداهما أطمُّ من الأخرى، وهي القول بخلق القرآن. والثانية تفضيل عليّ ابن أبي طالب على الناس، بعد رسول اللّه (صلعم). وقد أخطأ في كلّ منهما خطأ كبيراً فاحشاً. وأَثِم إثماً عظيماً».

٢١٣ هـ.

- ٦٠ -

سنةٌ، كلّ لسانٍ فيها

يَهْذي

ويكرّر قولَ عليّ[١]:

«اللّهُمّ أَرِحْهُمْ مني

وأرحني مِنهم».

- ك -

عِنْدَ باب الكنيسة، قَتْلَى

والبكاءُ على وَجْهِها غطاءٌ.

جَرَسٌ مَيِّتٌ

مَلائِكُ يَسْتَسْلِمونَ إلى صَمْتِهِ.

خُوَذٌ وبقايا سيوفٍ

تتعانَقُ في كنَفِ الموتِ،

والرّيح تلهو

وتجرّر أذيالَها.

* وساده الجرح في ضيقٍ وفي سَعةٍ

وفي ضمادٍ من الوسواسِ والأرَقِ

يجرّ أعضاءه في كلّ زاويةٍ

كأنه ورَقٌ يشكو إلى وَرَقِ.

(١) علي بن أبي طالب.

٢١٤ هـ.

- ٦١ -

- أ -

بعد أَنْ علّقوهُ[١]،
أَشعلوا النّارَ مِن تحتهِ.

- ب -

بابَك الخرّميُّ، يقاتِلُ -
يقتلُ ابْنَ حميدٍ[٢].

- ل -

بين طِفْلٍ يَجيىءُ ليسألَ عن أبويهِ
عِنْدَ جارٍ لهم، وطِفْلٍ
يحمل الماءَ كي يَسْقيَ العابرينَ،
رجالٌ
ونساءٌ
يجرّون أَغْلالَهم
في دورب الشّقاءْ
وتُرَفْرِفُ مِن فوقهم رايَةٌ
تتمزّق فيها السّماءُ وَيَقْتتلُ الأنبياءْ.

* تتلعثم في صدرهِ
لغةٌ مرّةٌ حبيسَهْ
تتكشّفُ أسرارُها
للعذاب الذي يتخثّر في قُبَّةِ الكنيسَهْ.

(١) الإشارة إلى عبد اللّه بن عبد الحكم.

(٢) قائد جيش المأمون، محمد بن حميد الطوسي.

٢١٥ هـ.

- ٦٢ -

- أ -

«نَهْبٌ للأموال،
وسَفْكُ دماءٍ:
تلك خيانةُ عَهْدٍ
والقَتْلُ عِقابٌ»[1].

- ب -

«سَاوَوْا
بين اللّه وبين القرآنْ:
أهلُ جَهالَهْ
أهلُ ضلالَهْ -
لا عَقْلَ لديهم، لا بُرهانْ»[2].

- م -

ألخيولُ تؤاخي السّهامَ،
السِّهامُ تُفارق أقواسَها
في غبارٍ يلفّ المدائنَ -
أَبراجها وحُرّاسَها.
- أَيْنَ نَمضي، ومَنْ سنقاتِلُ؟
- غرباً،
ونقاتل مَن ليس مِنّا.

تسمع الشّمس، تَحنو وتقرع، حُزناً
على الأرضِ، أجراسَها.

* زمَنٌ مِن خِرافٍ
وسكاكينَ، والكون كالخيط في إبرةٍ -
فاتقاً، راتقاً.

(١) الكلام للمأمون، آمِراً بقتل ابنَيْ هشام: عليّاً، وحسيناً، لسوء سيرتهما «قتل الرّجال، وأخذ الأموال».

(٢) الكلام للخليفة المأمون، واصفاً الأشخاص الذين يقولون بأن القرآن غير مخلوق.

٢١٦ هـ.

ـ ٦٣ ـ

سنةٌ ـ كلّ أيّامها

شهواتٌ،

ألنّواحُ سريرٌ لها،

والجِراحُ لِقاحٌ.

ـ ن ـ

نَخْلَةٌ ـ نُقَطٌ من دَمٍ

تَتغلْغلُ في جَذْعِها.

جذعُها ـ

لم يكن مرّةً فارساً

لم يقلْ مرّةً

إنّ للحربِ نَخْلاً

وجَنائنَ مِن كلّ طيبٍ.

ويُخيَّلُ أنّ يَدَ الشّمس ضَنّتْ

عليه بمنديلها.

---

* ما أَعْجَبَهُ ـ

لا يَسْتَيْقظُ إلاّ في طَبل الحربْ

ضِدّ الشّرْقِ وضِدَّ الغربْ.

٢١٧ هـ.

- ٦٤ -

- أ -

حكمُهُ[1] لا يُطاق، -

كانَ، ظلماً وبغياً،

يقتلُ النّاسَ، أو يجمع المالَ منهم.

قتلوهُ، جزاءً

رَفَعُوا رأسَهُ على رأسِ رُمحٍ،

وطافوا بهِ في العِراق.

- ب -

تمجيداً،

لِلعقل وحكم العَقْلِ، سأدعو للقولِ جهاراً:

«لا أزليٌّ، لا أبديٌّ

إلاّ اللّه: القرآنُ كشل العالم، مخلوقٌ، والإنسانُ مريد حرٌّ».[2]

- س -

لا أرى

غيرَ تلك الجسوم التي تتزاحَمُ أعناقُها

وتُناحِرُ كي تُنْحرَا.

لا أرَى

غيرَ ما تُعلنُ السّيوفُ،

تُرانيَ أشكو،

أم الخوفُ يجتاحني؟

أتُرانيَ في حيرةٍ؟ ولكن،

مَن يؤكّد أنّيَ أوثِرُ ألاّ أشاركَ

في الحرْبِ،

ألاّ أرَى؟

---

* أمشي، أعانق صخراً أشتهي نَفَقا
ذئبٌ أنا شِبْهُ مَيْتٍ، يشتهي دَمَهُ
خبزاً، ويشرب وَحْلَ اللّهِ والعلقَا.

(١) الإشارة إلى عليّ بن هشام، عامل المأمون على أذربيجان. وأشير سابقاً إلى أمر المأمون بقتله مع أخيه، لطغيانه وظلمه.

(٢) الكلام للمأمون داعياً الناس إلى القول بخلق القرآن.

٢١٨ هـ.

- ٦٥ -

- أ -

حَزّوا الرأسَ،

وطافوا الأَسْواقَ بِهِ[١].

قال ابْنُ تَمامٍ[٢]:

«شاهدتُ عياناً جُثتَهُ -

كلبٌ أبيضُ يحرسُها،

يمنع كلّ كلاب الحَيّ

أن تدنوَ مِنْهَا!».

وأضافَ سواهُ:

«كلَّ مساءٍ

كنتُ أشاهِدُ أنواراً

كقناديلٍ

تتدلّى فوقَهُ».

- ع -

لُجَّةٌ مِن أَرَقْ

أتقلّب فيها، وأَسْتَنْفِرُ الصّباحَ،

وأُوهِمُ أنّيَ فيه ومنهُ، وأعرفُ:

لا شيءَ حوليَ غيرُ الدّماءِ،

وأعرفُ:

لا شيءَ في مَشْرِقِ الشّمسِ،

إلا الغَسَقْ.

❊ بعضنا صادِقٌ

بعضنا كاذبٌ، ولكن

صادقٌ كاذِبٌ معاً كلّ صَمْتٍ.

(١) رأس عبّاس الفارسي، الذي كان من أئمّةِ العلم بالحديث في أفريقية. قتله الأمير زياد اللّه بن الأغلب التّميمي، وأمرَ بالطّواف برأسه في أسواق القيروان.

(٢) شخصٌ من أصحاب عبّاس الفارسي، اسمه صَبِرَة، وكان مولى لتميم بن تمام.

٢١٨ هـ.

ـ ب ـ

ماتَ المأمونُ:

اختارَ العقلَ،

وردَّ النَّقْلَ،

وكان يحاورُ مَن سَمّوهُ

بالزّنديقِ، وكان يُفضّل أن يُصغي،

في كلّ خلافٍ، للفكرِ ـ

يقول بنور الفِكْرْ

قلقَ الإنسانِ،

ومعنى الكونِ،

وسِرّ الدَّهر.

ـ ف ـ

كلَّ يومٍ، قبيلَ الغروبِ،

تَجيءُ إلى المدفن القريبِ إلى بيتها،

تتفقّد أبناءَها وأحفادَها،

قلبها في يَدٍ وعَصاها

في يَدٍ،

وتُتَمتِمُ:

يا موتُ خذني إليهمْ!

* مُمْسِكاً بيدِ الشمس، كان الصّباحْ
يتنقّلُ في حيِّنا
والمكانُ على صدرهِ غابَةٌ مِن رماحْ.

٢١٩ هـ.

- ٦٦ -

- أ -

ثارَ[1] في الطّالقانِ،

تَعثّرَ، خابَ، انكسَرْ

حبسوهُ -

فَرَّ مِن حبسهِ.

كيف؟ أين اختفى؟

لا أثَرْ.

- ص -

سأقولُ لهذا الذّئب: تَجيء كريماً

وتموتُ كريماً.

سأقول لنفسي

لم أقتلْ أحداً

لم أهربْ

لم أسرق

بيت المالْ

وأكرّر قولي:

ألطّاعَةُ للمولى

لخليفتهِ، ولعمّال خليفتهِ

ولِعُمّال العُمَّالْ.

* حربٌ، -

تَهْزَأُ مِن قَتْلاها

مِمن ينتصرونَ ومِمّن هُزِموا.

(١) الإشارة إلى محمد بن القاسم بن عمر، الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب. وقد هرب من حبسه واختفى.

٢١٩ هـ.

- ب -

ثورةُ الزّطّ تَطغى.

حاصروهم،

أبادوهم[1]،

ضَربوا كلَّ أعناقِ أَسْراهم.

بَعثوا بالرؤوس إلى المُعْتَصِمْ:

إبْتَهِجْ أيّها السيّد

المتربّعُ في عرشهِ،

وَابتسِمْ.

(١) قيل قُتِل ثلاثمئة، وأُسِر خمسمئة. ودامت ثورة الزّطّ تسعة أشهر. (راجع الإشارة السّابقة إليهم).

- ق -

حربٌ - جَدَلٌ دامٍ

بين المَذْهَبِ والمذهَبْ:

«غُلب الرّومُ»،

«الغالِبُ، بعد غدٍ، مغلوبٌ»،

قولٌ يَنْسَخُ قولاً

في لغةٍ

يَسْتَنْسِخُها وَيُفْتِّقها، ويُشَقِّقها

داءٌ، -

أنّى، ومتى، وإلامَ

وكيف سَيُغْلَبْ؟

❊ في آلسِ قمرٌ يحيا بلا حرسٍ
وحوله النّاس والأوهام تشتجِرُ
ليلى ومريم شعرٌ في دفاترهِ
وفي سناه يؤاخي الموجةَ الشَّرَرُ.

- ج -

الرّجالُ، النّساءُ،

وصِبيانُهنَّ حَصادٌ[١]:

وأُحسُّ كأنّيَ أُصغي

للمغنّين والشعراءِ،

وأصحابِهِمْ:

«يادمَ الخُرَّميّهْ

كَتَبتْكَ الغيوم على وجهها

لِلرّياح، تَحِيَّهْ».

- ر -

وقفَ الموتُ في باب كوخٍ

على بابِ منبج، مُسْتَقْرِئاً

حامِلاً كأسَهُ ـ

يَشْرَبُ الأرضَ، أيّامَها المانويّةَ،

أغصانَها المائلَهْ،

وعلى كتفيهِ

مدنٌ راحلهْ.

* حقل موتى، كواسِرُ من كلّ فَجٍّ

بُرَكٌ من دم: مائدَهْ

إنها الأَرْضُ ـ مخنوقةٌ، هامِدَهْ!

(١) الإشارة إلى قتلى من الخرميّة، بلغ عددهم، كما يروي المؤرخون، مئةَ ألف، سوى النساء والصّبيان.

٢٢٠ هـ.

- ٦٧ -

- أ -

أَشجارٌ قُطعت

وزروعٌ بادَتْ.

ورؤوسُ القَتْلى -

ما أكثرها

ما أَشجَى مَنْظَرَها.

لم يقدرْ مَيسَرَةُ[1]

أن يَتحمَّلَ: زُلزِلَ،

ماتَ حَسيراً.

- ش -

ذَهَبَ الفارسُ

ذهبت أمّهُ

تسأل الرّيحَ والشَّمسَ عنه

في الحقول، وبين الأَزِقّةِ سِرًّا.

لم يُجِبْها، ولم يعرف السرَّ، إلاّ

غُصُنٌ يابِسٌ.

* لا صوتَ حولكَ، لا صَدَى، -

صحراءُ مِن ورَقٍ وريحِ

لِمن اهتدىَ ولمن هدَى.

(١) الإشارة إلى ما حدث في حصار عبد الرحمٰن بن الحكم لطليطلة، في هذه السنة ٢٢٠ هـ. وميسرة هو القائد المعروف بـ «فتى أبي أيوب». مات، بعد أيام قليلة من الحصار، حسرةً وغَمّاً، من رؤية رؤوسِ القَتلى.

٢٢٠ هـ.

- ب -

القضاءُ على ثَورة الزُّطّ:

أَجْلوهُمْ بعيداً

عن أماكن سُكناهمُ.

وضعوهم

قريباً من الرُّوم،

جَاؤوا إليهم،

وأبادوهمُ - واحداً واحداً[1].

- ت -

تاريخ حُروبٍ: طِرْسٌ

كتبَ الآباءُ عليهِ

بدَم الأبناءْ -

كتبَ الأبناء عليهِ

بدمِ الآباءْ

هَوْلَ الأَشياءْ.

أيكونُ النُّورُ طريقاً

نحو ظلامٍ آخَرَ أَدْهى

وأمرَّ حجاباً؟

* تاريخٌ شيطانٌ

قذفته أحشاء البحرْ

الأوراقُ جِرارٌ، والخَطّ دخانٌ،

والْحِبر السِّحْر.

(١) كانوا، كما يروي المؤرخون، سبعةَ وعشرينَ ألفاً، وقيل ثلاثين ألفاً، من النّساء والصّبيان.

ـ ٦٨ ـ

«قيل لي[١] في المنامِ:
«إذا لم تُحاربْ
بَابكاً، فسآمرُ هذي الجبالَ
بِرَجْمِكَ»، ـ
يا رَبُّ، يَسِّرْ!
فَتحتُ جُفوني. مَرَّ وقْتٌ
قصيرٌ ـ هوذا بابَكٌ أَسيرٌ.
ـ قرِّبوهُ.
ـ أين سيّافهُ؟
ـ تَقدَّمْ، خذهُ، واقطعْ يديهِ، ورجليهِ.
ـ أحسنتَ. والآنَ لِلذّبحِ. شُقّوا

ـ ث ـ

كلّنا كان يُوغِلُ في مَدْحهِ:
«يَمتطي، لا الخيولَ ولكن
يَمْتَطي هَمَّهُ
لاعِنانٌ له غير أعناقِهِمْ.
سيفه يتحدّث عنه
والرؤوس له كلماتٌ».

كلّنا كان يَهْذي.

* جَصٌّ فوق جبين الوقتِ وطينٌ
والحوضُ كبيرٌ
والأيّام جوارٍ فيه:
تاريخٌ يكتب في تَنّورِ.

(١) الكلام للخليفة المعتصم. وقد استمرّ بابك الخرميّ في تمرّده عشرين سنة.

ويقول المؤرخون إنه قتل مئتين وخمساً وعشرين ألفاً، وأسر خلقاً لا يُحصون.

ويقولون إن ثلاثة آلاف وثلاثمئة شخص أسروا معه، عندما قتل. وأسم أخيه عبد الله.

وقيل إنّ بابك طلبَ أن يشربَ الخمر، قبيل مقتله.

٢٢٢ هـ.

بَطْنَهُ. أَرْسلوا رأسَهُ
لخراسانَ، طوفوا بهِ. واصلبوا
ها هُنا جسمَهُ.
وافعلوا بأخيه، مِثْلَهُ
مِثْلَةَ تماماً».

- ٦٩ -

بَطّاشٌ جبّارٌ[1]،
كان، لِكثرة قتلاهُ،
يُدعَى الجَزّارْ.

- خ -

لِلدّمستقِ ظِلٌّ
يتجَوّل بين القلاعِ، ويُوغِل فينا:
أَتُراه دليلٌ ورمزٌ
لِشهوتِنا الماكره
كي نحرّر أيّامَنا
مِن مراراتِها وتباريحها؟

إهْدَئي، يا ابْنَةَ اللّيلِ،
أيّتها البومة السّاحِرهْ!

---

* ما أمرَّ الوصولَ إلى الشّيء - في صمتهِ وفي سِرّه،
وما أكرَمَهْ.
أَجْملُ النّور ما جاءَ مِن جهَةٍ مُعْتمهْ.

(١) الإشارة إلى إبراهيم بن موسى الكاظم، وقد قتل في اليمن خلقاً كثيراً.

- ٧٠ -

- أ -

قالوا:

«بعضُ الأمراءِ -

العبّاسُ بن المأمونِ،

وبعضٌ مِن إخوتهِ،

رفضوا أن يصدر منهم صوتٌ:

وامعتصماه!

أو ما يُشبههُ.

قُتِلوا[1].

لُعِنَ العبّاسُ، وقالوا:

سَمّوهُ لَعيناً.

(١) قتلهم الخليفة المعتصم.

- ذ -

أصدقائيَ، أبناءُ قومي

سقطوا، يفرشونَ الغبارَ

ويلتحفون العراءْ.

لا أريدُ البكاءَ، ولكن

كيف أبقى بعيداً؟

كيف لا تتدفّق نفسي

في تدفّقِ هذي الدّماءْ؟

* طرقٌ - لا خضراءُ ولا سوداء ولا بيضاءْ

نحو لغاتٍ

لا أفعالٌ لا أسماءٌ لا أشياءْ.

- ب -

في الأحياءِ، النّاس سُكارىَ
يتغنّى كلٌّ منهم:

ما شَأني بالسُّلْطانِ -

أَعنّي، يا أَللّهْ،

اتركني في هذا القَبْوِ، بعيداً
عنهُ:

أَحيا حُرّاً

لِلشِعرِ،

لِوجه الشّعر،

وَوَجْهِ نبيذٍ عالٍ،

وَاأَبتاهْ!

- ض -

في الزّقاقِ تجمّعْنَ يبكين، يرقصْنَ:

هذا

عرُسُ العائدينْ.

أَلنَّوافذ شمسٌ لِمن كان حيّاً

والغبارُ ستارٌ على الميّتينْ.

رجلٌ وامرأَهْ

يومئانِ وحيدين في آخر الزّقاقِ

إلى نجمةٍ مُطفأَهْ.

❊ روميّاتٌ

بثيابٍ من رُمّانِ

والطرقات قلائد وَرْدٍ:

الأحمر، هذا اليومَ، أميرٌ.

٢٢٧ هـ.

- ٧١ -

في خراسانَ،
لا شَهْرزَادُ، ولا شَهرياز
في خراسانَ،
يخرجُ شخصٌ
يَرجّ مداميكها،
إِسمهُ المازَياز.

- ظ -

إِنْفتحْ، أيّها اللّيْلُ، لا مِثْلَ قَبْرِ
بل كمثل السّريرِ،
ولا بأسَ أن ترقدَ الحربُ حول الوسادةِ،
كي يتوحّدَ ماءُ السّديم
وماء الوجودْ

وابْتعد، لا تَعُدْ
ألجمالُ متى سالَ في نهر أشواقِنا،
لا يعودْ.

❊ عندما تشهدون القَمرْ
وَشْوشوا البحرَ غطّوا سريرَ مناماتهِ
بشراع السّفَرْ.

۲۲٥ هـ.

- ٧٢ -

أُسِرَ المازيارُ، وقالوا:
ماتَ تَحت السّياطِ، وقالوا:
صلبوهُ على جِسر بغدادَ،
أَصْحابُه
وأَتْباعهُ -
قُتِل الأكرمونَ الإعزّاءُ مِنهم.

- غ -

لا تقلْ، أيّها الشرق، هيّأت نفسي
وضبطتُ مواعيدَها.
لا تقلْ، أيّها الغربُ، وَجّهت وجهي
لِلّقاءِ - الطّريقُ هنا
وهناكَ، امحّاءٌ.

والهواءُ يقول الهواءُ
لم يحن بعد يومُ اللّقاءُ.

❊ وجه زيتونةٍ
ضاربٌ في تخوم الشّفَقْ، -
أترانيَ أقسم من أوّلٍ:
والضّحى، لالقاءٌ، ولا مُفترَقْ!

هوامش



لا تـعـذلِ الـمـشـتـاقَ فـي أشـواقـهِ

حّتى يكـونَ حشـاكَ في أحـشـائـهِ،

إن الـقـتـيـلَ، مُـضـرَّجـاً بـدمـوعـهِ،

مِـثـلُ الـقـتـيـلِ، مُـضـرَّجـاً بـدمـائـهِ.

المتنبي

المغني المشهور، مات سنة ٢٣٥ هـ.

إسحاق الموصلي

ليت لي أن أغنّي
أن أرى زَمني يَتغَنَّى
بالنّواسيّ، في قلبِ هذي المدينَهْ
كي يؤاسيَ أوجاعَها،
ويؤالفَ ما بين أحلامِها وخُطاهَا
وَيُفَتِّقَ أسرارَها.

ليت لي أن أديرَ عليها
كأسَ أوجاعيَ الدّفينَهْ.

القاضي أحمد بن أبي دؤاد

«كان داعيةً إلى القول بخلق القرآن. أخذ ذلك عن بِشر المزيسي، عن الجهم بن صفوان عن الجعد بن درهم عن أبان بن سمعان، عن طالوت ابن أخت لبيد الأعصم و«أخذه طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحرَ النبيّ، وكان يقول بخلق التّوراة». مات سنة ٢٤٠ هـ.

نجمةٌ فوقنا، سألتْنا:

كيف تسمو حياةٌ

يتألّه فيها الكلام، ويُصبح أرفعَ منها وأَغْلى؟

نجمةٌ فوقَنا

تتقفّى خطانا،

تتقرّب، تلمس أكتافَنا

تتناءَى، تعود ـ تريد الإقامة ما بيننا.

أَتُرانا الفضاءُ الأَحَبُّ إليها؟

توفي سنة ٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م أمضى في السّجن ثمانية وعشرين شهراً، لامتناعه عن القول بخلق القرآن.

أحمد بن حنبل

بين السّجن وقول مقالٍ لا يرتاحُ إليهِ،
آثرَ ليلَ السّجْنِ: الفكرةُ، حيناً، جرحٌ
حيناً سكّينٌ،
حيناً ضوءٌ.

ألهذا نَفْنى
كي تتجدّد نارُ المعنى؟

الحارث المحاسبيّ

مات سنة ٢٤٣ هـ/ ٨٥٧ م. لم يُصلّ عليه إلاّ أربعة أشخاص. هجره الإمام أحمد بن حنبل، وهجرته العامّة معه، لأنه اهتمّ بعلم الكلام.

ـ أ ـ

لم يُصلِّ عليه سوى أَربَعهْ.

ـ ب ـ

هرباً من رعَاعٍ
لا يرونَ طريقاً إلى الدّين إلاّ التعصّبَ
والقتل، عاش وحيداً،
وماتَ وحيداً.

ـ ج ـ

قال: «لا أعلَمُ» ـ
و «توهَّمَ» /
أعمقُ ما يعرف المرءُ مُسْتَوهَمُ.

إبن كُريب

محمد بن العلاء ابن كريب الهمدانيّ. أوصى أن تدفن معه كتبه، فدفنت. مات سنة ٢٤٣ هـ.

عند موتي، احْملوني كأني كتابٌ
وضعوا كتبي عند رأسي،
وادفنونا معاً.

لغةُ الشيء أَنْقى وأَبْقى
والتّعاليم لَغْوٌ.

ابن منيع

يقال إنه من «أقران ابن حنبل في العلم». «بيع جميع ما يملك بعد موته بأربعةِ وعشرين درهماً». مات سنة ٢٤٤ هـ.

بكت الأرضُ على جثمانهِ

وأمالَتْ كتفيها صوبَهُ

وَشْوشَتْ أعشَابَها:

«كان مِثْلي

لم يكن يملكُ إلاّ ثوْبَهُ».

قتل بأمر من المتوكّل، سنة ٢٤٥ هـ. أمرَ غلمانه من الأتراك، فداسوا بطنه وحمل إلى داره حيث مات. والسبب، كما قيل، هو أنه فضّل الحسن والحسين على ابني المتوكّل اللذين كان مؤدّباً لهما.

ابن السكّيت

شمسُ هذا الصّباح تدقّ على البابِ. أنهَضُ،
تأخذ جسميَ من كتفيهِ، وتركضُ. مَهْلاً،
قلتُ. هذا شارعٌ ـ غابَةٌ تُصلّي.
خذيني إلى شارعٍ آخرِ
أتعلّم رفضيَ فيه ـ
صِرْتُ أشتاقُ أن ألتقي غابةً ثانيهْ
وأرى بين أشجارها
شجراً كافِراً
وأرى بين أعشابها
نبتةً زانيهْ.

ذو النون المصري

ـ أ ـ

ـ قالوا[1]: عِلمكَ لم يتكلّم فيه سَلَفٌ. أَحدثتَ.
وقالوا: زنديقٌ أنتَ، ومبتدعٌ.
ـ «ومالي سوى الإطراقِ والصّمت حيلةٌ
ووضعيَ كفّي تحت خدّي، وتذكاري»

ـ ب ـ

ـ تُبْتَ؟ وكيفَ؟ لماذا؟
ـ في الصَّحْراءِ.
نمتُ، فتحتُ جفوني:
قبّرةٌ عمياءُ
سقطت مِن وِكْرٍ، ـ
الأرض انشقّت، خرجت فيها سُكْرُجتانِ:
السّمْسمُ في واحدةٍ، في الأخرى ماءٌ.
فأكلتُ، شربْتُ، وقلتُ:
حسبي الآنَ، وتُبْتُ.
ولزمتُ البابَ إلى أن قيل: قُبِلْتُ.

لمّا ماتَ، اصْطُفّتْ
لِتُظَلِّلَهُ،
أسرابُ طيورٍ.

مات سنة ٢٤٦ هـ. أو ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م. سجن في بغداد بتهمة الزندقة. وأطلق المتوكّل سراحه. كان يلقب بـ «قطب الوقت». ومن أبرز تلاميذه أبو يزيد البسطامي.

(١) حوار بين ذي النون وأخيه.

مات سنة ٢٤٧ هـ.

ديك الجنّ الحمصي

أحرقَ الحبَّ مِن نَشْوةِ
أَحْرَقَ الحبَّ من حيرةِ
أحرق الحبّ من شغف الظّنّ، من شَغَفِ الشكّ
في حبّه، واحترقْ.

أَتُراني أمثّل ما عاشَهُ ـ
أَنحني فوق ذاك التّراب الذي ضَمّها
وأوشوش قلبي: تقلَّبْ،
وَاضْطَجِبْ حلباً والمسافاتِ والأرضَ،
واهبطْ
في الغياهبِ، في جَمْر هذا الغَسَقْ.

عليّ بن الجهم

بيتُ جراحٍ يعيش في هلَعٍ
ويَسْتضيف الجراحَ والهلعا
راحَ إلى الرّوم كي يحاربهم
لكنه في طريقه صُرعا
كأنّ تاريخ أرضه كتبٌ
يقرأ فيها الحِرابَ والوَدعَا
«وارحمتا للغريب في البلد النّازح
ماذا بنفسه صنعا؟
فارقَ أحبابَه، فما انتفعوا
بالعيش من بعدِهِ، وما انتفعا».

قُتل سنة ٢٤٩ هـ. حُبس ونُفي، وفي أواخر حياته عاش ماجناً عابثاً، زهداً بالعالم وسخرية منه.

قتله بعض الأعراب اللّصوص من كلب، قرب حلب. وكان في طريقه للمشاركة في الحرب ضد الرّوم، وهو في حوالى الستين من عمره. والبيتان الأخيران وُجدا معه على رقعةٍ حين نزعت ثيابه، بعد موته. يقول في إحدى قصائده: وأحكمه التّدريبُ حتّى كأنّه
يُعاين من أسراره ما تَوهّما.

V

الضّوء؟

لا يكشف من الأشياء إلاّ حجابها الأكثر قرباً   تبقى
الأشياء وراء حجبٍ لا يمزقها الضّوء

كان يردّد ذلك في نفسه   فيما كانت القلعة تتزنّر
بسياج من هباء البشر الذين ماتوا لكي يغلقوها أو الذين
ماتوا لكي يفتحوها   وفيما كان يخيّل إليه أنّ التّاريخ
أوراق تتطاير في غبار يتطاير. وأخذت أحجار القلعة
تنتظم في جوقة ـ كلّ حجرٍ صوت، وبدأت تُملي
عليه، ـ

أ ـ بَشرٌ يملأون الأروقةَ والأقبيةَ بالكلام   لكن
دون أن ينطق أيٌّ منهم بأيّة كلمة.

ب ـ بَشَرٌ في مقام الصفر يجلسون تحت ظل
الواحد.

ج ـ امرأة تتحدَّث مع نهديها.

د ـ زمَنٌ، ـ
قنديلٌ أسود يتدلّى من سقف الأبديّة.

هـ ـ كلاّ،

لا ليلك يُحرّر اليدين،

ولا نهارك يحرّك القدمين:

يكفيك، أيها الزّمن

أن تصلبَ جسد المكان.

و ـ النّردُ نفسه يشكّ في المصادفة.

ز ـ لم يكن أرباب القلعة عاجزين عن قتل مدنٍ بكامِلها، وكان كلّ منهم عاجزاً عن قراءة كتابٍ واحد.

ح ـ الفجرُ تكرارٌ

لكنّه، دائماً، بداية.

الفجرُ؟ هل كان القبو فجراً هو الآخر، في نظر الآمرين بعمارته ومهندسيه وبَنّائيه والسّاهرين عليه؟

«أمرَ بعمارته

مولانا السّلطان الملك الظاهر العالم العادل المجاهد المرابط المنصور المظفّر الغازي عماد الدنيا والدين أبو المظفر بن يوسف بن أيوب ناصر أمير المؤمنين».

وهل كان هذا القبو سعيداً إلى هذه الدّرجة؟

لم أكد أطرح هذا السؤال موشوشاً ضوءَ الشمس، حتى أخذني قبو آخر يبدو أنه أكثر سعادة، ـ

«أمرَ بعمارته

مولانا السّلطان الملك العزيز غياث الدّنيا والدّين ركن الإسلام والمسلمين نسل الملوك والسّلاطين خلّد اللّه ملكه».

فيما كان يخرج ملتفتاً إلى القلعة يودّعها، كانت تخرج من جدرانها التي ترقّعها خِرَق العصور أشباحٌ مدجّجة بالسّلاح تتنافَس على الأسلاب التي تركها المهزومون غزوٌ داخل الغزو على الأكتاف رؤوسٌ تنتمي إلى أكتافٍ أخرى على النحور سواعد كانت تتحرّك فوق نحورٍ أخرى قطعان جامحة لا يروّضها إلا الذّهب ذبحٌ ورقص تحت سقفٍ واحد مأتمٌ وعرسٌ في لحظة واحدة.

وانظروا: يدبُّ المال في الشوارع كأنه النّمل والأيدي كلّها تسرق الأرض باسم السّماء أو تسرق الثانية باسم الأولى.

بلى، لا بدّ لمن يريد أن يدرس فيزياء المدينة، من أن يدرس أوّلاً كيمياء الشّهوات.

خارج القلعة،
شيخ يتوكأ على عُكّاز،
لِلعُكّاز رأس امرأة، وطرَفُهُ الأسفل دقيقٌ كرأس
الحربة.

سوقٌ بسقفٍ مليءٍ بالثقوب تنزل منه أَشعة الشّمس في
أشكال الدنانير   سوق بجدران تزيّنها بسطٌ بدوية
حمراء سوداء. حانوت عقاقير وأعشاب طبيّة ومراهم
ومقوّيات ومشهيّات. شراب الرأس للحكمة
شراب القلب للمحبّة   طلاسم لأسافل الجسد وأعاليه
حانوت بشكل محراب   امرأة تسير فاتحة مظلة سوداءَ
لوقاية بياضها من حرارة الشمس   امرأة بلباس أسود
يزيد وجهها بياضاً   مسجدٌ يُرمَّم آخر يُبني   مكتبة
ـ لاكتب، بل أقلام ودفاتر.

بدأت الظلمة تطرد الشّمس   أخذت تتربع على حافّة
الأفق على الجدران والأبواب والنوافذ   على
أغصان الشجر والمآذن   على رؤوس المارّة

خارج القلعة   في المدينة القديمة يسير على ترابٍ
سبقته إليه خطوات المتنبي. ربّما تعانق أثر خطواتهما

وغبارها. حوله من جميع الجهات غبارٌ آخر لا يراه
لا يحسّ به إلاّ القلب

أخذه الشعور بالوحدة وهو في وسط الجموع   شعر
أن خطواته تتخاصم: بعضها يطارد بعضاً وبعضها ينفي
بعضاً

آه كلاّ ولم يكن ذلك إلاّ توهّماً

كان يسير في مكانٍ آخر.

رأى في المدينة زاي هيكلاً مدوّراً بسبعة أبواب،

«للهيكل قبّة في أعلاها جوهرة أكبر من رأس
الثّور تضيء ساحات الهيكل، ولا يدنو أحدٌ من
الجوهرة إلا سقطَ ميتاً.

وفي الهيكل بئرٌ مثلّثة الرأس، متى أكبَّ الإنسان
فوقها، تطوّح فيها إلى الأسافل   على رأس البئر
طوقٌ كُتب عليه:

«هذه بئرٌ تؤدّي إلى كتب الدّنيا وعلوم السّماء

وما كان في ما مضى من الدّهر

وما يكون في ما يأتي.

لا يصل إليها ويقتبس منها إلا من وَازَتْ قدرته

قدرتَنا، واتّصل علمه بعلمنا، وصارت حكمته
كحكمتنا».

منذ أن يقع بصَر الإنسان على الهيكل،
يقع في نفسه جزَعٌ وحزنٌ واجتذابٌ وحنين.

وكان حاكم المدينة سين، حين لا يثق بوزرائه وعمّاله يسلّط على رعيّته ناراً تحكم

تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم

ومرّة رأى في ساحة قصره جماعةً رأى ناراً تخرج إليهم وتأكلهم ثم دنت منها جماعةٌ ثانية فأخذت النار ترجع إلى الوراء حتى انطفأت.

وقال أبجد:

رأيت في المدينة شين فقراءَ في أعناقهم وأيديهم أطواقٌ من الحديد، يتقدّمهم رجلٌ أسود رأيته يأخذ حطباً ويضرم فيه النّار ثم أخذوا جميعاً يرقصون في النّار أما هو فلبس قميصاً رقيقاً وأخذ يتقلّب في اللّهيب ويضربه بأكمامه صارت النار رماداً ولم يحترق القميص.»

*

ويوماً فوجئت المدينة شين

«أمر الحاكم أن ترفع الضرائب عن أهلها، وأن يتساوى فيها الغني والفقير قال لهم إذا سمع بإنسان مات جوعاً في شارع أوحيّ فسوف يحرقه لكن ذلك لم يدم.»

الذّكرى

V

المدينة فاء

كل شيء في المدينة فاء يقول لك:
«الأمس زائل، واليوم عابر، والغد متهم».

❊

الفضاء في المدينة فاء،
بيوت يسكنها ضيوف غير منظورين. وكيفما نظرت،
ترى مسرحاً ترصف عليه الرؤوس أدراجاً للصعود.

❊

في المدينة فاء،
يُكسر الزمن كما يُكسر الجَوز.

❊

في المدينة فاء،
تصاد اللانهاية بالراحات، وغبار الخطوات هو نفسه
صياد الوقت.

❊

قلما يسمع في المدينة فاء إلا ما يشبه هذا الهمس:
ـ «هل بطنه جِرابٌ لكي يُفْتَح؟»
ـ «هل جسده قمح لكي يُطْحَن؟».

❊

يُخيّل، أحياناً، أنّ الإنسان في المدينة فاء أشبه بخيط
طرفه الأول اللّهب الذي يخرج من فم الشيطان، وطرفه الثاني
اللّهاث الذي يصعد من فم الملاك.

*

من أين لك، أيتها المدينة فاء،
أن يتحوّل رأسك إلى نرد، ونبضك إلى رمية نَرْد؟
من أين لك القدرة على الجلوس في حضن عشبة،
وعلى أَن تُجْلِسي بين يديك طائر الوقت؟
من أين لك أن تترجمي الريح؟

*

هو، في المدينة فاء، ليس هو
في رأسه تنزف رؤوس، وتحت لسانه تتسلّل ألسنة.
يخاف أن يُحيّي البحر. يخاف أن يشمّ وردةً. ويسأل دائماً:
ماذا أفعل بحياتي؟

*

ألم يكن يكفي ذلك الشاعر عبء الولادة في المدينة
فاء،
حتى ينضاف كذلك عبء الموت فيها؟

*

عندما سيزور المدينة فاء مرّةً ثانية، (إن سمح العمر
والوقت)،
سيصاحب غيوماً تحجبُ عنه الجِنّ.
سيقول لواحدةٍ: أظلّيني،
وسوف يأمر أخرى لتنظر هل غاض ماء الحبّ؟

المدينة صاد

هو، الحارس على الشمس، في المدينة صاد،
ذهنه كالهواء،
لا يصادف أيّة عقبة، كيفما فكر، وأينما اتجه.

❊

هو، في المدينة صاد،
لا يكتفي بأن يخضع، بل يبحث أيضاً عن أَعذار تبرىء
من يخضع له.

❊

يخيل، غالباً، في المدينة صاد،
أن العالم كله مكان لكي يتساقط ورق الشجر، ولكي
تلهوَ الريح.

❊

لم يَسر مرة، في المدينة صاد،
إلا رأى الحلم يسير إلى جانبه، لكن مقيّداً.

❊

لكي يعرف كيف يكتب عن المدينة صاد،
يفكر بغيرها.

❊

قد يكون جسدك، في المدينة صاد، جنّةً
وتكون حياتك مع ذلك جحيماً.

*

ما لن تكونه أبداً،
هو الكيان الوحيد الذي يتاح لك، في المدينة صاد،
أن تحلم به،
وأن تعمل من أجله.

*

في المدينة صاد،
جسدك، حتى وهو في الظلمة، يكون في النور،
وذهنك، حتى وهو في النور، يكون في الظلمة.

*

كأنك، في المدينة صاد، لا تلتقي مع نفسك، إلا بقدر ما تَضيعُ عنها.

*

أقول، مع ذلك،
أحلم أن أحوِّل كل حجرٍ في المدينة صاد،
إلى إناء أضع فيه وردةً، كل يوم.

أقول، مع ذلك،

لو أن الساعات التي تعيشها المدينة صاد ملكٌ لي،
لَصَنَعْتُ من كل ساعةٍ كرسيّاً، وأجلستها عليه.

أقول، مع ذلك،
أتتلمذ على أطفال المدينة صاد، وأملأُ جسدي بغبار طلعها.

أقول، مع ذلك،
ينثرني الزمن بين يديها ذَرَّةً ذَرَّةً، يوماً يوماً، ساعةً ساعةً، ومع ذلك تسكت ولا تقول شيئاً.
إذن، ماذا يجدي، أيتها الريح، تَمايُلُ هذا الغصن؟
ماذا يجدي أن أقطف زهرة من بستان المعنى، وأضيفها إلى غابة الشكل؟

أقول، مع ذلك،
أودّعك الآن يا دوّار الشمس في المدينة صاد.
ماذا؟ تدور مع شمسي، وتتوّجني بنظراتك؟
عهداً،
سنظل صديقين في بستان المعنى.

المدينة قاف

«. . . انتقد ما شئت، كما تشاء. نعم، الماضي بالنسبة إليّ أفضل من الحاضر، وأجمل. وأعرف أن المدينة قاف تقودني إلى العدم. غير أنني مع ذلك، متضامن معها.

ثم، ما هذا الوجود الذي تقودك إليه المدن الأخرى؟»

(فقرة من آخر رسالة بعث بها كاتب من المدينة قاف إلى صديق له في مدينةٍ أخرى).

❊

كل عصيان سياسة في المدينة قاف، حتى ولو عصيت قاعدة فنية. ذلك أن القاعدة ترويضٌ اجتماعي: طاعة واتباع، ورفضها يعني رفضاً للنظام، واستمرارٌ في البِدْعة والضّلال.

❊

المدينة قاف مدينة من الأشياء،

لكن لا وجود فيها إلا للكلمات.

❊

يدور الحوار في المدينة قاف بين طرفين: ما يراه الطرف الأول مربّعاً، يراه الطرف الثاني مستطيلاً. ويمضي كل منهما حياته في النضال من أجل إقناع الآخر بصحة رأيه.

إن كان عليك، إذن، أن تتكلّم، أيّها العابر، كما يتكلم الجميع، فما تكون الحاجة آنذاك إلى الكلام؟

❊

مرّة، قال شاعر في جلسة مع أصدقائه في المدينة قاف:

«ليكن الفنُّ لذّةً كلذة الحب: لا يهدف ـ لا إلى إرضاء المجتمع، ولا إلى إزعاجه، لا إلى قبوله، ولا إلى رفضه...»، ـ منذ تلك الجلسة، لم يسمع أحدٌ شيئاً عنه.

❊

هناك، في المدينة قاف، كتبٌ كثيرة يكتبها أصحابها بحرية، كما يُقال.

ـ ربما. لكن قراءتها لا تفتح أيّ أفقٍ للحرية.

❊

«الفكر إما أنه الموج، أولا يكون إلا رَمْلاً»: منشور سرّي أتيح لي أن أقرأه في المدينة قاف.

❊

مهما مشيت إلى الأمام في المدينة قاف، فإن الوراء يتقدّمك.

❊

ليس الإنسان في المدينة قاف هو الذي يؤثِّر، بل الحدث ـ آتياً من «فوق» أو من «خارج». الإنسان وسيلة، وهو في أحسن الحالات، شاهِدٌ. يعيش في ظل الحدث، وتحته.

*

مات رجل في المدينة قاف، بعد أن كتب على ورقة كبيرة هذه الكلمة الغامضة عن أحد أصدقائه:

«يظنّ أن الغامض هو في ما لا يعرفه ولا يراه، وهذا ظنٌّ خاطىء.

إن كان الغامض يهمه، فعليه أن يبحث عنه في ما يعرفه، وفي ما يراه».

*

«لا يقدر الإنسان أن يمارس السياسة في المدينة قاف، لأنه لا يقدر أن يتحدث عنها: كيف يعمل الإنسان في ما لا يقدر أن يقوله؟

السياسة هي أولاً، قدرة على الكلام»، ـ

منشور سرّي أتيح لي أيضاً أن أقرأه، في زيارة أخيرة لهذه المدينة.

*

قال الطاغية في المدينة قاف لمهرِّجه:

ـ كمال الشعر هو الغاية التي أسعى إلى تحقيقها.

قال المهرِّج:

ـ الوسيلة الوحيدة إلى ذلك هي القضاء على الشعراء.

المدينة راء

الزمن في المدينة راء،
هو دائماً للذين يعيشون خارجه.
لا شيء، في اللغة التي تتكلمها المدينة راء، موجودٌ
بقوّة التوهم، كذلك الشيء الذي تسميه الحرية.

❋

الحب في المدينة راء؟
هو أن تدرس، مثلاً، أثر الطير في الفضاء، أو تأثير
الشّجرة على الرّيح.

❋

المدينة راء مرصوفةٌ بجماجم تسمى جنائن، وبأفخاذ
تسمى أنهاراً.

❋

جميع الكتب التي رأيتها في المدينة راء مليئة بالقبور.
خيِّل اليّ، مرة، أن كل كلمة فيها ليست إلا قبراً أو شاهدة.
كأنَّ الإنسان في هذه المدينة لا يحيا إلاّ ميتاً.

❋

الفكرة في المدينة راء،
ناقة ترفض أن تحمل الرؤوس المقطوعة.

❋

الضحيّة في المدينة راء،
هي نفسها القاضي والشاهد والجلاّد.

❋

تتعذر رؤية المدينة راء،
إلاّ عنقاً نازفاً مشدوداً إلى قدميها.
هكذا تؤكد المدينة راء أن الانحناء هو أفضل سلم للصعود.

❋

غرب، غروب، غبار:
كلمات تتخذ منها المدينة راء رموزاً،
ومن هذه الرموز تتخذ أبواباً ومفاتيح.

❋

قانون الحياة اليومية في المدينة راء هو: إمّا أن تقتل الآخر، وإمّا أن يقتلك، ـ
لكن، أيتها الوردة، ماذا دهاك، وكيف وصلت إلى هنا، ومن أوصلك إلى فوهة هذا المدفع؟

❋

كل صباح، في المدينة راء،
تمتلىء السماء بأصواتٍ ترتفع كمثل أعمدة لسجونٍ بنيت خصيصاً للأحلام والنساء.

❋

الضحيّة في المدينة راء، هي دائماً الإنسان،
لكن من أجل أهداف غير إنسانية.

❋

«ما يقوله السيف يكفي أن يفهمه الدم»:
تكرر المدينة راء، كل يوم، لكي تطمئن جلاديها.

❋

ولدت المدينة راء ـ
في يدها اليمنى سكين.
وفي يدها اليسرى وسادة.

❋

أينما رؤي دخان، يقال عادةً: لا دخان بلا نار،
إلا في المدينة راء ـ
ليست النار هي التي تصنع الدخان،
بل الغبار هو الذي يصنعه.

❋

«لا تفكّر، لا تقرأ، ـ
بهذه الطريقة، وحدها، تستطيع أن تتغلب على الفكر الذي يعارضك، وأن تلغيه».
هكذا قالت المدينة راء.



V

أَذا الحَرْب قَدْ أَتْعَبْتَهَا، فَالْهُ ساعةً

لِيُغْمَد نَصْلٌ أو يُحَلَّ حِزامُ.

المتنبي

٢٢٦هـ.

- ٧٣ -

سُجِنَ الإفشينُ،

قُتل الإفشينُ،

صُلب الإفشينُ -

تُهَمٌ شتّى:

منها أنّ كتابَ «كليلةَ» والعفريت

الآخر «دُمنةَ» كان لديهِ:

كان مُحلّى ذهباً وجواهرَ. مِنها:

تمثالٌ مِن خشَبٍ، في أذنيهِ

قُرْطانِ، ومنها صُوَرٌ في

البيتِ، وقالوا: كتبٌ لمجوسٍ.

وأضافوا: أصنامٌ.

يا للكافرِ، ما أجرمَه، ما أتْفَه

عَقله!

أُخرِقَ، ذُرِّيَ في دِجلَهْ!

- أ -

حلَبٌ تسكن الحربَ، كلّ الدُّورب إليها

جِراحٌ

كيف أُقْنِع صوتي

أن يفيءَ إلى بلدٍ آخَرٍ؟

آهِ، لا بلَدٌ آخَرُ

ولماذا الخرائِطُ أضيقُ مِن خطواتِكَ،

يا أيّها الشّاعِرُ؟

* خطواتٌ

لا تُنافس غيرَ النّجوم وغيرَ اللّهَبْ

وأنا مُتعَبٌ - تعبي عاشِقٌ

وجراحِي حقولٌ لِوَرْد التّعَبْ.

٢٢٧هـ.

- ٧٤ -

يتبرقَعُ[1] كي لا يُرَى
ويطوفُ القُرى،
داعياً يأمرُ الناسَ بالعدلِ
والخَيْر،
يَستنكر المنكرَا
حبسوهُ
وفي حبسهِ، خَنقوهُ.

- ب -

للجنود الذي يموتونَ في أَرضرومِ
بيوتٌ،
والملائِكُ حُرّاسُها -
للجنود الذين يعودون، هَالاتُ وَجْدٍ:
كلّ شَخْصٍ يَجيءُ
ليلمسَ أردانَهم،
ويَرى كيف أنّ السّماءْ
فُصِّلت
كي تكونَ لأجسامِهم رداءْ!

* أغلقوا كلّ بابٍ عليه، وقالوا:
عانِق الموتَ، واصعدْ إلى ملكوتِ
السّماءْ
كي تريحك من رِبْقة الشّقاءْ.

(١) هو المبرقع أبو حرب اليماني. يقال إنه قتل جنديًا اعتدى على زوجته، وهرب متبرقعاً لئلاّ يعرف، داعياً إلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. وقيل: استجاب له أهل القرى، وقويت شوكته. أسره المعتصم وحبسه. وقتل في سجنه، خنقاً، سنة ٢٢٧هـ.

- ٧٥ -

يسخر الثائرون من الموتِ،

كلٌّ يُردّد ما قالَهُ عليٌّ(٣)

مرّةً، في القتالِ:

«لا أبالي،

سواءٌ لديّ - أجئتُ

إلى الموتِ،

أم جاءني».

- ج -

سُمّيتْ غزوةَ الفَناءْ:

جيشُه كلّه انْكسَر(١)

بادَ، لم يبقَ إلاّ

نَفَرٌ ستّةٌ - وأنا واحِدٌ منهُم.

كان يَسْتأصِلُ الرُّومَ، كنت أراهُ

يَرجّ المكانْ

كنت أحسب أن الشّجَرْ

خُوَذٌ للعدوِّ، فوارسُ، كنتُ أصيحُ:

«الأمانَ الأمانْ،

أيّها العِلْجُ».

- «لا عِلْجَ(٢). هذا سَمُرٌ عالِقٌ بثيابكَ»: يحنو

ويهتف بي ضاحكاً:

- عَفْو سيفكَ، عفو الفروسةِ: رعبُ الفناءْ

جرّني مثلَ طِفْلٍ لهذا الهُذَاءْ.

---

* حفرةٌ، رأسُ مَيْتٍ

وغرابٌ على الرأس يجثو:

صورةٌ تتكرّر في كلّ شَمْسٍ.

(١) الإشارة إلى سيف الدّولة.

(٢) الكلام لسيف الدّولة مخاطباً المتنبي.

(٣) علي بن أبي طالب.

٢٢٩هـ.

- ٧٦ -

حَبسوا كتّاباً[١] -

قالوا: أخذوا منهم

أموالاً.

والتّهمة: ظلمُ النّاسِ،

السَّرِقاتُ،

وقالوا:

سَمّوْهُم خَوَنَهْ!

- د -

خَرْشَنَهْ

أسْلمت صدرَها للخيولِ وأطرافَها للرِّماحْ.

خَرْشَنَهْ

جُثَثٌ أو جراحْ.

خَرشنَهْ

خوذةٌ تتقَصّى، تنقّب أحشاءَها

خوذةٌ تتشهّد فيها،

خوذةٌ مِئْذنَهْ.

* لِمَ لا يكتب الذين يعيشون في الخُلْدِ، عَمّا يرون، إلى الأصدقاءْ؟
ولِمَ الغيب يجهل أن يَسْقيَ الماءَ إلاّ بقارورةِ الأنبياءْ؟

(١) حبسهم الخليفة الواثق الذي خلف المعتصم بعد موته، سنة ٢٢٧هـ.

٢٣٠هـ.

- ٧٧ -

الأَعرابُ قطيعُ ذئابٍ
وبُغَا[1] صيّادٌ.
قالوا: لم يُفلِت أحَدٌ.

- هـ -

بَطْرقيّون أَسْرى
والدّمستق يجترّ أوجاعَهُ.
أَلذُّهولُ الأليمُ الذُّهولْ
مُدْبرٌ مُقْبِلٌ
في السّيوف، على صهوات الخيولْ
والدّمستقُ يجترّ أوجاعَهُ
لم يعد قادراً
أن يُميّزَ بين أنين الفرَسْ
ورَنين الجرَسْ.

* لا تبتئسي، كوني مِثلي، يا أهوائي:
ليس الموتُ أمامي،
الموتُ ورائي.

(١) بُغا الكبير، وقد وَجّهه الخليفة الواثق لمحاربة الأعراب في الحجاز.

٢٣١هـ.

- ٧٨ -

- أ -

«صَلّيتُ عليهِ[١]
صَلّى الناس جميعاً
بعد سنينٍ سَبْعٍ من
مَقتَلهِ.
كان الرأسُ وحيداً
مصلوباً في بغدادَ، قريباً
مِن مسكنهِ،
والجسم وحيدٌ
في سامرّاءَ:
بكتِ الخشبَهْ
وبكى الحِنّاءُ»[٢].

(١) الإشارة إلى أحمد بن نصر الخزاعي الذي قتل وصلب لأنه رفض القول بخلق القرآن، والنصّ بلسان أحد أصحابه.

(٢) كان يخضب شعره بالحنّاء.

- و -

آلِسّ، -
أيّها النّهرُ، تحت الثياب التي ترتديها
جسَدٌ ليس فيه مكانٌ
للحِراب، لجرحٍ جديدٍ.
ما تقولُ لمِجراكَ، للضّفتيْنِ؟ سأُصْغي.

لستَ إلاّ دماً -
ألهواءُ الذي لامَسَ الآنَ خَدَّيْكَ دامٍ،
صَبغتْهُ يَداكْ
وخُطَى العابرينَ دَمٌ يتدفّق، مُسْتَقْطَراً
مِن خُطاكْ.

* قل ليَ: ماذا أفعلُ
في وطَنٍ يُرْتَجَلُ؟

٢٣١هـ.

- ب -

قال لقاتله[1]:

«نطفةُ سكرانٍ أَنت

انسابَتْ في جاريةٍ.

مَنْ أنتَ،

وكيف يجيء لرأسكَ عِلْمٌ؟».

- ز -

أيّهذا الفضاءُ النقيُّ البريءُ،

لِمَ لا يَسْطَعُ اللَّهُ فيكَ، احتفاءً

بابتهالاتِنا إليهِ

وبأشواقِنا؟ لماذا

حين نُعطي لآهاتِنا

ولأحلامنا

ولأيامِنا

شفتيه وأهدابَهُ، لا يُضيءُ؟

❊ ألقناعُ هو الوَجْهُ، قالت وردةٌ -

وردةٌ عِطرُها قبرُها.

(١) الخليفة الواثق. ويُروى أنه دعا بنطع صُيّر في وسط الخزاعي، ودعا بحبلٍ لشدّ رأسه. ثم ضربه الواثق ضربتين على حبل العاتق وعلى رأسه. وضرب سيما الدمشقي عنقه، ثم صلب وكتب في أذنه رقعة، فيها: «هذا رأس الكافر المشرك الضالّ أحمد بن نصر بن مالك قتله الله على يدي عبد الله أمير المؤمنين الواثق بالله، بعد أن أقام عليه الحجّة في خلق القرآن، ونفي التشبيه. وعرض عليه التوبة، ومكّنه من الرجوع إلى الحقّ، فأبى إلاّ المعاندة. والحمد لله الذي عجّل به إلى ناره».

وُضع الذين شايعوه في السّجون، ومنعوا من الزوّار، وقطع نخل بعضهم، وانتهبت منازلهم. وقيل: إن أحدهم قال للخليفة الواثق وهو يقتله: «اسقني دمه، يا أمير المؤمنين!».

٢٣١هـ.

- ح -

ـ ما قولكَ في القرآنِ[1]؟

ـ كلامُ اللَّهِ،

ـ وماذا تَعني:

مخلوقٌ، أم لا؟

ـ قلتُ: كلامُ اللَّهِ،

ـ أَجِبْني: أتَرى ربَّكَ،

يومَ الحَشْرِ؟

ـ قرأنا

آثاراً قالت:

«في الحَشْرِ، ترون اللَّهَ

كمثلِ القمَرِ،

وأنا أومنُ حَقًّا

في صِحّةِ هذا الأَثَرِ».

- ح -

بين نَهْرَيْنِ مِن غَضَبٍ وانْحناءٍ

لِلقلاعِ وأَسْوارِها،

يتدفّق نَهْرُ قويقٍ.

وعلى ضِفّتَيْهِ

يَسمر السّاهرونَ: جِراحٌ

وأساطيرُ مخنوقةٌ.

* شاعِرٌ ـ غيرَ أنّ الطريقَ إلى قلبهِ،

دونَها فلواتٌ، ومحيطات ظَنٍّ.

أُغْفُري تيهَهُ وتيهي، يا طريقي إليهِ.

(١) حوار بين الواثق وبعض رجال قصره من جهة، والفقيه أحمد بن نصر الخزاعي من جهة ثانية.

ـ ط ـ

تثورُ عليكَ مِن سَفَهٍ قُشَيْرٌ
وتَمشي في أعنّتها كِلابُ
تُعاقبهم لِتَهْدِيَهِمْ، وتُغضي
كمثل أبٍ يؤرّقهُ العقابُ
«وكيف يتمُّ بأسُكَ في أناسٍ
تُصيبهُم، فيؤلمكَ المُصابُ»؟[٦]

ـ وَيْلَكَ، أُنظرْ ماذا
قلتَ...[١]

ـ...

ـ وما فتواكم فيهِ[٢]؟

ـ دمهُ حِلٌ[٣].

ـ لو أُسقَى دَمَهُ، يا مولاي[٤]،

ـ القتل يُحقّق ما تطلبهُ.

ـ تُطلَبُ منه التَّوبَةُ[٥].

ـ إنْ قمتُ إليه، لا يَنهضْ
أحدٌ منكم. فخطاي إليهِ
عند اللّهِ، أبَرُّ خُطايْ.
احْتُزَّ الرّأسُ / خذوهُ
دَلّوهُ، قولوا:
«هذا رأس الكافِرْ
... إلخ».

* تطبق الشمس أجفانها
حين ترنو إلينا.
لا ترى غير أرضٍ كُوّنَتْ لِلشّقاءْ
تتبختَرُ في جُبّةِ الأنبياءْ!

(١) الكلام لأحد الحضور المحاورين، ويدعى إسحاق بن إبراهيم.

(٢) سؤال من الخليفة الواثق.

(٣) جواب للقاضي عبد الرحمٰن بن إسحاق.

(٤) طلبَ ذلك شخصٌ يدعى أبو عبد الله الأرمنيّ.

(٥) الكلام للقاضي ابن أبي دؤاد.

(٦) البيت للمتني.

٢٣١هـ.

- د -

زمَنٌ مَشؤومٌ،-
آلافٌ أربعةٌ أسْرَى
عند الرّومِ، ولكن
مَنْ قال بِخَلْق القرآنِ،
سيُفْدَى ويُحرّرُ.
من يأبى،
سيظلُّ سجيناً عند الرُّومْ!

- ي -

أَتَى إليكَ رسولُ الرُّوم، فامتلأتْ
بالنّاسِ، ساحاتُكَ الفيحاءُ،
واشْتَجَرُوا
يَسْتَشْرِفونَ: بلادُ الرُّوم تجرفُها
ريحُ اليباسِ،
وأنتَ الغيمُ والمطَرُ.
«تزاحَمَ الجيشُ حتّى لم يجد سبباً
إلى بساطِكَ لي سَمْعٌ ولا بَصَرُ»[١].

(١) جلس سيف الدولة لاستقبال ملك الروم. ولم يقدر المتنبي أن يصل إليه لزحام النّاس، فعاتبه سيف الدّولة على غيابهِ. واعتذر المتنبي بأبياتٍ، منها هذا البيت الأخير.

* مَنْ تُرى ذلك الفارِسُ؟
لا يُخاصِمُ غير الكواكبِ،
والرّفضُ شيطانُه الحارِسُ.

٢٣١هـ.

ـ هـ ـ

إمْتحانٌ[1] لأهل الثُّغورِ:

تُراهمُ يقولونَ ما

يَرْتأي الواثِقُ ـ

«كلُّ شيء سوى اللّهِ من

خلقهِ، وهو الخالِقُ».

كلّهم أعلنوا جهاراً

ما يرى الواثِقُ ـ

ما عدا أربعَهْ:

أخذَ السّيف أعناقهم.

ـ ك ـ

أَرجلٌ كالرؤوسِ، رؤوسٌ

تتعثَّرُ بالأرجلِ ـ

ما عُقَيْلٌ وأنصارُهم؟

ما قُشَيْرٌ؟

وكِلابٌ وعجلانُهمْ، ونُمَيْرٌ؟[2]

بَشَرٌ،

يذهبون إلى نَهْب جيرانهم

وإلى قَتْلهم،

مِثلما يذهبون إلى مَحْفَلِ.

* ربّما لا تحبّ الحياة الكلامَ؛ الحياةُ شِبَاكٌ، وطرائق وَصْل وفصْلِ،
بين جسر تهدَّم فيها، وجسرِ
لم يزل قائماً.

(١) أمرَ به الخليفة الواثق: «هل القرآن مخلوق، أم غير مخلوق؟».

(٢) الفئات التي كانت تتمرّد على سيف الدّولة والبيت الأول تنويع على ما قاله المتنبي فيهم ـ هاربين:
«مَضَوْا متسابقي الأعضاء، فيهِ لأرؤسهم بأرجلهم عِثَارُ».

٢٣٢هـ.

- ٧٩ -

- أ -

حشدُ رؤوسٍ
مِن أبناء نُميرٍ،
حُزّت.
وُضِعت صَفًّا، صَفًّا
قُدّامَ بُغا:
لِبُغا ذَوقٌ في الفَتْكِ،
أميرًا!

- ل -

مُدنٌ قُيّدت
بِسلاسِلَ مَزْرُوَدةٍ
بالرّجالِ، ومَزْرودَةٍ بالنّساءْ.
مُدُنٌ - بعض ساحاتِها رؤوسٌ
بعضها أذرعٌ وصدورٌ.
مدنٌ تتغيَّر، كالغيم تأتي
وكالغيم تمضي.
مدنٌ ينهض الفجرُ فيها
شاحباً ويداهُ على قلبهِ.
مدُنٌ - كلّ جُدْرانِها دماءْ.

---

* ما لِتلك المنازلِ، تلك البيوتْ
كنساءٍ يقلن لعشاقهنّ: أبيحوا
موتكم بين أحضاننا
لا نقبّل إلاّ شفاهاً تموتْ.

٢٣٣هـ.

- ٨٠ -

قُتِل الزّياتُ[١]

وزيرُ الواثِق

أخذوا ما يملكُ مِن أموالٍ.

وضعوهُ في تنّورٍ. قالوا:

لمّا ماتَ، ابتهجَ ابْناهُ[٢].

قالا:

«حمداً لِلّهِ، ارتحنا مِنهُ».

كانَ كما وَصفاهُ،

في رأيِ الناسِ،

وزيراً فاسِقْ.

(١) محمد بن عبد الملك الزيّات.

(٢) هما: سليمان وعبيد الله.

- م -

وَجهُها

وجه مملكةٍ لمقابرَ من كلّ عَهْدٍ.

والقصيدة في هذه المدينة قَبْرٌ

يتحرَّكُ في اللّيل سِرّاً

ويزورُ القِلاعْ

خَرَسٌ في الضّفاف القريبةِ:

لا شيء يومئُ،

لا ريحَ،

لا موجةٌ،

لا شِراعْ.

---

* قَمرٌ نائمٌ فوقَ خَدّ التُرابِ

قَمرٌ يهدم الجِسْرَ

بين مزاميرهِ والكتابِ.

٢٣٤هـ.

ـ ٨١ ـ

أسَرَوهُ[1]، انتُبيحَتْ

كلّ أموالِه، وما عنده

مِن نساءٍ.

قيّدوهُ،

وصُيِّر في عنقهِ حديدٌ.

منعوا الماءَ عنهُ ـ

تركوهُ يموت ببطءٍ.

(١) الإشارة إلى محمد بن البعيث في أذربيجان.

ـ ن ـ

أَلتِّلالُ التي حول آلِسَ مملوءةٌ رؤوساً

لا عيونٌ لها،

وآذانُها قُطِّعتْ.

وضِفافُ قويْقٍ

حُفَرٌ وبقايا عظامٍ.

أَلمدائِنُ تلبس أشْلاءَها،

وتدور احتفاءً بسلطانِها.

أَلمكانُ هتافٌ لسِحر البيانِ الذي

يتبجَّسُ منها،

والزّمانُ انحناءٌ لبهتانِها.

* دمه للتراب، وأطرافُه للغيومْ

يسمع الماءَ يحلم، والضوء يكتبُ،

واللّيلَ يقرأ أشعاره للنّجومْ.

٢٣٥هـ.

- ٨٢ -

- أ -

أنتَ أَسْلَستَ[1] لي

صبَواتي، وعرّفتَني

بنفسي، وربَّيتَني -

كنتَ، في كلّ شيءٍ، أباً.

غيرَ أنّيَ لا بُدّ أن أقتلَكْ

إمْضِ واقْرَأْ هوانا

يا صديقيَ، مِن أوّلٍ،

في كتابِ الفلَكْ!

(١) الخليفة المتوكّل، مخاطباً الأمير إيتاخ الخزريّ، واليه على مكّة.

- س -

إنْ يَجِئْ موتهُ الآنَ في خَرْشَنَهْ،

فَأعيروا لجثمانهِ

كتِفَ الجامع العتيقِ وعُكّازَهُ.

وأعيروا لِجلبابهِ

قامَةَ المئذنَهْ.

* فكرٌ كمثل فقاعاتٍ يموج بها

ماء الحياةِ، - حياة الخالقِ الجسَدُ

يُسْتَقْطَرُ الفكر من حُمَّاهُ جامحةً

وفي حُمّياه نارُ الشعر تتّقِدُ.

٢٣٥هـ.

ـ ب ـ

في سامرّاءِ، رجلٌ[١] قالَ:
أَتَى جبريلُ إليَّ بهذا
المُصحَفِ ـ هذا
قرآنٌ
وأنا ذو القَرْنين!
ضربوهُ حتى ماتَ، وقالوا:
مجنونٌ! مِنْ أينَ لَهُ
أن يتحدّث مع جبريلٍ ـ
مِنْ أينْ؟

ـ ع ـ

أعْرِفُ: العُنُقُ أَبقى مِن السّيفِ،
لكن،
كيف، أنّى
متى يتوقّفُ طوفانُ
هذي الفؤوسْ
جارفاتٍ، تجرُّ تواريخَنا
وتجرّ الرُّؤوسْ؟

* بقيَ الحبر، لكنّما الكلمات امّحَتْ:
كان يُملي على ليلهِ،
رسالةَ حبٍّ.

(١) اسمه محمود بن الفرج النيسابوريّ.

- ف -

تلك هِنْريطُ تَعْنو،

وآمِدُ «يَبْيَضُّ بالسَّبْي»،

«خلف الفرنجةِ» ذعرٌ

والمدَى يتطاوَلُ في ناظريكْ[1].

قل لجيشكَ: مَهْلاً،

ترَفَّقْ بِهم،

مثلما عوّدتْهم ظُباكَ،

ومُدَّ لأوجاعهم يديكْ.

❊ أَلسَّبية هَدْباءُ، في عُنْقِها
جَرَسٌ خاشِعٌ، وبين يَدَيْها
وَجْهُ أيقونَةٍ.

(١) الإشارة إلى سيف الدّولة.

٢٣٥هـ.

- ج -

أمرَ المتوكّل أن يلبسَ النّصارَى

زنانيرَ مخصوصةً

وطيالسةً عَسليّة،

أن يكونَ إزارُ النّساءِ

كذلكَ، من لونها عَسليًا،

أن تُعلّق من فوق أبوابِهِمْ،

صورٌ،

لشياطينَ مِن خشبٍ،

كي تُميِّزَ عن دُور جيرانهم

مِن المسلمينَ،

نَهَى أن يُعلِّم أولادُهم

٢٣٥هـ.

في كتاتيبَ للمسلمينَ،
نَهى أن يُعلّمهم مُسْلِمٌ،
وأن يُستعان بهم في
الدّواوينِ، أو يظهروا صليباً
في شعانينهم -
آمِراً
أن تُسَوَّى قبورهُم كلّها معَ
الأرضِ كي لا تشابه ما عند
جيرانهم من قبورٍ.
وقال: إذا كانت الكنيسةُ
مبنيّةً، حديثاً، فلا بُدَّ
مِنْ هَدْمِها.
وإذا كانت الكنيسة في موضعٍ
واسعٍ،
فلا بُدّ مِن أن تصيرَ إلى مسجدٍ،
أو إلى ساحةٍ.

- ص -

هي «الحَدَث الحمراءُ» عهدكَ ساهِرٌ
عليها، وفي أحضانِكَ الدَّهرُ نائِمُ
جَمعْتَ بها خَدَّيْنِ: شرقَكَ، صاحياً
وغَرْباً عليه مِن رؤاهُ غمائِمُ
وما السرّ في ما كتَّمتْهُ جِراحُها
ولكنّه السرّ الذي أنتَ عالِمُ
هوىً حاقِدٌ، حِقْدٌ مُحِبٌّ، فمن تُرى
يَفيء إلى المعنى، وأين التّراجمُ؟

* عَطشٌ في الفراتِ، الضّفافْ
تتنبَّأُ عَمّا ستحملُ قافلةُ الرَّمْل
لِلقاعدين، وما سيكون القطافْ.

٢٣٦هـ.

ـ ٨٣ ـ

أمَرَ المتوكّل: لا بُدَّ مِن
هَدْم قَبْر الحسينِ،
وَما حولَهُ مِن بيوتٍ.
أمرَ المتوكّلُ: لا بُدّ أن يُحرثَ
المكانُ، ولا بُدّ من
زَرْعهِ،
ومِن سَقْيهِ،
ولا بُدَّ أن يُمنعَ النّاسُ مِن
أن يجيئوا إليهِ.

ـ ق ـ

لم يَزَلْ آلِسُ يتدفّقُ، أمواجهُ
خَلعَتْ ثوبَها القديمَ، الدّروبُ التي
رافقَتْهُ،
غيّرت سمْتَها،
وأرَى ماءَهُ يتكسَّرُ في حيرةٍ.
وكأنَّ الضّفافَ التي تحتويهِ
مَنحتْ صوتَها
مَنَحتْ صمتَها
لِرُؤىً ولغاتٍ
يتعذّر أن يتقرّى مداها سِوى شاعرٍ.

* في آلسِ قمرٌ، كم سالَ مَدمعهُ
وجداً، وكم قطَرت من دمعهِ قُبَلُ
يحيا وحيداً بلا جُنْدٍ ولا حَرَسٍ
وحوله النّاس والأوهامُ تَقْتَتِلُ.

ـ ٨٤ ـ

ـ أ ـ

وجه أرمينيا غَضَبٌ ودماءٌ،ـ
قتلوا يوسفاً[٢]،
قتلوا بعضَ مَنْ آزروهُ.
أمروا الآخرين: انزَعُوا ما عليكم
مِن ثيابٍ، وفِرُّوا
عُراةً!
جُلُّهم ماتَ بَرْداً
في الطَّريق إلى بيتِهِ!

ـ ر ـ

رُومٌ هُناكَ، ورومٌ هاهُنا[١]:
زَحفَتْ
مِن الدُّمسْتُقِ راياتٌ،
ومِن مُضَرٍ،
تُريدُ غَزْوكَ: تمحو ما عَمرْتَ بهِ
هذي البلادَ، ولا تُبقي على أَثَرِ.
أخذتَ تَضحكُ، لكن غيرَ مكترثٍ
ورحتَ تَعصفُ، لكن غيرَ مُفْتَخرٍ.

---

* ذهب الموت يصطادُه، فرآهُ
نائماً في سريرِ امْرأَةْ:
ـ لا تَخفْ، أيّها الموتُ، نَوّرْ
بأساريرنا النيّراتِ أساريرَكَ المطْفَأَةْ.

(١) إشارة إلى قول المتنبي يخاطب سيف الدّولة، في إحدى قصائده:
«وسوى الرّوم، خلف ظهركَ رومٌ
فعلَى أيّ جانبيْكَ تَميلُ؟»

(٢) يوسف بن محمد الذي كان عامِلاً على أرمينية.

٢٣٧هـ.

- ب -

أمرَ المتوكّلُ: لا بُدّ مِن غَزْو
أرمينيا. غزاها بُغَا -
قيل جَمْعٌ
مِن ثلاثين ألفاً، قُتِلوا
غيرَ مَن بِيعَ، أو كان سَبْياً.

- ج -

أمرَ المتوكّل أن يُنزلَ
الخِزاعيَّ[1] مِن صَلْبِهِ.
أن تُسلّمَ جثّته لذويهِ،
وأن تُدفنَا.

- ش -

مَرَّ وجهُ قُسَنْطينةٍ، ومرّتْ
حلَبٌ في مَرايا التّعَبْ:
مَسْرحٌ يدخلُ النّاسُ فيهِ
في تماثيلِ موتاهمُ
في السّيوف التي احترقوا
بين أشفارِها:
جسَدٌ موقِدٌ
جسَدٌ حزْمةٌ مِنْ حطَبْ.
مَسْرحٌ: يَجمعُ النّاسُ أحلامهم
ويكبّونَها
في جحيم اللّهَبْ.

❊ يتشبّه ليليَ حيناً بليل الحجَرْ:
لا يرى الشمس إلاّ
بالحجاب الذي يتراكم في وجهه
من غبار السّفَرْ.

(١) أحمد بن نصر الخزاعيّ، الذي قتله الواثق وصلبه، لأنّه رفض القولَ بخلق القرآن.

٢٣٨هـ.

ـ ٨٥ ـ

يا بُغَا،

ذاك إسحاقُ[٢] مولى أميّةَ:

تَفْليسُ في قَبْضتيهِ، فإلى

غَزوِهَا.

تلك تَفْليس محروقَةٌ

وأُخرِقَ سُكّانُها.

قيل: خمسون ألفاً،

وإسْحاقُ فارقَهُ رأسُهُ.

أَسَرُوا جندَه الهاربينْ

نَهَبوا ما تَبقّى ـ

نَهبوا الميّتينْ.

ـ ت ـ

ما لَكمْ تهرفونْ

أَلمسيحُ بْنُ مَرْيَم رَبٌّ رحيمٌ

في تعاليمكمْ،

كيف أصْبَح في حَرْبكم حِراباً

وبهِ تَقتلونْ؟

ـ هيّئوا للأمير الأسير

مُقَاماً كريماً[١].

* غيمةٌ خلعت ثوبها

فوق صفصافةٍ.

ألمياهُ التي تتحدّر من حولها

فتحتْ ساعديْها، احتفاءً.

(١) لمّا أسر سيف الدولة قسطنطين ابن ملك الرّوم، أكرمه، وأقام عنده مدّةً في حلب، سنة ٣٤٢هـ.

(٢) إسحاق بن إسماعيل مولى أميّة في تفليس.

٢٣٩هـ.

- ٨٦ -

- أ -

بعد الآنْ،

لن يركبَ أهل الذمّة إلاّ

حُمُراً وبِغالاً[1].

لا خيلٌ، أبداً.

- ب -

أمرَ المتوكّلُ: خيرٌ

أن يُنفَى هذا الشّاعِرُ[2]

لخراسانٍ.

خيرٌ أن يُبعدَ هذا البدويُّ

السُّكنَى،

عن بغدادِ ـ لؤلؤة الحاضِرْ.

- ت -

إمْشِ، تابعْ مسيركَ، أسْرِعْ

ليس هذا مكاناً

لكي تتوقّفَ فيهِ.

هذه لحظةُ الرّحيلِ،

ولحظة نيرانهِ الخامدهْ

والذين تسائل عنهم، رَمَوهُمْ

أمسِ، في حُفْرةٍ واحِدَهْ.

---

* كان ذلك في يوم عيدٍ

وشعرتُ كأنّ المصلّين أعرف مِنّي

بحالي:

جَرَفَتْني إلى حَشْدِهم رمالي.

---

(١) بأمرٍ من الخليفة المتوكّل.

(٢) علي بن الجهم.

٢٤٠هـ.

ـ ٨٧ ـ

أهل حمصٍ يثورونَ: قَتلى.
طردوا صاحبَ الخرَاجِ.
النّصارَى
آزروا الثّائرينَ.
قُوتِلوا
بعضهم صَلبوهُ.
«فتنةٌ» مثلما وصفوها
والذي كان رأساً لها[1]،
من المارقينَ ـ
عَلّقوا رأسَه فوق تَلٍّ.

ـ خ ـ

نَاقَةُ الجوعِ والقَشّ لا تتوقّفُ
عن جَرْيِها في القُرَى
يَقْتَفيها ويكتبُ آثارَها
فارِسٌ
يعرف النّارَ من أين تأتي،
ويَراها،
ولكنّه لا يُرَى.

---

* لأراغنَ خُضْرِ
تتنقّل بين رفوف العصافيرِ،
كان المطَرْ
يترنّح من غبطةٍ،
في رؤوسِ الشّجَرْ.

(١) شخص يدعى عبد الملك بن إسحاق بن عمارة.

٢٤١هـ.

ـ ٨٨ ـ

قيل عنه[1]:

شاتِمٌ لِلصّحابةِ. جاؤوا إليهِ،

قتلوهُ،

وألقوهُ في دجلةٍ.

(١) شخص اسمه عيسى بن جعفر.

ـ ذ ـ

جَلستْ: شُرْفة البيتِ أبهى مكانٍ.

رياحٌ

رفَعت ثوبَها ـ أنزلتْهُ على ركبتيها،

برِفْقٍ.

كان دمعٌ سَرِيٌّ يهيم على وَجْهها

كنجومٍ

لا مدارٌ لها.

خُيّل البيتُ يطفو كمثل السّفينَهْ

في هباء المدينَهْ.

* رمت القافله

للسهول وعقبانها

ما تَبقّى لها

من رؤوسِ الأشقّاء في حَرْبها العادِلَهْ!

٢٤٢هـ.

- ٨٩ -

قتلَ المتوكّل شخصاً
كانَ أسْلَمَ، ثُمّ تراجَعَ
وارْتَدَّ. لكنّه
اسْتُتِيبَ: أبَى
أن يَعودَ لإسلامهِ.
ضَربوا عُنُقَهُ،
أَحْرقوهُ.

- ض -

أخذتنا خُطانَا إلى حوض وَرْدٍ
كانت الشمس تجلس في بابهِ
بين حرذون ماءٍ وحرذون صَخْرٍ.
لم يكن صاحب الحوضِ في بيتهِ،
وبكت أمّه
حينما شاهدتْنا -
لم يكن ظنّها صحيحاً (لم نجئ
لنُعزّيَ. كنّا
نكره الموتَ والعرسَ)، لكن
أخذ الورد يقرأ أحزانه علينا، أو لعلّي أكونُ
قريباً إلى الحقّ لو قلتُ: شُبّه لي بين
صَحْبي أنّيَ أصغي إلى الورد يقرأ أحزانه
علينا.

* لِلنّوافذ أهداب خَيْلٍ، والزّوايا
طحالبُ. كان الدّخانْ
يتصاعَدُ من كوّةٍ
والطيور ترودُ المكانْ.

٢٤٣هـ.

- ٩٠ -

حَرْبَةٌ، قِيل كانَت

للنبيّ، اسْمُها: عَنَزَةٌ.

(قبل ذلك، كانت

لِلنّجاشِيّ) صارَتْ

فـي يـد الـمـتـوكّـلِ - يـا أيـهـا المتوكّلْ،

قُمْ وكبِّر، وَهَلِّلْ!

- ظ -

جسَدٌ يتمدّدُ. سيفٌ تجرّد مِن غمده

يتمدّد. نملٌ على

السّيفِ، نَمْلٌ

حول رأسِ القتيلْ:

(جَسَدٌ لا يزال طريّاً)،

غير أنّ الكواسر عَمّا قليلٍ،

ستهجمُ.

ليلٌ طويلٌ طويلْ.

* في السّماء ضجيجٌ (هل تضجّ الملائِكُ؟)

والغيمُ يطلق أفراسَهُ.

مركبَ الكلماتِ التي ستسافِرُ، فجراً، إلى حبّها، جانِحٌ.

٢٤٤هـ.

- ٩١ -

- مَنْ أحبّ إليكَ؟ هُما[1]

أم تُرى حسَنٌ وحُسَينٌ؟

- قنبرٌ[1] منهما أفضلُ.

- سوفَ أقتلكَ الآنَ،

يا شَرَّ مَنْ يُقْتَلُ.

أمرَ الجندَ: دوسُواعلى بطنهِ،

وَسُلّوا اللّسانَ،

إلى أن يموتْ.

- غ -

مات أبناؤنا، فلتَمُتْ

هذه الحربُ. لا بأسَ باللّهوِ، حيناً،

وبآلائهِ،

وَلْتعدْ هذه السّيوفُ لأغمادِها.

لِتمت هذه الحربُ. حول بيوتاتِنا

بيوتٌ لأطفالنا

عمّروها وماتوا.

لتمت هذه الحربُ ـ وجه الحقولْ

يتنوّر في دمعه وفي صمتهِ

ما تقول الفصولُ وما لا تقولْ.

* أرَى رجالاً، ولكن لا دروبَ لهم

أرَى دروباً ولكن لا رجالَ لها،ـ

دَمٌ على شُرُفَات الشّرْق يَنْسكبُ:

أهذه أرضُومِ، أم تُرى حلبُ؟

(١) حوار بين الخليفة المتوكّل، ويعقوب بن السكّيت الإمام في العربية. كان يعلّم أولاده، وسأله يوماً هذا السؤال عن ولديه ـ المعتزّ والمؤيّد. وقنبر هو خادم عليّ ابن أبي طالب.

هوامش



كـأنّ جـفـونـي عـلـى مـقـلـتـي
ثـيـابٌ شُـقِـقْـنَ عـلـى ثـاكـلِ.

المتنبّي

كان شاعراً خليعاً.

مات سنة ٢٥٠هـ.

الحسين بن الضّحاك

الحياةُ بكاءٌ:

هكذا قالت الآلِهةْ

أأنا صخرةٌ؟

أم سديمٌ بلا جنّةٍ ونارٍ؟

أم بقايا هبَاءٍ؟

مَنْ يقول لأعماقي الوالِهَهْ:

لِمَ لا أسْتطيعُ البكاءَ؟

أبو الحسن البَكريّ

كان يروي الغرائبَ، أعطى الكلامَ إلى المُتخيَّلِ،
والمستحيلِ، وفي وهمه أوْغَلا
وضعَ الأرضَ في قبضة الظنّ ـ كم ضاعَ في
الشّبهاتِ، وكم أوّلاَ
كان بحراً من الحِبْر، أمعنَ في الفيضِ،
واسترسلا
ربّما كان قَصّاصنا الأوّلاَ.

توفي سنة ٢٥٠هـ. قال فيه الذهبي: «واضع القصص التي لم تكن قطّ». ونعته بالكذّاب الدجّال. ترك «الروايات» التالية: ضياء الأنوار، رأس الغول، شر الدّهر، حصن الدولاب، كلندجة، الحصون السبعة وصاحبها، (هضام بن الجُحاف وحروب الإمام علي معه)، غزوة الأحزاب، قصة إسلام الطفيل بن عامر الدوسيّ.

السَّقَطي
(سَريّ بن المغلّس)

توفي سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م، أستاذ الجنيد وخاله. في رأيه أنّ حروف القرآن مخلوقة. مركز فكره **المحبّة**، فالمحبّون يفوقون في النعيم، أتباع الأنبياء.

غَسَقٌ يرسم الشَّمسَ فوق يديهِ ـ

يَداهُ على الأرضِ ظِلٌّ كمثل الهلالْ

هل سَيُصْغي إليّ إذا قلتُ: وَجْهي

كوجهكَ، يدخلُ في ليلهِ؟

هل سيرسم وَجهي

بأشعَةِ آفاقهِ؟

ولماذا، ونحن الصّديقانِ، هذا السُّؤالْ؟

الجاحظ

مات سنة ٢٥٥هـ.

قولهُ،

والحياةُ التي يتقلّب في حضنِها

وتُقلّب في حضنهِ

شُرْفتانِ على مُفْتَرقْ

وَغِلابٌ بلا غالبِ.

كيف لي أن أوحِّدَ بين المنظّر والكاتبِ

وأوفّقَ ما بين هذا الصباحِ، وذاك الغَسَقْ؟

البخاري

صاحب «الصحيح»، مات سنة ٢٥٦هـ.

مُوقِنٌ أن بَيْتاً
أفردته المدينة في حَيّ فَقْرِ،
يقرأ الآنَ، في ليله،
إبْنَ بُرْدٍ وأصحابَهُ.

مُوقِنٌ أنّ هذا
ما تقول الأسرّة للعاشقينْ
عندما يطبق الحبّ أجفانَه عليهم.

موقِنٌ أنّ هذا غَدُ العالمينْ.

الكِنْدي
(أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق)

توفي سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م، يُلقّب بـ «فيلسوف العرب». عاش في زمن المأمون والمعتصم، وكان أستاذاً لأحمد بن المعتصم. من تلامذته: ابن الطيّب السّرخسي. يروي البيهقي أنّه «كان يهوديًا ثم أسلم»، وقال بعضهم: كان نصرانياً. من أقواله: «لا تنجو مما تكره، حتى تمتنعَ عن كثيرٍ مِمّا تحبّ».

قال يشكو إلى فكرهِ:

لم أرَ الحبَّ إلاّ

في شَذَى وَرْدَةٍ -

كان هذا كمثل النّدى، عابراً.

أتُراه سيشكو إلى حبّهِ

مَا تُشيعُ النّجومْ

عن جَفَاف الغيومْ؟

البسطامي، أبو يزيد طيفور

توفي سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤م.

نَهَرٌ للحنينِ، لأغوارهِ

يتدفّقُ مِن ذرواتِ الكلامْ

ماحياً، حاضِناً موتَهُ

مُنْصِتاً لِبَواحِ الأُلوهةِ

في فَلواتِ الهُيامْ.

مات سنة ٢٦٠هـ / ٨٩٣م. كان طبيباً ومترجماً. عيّنه المأمون على «بيت الحكمة». ولد سنة ١٩٤هـ / ٨٠٩م.

حنين بن إسحاق

«مرّةً، في الحياة التي لا تصدّق أقوالَها،
كنتُ رَيْحانةً ـ
أتوسّطُ ورداً
وأجاور صَفْصافةً»:
قالت امرأةٌ كان بيني وبين أساريرِها
كتبٌ ورسائِلُ. قالت:
لم تثق بحياتي وقوليَ، ثمّ اختفَتْ.

شَجَني قَوْسٌ حبٌّ على بابِها.

توفي سنة ٢٦٤هـ. قال عنه الإمام الشافعي: «لو ناظر الشيطان لغلبه».

المُزَنيّ

لو كان الشّيطانُ خصيماً
للمزنيّ، ولَوْ نَاظَرَهُ
لمضى الشيطان حسيراً، أو قُلْ: مغلوباً.

يا مُزَنيّ
من أين أتيتْ؟
وثنيٌّ أنتَ؟ وأين رأيتَ النّورَ، وكيف رأيتْ؟
هات يديكَ، إليكَ يديّ.

سهل التُّستري

مات منفيًا في البصرة، سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م. كان أستاذ الحلّاج، ويوصف بأنه «في عداد الحكماء المتألهين».

يَتألَّهُ يَنْسَى كمن يتأنْسَنُ، يَعْلو، يُحَايِثُ
ما الفَرْقُ؟ مَوْجٌ
واحِدٌ يتقلّب: يَنْسى
يتألَّهُ
يَعلو
يُحايِثُ: دَوْرٌ ـ مَدَى

إنّه صَوْتُهُ ـ
والحياةُ الفضاءُ لهذا الصَّدَى.

VI

وكان أبجد قد رأى مرّةً في المدينة صاد رجلاً دائم الطواف يُدعى، كما قيل، بَيْسَر. قال: «رأيته يدنو من النار يتناول بيمينه خنجراً ويشقّ صدره يخرج كبده بيده اليسرى يحتزّ منها قطعةً وهو يتكلّم يقطّعها بالخنجر يلقيها إلى من حوله تهاوناً بالموت ورأيته يَهْوي في النّار.»

❊

وسمع أن لحاكم هذه المدينة مريدين يأتيهم الشك فجأة في بعض السّاعات وقيل: جاؤوا إليه في ساعة شَكٍّ، وقالوا:

«ـ إن كنت حاكماً صادقاً، فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقةً، ولتكن سوداء صافية اللون.

قام وقعدَ تمتمَ أصغى أَشار تحركت الصّخرة تململت بدا منها أنينٌ انصدعت بعد مخاض شديدٍ كمثل مخاض المرأة وظهرت منها ناقة سوداء صافية اللون.»

وقيل له إنّ حاكم المدينة ضاد استيقظ يوماً فرأى أسداً جاء به الصيّادون في قفصٍ ووضعوه في صحن القصر. قال آمراً:

«ـ اخلعوا بابَ القفص وأطلقوه   لا يُحبَس الأسد

خلعوا باب القفص خرج الأسد يزأر ويضرب الأرض

هرب الناس وأغلقوا الأبواب في وجهه وبقي الحاكم جالساً

دنا منه الأَسد مَدّ يده إليه هَزّه وقع الأسَدُ مَيْتاً

جاء الناس فرأوا أصابع يده قد زالت عن مواضعِها

استدْعَى من رَدّها كما كانت

وجلس الحاكم معهم كأنّه لم يفعل شيئاً.»

*

وكان لي صديق في هذه المدينة اسمه يارجوج أخبرني أنّه كان لحاكمها عَمٌّ اسمه دِمْنَانة كرهه وأمرَ بقتله

«دخل عليه في بيته سيّاف الحاكم، وكان معه في البيت امرأة

بدأ بدمنانة فخنقه ومدّه على الفراش،

وحين أخذ الجارية ليخنقها، قالت:

ـ اقتلني، لكن لا تقتلني خنقاً.

خنقها وضعها مع دمنانة على الفراش أدخل يده تحت جنبها أدخل يدها تحت جنبه،

هدم عليهما البيت[1].»

❊

وحكى يارجوج أنّ حاكم المدينة خاف من أخ له على ملكه فأمر بقتله. حين رأى أخوه السيّافين يدخلون بيته، أخذ وسادةً وضعَها على وجهه وصاح:

«ـ لا تقتلوني. أنا شقيق الحاكم.

ضربه سيّافٌ في جبهته،

نخسه آخر في خاصرته آخر في سُرّته.

ثمّ ذبحوه وأخذوا رأسه إلى أخيه الحاكم. أمرَ بنصب الرأس في صحن الدار على خشبة. أمر كلّ سيّاف يقبض مكافأته أن يلعنه.

كان السيّاف يقبض المكافأة ويلعن الرأس،

والحاكم يبتسم.»

❊

(١) وروى رجل في هذه المدينة أنّه رأى في نومه: «كأنّ النّاسَ يعرضون على الله عزّ وجلّ. جاءت امرأة عليها ثياب رقيقة، هَبّت ريحٌ كشفتها. أعرضَ عنها، تبارك وتعالىٰ، قائلاً: اذهبوا بها إلى النار، كانت تتبرّج. (المنامات، للحافظ أبي الدنيا، مكتبة القرآن الكريم، القاهرة ١٩٨٩، ص١٤٢).

(١) وقال رجل: «مات رجل في حيّنا صاحب خمّارات، رأيته في النوم، وسألته:

ـ ماذا فعل بك الله؟

أجاب:

ـ قال لي ربي: لو لم تكن شيخاً لعذّبتك. (المنامات، ص١٨٦).

وقال أبجد:

«أخبرني صديقي يارجوج أن حاكم المدينة طاء غضب مرّةً على رجل. جاء به سأله:

- أنت كيكم؟

- نعم، يا مولاي.

أومأ إلى السيّافين. جَرّدوه من ثيابه، قطعوا يمينه وضربوا بها وجهه وفعلوا مثل ذلك بيده اليُسرى ورجليه

ثمّ أمرَ سيّافاً أن يدخل سيفه بين ضلعين من أضلاع كَيْكَم، وأمر بقطع لسانه

ثم أمر بصَلْبِ أطرافه المقطوعة إلى جوار جسمه، على جسر المدينة.

بعد ذلك أمر أن يطاف به في جميع أنحاء المدينة، وقد عُلّق معه رأسُ حمار ميت، ووضع في عنقه قيدٌ تتدلى منه رمّانة حديد،

ثم شُدّ بالحبال وألقي في بئر.»

*

وكان لحاكم المدينة ظاء، ثلاث عشيقاتٍ اتّفقن على عصيانه، فقتلهن، -

(١) قال أحدهم لأبجد إن المدينة ضاد هي مدينة المنامات. وروى له أنّ رجلاً رأى في نومه أنه مات وسيق إلى النّار. فجأةً، رأى حجراً يكبر، ويسدّ دونه باب جهنّم. عندما أفاق من نومه، تذكّر أنه كان، حين يُصلّي، يجعل في قبلته سبعة أحجار، فإذا قضى صلاته، قال: أُشهدك، أيّتها الأحجار أن لا إلـه إلاّ الله. ولهذه الرواية أصْلٌ ربّما أخذت عنه في الكتاب التالي: (المنامات، الحافظ أبي الدنيا، مكتبة القرآن، القاهرة ١٩٨٩، ص١٤٢).

«أمرَ أن تُحفَر للأولى حفرة عميقة، يُدلّى رأسها فيها ويُطرح فوقه التراب وأن يبقى نصفها الأسفل ظاهراً

أمرَ أن تُكتَّفَ الثانية وتُقَيَّدَ ثم تحشى بالقطن أذناها وأنفها وفمها وأن تُنفخَ بالمنافخ حتى يصير جسمها كالجمل ثم تنزع المنافخ ويوضع مكانها القطن ثم تفصد من العرقين اللذين فوق الحاجبين حيث تخرج الروح ولها صفير.

أمّا الثالثة، فشرَّح بيديه لحمها، من فخذيها وعجيزتها، ورماه إلى مماليكه.»

*

وثار على حاكم المدينة عين، أحد أنصاره الأشداء ويدعى سَنْدَر. جمع حوله فئةً قوّية لكنّ الحاكم استطاع أن يطرده وينفيه. قبل ذلك أوصى سندر أنصاره قائلاً:

«ـ من جاءكم على صورتي، فاقتلوه. سيأتي إليكم أناسٌ يتشبّهون بي لا تقبلوا ما يقولون واقتلوهم. بعد زمنٍ استطاع سندر أن يتسلّل عائداً. أخذ أنصاره يتهيأون لقتله. ولمّا هموا بذلك صاح قائلاً: ويحكم، أنا سندر. قالوا: أمرنا سندر بقتل من يتشبّه به. قال: لكن، أنا سندر. قالوا: لا بُدّ من قتلك، وقتلوه.»

(استطراد)

هو أو يوم من أيام المدينة الأولى

ثم استطرَد أبجد، ناقلاً ما سمعه عن حاكم قديم حكم المدينة الأولى، قال:

«نهضَ صلّى الفجر جلس يصغي لقِصّاصه حتى فرغ من قصصه قرأ جزءاً من المصحف دخل إلى منزله أمرَ نَهى صلّى خرج إلى مجلسه أذِنَ لخاصّته حدّثهم وحدّثوه دخل عليه وزراؤه كلّموه بما يريدونه

أذِنَ بالغداء الأصْغَر تحدّث طويلاً قام الحرس تقدّم

الضّعيف الأعرابي الصبيّ المرأة من ليس له أحد قال: انظروا في أمورهم

جلس على السّرير قال: ائذنوا للناس وفقاً لمنازلهم

لا يشغلني أحد عن رَدّ السّلام يا هؤلاء: سُمّيتم أشرافاً

لأنكم شَرّفتم مَنْ دُونكم ارفعوا لنا حاجة من لا يصل إلينا

اقضوا حاجاتهم اخدموهم

دخل منزله صَلّى أربع ركعات نادَى خاصّة الخاصّة

دخل عليه وزراؤه أتاهم بالفواكه والأقراص المعجونة بالسكر واللّبن جلس إلى العصر صلّى العصر جلس

على سريره أَذِنَ للناس وفقاً لمنازلهم أُتيَ بالعشاء سَمَرَ ثُلْثَ اللّيل في أخبار العرب والعجم وأيّامهم أَتَتْهُ مِن نسائه غرائب الحَلْوى والمآكل

نامَ ثلث اللّيل قام قعد قرأ عليه غلمانه سِيرَ الملوك أخبار الحروب والمكائد   خرج صلّى الفجر

استأنف ما بدأه مِمّا وصفناه

وهذا شأنهُ في كلّ نهارٍ ولَيْل».

الذّكرى

VI

المدينة شين

إصنع من جراحك جوقة، امنحْها آلات المنفى، وعلّمها عزيف النفي. سترى آنذاك أنّ أسنان الوقت هي جمهورك الأول. سترى أن الدم نهر يمرّ في وادي عبقر الذي احتلته الكواكب منذ تاريخ ما، وطردت منه كل أثرٍ للأرض.

سترى أن أكبر قاعة لاستقبال هذه الجوقة هي المدينة شين.

❊

إنتاج رؤوس وإنتاج مقاصل، -
إيقاع هائل، لكن في محيط من الزّبد:
ما أدهى غيبكِ، أيتها المدينة شين.

❊

كيف أفتح أفقاً لا يصدأ
عندما يلامسه هواء المدينة شين؟

❊

لماذا ترفض، أيها البحر، أن تسكن في ذاكرتي؟ لماذا ترفضين، أنت أيضاً، أيّتها الشمس؟

- «لن يكون في ذاكرتك غير الرعب»:
تجيب المدينة شين.

❊

للشرطي والزمن في المدينة شين،
عين واحدة.

❊

تفرض عليّ المدينة شين
برغبةٍ أحار في تفسيرها،
أن أُصاحبَ عقارب الساعة، وأعاديَ الوقت.

❊

هذا الجسد المعلّق على خشبة الفضاء
المنصوب على عتبة الريح، كأنه أوّل الموت،
ليس إلاّ جسد المدينة شين.

❊

قلت للمدينة شين وأكرر:
عبثاً تحاولين قتلي، ـ
لا يرقى إلى عنقي إلاّ سيفي.

❊

يعرّف الإنسان في المدينة شين بأنّه:
«طريدة ـ
غير أنه لن ينجو من الوقوع في الفخ».

❊

أينما وضعت قدميك في المدينة شين،
ينبت التّعب.

❊

تاريخ المرأة في المدينة شين:
«تولد ليلاً،
وتموت عند الفجر».

*

أتريد أن تعرف الطبيعة وما وراءها؟ إذن، عليك أن تعرف جسد المرأة وما وراءه.
لكن، لماذا في المدينة شين، يحرم على الناس مثل هذا السؤال، وهذا الجواب؟

*

سأبني بيتاً من الحجر لعناكب الصبر، وربما الحزن، لكي أوحي بمناخ المدينة شين.

*

لا أعرف لماذا يشبّه لي القمر، أحياناً، في المدينة شين، كأنه مزيج من الدمع والصلاة، مسكوب في إناء أبيض له شكل القرن.

*

لم أزر المدينة شين إلاّ مرة واحدة (لا أقدر). مع ذلك، لم أسافر مرّةً إلاّ مررت فيها ـ خفية.
كأنني أراها، في هذه اللحظة، تبكي وتمسح دموعها بكلماتي.

*

يحدث، غالباً، في المدينة شين، أن يكون الشحم ورماً، والورم شحماً. (وعذراً من صديقي المتنبي).

المدينة تاء

تقول المدينة تاء
إنها شربت رحيق التاريخ.

❊

الحلم الذي لا يفارق المدينة تاء،
هو أن تكون طابعاً بريديّاً على غلاف
اسمه الكون.

❊

«دَرّب ظهرك على الانحناء»:
لافتة تتكرر كثيراً على جدران المدينة تاء،
وفي شوارعها.

❊

يجلس الجمل على عصفور،
يتكئ الجبل على بنفسجة،
يمسح الماء وجهه بمنديل الغبار:
تلك هي بعض الأمثال السائرة في المدينة تاء.

❊

من كل حرف،
تخلق المدينة تاء كرسيّاً
من كل كلمة، تخلق بيتاً.

❊

حاول أن ترى النهار في المدينة تاء،
وسوف تكتشف أنك لن ترى فيه إلاّ اللّيل.

❊

«دَفِّئ حنجرتك بالمدح» ـ
يقول كتاب الهجاء الذي تفضله المدينة تاء،
والذي تحفظه في خزانة من الثلج.

❊

الواقع في المدينة تاء، مناخ
شكله الحياة ومضمونه الموت.
«بعد أن فرغ الخالق من خلق العالم،
أراد أن يرتاح، فجعل من راحته
بيتاً دخل إليه ولم يخرج بعد»:
هذا ما تقوله أسطورة
تنكرها المدينة تاء، لكنها تتسامح معها.

❊

«تنهد الخالق بعد خلق العالم،
ومن هذا التنهد، كانت الرياح»:
تقول أسطورة أخرى
لا تنفيها المدينة تاء ولا تثبتها.

*

تشرب المدينة تاء المعرفة،
لكن بكأس من الورق المنقوع
في ماء الذاكرة.

*

من أطراف كل كلمة تلفظها المدينة تاء
يتدلّى قبر أو يتدلّى عرس.

*

الوردة نفسها قفص في المدينة تاء
والرغيف شرطي.

*

أقدم وأغنى ذاكرة في المدينة تاء
هي ذاكرة السيف.

*

فضاء المدينة تاء

سلالم لهبوط الملائكة وصعود الموتى.

❊

جدران ـ

ليست الأيدي هي التي تبنيها، بل الألفاظ والأصوات:

تلك هي جدران المدينة تاء.

❊

من علمك، أيّتها المدينة تاء،

السَّيرَ بقدم الهلال؟

❊

لا أعرف مكاناً يقدر أن يتّسع لجثة الوقت

كمثل المكان في المدينة تاء.

❊

أيتها المدينة المرئية لغيري،

لماذا لم تعودي مرئيّةً لي؟

❊

المدينة ثاء

لا تعرف الريح في المدينة ثاء،
أن تمشّط شَعْرَ الشّجر.

❊

غريب أمر الناس في المدينة ثاء ـ
إنهم يعيشون عائمين على أطراف الأظافر.

❊

ليس للحصاة عينان وأذنان،
يد ولسان،
إلاّ في المدينة ثاء.

❊

تكاد الريح نفسها في المدينة ثاء،
أن تفقد شهوة الهبوب.

❊

النهار في المدينة ثاء، لجة من الدمع،
والليل سفينة غارقة.

❊

ليس القمر إلاّ الضوء الذي يعكسه،

أو هكذا يبدو.

لكن، لماذا عندما تنظر إليه من المدينة ثاء،

يبدو أن له مخالبَ تكاد أن تلامس وجهك،

ويبدو كأنه خارجٌ لتوّه مِن الجحيم؟

❊

ينبغي أن تكون لك القدرة على التشبّه بالضوء،

لكي تستطيع أن تكتب أو تتحدث

عن الظلام في المدينة ثاء.

❊

أحياناً،

لكي ترى بوضوح في المدينة ثاء،

لا بدّ لك من أن تغمض عينيك.

❊

كلا، ليست المدينة ثاء،

هي الموعودة بالجنة،

بل الجنة هي الموعودة بها.

❊

تريد المدينة ثاء أن تظل شفتاها

مختومتين بشفتي ملاك.

VI

ومن صَحب الدّنيا طويلاً، تَقلَّبتْ
على عينهِ، حتى يَرى صِدْقَها كِذْبا.

المتنبي

٢٤٥هـ.

ـ ٩٢ ـ

ضربوه[1] سياطاً،

أثقلوهُ حديداً،

ورموهُ إلى السّجن:

يا بَخْتَشوعْ

أين طِبُّكَ؟

لا طِبّ عند الخِلافةِ،

إلاّ الخضوعْ!

(١) الإشارة إلى الطبيب بختيشوع. وقيل ضُرِب مِئةً وخمسين سوطاً.

ـ أ ـ

إذْهَبْ وشاهِدْ كيف تختلطُ

النّجومُ هَوىً

بأثداء النّساءْ

إذْهَبْ وغَنّ الرُّومَ

أغنيةَ الصّداقةِ والإخاءْ ـ

أُغسلْ عن الأرض الجِراحَ

وعن وجوههم الدّماءْ.

* إن جنحتَ إلى شهوةٍ

تتأجّجُ في جانحيكْ

وتجانَسْتُما

فابتدرْها، لا جُناحُ عليكْ.

٢٧٦هـ.

ـ ٩٣ ـ

ـ أ ـ

ـ كيف قولُكَ[1] في دارِنا؟

ـ كلُّ دنياكَ فيها.

ـ كيف شربُكَ للخمر؟

ـ أعجزُ عن شُرْبها:

ألقليلُ امتِهانٌ

والكثيرُ افتضاحٌ.

ـ إنْسَ هذا ونادِمْ.

ومِنْ أين أنتَ؟

ـ مِن البَصْرةِ.

ـ كيف قولُكَ فيها؟

ـ ب ـ

ـ شاعِرٌ

قادَهُ الحبُّ في كلِّ دَرْبٍ

وَلَهاً، واحتفاءً.

يَسْكبُ الشّرْقَ في غربهِ،

الغَرْبَ في شَرقهِ،

ويوحّدُ فيه شتَاتَ الوجودْ.

ـ ما أمرَّ الفواصِلَ بين تقاليدهِ

وتجاريبه،

ما أمرَّ الحدودْ.

* أَلشُّروقُ صديقُ النّخيلْ
رسمتْهُ يَدُ الشّعر تيهاً على
عُنْقِهِ الطّويلْ.

(١) حوار بين الخليفة المتوكّل، وأبي العيناء، (مات سنة ٢٨٢هـ).

٢٤٦هـ.

ـ كمثل جهنّمَ، حين تطيبُ،

ـ وماذا تَرى

في عُبَيْدِ بن يَحْيى[1]؟

ـ رجلٌ عاقِلٌ

قاسِمٌ نفسَهُ

بين طاعةِ خَلّاقهِ

وخِدْمةِ سُلْطانهِ.

ـ ب ـ

سوف تُمطر بغدادُ،

لكن دماً.

ـ ج ـ

أخذتْنيَ حرّانُ في صَمْتِها

في مثالاتِها،

واللّغات التي تركتها العصورُ

وراء ستائرها المُسْدَلَهْ.

لا تشكّ الصّحارَى،

تؤكّد من أوّلٍ:

يَعشق الصّرفُ والنّحو كوخاً

يَحنّ إلى طلَلِ الأمثِلَهْ.

* يعرفُ الرّملُ أن يتناثَرَ، أنْ يتكدّسَ

في القدمينِ، وفي الرّأسِ، أو أن يغطّي

جُثَثَ الميّتينْ

يعرفُ الرّمل أن يتآخَى مع الرّاحلينْ.

(١) عبيد الله، الفتح بن يحيى بن خاقان وزير المتوكّل.

٢٧٧هـ.

ـ ٩٤ ـ

ـ أ ـ

قُتِل المتوكّلُ والفتْحُ[١]، كانا
يَشربانِ النبيذَ، وفي اللّيل
ما يُشبه القمرَ المنكسِرَ
يَتَفتّتُ مِنْ فوقهِمْ.
وأتى الشّارِبونَ،
ومَنْ يأكلون،
ومن يحرسونَ،
إلى المنتصِرْ.
سلّموا بالخلافةِ، جاءَ وَصِيفٌ[٢]
وأصحابُهُ،ـ
بايَعوا المنتصِرْ.

ـ د ـ

في سريريَ عِطْرٌ
مِن جنائنِ أيّامها،
في لهاثي،
صَخَبٌ مِن حناجرِ أسْواقِها.
كيف أروي لِقُسْطَنْطِنيّة حبّي لها؟
كيف أسكب حلمي
بين أجفانِها
وأفوّض حِبري لأوْراقِها؟

* يحلم أن يتحوّلَ فيه النّبْضْ
ويُحوّلَهُ
جَذْراً بَرّياً،
يحيا ويسافرُ تحت الأَرْضْ.

(١) الفتح بن خاقان وزير المتوكّل. وقتل المتوكّل في حضرة البحتري، الذي قال في غدر المنتصر:
«أكانَ وليّ العهد أَضْمَرَ غدرةً فمن عجبٍ أن وُلّيَ العهدَ غادِرُهْ»
كان للمتوكّل «أربعة آلاف جارية وَطأهنّ كلهنّ». (المسعودي، مروج الذّهب).

(٢) وصيف الخادم.

٢٧٧هـ.

- ب -

يا أَبي[1]،

لم أجىء منكَ، لكن لِقاحُكَ

أثمرَ مَنْ سُمّيَ المنتصِرْ

غيرَ أنّي مِن طينةٍ لم تَلِدْها

وتعجز عَنْ أن تَراهَا،

وأنا لا أُبَاهي ولا أَفْتَخِرْ،

بل أقول اعتزلت الدّروبَ

التي رسمتها خُطاكَ،

ووجّهت وَجْهي

لدروبٍ سِواها،

وقتلتُكَ حتّى أحرّرَ

عِطْرَ البُنوَّةِ

مِن وَرْدةِ الأبوَّهْ!

- هـ -

كيف أَروي لأيقونةٍ

وَلَهي بتجاعيدِها،

بالظّلالِ، الخطوطِ -

انْساياباتِها، وتعاريجها؟

لا أخافُ، ولن أتكتّمَ. قولوا

(واعدلوا في تآويلكم)

هو مِمّن

ينتمون لآفاقِها

عاشِقاً وصديقاً لعِشّاقِها.

---

* جرَسٌ تركته الطبيعة في حضن طِفْلٍ،

أخذ الطّفل يلهو بهِ

ذلك اللّهو سمّاه حِبْرُ المدينة شِعْراً.

(١) الكلام بلسان المنتصر، الخليفة الجديد، يخاطب أباه المتوكّل. وقيل: إنه اغتيل في سامرّاء بتحريضٍ منه. وكان المتوكّل قد أمرَ بترك الجدل في القرآن: لا مخلوق، ولا غير مخلوق. وهدم قبر الحسين كما سبقت الإشارة سنة ٢٣٦هـ.

٢٤٨هـ.

ـ ٩٥ ـ

ـ أ ـ

«ليس لي أيّ عَهْدٍ
ليس لي أيّ عقدِ
في رقاب البَشَرْ.
لستُ أصلحُ مِن أيّ وَجْهٍ
للخلافةِ،
مَنْ كانَ في عُنُقهِ بِيعتي،
فهو حُرٌّ ـ
حلالٌ له نَقْضُها.»

ـ و ـ

فَكَّ راياتهِ وأعمالَهُ وأقوالَهُ
مِن سَلاسلِ أوهامهِ
الخفيّةِ والمعلنَهْ
وانْحنَى مُتْعباً
كي يَرى العالَمَ الجريحَ الذي يتدلَّى
في فضاء المدينةِ
مِن عُنُقِ المئذنَهْ.

* طرَفُ الخيط ـ أوّلهُ في السّماءِ:
تسلّقْنَهُ، يا جراحي
أَلملائِكُ جاءت وقَصّت جناحي.

٢٤٨هـ.

- ب -

«أصدقائي[2]!
رأيتُ كأنّيَ في النومِ،
أُصْغي إلى المتوكّل،
يَصرخُ:
«دبّرتَ قَتْلي،
لا تمتّعتَ بعدي،
بالخلافةِ. . .»
- رؤيا،
إنْسَها وائْتِنا بالنَّبيذْ -
ألنّبيذِ العَزيزِ اللّذيذْ!

- ج -

قيل: شاورَ في قتلهِ
فقهاءَ،
راوياً قُبْحَ أفعالهِ،
فأجازوا له قَتْلَهُ.

- ز -

لِسُميساطَ: أنْقاضِها
وبَقايا أساطيرِها
الوالِهَهْ،
هُوذا يَشْرئبُّ الحجَرْ
رُقُماً وتماثيلَ، مِن نشوةٍ.
وكأنّي أُصْغي لِلُقْيانَ[1]
يَسْخر في صَمْتِهِ
مِن يقين البَشَرْ،
ومن الآلِهَهْ.

* إنّها شهوةٌ عاليه،
وضعَ الفجرُ كفّاً على كتف الرّيح،
وارتاحَ، ينتظر الحَظَّ في كفّه الثانيهْ.

(١) لوقيان السّميساطي، كاتب سوري باللغة اليونانية.

(٢) الكلام للمنتصر، يخاطب أصدقاءه في إحدى جلساتهم قبيل موته.

- ٩٦ -

- أ -

أَطْلقوا[١] كلّ مَنْ في

السّجونِ، لكي ينهبوا

ولكي يهدموا،

ولكي يحرقوا.

- ب -

قُتِل الشاعِرُ[٢] -

وَجَعُ الشعر طيفٌ

على قبرِهِ دائِرُ.

- ح -

لا تخومٌ، - مسافاتُ ظنٍّ

تتخبَّطُ فيها خُطانَا

وصدَى راحلينَ حيارَى

وصدَى أمكنهْ

نَرْدُ رَمْلٍ على بابِ تدمرَ

والرّيح تحمل في راحتيها

شمعةَ الأزمنَهْ.

٭ ألمراراتُ تكسو المدائنَ -

أقدارَها وأحوالَها

ما ستفعل، والموت يكتبُ أيّامَها

وأعمالَها؟

(١) الجند الذين تمرّدوا، طلباً لأرزاقهم.

(٢) علي بن الجهم، وقتل قرب حلب.

٢٥٠هـ.

- ٩٧ -

- أ -

في الكوفة، يظهر يَحْيَى[٢]
يُذبَحُ فيها.
أخذوا الرأسَ، وقالوا:
سَنُقَوِّرهُ -
نَستخرِجُ منه اللُّبَّ،
العَينين. . . ولكن،
هَرَبَ الجزّارونَ. تجرّأ
سَهْلٌ[٣]: قوّرهُ،
وَحشاهُ مِسْكاً.
نُصِب الرّأسُ بسامرّاءَ،
وفي بغدادٍ.
ثم رموهُ في صندوقٍ،
في بيت سِلاحٍ.

- ط -

كنتُ، في غزواتِ الطّفولةِ، أسأل
سمعانَ[١] عن أوّل الدّربِ،
عَمّا تَخيّلهُ الآخرونَ، وعَمّا تراءَى
وعَمّا يُقالْ
وأنا الآنَ، في غمرات الكهولةِ، أسألُ
سمعانَ عن آخر الدّربِ:
سَمْعانُ يسكن في صمتهِ
وفي سِرّهِ،
وأنا ساكِنٌ في السُّؤالْ.

* جَبَلٌ يتخيّل صَوّانه نبيّاً،
يا نَبُو[٢]،
كيف سَمّوك سمعانَ؟ سِرّ المدادِ،
ووحي القَلَمْ
نُقِشا خاتمَيْنِ على وجنات الصّنَمْ.

(١) سمعان العمودي، ونَبُو اسمٌ لجبل سمعان، بالأشورية.

(٢) يحيى بن عمر الطالبي، وينتهي نسبه إلى عليّ بن أبي طالب.

(٣) شخص اسمه سهل الصّفدي.

٢٥٠هـ.

- ب -

قتلوا عدداً

مِمَّن تبعوا يَحيى.

- ج -

سَيْطرَ في طبرستانَ،

الحسَنُ[١]، انضمَّ

الريّ إليهِ.

- د -

أهل حمصٍ يثورونَ:

عامِلهم يُقْتَلُ.

جاءَ موسى[٢] إليهم:

عاث حَرْقاً وقتلاً وأَسْراً،

وعُطَيْفٌ[٣] يَفرُّ،

ولا يَسألُ.

- ي -

حملوهُ إلى بيته جريحاً

كانتِ امرأةٌ (لم يُقَلْ إنّها أمّهُ

لَمْ يُقَلْ أختُه)،

تَتلقّاه في البيتِ، مجروحةً مثلَهُ.

أَلنّوافِذُ بيضٌ تُطلّ على ريحها الآتيهْ

والطّيور التي ترسم الأفْقَ بين النّوافذِ،

بِيضٌ.

والجريحان: يَسْتجمعُ اللّقاء أناشيدَهُ

ومراثيَهُ بين أيديهما.

كان يَجمع ما بين وجهيْهما

كوكب الهجرة الثّانيهْ.

* زهرةٌ للبكاءْ

تتخيَّرُ عِطر الحقولِ، تُضمّخ منديلَها

وتُبلّل وجه السّماءْ.

(١) الحسن بن زيد الطّالبي، وينتهي نسبه إلى عليّ بن أبي طالب.

(٢) موسى بن بُغا الكبير.

(٣) عُطيف الكلبي، قائد التمرّد، وقد فرّ إلى البادية.

٢٥١هـ.

ـ ٩٨ ـ

ـ أ ـ

قتلوا باغِراً[١]،

والموالي اضطرابٌ وفَوْضى.

ـ ب ـ

فتنةٌ. حربُ بغداد ضدّ

الخليفةِ ـ ضِدّ الذّينْ

خلعوا المستعينْ[٢].

ـ ج ـ

في سامرّاءِ ـ

هُزِمَ الأتراكُ، وتلكَ

بِغالٌ وجواليقٌ

كي تُنقلَ كلُّ رؤوسِ

المقتولينَ مِنَ الأتراكِ

إلى بغدادِ.

ـ ك ـ

ـ «ألدُّمستقُ في حلَبِ»،

ـ «حلَبٌ تهزم الرّومَ»: حَرْبٌ

والشّعائر حربٌ

واللغات حروبٌ، ولا فَرْقَ فيها.

مُسلمونَ ورومٌ

ولا فَرْقَ ما بينهم.

واليمين هنا واليسارُ كمثل اليمينِ

هناكَ ومثل اليسارْ

ـ أين نمضي، إذنْ؟

ـ سَبقَتْنا إلى شمس هذا النّهارْ

زَهْرةُ الجُلّنارْ.

* لسنا من آلات الغرب، ولسنا

مِن آيات الشّرْق،

نحن هناك غيومٌ، وهنا أحجارٌ مِن

سجِّيلٍ،

لكن، أينَ الفَرْقْ؟

(١) باغر التركي، وكان أحد قتلة المتوكّل، «فَزِيدَ لذلك في أرزاقه، وأقطع قطائع».

(٢) لكي يبايعوا المعتزّ ابن المتوكّل.

٢٥١هـ.

ـ د ـ

مَنْ جاء برأسٍ تُرْكيٍّ،
يُعطى جائزةً.

ـ هـ ـ

في كلّ مكانٍ،
قَتلى،
وَنُبوّاتٌ.

ـ ل ـ

سيَرى هذا الجنديّ ذراعَ أخيهِ
حيث يُصلّي.
سَيَرى
قدمينِ، حذاءً، وبقايا شَعْرٍ
أو أَسْنَانٍ.
سَيَرى خُوذَةَ روميٍّ في جهةِ القُبلَهْ:

مسجد رُعْبٍ
لم يَشْهدْهُ أحدٌ قَبْلَهْ.

* ليس تاريخ آبائِنا غير ألفاظِنا،
نَتلمّظُ إيقاعها، ونترك أبناءَنا
يتمشّون في حيرةٍ
بين لفظٍ ولفظٍ.

ـ ٩٩ ـ

ـ أ ـ

يَسْتقيل الخليفَةُ مِن نفسهِ[١].

بعضهم قال ذلك شعراً:

«خُلع الخلافة أحمدُ بنُ مُحمَّدٍ

وسَيُقْتَلُ التّالي له، أو يُخْلَعُ».

ـ ب ـ

بعضهم وَصَفَ المستعينَ،

وقالوا:

كان ذلك وصفاً أميناً:

«خليفَةٌ في قَفَصٍ

بين وَصيفٍ وبُغَا

يَقولُ ما قالاَ لَهُ

كما يقولُ البَبَغَا».

ـ م ـ

تلبس الشمس جِلْبابَ وَرْدٍ

وتخرج مِن بيتِها،

بيتُها حلمٌ آخَرٌ

في مدارٍ خفيٍّ.

في شبابيكهِ

يتوهّج جَمْرُ السّفَرْ،

ألْفَضاءُ له مِثلُ وَحْيٍ

والغيومُ السُّوَرْ.

* أحياناً يكتبُ، لا يكتب إلاّ
كي يتزحزح نيرُ الأخطاءْ
عن عُنُقِ الأشياءْ.

(١) خلع المستعين ابن المعتصم، نفسَه من الخلافة، وبايعَ المعتزّ ابنَ المتوكّل.

٢٥٢هـ.

- ج -

سُلّم المستعينُ إلى حاجبٍ[٢]:

- «خذهُ، واضربْهُ حَتّى

يموتَ» - ولكن

لم يُطِعْ.

حَزّ، في لحظةٍ، رأسَهُ،

وقالوا:

أَثْقلوهُ حِجاراً،

وأَلقوهُ في دجلةٍ.

- ن -

الأسيرُ[١] المغطّى بأوجاعِهِ،

كيف لا تفتديهِ القَصائِدُ؟

ماذا يُسِرّ عليٌّ[١]؟

الأسيرُ المسرْبَلُ بالهمِّ في سجنهِ

يَتَسرْبَلُ حِقْداً عليَّ. صحيحٌ

لا أحبّ المدارَ الذي يتحرَّكُ فيهِ

ويُحرِّك أوهامَهُ.

غيرَ أنّي أقولُ: هُوَ الشّعر يَجمع ما بينَنَا،

وأقولُ لأعدائهِ:

غَرَضي أن يعودَ من الأسْرِ، هل لِعليٍّ

غَرَضٌ آخَرٌ؟

---

* كيف لي أن أخلّص نفسيَ

مِن ذلك الشّتاتْ؟

آهِ، ما أجملَ السّجنَ، إن كان بَوّابُه

الفُراتْ!

(١) الإشارة إلى أبي فراس الحمداني. وعليّ هو سيف الدّولة، وكان كما قيل يتردّد في فدائه مِن الأَسْر.

(٢) اسمه سعيد بن صالح.

٢٥٢هـ.

- د -

أَلخلافَةُ أضحوكَةٌ
والبلاد وأَنحَاؤُها
تتمزّق مِثل الخِرَقْ.
أمّةٌ مِن قشورٍ،
أمّةٌ مِنْ وَرَقْ!

- س -

هل يحقّ لِمثليَ شكوى؟
ولمن أتشكّى؟
عندما تقرأ الشّمسُ أغوارَ نفسي،
وأقرأ أغوارَها،
لا أرَى أيّ فَرْقِ
بين أطفالِ بيزنْطيا
والسّهولِ التي تَتَلألأُ فيها حلَبْ.
إنّه الشّعر كالشّمسِ -
كلّ الحدودِ له شُرُفاتٌ
أينما حَلَّ في الأرضِ، أو
أينما ذهَبْ.

---

* قدمايَ انْشِطارٌ: خطوةٌ في الشروقِ،
خُطىً في الغروبْ
ربّما سأصالح يأسي، وَتبّاً
لِلدّروب، وتبّاً لابتكار الدّروبْ.

٢٥٣هـ.

- ١٠٠ -

- أ -

رأسُ وصيفٍ[٢] حُزَّ،

وقالوا:

نَصبوهُ في تَنّورٍ.

- ب -

ألمؤيَّدُ[٣] في الحَبْسِ، -

أُخرِجَ مِنْ حَبْسِهِ،

مَيّتاً.

- ع -

بالِسٌ[١]

غابَةٌ مِن رماحٍ

يتآكَلُ فيها الوطنْ.

فرشتها كسجّادةٍ

في فضاء الفراتِ، النّجومْ

فوقها تغسلُ الغيوم

خُطواتِ الزّمَنْ.

* لغةٌ تتوالَدُ فيها، -

هِيَ في آنٍ

مِحرابُ حرابٍ

يتبطّنهُ محرابُ صلاةٍ.

(١) بلدة قديمة على الفرات، كانت من مراكز تمرّد بني كلاب على سيف الدّولة.

(٢) وصيف الخادم.

(٣) طلب منه المعتزّ أن يخلعَ نفسه من ولاية العهد، ففعل، ثم حُبِس وقُتِل.

٢٥٤هـ.

ـ ١٠١ ـ

ـ أ ـ

نُهِبت دارهُ[٢]،
وتَفرّق عنهُ مَن يوالونَهُ.
قتلوهُ،
نَصبوا رأسَهُ،
أَحْرقوهُ.

ـ ب ـ

«لا يَلذُّ ليَ النَومُ: لَيلاً نَهاراً،
في سلاحيَ، خَوْفاً
مِنْ بُغَا ـ كنت أخشى
أن يجيءَ من الجوّ، أو أن
يَجيء من الأرضِ، والآنَ
طابَت حياتي[٣]».

ـ ف ـ

ـ هل زُرتَ مَنبجَ[١]؟
ـ أمّهُ تذوي،
ويُسلمها العذابُ إلى العذابْ،
وتقولُ ساهمةً: يموتُ،
«ولم يُمتَّع بالشّبابْ»[١]
ـ هل زرتَ منبجَ؟
ـ كيف أحضنُ في الطّريق تُرابَها،
وأقولُ ما بيَ لِلتّرابْ؟

---

* لا مَفَرٌ ولا مَخْرَجُ
أسَرَتْهُ
في شِبَاكِ مراراتِها مَنْبجُ.

---

(١) بلدة أبي فراس، وكانت أمّه تعيش فيها. يصفها في إحدى قصائده قائلاً:
«حيث التفتَّ، رأيت ماءً سائحاً، ورأيتَ ظِلاّ».
وما بين المزدوجتين، مأخوذ من قوله: «زَيْنُ الشبابِ أبو فراس، لم يُمتّع بالشبابِ».

(٢) الإشارة إلى بُغا.

(٣) اعتراف الخليفة المعتز بخوفه من بُغا.

٢٥٥هـ.

- ١٠٢ -

بعد أن خَلعوهُ،
أخذوه إلى المهتدي:
- ما جرَى، يا أخي؟
- هو أمرٌ
لا رِضىً ليَ فيهِ، ولستُ
لــه صــالــحــاً، وهــم لا يريدونني،
وأُحِلُّكَ مِن بيعتي.
أرجعوهُ إلى سجنهِ.
ضربوهُ
بالدّبابيسِ، جَرّوهُ مِن
قدميهِ،
أَدخلوهُ لِكَهْفٍ
أَطْبقوا بابَهُ عليهِ.

- ص -

أوّل اللّيلِ. من أين تأتي
شهوة النّوم في أوّل اللّيل؟ تمضي
بُرْهةٌ،
أتغلّب فيها على النّوم، لكن
بعد ذلكَ صَحْوٌ،
تَعَبٌ كاسِرٌ وصَحْوٌ.
ولماذا
هذه الحربُ ما بين صَحْوي ونَوْميَ،
فَتّاكَةٌ؟

---

* صَدَفٌ هاتِفٌ (لا أشير إلى آلةٍ) للشواطئ، للموج أعماق حبٍّ، والرّمال مراراتها -
صَدَفٌ هاتِفٌ تخيّل أنّيَ مَرْسى لَهُ.

٢٥٦هـ.

ـ ١٠٣ ـ

ـ أ ـ

قتلوا صالحَ بْنَ وصيفٍ
حملوا رأسَه فوق رمحٍ
وطافوا بهِ.
صَرخوا: إنّه جَزاءُ الذي
خانَ مولاهُ[1]. قالوا:
أدخلوه، كمولاهُ،
في فُرْن نَارٍ.

ـ ب ـ

ضَرب المهتدي عُنقَهُ[2]،
ورمى رأسَهُ لأَصْحابِهِ.

ـ ق ـ

(رسالة شفوية من شخص
شارك في الحرب العربية ـ الرومية)

«(. . .)
مِثْلَ جسمي،
تَمزّقَ بيني وبين المدينةِ جسم المكانْ
ولماذا أعودُ، وعيناي ليلٌ
ويداي الرّؤومانِ مقطوعتانْ؟
رايَةٌ رفَعَتْني، رايَةٌ أنْزَلَتْني:
بين ذاكَ الصُّعودِ وهذا النّزولْ
ما أشَقّ الحياةَ، ويا ويلتا لِحياتي
لم يُيَسَّرْ لها
أن ترتّلَ إلاّ نشيد الأفولْ».

* نائماً في العَراءْ
يتحدّث مع كل شيءٍ، ويَهْذي
ألحصى كلماتٌ
والتذكُّر بيتٌ مفاتيحه البُكاءْ.

(١) الإشارة إلى الخليفة المعتزّ.

(٢) عنق بايكباك.

٢٥٦هـ.

- ج -

خُلِعَ المهتدي

بُويعَ المعتمِدُ[١].

- د -

إِبْنُ عَمٍّ لِبايَاكباكٍ[٢]،

كانَ أوّل من ضربَ المهتدي

بين أوداجهِ:

شَقَّهَا،

فارَ منها دَمٌ، راحَ

يمتصّ منه،

ويكرع حتى ارتوى.

قال: يا صَحْبَنا،

كان لي دمه، اليومَ، خَمْراً.

- ر -

(رسالة)

«إن أَمُتْ، بين أمواج سيحانَ،

أو في ضِفاف قويْقٍ،

فأنا لا أرَى فارقاً.

أَلسَّماءُ هنا، كالسّماء هُنالِكَ،

والأرضُ واحدةٌ للكفَنْ.

عندما يطبق الموت عينيكَ،

يهمس في أذنيكَ:

«التّرابُ هنا: وهناكَ ـ الوطَنْ».

* مِن أين يجيء إليكَ الوطنُ؟

من أين تجيء إليهِ؟

والقَتْلُ طريقٌ، والقتلُ فضاءٌ، والقَتْلُ الزّمَنُ.

(١) أحمد بن المتوكّل.

(٢) بايكباك.

- هـ -

بعضهم قال: كلاّ،
عُصِرت خِصْيتاه[1]
إلى أن قضى.
ورَوى آخرونْ:
جَعلوهُ بين لوحَيْنِ، شَدُّوهُما
بالحِبالِ إلى أنْ قَضَى.

- و -

الأُبُلَّة في قَبْضةِ الزنج:
قَتْلٌ وحَرْقٌ
وعُباداُن تفتَحُ أبوابَها
لِراياتِهم.

- ش -

(رسالة)

«هل سأدخلُ تلك الجنانَ التي
وَعَدُونا بها؟ هل سآخذ فيها
مَكاني بين وِلْدانِها؟ ولماذا، لم يَزْرني
إلى الآنِ أيُّ ملاكٍ؟
مَنْ يُعلّمني كيف أقرع أبوابَها، ومِن أيّ بابٍ
سآتي إليها، وما سأقول لبوّابِهِ؟
ولباسِيَ ما سيكونُ، وكيف سأمشي:
خَيْزلَى؟ هَيْدبَى؟
لم يزرْني مَلاكٌ إلى الآنِ - يأتي؟ أتَى؟
ما له غاضِبٌ يتحدّث مع تُرْجمانٍ؟
أم تراني تَوَهمْتُ؟ لا ذلك الملاكُ ملاكي،
ولا تلكمُ الجِنانُ جِناني».

---

* ليس للشمس بيتٌ
ليس للشمس دربٌ
ليس للشمس ثوبٌ،
سِوى ضوئِها.

(١) أي الخليفة المهتدي.

٢٥٧هـ.

- ١٠٤ -

قَتَلَ الزّنجُ سعيداً[١]،

والمنضمّين إليهِ.

زَعموا:

جاء الزّنج ومِن أسنانِهمُ

تتدلّى

كلّ رؤوسِ المقتولينَ،

وقالوا: اقْتَسَمَ الزّنجُ

لحومَ القَتْلى،

وتَهادَوْها.

(١) سعيد الحاجب.

- ت -

(رسالة)

«ـ ماذا؟

لا ذئبٌ يَعْوي، لا طَيْرٌ مرَّ، ولا حشَراتٌ

تتراقَص حولي.

ثَلْجٌ، ثَلْجٌ ـ فَبِمن أسْتأنِسُ،

أوْ أَتَدَفَّأُ؟ مَن سأضمّ إليَّ؟

وكيف أُعِدّ لِموتي حَفْلَ استقبالٍ؟

لستُ حظيّاً عند أميرٍ، أو عند النّاسِ،

جراحي

تُفردُ وجهيَ عنهم، تُفْرِد حَظّي

لا مُلكَ لوجهيَ إلاّ وجهي.

سأودّع نفسي، أستودعُها

صندوق رياحٍ».

* كان يرطنُ حولي، وأنا شِبْهُ مَيْتٍ

يُدَنْدِنُ ـ أَحْسَسْتُ جِسْراً،

جامعاً بيننا، عِبْرَ آهاتِنا.

٢٥٨هـ.

ـ ١٠٥ ـ

ـ أ ـ

أسِرَ البَحْرانيُّ[1]

صديقُ عليٍّ.

ورفيقُ الأيّام الأولى،

قُطعت رجلاهُ، يَداهُ،

وقالوا:

ذَبحوهُ،

أُحْرِق بعد الذَّبحِ،

وقالَ عليٌّ:

«خُوطِبْتُ بموتِ البَحرانيِّ،

جميلٌ

أَنْ تُقْتَلَ، يا يَحْيى:

كنتَ أكُولاً».

ـ ث ـ

يَنْبغي أن تُسافرَ في أعينِ الجُنْدِ

في اللّيل ـ تَلْتَفُّ أعناقهم

بمناديلهِ،

لِتَرى كيف تمتزج الأمكنَهْ

بتباريحهم،

بزفير الزَّمانِ،

وحَمْحمةِ الأحصنَهْ.

❊ باسْم ماضٍ وآتٍ

أكلوا كَي يُصَلّوا، وصَلّوا لكي يأكلوا

ما الذي تفعل الصّلاة

لِتُحرِّر من موتها ـ الحياة؟

(١) يحيى بن محمد البَحرانيّ. وعليّ هو صاحب الزنج، عليّ بن محمد.

٢٥٨هـ.

- ب -

ألفُ سَوطٍ
وعشرونَ، كان جزاءً
لأبي فَقْعسٍ[1].
والجريمَةُ شَتْمُ السَّلَفْ:
إنَّها عِبْرةٌ لِلخَلَفْ!

- خ -

مِثْلَ فرسانِها،
تتأبَّى الدُّخولَ إلى حَلَباتِ
لا تكون خُطَاها مفاتيحَها
وأقول هنا ما أقولْ
لا لِشيء
سوى أن أحيّي
هُيامَ الخيول بِفُرْسَانِها،
وأُحَيِّي الخيولْ.

---

* عبَق الزّهر ثوبٌ
يُجرّر أذياله الهواءْ
في رواق الفضاءْ.

(١) رجل من سامرّاء، مجهول الاسم.

٢٥٩هـ.

ـ ١٠٦ ـ

قالَ نبيّ الزّنج[1]: صراطي
لا بيضٌ،
لا سودانٌ ـ
الثّورةُ ميثاقُ الأشياء
والفاسِقُ مَنْ لا يُؤمِنُ
أنّ السّودانَ كمثل
البيض،
سواء.

ـ ذ ـ

كلَّ ليلٍ،
أقول لنفسي: خُذيني وسيري
في الجهات الخفيّة مِن جسدِ الشّيء،
مِن هذه الصُّوَرِ الزّائلاتِ،
وأصرخُ: واحيرتي! علّميني
عَلّمي كلماتي، يدَيّ
كيف أكتبُ هذا الخفاءَ الذي يَتحارَبُ
في حلَبٍ وقُسَنْطينةٍ،
ويروح ويأتي، ويَعلو ويَهْوي
ويَرينُ على كاهِليّ؟

* لا تُضايقْ
سَفَرَ العِطر من كُمّهِ
إلى حَقْلِهِ.

(١) علي بن محمد، الذي قاد ثورة الزّنج مِن بداياتها سنة ٢٥٥هـ، حتى نهايتها، سنة ٢٧٠هـ. هكذا استمرّت أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، وستّة أيّام.

- ض -

نقطةٌ من دَم،-

أَتُراهُ الحِصان الذي كان يُومِئُ

فيما يُحَشْرِجُ، أم ذلك الفارِسُ؟

لا تَسَلْ.

لم أَجِئْ كي أُشاهِدَ قَبْراً ولا جُثَّةً،

لم أَجِيء كي أذكّر نفسي

بنيرانها وأحوالِها،

لم أجيء كي أقول: البلادُ صلاةٌ لسِجّانِها

وسجودٌ لأغلالِها.

لا تَسَلْ،

لن أجيبكَ، يا أيّها الحارسُ.

* لا يريد الصّحارى، يريد الطّريقَ إليها

لا يريد الطّريقَ إليها،

لا يريد سوى بُعدها وسوى صَمْتِها.

٢٥٩هـ.

*

قال نبيّ الزّنجِ أَتَتْني

سورٌ

غابَت عَنّي -

كانت تَجْري

فوق لسانيَ ماءً عَذْباً،

منها سبحانَ،

ومنها الكهفُ وصَادٌ.

*

ضِقْتُ بِسوء الطّاعةِ،

لكن

أَيْنَ، وأنّى أمضي؟

٢٥٩هـ.

*

هوذا غيمٌ

يأتي ويظلّلني.

رعدٌ، صَوتٌ مِن أغوار

الرَّعْدِ، يخاطبني:

سِرْ لِلبَصْرَة!

ما أكرمَ سيري،

ما أكرمَ هذي الفِكْرَة!

*

جَبَلٌ سُمّيَ بالشّيطانِ،

ولا يَسكنهُ

إلاّ شَيْطانٌ -

فيهِ، كان مقاميَ، وَخدي

والصّحراء لِجندي.

- ظ -

لا أريدُ من الرّوم شيئاً

لا أريد سواها -

طفلةٌ في الطّريقِ

لا أريد سوى جرحها

لا أريدُ من الجرح إلاّ

أن أمرّر كفّي عليهِ

وأُبَلْسِمَ أوجاعَهُ

لا أريد سوى أن أقول: الحريقُ

الذي يتأجّج في جرحها،

حريقي.

* في فم الأرض سمٌّ غريبٌ

يجرُّ الهواءُ

بيدٍ تتبرّك باللّهِ والأنبياءْ.

٢٥٩هـ.

*

هوذا،

بين الأعرابِ، يقلّبُ

أوراقَ الصّحراءِ،

مَعَهُ مَوْلى[١]

مِنْ أهلِ الأَخساء.

مَعَهُ مولًى آخَرْ[٢]

قادَ الجيشَ

لِدَخرِ الأعداء.

- غ -

(رسالة)

«لا أريدُ الصّعودَ إلى جَنّةٍ شهيداً:

لا لِحوريّةٍ، شَهواتي

بل إلى امرأةٍ أتنشّقُ أعضاءَها

أتلمّس أعضاءها

مثلما أتلمّس طيناً.

فأنا عاشِقٌ لطينِ نَماني،

ويعزّ على فِطْرتي

أنْ يضيعَ المنيُّ العزيزُ الرّواءُ

في سريرِ السّماءِ».

* زهرةٌ طافِيهْ

فوق ماءٍ: لها حين تنأى جسدٌ باذخٌ

ولها حين تدنو قدمٌ حافيهْ.

(١) هو يحيى بن محمد الأزرق، ويُعرف بالبحراني وقد سبقت الإشارة إليه، وإلى مقتله.

(٢) اسمه سليمان بن جامع.

هوامش



ومَــنْ يَــكُ ذا فَــمٍ مُــرٍّ مــريــضٍ
يَــجِــدْ مُــرًّا بــه الــمــاءَ الــزُّلالاَ.

المتنبي

ابن الرومي

هو أبو الحسن عليّ بن العباس بن جريج. مات سنة ٢٨٣هـ.

بهدوءٍ، بِرفْقٍ
أخذَ الضّوءُ فرشاتَهُ
أخذ الضّوءُ يرسم في الحقل قبراً
بحروفٍ من العشب، حول الحروفِ
زهورٌ: لَيْلَكٌ
وورودٌ
وفي آخر الحقل بيْتٌ
يتمايل حزناً كعبّادِ شمسٍ.

أيّها الضّوء، من أين تعرفُ أنّ الذي يسكن
القبرَ، حُبٌّ؟

البحتري

مات سنة ٢٨٣هـ.

سكبت وردةٌ عِطرَها

في يد الرّيح ـ تقرع بابَ المساءْ

لملاقاتهِ.

فوّض الشاعِر المنوّر للرِّيحِ أوراقه ـ

لم يقل: كيفَ؟ لم يتساءلْ

لم يَشَأْ أَن يعكّر هذا اللّقاءْ.

أحمد بن الطيب السّرخسي

اسألوا السيّدَ الخليفَة:

هل كان يعقل؟

هل كان يعرف ماذا يقول اسمُه؟

واسألوهُ:

ما الذي كان يهرفُ عن دينهِ علمُه؟

ولماذا،

إن يكن قرشيًّا ومن وُرَثاءِ النبيْ

قَتَلَ السّرخسيْ؟

توفي سنة ٢٨٦هـ. فيلسوف قرأ على الكندي. قيل: قتله المعتضد لأنه دعاه إلى الإلحاد. وكان مستشاراً عنده. ترك مؤلّفات عديدة بينها: المسالك والممالك، كتاب السياسة، كتاب الموسيقى الكبير، كتاب الشاكّين وطريق اعتقادهم، كتاب النفس، وصف مذهب الصّابئين، كتاب أنولوطيقا، كتاب قاطيغورياس، كتاب الأرتماطيقي والجبر والمقابلة، المدخل إلى صناعة النجوم، القيان، اللهو والملاهي.

وقيل: اخترع أبجدية صوتية في أربعين حرفاً لكي تؤدّي بالعربية أصوات اللغات الأجنبية، المعروفة في عصره (الفارسية، السريانية، اليونانية).

توفي سنة ٢٨٦هـ.

إسحٰق الأحمر

كوفيٌّ ـ زعموا

أنّ له أوراقاً

سَمّاها بعض القرّاء كتاباً

فيه زندقَةٌ، وثنوا: فيه قَرْمَطَةٌ.

وَرَوَوا: كان له أصحابٌ

سمّوهم إسحاقيّهْ

كانت لهمُ في لَيْلِ عليٍّ

صورٌ ومعانٍ

لا تفصح عنها

إلاّ رؤيا لاهوتيّهْ.

توفي سنة ٢٨٨هـ. من بيت الخلافة الأموي في الأندلس. كان عالماً بالهيئة والنجوم. ثار وهاجم جليقية Calice، ودعا أهلها إلى الإسلام. خذله من معه. قُتل ونصب رأسه على باب سمورة.

ابن القطّ، أحمد بن معاوية

لا النّجومُ ولا هيئة الفلَكْ
نصرَتْكَ، اسْتَعنْتَ بما لا يعينُ
ومَنْ لا يُعينُ. لماذا
خنتَ أبهى وأقربَ عَوْنِ
لما كُنتَه ـ مِقْولَكْ؟
وأرى رأسَك الآن يعلو ويَصرخ:
ها، هيتَ لَكْ
أيّهذا الفلَكْ.

ثابت بن قرّة

في الأخبار أنّ له نحواً من مئةٍ وخمسين كتاباً في الطب والفلسفة والعلوم والهندسة والموسيقى، وأنه كان يحسن أكثر اللّغات الشائعة في عصره. توفي سنة ٢٨٨هـ ـ ٩٠١م. كان طبيباً وفيلسوفاً ورياضيًا.

كان بين العلوم وما بينه جسورٌ

تَصِلُ النّار بالسّحابِ

وبالبدعة الصّلاةْ،

ألهذا،

كان يؤوي العناصِرَ في أصغريْهِ

ويعرف أسرارَ كلّ اللّغات؟

أبو علي نَطّاحة

توفي سنة ٢٩٠هـ. من الكتّاب المترسّلين. مات قتلاً. له «صفة النّفس»، وهي مجموعة رسائل من ألف ورقة، كما يقال، وله «طبقات الكتّاب».

«صِفَةُ النّفس» تبكيكَ و «الطّبقاتُ»، ولكن
لا الرّسائل نَطّاحَةٌ، لا الكلام رماحٌ
والسيوف التي تقطع الرّقابْ
تتربّص في شرفات الكتابْ.

هل تقول لمن سوف يخلف ذاك الشرار الذي قدحته خُطَاكَ: اعتبرْ، واتّعظْ؟

هل تقول لأوراقكَ ارسميني
أثراً من جراحِ
رَقْشَ عشبٍ على جَسدٍ من ترابْ؟

توفي سنة ٢٩١هـ. كلداني أو نبطي، عالم بالكيمياء، ينسب إليه الاشتغال بالسحر والشعوذة، وينعت بالصوفيّ. من كتبه: ترجمة كتاب الفلاحة النبطية، شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام.

ابن وحشيّة

أيّها العالم السّاحرُ المستهامْ

ما الذي قالت الكيمياءُ، ترى كان عقلكَ في وجهةٍ،

وقلبكَ في وجهةٍ ـ

حين أوغلتَ فيها؟ ولِمَ السّحرُ؟ شَعْوذتَ ـ

قالوا. وتصوّفْتَ: قالوا،

وخلطتَ الكلامْ

بتخاييلكَ ـ

اصدُقِ القولَ:

مِن أين يأتي إلى النّاسِ هذا الظّلامْ؟

ابن المعتز

قتل سنة ٢٩٦هـ.

وَلَهُ فِيَّ يَنْقَضُّ يَشْطَحُ

حتّى كأنّ عروقي له مُنْحَدَرْ

وَلَهُ ـ أتعلّم فيهِ

كيف تحيا سواءً

لغتي وتباريحُها

والحقولُ، وهذي الغيومُ، وتلك السّماءُ،

وهذا الشّجَرْ.

ابن الراوندي

قتل صلباً سنة ٢٩٨هـ ـ ٩١٠م. قيل: ترك مئةً وأربعة عشر كتاباً لم يصل شيءٌ منها. بقيت أسماء بعضها: الدامغ للقرآن، التاج، فضيحة المعتزلة، الزمرّدة، نعت الحكمة، قضيب الذهب.

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٢٩٨هـ: «مات في هذه السنة أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين البغدادي المعروف بابن الراوندي الماجن، المنسوب إلى الهزل والزندقة، كان أبوه يهوديًا فأسلم هو. فكانت اليهود تقول للمسلمين: «احذروا أن يفسد عليكم هذا كتابكم، كما أفسد أبوه علينا كتابنا». صنّف كتباً كثيرة في الزندقة، منها: بعث الحكمة في تقوية القول بالاثنين، وكتاب الدامغ للقرآن، وكتاب الزمرّدة، والتاج والفريد. وأمره في الزندقة والمخرقة أشهر من أن يذكر. عليه اللّعنة والخِزْي».

ـ ١ ـ

وصفوهُ: «غايةٌ في الذّكاءْ»
قِدَمُ الكونِ ـ لا صانِعٌ، لا نبوّةَ: بعضٌ
مِن مقالاتهِ.
كان يطعنُ مستهزئاً
بالشرائع والأنبياءْ.

ـ ٢ ـ

قال يوماً لإحدى مريداتهِ:
«بعض روحيَ يحيا
في كتابٍ، وبعضٌ
في كتابٍ، وبعضٌ
في مكانٍ غريبٍ لا طريقٌ لَهُ.
هل أصدّق وَهْمي
أم أقول: بَلَى، لستُ حيًّا
ولا أتحرّك إلا بجِسْمي؟».

VII

وما تَسَعُ الأَزْمَانُ
عِلْمي بِأَمْرِها . . .

المتنبي

٢٥٩هـ.

*

هُوذا[١] في البَصْرة،

كان النّاس سُكارَى

بَطراً، أو كانوا

يُحْتَضَرون هَواناً.

حَرّك فيهم جَمْرَ الرّفْضِ،ـ

دَعَا الشّبّانَ (وكان يقال لهم: غِلْمانٌ). كثروا،

قامَ خطيباً فيهم:

«سنبدِّلُ هذي الحالْ

ويكونُ لكم

ما تحتاجون إليهِ ـ

أرضاً، أو مالْ».

ـ أ ـ

مِن أينَ، كيف تَمشَّتْ في دمي حلَبُ؟

سقيتها لغتي، حتى إذا سَكرت

تمرّدت، وسبَاها سُكرها العجَبُ

هل جئتُها لأرى نفسي، كما فُطِرت

أم جِئت أوغل في نفسي، وأغتربُ؟

لقامة الشعر تَزْهوني وتلبَسُني

خلعتُ ثوبيَ: ليل الكونِ مؤتَلِقٌ

بِما أبوحُ، وعطر الخَلْقِ مُنْسَكِبُ.

آخيتُ في كيمياء الشعر أخيلتي

حتّى تمازج فيّ الرّومُ والعربُ

لا نارَ فِيَّ إذا لم تشتعل مطراً

لا ماءَ فِيَّ إذا لم يُجْره اللّهبُ،

مِن أين، كيف تمشّت في دمي حلبُ؟

---

* أوّلوا أنّهُ

لا يقول بما قاله الأنبياءْ

أوّلوا أنّه

يتهيأ كي يُصلحَ السّماءْ.

(١) الإشارة إلى قائد الزنج.

٢٥٩هـ.

*

في عَسْكرِهِ،
قال لكلّ مواليهم:
«أسْرَفتُمْ في قهر
الغلمانِ، ولَوْ لَمْ يشفَعْ
أصحابي فيكم،
لَقتلتكمُ.

هَيّا، انطلقوا،
لكن،
إيّاكم أن تَرْوُوا
شيئاً مِمّا شاهَدْتُمْ
عندي».

- ب -

أُدْرِكُ الآن أنّيَ في حيرةٍ في عَذابْ:
لا أرَى ما يميّز هذا الحجَرْ
عن بوارقَ خَلاّبةٍ.
أأُسمّي
واقعاً ما أرَى، أم خيالاً؟
أم أقول: النّظَرْ
هو طوراً ترابٌ، وطوراً
سرابْ؟
كاد أن يَصرخَ التّرابُ: انفجِرْ، أيّها الماءُ،
لم يَبْقَ غير الخرابْ.

* ربّما،
لم يعد أيّ معنىَ لرأسكَ، إلاّ
أن يكونَ مرُوقاً.

٢٥٩هـ.

*

قال رُمَيْسٌ[1]:

ـ «غِلمانٌ أُبّاقٌ،

وغداً يمضون، فلا يُبْقُونَ

عليك، ولا يُبقونَ علينا.

لا تأخذهُمْ، خُذْ مالاً».

ـ «للعبد الحَقُّ بضَرْب

المولى»، قالَ، وأكملَ:

«قوموا، وَلْيضربْ كلٌّ

مولاَهُ بجريدِ النّخلْ،

لكمُ أن تختاروا فيهم

ما شِئتمْ ـ

إلاّ القَتْلْ».

ـ ج ـ

حضَنْتُ عَصْريَ ـ أطويه وأنشرهُ

أخطُّه وأغنّيهِ، وأَرْتَجِلُ

أزورُ أرضَ صباباتي، أطوفُ بها

أُقيمُ، أنقضُ ما أبني، وأَرْتَحِلُ

منوَّراً بدمي، مستنفِراً وَلهي

كأنني برحيقٍ ساحرٍ ثمِلُ،

طوفانُ حبّيَ ميثاقي، فلا قلَقي

يَبْلى، ولا جُرحيَ الخَلاّق يَنْدمِلُ.

* يا هذا الفَطِنُ، الجوّابُ، الحَذِرُ

النّملْ،

قُلْ لي، علّمني

كيف تُدحْرِجُ قرصَ الشّمْسِ،

وكيف تسوسُ الرّملْ؟

(١) رسول الموالي إلى قائد الزّنج.

٢٥٩هـ.

*

يومَ الفِطرْ،

هَبّ الزّنج جميعاً، وانضمّوا

مُنقادين إليهِ في مِثل السِّحرْ.

حَيّاهم،

ودعا لِصلاةِ الفِطْر، وصَلّى

صَلّوا، قامَ خطيباً

فيهم.

أنكر ما كانوا فيهِ

مِن سوءِ الحالِ، وأقسمَ

أن يُنقِذهم،

ويُملّكهم ـ

أموالاً وبُيوتاً.

ـ د ـ

أَلتحيّةُ مِن أوّلِ

لِلسّواد لأهل السّواد لهذا النّهارِ

الذي بدأ الآنَ يَسْودُّ فيَّ/

عرفتُ السّوادَ الذي يتحدّر من جسَدِ

الشمس، حيناً، ومن جسد اللّيلِ،

حيناً،

وأعرف جنس الثّقوب التي فيهِ، أعرفُ

ما تُخبىء الثقوبُ / السّوادُ مدَانا

والسّوادُ مواثيقُنا وهَوانا.

* أَلحقولُ الأزقّةُ من وقع أقدامِنا تجفلُ،ـ

أتُراها أعاصيرُنا

بدأت تُقبِلُ؟

٢٥٩هـ.

*

قال نبيّ الزّنجِ:

انْسالَ الحِبْرُ الأسودُ

فوق صحائِفِ هذا

العالَمِ:

ليس هناكَ بياضٌ

إن لم يَلْقَحْهُ

ألَقٌ زِنجيٌّ.

ـ هـ ـ

أتيقَّنُ: هذا دُواري

ليس لي مِن مكانٍ.

حلَبٌ تتضاءَلُ، والأرضُ

ضاقَتْ.

سأفوّض أَمْري لِعَفْو الفضاءْ

سأقول لنفسيَ: كوني

كُرَةً، والْبَسيني

واهْبطي واصْعَدي

في الظُّنونِ على دَرج الكيمياءْ.

* هو هذا دَمُ اللاّنهايَهْ

دافقاً ـ تعجبونَ؟ رويداً

بعدُ، لم يُولد الكلامُ، ولم

تبدأ الحكايَهْ.

*

كان الجيش بدون سلاحٍ.

بدأوا بثلاثةِ أسْيافٍ:

سَيْف عَليٍّ،

سيْفِ ابْنِ أبَانٍ،

سيف محمّدْ.

كان النّصر حليفاً لهُم

في أول حَرْبٍ خاضُوها.

غنموا أموالاً وسلاحاً

قتلوا أعداءً. قالوا:

«حُملت كلّ رؤوسِ المقتولينْ

فوق بغالِ المهزومينْ».

- و -

حَلَبٌ -

كيف أَقْفوكِ، أرَى زَهْريَ في حوضكِ

أشجار لقاحاتكِ، والطّلْعَ كما

كان، ولا يجمعنا الآن سوى

جَمْر الشّتَاتْ؟

هوذا أُشْعل قنديلَ ظنوني

هوذا أقرؤكِ الآن، وأَسْتَقْرىء ما

كنتِ

وأَسْتَطلع أغواركِ في كلّ

الجهاتْ...

* نملةٌ خيّمت

فوق رأسِ الجَبَلْ،

تتساءل: مِن أين تؤتى السّماءُ،

وما سيكون العمَلْ؟

٢٥٩هـ.

*

قال نبيّ الزّنجِ:
الرّغبةُ في الأشياءِ
دَمُ الأشياءِ.

- ز -

قَصْرٌ من الرّيحِ يَطْويني وينشرني،-
لم يَرْوَ مِن حلَبِ ظنّي، ولستُ بلا
شَكٍّ يُلِحُّ، وما ضاقَتْ بها سُبُلي.

وها أنا بين أيّامي وأَخْيِلتي
مُبعثَرٌ بَطِرٌ هَشٌّ وبي شَغَفٌ
يطوفُ يبحث مجروفاً بلهفتهِ
كأنّه يقنصُ التّاريخَ في حجَرِ
ينامُ في الرَّمْلِ، أو في راحتيْ طَللِ.

* واضحٌ مُبهمٌ، لا يبوحُ ولا يكتمُ:
شبَحٌ للكلام، لأَحْرف وَصْلٍ
وفَصْلٍ،
على وجههِ يُرسَمُ.

٢٥٩هـ.

*

فوضى ـ خاف السّودانْ
أن يُرجعهم لمواليهمْ.
جاءَ إليهم، طَمْأَنَهُمْ.

قال: «ائتوني، وأحيطوني،
ليكن حولِيَ منكم جمعٌ
وَلْيُفتَكْ بي،
إن أَحْسَسْتُم مني غَدْراً.
لم أخرج أبداً لِحطَامِ
أو عَرضٍ من أعراض الدّنيا.
لم أخرج إلاّ غَضَباً لِلّهْ،
ولما يَمْلأُ هذي الأرضَ
فساداً».

- ح -

الآن، كلانا
يشكو ظُلمَ الآخر، يشكو
بعد الآخر عنه.
يسألُ كلٌّ مِنّا:
كيف، لماذا لا نتساوى؟
مِن أين سنبدأُ؟ مِنّي؟ حسناً
لا أملكُ إلاّ الجرحَ فَخُذْهُ
كي نتقاربَ، كي نتساوى.
وأدلّكَ: حدِّقْ، هذي طرُقي
أكداسُ غيوبٍ ومراراتٍ
هل تسلكها
كي نتلاقى، كي نتقاربَ، كي نتساوى؟
أتُرانيَ إن أعطيتُكَ ملكيَ هذا
نتباعَد، أم نتقاربُ، أم نَتساوى؟

.

* الضّياءُ الذي حملته إلى الشارع
الشّمسُ: بعضٌ
أخذته المفارِقُ، بعضٌ
أخذته الزّوايا.
بقي العابرون يسيرون في ليلهم.

٢٥٩هـ.

*

«لا تنتهبوا[1] شيئاً

مِن هذي القَرْيةِ،

لا تَسْبُوا أحداً.

مَنْ يَفعَلْ،

يُقْتَلْ».

(١) الكلام لقائد الزّنج. والقرية تدعى الجعفرية، على نهر دجلة.

ـ ط ـ

هذا زمانيَ؟ لا، لا شيءَ يربطُني
بِحبلهِ، لا مقالاتٌ ولا كتبُ
مَدَّ الفرات يديهِ، ضارِعاً لِغَدٍ
يرجّهُ، وبكت أنْفاسها حلَبُ
لم يَبْق مُتّسَعٌ لِلّيل في جَسدي
كأنه غابَةٌ سَوداءُ تَلْتهبُ
تركت شِعْريَ في جرداء قاحلةٍ
يَسْري، وراحلتاه الرفْضُ والغضَبُ
لي من دُجاهُ كشوفٌ تَسْتضيءُ بها
أفلاكُ نفسي، ولي مِن نورهِ حجبُ.

* بين أفراحه ينامُ،
وفي حزنه يَستفيقْ
هو كالأرضِ: جسمٌ يظلّ جديداً
وجرحٌ عتيقْ.

٢٥٩هـ.

*

كان لعليّ أصحابٌ
ينضمّون إليهِ في
عُزلَتهِ،
يتساقَوْنَ الخمرَ،
وكانت
حِلاًّ في عَسْكرهِ.

- ي -

لا أُريدُ طمأنينةً، بل أُريد التّرنّحَ
في طرَفِ الخيطِ،
في آخر الأفُقِ، أو بين
مَهْوًى ومَهْوى.
هكذا عِشتُ حربيَ - حَربي
لم تكن خارجاً،
مع الآخر الصّديقِ، أو القاتلِ،

حَرْبيَ في داخلِي.

* لم يَجِئْهُ من العيش إلاّ التقلّبُ
في تيه جُرْحٍ وداءٍ،
لم يَجئهُ من التيهِ إلاّ فضاءٌ يقودُ
الفضاءْ.

٢٦٠هـ.

*

قال نبيّ الزِّنج:

العالَمُ ـ هذا العالَمُ،

عهدٌ

مع طغيانٍ عاهد عَرْشاً،

وأنا مِن هذا العهد بُراءٌ.

*

أوّلُ سَبْيٍ[1]:

غِلمانٌ،

مالٌ وحِليٌّ،

ذَهَبٌ

ونساءٌ.

ـ ك ـ

مِن زمانٍ، وتعرف عنّيَ هذا،

أتشهّى الرّحيلْ

أيّها الفارسُ المتردّد في داخلي، يا دمي.

هوذا أنتَ، في ذُرواتِ الترحُّلِ ـ عيناكَ،

صدركَ، أحشاؤكَ الوديعةُ

محروقةٌ،

والجراحُ التي مَزّقتك ينابيعُها.

كان يُغْريك هذا الدُّخولُ إلى كلّ ما لا يُطاقُ

وها أنتما الآنَ في وحدةٍ:

أنتَ والمستحيلْ.

* أعاره اللّيل عينيهِ، وأسْلَمَهُ

خيط الرّؤى لفضاء الحلم والصُّوَرِ

لم يقرأ الأرضَ إلاّ وَهْيَ حانيةٌ

على الرّمادِ، ولم يكتب سوى الشَّررِ.

(١) من قريتي القادسية والشيفيا، لأنهما لم تُسلّما له قاتلَ أحد أصحابهِ، كما ذكر الطّبري.

٢٦٠هـ.

*

حَرّم شُرْب الخمر، لِئَلاّ

يُشغلَ مَن كانوا معه

بحروبٍ أُخرى

فيما بينهم.

*

أَسْرى،

ورؤوسٌ قُطِعتْ.

- ل -

كَبُرت خطواتي

ودروبي صَغُرَتْ:

أين أوجّه وَجْهي؟

مِثْلِيَ ذاكَ الجَبلُ الضّخْمُ: له آفاقٌ

ولهُ ذُرواتٌ.

كيف اسْتَقْصَى أسراري

وتغلغلَ فيها،

واسْتَنْسَخَ همّي،

كيف تَماهَى مع أحلامي؟

* تعبت قدَما نهْرِ قويْقٍ. لن يَشْفَى
بعد الآنِ. قويْقٌ شيخ نباتٍ، طفلُ
حقولٍ،
لم يحمل غيرَ صفاء الماءْ،
من أين أتاه ذاك الدّاءْ؟

٢٦٠هـ.

*

سفُنٌ:
بعضُ الحُجّاجِ، وتُجّارٌ.
قالوا: لسنا
مِنْ أصحابِ السُّلطانِ،
فَأُطْلِق كلٌّ مِنهم.

*

قال نبيّ الزّنجِ: أفيقوا،
هذي الأرض قطافٌ
والرّيحُ رُخَاء.

- م -

أتهجّى البلادَ:

اليمينَ الشّمالَ الوراءَ الأمامْ

أتهجىَ العلوَّ، الأَسافِلَ -

ما كانَ مِن كلماتِ

ومَا لم يكن.

وأنادي، وأُصْغي، وأشعرُ أنّي

مُوثَقٌ بخطايَ، كأنّي أنادي

غيابي، وأنادي الظّلامْ.

* أأقولُ: أفْرغني دمي مِنّي،
ومزّقني ستاري؟
حلبٌ تئنُّ معي - تحلّ إزارها
بيدي، وتدخل في إزاري.

٢٦٠هـ.

*

نَهْرُ شيطانٍ[1]

ضَلّلني عن صَحْبي

ضَلّلهم عنّي.

أَمْشي - في رِجْليَ نَعْلٌ

سِنْديٌّ

وعمامتيَ انْحَلَّتْ.

أمشي - قَصّرْتُ. تَحيَّر

صَحبيَ مِن فَقْدي.

سَكَنُوا حين رأَوْني.

أَخَذَ البَصْريّون متاعاً

مِنّي:

كتباً، إِضطرلاباتٍ...

- ن -

عالَمٌ - مَشْهَدٌ

غيرَ أنّ الممثّلَ والمسرحيّةَ

والناظرينَ إليها

والذين أتوا قَبلهم

والذين سيأتون مِن بَعْدِهم،

كُرَةٌ في فراغٍ

والفراغُ المكانْ -

عجباً! كيف لا يتوقّفُ

ذاك الدَّمُ البهلوانْ؟

* هل غدت نارهُ

مِثل ماءٍ على المائده؟

هل أقول التحيّة من أوّلٍ، أم أقول

التوهّجُ من أوّلٍ،

لِبَراكينهِ الرّاقده؟

(١) في إحدى المعارك على نهرٍ يُسمّى «نهر شيطان». (الطبري).

٢٦٠هـ.

*

ساعةُ عُسْرٍ!

يا ربِّ أعِنّي!

. . . ورأيتُ طيوراً بيضاً

تَتلقّى جمع الأعداء

غرقت منهم طائفةٌ

قُتلت طائفةٌ

هربت طائفةٌ

أكثرُ مَنْ في هذا الجَمْع أُبيدوا.

يَوْمٌ سَمّوه يومَ شَذَا[1] ـ

جاؤوا برؤوسِ القَتْلى،

جاء النّاس ليأخذ كلٌّ منهم

رَأسَ أَبٍ،

أو رأسَ ابنٍ،

أو رأسَ قريبٍ.

ـ س ـ

كلٌّ يَجهرُ: «حَقًّا،

لِلَّهِ،

لِسيفِ الدّولةِ،

للأمراءِ وللفقهاءِ، الأَمْرْ»،

ويتابعُ كلٌّ:

«أحني رَأْسي ـ

مُلكيَ هذا الفَقْرُ، وهذا الأَسْرْ.»

كلاّ، كلاّ يا آدَمْ

«مملكتي ليست

مِن هذا العالَمْ».

* إغواءُ مُفْتَرقٍ ووسوسة اختبارٍ:

أهناك ما يختارُه؟

أيفرُّ من طينٍ إلى طينٍ، ومن نارٍ لنارِ؟

(١) الشَّذَا جمع شذَاة، نوعٌ من السّفن الخاصة في البصرة، في ذلك الوقت.

ويوم الشذا: «قُتِل فيه من بني هاشم جماعة من ولد جعفر بن سليمان وأربعون رجلاً من الرّماة المشهورين في خلق كثير، لا يُحصى عددهم». (الطبري).

- ع -

حَبِلتْ أمّهُ، وعنيتُ الأميرَ،

(خِلافاً لما تعرف النّساءُ)،

كما تحبلُ الغيومْ

أرضعتْهُ (خِلافاً لما يعرف الآخرون)،

كما يرضعُ الضّوءُ ثدي النُّجومْ.

هكذا يَرِثُ الحَرْثَ والزَّرْعَ،

يمتلك الأرضَ والعالمينْ

باسْمِنا، نحن عبدانَهُ

وأعوانَهُ،

المؤمنينَ بهِ، التّابعينْ.

* تلك ناري وحَرْبي:

لا أُتابعُ إلاّ هوايَ:

ولا عَرش لي غيرُ قلبي.

٢٦٠هـ.

*

ما لم يُؤخَذْ منها

وضعوه فوق بساطٍ

مِن خشبٍ.

قذَفوهُ في الجَزْرِ إلى

البَصْرَهْ

جاء النّاسُ إليهِ

كُلٌّ

يأخذُ رأساً يعرفهُ.

٢٦٠هـ.

*

قال نبيُّ الزّنجِ:

بيوضُ كواكبَ

تُحضَنُ في أعشاش

الرَّفضْ،

سَتُعيّد عيد الأَرْضْ.

ـ ف ـ

عندما تكتب الشّمسُ شِعرَ الفضاءِ،

وتُسألُ عمّا تبقَّى

عندما يلبس الفجرُ تاجَ الزّمانِ،

ويكتب تاريخَهُ،

ويُسأل عمّا تبقّى،ـ

ما الذي يتبقّى مِنَ الرّانِ من تَلٍّ بطريقَ،

أو قلعة الحدَثْ،

غيرُ تلك الجُثَثْ؟

* تجلس اللاّنهايةُ

خَرْساءَ في وكْرِ

نَمْلٍ.

٢٦٠هـ.

*

ما أَوْهَنهم ـ أهْلَ البَصْره

لا تَجمعهم أيّة فِكره!

يا رَبّ، أعني

في تعجيل خراب البَصْره!

خُوطبتُ: «البَصرةُ بين

يديكَ رغيفٌ. كلهُ،

وابْدأْ بالأطرافِ».

تراءى

نصفُ رغيفٍ، مكسورٌ.

قلت: كمثل كسوف القمرِ،

اليومَ، غداً، أو بعد غدٍ.

- ص -

ـ غَنِّ، صَلِّ، ابتهجْ

للمكان الذي صار فينا زماناً

للزَّمان الذي صار فينا مكاناً

غنِّ، صَلِّ، ابتهجْ للسّقيفَهْ:

لا تزال إلى الآنِ ممدودةً

كي، يَجيءَ الخليفَهْ.

ـ تتحدّثُ عن وطنٍ، أم بقايا دِمَنْ؟

وطني حيث شعريَ حرٌّ، وبيتيَ حرٌّ،

وحبّي حرٌّ،

ـ غَنِّ، صَلِّ، ابتهجْ

لا مكانٌ لهذا الوَطَنْ.

* إمْضِ، طَمْئِنْ رؤوسَ العبيدْ

سيفه ليس وقفاً على القَطْعِ والبَتْرِ،

فالسَيفُ أيضاً نَشيدْ.

٢٦١هـ.

*

جاؤوا،
جاءت قبلهم نيرانٌ
في المربد، في زهرانَ،
بَني حِمّانٍ
في وَقْتٍ واحِدْ.

أهل البَصرة بين الهاربِ،
والمتبلِّدِ، والسَّاجِدْ.

ذاكَ تمامُ الرُّؤيا
بِتمامِ خَرابِ البَصْرَةْ!

- ق -

سَرُوجٌ، سِمْنينُ، حصْنُ الرّان، خَرْشَنَةٌ[1]
رؤىً على عتباتِ اللّهِ تَزْدحِمُ
لأَرْسِنَاسَ[2] هديرٌ في جوانبِها
كأنه، حين تَطْغَى، سيلُها العَرِمُ
«ترعى السّيوفُ بها»[3]، فيما تُعانقها
نارُ القتال، «نباتاً إسْمُه اللِّمَمُ».
أَضْرمْتُ جمرة شعري في مواجعِها
حتّى التوى الرّمحُ مِمّا قاله القلَمُ
ولم تك الحرب حربي، كنتُ من وَلَهِ
قيثارَ حبٍّ، وسيف الدّولةِ النّغَمُ
واليومَ أَهجرُ: هَجْري في تمرّده
بَوْحُ المولّهِ ـ لا شكوى، ولا نَدَمُ.

* ضَعْ يديكَ على وجنتيّ، تأكَّدْ
أنَّ رأسيَ يأسي.

(١) أسماء أمكنة تاريخية شهدت معارك وحروباً بين سيف الدّولة والرّوم.

(٢) اسم نَهر.

(٣) ما بين المزدوجتين للمتنبي.

٢٦٢هـ.

*

قال نبيّ الزّنجِ، غداةَ دخول الزّنج إليها:

«رُفِعت بين يديّ البَصْرَه
أصحابيَ فيها طوفانٌ
لا مَهربَ منهُ.

ورأيتُ كأنّ ملائكةً
تأتي وتقاتِلُ مع أصحابي.
نَصْريَ، لا مِن بَشَرِ
نَصْريَ رَبّانيٌّ».

- ر -

ما تكونينَ مِن بَعدُ، يا حلبَ الشّعر،
نهداكِ رَمْلٌ
وعيناكِ معصوبتانْ
كيف لي أن أعودَ إليكِ؟
أخْطأ الفقهاء بما قَوّلوكِ،
وأخْطأَ تأويلهم والبيانْ.
عجباً! خِرْقَةٌ
تحجب الشمسَ عن ناظريكِ.

* أَنْكِرْ ما شئتَ: فضاءَ الشّعر وسرَّ الشّعرْ،
لستُ غباراً،
كي أعلو فيك، وتعلوَ نحوي،
ياهذا العَصْر!

٢٦٣هـ.

*

قال نبيّ الزّنجِ:

التّاريخ زواجٌ

بين الصّورة والمعنى.

*

- هل أنتَ نبيٌّ؟

- أُعطِيتُ نبوّةَ هذا الدّهر،

أَبيتُ،

- لماذا؟

- عِبْءٌ أَخْشَى أَلاّ أَقدرَ

أن أحملَهُ.

- ش -

حملتُ شَمسي وأيّامي وأسئلتي

ورحْتُ أَسْتَقرِىءُ الدّنيا وأَمْتحِنُ،-

لا أرضَ، لا وطنُ

إلاّ خُطاكَ تروزُ الموتَ، تفتحهُ

دَرْباً،

وشعرك بيتُ الموتِ، والكفَنُ.

* بَلَدٌ باللَّهِ، بكلّ نبيٍّ، شَبِمٌ

عامِرْ

فلماذا يَصغُرُ

يُصبح فِتراً

حين يسافِرُ فيهِ الشاعرْ؟

٢٦٤هـ.

*

قالوا: في واسطَ أعطى
اللّهُ أبا العبّاسْ[١]
أكتافَ الزّنج، انهزموا
وارتاحَ هناك النّاسْ.

*

قالوا: دُعيَ الفاسِقْ[٢]
للتّوبة من تقتيل النّاسِ،
ومن تخريب البلدانِ،
وَمِن دَعْوى
لم يجعله اللّه لها أَهْلاً.

لكن، لم يَأْبَهْ
وازدادَ غلوًّا في ثورتِهِ.

- ت -

مُرْهَقٌ بسطوعي.
شَغَفي الآنَ، أن أتحوّل ظِلاًّ
أنْ أمازجَ سِرّي بسِرّ الهباءِ،
وأُعْطيَ جِسمي
لِقميص الغيابْ،
شَغفي أن أكون، تُراباً
وأدخلَ في كيمياء السّحابْ.

* جَبلٌ لا يريد سوى أن يكون ذراعاً، لِسماءٍ،
لا تريد سوى أن يقال لها: أنتِ خَضْرٌ.

(١) هو ابن أبي أحمد المتوكّل.

(٢) «الفاسق»، «الفاجر»، «الخبيث»... إلخ، من النعوت التي يطلقها الطبري على قائد الزّنج، وداعيه إلى التوبة هو أبو أحمد بن المتوكّل أي الخليفة الواثق.

٢٦٥هـ.

*

قال نبيّ الزّنج:

الطّوفانَ الطّوفانْ

كي تغرقَ مملكة الطّغيانْ.

*

قالوا: سيفٌ، رمحٌ، قوسٌ

عَرّاداتٌ ومجانيقٌ

مِقلاعٌ وحجارٌ -

ذاك سِلاحِ الزّنج،

- وكيف، إذنْ

فرّوا؟ فرّ عليٌّ؟

- ث -

هذا الصّباح - رمَى ماضٍ فريستَه

في نَحْرِها، وبكى رَبٌّ على صَنَمِ

دمٌ يُضَرّج أقداماً وأقنعةً

وثائرون يرون الشحم كالورمِ

يؤرّخون لآتيهم بلا لغةٍ

ويُنشدون لماضيهم بلا كَلِم

أتيت أسأل عن مَعنى، فأحدقَ بي

سَيْفٌ، وشرّدني في صمتهِ قلمي -

«أتَى الزّمانَ بنوه في شبيبتهِ

فَسرّهم، وأتيناه على الهَرمِ».

---

* تاريخٌ يمشي:

بين يديهِ

تمشي الأشياءْ

من دون طريقٍ، من دون ضياءٍ، من دون فَضاءْ.

٢٦٦هـ.

*

حُوصِر جيشُ الزّنج،
استَأْمَنَ بعضٌ،
بَعضٌ أُعطيَ مالاً،
وكثيرٌ قُتِلوا.

قالوا: حَزّوا للزّنج
رؤوساً
لم يُحصُوها.

- خ -

مَنْ أَسائِلُ؟ ماذا تَهدّمَ؟ هذا
التّرابُ الذي فيَّ؟ ظنّيَ؟ وَهْمَ التوقّع؟
ذاك الفضاءَ الذي كنت سمّيتُه مكاني
واصطفيْتُ أحبّايَ فيهِ، وأشرعْتُ
غاباته لرياحِ الأمَلْ؟
مَنْ أسائِلُ؟ ذاك الغرابَ الذي فيّ؟ أم ذلك
الذئب؟ أم يأسي المرّ؟ أم غضَبَ
الشعر يَصْعَقُ تاريخَ تلك العروشِ،
وتلك المحاريب، تِلك المِلَلْ؟

ما بقائيَ في حلَبٍ، ما العمَلْ؟

---

* في تَرحالي،
أحمل بين يديّ الرّيحَ،
وأسأل تيهيَ عن أحوالي.

ـ ذ ـ

الوجوهُ التي حضنتني وأحببتُها تَضيقْ
والبيوت التي شربت ماءَ شعري
وحرّكت جُدرانها
ولهاً وانتشاءً، تَضيقْ،
والمسافة بين الجراحِ وآلامها تَضيقْ.
غير أنَّ المدارَ الصّفيَّ الصّديقْ
في المجاهيل في بوحها
وتباريح إشراقِها،
عاهَدَ الأرضَ فيَّ وفي خطواتي:
لن يضيقَ إليها مساري، لن تضيق الطّريقْ.
آهِ، من أين؟ أنّى، وكيف وماذا؟
أهنالكَ حقّاً طريق؟

---

* يتنشّق رائحةَ الواقعِ،
عارفاً كيف يدخلُ في كنههِ، كاتماً
سِرّهُ.
ويظلّ يسافر فيه كنجمٍ
يتشرّد في فلكٍ ضائعٍ.

٢٦٧هـ.

*

قال نبي الزّنج: بَهِيٌّ
أن تَرْتَدَّ لجذركَ، تُمسي
في مِذْراة الرّيح غباراً.

يا ربّ أعِنّي
كيف أُعاينُ هذا المشهَدْ؟
أتَناسَخُ؟
أهبط في ملكوتِ
ضيائِكَ،
أمْ أصعَدْ؟

٢٦٨هـ.

*

أسْرى ورؤوسٌ
في شَذَواتٍ وسُمَيْرِيّاتٍ.
صُلِبَ الأَسْرى وتَدلَّى
في كلِّ مكانٍ رأسٌ.
زعموا: كان حصاراً،
فيه نَبَشَ الزّنج الموتى،
دَفعاً للجوعِ،
وباعوا الأكفانَ وقالوا:
أكَلَ الزّنج نساءً
أكَلُوا أطفالاً.

- ض -

ألسّحابُ رفيقٌ لوجهي، سأحلمُ:
قلتُ السّحابُ ثيابٌ
بتخاريمِ ضوءٍ وظلٍّ.
أيّها الأصدقاءُ، اعذروني، فقد ضعتُ
ما عدتُ أعرفُ. من أين تأتي،
ولا كيف تأتي إلى حِبْركم
كلماتي،
واسْمَحُوا لي ـ أُحِبّ ضياعيَ
هذا،
أتنوّر سرِّيَ فيه،
وأُسرّح في ضوئهِ خطواتي.

---

* في دفتر الرّيح بعضٌ من خواطرهِ،
وفي المحيطات بعضٌ من حناياهُ
لوجهه فلكٌ شَطّ المدارُ بهِ
كأنّما صُنعت منه مراياهُ.

٢٦٩هـ.

*

رأسُ نبيّ الزّنج يُحزُّ
ويُلقى
بين يديهِ[١].
رأسٌ مِن أحلامٍ
صارَ رماداً.

*

جاء نبيُّ الزّنج يقولُ
الزّنجُ نجومٌ أُخرى
في هذا الشّرْقِ،
ولهم في كلّ بياضٍ عِزقٌ.

كان جزاءَ القولِ الحَرْقُ.

(١) الخليفة الموفّق.

ـ ظ ـ

حلَبٌ تذهبُ
وأنا مثلها أذهبُ
والظلام هو المستريحُ على عرشهِ،
والضياء هو المتعبُ.
أيّها الكوكبُ الجامِحُ المتفرّد في نَأْيهِ وفي
قُرْبهِ،
هل يقول لكَ الضَّوءُ، مِن أين جئتَ،
إلى أين تمضي؟
أم تُرى أنتَ مِثلي، غيهبٌ حائرٌ
واليقين الذي يتفتَّق، في بعدِنا
وفي قربِنا، غيهبُ؟

* كيف أقول لفكري:
انظر حولكَ أَنْكِر نفسكَ حيث
حللتَ
كي تعرفَ كيف أتيتَ وكيف
ضلَلْتَ.

٢٧٠هـ.

*

كان نبيّ الزّنج يقولُ

اللّيلُ فضاءُ المعنى

والمعنى لغةٌ

لا لِلشَرْعِ، ولا لِلحدّ،

ولكن

كي تُخْلَقَ ـ بدءاً منها،

لغةٌ أُخرى

ومَعانٍ أُخرى.

- غ -

إنه زَمنُ الابتداءْ

زمَنُ الماءِ يَسْتَنْبِتُ النّارَ،

والرّيح تتركُ أبناءَها للعراءْ

زمنُ المومياءْ ـ

ضارِباً في الجذور، وفي

طبقاتِ السّماءْ،

زمَنُ القيد والحدّ والأرضِ ـ

سابحةً في الدّماءْ

إنه زَمَنُ الابتداءْ

زَمَنُ الخَلْقِ يوغِل في كيمياء الهبَاءْ

زمَنُ الابتداءْ.

* لم تعد حلَبٌ غيرَ ذاك الغبار الذي
قذفته خطاهُ
نحو ذاك المكانِ الذي لا مكانٌ
سِواهُ.

هوامش



أنا الغريقُ،

فما خَوْفي مِنَ البلَلِ؟

المتنبي

سمنون الصّوفي

مات سنة ٢٩٨هـ. سمّى نفسه سمنوناً الكذّاب لقوله:

«فليس لي في سواكَ حظٌّ

فكيفما شئتَ فامتحنّي».

ولأنه كان يطوف على المكاتب ويقول للصبيان: «ادعوا لعمكم الكذّاب».

لن تعرفني

لن تعرف كيف سترسم وَجْهي.

وجهيَ ماءٌ في عاصفةٍ ـ

هل تعرف كيف تحيط بوجه الماءْ

في عاصفةٍ؟

حَقًا

غاب الشّررُ الخالق عنكَ،

وغابت معَهُ

سُوَرُ الأشياءْ.

أبو القاسم الجنيد

مات سنة ٢٩٧ أو ٢٩٨هـ، «كان إمام الدنيا في وقته»، كما يوصف، وكان يُلقّب «شيخ الطائفة»، و «طاووس العلماء». وحين مات، قيل: «اضطرب الوقت لموته».

لم يعد يعرف أن يجلس في مجلسهم،

لم يعد يعرف أن يصغي إليهم

لم يعد يعرف أن يحيا كما يحيا سِواهُ ـ

لم يعد يعرفُ غيرَ الحِبْر،

مسكوباً على حَيْرتِهِ.

قتل سنة ٣٠١هـ. يقال: قتله خادم له صقلبيّ، وهو في الحمّام، بهَجَر.

الجنابيّ القرمطي

كانَ في هَجَرٍ والقطيفِ وأكثرَ مِن بلَدٍ آخرٍ،
يلجأون إليهِ، يُسمّونَه السيّدا
وزّعَ المالَ والملكَ ما بينهم
(لا أقول سوى ما روته التّواريخ عنهُ)
وتحكّم واستأسدا،
وتفرّد في القولِ: لا كتبٌ منزلاتٌ إن تكن حجّةً للقويّ لكي يأسرَ الضّعيفَ، ويبتزّهُ. الأرضُ ملْكٌ لعمّالها، سواءٌ.
قتلته يدا خادمٍ!
هجَرٌ، أصبحت هجَرْ
عِبرةً مُرّةً، والسّؤالُ يُكرَّرُ:
مِن أين يُبْدَأُ؟ أنّى، وكيف؟
بماذا، بمن يُعْتَبَرْ؟

النَّسائي، أحمد أبو عبد الرحمٰن

توفي سنة ٣٠٣هـ. من الفقهاء المعروفين، دفن في بيت المقدس، أو في مكة ـ في رواية أخرى.

صَلّى في الرّملة ـ في جامعها
سألوه:
ـ ومعاويةٌ؟ وفضائلهُ؟
ما رأيكَ فيهِ؟

أمْسَكَ. آثَرَ ألاّ يتحدّث عنه
ضربوه حتّى الموتِ. جحيمٌ
أن تسكن أرضاً
صمتُكَ فيها موتٌ
وكلامُكَ موتٌ.

أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا

توفي سنة ٣١٠هـ ـ ٩٢٥م، وقيل: ولد سنة ٢٥٠هـ ـ ٨٦٤م. يوصف بأنه «طبيب المسلمين»، ويلقّب بـ «جالينوس العرب»، وفي حين كان الفكر السائد في وقته يؤكّد على دور النبوّة والوحي في المعرفة وإيقاظ النفوس، كان هو يؤكّد على دور الفلسفة والعقل.

هذي صَحَارَى مراراتي ـ مزجْتُ بها
غدي بوجْهي
وفَجْرَ الأرضِ بالغَسقِ
خليليَ العَقْلُ ـ مَنْثوراً على طبَقٍ
من الجراحِ، ومنظوماً على طبَقِ

كَوْنٌ ـ سِبَاقٌ، وتُعْطيني أَعِنَّتَها
إلى الأقاصي، خيولُ السيّدِ الأُفقِ.

ابن العلّاف

توفي سنة ٣١٨هـ. كتب قصيدة في رثاء ابن المعتزّ، لكنه خاف من الخليفة المقتدر، فحوّلَها وجعلها في رثاء هرّ. وهي قصيدة مشهورة.

جُنَّ حزناً على هِرّهِ، رثاهُ

لا تزال القصيدة محفوفةً

بتهاويلها

وتآويلِها

لا تزال كما قالَها

يُنكَّر فيها، ويُعرَّف فيها

زمنٌ بائرٌ ماكِرُ

كيف صار الخليفة هِرًّا؟

مَنْ نُسائِلُ؟ والشّعر هل سيُجيب،

إذا سئل الشّعرُ، يا أيّها الشّاعِرُ؟

توفي سنة ٣١٩هـ - ٩٣١م، يقول عنه ألفرد غيّوم: «هو أوّل من قدّم للغرب الاستعمال الغامض الملتبس للكلمات العادية». ومذهبه الفكري باطنيّ صارم، يقوم على هرميّةٍ سريّة. (معجم الفلاسفة، لجورج طرابيشي).

ابن مسرّة، محمد بن عبد الله

مثلما تسكنُ الرّيحُ بيتَ الفضاءِ:

التّرحّلُ قنديلهُ

والحنين له طُرُقاتٌ.

جسمهُ لغةٌ - فِطْرةٌ

ترصَّدُ شمساً تُنوِّرُ أيّامَه.

ساكِنٌ في طفولةِ أَسْرارهِ.

توفي سنة ٣٢٠هـ ـ ٩٣٢م، نُفي من ترمذ، مُتّهماً بالزندقة، يقول: إن الولاية متقدمة على النبوّة. من أهم كتبه: ختم الولاية.

الترمذي
(أبو عبد الله محمد بن علي، الحكيم)

أخذتْكَ الولايةُ، أعطتْكَ أسرارَها وتآويلَها.

معنا أنتَ، في الصُّوَرِ المُسْتسرّةِ، في كلّ شيءٍ.

ولنا ضوءُك الغويّ اللّغات

يتحدّرُ من شهُبٍ نيِّراتٍ

زرعتها بروقك في رَحِمِ الكلماتِ

ونطوفُ بهِ، ونقولُ لأيامنا:

إنّه عهدُنا،

إنّه وَقْتُنا.

البَلْخي
(أبو زيد، أحمد بن سهل)

توفي حوالى سنة ٣٢٢هـ ـ ٩٣٤م. «كان حرّ التفكير لا يخشى أن يرمى بالزندقة. يرى أنّ أسماء الله الحسنى في القرآن مأخوذة عن السّريانية. اشتهر بوصفه عالماً جغرافياً، له: صور الأقاليم، وتقويم البلدان». (معجم الفلاسفة، طرابيشي).

كأسُكَ الآنَ مَلآنَةٌ

باللّغاتِ، بِما قوّلوها، وقالوا.

هل ستجرؤ مِن أوّلِ

وتُوشْوِش ذاك الأبَدْ:

مرحباً، يا صديقي،

أيُّهَذا الزَّبَدْ؟

توفي سنة ٣٣٤هـ. كان يحضر مجالس سيف الدولة، وكان أميناً على كتب خزانته. شعره يتمحور حول الرياض والأزهار.

أبو بكر الصّنوبري

ادخلْ إلى روضةٍ

يا شاعر الزّهْر، احتضنْ زهرةً

وقل لها: وجهكِ وجه امرأه

تعيش مسجونةً

في بَرْدِ أحزانِها،

والأرض من حولها

بحيرةٌ من دمٍ

وجمرةٌ مُطفأه.

VII

«جاء حكيمٌ إلى سيّد المدينة غين، قال له:

ـ إذا قطعتَ رأسَ وزيركَ طوغان، ودفنته، تخرج منه شجرة تثمر ثمراً عظيماً يعود بالخير على رعيّتك وعلى الدّنيا كلّها.

قال سيّد المدينة:

ـ وإذا لم يظهر ما ذكرت؟

ـ تصنع برأسي كما صنعت برأسه.

أمر سيّد المدينة برأس الوزير فقطع. أخذه الحكيم وغرس في دماغه نواةً غريبةً جميلة عالجَها حتى صارت شجرة. أثمرت هذه الشجرة ثمراً لا عهدَ للناس به ـ

لهذا الثمر عينان وفَمٌ، وله لِيفٌ كالشعر

وفي داخله مثل الدّماغ.

عادَ هذا الثمر، كما قال الحكيم، بالخير على المدينة، وعلى الدّنيا كلّها.

وسمعَ أبجد أن حاكم المدن فاء، وكاف، ولام، وميم، ونون، وهاء، وواو، وياء، وكانت متّحدةً في

نظام واحد، استدعى مرّةً فيلسوفها ويُدعى الخلجانَ بْنَ الوهم وكان بارعاً في وصف الإنسان.

سأله:

ـ ماذا تعرف عن الذكر والأُنثى؟

فأجابه، بعد رويّةٍ وتمعّن:

ـ يجتمعان بشهوة اللحم والعظم، لإيداع الماء في بيته. وهو ماءٌ يندفع من بين الصُّلْب والتّرائب. ثم يصير هو نفسه عظاماً تتخذ اللحم ثوباً يُشَدّ بالأعصاب ويُنْسَجُ بالعروق.

ـ وماذا تعرف عن رأس الإنسان؟

ـ أعرف العين: لها أشفارٌ كالنوافذ تُفْتَح وتُغلَق. وأعرف السّمع: هو شِقٌّ ملآن بالرطوبة المرّة لقتل الدّود والهوامّ، وملآن بتعويجات الصّوت. وأعرف الأنف، وهو لاستنشاق روح الحياة، غذاءً للقلب وترويحاً لحرارة الباطن. وأعرف الحنجرة وهي أنبوبة، بأشكال مختلفة في الضيق والسّعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر، لتختلف الأصوات ويتميّز الناس. وأعرف الرّقبة وهي مركز الرأس. وهي برجٌ يتكوّن مِن سبع خرزاتٍ مجوّفة، مستديرة، زائدة، ناقصة، لينطبق بعضها على

بعض، ويطول ذكر الحكمة.

ـ صِفْ لنا الكفّ والأظافر؟

ـ الكفّ، إذا بُسِطت كانت طبقاً، وإن جُمِعت كانت آلةً للضرب، وإن ضُمّت كانت مغرفة.

أمّا الأظافر فعمادٌ خلفيٌّ ومناقير لالتقاط ما تعجز عنه الأنامل ورادارٌ يهدي إلى مواضع الحَكّ في الجسم في النهار واللّيل، في النوم واليقظة.

ـ وما الرّئة؟

ـ مروحة لحرارة القلب.

ـ وما العظام؟

ـ كثيرةٌ وبينها مفاصل وأوتادٌ كالرّباط لجرّ الحركة، والعضلات آلات لتحريكها.

وسمعت أن هذا الفيلسوف، الخلجان بن الوهم، اختفى بعد ذلك، ولم يُعثر له على أثر.

(استطراد)

[أحبَّ أبجد هنا أن يستطردَ فيرويَ ما قاله القلم أوّل الخلق عن كيفية إيجادهذا الكائن الذي سُمّي الإنسان. قال]:

«أمرَ الخالق ملاكاً، قيل إنه جبرائيل[١]، أن يأتيه بطين من الأرض. غضبَت الأرض وقالت للملاك: أعوذ بالله منك أن تُنقصَ مِنّي وتَشينني.

آنذاك، بعث الخالق الملاك عزرائيل، وهو ملاك الموت. قال للأرض أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفّذ أمر ربّي. أخذ تراباً أحمر وأبيض وأسود

سُكِب عليه ماءٌ حتى صار طيناً

تُرِك حتى صار حمأً مسنوناً

تُرِك حتى صار صلصالاً

منه جاء آدم وجاء بنوه حمراً وبيضاً وسوداً

وسُمّي آدم لأنّه خلق من أديم الأرض.

مكث آدم أربعين سنَة جسداً ملقىً. كان إبليس[٢] يأتي فيضربه برجله ويقول له: لستَ شيئاً.

عندما نفخ الخالق الرّوحَ في طينة آدم، دخلت من رأسه، ثم جرت فيها فصارت لحماً وعظماً.

عَطَس آدم فقالت له الملائكة: قل الحمد لله.

(١) «هو نفسه الذي رفع مدائن قوم لوط، وكنّ سبعاً، بمن فيهنّ من البشر والحيوانات، على طرف جناحه حتى بلغ بها أوج السّماء. سمعت الملائكة نباح الكلاب في هذه المدائن وصياح الديكة. ثم قلبَ هذه المدائن فجعل عاليها سافلها.

وهو نفسه الذي يظهر أحياناً في صورة أعرابيّ. وفي المأثور أن له ستمئة جناح بين الواحد والآخر كمثل ما بين المشرق والمغرب».

(٢) «في المأثور أنه هو الذي قاتل الجنّ الذين كانوا أول من سكن الأرض وقتل بعضهم بعضاً، فقاتلهم وشتّتهم، ومن يومها عرف الشتات. أخذه الغرور بهذا النّصر فاستكبر على خالقه، وقال: صنعت ما لم يصنعه أحد. ومن يومها عرفت الفرادة.

وفي المأثور أيضاً أن إبليس من أشدّ الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، وأنه حيٌّ الآن. له عرشٌ على وجه البحر، وهو جالسٌ عليه، ويبعث سراياه يلقون بين الناس الشرّ والفتن. وهو أصل الجنّ، كما أن آدم أصل البشر».

سجدَ له الملائكة إلاّ إبليس[1] قال:

أنا خيرٌ منه

لا أسجد لكائنٍ من الطين.

طُرِد من الجنّة أعورَ عليه عمامة وفي إحدى رجليه نَعلٌ. أُسْكِنَ آدم الجنّة بعد طرد إبليس. كان يمشي فيها فَرْداً.

مرّةً نام آدم. استيقظ. رأى عند رأسه امرأةً خلقها الخالق من ضلعه. سألها:

ـ مَنْ أنتِ؟

أجابت:

ـ امرأة.

ـ لِمَ خُلِقْتِ؟

ـ لتسكن إليَّ.

سألته الملائكة لترى علمه:

ـ ما اسمُها؟

ـ حواء.

ـ لم سمّيت حواء؟

ـ لأنها خلقت من حيّ.

وسوس الشّيطان لهما (وكانت الحيّة حملته بين

(١) «في المأثور أنّ إبليس سخر من البيت المعمور الذي يقال إنه مسجد في السماء يقال له الضُراح، يدخله كل يوم سبعون ألف ملاك ثم لا يرونه قطّ. وهو في السماء السابعة بمنزلة الكعبة في الأرض. وسخر كذلك من القول: «ليس في السماوات السبع موضع قدم، ولا شبر ولا كف إلاّ وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع». وسخر من القول: «إن فيها لِلّه ملكاً لو قيل له: التقم السماوات والأرض بلقمة واحدة، لفعل».

ومن القول: «فيها ملك من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمئة عام.

وسخر من سدرة المنتهى التي جاء في المأثور أنّ «ورقها كآذان الفيلة. يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران. الباطنان في الجنّة، والظاهران النّيل والفرات».

وفي المأثور أن إبليس هو أول من أعطاه الخالق ملكاً، ملّكه على سماء الدنيا وجعله خازناً من خزان الجنّة. استكبر على الربّ وادّعى الربوبية، ودعا من كان تحته إلى عبادته. مسخه الربّ شيطاناً، وسلبه ما كان أعطاه، ولعنه وطرده من سماواته».

أنيابها وأدخلته الجنّة)، فقال:

ـ يا آدم، هل أدلّك على شجرة الخُلد ومُلْكٍ لا يَبلى؟

مالت حوآء:

وعندما دعاها آدم إلى حاجته قالت لا، إلاّ أن تأكلَ من هذه الشجرة. أكلَ وأكلت. بدت لهما سوءاتُهما. ذهب آدمُ هارباً في الجنّة. ناداه ربّه:

ـ أتفرّ مني يا آدم؟

ـ حياءً منك، يا ربّ!».

خيّل إلى أبجد أنّه كان، فيما يروي، ينظر إليه حجرٌ أسود يشعّ من جهة القلعة. كان القميص الذي ترتديه السّماء ممزّقاً وبلون البنفسج تقريباً. إلى يسار الشّعاع الطّالع من الحجر، جسرٌ مكسور. يعلو، غير بَعيدٍ عنه، سورٌ يبدو كمثل دماءٍ عالية تخثّرت.

كان في الجهات كلّها ضوءٌ يتكلّم:

هل اللّغة نجمةٌ تسيرُ بقدمين؟ سألَ مدارَ الكلام، الذي كان يتحرّك ولا ينطق.

امتزجت خطاه بخطوات الوقت، واختلط صوتاهما. لمسَ بأهدابه صورة الأرض ـ

صحراءُ ينهض فيها كتاب أشرعةٍ وأمواج

وجهٌ آخرُ مَرْئيٌّ لِلهَبِ غير مَرْئي

خارج الحجر شفافيةٌ سيقولها يوماً

داخل الحجر جدارٌ سيخترقه يوماً

أخذت الرّيح تفرش البسط وتمدّ الوسائد. جلسَ على مَقْعدٍ دعته إليه. نهض، أَسْنَدَ ذراعه اليسرى على نافذةٍ متحرّكة في بيت الفضاء.

عندما حاول أن يتحدّث مع حارسٍ يلتصق بباب التّاريخ، أحسّ أنّ صوته يعلو ويهبط في حنجرته كأنه حصاةٌ غير مدوّرة وملساء،

وجاء يشهد عليه الغسَقُ الذي رسمته، أمس، حول النوافذ قدمُ الشمس،

وجاء ملك الرّمل.

هل بيتُ اللّه في هذه الجهة؟

أكّد له صوتٌ صارخٌ أنّه، عقاباً على هذا السّؤال، سينزل قريباً في بئرٍ من النّار.

كيف يُواجِهُ العتبةَ التي يتغلغل شعاعٌ منها بين أصابع قدميه؟

والقوسَ التي تشبه جَفْن غزالةٍ وَلَدت

لِتوّها غزالاً؟

وخشبَ الباب الذي يمتلىء بالأهلّة،

والذي يتغيّر، بحسب النّظرة

واللّحظة، كمثل دميةٍ في يد

الضّوء؟

سَيَسْتَعينُ على ذلك بشجرة السّدر، وبالنّخيلِ أولاً.

قبل ذلك، عليه أن يتجزّأَ، أن يدفنَ بعضه في

جوف كلمة، وفي صخرةٍ بعضاً آخر.

مَرّت عربَةُ رَمْلٍ تجرّها الرّيح، ولامست وجنتيه ـ

كان قد وضعَ قدميه على عتبة القَلْعة.

الذّكرى

VII

المدينة خاء

قمر المدينة خاء طبيب. يأخذ تعاليمه من ورقٍ تتنافس في تزيينه جميع الألوان، ـ ورق ينضاف إليه دائماً كلامٌ يهبط عليه من جرُف عالٍ كأنه رأس كوكب أو كَتِفُ نجمة.

❊

الشوك في المدينة خاء، أكثر ألفةً من اليد، والنافذة فيها ترى أكثرَ مما ترى العين.

❊

يتساقط الزمن في المدينة خاء، كمثل أوراق شجرة لا اسم لها.

❊

لا أظنّ أن في الأرض مكاناً يتعذّب دون جدوى، كهذا المكان الذي يسمّى المدينة خاء.

❊

تتقاطر الكلمات في المدينة خاء، كأنها ناقات عجاف يحملن على ظهورهن ـ أثقالاً تُسمّى أفكاراً.

❊

كتب لي قارئ من المدينة خاء:

«عندي جسدان، ـ واحد أدخل به إليها، وآخر أخرج به منها».

*

كان وجميع أخواتها في المدينة خاء، أسماك تسبح في بحيرة آسنة، وتكاد أن تجف.

*

الجبر، والكيمياء، ونجمة الصبح، جسد واحد يرتجف بين يدي المدينة خاء.

*

ليس في اللغة التي تتحدّث بها المدينة خاء، أسماء أو أفعال، فهي كلها مجرورات ونعوت.

*

مجلس الفضة هو الذي ينتخب أعضاء الذهب:

تلك هي صيغة الحكم في المدينة خاء، كما يقول سكانها.

*

الآن، تصغي إليَّ ريحٌ ليست لها أذنان، ـ

ريح تهبّ من جهة المدينة خاء.

*

الحياة في المدينة خاء ليست حلماً

وليست إنجازاً، ـ

أعطها موعداً بين ذراعيك أيّها الوقت.

❊

بوفاء كامل،

سأخون المدينة خاء.

❊

أحببتكِ حيناً، وكرهتك أحياناً،ـ

كان الخبز نفسه وسخاً على مائدتك. وما انحنيت لك،

حتى عندما كان ظلامك يطبق عليّ وعلى أنحائي.

ولست أريد منك أيّتها المدينة خاء،

إلاّ شيئاً واحداً:

أن تكوني في مستوى التّراب الذي تنهضين فوقه.

المدينة ذال

يخيل في المدينة ذال أن الأشباح هي الكائنات الوحيدة التي تحمل رؤوساً تشبه الرؤوس الآدمية.

*

في إناءٍ اسمه المدينة ذال،
يعيش نباتٌ لا يذبل أبداً، اسمه القتل.

*

أمرت المدينة ذال مؤرّخيها أن يكتبوا تاريخاً يؤكّد أنّ رأسها ينتمي إلى سلالة اسمها تاج الدين، وأن قدميها تنتميان إلى سلالة أخرى اسمها تاج الدنيا.

*

تعلّم المدينة ذال سكّانها أن ينذروا حياتهم كلها لعمل واحد: أن يلوّثوا ضوء الشمس.

*

ليس في الدم الذي يملأ عروق المدينة ذال، غير الأبواق.

*

لا أحد في المدينة ذال يعرف نفسه:
تلبس النعامة لِبْدَة الأسد،

ويمشي الذئب بأرجلِ الحمامة.

❊

تتراشق جدران المدينة ذال بِكُرَاتٍ غريبة يؤكّد الذين رأوها، أنها ليست إلاّ رؤوساً.

❊

أجّلوا العدالة إلى وقتٍ آخر،
أجّلوا العمل إلى وقت آخر،
أجّلوا الحب إلى وقت آخر،
أجّلوا العلم إلى وقت آخر،
أجّلوا الخبز إلى وقت آخر،
أجّلو الحرية إلى وقت آخر،
أجّلوا حقوق الإنسان الأخرى إلى وقت آخر،
أجّلوا الإنسان إلى وقت آخر:

تلك هي المبادئ التي تهيمن على المدينة ذال، وفي هذه المبادئ يتنافس المتنافسون...

❊

الطرق التي تبدأ من المدينة ذال، جراح لا تشفى.

❊

إن شئت أن تعيش في المدينة ذال، فلن تقدر أن تمارس إلاّ عملاً يهدم الفكر، أو فكراً يهدم العمل.

❊

الرؤوس في المدينة ذال هي نفسها السجون،
والأعمدة الفقرية عتبات للدخول والخروج.

*

منذورٌ ساكن المدينة ذال لنضالٍ وحيد:
أن يأكل لحم أخيه.

*

موت الإنسان في المدينة ذال، هو الدليل الوحيد على أنه كان حيًا.

*

لا تعرف الحياة في المدينة ذال أن تصفّق إلاّ للموت.

*

بعد الأشياء التي قرأتها، وتلك التي سمعتها عن المدينة ذال، قرّرت أن أزورها مرة ثانية ـ لكن في عربة من الخيال.

كانت، لحظة وصولي، مقفلة. ويقال إنها مقفلة دائماً، مع ذلك يمكن الدخول إليها من ثقبٍ ما، بإذنٍ ما، بورقةٍ ما، بتوقيعٍ محدّد وخاصّ، يوحي بأن هذا الدخول نعمة وامتياز.

تدخل. ترى. تختبر، ـ لا تقدر أن تصادق في هذه المدينة أيّ شيء. وقال لي أكثر من واحد: حتى عندما يصادق الإنسان جسده أو عقله، فإن هذه المدينة تنظر إليه كأنه متّهم، وربما تعرّض لأن يفقد جسده أو عقله، أو كليهما معاً.

وتؤكّد لك الخبرة أن كل شخص يسير في المدينة ذال، يسير وراءه أو أمامه، إلى يمينه أو يساره، نوعٌ غريبٌ من العَسَس.

وتلمس لمس اليد كيف أن أسياد المدينة ذال يمضون أوقاتهم في العمل على حفر نَفَقٍ ضخم، وإجبار الناس على المرور فيه لكي يصلوا إلى ما يسمّونه المستقبل أو الفجر المقبل.

وهؤلاء الأسياد هم الذين يصنعون للناس رؤوساً ثانية يركبونها داخل رؤوسهم الأولى. وكثيراً ما تتحوّل الرؤوس، كما روى لي أكثر من شاهد، إلى قطع تبديل. لهذا حين يتحدّث مواطن مع زائر، يسأله هامساً:

ـ هل تريد أن أحاورك برأسي الأول، أم برأسي الثاني؟

لكنه سرعان ما يستدرك، هامساً أيضاً:

ـ كلا، كلا، لا أقدر أن أحاورك إلاّ برأسي الثاني.

ويقال، في رواية ثانية، لا يُعَدّ مواطناً صالحاً إلاّ الشخص الذي مسح هؤلاء الأسياد رأسه بأيديهم.

ومع ذلك، هناك من يوحد مصيره مع مصير المدينة ذال، غيرَ مدركٍ أنه في عمله هذا كمن يربط نفسه بعمود من الضباب.

ما أعجب المدينة ذال،ـ

إنها تناضل كمن يخطّط لكي يقلّص الفضاء.

رموز وعبر من: «كتاب آخر للأمثال».

قرأته في المدينة ذال

أ ـ

قال ابن عباس:

«كان عرشه على الماء،

وعندما أراد أن يخلق الخلق،

أخرج من الماء دخاناً ارتفع فوق الماء وسما عليه،

فسماه سماءً.

ثم أيْبَسَ الماء فجعله أرضاً واحدةً،

ثم فَتَقَ الأرض فجعلها سبع أرضين، وذلك في يومي الأحد والاثنين.

وخلق الأرض على حوتٍ هو النّون،ـ

الحوت في الماء

والماء على صَفاةٍ

والصفاة على ظَهْر مَلَكٍ

والمَلَكُ على صخرة

والصّخرة على الرّيح

وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء وليست في الأرض.

وعندما تحرّك الحوت واضطرب،

تزلزلت الأرض،

فَأَرْسَى عليها الجبال، فاستقرّت.

يوم الثلاثاء،

خلقت الجبال وما فيهن من المنافع،

ويوم الأربعاء،

خلق الشجر والماء، وخلقت المدائن والعمران والخراب،

وفي يومي الخميس والجمعة،

فُتِقت السماء وكانت رتقاً فصارت سبع سماوات.

ثم خلقت الكواكب

زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها.

ولَمّا فرغ الخالق من خلق ما أحبّه،

استوى على العرش».

ب -

روي عن محمد بن إسحاق أنّه قال:

«يقول أهل التوراة إن اللّه ابتدأ الخلق يوم الأحد،

ويقول أهل الإنجيل ابتدأه يوم الاثنين،

ونقول نحن المسلمين ابتدأه يوم السبت»،

وإلى هذا القول الأخير مال طائفة من فقهاء الشافعية[1].

(١) بعد التّحقيق، تبيّن أنّ هذه رواية شائعة ومكرّرة في كتب التّاريخ كلّها.

المدينة ضاد

بشر يهرولون بين الكلمات، يتّخذون من حروفها شرايين، ومن نقاطها عيوناً،

أسافل تهبط في اتجاه أسافل أبعد غوراً،

ظلام يأخذ العرش، ونور يأخذه المنفى،

سيوف تسكن الأعناق، ورماح تسكن الخواصر،

وحدة بين الفكر والسجن،

زمن يعارض الماء،

فضاءٌ لا يتّسع لأكثرَ من ببغاء،-

أقول: رأيت هذا كلّه

رؤية العين،

وكان ذلك في المدينة ضاد.

*

١ ـ في المدينة ضاد، لا يولد الغيم من الماء، ولا من الغيم، ـ يولد من الحجر.

٢ ـ الغراب نفسه في المدينة ضاد دفتر أبيض.

٣ ـ رجل في المدينة ضاد توفيت زوجته. نام ليلة، حزيناً، فرأى في نومه نساءً لم ير معهن زوجته. سألهن عنها، قلن:

ـ «قَصّرتَ في كفنها، فهي تستحي أن تخرج معنا.»

٤ ـ قال رجل في المدينة ضاد: «رأيتُ في النوم حسناتي وسيّئاتي. في حسناتي، رأيتُ حبّاتِ رمّان. وكنت مرّة، قبيل موتي، آكل رمّاناً فسقطت على الأرض ثلاث حبات، لممتهن عن الأرض وأكلتهنّ.

ورأيت في سيّئاتي خَيطيْ حريرٍ كانا في قلنسوتي».

٥ ـ روى رجل آخر في المدينة ضاد: «رأيت في نومي النّاس يجتمعون حول رجلٍ عند المسجد. اقتربت، وسألت:

ـ من هذا؟

ـ هذا رجل جاء من الآخرة إلى الدنيا، ليخبر الناس عن موتاهم».

٦ ـ وقال رجل آخر في المدينة ضاد: «رأيت رجلاً شاهراً سيفه، يضرب رؤوسنا. كان كلّما وقع رأس، يأخذه، ويعيده إلى مكانه.

أتى إليّ، وضرب رأسي. وقع على الأرض. أخذته، نفضت عنه التراب، ثم وضعته بين كتفيَّ، وأعدته كما كان».

❊

عجباً للمدينة ضاد،

كيف تجد المتّسع لكي تجلس، حيناً، تحت كرسي وحيناً بين قدمين.

❊

أحاول (بلا نجاح حتى الآن)
أن أضع في فلاة كتب المدينة ضاد،
لغاية واحدة: أن أحرّر الورق!

❊

تحيا المدينة ضاد، كأنّها اللّب
وتعمل كأنها القشر،
يا لهذا الجدل بين عبَثٍ باطن وعبث ظاهر.

❊

الضوء في المدينة ضاد
يائس من المصابيح،
والمصابيح يائسة من العيون.

❊

لا يقدر النهار في المدينة ضاد
أن يكون أكثرَ من سرير،
لا يقدر اللّيل فيها
أن يكون أكثر من غطاء.

❊

إن شئت أن تسكن في المدينة ضاد،
فلن تجد بيتاً تسكنه غير الكلام ـ عنيت:
قفص الكلام،
وسوف يواكبك حرس خاص ينتظم في صفٍّ لا ينتهي،
أوّله السماء وآخره الغبار.

❊

لا تحيا في المدينة ضاد، إلاّ بعد أن تموت،
سلفاً، منذ ولادتك، بل قبل أن تولد:
أنت من الأسلاف!

❋

للمدينة ضاد
جدران تتواطأ مع عميان
يتسرّبون إليها من بين النجوم.

❋

يبدو الجسد في المدينة ضاد، كمثل الشجرة،
والروح ثمرة ـ للفصول كلها،
ولا تكف عن السقوط،
وأحياناً، تبدو الروح نفسها كمثل الشجرة
والجسد ثمرة للفصول كلّها،
ولا يكفّ عن السقوط.

المدينة ظاء

خوفاً من سلطة البرد الذي يحكم شوارع المدينة ظاء،
لبس الجوع معطفه،
صعد إلى المسرح، مسرح السّاحة العامّة،
وأخذ يومئ الشبع.

❊

الأخضر معتقل، والبياض متهم في المدينة ظاء،
وفيما تحاول الشمس أن تلأم جراح السهول، تكاد الجبال أن تختنق.
على القمم ثلج لا يسقط من جهة السماء، وفي الأودية صراخ يخرج من ثقوبٍ في الأرض تشبه الحناجر.

❊

هوذا حكم الرّيح على ساكن المدينة ظاء:
أن ينقل الماء، طول حياته، من الرمل إلى الرمل.

❊

يمكن أن تنفد الكلمات في المدينة ظاء، ولا تنفد قيودها.

❊

ها هم يهتفون لنيرون، ويضعون بين يديه رؤوس القتلى،

تقدّموا يا شعراء المدينة ظاء،

إنه دوركم لكي تضعوا على رأسه الغار.

*

أحياناً، يبدو الإنسان في المدينة ظاء،

كأنّه شخص التقى بجسده عبثاً، والتقى بروحه مصادفة.

*

يا للرؤوس التي تتساقط دون توقّف

من أجل تاج يذهب وتاج يجيء:

ذلك هو التاريخ في المدينة ظاء.

*

في لحظة ما، وبسحرٍ ما،

يمكن في اللغة التي تسود المدينة ظاء، أن تسمى الجنّةَ جحيماً، والجحيم جنّة.

وأن تصرخ: أيّتها الغزالة، ألن تعترفي أخيراً بأنك كَرْكدنّ؟

*

يبدّدون أصواتهم في الغناء من أجل مستقبل ليس إلاّ السّرطان الذي يلتهم حناجرهم:

هكذا يصف بعضهم سكان المدينة ظاء.

*

تغصّ المدينة ظاء بمشانق تنتصب في الهواء، سرّيًّا.

❊

كلمة ـ تضع في عنقها طِلّسْمَها، لكي لا تضيع، محفورة عالياً، فوق رأس المدينة ظاء،

ـ وما الغرابة، هنا؟ اللغة في هذه المدينة تحب أن تستسلم لأحوال الهواء.

المدينة غين

لا يكتشف الإنسان في المدينة غين، تاريخه الحقيقي
إلاّ في الطبقات السفلى من أنين أيامه.

❊

في المدينة غين،
يقتل بعضهم بعضاً كما يأكلون،
وفي محابر الأناشيد المنذورة للعرش،
يسكبون دماء القتلى.

❊

عنده، في المدينة غين، مفاتيح لا تحصى
لكن، ليس هناك بابٌ واحد.

❊

نزل السّيل، سيل الكلام، واديَ المدية غين،
ترك أسنانه في رأس الوادي، وقدميه عند قدميه،
ثمّ تحوّل إلى ثقوب في دولاب الوقت.

❊

جلس اللّيل تحت سقيفته، في المدينة غين،
دعا النّجوم إلى الجلوس معه،

ثم أخذَ ينتقد الظلام.

❊

أمس، خيّل إليّ بقوة لا أعرف كيف أفسّرها،
أنني أرى السماء تبذر نجومها في حقول المدينة غين،
تحية لحصاد صلواتها، كما قيل لي.

❊

سكّانُ هذه المدينة في حاجة إليك أيّها الأب الموت.

❊

اتّبعوا الشارع في تغيّراته ـ
يكاد أن يكون وجهاً مصنوعاً من الموج.
لا أحلم. واليوم غسلت ذاكرتي من أنقاضها.
هذا هو الشارع في المدينة غين، ـ
مرسوم بزبد كأنه النار، وبنار كأنها الزبد.

❊

كُتبت الكيمياء وغازاتها في سجل الفضاء،
كتب الأرق وكوابيسه،
احتفاءً بالمدينة غين ـ
هذه الكتابة أرضٌ بلا حدود، وقيل إنها مَخْلوطَةٌ بالسماء.

❊

من أين للكلمات أن تتحوّل إلى قبائل؟ لا تقيم على ضفاف اللسان إلاّ لكي تسبر غور الرّحيل.

أتأمّل هذه المسألة، فيما أتأمّل أحوال المدينة غين.
وأعجب لانحراف خطواتي نحو قمّة في جبال الرغبة،
يشاع أنها خرساء.

*

حقاً، يبدو العالم كمثل طائر ميّت
في عنق المدينة غين.

*

نادرون جدّاً أولئك الذين يقدرون أن ينكروا
أنّ القرنَ العاشر هو الذي سيعقب
في المدينة غين
القرن العشرين.

*

قال شاعر هذه المدينة:
الأمّة قصيدة والأفراد كلماتها.
قلتُ: لا وجودَ، إذن، إلاّ لِلّغة.

*

ليست الحياة في هذه المدينة ذروةً يشرف منها الإنسان،
بل نفق يختبىء فيه.

*

يُصدّق سيّد هذه المدينة أنّه بطل:
أمرٌ لا يُصدّق.

*

ما أكثر الكتب في هذه المدينة ـ

لكن، يكفي، لكي تفهمها، أن تقلّب أوراقَها.

❊

لن يمتلك الإنسان فصاحة الرّيح،

لذلك لن يقدر أبداً أن يصف المدينة غين.

❊

قرأت آخر قصيدةٍ كتبها شاعرٌ عاش في هذه المدينة، قال فيها: ـ

«الفرس التي يمتطيها اللّيل في سفره

لا تقدر أن تسيرَ إلاّ على الطّريق

التي تقود إلى الصّباح.

مع ذلك ـ

أيّتها الغيمة التي ولدت واقفةً

والتي ستموت وهي تمشي،

هل تقبلين صداقتي؟».

❊

«قبلَ أن تقولي عنه[1]: إنه يحتلّ مكاناً عالياً،

اسألي: مَنْ أُولئك الذين رفعوه، وأولئك الذين ينظرون إليه.

❊

يغيّر رأيه دون أن يغيّر ذوقه،
أو يغيّر ذوقه دون أن يغيّر رأيه:
في الحالين، لا يتغيّر.

*

إلى متى نبقى مجبرين على هذا الاختيار:
بين بيتٍ لا يدخله أيّ نورٍ،
ونورٍ لا يُدخلنا إلى أيّ بيت؟

*

تسألينني أن أضع معجماً للكلمات من نوع آخر؟ حسناً، لنُجرِّب:

كلمة قذفَ بها الفضاء من شبّاكه الأماميّ،
وكان سقوطها حدثاً ماتت فيه الكيمياءُ،
وابتليت المادّة بالداء الذي لا دواء له.

كلمة لن يقدر المعنى أن يَجِدَ لهُ صورة جديدةً إلاّ إذا ماتت.

كلمة إن كان هناك فرحٌ، فهو أن تقتلَ الكلماتِ وأن تحييها.

كلمة يخرج من عباءتها الجند والخيل والبساتين.

كلمة عمود كبريتٍ يعانق عموداً من الملح.

كلمة رأسٌ مثقوبٌ بالشكّ.

كلمة   لم يولد بعد الأفق الذي يَتّسع لتلك الأجنحة
التي تبتكرها خطواتي
كلمة   ليتني أقدر أن أضيف إلى جسدي جسداً
آخر لكي أقدر أن أحتضنَها،
(والبقية آتيةٌ لا ريب).

*

كلاّ لم يعد القمر بيتاً لي،
غيّرت الطّريقَ بين قدميّ وأحلامي.

*

لم أولد بعد،
سَأُولد قريباً، أقربَ مِمّا يُظَنُّ.

*

دخل كمثل عاصفةٍ بيني وبين آلامي،
ورفعني إليه ـ
لا تَسليني: مَنْ، كيف، ومتى وأين؟

*

بِقَدْر ما تقتربين من الأفق،
يبتعد عنك:
لن تصلي، إذن، إلى نفسك، أبداً.

*

لم يكن يبكي -

كان يبكي داخل البكاء.

*

تصنع المدينة غين حاضرَها بأشخاصٍ ماتوا،

وتصنع المستقبل بكلماتٍ لا حاضرَ لها.

*

مدينة يبدأ فيها سجن المَرْء

بالسّلام على العرش.

*

الأب في هذه المدينة لا يُقْتَل، بل يُبدّل.

*

يتقدّم الزّمنُ في هذه المدينة،

كمثل طحلبٍ على جدار اسمه الأبد.

*

تجلس الخوذ على رؤوس الشجر، في هذه المدينة،

في كل ثمرة رصاصة».

خاتمة

ـ «الشّامُ أمامكَ، لا أحدٌ يمنعك منه»،

قال ناصر الدّولة لأخيه سيف الدّولة.

ودخل سيف الدّولة مدينة حلب

يوم الاثنين، من شهر ربيع الأول،

سنة ٣٣٣هـ.

وكان دم الحرب لا يجفّ، وكان قتلاها كمثل إبَرٍ في يد الرّيح تخيط للزمن ثوبه الأكثر التصاقاً بجسده

وكان الدّم يتفجّر من أحشاء القلعة وأطرافها

ليست تُفّاحة حواء هي وحدها الغواية

للتّاريخ، هو أيضاً، تُفّاحاته وغواياته.

وفي رواية، وهذا تكرار لما سبق، أنّ القلعة بدأت خطواتها في أيّام سلوقس نيكادور قبل المسيح بثلاثمئة واثنتي عشرة سنة. ولمّا صار فيها تلامذة للمسيح أخذ يتعايش فيها الذين يعبدون الله ـ يهوداً ونصارى، والذين يسجدون لوجه الحجر الذي كان يُسمّى الصّنَم، والذين يسجدون للنار.

ثم هَلّلت لخيول أبي عبيدة وسيوفه.

ثم أخذت تتدحرج كمثل كرةٍ تنزف دماً بين يدي الأرض، وتحت أقدام العرش ـ

الأموي

العباسي

الطولوني

الحمداني

. المرداسي، العقيلي، التركماني، الزنكي، الأيوبيّ، المملوكي، الجركسي، العثماني ـ

(«سار السلطان سليم
إلى حلب. خَفّ أهلها لملاقاته. طلع إلى القلعة. رأى أشياء أدهشته: ذهباًوفضّةً وغيرهما

ـ ومن هؤلاء؟

ـ خلفاء المشايخ الذين أتوا مع الغوري مسافرون إلى بلادهم.

أمرّ بإحضارهم. رمَى رقابَهم عن آخرهم».)

«قال بعض الحذّاق من المؤرخين إن وقائع الجراكسة مع السلطان سليم كانت دموية، وكان موته سنة ثمانٍ وعشرين وتسعمئة بعلّة فَرْخ الجمر. وهكذا الدنيا تفعل بأهلها. هنيئاً لمن أعرض عنها ورضي منها باليسير، فإنها غدّارة غرّارة سبحان مبيد الأكاسرة ومذلّ الجبابرة وقاهر العباد بالموت، وهو الذي يرث الأرضَ ومن عليها».

القسم الثاني

أوراق سيف الدولة



أوراق سيف الدولة

[كتبت هذه الأوراق، في أوقاتٍ
متقطّعة بين ٣٣٣هـ ـ ٣٥٦هـ.]

٣٣٣هـ[١].

اليومَ، بدأتُ طريقاً
لا أعرفُ كيف تؤولُ، وكيف تكونُ
أعرفُ أنّ الأرضَ
هنا وهناكَ ـ
دَمٌ، وجنونُ.

*

لا أحبّ المطَرْ
حينما لا يسافر كالدّمعِ بين جُفون الشّجَرْ.

*

ليس بين الخليفةِ والنّاسِ إلاّ
سيفُه والخِلافَةُ،ـ
لِلسّيفِ مَنْ قال: كَلاّ.
للخلافة أبناؤهُ

(١) آثر أبجد أن يتحدّث عن المدينة غين أيضاً بشكل غير مباشر، عبر مقاطع من رسالة كتبها في شكل خواطر، شاعر إلى صديقة له في هذه المدينة.

(١) السنة التي سيطر فيها سيف الدّولة على حلب.

وأبناء أبنائهِ،

ولَهُ الحاشِيَهْ:

هِيَ في القَصرِ حيناً، ذئابٌ

وَهْيَ، حيناً، قطيعٌ من الماشِيَهْ.

*

٣٣٦هـ:

أعرابٌ،

وقبائلُ طيٍّ،

وقرامطةٌ،

لِمَ لا يُجدي غيرُ السَّيْفِ؟

أغرتُ، قتلتُ الهادي[١]،

وهدمتُ القرية[٢]، حيث اعتصموا.

❊

مِن جديدٍ تثورُ كِلابٌ وأحلافُها:

بالِسِّ فتنةٌ، وفسادٌ، وفوضى.

لا سبيلٌ سوى العُنْفِ، لكن

لن أبالغَ فيهِ - أكتفي منهمُ بتأديبهم.

وسأوصي

أن تعادَ إليهمْ سباياهُمْ.

❊

جند الإخشيدِ أسارى

بين يديَّ، ولكن

لن أقتل منهم جنديًا، وسأعفو عنهم، وأُسَرِّحهم.

(١) اسم القرمطيّ الثائر.

(٢) اسمها الحدث، وكانت في إقليم حمص.

*

جَبَلٌ شاهِقٌ

والدّروبُ إلى الحصن مقطوعَةٌ

بخنادقِ نارٍ ونَفْطٍ.

*

لا حصانَة غيرُ الصُّعود. صعدنا

وصلنا إلى برزويهِ، دخلنا إليهْ،

كنتُ أُصْغي إلى أرضهِ ـ التّلالُ،

الصّخور، المتاريسُ، أسْوارهُ

تَتَهاوى وتنشقُّ حزناً عليهْ.

٣٣٧هـ[١]

فَرْدَسٌ[٢] مُخْبَطٌ كَسِيرٌ،

وكأنّي أَراهُ

يَتمزَّقُ مُسْتَسْلِماً ويُجرجرُ أحشاءَهُ

فوق صَخْرٍ ونَارٍ.

كان نَصراً جميلاً تنوّرْتُ فيه

ما سيحدث، وازدَدْتُ فنّاً

في التمرّسِ بالحَرْب.

عَزّزتُ أخلاقَها ـ أعَدْتُ إلى فَرْدَس
إبِنَهُ (مات في حربنا، وحملناهُ رِفْقاً وضنّاً بهِ أن يظلّ طعاماً لطيرٍ أو لِوَحْشٍ. نصَارَى حلَبٍ سلّموه إليه وكانوا بيننا جسر وَصْلٍ)

كنتُ أستبصر الوقتَ في نشوة النّصرِ، حين مررتُ بِأنطاكيهْ

والتقيتُ بأحمد[٣]. كان اللّقاءُ المدارَ الأشدّ التصاقاً بأعماقي النّائيهْ.

(١) السنة التي حقّقَ فيها سيف الدّولة نصراً مهمّاً على الرّوم، وهي السنة نفسها التي التقى فيها بالمتنبي في أنطاكية.

(٢) فردس فقّاس، قائد الرّوم، آنذاك.

(٣) المتنبي.

٣٣٧هـ:

عامِرٌ وقشيرٌ وعَجلانُ، أولادُ كَعْبٍ

وكلابٍ -

كلّهم خارجونَ عليّ. ولكن

كان سَهْلاً

أن يُرَدّوا إلى طاعتي. أَزلْتُ أباطيلَهم،

وأوصَيْتُ جُنْدِيَ ألاّ يَمسّوا

حريماً لهم. وعفوتُ، وسامحتُهم

وكانوا قتلوا والياً[1].

❊

أعرفُ أنَّ بكاء النّاسِ شديدٌ،

مِنّي.

لكن،

سيكونُ عليّ شديداً أيْضاً،

حين أموتُ.

❊

(١) هو الصّباح بن عمارة، وكان والياً على قنّسرين.

ظِلٌّ رمحي سؤالٌ عن القتل والموتِ،
خُطّ على جَسدِ الشّمس. وَجْهي
مثلُ طِفْلٍ
يُهيّىء أحلامه وألعابَهُ
لِلطّيور وأعشاشِها.

❊

أصدقائي -
يحسبون الكواكب شعراً
والشّعاعَ الذي يتبجّسُ من دورة الكواكب،
وحياً.
ما يكون، إذن، حِبرُهم؟

❊

لم أكتب شيئاً. كنتُ أقولُ: الحَرْفُ يُميتُ،
وكلّ كتابٍ
يسخر مِمّا فيه الورَقُ،
إنْ لم تَتَجَدَّدْ فيه الأرضُ، وتَبْدَأْ مِمّا
قالَ الطُّرُقُ.

❊

كونٌ ـ لم أقرأ فيهِ
إلاّ كلماتِ
لم ألمحْ فيه إلاّ صُورَهْ
أين يكونُ المعنى؟
هل أسأل ما يتغيّر فيهِ، أو ما يتبَقّى؟
هل أسأل جسم الكوكبِ عن مَعناهُ؟
أم أسأل نُورَهْ؟

❊

يَنْبغي أن تُسمَّى الثُّغورْ
وطناً آخراً
زارعاً حاصِداً لِلقبورْ.

❊

غارةً، غارةً، في تباريحه العاليهْ،
يتغيّر طوروسُ: طوراً
يَنْحني ـ يَتَراءى
في خليج قُسَنْطينةٍ، وطوراً
يَزْدهي ـ يتقلّب في حضنِ
أنطاكيهْ.

❊

لا نِبالٌ ولا عَرباتٌ. لا دروعٌ - ولكن
خوذٌ، لا طُبولْ
إبلٌ وبيارقُ شتّى - خطوطٌ ووشيٌ، وعمائِمُ
تَسْتَنْفِر الصّهواتِ، وتزهو وتخطّ فضاءَ
الخيولْ.

*

يمدحونَ، ولو عَرف المادِحونَ دخائلَ مَنْ
يمدحونَ، إذن لَرَمَوْا ما يقولونَ
في سَلّةٍ للقمامَهْ،
ولكانوا، إن أرادوا الحياةَ بِصدقٍ،
رَفعوا عُذْرَهم وأخطاءهم
في الطّريق إلى موتهم علامَهْ.

*

أَتركُ الرّيحَ تعبرُ. وقتُ المحبّين والشعراءِ
الجذورُ وأسرارُها، وأداري
حَيْرتي، وطحالبَ خَطْوي،
وأخطاءَ حَقْلي:
أَلطَّبيعةُ فِيَّ تُقلِّمُ أشجارَها.

*

بخضوعٍ وزُلْفَى،
يرفعون هواهم وأقْوالَهم وأعمالهم،
إلى كلّ عَرْشٍ.
ويمدّون أيّامهم
تحت خَطْوِ سلاطينهم بِساطاً،
ويُضيفون أسماءهم
للنبيِّ، وآلِ النبيِّ، وصَحْب النَّبيّ.
ما الذي يفعل العرشُ،
أجملَ مِن جَنْيِ هذا القَطافِ
الشَّهيّ؟

❊

۱۳٥۱هـ:

خَرّبوا حلباً، تركوها
أثراً بعد عينْ
وكأنّي أرَى كلَّ ما شاءت الخلافةُ مِنّي،
وما شئتهُ،
ورَقاً عائماً
في مياهِ قُويْقٍ،
ودماءً تسيلُ على الضّفتينْ.

❊

حين أرنو إلى الحَرْبِ غزواً وقتلاً ونَهْباً،
أتَشكّكُ: ماذا، أهذا جِهادْ؟
أبهذا نضمّ سوانا إلى دينِنا؟
أم فسادٌ يجرّ الفسادْ؟

❊

لِمَ لَمْ أقرأ الرّيحَ وَهْيَ تُقلِّب بين يديها
كتاب الشّجَرْ؟
لِمَ لَمْ أسألِ النّهْرَ من أين يأتي بأقلامهِ؟
كيف يقرأ، أو كيف يقدر أن يتحدّثَ
مع غيمةٍ أو حجَرْ؟

ضَحِكَ الضّوءُ مِنّي

ضحكت أنجمٌ تتموّج أثداؤُها في مياه قُويْقٍ.

وكأنّي أرَى لقويقٍ يتغامَزُ مع ضِفّتيْهِ.

ضَحِكَ الزّبَدُ المتربّعُ حُرًّا على عرشهِ

فوق وَجْهِ النَّهَرْ.

*

أَلخلافةُ بيتٌ ـ

عندما يدخل الدّاخلونَ إليهِ

تُغَلَّقُ أبوابهُ،

وتُقامُ الطّقوسُ،ـ

الإلَـهُ على عرشهِ

ساهِرٌ بين جُدرانهِ:

أَلرّؤوسُ تُقَطَّعُ مختومةً بيديهِ

والدّماء تُراقُ على قدميهِ.

*

أَرْسناسُ وأطوافهُ والزَّوارق والجند والخَيْلُ

والإبلُ النّافراتُ جَوارٍ إلى الفَلَكِ المُنْتَظَرْ:

عرَبٌ يعبرون إلى الرّومِ، في نَهرٍ مِن صُوَرْ.

*

لم أَعُدْ أفهمُ

كيف يُسْتَغْفَرُ العرشُ كاللَّهِ،

أو كيف تُزْرَعُ،

مِن أجلِ أن تُحْصَدَ، الأنجمُ.

أَعْطِني قوّة الرّفْضِ والنُّطْقِ، يا حُبَّها

لأقولَ: بلادي

لا حدودٌ، ولكن

حيثُما كان عدلٌ وحبٌّ، بلادي

ولا خوفَ، لا فَرْقَ فيها،

أعربَ النّاس أو أَعْجَمُوا.

❊

آهِ، ما أطيبَ النّومَ!

بين السّرير وتلك المرايا

حولَ محرابها،

لا فراشٌ لنا

غير عِطْرِ الفضاء،

وغيرُ الفضاءِ الذي سيّجَتْهُ بأهدابِها.

❊

أتقدّمُ نحو الكهولَهْ

وأوشوشُ صَحْبي

وأكرّر هذا لسيفي

وأكرّره لثيابي -

وأردّد ما أتعزّى بهِ:

ليس بيني وبين التقدّم نحو الكهولةِ، إلاّ

خطوات الطّفولَهْ.

*

لم أزعم يوماً

أنّ هُيامي أن أَرْعَى النّاسَ، ولكن

صَادَفَ هذا.

وَلَهي أن أسْتجلي

جسَدَ الأشياءِ، وأمشي خلفَ خُطاها

وَلَهي أن أرْعَى نجماً

أن يشردَ وجهي في وجه الشّمسِ

وأُسْلِمَ صَدْري

لِبهاء مَداها.

*

لولا الفارابيُّ وأحمد[1] والكتّابُ وأهل الفَنِّ، ولولا

العلماءُ،

كانت حلَبٌ قَفْراً.

هُمْ أعطونيَ مَجْدي،

وَبِهم حلَبٌ قالت وتقولُ رؤاها

وبهم عرفتْ

أن تُوغل في سِرّ الأشياءْ.

❊

(١) يشير إلى المتنبي، والمعروف أنه بقي معه في حلب، تسع سنوات، بين ٣٣٧هـ. ـ ٣٤٦هـ. (٩٤٨ ـ ٩٥٧م). والمعروف أيضاً أن سيف الدّولة وُلد في السنة نفسها لولادة المتنبي، سنة ٣٠٣هـ ـ ٩١٥م. وأنه مات بعده بسنتين ٣٥٦هـ. وأنه أنشده آخر قصيدة في حلب، سنة ٣٤٥هـ، والتي يقول فيها:

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعرهِ
قد أُفسِدَ القول حتى أُحْمِدَ الصّمَمُ.

٣٤١هـ:

أَلدّمسْتُقُ يبكي. تَرهَّبَ. أشفَقْتُ. لن يُقْتَلا
سيرى عندنا مَلاذاً
ويُكرَّمُ. أوصيتُ خيراً بهِ.
كان يأتي إليهِ نَصارَى حلَبٍ للزِّيارةِ. يوماً،
أخذته مواجيدُه وأسرارُها،
وارتقى في سلالم رؤياهُ: «كلاّ،
لن أعيش أسيراً، هُنا»، وقَرّر أن
يشربَ السُّمَّ. أَعطَوْهُ في خِفيةٍ ما أَرادْ
وتغاضيتُ رِفْقاً بهم
وسمحتُ لهم بِالصّلاةِ عليهِ، والحدادِ عليهِ،
شأنَهم في تقاليدهم،
وبلبْسِ السَّوادْ.

❊

كلّما قلتُ: رومٌ، أُحِسُّ بأنّيَ أُصْغي
لِعذابِ ابْنِ مَرْيَم:
ـ يا سيّدي
لم أحارِبْكَ يوماً.

وأُصْغي

بحنانٍ وحبٍّ لصوتٍ يُغنّي

لمجدِ ابنِ مَرْيَمَ:

«أنتَ الطّبيعةُ ـ ما قَبْلَها، وما بعدها،

والتّحوّلُ أنتَ، وأنتَ الفصولْ»،

أو يُغنّي لِصَلْب ابْنِ مريمَ:

«أنتَ الطّريقُ،

وفي السّفرِ اللاّنهائيّ، أنتَ الوصولْ».

ـ لم أحاربْكَ، يا سيّدي، لم أُحارِبْكَ يوماً.

❊

أتساءَلُ: مِن أين جاءَ يقيني

بأنّيَ أعرف أحوال غيري،

وأحوالَ نفسي ـ

وأنا الآنَ أجهلُ مِنّيَ أمسِ؟

❊

ذاهبٌ في غَزاةٍ غداً. ولماذا؟

ألكي يَتعالَى صراخُ العَبَثْ

فوق صَمْتِ الجُثَثْ؟

❊

ليس لي من طفولتيَ الآنَ غيرُ الصُّوَرْ
صورٌ - ذكرياتٌ
لا كلامٌ، ولكن
أبجديّة وَرْدٍ وضَوْءٍ تتلألأ في طَبقات النَّظَرْ.

*

أَحْرقوا، دمّروا،
نهبوا كلّ شيءٍ
والنّساء اسْتُبِحْنَ: اغْتُصِبْنَ، سُبِينَ - بماذا
أسوّغُ هذا،
وكيف أدافعُ عنهُ؟
بجهاد العدوّ؟ بنبل الجهادِ، وبأسِ الكفاحْ؟
والجنودُ اندفاعُ رياحٍ:
أَهُناك سبيلٌ لِصَدِّ الرّياحْ؟
حَيرتي عَبَثُ الدَّهْر:
من يأسِرُ الأرْضَ يحيا أسيراً على الأرضِ،
والمستبيح هنا أو غداً
سيكون هنا أو غداً مستباحْ.

*

الحروبُ التي خضتُها
وانكسرتُ هنا، وانتصرت هناكَ، الحروبُ
التي دَمّرت عدوّيَ، أو دَمّرتني
لم تزدنيَ إلاّ ضياعاً ويَأْساً.

❊

في انكساريَ، في ذُروةِ الفجيعَهْ،
دائماً،
كنت أشعرُ أنّيَ أصْفَى
وأكثر قرباً لنفسي
وإلى حكمةِ الطَّبيعَهْ.

❊

لم أَشَأْ أن أُطارِدَ كافورَ[1]، أو جُنْدَهُ
والأسارَى سمحت لهم أن يعودوا إلى أهلهم:
لم أَشأ أن أشاهدَ خيليَ
تُخوِّضُ في بُرْكةٍ.
إمْضِ كافورُ - رأسُكَ في مأمَنٍ
وجيشُكَ في مأمنٍ،
وطريقُكَ مفتوحَةٌ.

❊

(١) لقيه وجنده في الرَّسْتن، قرب حمص، فانهزموا. أمر سيف الدّولة جنده ألاّ يقتلوا أحداً من الأسرى، قائلاً: «الدّم لي، والمال لكم». أسر نحو أربعة آلاف من الأمراء وغيرهم. ومضى كافور هارباً إلى دمشق. ثم أطلق سيف الدّولة هؤلاء الأسرى جميعاً.

خَمْرةُ الأرضِ أبعدُ من نَشْوةِ التفكّر في

أصْلِها،

والطّبيعة أسمى وأعمقُ

مِمّا يقول اسمُها.

❊

في الطّريقِ، جنودٌ يموتونَ: بعضٌ

لا يزالون في أوّل العمر، بعضٌ شيوخٌ.

الذّبابُ، الوحوش، الطّيورُ الكواسِرُ

تجتاحُ أحشاءَهمْ.

كلّهم خَطّ نَقْشاً على ساعديهِ،

أو على صَدْرهِ ـ اسْمَه وإلٰهَهْ

آهِ من هذه المتاهَهْ.

❊

يا أطبّاء جسمي[1]، اذهبوا الآن عَنّي

إنّ روحي في حاجة

لأَطّبّائِها.

❊

(١) قيل: كان يقف على مائدة سيف الدّولة أربعةٌ وعشرون طبيباً لينصحوا له بتناول الطعام الذي ينفع مزاجه. (الطّباخ، أعلام النبلاء: ١/ ٢٧٩).

لم أكن مرّةً قريباً لنفسي، كما أشعر الآنَ:

فَوْقي

نجمةٌ أترصَّد أحوالَها.

أتُرانيَ، يوماً،

مثلما وَشْوَشَتْنيَ أمّي:

أتدثّرُ سِرْبالَها؟

❊

أتساءَلُ في وحدتي:

أتُرَى اللّيل أجملُ من هذه الشّمس؟

والموتُ، هل هو، حَقًّا، ظلامٌ؟

والسّؤالُ لكي يُسْتَعاذْ

وَلَعاً بالخفاء وسِحْرِ السَّوادْ.

❊

غالباً، أتساءل: كيف عرفنا

وحدةَ اللَّه؟ لا جسرَ ما بيننا،

لا كلامٌ، ولا صورةٌ.

وأضيفُ بشكٍّ وصَمْتٍ:

ربّما ـ نحن لم نختَرِ الجهلَ باللّهِ، لم نَخْتَرِ المعرفَه.

رُبَّما ـ هو شاءَ الذي شاءَ:

ألاَّ نرَى منه غيرَ الصِّفَهْ.

*

يتساءَل: ما السرّ في هذه الأرضِ؟ ما الغيبُ؟

مِن أينَ إمكانهُ والمُحَالْ؟

يتساءَلُ ـ وهو السُّؤالْ، وأَصْلُ السُّؤالِ، وسِرّ السّؤالْ.

*

٣٣٩هـ.

كتبٌ ورسائِلُ، أوراقُ شِعْرٍ وعِلْمٍ

خَطّها بيديهِ،

أُخِذَتْ منه[1] في هذه الحَرْبِ. خَيْلي

شَتَاتٌ، وجُنديَ في

مِحْنةٍ.

وأنا لستُ أعرفُ ماذا أقولُ

كلّ ما فِيَّ أنقاضُ حبٍّ وحلْمٍ

ورمالٌ بلا شاطئٍ، وطلولُ.

*

حلَبُ لم تكن مرّةً مثلَها الآنَ:

لألآءُ بِيزنطيا وخميرةُ بَغداد: زَوْجانِ فيها،

والسّريرُ دمشْقُ.

*

أتعلّم أن أرسمَ الأفْقَ بالحبِّ، والأرضَ بالقَلْبِ:

هذي

لغةٌ في الصّباحْ

أتنسّمُ أغوارَها وأسرارَها

(١) الإشارة إلى الخطّاط المشهور علي بن مُقْلة، (مات سنة ٣٣٨هـ)، وكان منقطعاً إلى سيف الدّولة وآل حمدان. وقيل: إن عدد هذه الأوراق خمسة آلاف، ولا يعرف ما كان فيها.

وقد سمّيت هذه الغزوة، غزوة **المُصيبة**.

في كتاب الجِراحْ.

*

قَدَري أن أكونَ أليفاً
وأُولدَ في كلّ يومٍ،
غريباً.

*

أحملُ السَّيْفَ قيثارةً (هذه لُغَةٌ لا تُحَبُّ وأشعرُ
أنّيَ في حاجةٍ لكي أتنكّبَ عنها)
وأقولُ لهذا الزّمانِ: انْسكِبْ
بين أوتارها
هل يُصدّق[1] أنّي أحنّ إلى أن يكون أميراً،
وأكونَ إلى جنبهِ شاعراً؟

*

(١) الإشارة إلى المتنبي.

أحمدٌ[1] ـ

لم يكن مادِحاً

كان يهجو عمَى الأخرينَ،

ويقرأ أحوالَه وأعمالَهُ

في شمائِلِ ممدوحهِ.

كان يرنو إليَّ كأنّيَ صِنْوٌ

ونِدٌّ لَهُ،

وَيُضيء نبوءاتهِ وهياماتهِ

في التحدّثِ عَنّي.

كان ممدوحهُ

شخصه الغامضَ الآخَرَا.

هكذا، كان يمضي بعيداً في الكلام عليهِ

لِيزدادَ علماً بأحوالهِ.

وكثيراً تساءلتُ: ماذا سيفعل لو كانَ في

موضعي؟

أَتُرى، كان يَنْشَقُّ نصفينِ، مِثلي: يعيشُ

مباذِلَ أيّامهِ،

ويخسرُ أحلامَهُ وغواياتِها؟

(١) الإشارة إلى المتنبي.

وكثيراً، تمنّيتُ لو قال لي مرّةً

خَطأي، والتباسَ النّظَرْ

في أمور البشَرْ.

وكثيراً تساءلتُ:

لكن،

أَتُرَى كان ذلك يلقى لديَّ القَبُولْ

أمْ تُراني كنتُ أجاهِرُ: كلاّ،

باطِلٌ ما تقولُ وتجهلُ ماذا تقولْ[1]؟

(١) المعروف أن سيف الدّولة أعاد الصّلة بالمتنبي بعد تركه مصر، ومجيئه إلى الكوفة. فقد أرسل سيف الدّولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية، فكتب إليه من الكوفة سنة ٣٥٢هـ، قصيدته المشهورة اللاّمية، والتي يقول فيها:

وسوى الرّوم خلف ظهرك رومٌ
فعلى أيّ جانبيك تميلُ؟
(...)
مِن عبيدي، إن عشتَ، لي ألف
كافورٍ، ولي من نداكَ ريفٌ ونيلُ.

بلَدٌ ـ بركةٌ مِنْ دَم:

هل أقولُ ـ تعهّدتُها، وأشْرعتُها

لِلملأْ

كي تزولَ عن الأرض نارُ الظَّمأْ؟

(لغةٌ لا أحبّ اللّجوءَ إليها).

❊

تفتح الحرب للموت بَحْراً

وللحبّ تُغلق بيتاً،

وتشاءُ الذي لا نشاءُ.

بخطاها، لا بألفاظِها

تكتب الحربُ تاريخ هذا الفضاءْ.

❊

سيُسَمّونني خائِناً ـ ولكن

هل أخون المدينَه

إن جلبت إليها ـ في تباريحها ومرارتِها

ما يردّ إليها السّكينَهْ؟

❊

عالياً،

في ينابيع حريّتي -

أشعرُ الآنَ أنّي وحيدٌ،

ومَنْفايَ في بَدْئِه.

❊

قلت للشمس، أمسِ، اغفُري لي

نمتُ أكثر من عادتي،

وسهرتُ بلا حكمةٍ.

ومددتُ يديّ إلى شعرِها،

وصلّيتُ في حضنِها.

❊

فِيَّ ضعفٌ يُهيمن حيناً، فأصرخُ:

«قَرْعُ الحوافِرْ

يتقدّمُ عندي رنينَ المزاهِرْ.»

❊

ليس هذا صباحاً،

إنّه قِشْرةٌ مِنْ صَباحْ

جَرَفَتْها إليّ الرّياحْ.

❊

أهنالك حُبٌّ

شَيخٌ وفتيٌّ في آنٍ؟

❊

عَرَقٌ يتحدّر مِنّيَ - لكن

مِن أين؟ ثيابي

ثلجٌ؟

والأنجمُ فوقي ترجفُ بَرْداً.

❊

روميّةٌ عاشقةٌ أسْرَها، وعِشْقُها آسِري،

تأخذني، تسكبُ أحزانَها

في جسدي في دمي،

تقولُ في غبطةٍ - والدّمع مرآتُها:

«يأسرني أنني

حَرّرني حبُّه

يأسرني أنّني

أُحبّ حبّي لَهُ.»

أقولُ: «روميّةٌ - حرٌّ أسيرٌ بها

يأسرني أنّني

أحببتُ حبّي لها».

❊

كيف، من أين أصلح نَفْسي

وأعيد الفضاءَ الذي كنتهُ

لمداراتهِ،

والذي كانَ فِيَّ وما كان عِنديَ،

ضَيَّعْتُهُ؟

❊

تتحدّث أمّيَ عن آخَرِ

فِيَّ. مِن أين جئتُ إليهِ،

ومن أين يأتي؟ غيوبٌ

تتوهَّجُ في صَدْرِها:

«ذاكَ مِن أمْر رَبّي».

لا أُجادِل أُمّي، ولا أَتساءَلُ. أحنو عليها

وأفوّض أمْري إلى أَمْرِها.

❊

حُلُمي في اتّجاهٍ، جسدي في اتّجاهٍ، وفكريَ في آخَرٍ:

لا تَناقُضَ،

بل وحدة الضّوء والظّل في هذه الحياةِ ـ

وحدة السّاهر المشرّد

في غابةِ الكلماتِ.

❊

سَايَرْتُ نَهْرَ قويْقٍ: ضِفّةٌ لبستْ
وَجْهَ التّرابِ، وأُخرى تلبس الأُفقَا
في صوته قَلقٌ ـ أَقْفُو تموّجَهُ
فأحضنُ الصّوتَ، لكن أعشقُ القَلَقا.

❊

جسَدي خُبْرتي، ـ
ليس لي غيرُ ما قامَ أو نامَ فيهِ،
مِنْ بَهاء المسيرةِ
في عَتَماتِ الكِفاحْ.
ليس لي غيرُ هذي المباهج، هذي الجِراحْ.
جسدي خُبْرتي ـ
أخذتْهُ إليها سماءُ الغيومِ، وتُزْجيه في فَلَكِ
الرّصْدِ، هُوجُ الرّياحْ.

❊

كنتُ أقولُ: أُحِسّ بأنّيَ أُولَدُ كلَّ صباحٍ،
واليومَ أقولُ:
الموتُ أمامي والموتُ ورائي.
الشُّبَّاك شِبَاكٌ
والمقعدُ، حوليَ، خالٍ.
أحدِسُ: ضَيْفي، هذا اللّيلَ، شهابٌ أعمى.

*

قال يتابعُ أفكاراً، كنّا نَتحاوَرُ فيها:
«كنتُ أسائل عَقلي عَمّا كانَ، وعَمّا
يتكوّنُ ـ مِن أشياء الغَيْبِ، ومن أشياء
الدّنيا.
لم أسأل يوماً حِسّي،
ألهذا لم أعرف شيئاً
وأموتُ غريباً عن نفسي؟».

*

حولي أشياءٌ كنتُ أراها
كلّ صباحٍ.
واليوم أحسّ كأنّيَ لم أعرفْها

وكأنّي لم ألمحها، قَبْلُ ـ تُرانا
نُولَدُ في لحظات الموتِ،
أمِ الأشياءُ تحولُ:
الطّفلُ يراها في ثوبٍ
والشيخ يراها في ثوبٍ؟
طِفْلٌ في جُبّةِ شيخٍ،
شيخٌ في طَلْعةِ طِفْلٍ ـ
لا أزمنةٌ، لا أعمارٌ،
بل أحوالٌ ومواجيدٌ.

*

لو تَيسَّرَ لي أن أعودَ كما كنتُ طفلاً،
وخُيّرْتُ، لاخترْتُ
ألاّ أفكّر، ألاّ أُحارِبَ،
لاخترتُ حِسّي
ولأغرقْتُ في الحبِّ، في فتنةِ الحياةِ،
وفي فطرة الطّبيعةِ نَفْسي.

*

أمسِ حيّيْتُ نَهْرَ قويْقٍ
عند مفرقِ بيتي
وتحدّثْتُ مع وردةٍ.
لم أفكّر، قبل حبّي لها،
أنّني قادرٌ أن أحيّيَ نَهْراً
وأن أتحدّثَ مع وردةٍ.

*

أحببتُ دونَ حنانٍ دونَ عاطفةٍ
وما تشَهّيْتُ إلاّ ما أُلاَمِسهُ
في عُزْلةٍ عِشْتُ: لا ضِدٌّ يُشَاطرُني
نُبْلَ الصّراعِ، ولا نِدٌّ أنافِسهُ.

*

كانت الحربُ حيناً عَزاءً
لِيَ عن وَحْدتي، وحيناً هُروباً.
من صَغَارةِ هذا الزَّمانْ
والذين يموتون في الحرب، كانوا
لعبةً أو رِهانْ.

*

أَتعجّب مِنّي

كيف أمضيت عمريَ في الحَرْبِ ـ

حَرْب السّيوفِ، وحَرْب الكلامْ،

كيف لم يرفع الشّعراءُ البيارقَ

للحبّ أو لِلسّلامْ.

أتعجّب مِنّي ومنهم

كيف كنّا نغنّي لِتحطيم مَنْ ليس مِنّا

ونزهو بهذا الفناءِ وهذا الحُطامْ.

❊

ربّما لم تك الحربُ إلاّ ثوبيَ المستعارْ

كي أغطّيَ عجزي عن الفكر، أو أتجرأَ حتّى

أقولَ لِهذا الغبار الإلٰهيِّ: أنتَ

الفريسةُ والوحشُ

يا آدَمَ الغبارْ.

❊

للأشياء كلامٌ أَبْهى، ودَمٌ أَغْلَى:

تُقْتل أمٌّ

كي تُؤخَذ مِنها مِرآةٌ.

يُقتل طِفلٌ

كي تُؤخذَ منه لعبتهُ.

يُقتل شيخٌ

لِيُجَرَّبَ نَصْلٌ.

ما لي أتذكّر هذا؟... جسَدي واهٍ... أَصواتٌ؟

أصغي: حشدُ ملائكَ فوقي في طبقات الغيم وفوق سريري؟

هل يُنذرني؟ هل يسخرُ منّي؟

*

جالِسٌ في سريري، أُسائِلُ نفسيَ:

ما الحربُ، ما الحبّ،

ما الحكم، ما حلَبٌ؟

كلماتٌ

تتخاصَمُ فيَّ،

وتعلو وتهبطُ،

تأتي وتمضي،

وأجهلُ ماذا أقولْ.

جسَدي في مكانٍ،

وفراشيَ في آخَرٍ،

إنّها لحظةُ الدُّخولِ إلى غَيْهَبِ الأفولْ.

❊

أأقولُ الآنَ لِسيفِ الدَّولهْ؛

لستَ عَلِيًّا؟

أأُسائِلهُ: مَنْ أنتَ؟ ولكن،

مَنْ كانَ عَليٌّ قَبْلَهْ؟

سِرٌّ مكنونٌ،

لا، لن أسألَهُ: مَنْ سيكونُ؟

❊

المكان سَريرٌ

يَتَشَعَّثُ في ريحِ هذا الزَّمَانْ، ـ

إنه الوَقْتُ: وَجْهي يَردّ إلى الشّمسِ

ما كان فيهِ،

مِن تقاسمها،

ويَدايَ إلى الموتِ مَمْدُودتانْ.

❊

مِن غبار المعاركِ، فوق ثيابي

جمعتُ الكثيرَ،

وسَوّيتُهُ لِبْنَةً،

وأوصيتُ صَحْبي:

«عند موتي[1]، ضَعوها

مُسْنداً تحت خَدّي».

❊

(١) يُروى أن سيف الدّولة غُسِل، لمّا مات، تسعَ مرّات: بالماء، والزّيت، والنيلوفر، والصّندل، والعنبر، والكافور، وماء الورد، والماء المقطّر، والزّعفران. وبلغ ثمن كفنه ألف دينار، ودفن في ميّا فارقين، سنة ٣٥٦هـ، بعد مقتل المتنبي بسنتين.

أوراق خـولة

أوراق خَوْلة*

[كتبت هذه الأوراق بين ٣٤١ ـ ٣٤٨هـ]

في الشّمسِ، اليومَ، رأيتُ لجسمكَ ظِلاًّ

فوق فراشي.

❊

أَلوقت يَصيرُ تراباً، يا ماءَ حياتي

هل ستمرّ؟ رَجاءً، مُرَّ. البَابُ سيبقى

مَفْتوحاً.

حُرّاسي؟ عُشّاقٌ أَيضاً.

ولهم أسرارٌ ومواعيدٌ ولقاءاتٌ...

❊

لِلسّرير الذي سَأُلاقيكَ فيهِ،

العشيّةَ، بَوْحٌ

تَتَمازَجُ فيه روائحُ وَرْدٍ ومِسْكٍ،

وروائحُ نَدٍّ. وفيهِ

أَلَقٌ مِن بَهاءِ النّخيلِ، وفيهِ

واحةٌ رسمتْها

* الأخت الكبرى لسيف الدولة، وهي التي كانت بينها وبين المتنبي علاقة حبّ، في رأي بعضهم. تُوفّيت في مَيّافارقين، سنة ٣٥٢هـ. وكان المتنبيّ آنذاك في الكوفة. ورثاها بقصيدته المشهورة، والتي جاء فيها:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ

فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً

شرقت بالدمع حتى كاد يَشْرَقُ بي.

ويُعلّق الواحدي على أحد أبيات هذه القصيدة في شرحه قائلاً: «أساءَ في ذكر حسن مبسم أخت ملك». ودافع عنه ابن جنّي، قائلاً: «كان المتنبي يتجاسر في ألفاظه جدًّا».

وفي هذه القصيدة، يقول:

قد كان كلّ حجابٍ دون رؤيتها

فما قنعتِ لها يا أرضُ بالحجبِ

وهل سمعتِ كلاماً لي ألمّ بها

فقد أطَلْتُ وما سلّمتُ من كثَبِ.

بالحنين وأيّامهِ
خواصِرُ غِزْلانِها.
في السّرير الذي سألاقيك فيه، العشيّةَ، هذي العشيّةَ،
ميثاقُ غاباتِنا
ومُحيطاتِها.

*

أَعْطِ للحربِ وقتاً أقلَّ وشعراً أقلَّ. عَذابٌ
أن أراكَ إلى جَنْبِهِ[1]:
أنتَ في حيرةٍ،
وتُكابِدُ ما ليس منكَ، وما لستَ مِنْهُ.
وَهْوَ مُسْتَبْسِلٌ
واضِعٌ رأسَهُ بين سَيْفٍ وسَيْفٍ،
ضائعٌ بين بيزنطيا ودِمْشقِ، -
تلك قُدّامَهُ تكرّ تفرُّ، وهذي
خلفَهُ: كيدها عَظيمٌ.

*

(١) الإشارة إلى أخيها سيف الدولة.

في الفراشِ الذي ضَمّنا
يكتبُ الحبُّ والحلمُ والرّغبَاتُ صحائِفَ أيّامِنا،
مثلما تكتبُ الحقولْ
ما تقول الفُصولْ.

❊

كلّ تلك العوالم في جَنّة الوَعْدِ،
في وَهْميَ الأنثويّ، حياةٌ
أتقلّبُ فيها
بين أحضانه الخالِقَهْ ـ
أين أنتَ؟ اغْترِفْني
أَعْطني ماءَ قلبكَ، خُذْني إليكَ،
إلى نار شَهْوتِكَ الخارِقَهْ.

❊

لا دَمٌ في عروقي
غيرُ ذاكَ الدّم المتفجّر منه إليّ. وهذي
غرفتي تتقلّب في نارِها
وتهامِسُ جُدْرانَها:
لا أصدّق ـ لَيْلي، وحُلْمي

والنّوافذُ، والبَابُ: هذا
كلُّه، مِثْلُ ضَوْءٍ
يتبجّس مِنه،
ومن ذِكْرِه،
آسِري، وأُصلّي
كي تَضيقَ عَليّ عُرَى أَسْرِهِ.

❊

آهِ طَعْمكَ! ما زالَ ريقي يُسافِرُ فيهِ:
لِسانيَ سُكْرٌ،
وفي شفتيّ جُنونٌ.

❊

طولَ اللَّيلِ، أُنَقِّل خَطْوي
في الدّارِ، هنالكَ ـ حيثُ...
وحيثُ الماءُ انْسكَبَتْ.

❊

الموتُ أسيرٌ
والحارِسُ أنتَ وحبّي.

❊

قَلْبي جُزُرٌ
سُفُنُ الحبّ الأولى تُرْسي فيهِ،
ورياح الحبّ الأولى تغدو وتروحُ إليهِ،ـ
لا رُبّانٌ إلاّ أنتْ،
أبْحِرْ فيّ إلينا، كيف تشاءُ، وأنّى شِئْت.

❊

كلَّ يومٍ،
أقولُ لهذا السّريرِ، لهذا الغطاءْ
جسَدي ناحِلٌ،
ويُحبّ التموّجَ بين يديهِ،
ويُحبّ العرَاءْ.

❊

أَمضيتُ ليليَ أسألُ اللّحظاتِ عنكَ،
أشمُّ جِلْدكَ في الغطاءِ،
وفي الوسادَهْ،
صَدّقْتُ: كلُّ غوايةٍ
رَبٌّ، وكلُّ هوىً عِبادَهْ.

❊

لِيَفعلوا ما أرادوا، لن تُفارِقَني

جِنّي، ولن أتخلَّى عن شَياطيني

وكيف أكتم حبّي، أو أقنِّعهُ

حتّى ثِيابي وأَحْلامي تُعَرّيني.

❊

أَلقصائِدُ ـ تلك التي كنتَ تكتب في دَفْتري

بين ثَغْري ونَحْري،

يَتَقَافَزْنَ، يأتينَ ليلاً إليَّ،

يداعبْنَ ثَدْييَّ في ليلكَ السّاهرِ،

آهِ يا ساحري.

❊

قَمرُ اللّيل جَوْعانُ،

والوقْتُ مِثلُ السِّوارْ

هُزَّ جذعي إليكَ، احْتَضِنّيَ ـ

ملأى بحبّيَ،

ملأى بأشهى الثّمارْ.

❊

اليومَ، حصاني

لم يعرف كيف تجيء الشّمسُ

لينهضَ كي يَلْقاني،

دَاعَبْتُ سوادَ قوائمهِ،

والعُنُقَ، الرّأْسَ، وغُرّتَهُ

بردائيَ - بالأَزْرارِ، وبالأَزْدانِ.

*

بين ثَدْييَّ طيفٌ:

رأسهُ مثلُ طِفْلٍ

وادِعٌ، دافِئٌ.

*

أنتَ فَضاءٌ وأنا تيهٌ -

ما أَبهى تيهَ الإثْنينْ،

يا قَمري الأَبْهى ما بين القمرينْ.

*

ليس لي أجنحهْ
كي أطيرَ إليكَ، وهذا
شَغَفي: أن أكونَ كأرضٍ
وتَجيء إليَّ، وتهبطَ في ظُلماتي
أنْ أكونَ كبابٍ على سُرّة الزّمانِ،
وأن تَفْتحَهْ.

*

هوذا بَصري ـ طائِرٌ، سابِحٌ، غارِقٌ
عَالِقٌ بطريقكَ أنّى تَوجَّهْتَ، أو كنْتَ.
ماذا،
تفعل الآنَ، يا سيّدي؟
خُذ يدي، خُذ يدي.

*

آهِ من فِكْرة الحريمِ،
ومِن ملكوتِ الحريمْ
جسدي، مِثْلُ فكري، جحيمٌ
جسدي، مِثلُ فكري، رجيمٌ، ـ
تَبارَكَ شيطانيَ الرّجيمْ.

*

أَلكرسيُّ يجرّ خُطاه سِرًّا
لِيرَى: هل ثوبُكَ هذا المَرْميُّ، إزاء سَريري؟
وأنا لَمّا أَسْتَيْقِظْ.

❊

وَخدي ـ لا طَعْمَ لهذا الشّايِ، ومنه شَربْنا
أمسِ، وكان لذيذاً.

❊

أمسِ حلمتُ. رأيتكَ نَهْراً
وأنا فيكَ أغوصُ وأنزل حتّى القُعْرْ
صَوْبَ البَحرْ.

❊

ما لجسمي غريبٌ ـ
لا عليلٌ، ولا خالِصٌ
مِن عذاباتهِ،
لا مقيمٌ ولا راحِلٌ.
أَلَقٌ في خلاياهُ، لكن
قلَقٌ في خُطاهُ.
امْزُجي عِطْريَ، اليومَ، يا حَيْرتي
امزجيهِ بشِعر حبيبي وأَنْفاسهِ.

❊

أَلسّتارُ، البلاطُ، البِساطُ، الحصيرْ
كلّ شيءٍ يقولُ: انْهَضي،
وأَعدّي السّريرْ.

❊

من صَنْدلِ حبّي، من مَجْمرتي
يخرج ليلٌ آخَرُ يمشي حول سريري
ويُخالِط ضوءَ البيتِ ويبكي
ويذوبُ حنيناً في حُنجرتي.

❊

لا أصدّقُ، لكن
جسَدي غارَ مِنّي
حين قلتُ لفكري:
زُرْهُ ليلاً، وسَلْهُ، وأَخْبِرْهُ
واحْضُنْهُ عَنّي.

❊

طُولَ هذي الشُّهورْ
لم أَنَمْ مرّةً
دونَ أن أتغطّى
بالغطاء الذي لَفّنا
وعرفنا أوائل أسرارِنا تحتهُ.
هُوَ لي لونُ وَجْهي وجِسْمي وعينيَّ،
والأَرْضِ في ما تكونُ، وكانَتْ.
وَهْو لي مائيَ الطَّهُورْ.

❊

في شَهْر الصَّومْ
غيّرتُ ثيابي
غيّرتُ غلائل نومي
غيّرتُ بياض سريري، ووسائده،
كي لا أنقضَ صومي
كي لا ألمسَ إلاّ ناركَ في أثناء النَّوْم.
❊

ما أحبَّ وأغربَ هذا المساءْ:

مِن شبابيكهِ تتدلّى نجومٌ

لابساتٍ غلائلَ مِن وَرقِ الآسِ،

واللّيلُ يرسم أفخاذهنَّ

على شُرفات السّماءْ.

❊

ها هنا، حول بيتي

فوقَ خَدٍّ توَسَّدهُ لازَوَرْدُ المدينةِ،

يكتب رَبُّ الكواكب أشعارَهُ -

غرفتي، وهي تقرأ تلك الكتابَة، تقتصّ آثارَهُ

وسريري، رموزٌ

تتفتّحُ في ضوئهِ،

وتعلّم أسرارَها

كيف تَجلو، متى جاءَ، أسْرارَهُ.

❊

مَرّتِ الرّيحُ بيضاءَ، واشتعلَ اللّيْل أبيضَ،
في ذُرواتِ الشّجَرْ،
كنتُ أقرأ ما يكتب الحبُّ بيني وبين النّجومِ -
صديقاتهِ،
وأُهيّيءُ أطفالَ حُزْني لِرسْم القمرْ.

❊

لم يكن عادِلاً عليَّ[1]
حين أَصْغَى لحسّادهِ[2]،-
كيف يقدر أن يسمع الشّعرَ مِن غَيْرِهِ؟
يهرعونَ إليهِ
لا ولاءَ، ولا فتنةً
بالجمالِ، ولكن
يهرعونَ إلى مالهِ وإلى زادهِ.

❊

إقْتَرِبْ إقْتَرب
أَلملائكُ مِن فوقِنا في هَوادج أعراسِها،
سأقول لِحُرّاسنا أن يُعِدّوا الخيامَ لِحرّاسِها.

❊

(١) أخوها، سيف الدّولة.

(٢) الإشارة إلى المتنبي.

أَلْمآذِنُ في شفتيكَ، على كتفيكَ،

وفي ناظريكَ... سوارٌ،

أم حصارٌ؟

ودروبُ السّماء تؤدّي إليكَ. تَلفَّتْ،

ربّما...

ما أقولُ؟ لماذا

أتذكّر هذا؟

فاطِمَهْ

أَطْفِئي شمعةَ السّرير، وأَغْطي

لِلّهيب المُنوَّر في ذكرياتي،

فَراشاتِها الهائِمَهْ.

*

أَلحبُّ بلادٌ

تَترحَّلُ في أثناء اللّيلِ،

بدون حدودٍ

وبلا حرّاسٍ.

*

عندما ينظر الآخرون إليَّ،
أُحِسّ كأنّ لِوَجْهي غطاءً
نَسجته تجاعيدُهم.
عندما لا يراني سِواهُ، أحسّ كأنّني
فَلَكٌ بين أفلاكه الحانياتِ عليهِ
أتنقّل بين يديهِ.

*

ألسّماءُ تَغَطَّتْ
بغبار المدينةِ، هذا الصّباحَ. غيومٌ
تأسِرُ الشَّمس ـ تخرج منها، وتهبط
في حيّنا
مَطراً ساخِناً.
كانَ جِنُّ المساءِ قد استيقظوا باكراً
ومَضَوْا، بعد أن حَمّلوني رسائلَ مِنهمْ
إليهْ.

. . .

سأقول له: واحِدٌ
بينهم، يتَشَكّى عليهْ.

*

أيَكونُ الفراتُ سريرَ تباريحيَ

الشَّارِدَهْ،

أتكونُ الجبالُ شبابيكَها؟

يا ظباءَ الفراتِ التي لم تَزرْني

مِن زمانٍ ـ (وقالوا:

إنّها الآن تقفو ظباء الحجازْ

وتغنّي لأطلالها البَائدهْ)

يا ظباءَ الفرات التي لم تزرني

مِن زَمانٍ، خذيني

ساعديني، سَلي كيف أَشْفَى ـ

دوائي

مثل دائي، رحيلٌ

في سُهوبِ المجازْ.

*

أكتبُ الآنَ ما يُشبه الرّسالَهْ

لا إليهِ، ولكن

لِلطّريق التي سَلكتْها خُطاهُ،

بعد ذاك اللّقاء الذي ضَمّنا ـ

لِخُطاهُ، لاضطرابِ خُطاهُ في الزّقاقِ

الذي يَنْتهي عند بابي، لِصمت التلهُّفِ

وهو يدقّ على البابِ. يدخلُ ـ جسمي

وردةٌ في يديهِ، هلالٌ

حول أجفانهِ،

وحبّيَ هالَهْ،

أكتبُ الآنَ ما يُشبه الرّسالَهْ.

❊

هاهُنا نحن في البابِ، في ظِلّهِ واقفانْ

أنتَ ماضٍ. أنَا؟ نتردّدُ:

كيف نقولُ: الوداعَ،

وجسمي وجسمكَ لا يقبلانِ،

ولا يُصغيانْ؟

❊

كان أجدادُنا يقولونَ:

قيسٌ بدايَهْ ـ

لا بدايةَ للحبِّ، كلّ عشيقين بَدْءٌ.

أتُراها النّهاية لفظٌ، لا لِوَصْفِ الوجودِ، ولكن لِوَصْفِ الكلام،

البدايَةُ في الحبِّ والخَلْقِ،

لا تعرف النّهايَهْ.

*

أتذكّرُ. لا غيمَ. كانت سماءُ المدينةِ أصْفى مِنَ الدّمع. قلنا

نارُ أعضائِنا فِراشٌ

والنّجومُ غطاءٌ لنا.

*

لا أصدّقُ ما قال بعض المحبّينَ: «ما كان في الحبّ أوْهَى وأوهَنُ مِمّا يكونْ»،

لا أصدّقُ ما قالَ بعض المحبّين: «ما كان في الحبّ أبْقى وأكمل مِمّا يكونْ».

كلُّ حبٍّ جنونٌ بَهِيٌّ

لا تَفاضُلَ في مِثل هذا الجنونْ.

*

زُرْتُ آثارَنا

بين بَيتي وبيتِكَ. فَوّضْتُ أَمْري إليها،

وتَنَسَّمْتُ عِطْرَ الطّريقِ وعِطْرَ المكانْ،

وتَخيّلتُ أنّي

بِاسْمِها، رُحْتُ أَخْتَطُّ تحت السّماءِ سماءً

كي تُظَلِّلَ عُشّاقَ هذا الزّمانْ.

*

داخلَ نَفْسِكَ تَمْضي، تتوغَّلُ. خارجَ نفسي

أمضي، أتوغَّلُ: أنتَ مقيمٌ

حيث الشّعرُ، وأنْتْ

لا حَدّ لوجهكَ. وَجْهي

فَلَكٌ دَوّارٌ

يَتبعُ وجهَكَ أنّى كُنْتْ.

*

أَصْغِ. هذي خُطانَا

تتقدّم خلفَ السّياجْ،

أَصْغِ ـ هذا هو الجرَسُ المتموّجُ

في عُنُقِ الرّيحِ،

هذا غِناء المفاتيحِ،

هذا رنين الرّتاجْ.

أصْغِ ـ لا شيءَ إلاّ

جَسَدانا،

وإلاّ السِّراجْ.

❋

ليتك الآنَ عنديَ، قُرْبَ السّريرِ،

تَرى اللّيلَ كيف يَجيءُ إلَينا

ساكِباً حِبره في الفراشِ كموجٍ،

راسماً فوقه جَسدَيْنا.

❋

أَعْطِها، سيّدي

أَعْطِ أعضائيَ الأسيرةَ، أَعْضائيَ العاشِقَهْ،

أن تُسافِرَ في هذه اللّغة المُسْتَسِرّةِ،

في أبجديّةِ

أعضائكَ الخالِقَهْ.

❊

مِثْلَها أنسجُ[١] ـ

غيرَ أنّ عروقي سَداةٌ ودَمي لحمةٌ.

عالياً ـ أترصَّدُ أنوارَهُ

وإلى ساعديهِ، إلى عَرْشهِ،

جسَدي يَعرُجُ.

❊

لا أُحِسّ بأنّي أَنامُ، ولو كنتُ أُوغِلُ في النَّوْمِ،

يَقْظَى

أبداً بانجذاباتهِ

وبأنوارهِ ودياجيرهِ.

هوذا رأسهُ بين نَهْديَّ،

والأرضُ تَجْري إلى ربِّها.

❊

(١) الإشار إلى بينيلوب.

أقرأ الآنَ، تلكَ الغصونَ التي تتكسَّرُ

في غابةِ الوَقْتِ،

عُريانةً، ندَيّهْ

والتي تتراكمُ في حَقْلِ أيّامِنا.

لم أقلْ مرّةً إنّها ذكرياتٌ

لم أقل إنّها غيومٌ ـ

قلتُ: هذي رياحٌ خفيّهْ.

❊

بِاسْمِهِ لاسْمِهِ

كم أُغيّر مَسْرايَ، كم أتنقَّلُ، كم أرحلُ

وأنا هاهنا بين جدران بيتي

خطواتي كقلبي ـ عالَمٌ مُقْفَلُ.

❊

غالباً، أتخيَّلُ أنَّك بعديَ[1]،

لن تعرفَ النّساءْ

وأُسَرُّ بهذا التّخيّلِ، لكن

فَجْأةً، تتوهَّجُ فيَّ، كأنَّكَ

تلمس تلكَ النّواةَ التي أتوهّجُ فيها،

فَأصرخُ: كلاّ،

ليكن، وَلْيَعشْ

مثلما شاءَ، لا مثلَما أشاءْ.

*

أتراها حياتي

لا تقولُ سِوى مَوْتها؟

*

(١) عاش بعدها.

ستكونُ لنا بعدَ ليل الهبوطِ
إلى آخر الهاويه،
في مَداراتِ أحْبابنا وأخِلاّئِنا
دَارَةٌ للإقامةِ: لِلشّعر والعِشْقِ أبوابُها
وأساطيرُها،
وللعاشقين ولِلشّعراء نوافذ أشواقِها
وأسرّة أفْراحِها،
ومقاماتُها.
سيكونُ لنا موتُنا
في معارج أسْرارِنا الآتيهْ
لغةٌ ثانيهْ.

❊

وَحْدَهُ مالِكٌ لِساني
واللّغات التي تتفجَّرُ من تحتهِ.
وحدهُ عالِمٌ بصدري وما فيهِ من نِعْمةٍ وَضيقِ،
وحده أوّلُ الطريقِ إلى صَبَواتي،
وحده آخرُ الطّريقِ.

❊

في زُرْقَةِ الأُفُقِ، أَسْري خلفَ كوكبهِ
وأقرأ النّارَ والآلامَ والمِحَنا
بَحْرٌ فَتحتُ له صَدْري، وطُفْتُ بهِ
أعانِقُ الأرضَ والأفلاكَ والزّمَنا.

❋

بين عُنُقي وصدري فَراغٌ.
فراغٌ
بين دِفْءِ اليديْنِ ودِفْءِ الهلالِ الذي يَتَمرأَى
في مياهِ المُثَلَّثِ ـ أَنَّى، وكيف
أقولُ لأعضائِكَ القمريّةِ هذا الفراغَ،
وكيف أُهدِّمُ أسوارَهُ،
والحِواريُّ أنتَ، وأنتَ الذي يتملَّكُ أسْرارَهُ؟

❋

ما الذي خلفَ عينيكَ، ماذا يُسِرُّ التَّغضُّنُ
في وجنتيكَ؟ تُريدُ المُضِيَّ
إلى آخرِ التّخومْ
أم تُريدُ التّراجُعَ؟ قل لي،
أيّها القمر المتلألىءُ في وَجْههِ،
كيف أقرأ فيه النّجومْ؟

❋

زَمَنٌ مِثْلُ غَيْمٍ يُحوّم كالطَيرِ فينا
ونُحوّم فيهِ،ـ
حبّنا غابَةٌ لطيورٍ
صالحتْنا مع الرّيحِ أشْجارُها.
❊
جسدانا
يملآن المساءَ بفوضاهما ـ
يحفظ اللّيل إيقاعَها، ويُغنّي
لِلسّرير أناشيدَها.
❊
في تقاطيعنا، في خطانا
يقرأ اللّيلُ سِفْر الدُّخولِ إلى حبّنا
مثلما كتبتْهُ أقاليمُنا.
❊
فَكّتِ الشّمسُ أزْرارَها
للمغيبِ، رَمت ثَوْبَها
في يديهِ،
وتَغطَّتْ بِوَرْدٍ.
❊

أتَقاتَلُ في البيتِ مع خطواتي
وأعاتِبُ ثوبي على صَمْتهِ.
أتمدّدَ فوق سريري، وأُصْغي:
صوتُ نَافورةٍ من عَذابِ
يَجيءُ ويَذْهبُ في زَفَراتي.

*

دَعْ صَدْركَ، افْتَحْهُ، قُلْ لي كيف يَتَّسِعُ
لذلك القلَقِ الأكّالِ يمخرهُ
لِلرّعد يَقْصِفُ، للأمواج تَضْطَرِعُ
ولِلصّحَارَى، وللرَّمْلِ الذي امّزقَتْ
فيه الرّياحُ، وناءَ الرّاحلون بهِ
فاسْتَسْلَمُوا، وانْثَنَوْا يأساً، وما رَجعوا،
وكيف تَجْتَرحُ الإعصارَ يَلْقِفُها
وكيف تَسْمو على الدّنيا وتبتدعُ -
أَلصّاعدون إلى آفاقِكَ انْحَسَرُوا
والسّائرونَ على آثارِكَ اتّضعوا
دَعْ رأْسَكَ الآن يَسْتَسْلِمْ لِخاصرتي
دَعْ صدرَكَ، افتحْهُ، قل لي كيف يَتَّسِعُ؟

*

مِثلما عَلّمتني رؤاهُ
أنّ نورَ القصيدةِ يأتي إلى الشّيءِ،
يفتح أحشاءَهُ ويسافِرُ فيها،
هكذا، بعده
سوفَ أبدأُ في شَقِّ أحشاءِ هذي الحياةِ
التي تتراءى كمثل الضّبابْ
ثمّ أمضي، أردّ إلى الأرضِ ذاكَ الهباءَ الذي
أخذته رياحيَ مِنها،
وأصعدُ نحو الأقاصي
على سُلّمِ الغيابْ.

❊

أخذتني الوسادةُ بين يديها
حينما رحتُ أبكي،
وأرسمُ بالدّمعِ حُلْمي عليها.

❊

ربّما آثرَ السّفَرْ

وتشرّدَ كي يتعزّى

حبّهُ عاصِفٌ

وأقاليمُه

شرَرٌ يَسْتَثيرُ الشّرَرْ.

❋

قُلْ لي: تلك الغاباتُ الممتدّةُ

في عينيكْ

مِن أين أتاها غيمُ الحُزْنِ؟ وقلْ لي:

هل وَصَل النبعُ الطّالِع مِنّي

في أهداب الفجر إليكْ؟

❋

طُرقٌ ـ ما أكثرَها، ما أقرَبَها،

ما أوسعَها

وأراها قفراءَ، وكلّ مكانٍ فيها

سِجْنٌ أو ضِيقٌ.

إلاّ واحدةً ـ

تأتي منكَ إليكْ

ما أبهى أن تتمادَى، وتطولَ، وتَنْأَى بينَ يديكْ.

*

أمسِ، لمّا التقينا على النَّهْرِ، ثم أتينا إلى البَيْتِ،

أحَسْسَتُ أنّك تهبطُ مِن كوكبِ

في قصيدَهْ

قُلتَها في شبابكَ، ـ

أوْغَلْتَ فِيَّ،

وأسْلَسْتَ جسمَكَ لِلحبِّ. قُلْ ليَ:

هل كنتُ نِصْفكَ، منذ الطّفولةِ؟ هل كنتَ

تبحث عَنّيَ؟ قُلْ لي:

أَأَنا مِنْكَ أوّلُ أيامكَ الشّريدةِ،

آخِرُ أيّامكَ الشريدَهْ؟

*

لا أريدُ لحلميَ أن يَتحقّقَ،

كي لا يكونَ لناريَ فيكَ انطفاءٌ،

كي أظلَّ انتظاراً،

كي أظلّ كأنّي على طرَفِ الجمر، أحْيا

وكأنّي أضُمُّ شَفَا هُوّةٍ.

لا أريدُ لحلميَ أن يتحقّقَ فيكَ،

لكي لا أُسافرَ مِنْكَ، لأَبْقَى

في أقاليمِ نَوْعي وجِنْسي

أسيرةَ نَفْسي.

❉

كلّما غابَ في وجههِ ناظرايَ

لكي أتنوّر أبعَادَهُ

والهمومَ التي تتزاحَمُ فيها ـ

حسبْتُ كأنّي ألَمُّ المساءَ، ألَمُّ الصّباحْ

موجةً موجةً

مِن خليج الجِراحْ.

❉

أنكرتْهُ المدينَهْ ـ

هي في نَوْمِها

وهو في فَجْرِها

يُوقِظُ الحبّ فيها

والشّموسَ الدّفينةَ في أرضها الدّفينَهْ.

❊

أين يمضي، إذن؟

نَهَرٌ من جراحٍ لا مَصَبٌّ له،

يتدفّق في فلواتِ السّماءْ

جارفاً حلَباً والفراتَ ومَيًّا فارقينَ، بأمواجهِ.

أين يمضي، إذن؟

شَجَرُ الحِبْرِ نكّسَ أغصانَهُ ـ

أين يمضي، إذن؟

لم يعد بيننا غير تَرْحالهِ ـ وخطاهُ، ووَقْعِ خُطاهُ،

وطَيْفِ اللّقاءْ

لم يعد بيننا

غيرُ أنْ أَنْسِلَ الوَقْتَ كالخيطِ من طيفهِ،

ومن ذكرهِ،

وأخيطَ الهوَاءْ.

❊

جسدي ـ كم أُحِبّ شياطينَهُ

أَسْتَضِيءُ بِوَسْواسِها

وأفوّض أمري إليها.

❊

كيف لي أن أميّزَ بيتيَ بين البيوتْ

أو أُفاضِلَ ما بين رُمْحِ ونايٍ،

عندما لا يكون أماميَ، في هذه اللّحظاتِ،

سِوى بُعْدِهِ،

وسِوى أنْ أموتْ.

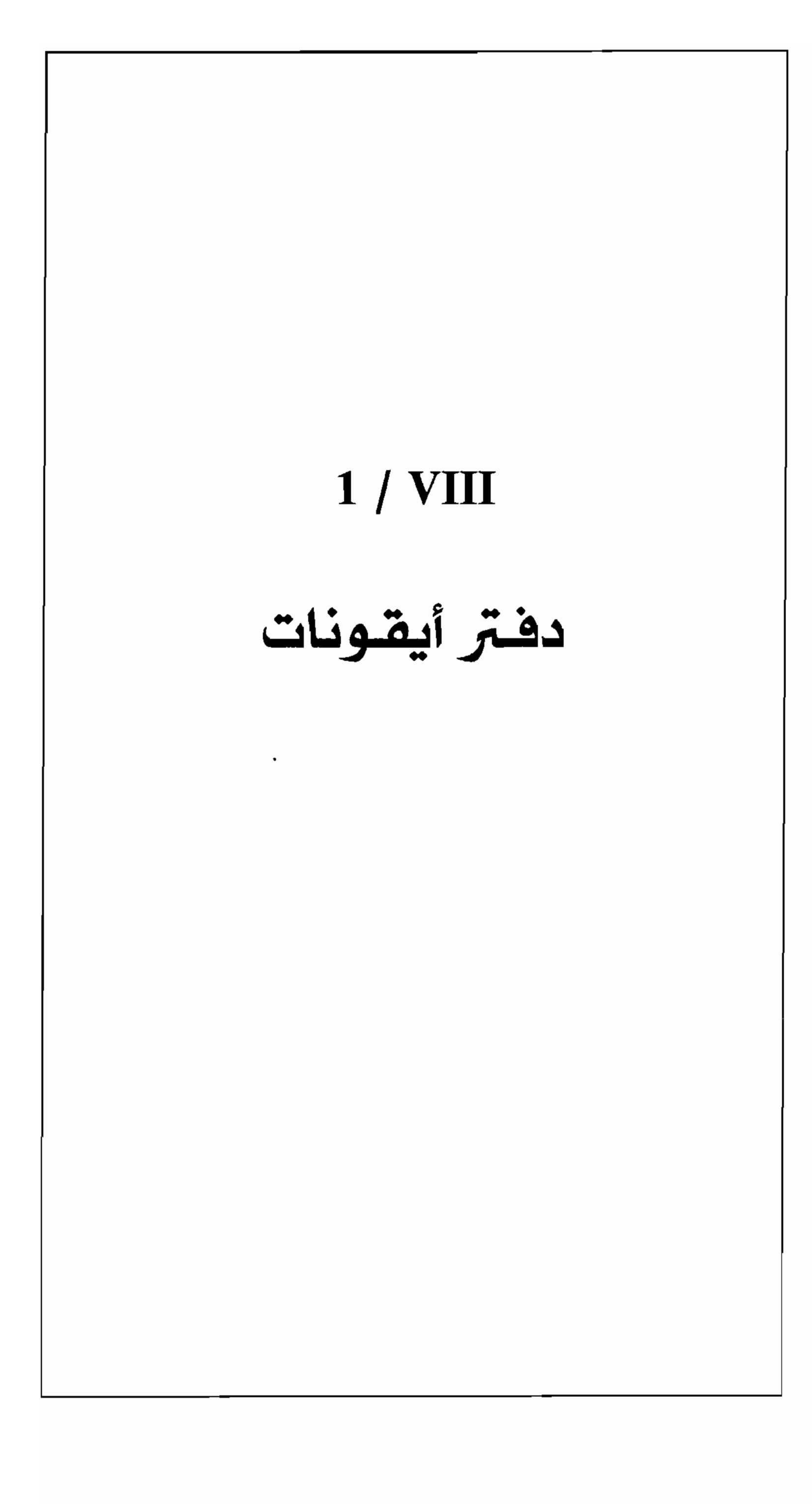
❊

دفاتر

(أوراق خاصّة عُثِر عليها وأُلحقت بالمخطوطة)

«كان يستغرق في الدّرس، حتى يمضي من اللّيل أكثره. وقال وكيل داره: «ثم جُنّ اللّيل، فقدّمت له شمعةً، وأمرَ برفع **دفاتر**، وكانت تلك عادته، كلّ ليلة».

(الصّبح المنبي: ١/ ٨٠)



1 / VIII

دفتر أيقونات



ـ أ ـ

غَيَّرَ الحِبْرُ أقْلاَمَهُ

غَيّرَ الضّوء أبوابَه وقناديلَهُ

غَيّر الظلّ مَسْرى خُطاهُ، ـ

كلّهم يكتبون تآبين بِيزَنْطيا

وأنا عاشِقٌ لأسرارِها ـ

أتبطَّنُ أيقونَةً

وأسافِرُ فيها.

- ب -

يُولَدُ اللّيل في وَرْدةٍ. مرايا

تتلألأ بين الظّلالِ. سياجٌ

خلفه، أتلمّسُ أقرأ أيقونةً،

وكانت

وَردةٌ من جراحٍ

تتفتّح فيها (أو تخيّلتُ هذا)،

رأيتُ الكتابةَ حمراء زَرْقاءَ

ترفلُ في بُرْدةِ الطّبيعَهْ

كي تكونَ، كما يحدسُ الشّعر، لَيْلاً

لائِقاً بنجوم الفجيعَهْ.

- ج -

أيقونَةُ صَلْبٍ:

كدتُ أموتُ. جِراحي

تَتمشَّى تحت نوافذَ. مِثلي

تتوهّجُ حبًّا

لِكَنائِس أَنْطاكيةٍ،

جسَدي بيتٌ لِلأسْرارِ، وحُزْني

حِبْرٌ أَيْقُونيٌّ.

- د -

أزنُو إليها - تُرَى مِن أين جئتُ إلى
أغوارِها،
وسَرَتْ فيها خيالاتي؟
هَذي - هُنا صُوَرٌ مِنّي، وذَا أثَرٌ
وهذه بُرَكٌ مِن ماءِ أُغْنِيتي
محفوفَةٌ بطيورٍ من صَباباتي،-

ذكرتُ أيقونةً كانت تُعلّمني
أنْ أصقلَ الأرضَ مِرآةً لقافلتي
حُبًّا، وأن أتَمَرْأَى في مَراراتي.

ـ هـ ـ

في الظّلالِ الخفَيفةِ، عِبْر النّوافذِ

تظهر أشياؤها ـ

ما أقولُ لأشْياءِ أيقونةٍ؟

ما أقولُ عن الشّيءِ، والشّيءُ يَبذخُ في صَمتهِ،

وأنا المُفْرِغُ الشّيءَ مِمّا لَهُ

وأنا المالىءُ؟

ما أقولُ، وتحت لساني

ناطِقٌ ناصِحٌ:

كلُّ صَمْتٍ بريءٌ

والكلامُ هو الخاطِىءُ.

- و -

ربّما كانَ هذا الفراغُ مليئاً بأيقونةٍ

هي نفسي وأَشْياؤُها.

ربّما كان هذا الفراغ الخيوطَ التي

نسجت ثوبَ أحلامها.

ربّما كان ضوءاً عليها وضياءً لها،

ربّما كان جِسْرَ التّآلُفِ

ما بينَ أوهامِها وأيّامها، -

ربّما كان هذا الفراغُ طريقي إليها.

- ز -

يَومٌ يلبس ظِلاًّ

يومٌ يلبس خَطًّا

يومٌ بينهما،

يَومٌ عارٍ.

أيّامٌ

بِشرارِ المعنى، وبكلّ رمادٍ

مَعْجونَهْ،

أيّامٌ

تَتطايَرُ في صَمْتٍ - في هذي الأيقونَهْ.

- ح -

تَسْرَحُ الأزمنَهْ

بين خَطٍّ وظلٍّ

تَتقدّم في الضّوءِ، بين تعاريجهِ

وتُمازِجُ بين هوَى الأمكنَهْ

وَهوَى العاشقينْ.

تلك أيقونَةٌ

تَهْتَدي بتآويلِها

طُرُقُ التّائهينْ.

ـ ط ـ

ما لَنا اليوم:

لا اللّيلُ وَشْوشَ قنديلَهُ

الكلماتِ التي بيننا

مِثْلما اعْتادَ. رِيحٌ

وسَبْعينُ[1] تَهْتَزُّ تحت أعاصيرِها،

وأنا لا مُبالٍ.

وَجْهُ أيقونةٍ

أتشرّد في ضوئهِ

أتبعثر، أسألُ، أحزمُ أمْري

وأُحاوِرُ في صمتهِ ظُلماتي.

(١) سبعين: قرية بباب حلب، وكانت إقطاعاً له من سيف الدّولة. إضافةً إلى **الصفّ**، وهي ضيعة بالمعرّة، منها هرَب المتنبي إلى دمشق ومصر. أشار المتنبيّ إلى هذا الإقطاع قائلاً:

«أسيرُ إلى إقطاعهِ في ثيابه
على طِرْفهِ، مِن دارهِ بِحُسامهِ».

- ي -

سُفُنٌ مَازجَتْها جراحي تَماهَتْ بها

زَوّجت عِطرَها

لِرياحٍ جَرت، مرّةً،

بما تشتهيهِ.

فَاتَنا

أن يكونَ لأمواجنا

شاطِىءٌ واحِدٌ ـ

كنتُ أقرأ أيقونةً

وأعلّم شعري

كيف يأتي إلى بيتِها.

- ك -

بستانُ طيوفٍ مَفْتُونَهْ

بوقائعَ - لا تتذكَّر مِنها

إلاّ أشجاراً دافئةً

وسياجَ وُرودٍ.

بابٌ محروسٌ

إسْمُ الباب العالَمُ واسْمُ الحارسِ

نِسْيانٌ:

هل تَعرفُ كيف ستقرأ هذي الأيقونَهْ؟

ـ ل ـ

لا تُحارِبُ. جَاءَتْ

مِنْ قُسَنْطينةٍ[1]، ومَدَّتْ

لِضفافِ قويْقٍ يَدَيْها.

غَمرتْها يَداهُ

وأناخَتْ تباريحَها

بين أحضانهِ.

تلك أَيقونَةٌ

جَمَعَ البحرُ أمواجَهُ وأصدافَهُ ومراكبَ أحلامهِ

مِن شوارعِ أنْطاكيهْ،

وأَتَاهَا إلى حَلَبِ

كي يعانِقَ أحزانَها العاليهْ.

(١) جاء في شروح ديوان المتنبي أنّ العرب كانوا يجترئون «على استعمال الأسماء الأعجمية، فإن أمكن نقلها إلى أوزانهم نقلوها». وإن لم يمكن نقلها حذفوا بعض أحرفها. مثلاً: أرسطوطاليس، صارت عند المتنبي رسطاليس، وأبرواز أصبحت أبرويز... إلخ. فالعرب «تتصرّف في الأسماء الأعجمية ما شاءت». (شرح اليازجي، ص ٢٧٧، و٢٨٧).

مُصَوَّرٌ.

كأنّما

مِن أوّلِ الزّمانِ. كلُّ ظِلٍّ

سَحابَةٌ.

خُطوطٌ

مِثلُ خيوطِ مَطَرٍ مُخيَّلٍ.

يَداهُ، مقلتاهُ

مُسْتَودَعٌ مِن كتُبٍ وَوَحْيٍ.

أيقونَةٌ بَقّعها بحبره خيالي

كأنّما صَوّرها إلهُ،ـ

هل المسيحُ لا يزالُ طِفْلاً؟

لا يُريدُ الفَضاءُ الذي يَتحدّث عنها

وَيُوجّه فرسانَهُ إليها،

أن يكونَ جَليًّا

لا يُريد التجسُّدَ:

لا يتمثّل في كلماتٍ، ولا يَرْتَسِمْ.

هِيَ أيقونَةٌ ـ

أُفُقٌ واسِعٌ شاسِعٌ

والفَضاءُ الذي أتحدّثُ عنهُ

مُغْلَقٌ كالرَّحِمْ.

حِبْرُها بَحْرُها

ولها أبجديّةُ نارٍ ويابسةٍ وهواءٍ.

وبأقلامِها

تَتهجَّى أقاليمَها.

يتفتّح حِبْري

برعماً بُرعماً

في حدائقِ أيّامها -

ربّما، في غَدٍ

يُحيطُ، رويداً رويداً، بأحلامِها.

- ع -

عطَشٌ

يُجْلِسُ الشّمسَ في ظلّ غُصْنٍ.

عطَشٌ

يجعل الغيمَ إبْريقَ حُزْنٍ

ويدلّيه مِن بُرْعمٍ.

عطَشٌ

مثلما يقرأ الرّملُ أمواجَهُ

وتُخَطُّ التّجاعيدُ في وَجْه نَبْعٍ.

عطَشٌ،

أيّ أيقونةٍ

سَتُفجّر فيَّ يَنابيعَها؟

فَاجِىءَ غَدي،ـ

سَكِرتْ عينايَ، أيُّ رؤًى

تَجيءُ، تلبسُ أَهْوائي ـ مدىً، وصَدَى؟

ظِلالُها، نورُها مَوجٌ وأَشْرِعَةٌ

تطوفُ بي أمَداً مُسْتَشْرِفاً أمدَا:

أيقونَةٌ

ضِعْتُ في أَبْعادِها وَلهاً

ورُحْتُ أقرأ فيها اللَّهَ والأبَدا.

هُوذَا

سَأُوَشْوِشُ بيزنطةَ

أنّ بين النّجوم التي تتوهّجُ في رأسِها وبيني،

قُبّةً مِن سَلامٍ وحبٍّ.

هُوذَا

سَأُجَاهِرُ أَنّي أُعاشِرُ أيقونةً:

بأساريرها أتمرأى

وأُطيلُ التوغّلَ في الأرضِ، في ما تَبَقّى

مِن أساطيرها.

هوذا

سأُجاهِرُ أنّي أعانِقُ أيقونةً،

وسأكتب تاريخ حبّي لها وتاريخَ نيرانِهِ

بألوانِها.

- ق -

كيف لا أضطربُ

وأنا الشّاهِدُ يَرْوي ما رَأى:

خَرجَتْ أيقونَةٌ مِن بيتِها

لِتَرى النّاسَ، فراحت دجلةٌ

تتغنّى بِهواها

وأتت تحنو عليها حلَبُ.

وتَكتَبْنا لكي نَحْرسَها

أنا والشعر، وكانَ التّعَبُ

حارساً آخرَ،

كانتْ جسداً:

آهَةٌ نارٌ، ودمْعٌ ذهَبُ

كيفَ لا أَضْطربُ؟

- ر -

أَلسّماءُ ترفُّ هنا، بين هذي الأظلّةِ،

في شَكْلِ جَفْنٍ،

والنّجومُ لِقاحٌ

بين لونٍ ولَوْنٍ.

أخذتنيَ، في دَرجاتِ الفضاءِ،

طيورٌ.

ومَشيتُ خفيفاً إلى غابةٍ،-

بَعضُ تلك القيودِ التي فِيَّ تُكْسَرُ،

والأرضُ سَمْحاءُ،

والضّوءُ غَطّتْهُ أحلامهُ.

سَمّني، أيّها الضّوءُ، أيْقُونةً.

- ش -

يُبْعَثُ الضَّوءُ،-

قَشٌّ وَدِيعٌ، سنابِلُ محزومَةٌ

بأشعَةِ شَمْسٍ خريفيّةٍ.

ألحقولُ صحائِفُ، والكلماتُ بذورٌ.

يُبْعَثُ الضّوءُ،

روحٌ ترفُّ على الحَقْلِ. نَجْني، نُعَبِّىءُ -

مالَ النّهارْ

كي يعودَ إلى البيتِ. أكْتافُنا

وأكتاف جيرانِنا

تترَنَّحُ تحت الثّمارْ،

مِثْلَ أيْقُونَةٍ.

- ت -

تلك أيقونَةٌ:

مِثْلَ نَهْرٍ عميقٍ

حُزْنُها مُفْرَدٌ بعيدٌ تحتَ أمواجِها.

وأريد لِحزني

أن يعيش بعيداً مُفْرداً مِثله

في قرارة نَفسي.

ذَهَبُ اللّونِ في ضِفّة النَّهر يفتح أبوابَهُ

ويقول لمن طَرقُوها: ادخلوا.

ذَهَبُ اللّون عانقَ مِعْراجَهُ

ومضَى يتدفّق، في حزنهِ، باذِخاً.

- ث -

أتَخيَّلُ أَيقونةً

يكونُ التخيّل فيها

شَبَكاً مِن ترابٍ وغَيْمٍ:

صورةً

تتحدّر من ذُرواتِ التّخيّلِ

في لغةٍ والهَهْ،-

بَشَراً لا يعيشونَ إلاّ

في رؤًى، في طيوفٍ

ولهم شَهْوةُ الآلِهَهْ.

- خ -

أتخيَّلُ أيقونةً

لا كنائسَ فيها، لا مساجدَ، لا هيكلٌ.

أتخيّل أيقونةً: شُرُفَاتٍ

ضَوءُها دَهْرُها

وَعَلى رأسِها

قمرٌ عاشِقٌ، وبين يَدَيْها

شَمسُ حريّةٍ وانخطافْ.

أتخيّل أيقونةً

لها الشّعر بدْءُ المطافِ،

وخاتِمةٌ لِلطّوافْ.

ذهَبٌ على ذَهَبٍ، نَثَرْتُ كآبتي
في الضّوءِ، وافْتَرَشَتْ مَداهُ خواطري
تَتلمَّسُ الألَقَ البعيدَ وتَرْتَجي
أن يَسْتجيبَ مِدادُه لِدفاتري
وفَرِحْتُ أنّيَ لم أَنَلْ ما شئتُهُ
وفرحتُ أنّيَ كنت أسْعَدَ خاسِرِ:

أيقونَةٌ ـ
أَعطيتُ نظرةَ واثقٍ
لفضائِها،
وأخذتُ نظرةَ حائرِ.

- كلاّ، ليس المعنى بيزنطيًّا

أو عربيًّا.

مَنْ قال الشّمس تمدّ يديها

لِلقيد،

ومن سيقول الرّيحُ تَصيرُ حَصاةً؟

- أأقولُ المعنى نجمٌ حائِرْ

في فَلَكٍ دائِرْ؟

ـ ظ ـ

يبسطُ الصّمتُ جناحيهِ. شهابٌ
واضِعٌ أهدابَهُ تحت غيومٍ.
ـ ما الذي تقرأ في أيقونةٍ؟
ما الذي تبحث عنه
في خَفَايا لغةٍ مُلْتهِبَهْ؟
عن شَرارٍ آخَرٍ؟
عن دَمٍ يَسْخَرُ مِن سافحهِ؟

بيتُ أَلْوانٍ على تَلّةِ عُشْبٍ:
سِرْبُ طَيْرٍ يرسم البيتَ، قناديلٌ
تَخطُّ العَتَبَهْ.

- غ -

مِثلَ أَيْقُونَةٍ أراهُ[1]،-

لا أمجّد فيهِ

ما يُرادُ له أن يُمَثِّلَ: فارسَ تغلبَ،

أو بَطَلَ المسلمينْ

في القتالِ مع الرُّومِ. هَذي

تُرَّهَاتٌ

لا يُصفّق شِعْري لها

(لم يكن لِيُصَفّقَ مِن قَبْلُ، لولا هِنَاتٌ)،

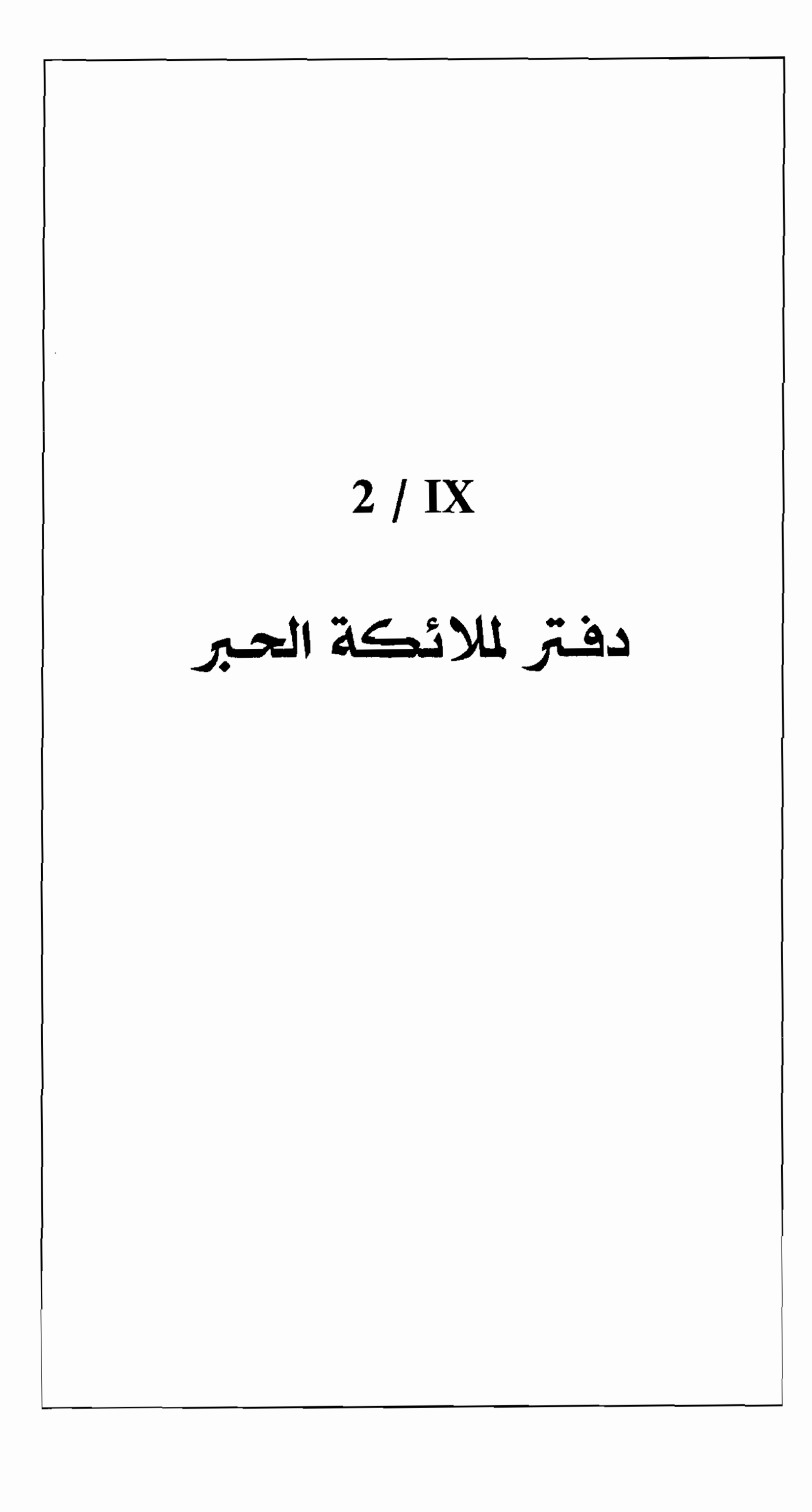
بل أمجّد فيهِ

حِسّه بالجمال، بفنّ الصّداقةِ، بالشعرِ،

والغَوْصِ في لُجّهِ،

وأمجّدُ فيه الصّديقَ الأمينْ.

(١) الإشارة إلى سيف الدولة.



2 / IX

دفتر للائكة الحبر



ـ أ ـ

أَجْمَع ضوءٌ في المحرابِ وضَوءٌ

يأتي مِن أبوابٍ وهياكلَ أُخْرى

وانْضمَّت لهما

أضواءُ كواكبَ تَسهر بين خيامٍ

لا نَشهد منها

إلاّ ما يُشبهُ لونَ التّفاح على العَتَباتِ، وقالَتْ

لِلزّاهي[1] الخارج: أنتَ

صَفِيُّ تُخومٍ

لا نَتوغَّلُ إلاّ فيها،

أنتَ قرينُ أَعالٍ

سَنَظَلُّ نَفِيءُ إليها.

(١) هو الزّاهي عليّ بن إسحاق الذي وُصِف، ولا أعرف سببَ ذلك، بأنّه «الخارج على إجماع المسلمين». شاعر وكاتب، كان عضواً في حلقة أدبية حول المتنبي. من أعضائها الشاعر علي بن دينار وابن نباتة الخطيب. ويقال إنهم كانوا يتدارسون قصائد المتنبّي في حضرته. مات سنة ٣٥٢هـ ـ ٩٦٣م.

- ب -

نَحويٌّ[1] في بستان الشّعرْ

يَتْلو شجراً

ويُرَتّلُ عُشْباً،

ويقول لسيف الدّولة: أنتَ الحِبْر.

ويقول لماء قويْقٍ:

سيف الدّولةِ نرجسُ هذا الدَّهرْ.

(١) الإشارة إلى الشاعر أبي الحسن، علي الشّمشاطي (السّميساطي)، نسبة إلى سميساط التي ينتمي إليها لوقيان.

كان مؤدّب الأمراء الحمدانيين، واختار مع أبي محمد الفيّاضي من مدائح الشعراء لسيف الدّولة عشرة آلاف بيت، كما يُروى. مات سنة ٣٧١هـ.

- ج -

كان يَرْفُو[1] الثِّيابَ، ويَرْفو الكلامَ:

يُطرّز هذا،

يزركش تِلكَ. اشْتَكاني

مِراراً،

ولكنّه كان عَذْلاً،

ويُحْسِنُ، فيما وراء الخصومةِ، ألاّ يُسمّيَ

فَجْرَ القصيدةِ ليلاً، وألاّ

يَحْسَبَ القَشَّ وَرْداً.

كان يَسكن في ظلّ شِعْري،

عاصِياً، وَوفيًّا.

(١) الإشارة إلى الشاعر أبي الحسن السّريّ، الرفّاء (كان في صِباه يرفو ويطرّز في دكّان). وكان من أعداء المتنبّي، ومن المتأثرين بشعره. ويقال إنّه حُمّ حسداً من المتنبّي، وتحامل إلى منزله ومات بعد ثلاثة أيام. (الصبح المُنبي: ١/٥٦ - ٥٧).

ـ د ـ

غَمَرَتْني(1) عطاءاتهُ
غيرَ أنّيَ لم أتغيَّرْ، بقيتُ كأنّي
وَردةٌ في أصيصٍ.
يَعشق الماء تَرْتيلَ عِطْرٍ
يتقطَّرُ في خَفَرٍ واتّضاعٍ
مِن هَيادبِ أرْدانِها.

صِرْتُ خِلاًّ لَهُ:
كنت في دارهِ
موضِعاً آمِناً أميناً
لأسراره،
وخبايا هَواهُ.

(1) الكلام بلسان الشاعر الوأواء الدمشقي، مشيراً إلى سيف الدّولة. واسم الوأواء محمد بن أحمد أبو الفَرج، وهو مولود في نصيبين. كان موضع ثقة سيف الدولة، وصديقاً للمتنبي. مات سنة ٣٩٠هـ ـ ٩٩٩م.

ـ هـ ـ

طَبْخُ أَكْلٍ على نارِهِ،

وعلى نورهِ طَبْخُ شِعْرٍ[1]:

ضِفَّتا نَهَرٍ

يتحدّر مِنْ سُرّة المدينةِ، حيث المكانْ

جَسَدٌ عاشِقٌ

يتقصّى سريرَ ملذّاتهِ

في مَباذلِ هذا الزَّمانْ.

(١) الإشارة إلى الشاعر كُشاجم، أبو الفتح، محمود بن محمد. كان طبّاخاً لسيف الدّولة، كما يُروى. مات سنة ٣٥٠هـ ـ ٩٦١م.

ماذا قال النّاشِىءُ[1] أمسِ؟ وماذا
سيقولُ غَداةَ غدٍ؟
يتكلَّم؟ أسْأَلُ:
هَلْ لِلأسْودِ حبٌّ أزرَقْ؟
أَتُرَى، يَرِثُ الوردُ؟ وهذا الزَّنْبَقْ
هل يَتوضَّأُ دونَ حجابٍ؟
والتّفاحُ، أَيُفْتَى فيهِ، إن قال الشّاعر عنهُ:
هذا نَهْدٌ لم يَعرفْ أيّةَ أَفْعى؟
والنّرجسُ؟هل يتزوّج، أم يكفيهِ
أن يَسْتَمْتِعَ، أو أن يَعشقْ؟

قُلْ، يا ناشِىءُ. ماذا؟ حسناً،
سنراكَ غَداةَ غَدٍ،
وسَنُصْغي.

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الله، المعروف بالنّاشىء الأصغر. كان من علماء الكلام، إلى جانب كونه شاعراً. مات سنة ٣٦٥هـ ـ ٩٧٥م.

- ز -

أَعْطني وردةً، وقل لي[1]:

ما الدَّمُ المتسرِّبُ مِنها إليَّ،

ومن أين للشعر أن يتقرّى

تُويْجَ هوَاها وأن يَفهمَهْ؟

لا فَصاحةَ. ليلُ العِبارَةِ عَبّارَةٌ مُبهمَهْ

والذي قاله الشّعراءُ وما سَيقولونَهُ،

تَرْجَمَهْ

ما تَبَقّى غيوبٌ

تَتلعْثَمُ، أو تَمتمه.

(١) الإشارة إلى عيسى الرّقيّ، الطبيب المنجّم، وأحد مشاهير المترجمين من السّريانية إلى العربيّة.

- ح -

لمواعيدها

تخرج الكلمات فُرَادَى إليهِ[1]

مِن بيوتاتِها،

موعدٌ لقراءة ما رسمتْهُ

في الدّروب التي قطعتها،

موعدٌ لأَسِرَّة أهوائِها،

موعدٌ لِلتّنزّهِ بين الحقول التي تصطفيها

لِنبات الصّورْ،

موعِدٌ لاقتصاصِ الأثَرْ.

(١) الإشارة إلى الشاعر ابن نباتة السعْدي، (أبو نصر، عبد العزيز بن عمر). مات سنة ٤٠٥هـ - ١٠١٤م، وكان ممّن تأثّروا بشعر المتنبي، تأثراً قويًا.

ـ ط ـ

تركستانُ إناءٌ

لورودٍ لا تَبْلى

وأَبُو بَكْرٍ[1] فيهِ

أَغنى لونٍ،

وهواهُ أطيبُ وَرْدٍ.

أعطَتْهُ حلَبٌ ما لم تقدر أن تُعطيهُ

مدنٌ أخرى في ذاكَ الوقتِ: حدوسٌ

تتجسَّدُ في أدواتٍ،

أدواتٌ

تدخل في الأشياء كمثل النّبضْ

كي تتقصّى

سِرّ الكون ووجهَ الأَرضْ.

(١) هو أبو بكر الخوارزمي، محمد بن العباس، كان عالماً، وجاء من تركستان إلى حلب، لمزيد من العلم. مات سنة ٣٨٣هـ ـ ٩٩٣م.

- ي -

ماءٌ عَذْبٌ ـ فلماذا

لا يُنْتج إلاّ عطشاً

لمزيدٍ منه؟

لُغَةٌ ترقصُ بين يديهِ[1]:

قلمٌ بِكْرٌ وكلامٌ

جسَدٌ عارٍ ـ

ليلٌ يتمدّد في أحضانِ الفَجرْ.

وتَحارُ: أتلك شطوطٌ

أم تلك وسائد مُدَّتْ

لِمَلاك الحِبْرْ؟

(١) الإشارة إلى عليّ بن دينار، الخطّاط والشاعر، وكان عضواً في حلقة أصدقاء المتنبّي.

ـ ك ـ

أيّهذا المطوَّقُ بالنّار ـ نارِ التّشوّقِ

والوَجْدِ، يا شيخَنا الخليعُ[1]،

ما أجلَّكَ، أشْعلتَ للشهواتِ قناديلَها،

وأجّجْتَ بركانَها.

ما أبَرّكَ، أعطيت للأرضِ،

حَقَّ السّماء،

ولِلدّهْرِ حَقّ الرّبيعْ.

(١) الإشارة إلى أبي عبد الله محمد بن علي، الشاعر، الملقب بالشيخ الخليع الشاميّ.

ـ ل ـ

لم تكن نافخاً[1] في زجاج الكلامِ،

تَبصّرْتَ،

كالعِطْر يَأْرَجُ، كالعَصْفِ يَجْتَثُّ،

عينُ البصيرة فيكَ،

وعينُ الشّهادةِ نجمانِ: فَنٌّ وحبٌّ.

طَبَقٌ مِن نبيذٍ وخُبْزٍ

كلماتُكَ،

والشّعر بيتٌ لها.

(١) الإشارة إلى ابن نُباتة الخطيب أبو يحيى عبد الرحمٰن بن محمد، وكان خطيب سيف الدّولة. مِنْ أهل مَيّافارقين. ويقال إن خطبه تُتلى حتى اليوم في المساجد، أيّام الجمع. مات سنة ٣٧٤هـ ـ ٩٨٤م، وكان عضواً في الحلقة التي أُنشئت لدراسة شعر المتنبي.

- م -

ـ غالَيْتَ[1] كثيراً،

أَفْسِحْ لسِواهُ

كي يكتبَ شعراً أفضلَ مِنْهُ.

ـ حسناً. هذي واحدةٌ

ليست بين قصائده، الفُضلى.

هل عندكما أفضلُ منها؟

ـ . . .

صَغُرا، صَغُرا وانْهارا

خَرَساً واسْتِخذاءً.

(١) حوار بين سيف الدّولة والشّاعرين اللذين كانا يغاران من المتنبي كثيراً، ويحاربانه، وهما عثمان وأبو بكر، المعروفين بالخالديّين.

ـ ن ـ

عَجَباً! خالَويْهِ[1] تخيّلَ أنّي غريمٌ لَهُ!

يتجَرَّأُ، يَرْمي جبيني بمفتاحهِ

وعليٌّ يروز ويُصْغي.

لم أحرّك له ساكناً:

راسِخٌ مِثْلَ طَوْدٍ.

سيُقال البُغاثُ يناطح صَقْراً

والبَعوضَةُ حَطّتْ على وَجْهِ نَبْعٍ.

سيقالُ المدَرْ

دَبّ كي يتسلّقَ جذْعَ القمَرْ.

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن خالويه كان مؤدّباً لأولاد سيف الدولة، ويغار من المتنبي ويحاربه. وقصته معه في بلاط سيف الدولة مشهورة. مات سنة ٣٧٠هـ ـ ٩٨٠م.

قال له المتنبي: «ويحك، أيها الأعجميّ لم يبق إلاّ أنت تخوض في العربية». فلم يحتمل القول وضربه بمفتاحٍ في يده. لم ينتصر له سيفُ الدّولة، ولم يحرّك ساكناً. كان ذلك آخر يومٍ من تسعة أعوام أمضاها معَ سيف الدّولة. وكان عمره اثنين وأربعين عاماً.

- س -

لأبي الطيّب[1] اللّغويّ

يتداعى الكلام، يجمّع أزهارَهُ

مِن حقول الرّواياتِ، يأتي إليهِ

وينزلُ في روضهِ البهيّ.

هُوَ مِمّن أحدّثُ عنهم وأكني

بِهِمُ عنهُم، أحاربُ أكشفُ وَجْه الزّمانِ الصّغيرْ

وأدوّن أهوالَهُ

ببروقٍ تخيَّرْتُها وتعهّدتُها

كي تكونَ النّفيرَ النّذيرْ.

(١) هو عبد الواحد بن علي الحلبي، وهو الذي انتصر له المتنبي في نقاشه اللغويّ مع ابن خالويه في بلاط سيف الدّولة. قتل في دخول الدمستق إلى حلب، سنة ٣٥١هـ - ٩٦١م.

- ع -

كان ظَنّيَ[1] أنّي أسيرُ إلى فَلَكٍ
أتخلّصُ فيهِ
مِن سلاسلِ أوهاميَ الباردَهْ.
كانَ ظَنّيَ أنّيَ أَنْضَمُّ للوافدين الضيوفِ
على الشّمسِ، في بيتِها
وأجلس ضيفاً إلى المائدَهْ
كانَ ظَنّيَ سِجْني،-

صِرتُ أضحكُ مِنّي، وأنا جالِسٌ
وأنا سائِرٌ. وقالوا:
فيه مَسٌّ. وقالوا:
هُوذَا! فَلَكيٌّ مِن الجِنّ يَهْذي!

(١) الكلام بلسان الفلكيّ أبو صقر عبد العزيز بن عثمان القابسي، الذي عاش في بلاط سيف الدّولة.

أَلصّديقُ أبو الفَرَج البّبغاء[1]

ينسج الفجرَ ثوباً

لِلصّداقة ما بيننا

ويقول: سأكسو به الكلماتِ،

وأكسو النّهارَ، وأكسو المساءْ.

ويقولُ: غداً،

سوف أنسجُ ما لا أقولُ،

وما لا يُقالُ،

لِغير الأحبّةِ والأصفياءْ.

(١) عبد الواحد بن نصر المخزومي، من شعراء سيف الدّولة، وكتّابه. كان صديقاً للمتنبي. ولد في نصيبين، ومات سنة ٣٩٧هـ - ١٠٠٧م.

- ص -

جاءَه، مرّةً،

وجههُ، غضباً، مِرْجَلُ:

- كيف، يا سيدي[1]

تحتفي بِابْن عيدانَ أكثر مِمّا

تحتفي بسواهُ، وبي أوّلاً؟

- لم تقل قولَهُ،

لم يقل أحدٌ قولَهُ:

«يعودُ من كلّ فَتْحٍ غيرَ مفتخرٍ

وقد أغَذَّ إليهِ غيرَ مُحْتَفِلِ.»

إنه الشّاعر الأَوّلُ.

لم يكن ضَغَنُ الدّارميّْ

غيرَ أمثولةٍ:

كان فَرْعاً تَفَتّقَ مِنّي وسَيْفاً علَيّْ.

(١) الشاعر والنحوي أبو العباس أحمد بن محمد الدّارمي المصّيصيّ، المعروف بـ النّامي يُخاطِب سيف الدولة. كان من خواصّه ومدّاحيه، وكان له تلامذة كثيرون في حلب. وهو من أعداء المتنبي. مات سنة ٣٧٠هـ - ٩٨٠م. وقيل في رواية، سنة ٣٩٩هـ - ١٠٠٨م.

- ق -

يَسْتَضيئُ[1] بميراثِهِ،

يتبصَّر، نَحْواً وصَرْفاً

قارئاً عَتمات الحروفِ، وأصواتَها،

والنّظامْ.

هوذا يَتنوّر تاريخَها، -

يَروحُ ويَغْدو

في أقاليمها ومُناخاتِها،

ويقولُ اهتديتُ لسِرّ الكلامْ.

(١) الإشارة إلى أحمد بن فارس (أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي)، العالم اللغويّ المشهور، وأستاذ ابن جنّي، مات سنة ٣٧٧هـ - ٩٨٧م.

لأبي فراسٍ[1]

دَيْنٌ عليَّ ـ أنا الوفيُّ، أقولُ:

شِعْرُ أبي فراسٍ

شُهُبٌ، ولكن لا فضاءَ لها، ودَمْعٌ

يحلو إذا ذرفَتْهُ ثاكِلةٌ، وماءٌ

لا ماءَ فيهِ. أبو فراسٍ

طِفْلٌ بكَى.

وأنا الوفيّ، شكوتُ ـ أحضن حُزنَهُ

لَمّا شَكَا[2].

(١) الحارث بن أبي العلاء، سعيد. اغتيل أبوه أمامه، وهو في الثالثة. عامله ابن عمه سيف الدّولة كابْنٍ له، وعلّمه. ولاّه على منبج وهو في السادسة عشرة من عمره. قتل سنة ٣٥٧هـ.، وكان في السابعة والثلاثين من عمره (٩٦٨م). وقيل: قتله ابن سيف الدّولة. كان المتنبي يشهد له، ويخشاه في الوقت نفسه، كما يروي المؤرخون. قبل أسره، كان أبو فراس يعيش كإقطاعيّ، موزّعاً وقته بين الصّيد، واستطلاع البدو، والشّعر.

(٢) قال أبو فراس يوماً لسيف الدّولة: «إنّ هذا المتشدّق كثير الإدلال عليك. وأنت تعطيه، كلّ سنة، ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد. ويمكن أن تفرّق مئتي دينارٍ على عشرين شاعراً يأتون بما هو خيرٌ من شعره». (الصبح المنبي).

- ش -

ربّما يعرفُ الخالديّان[1]، أنّ النّوافذَ

ليست رياحاً.

ألهذا، إذن، يَجهلانْ

أَنْ وَجه المكانْ

زمَنٌ آخرٌ لِشعري؟

كتب الخالديّان شِعْرَيْهما

فوقَ خَدّيْ بساطٍ،

والقوافي كما وَرِثاها

والدّروبُ إليهِ، كما مُهّدتْ.

(١) سبقت الإشارة إليهما. في شرح العكبري (١: ٤٣٤): «أنّ الخالديين أبا بكر وأخاه عثمان قالا لسيف الدّولة إنك لتغالي في شعر المتنبي. اقترح علينا ما شئتَ من قصائده حتى نعمل أجودَ منها. فدافعهما زمناً، ثم كرّرا عليه فأعطاهما القصيدة التي مطلعها:

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي
وللحبّ ما لم يبق منّي وما بقي.

فلمّا أخذاها قال عثمان لأخيه أبي بكر: ما هي من قصائده الطّنانات، فلأيّ شيء أعطاناها؟ ثم فكّرا، فقال أحدهما لصاحبه: والله ما أراد إلاّ هذا البيت:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقٍ
أراه غباري، ثم قال له الحقِ.

فتركا القصيدة، ولم يعاوداه، ولم يعملا شيئاً».

كان أبوه جِنّيٌّ[1]

مملوكاً مِن أبناء الرّوم ـ وما أكرَمهُ

أعطانا

ملكاً في النّحو، وفي آداب اللّغةِ العربيّةْ

كان محيطاً

بفنون القولِ، ويعرف شعريَ خيراً منّي.

يؤسفني

أنّ لساني

لا يقدر أن يُفصحَ عَنّي

لأحيّيهُ

وَفْقاً لأصولِ اللّغةِ الرّوميّةْ.

(١) هو ابن جنّي المملوك، من كبار أئمّة الأدب والنحو وعلوم العربية، تتلمذ على ابن فارس وحين فارقه، وأخذ يعلّم، قال له: «زَبَبْتَ وأنت حِصرِم»، فترك التعليم وتبعه حتى أتْقنَ العربية وعلومها. سئل المتنبي مرة عن إعراب بيت له، فقال للسائل: «لو كان ابن جني هاهنا، لأجابك». وروي أنّه كان يقول: «ابن جني أعرف بشعري مني». شرح ديوانه وسمّاه «الفَسْر». مات سنة ٣٩٢هـ ـ ١٠٠٢م.

- ث -

هوذا الفارابيُّ[1] أميرٌ

في ملكوت الفكر، وفي بستان الموسيقى

والشّعر، يُؤاخي

بين ضِفاف العَقْلِ ومَوْج القَلْبِ،

وينطقُ حَدْساً

كي يكتبَ رَمْزاً.

أَلفكر أَخٌ لِلشّعر، وكلُّ مقالٍ

صُورَةُ خَلْقٍ للأشياء، وطينٌ ثانٍ

لخلائقَ أُخْرَى.

(١) مات سنة ٣٣٩هـ - ٩٥٠م، قتله لصوصٌ في الطريق. صلّى عليه سيف الدّولة، ودفنه في دمشق. صلب قاتلوه حول قبره.

- خ -

(أسئلة إلى الفارابي)

أعرفُ: «الرّوحُ من أمر ربّي»، ولكن
ضائعٌ،
بين روحي وربّيَ ـ لا هذه تَتراءَى
ولا ذاك يَدنو.
كيف أحيا ضياعي؟
كيف لي أن أقطّر من ظلمتي شعاعي؟
أتُراني ـ أكتفي أن أُلامِسَ هذا الحجَرْ
وأسائلَ أنّى، لماذا، وكيف انفطَرْ؟

أم تُراني أظلُّ أُوَشْوِش نَفْسيَ:
معناكِ مَوْجٌ
يَتمزّق فيه شِراعُ الصُّوَرْ؟

ـ ذ ـ

(رسالة إلى الفارابي)

أَمْرٌ

أَسألُ رأيكَ فيهِ:

«بين يديهِ[1]

رجلٌ مضروبُ العُنُقِ، وكان الضّاربُ

يمسح بالمضروبِ السّيفَ. ذُهولٌ:

ـ يا مولانا، مَنْ هذا؟

ـ كان يقولُ: «القرآنُ كمثل العالم، مَخْلوقٌ.

قُرْبَى لِلَّهِ، أمرتُ بقَتْلِهِ،

لا عَفْوٌ عن شخصٍ مِثْلِهِ».

ـ هل كنتَ سَتَقْتُلُه،

أم كنتَ سَتَعْفُو عنهُ؟

(١) الإشارة إلى الخليفة العباسي الواثق.

- ض -

(رسالة إلى فيلسوف آخر،
بوساطة الفارابي)

أَلسَّماءُ التي قلتَ عنها

إنّها أنْهرٌ وبيوتٌ

وعقولٌ تفيض الملائكُ منها

بعضها جامِدٌ باردٌ

بعضها عاشِقٌ مُسْتَهامٌ،

والتي قلتَ: فيها نساءٌ

هُنَّ فاتحة الفاتحينَ فضاءَ الوجودِ،

ومِسْكُ الخِتامْ

كلّ هذا الذي قُلْتَهُ

ليس إلاّ طيوفاً

تَتثاءَبُ تحت جفونِ الكلامْ.

- ظ -

(رسالة إلى الفارابي)

لا تقل ليَ مِن أين جئتُ، ولا كيفَ؟

لا أتوقّعُ مِنْ غَيْم هذا السُّؤالِ المطَرْ.

هل يقول الأريجُ لماذا

يتفتّقُ عنه الزّهَرْ؟

هل يدلّك جرحٌ

على كنزه المدَّخَرْ؟

والنّجومُ التي تتَراءَى

مرّةً من غبارٍ

مرّةً من شَرَرْ،

لا تقول سوى صَمْتِها.

أنبيٌّ تُرى بعد هذا وذلكَ، يمكن أن يُنْتَظَرْ؟

- غ -

(رسالة إلى الفارابي)

حلَبٌ عَلَّمَتْني،

أنَّ بغدادَ مَسْكونَةٌ بدمشقٍ.

هكذا، مثلك الآنَ، أبْني

وطناً لأثينا

بين شِعْري وبَيْني.

3 / X

دفتر لِلَيْل الأعضاء

«أخبرني أبو الفتح عثمان بن جنّي أنّ المتنبي أسقط من شعره الكثير، وبقيَ ما تداوله الناس».

(نزهة الألباب: ٣٦٦)

«شوهدت بين يدي بعض العلماء نسخ من الديوان (ديوان المتنبي) بخط المتنبي وتصحيحه).

(العكبري ٢: ٣٠٦، ١٢٣، وذلك أثناء وجود المتنبي في بلاط سيف الدولة.)

ـ أ ـ

كيف لي أن أصوّرَ حبّي لها[1]،

كيف لي أن أُسمّيَ ما لا يُسمّى؟

وَلَهي أن أذوقَ،

وحين أُعبِّرُ، أُومِيءُ

لا شيءَ غيرُ الإشارَهْ.

هكذا، سأَظلُّ أُحيّي الغموضَ ـ

غموض العَلاماتِ ما بينَنا

وغموضَ العِبارَهْ.

(١) كان المتنبي فيما يرى بعضهم يحبّ **خولة**، أخت سيف الدّولة. ويعلّق الواحدي على بيتٍ له في قصيدته التي رثاها بها، وهو في الكوفة سنة ٣٥٢هـ قبيل مقتله بسنتين: «أساء في ذكر حسن مبسم أخت ملك، وليس من العادة ذكر جمال النساء في مراثيهن».

وقال ابن جني، في هذا الصّدد: «كان المتنبي يتجاسر في ألفاظه جدّاً». وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

والبيت المشار إليه هو:

«يَعلمنَ، حين تُحَيَّا حسنَ مَبْسَمِهَا

وليس يعلم إلاّ اللّهُ بالشَّنَبِ».

وفي القصيدة يقول:

«أرَى العراقَ طويلَ اللّيلِ، مُذْ نُعيتْ...».

- ب -

«يا معلّم أحشائِنا . . .»

هكذا تسكب اللّيلَ في صَدْرِها

وتسائلُ وجه القمرْ :

هل سألتَ الكواكبَ عن آخر الكلماتِ

التي هَمَسَتْها له؟

هل كتبتَ إلى المدّ والجَزْرِ

أنّيَ فَوّضْتُ جسمي

ومُحيطاته وأمواجَهُ

إلى السيّدِ المُنْتَظَرْ؟

- ج -

لم يكن مرّةً ليلُنا

يتفكّر، أو يذكرُ

كان يَسْهَرُ، يأتي، يَروحُ كما يتلألأُ نجمٌ،

وكما يَسْهَرُ.

كان ينسى ـ دائماً يَبْدَأُ الطّريقَ

ويَبْدأ أَهْواءَهُ،

ويُثير، ويَسْتَنْفِرُ،

ويقول لنجم الطّريقِ اهْدِني

أيّها السيّدُ الجسَدُ النيّرُ.

ـ د ـ

أَغْرَقْتَني، وملكْتَ الموجَ والغَرَقا

يا مالئي غِبْطةً، يا مالئي قَلَقا

أُغوي بكَ اللّيلَ ـ يَزْهُو بي، ويأخذني

أَخذَ العزيزِ،

وأُغْوي بِاسْمِكَ الأُفُقَا

لَبِسْت وَجْهَك أَسْتَجْلي بهِ طُرُقي

وَريحَها، ولَبِسْتُ الرّيحَ والطُّرُقا.

لِشُميْلةَ[1] يَأْرَجُ في مَهْد عُشّاقِها

طيبُها، كلّ لَيْلِ.

لِسُلَيْم بْنِ عَمْروٍ[2]

لمفاتيح مكّة يَبْتاعها قُصَيٌّ

ببعيرٍ، وزِقٌّ من الخَمْرِ،

أَزرعُ في جَنّة الجِراحْ

وَرْدَةً، بِاسْمِ هذا الصّباحْ.

(١) شميلة هي، كما يروي المؤرخون، أول امرأة في الإسلام لبست المصبّغات وعملت الشفوف وعبّأت الطّيب، تزوجها ابن عباس.

(٢) هو سليم بن عمرو الخزاعي وكنيته أبو غبشان، كان سادناً لخزاعة على مكّة. يُروى أنه باع لقريشٍ مفاتيحَ مكّة، ببعيرٍ وزقٍّ من الخمر.

- و -

بِضفائرَ لم يعرف الصّباحْ

كيف يجمع أَطْرافَها،

يتوشّى الطّريقُ إلى بيتِها،

ما الذي فِيَّ يَعلو ويَسْفُلُ، يَمضي ويأتي؟

خُطواتيَ أدغالُ طَيْرٍ -

يتقدّم نحوي جناحٌ

وينفرُ مِنّي جناحْ.

- ز -

تلك حَزْبٌ (ونعرفُ أسرارَها)

لم تكن مرّةً حَزْبَنا.

حَزْبُنا وَردةٌ نُحرّر عِطْر اللّقاحِ الذي يتوثَّبُ فيها،

وينابيعُ نُفْلِتُ أمواجَها

وخمائرُ وَجْدٍ وشَوْقٍ

ندلّ عليها، ونُغْري بها.

حَزْبُنا أن يكونَ الجسَدْ

أَبداً آخراً لِلأَبَدْ[1].

(١) «كان المتنبي إذا شُوغِب في مجلس سيف الدّولة، ونحن إذّاك بحلب نذكر له هذا (أي قرآنه) وأمثاله، مِمّا كان يحكى عنه، فينكره ويجحده، قائلاً: «إنما يدعوني بالمتنبي من يريد الغضّ منّي، ولستُ أقدر على الامتناع». (أحد ظرفاء تلك العصبةَ ضِدّه، تاريخ بغداد: ٤/ ١٠٤).

- ح -

لاَ، لا مكانٌ يُؤاخيهِ سوى دمهِ
يشطّ فيهِ، وإلاّ خيمةُ الأرَقِ
يُراقِصُ الثّلجَ - في أطرافه لَهَبٌ،
ويحضن الفجرَ - مرسوماً على الغسَقِ.

قُلِ الرّياحُ صواريهِ، وقُلْ غدُهُ
سَفينةٌ مَزَجَتْها الشّمس بالأُفقِ.

- ط -

أَلعزيزُ المشرَّدُ يشكو لأوراقهِ:

«قاعِدٌ، وقميصيَ ليلي، أعلّم ليلي

أن يُخيّل حالي قميصاً لَهَا

يتحوّلُ في كيمياء مداراتِها،

ويُلابس أَسْرارَها.

كادَ نجمٌ يجرّ خُطاهُ

في المدينة، تحت القناطر، في الشُّرفاتِ الحزينَهْ

كادَ أن يتغنَّى كمثلي:

«ما أمرَّ المسافاتِ بيني وبين المدينةِ،

ما أَبعدَ المدينَهْ».

- ي -

قِيلَ عن رَجُلٍ تتعشّق أعضاءَهُ:

كافِرٌ، مارِقُ[1].

خشيت، أن تُصلّي

بعد ذلك، أو أن تمدّ يديها إلى شعرها

أو إلى صَدْرِها.

خشيتُ أن تسافرَ في صَوتها

نحو أعضائِها.

بينَنا، حين يَمضي كلانا، ويفترق العاشقون،

غَدٌ عاشِقٌ

أيّها السيّد المارِقُ.

(١) كان أعداء المتنبي يشيرون في تهجّمهم عليه إلى قضايا فلسفية في شعره، ويتّخذون منها دليلاً على إلحاده - كالسوفسطائية، والتناسخ، والشيعيّة، والمانوية، وإنكار البعث... إلخ. ويعزون هذا إلى تأثّره باليونان وفارس، والفرق المنشقّة.

- ك -

طُوبَى لِمداهُ

لِلرّيح تجرّ خيولَ هَواهُ،

وَلْيَتغيَّرْ، مهما شَاءْ.

سأجانِسهُ

وتصير خُطايَ خُطاهُ

وَأُوافِقهُ

في ما سَرَّ، وفي ما سَاءْ.

ـ ل ـ

كيف أتيتَ، وكيف وصلتَ؟

مِن أيّ جسورٍ للظنّ عبرتَ؟

ما أَشْهى هذا الثّوبَ عليكَ،ـ

اُغْمُرْنيَ فيهِ، خُذْني

خُذْ أعضائيَ، خُذ آهاتي

أين رحلتَ، وأين حللتَ.

- م -

في جراحي، جراحكِ، ما لا يُقالُ وما لا يُضَاءُ،

غيرَ أنّ الشموعَ التي عرفتنا، رَوَتْنا

لأيّامها ولأحزانِها،

والوسائدَ واللُّحُفَ البيضَ والزُّرْقَ،

والعَتماتِ التي خانتِ الشموعَ، روَتْنا

لأيّامها ولأحزانِها ـ فلماذا

تتركين الجنونَ يفرّ ويهجر أعضاءَنا،

ولماذا البُكاءُ؟

- ن -

لم أكن مِثلما شئتنِي

لم تكوني

مثلما شئتُ. كوني

بينَ هذا وذَاكْ

ما تشائينَ -

أكرهُ فيكِ التّحيُّرَ،

أكرهُ فيكِ السّماءَ، وجَنّاتِها،

وأكرهُ فيكِ الملاكْ.

- س -

تلك خيامٌ، أم كثبانٌ؟

جُثَثٌ، أم أطلالٌ؟

مَنْ أسألُ؟ أيّةُ لفظَهْ

تتقصّاني

وتترجم حالي

في هذي اللّحظَهْ؟

لا، لا أحَدُ

والوقْتُ أنينٌ

والأرض جِراحٌ تَطّردُ.

- ع -

رومِيّةٌ ـ

تركته هائِماً دَنِفاً

يحيا، يقولُ: «بلا شمسٍ ولا أُفُقٍ

أحيا، كأَنْ لا يدي مِنّي، ولا كبِدي».

مَضَى إليها، سرَى ضوءاً، سرَى نَسَماً

وماتَ، مِنْ شَغَفٍ عالٍ ومِن كمَدِ

لم يَشْكُ،

لم يَبْكِ،

لم يُومِىءْ إلى أحدِ.

هي روميّةٌ[1]

تتذوّقُ في الشّرْقِ أغوارَهُ،

وأنا؟ مَنْ أسائِلُ عَمّن أنا؟

يَلْتقي عاشقانِ: التّواصُلُ بينهما لحظتانْ

لحظةٌ كلُّ شيءٍ حضورٌ

كأَنَّ المكانْ

لُجَّةٌ في جسَدْ،

لحظةٌ لا أَحَدْ.

(١) قال الثعالبي في «يتيمة الدهر» (١/ ٥٤): «كان لسيف الدّولة جارية من بنات الرّوم لا يرى الدنيا إلاّ بها، ويشفق من الرّيح الهابّة عليها، فحسدها سائر حَظاياه على لطف محلّها منه، وأزمعن على إيقاع مكروهٍ بها من سُمٍّ أو غيره. وبلغ سيف الدولة ذلك، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها».

- ص -

وضَعت آخرَ اللّيلِ في قلبها، وكانت
وضعت أوّلَ اللّيلِ في ساعديْها.
أيّها الحلمُ، رَفْرِفْ برِفْقٍ
طويلاً طويلاً على مُقْلَتَيْها.

شعرها مُرْسَلٌ فوق وَجْهي
ولميعادها شَكْلُ ظَنّيَ ـ ممتزجاً بالجِراحْ:
إنّها شَمْسُ هذا الصَّباحْ.

تُرْسهُ في يَدٍ
سيفه في يَدٍ،
وخُطاهُ إلى بلدٍ آخَرٍ.
غيرَ أنّ هواه، رؤاهُ، وأشواقَهُ
تتكتَّبُ في موضعٍ آخرٍ
وتكبّ على جسدٍ آخرٍ
لغدٍ آخرٍ.

عادَ من غزوهِ
رجل الحرب، يجثو
في محاريب زوجته العاشِقَهْ
يتطهَّرُ في نارها الخالِقَهْ.

أتخيّل ذاك المساءَ، وأَشْرُدُ:

منديلُكِ الآنَ عند الوسادةِ حيث جلسْنا.

مُخْدَعٌ ـ كنتِ تأتينَ، تَزْوينَ فيه لِلَيْلي

أسرارَ ليلكِ. منديلُكِ، الآنَ،

يرشح بالعِطر، عِطْر اللّقاء، وعِطْر الغِطاء،

وعِطْر العَراءْ.

أتخيّل: منديلكِ الآنَ يُصغي لما كان جُرحي

يوشوش جرحكِ، ذاكَ المساءْ.

- ش -

لو كان اللّيلُ كمثلي

لَتنوّر جسمَكِ عضواً عضواً

ولمَا أغمضَ عيناً

إلاّ بعد مرورِكِ فيها

ولَقالَ لكلّ جزيءٍ فيكِ وفيهِ:

لِلهَذيانِ الضّارب في أعضائكِ، أمنح عَقْلي.

لو كان اللّيل كمثلي.

ـ ت ـ

نامتِ المرأةُ العاصِفَهْ

نامتِ الشُّرُفاتُ العصيّةُ في قَصْرِها،

ونَوّمَ حرّاسُها

والمدائن نامَتْ، ونامت ميادينُها

وأفراسُها.

وحده، ساهِرٌ

عاشقاً، يرصدُ اللّحظاتِ، ويزرعُ ما حَوله

بتباريحه الجارِفَهْ.

- ث -

تحلمُ، تُعطي نَهْدَيْها

لأصابع ليلٍ لا تعرفهُ.

تعطي رئتيها

لهواءٍ لم تعرفْهُ.

تحلم، تعرف أنَّ أثيرَ هَواهْ

كونٌ طيّارٌ.

تحلم، توقن أنّ الحلْمَ سيأتي

وسيلبَسُ هذا الجسدَ المنثورَ كقَمْحٍ،

في حَقْلِ اللّهْ.

- خ -

هِيَ، مثلَ الينابيعِ، تَرْفُلُ في ماء تَرْحالِها

وتلمّ طيور مساءاتِها

حولَهُ،

وتلمّ الزّهَرْ،

وتقولُ الجناحْ

لغةٌ وطريقٌ ووعْدٌ.

وهو، مثلَ الجبالِ ومثلَ الشّجَرْ،

لا يعانِقُ إلاّ الرّياحْ.

ـ ذ ـ

فاطمهْ

جَنّةٌ مِن نَخيلْ

طافَ في ظِلِّها

وتزوّد منها قُبيلَ الرّحيلْ.

فاطمه

زوجةُ الفارسِ الذي مات في غَزْوهِ:

أَلسَّماءُ على وجهِها تتمزّقُ،

والأرضُ في صدرها هائِمَهْ.

- ض -

لم نَشِخ، شاختِ السّماءُ -

أَلسّماءُ التي سَرَقَتْنا

وكسَتْ عُرْيَها

بِلُهاثاتِنا.

أَلسَّماء التي مِن وَرَقْ

أَلسَّماءُ التي تتمزّق في ريحِنا.

لم نَشخ. شاخ فينا المدارُ، وشاخَ المسارُ،

وشاخ الأرَقْ -

شاختِ الأرضُ: قُلْ ليَ، يا أيُّها الطّفلُ،

يا خالقَ الحبِّ، هَلاّ غضبَت،

وغيّرتَ هذا الفضاءْ!

ـ ظ ـ

أَتُرَاهُ التّعَبْ

كان إرثاً لنا وحدنا؟

أتُرَى الرّيحُ أَنَّتْ، وحنَّتْ

مِثْلَنا، وبكتنا وأَعطَتْ

لملائكِ أحزانِنا كلّ نايٍ

صَنَعَتْهُ الطّبيعةُ

مِنْ بُرَحاءِ القَصَبْ!

- غ -

لم تقل إنّها نَسَمٌ لا يقول اسْمَهُ،-

يتوسَّدُ زَنْدَ الفضاءِ، يجرّ على الزَّهْرِ

أحشاءَهُ،

لا يقول اسْمَهُ.

يَلِجُ اللّيلَ، يقرأ لِلّيل أحلامَهُ

لا يقول اسْمَهُ.

لم تقل إنّها نَسَمٌ

لا تقولُ الرّياحُ الغصونُ النّوافِذُ

إلاّ اسْمَهُ.

ـ غ ـ ٢

(استطراد)

ـ أ ـ

أَلنّساء يُطوَّقْنَ حُبًّا خديجةَ في قَوْلِها:

«جاءني مرَّةً

وعلى رأسهِ، مثلَ ظلٍّ، غَمامَهْ

قلتُ: هذي علامَهْ ـ

أَنّهُ السيّدُ الذي شئتهُ،

لأكونَ له زوجةً.

كنتُ في الأربعينَ ولي ما أشاءُ

وتزوّجتُ شخصينِ مِن قبلهِ.

أوّلُ امْرأةٍ صدّقَتْهُ ـ نبيًّا، أنا،

فأنا أوّل المؤمناتِ ـ»/ «خديجَةُ خير النّساءِ».

هكذا قال عنها النبيُّ

(رواهُ مسلمٌ والبخاري).

أَلنّساء يُطَوّقْنَ حبًّا خديجةَ في حُبّها.

- ب -

كيف لا نتقصّى كلامَ النبيّ ومعناهُ - «لم ينزل الوحي يوماً
وأنا في لحافِ امرأَهْ،
غيرِها».

وعنَى عائشهْ.

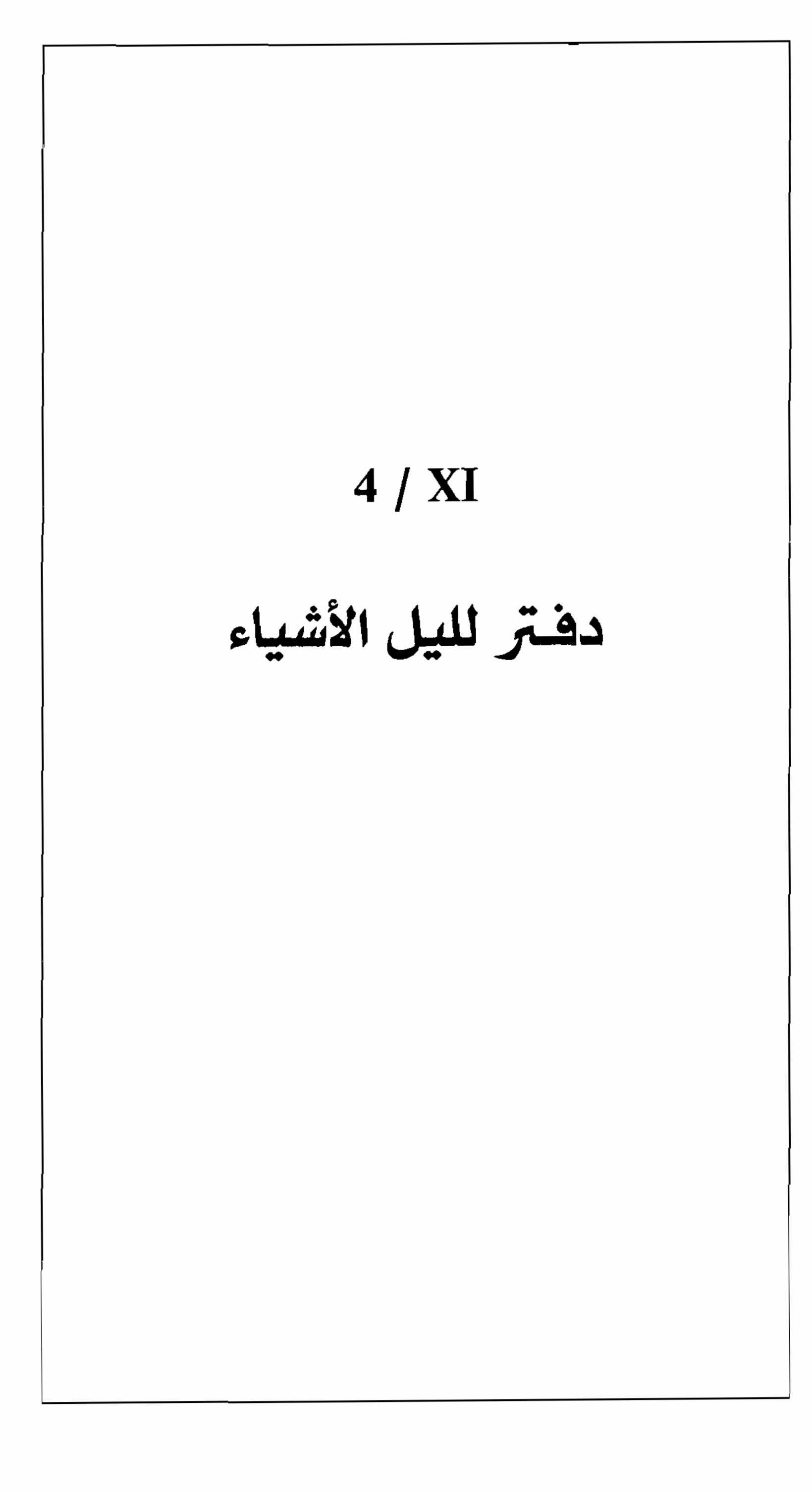
كيف ننسى حديثاً لها:

«لم أَغَرْ مِنْ نساءِ النبيِّ، ولكنّني
غُرتُ منها (وتعني خديجةَ)، كانت عجوزاً.

حين ماتت، رأيت النّبيّ حزيناً يخفّ وينزل في قبرها.

أذكر الآن موت النبيّ كأني أراهُ:

ماتَ في نَوْبَتي،
بين رأسي ونَحْري،
خالِطاً ريقه بِريقي».



4 / XI

دفـتر لليل الأشياء

ـ أ ـ

مَرّتْ. هل أتبعُها؟

هل أتلفَّتُ؟ نَايُ الحبّ عتيقٌ،

ويدَايَ بلا قيثارٍ.

مَرَّت. مرّ الضّوءُ، ومَرّ اللّيلُ، ومَرّت

غُرَفٌ ووسائِدُ،

بين يدَيْها ـ

مِنْ أين، وكيف أجيء إليها؟

ـ ب ـ

في مدار الغروبِ، دخلنا ـ

نتأمّل في آخر الشّمسِ، لا شيء إلاّ

آخِرُ الشّمسِ: وَرْدٌ

مُتْعَبٌ، داخِلٌ في الغَسَقْ.

خُذْ يدَيّ، تَرفَّقْ

أَيُّها المفترَقْ.

- ج -

وردةٌ. كلّ شيءٍ يؤالِفُ ما بيننا

وَجْهُها واسمُها وشذاها

وأوراقُها الدّاميهْ،

هي ذي تتكسّر في ريحِ أيّامِها.

لا أريدُ لعطركَ أن يتقفّى رياحيَ، قالت.

صُوَرٌ ولغاتٌ

في الجهاتِ التي واكبَتْها،

في التّراب الذي عرفته

تَتَبَجَّس من عِطْرها

في معاجمِ آثارِها الباقيهْ.

ـ د ـ

كم تخيّلتُ أنّي

أَتَأْرجَحُ في عنُقِ الموتِ،

لكنَّ عُنْقَ التخيّلِ،

كان كمثل الأمومةِ ـ

يجذبُ رأسي إليهِ.

ـ لَسْتُ طفلاً،

وأحاول ألاّ أعودَ كما كنتُ طفلاً.

نَجمةُ الموتِ

تسطع في الظلّ،

بين طريقي وبيني.

ـ هـ ـ

ترى بليلِ مراياها، أرَى بدمي

كأنَّنا شَررٌ يُسْري به شَررُ

يَقودُنا، إنْ شَطَطْنا، حِبْرُ أُغْنيةٍ

الأرضُ دفترها والشّاعرُ المطرُ ـ

لا تَجهلُ الرّيحُ أنَّا من لواقِحِها

فليس يُثْمِرُ، إنْ لم نَعْشَقِ، الشّجَرُ.

- و -

هُوذا دَهْرُنا ـ

لا غَدٌ، لا مَعادْ

قَبْل أنْ تُزْرَعَ الحقولُ، يَحينُ الحصَادْ.

وَانَجِيّاهُ،

أين النّجومُ التي وَشْوَشَتْكَ،

متى، كيف، أنّى

سَتُقَطِّرُ فينا

من عقول سماواتِها،

عَقْلَها المُسْتَفَادْ ؟

- ز -

نَزَلَ اللّيلُ من ثُقْبِ نَجْمٍ

وأَتى حافياً

كي يزورَ السّريرَ الذي نمتُ فيهِ -

مَرَّةً،

ويجسَّ الغطاءْ.

لم يَجِدْ غَير خَيْطٍ

نَسجته الطّفولةُ حتَّى

تُوقِظَ الشّمسَ مِن نَوْمِها،

وَتَجُرَّ السَّماءْ.

- ح -

ضَوارِ نفوسُ النّاسِ يَزْحَفُ بعضُها

على بَعْضِها، مِن شِرَّةٍ، ويُغيرُ

حروبٌ تَذوبُ الرُّوحُ فيها مَرارَةً

ويَسْمُنُ فيها صاغِرٌ وصَغيرُ

أُحِبُّ كلاماً للأُحَيْمرِ[1]، عالياً

ويأسرُني فيه هوًى، ونَذيرُ:

«عوَى الذِّئبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بالذّئب، إِذْ عَوَى،

وَصَوّتَ إنسانٌ فَكُدْتُ أَطيرُ».

(١) الأحيمر السّعدي.

ـ ط ـ

ادخلْ لا تدخلْ.

تلك الغابَهْ

أعطى كلُّ فضاءٍ فيها للرّمل كتابَهْ.

ادخلْ لا تدخلْ.

هل بين الصّخر وبينك خيطٌ؟

هل هذا السّائلُ في خطواتكَ جرحٌ؟

تلك الغابَهْ

جُزرٌ للرِّيح، طيورٌ

مِن كلِّ غبارٍ،

وَدُمىً جَوّابَهْ.

لا تدخلْ ادخلْ.

- ي -

ناعِمٌ، مُتْرَفٌ

وبَعيدُ الإشاراتِ هذا الشَّرَكْ ـ

يَتَموَّجُ، يَلْتَفُّ

حولَ العقولِ وحول النّفوسِ وأهوائِها.

شَرَكٌ ـ أصلهُ عشبةٌ

في السّماءِ، وشِعْرٌ

غمَسَتْهُ جراحاتُنا

في عبيرِ الفَلَكْ.

ـ ك ـ

يحتفون بموتاهُمُ. سيوفٌ
تحمل النّعْشَ. رَقْصٌ
والبكاءُ كما تَشْهَقُ الرّيحُ. أكفانُهم
حريرٌ، والقبورُ قصورٌ.

يُكملون الحياة ـ دروبٌ
تتطاوَلُ حيناً، تتكرّر حيناً،
ولا مَخْرَجٌ.

معهم يجلس الفقرُ سكرانَ ـ مِن مَللٍ أو غَضَبْ
ويُصلّي كما علّموهُ
لِلشّقاء الذي أَلِفوهُ ـ
لينابيع الآمهم
تتدفّقُ خرساءَ من ذُرُواتِ التّعَبْ.

- ل -

وُلِدْتُ من طينةٍ لم يَرْوَ كاحِلُها

مِن الغبارِ، ولَمْ يُكْشَفْ لها نَسَبُ

أدورُ في فَلكِ المعنى - يرافقني

رَمْلُ الكلامِ، وحِبْرُ الرّفْضِ، والغَضَبُ

وَجْهي فضائي، خُطايَ اليأسُ تكتبهُ

بَوارِقي، ومدايَ التّيهُ واللَّعِبُ.

هو الحلْمُ ـ يكسوني ـ بعَفْوِ سمائِهِ،

ودربيَ،

والأرضُ التي بِاسْمِها أَبْني.

مُصَادَفةً،

أعطانيَ الموجُ شَكْلَهُ

وعلَّمني أنْ أسْتَقي وَلَهي مِنّي

فَصِرْنا كأنّا واحِدٌ متعدّدٌ

أسائلهُ عنه، ويسألني عَنّي.

- ن -

قُلْ لهذا التّراب اضْطّجعْ، وتَخيَّلْ

أَنّ وجهكَ وَجْهُ امرأه -

قل لها علّميني

كيف أهبط أدراج هذا الظلام إِليكِ،

أسافر في حُفْرةٍ

وأشبّه نفسي بظلٍّ،

أو بقطرةِ ماءٍ،

وأغنّي مقاصيرَ عُرْيكِ - أبْهَاءَها

وأشياءَها،

وقناديلَها المُطْفَأَهْ.

- س -

تلك أيّامُنا

جارياتٌ كمثل الجداولِ،

حيناً تفيضُ،

وحيناً تشحُّ ـ

وتَصْفَرُّ أحشاؤُها وتقاطيعُها.

تلك أيّامُنا ـ

أَلثّلوجُ مَصبّاتُها

والغيومُ ينابيعُها.

إنّها الرّيحُ تَعْتَقِلُ الآنَ خَطْوكَ،

والأفْقُ يسجنُ عينيكَ،

والجرحُ أَعمى:

سَلاسِلُ سوداء في زَمَنٍ مَيّتٍ.

نَزَلَ الضّوءُ، في كسلٍ وارتخاءٍ

مِن أعاليه في الشّمس، وارتطمَتْ ركْبَتاهُ

ببقايا شموعٍ،

فَهَوى فوقَها، مُوجَعاً،

والصّباحُ أضاعَ مفاتيحَهُ.

لم يعدْ مكْرُ تلك السّماواتِ سِرًّا.

- ف -

ليتَ هذا الألَمْ

جاهليٌّ، يجرّ النّجومَ على ظهرهنَّ،

ويرتاحُ في حجرٍ أسودٍ،

ويصلّي

لِلصّحارى وواحاتهنّ وغزلانِهنّ

ويَصْنَعُ من سَعَفِ النَّخْلِ

كوخاً يفيءُ إليهِ،

وصحائفَ حُبٍّ يَفيء إليها الكتابُ،

ومحرابُهُ، والقلَمْ.

كيف لم أَتَنَبَّهْ لماء قويْقٍ
وَهو يقرأ ما تكتبُ الصّحارَى؟
ألهذا،
لم أقل إنّ بين الصّحارَى والقصائدِ جِنًّا
يمزجون الرّيّاحَ بأنفاسهم؟
صورٌ في خياليَ للجنّ، منذ الطفولة، منقولةٌ
عن كتاب السّماء ـ تقفّيتُ آثارَها
في ثقوب المسافات، ساءلتُ مَجْرى قويْقٍ
وغدرانَهُ،
وتقصّيتُ ماءَ الجرارِ، سألتُ الجِرارا
وأصغيتُ ـ شُبّه أنّيَ أصغي إلى الجنِّ،
تقرأ أشعارها
وشُبّه أنّا
نتكاشَفُ: تأخذ سرّي، وآخذ أسرارَها.

- ق -

أَثَرٌ - غِزلانٌ مرّت؟ أم تلك قوافِلُ رِيحٍ؟
لم يتغيَّرْ
شيءٌ في البيتِ: الشّمعةُ في المشكاةِ، وكلّ
كتابٍ
في موضعِهِ،
والدّفتر، ذاك الدّفترُ، يرقد في صندوقٍ
حيث اعتادَ. ولكن
ماذا قالت للبيتِ؟ لماذا
لم تخترْ وقتاً آخرَ أقدرُ أن أجلس فيهِ
معها، وأحادِثَها؟
ولماذا مرَّتْ؟

أصواتٌ أُوشِك أن ألمسَها
وأحارُ: لماذا لا أفهمُها؟

- ر -

في مساءٍ مضيءٍ، أَنِستُ لنهرٍ قويْقٍ

مشينا معاً،

ورأيتُ إلى القمر الطّفل، يَجْري مع النّهر،

يُمسك بالماءِ ـ يسألُ عن وجههِ.

وجههُ حَجَرٌ ـ قالتِ الضّفتانْ.

أَفْلتَ الماء من بين كفّيهِ، نامَ،

ونامَتْ على صدرهِ مُقْلتانْ.

- ش -

غَنِّ، يا أيّها الشّيخُ فِيَّ، الطُّفولةَ ـ وَرْداً، خُزَامَى
حَبَقاً، نرجساً، وأزهار دِفْلى،
وأباريقَ من كلّ خَمْرِ.

ويا أيّها الشّيخُ،
ما زالت الأرضُ تُطْوَى كثوبكَ، والنّاقةُ الحائره
لم تَصِلْ بعدُ، والشِّعْرُ
كالحبِّ: كفّاهُ مغلولتانِ،
وخطوتُه عاثِرهْ.

- ت -

خِلْتُ نفسي مِراراً

في طريقي إليها

أنني أتحدّثُ مع كلِّ شيءٍ

وأرَى كلَّ شيء

يتفتّح، يُصغي، ويفتَح أحضانَه

ويوشوش جيرانَهُ

أَنّه، مِثْليَ الآنَ، يُطبق أجفانَه عليها.

ـ ث ـ

مُدنٌ لا تَزالُ كما أُنْشِئت، ضحيّهْ

تتغنّى بجلّادها

وتَصقل أسيافَهُ

وتؤرّخ: تابعَ أسلافَهُ

وتشبّه بالسّيرةِ النبويّهْ.

مدنٌ لا تزال، كما أُنْشِئت، خراباً:

بَشَرٌ يسكبونَ الوطَنْ

في قِصاعٍ، يصفّون أجنادَهم حولَها ـ

طابِخٌ ينتشي،

آكِلٌ يُفْتَتَنْ.

- خ -

كتبَتْ تَسْأَلُ عن حاليَ، قالت:

«خُذْ يدي، هاتِ يديكْ

عُدْ إلى وجهي، أعِدْ وجهي إليكْ».

ـ ذ ـ

لِلّذين يقولون لِلصّمت أوّل أنشودةٍ،

للحجارةِ سَوداءَ فوق الرّؤوسِ، لِلَيْلٍ

تتقصّى الكواكبُ أحلامَها مِن شبابيكهِ، لذكرى

حملت نارَها بين أهدابِها،

أتنسّم هذي القصائدَ مِن جَوْفِ حوتٍ

وأُهيّىء للصَّمت آخرَ أُنْشودةٍ.

- ض -

سَلَلْتُ خَطْويَ مِمّا خُطَّ في حَلَبٍ:
هذي دروبي وهذا آخرُ البَلَدِ،ـ
أروحُ، أوغل في جرحي وفي لغتي
كأنّ بيتيَ محمولٌ على كبدي.

هَوايَ في فَلواتِ الرَّفْضِ مُعْتَقَلٌ
وتِلكَ ناري تؤاسيه، وتِلكَ يدي.
أجرّ دَهْريَ مَنْقوعاً بخمرتهِ
مُزَمّلاً برياح الواحدِ الأحدِ،ـ
هذا مُقامي وهذا أوّلُ البلَدِ.

في وجههِ مِنْ بقايا حلْمهِ دِمَنٌ

وفي أغانيهِ مِن أَشْلائهِ مِزَقُ

ضاقت على قدميه الأَرض وانكمشَتْ

عنه، وضاقَ على أهدابهِ الأفقُ.

- غ -

أُضْغي -

تقولُ ليَ القصيدةُ والمدينَةُ والطّريقُ:

لا، لا يَليقُ بيَ المقامُ،

وليس لي مَنْفَى يَليقُ.

باريس - برينستون

(١٩٩٥ - ١٩٩٧)

ISBN 1 85516 740 9



أدونيس

الكتاب

أمس المكان الآن

III

دار الساقي


الكتاب
أمس المكان الآن

خطوط الغلاف: محمد سعيد الصكّار

أدونيس

الكتاب

أمس المكان الآن

مَخْطُوطَةٌ تُنسَبُ إلى المتنَبّيْ
يُحقّقها ويَنشُرُها أدونيس



دار الساقي

الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ISBN 1 85516 535 X

دار الساقي
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢
بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ ـ ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

DAR AL SAQI
London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Tel: 020-7-221 9347, Fax: 020-7-229 7492

I



فاصلة استباق

إنّها أرضهُ التي ينتمي إليها، -

تنحني كأنّها الياء.

- في كلّ مكانٍ ينتظره موتٌ ما.

ويريد أن تنهضَ كأنّها الهمزة على ألف الطّبيعة.

باسمها يحرث الحنينَ ويَسقي حدائق الرغبة.

بِاسمها يَفْتقُ الفضاءَ خيطاً خيطاً.

يسكن شهيقُها في أعضائه يسكن

زفيرها في تأوّهاته

مركّبةٌ من آلهة حواسّه، ولا تزال سِرّاً وعصيّةً عليه.

باسمها يشرح الرّوحَ بصخب المادّة

يبتكر علماً لتحليل السّماء يستضيف اللاّهوتَ

الفلسفة العلمَ الفقهَ والشّرع يَسْتودعُ

التّاريخ مواعيده ويتصارع معه يرى

نفسه في هذه الأرض ويُشْهر عليها حروبه.

أنتِ، يا من قُدْتِ وردةَ الحياة من البِذرةِ

- إلى متى يصدق الشّعر ويكذب وعده؟

إلى الأريج،
قولي كيف يقود أعماله -
هُوَ
المبعثر الذي يُغنّي مُهيْنِماً أشلاءَه؟
تنشجين في اتّجاه السّديم، لكن لا يزال
ترابُكِ يَهذي بالولادات.

عَذْبٌ هو السَّفرُ في مراكب الرّؤيا في صَبواتٍ كمثل نساءٍ

- يَدُ الشّعر تجسّ نبضَ الأغوار،
- أَهِي نبوّة المحو؟
- أَهُوَ المَحْوُ يُعلن البدايات؟

يمشطن رؤوسَ الأيّام وما أبسط جغرافيةَ
النّشوة ما أَهْدى خرائطَ تيهها.
هوذا يتقدّم في دخانٍ يخيط الأفق وها أنتِ
يا أرضه تشردين في محيط احتمالاتٍ في عصرٍ
كمثل فاصلةٍ بين الموتِ والموت،
وأين الإشراق الذي يقرأ ضربةَ النّرد؟

الذّاكرة

٢٧٢هـ.

بَعد قَتْلِ عليٍّ[1]،
من تُرى
سيُحرّك لِلزَنْجِ
في هذه الظُّلمةِ الغامِرَهْ،
شَررَ الذَّاكره؟

ـ منصورُ، أَنْكلاَيْ[2]!
هواكَ أرضٌ ووعْدٌ،
وأنتَ للنّاسِ آيْ!

ـ أ ـ

خُذْ يدي،
خُذْ دوائرَ جِسميَ وادخلْ معي في
الدُّوَارْ،
أَيُّها الرّاقصُ الملَكيُّ
المتوَّجُ بالشَّمسِ،
يا أَيُّها الغُبارْ.

* القصيدةُ كالشَّمسِ،
لا تتفيّأُ إِلاَّ بإِشعاعِها.

(١) عليّ بن محمد، قائد الزّنج.

(٢) «كان للزنج بواسط حركة، فصاحوا: أنكلاي، يا منصور. وكان أنكلاي والمهلّبي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وآخر معهم من قوّاد الزنج، محتبسين في دار محمد بن عبد اللّه بن طاهر بمدينة السلام في دار البطيخ في يد غلام من غلمان الموفق، يُقال له فتح السعيدي. فكتب الموفق إلى فتح أن يوجّه إليه برؤوس هؤلاء الستّة. فدخل إليهم فجعل يخرج الأول فالأول منهم، فذبحهم غلامٌ له، وقلع رأس بالوعة في الدار، وطرحت أجسادهم فيها، ووجّه رؤوسهم إلى الموفّق». (الطبري، **أحداث السنة ٢٧٢هـ**).

- ب -

أَسْلمتْه الحياةُ إلى لُجِّها
لا انْحِرافٌ لمسراهُ في هَوْلِها،
لا تُخومْ.
لم يكن، مرّةً، حامِلاً
رايةَ الجنِّ، أو قارئاً لِلنُّجومْ.
مِثْلَ نَوْلٍ، يَدُ الوقتِ تأتي وتمضي
في نسيجٍ يرتّل ألواحَهُ:
واحداً للرحيلْ
واحداً للطريدِ القتيلْ
واحداً...
والخيوط على عَهْدِها
في يدِ الوقتِ، محمولةً في
يديهْ،
عبثاً تقرأ الخيوطُ نسيجَ
الفجيعةِ في مقلتيهْ.

* أيُّهذا الضّياءُ الذي يتحدَّرُ مِن جُرحِنا،
قُلْ لخيطِ الدَّمِ:
هل عرفتَ بمَن نهتدي؟
هل عرفتَ لمن نَنْتَمي؟

الذّاكرة

٢٧٨هـ.

«أَلمسيحُ؟ رأيتُ
المسيحَ، سمعتُ
المسيحَ يكاشِفُ قلبي:
«أَنّني مثل يَحْيَى
وَأنّيَ روحُ القُدُسْ.
أَنّني الحجّة الدّاعيهْ
لعوالم أفلاكنا
الثّانيهْ»[1].

(١) كلامٌ يُنسب إلى حَمدان قِرمط الذي تنتمي إليه الحركة القرمطية. وكان بدء ظهورها في الكوفة - مسقط رأس المتنبّي.

- ج -

أَلبلادُ التي أنتمي إليها
لغةٌ في المجازِ ـ ترحّلْتُ في ضَوئِها،
ضَممْتُ إليها سِواها؟
وأسلمتُ حِبْري لتآويلِها.

أَقْسمَ الأفْقُ والغَيمُ أنَّ تآويلَها
لا تُعانِقُ غيرَ الترّحّلِ:
مِن هِجْرةٍ إلى هِجْرةٍ
ومِن موعدٍ إلى آخَرٍ.

* إنّ بيني وبين جِراحي
شَبَحاً أتردَّدُ في لَمْسهِ.
آهِ من مُخْمَلٍ فاتنٍ
يَتدلّى على كَتِفَيْهِ.

الذّاكرة

٢٧٨هـ.

ـ «إنَّها القُدْسُ،
لا مكّةٌ،
قِبْلةُ القِرمطيّ».
ـ «هكذا قِيلَ».
ـ مِن أين ينزلُ
هذا البَلاغُ
على ذلك النبيّ؟

(١) كلام يُنسب إلى حمدان قِرمط.

- د -

ما لِحُزْني يطاردُ أسرارَهُ
ما لَهُ ساهِرٌ
يتقلَّبُ في دائهِ؟
أَعْطِهِ، أيُّها الجمرُ مفتاحَهُ
وَأَعِدْهُ لبَيدائهِ.
أصحيحٌ
أَنّني لستُ إلاَّ الطّريقَ الذي سِرْتَهُ؟

* مطرُ اليأسِ جارِفٌ، والصّبابَاتُ هَباءٌ،
والحبّ جسمٌ عليلُ
أَهِيَ الصّخرَةُ؟ انفجرْ، أيّها الماءُ،
وأَغْرِبْ يا ذلكَ التّأويلُ.

الذّاكرة
٢٧٨هـ.

- «لا أحَدٌ
يَقدرُ
أن
ينالَني
بِسوءٍ»[١]

الذّاكرة

٢٧٩هـ.

ـ «لا يُباع كتابٌ[١]

في التّفلسف أو في

علوم الكلامْ.

لا مكانٌ لَدينا

لمن صاحَب النُّجومَ،

وخانَ النِّظامْ».

إصرخوا هكذا

في شوارعِ بغدادَ

حتى يُفيقَ النِّيامْ.

ـ هـ ـ

كلُّ هذي الدّروب تؤدِّي إلى وحدةٍ

في المسارِ ـ الغُبارِ، ولا فَرْقَ

في الخُطواتِ: أكانت تَؤُوبْ

أم تسافِرُ. أدعو

أُسائِلُ:

مَنْ يأخذ الأرضَ مِن جَذْرِها

وَيُشَتِّتُ هذي الدُّروبْ؟

يَعْرف السُّمُّ أوجاعَنا:

بِذْرَةُ الغَيْمِ فينا.

❊ وَحْدي ـ لا أشكو

لا أرجو عَوْناً، لا أطلبُ نَجْدَهْ:

تَحْميني وَتُغَذّيني هذي الوحدَهْ.

(١) كلامٌ يُنسب إلى الخليفة المعتمد.

- و -

أَلسَّماءُ التي تتحوّلُ ليلاً إلى جَرّةٍ

حَضنتْني مِراراً

وَمراراً سَقتْنيَ إكسيرَها.

السَّماءُ التي لا تُصلّي

لجراحِ الذين يشكّون فيها

ويثورونَ، مِنْ حَيْرةٍ، عليها،

لا أصلّي لها.

الذّاكرة

٢٧٩هـ.

ماتْ خَنْقاً[١]،

كما قال بَعْضٌ،

وبالسُّمَ في قولِ

بَعْضٍ.

* عادةً، تأملُ الرِّيحُ،

لكنّ ريحَ البلاد التي أنتمي إليها،

لا تقول سوى يأسها،

لا تقول سِوى نفسها.

(١) الإشارة إلى الخليفة المعتمد.

- ز -

أَتشتَّتُ في هذه الصّفحاتِ. تُراهَا -

كلماتي خيولٌ

وصَدْري حقولٌ لها؟

إنه الموتُ ينسجُ

قمصانَ هذا الفضاء الذي

أتقدّمُ فيهِ، وتلك جراحي

نَفَرتْ مِن سَريرِ مَجرَّاتِها.

❊ البرقُ ذاكرتي -

نشرتُ غيومَ حزني

في غابةٍ،

وشردْتُ بين خيامِها:

الحبّ آخِرُ خَيْمةٍ.

الذّاكرة

٢٧٩هـ.

كان يرثي لحالته قائلاً[١]:

«أليسَ من العجائبِ

أنَّ مثلي

يَرى ما قَلَّ ممتنعاً

عليهِ،

وتُؤخذ باسْمهِ

الدّنيا جميعاً

وَما مِن ذاكَ شيءٌ

في يديهِ».

(١) الإشارة إلى الخليفة المعتمدِ.

الذّاكرة

٢٧٩هـ.

ـ «لا طريقَ إلى العَرشِ،
لا سِدْرَةٌ، لا خَلاصْ
غيرَ أن يُطرحَ النَّاسُ وَالملْكُ
في ذَائبِ الرَّصاصْ»[١].

- ح -

قارِئ الرَّمل يَسأَلُ:
مِن أين تأتي إلى الكونِ
هذي الرّسالاتُ،
من أين يأتيهِ هذا البلاَغْ؟

وأَنا قارئُ الكونِ، أسأَلُ:
مِن أين يأتي إليهِ ـ هو المِلْءُ
والمالِئُ الكُلَّ،
هَذا الفراغْ؟

* أخذتني إلى بيتها وردةٌ
موتُها عِطرُها:
آهِ من رِيشةٍ
جسدي حِبْرُهَا.

(١) الإشارة إلى رواية أخرى عن موت الخليفة المعتمد تقول إنّه رُميَ حَيّاً في رَصَاصٍ مُذوَّب.

الذّاكرة

٢٨٠هـ.

ـ «لَنْ أُقِرَّ
على مَن دعوتُ
إليهِ،
ولو أنَّ ناراً
شَوَتْني»[١].

ـ «سنفعلُ هذا»[٢].

ـ ط ـ

أترحَّلُ. هَلْ وَمْأَةٌ؟
هل لقاءٌ بلا موعدٍ؟
لا أحبّ لِشمسي
أن تُعاشِرَ أشلاءَها.

بين أشْواقِنا وَتَباريحِها،
أتوقّعُ أن تُبْدِعَ المَعْصِيهْ
لُغَةَ الأغنيَهْ.

* أين من سَيُخلِّص عَصْري
مِن عكاكيزِ أنْقاضِهِ؟

(١) هذا الكلام يُنسب إلى محمد بن الحسن بن سهل، المعروف بـ «شَيْلَمة»، وكان مع صاحب الزّنج. سأله الخليفة المعتضد عن الرّجل الذي يدعو إليه، فأجابه: «لو كان تحت قدميَّ لما رفعتُهما عنه». «. . . فَأُمِرَ بنارٍ، فأوقدت، ثم شُدَّ على خشبة، وأديرَ على النّار، حَتّى تقطَّع جلده. ثم ضُربت عنقه، وصُلِب». (الطبري، **أحداث السنة ٢٨٠هـ**).

(٢) الكلام للخليفة المعتضِد.

- ي -

رَقْصُ عُشْبٍ. تِلالٌ
تتخاصَرُ. غيمٌ
عابرٌ في قوافِلَ لا ماءَ فيها.

شَجَرٌ ناحِلٌ
شَجَرٌ مائِلٌ.

جَوْقةٌ لِلرَّحيلْ
أنتَ فيها الشّريدُ وأنتَ الدَّليلْ.

* ها همُ العاشقونْ
لا طريقٌ لأحلامهم
غير لَيْلِ الهبوطِ على درجَاتِ الجُنونْ.

الذّاكرة

٢٨٠هـ.

هُوذَا شيلمَهْ
كوكبٌ مِن وَفَاءٍ وحُبٌ
يَتلأْلَأُ في
أرضهِ المُظْلِمَهْ.

الذّاكرة

٢٨٠هـ.

ها هُوَ الفارِسُ الذي
جاءَ مِن بَعدهِ[١]،
لم يَعُدْ يتجرّأُ أَنْ
يلبسَ الرّيحَ، أو أن
يُسيلَ دَمَ الأغنيهْ
في شرايين تاريخهِ.
أَتُراهَا ـ
في هجيرِ الزَّمانِ
وصحرائهِ،
سبقتهُ إلى التّوبةِ
المعصيَهْ؟

ـ ك ـ

خطواتي ـ،
في الطّريق إلى مصرَ، سَكرانَةٌ
بتباريحِها تلوذُ،
بِأنقاضِها تُفْتَتَنْ.

تتهجّى مَداها وتُوغِلُ في أبجديّةِ أهوائِها،
وتُؤالِفُ ما بينَها
وبين تَجاعيدِ هذا الزَّمَنْ.

* يكتب الشعرَ كالأرضِ تكتبُ أزهارَها، ـ
شِعرُهُ
مثلُ هذا التّراب الذي ينتمي إليهِ:
فَلَكٌ سابِحٌ.

(١) الضّمير هنا عائِدٌ إلى شَيْلمَه.

- ل -

لِلسّماءَ رِداءٌ
خِيطَ في خَصْرِهِ
شَكْلُ جسْمٍ وَصُورةُ عرّافَةٍ.
ولأكمامهِ شريطٌ
مِن عناكبَ سُودٍ.

مَا أَحبَّ إِلى سيّد الموتِ، هَذي العَشِيّهْ
قِرْدُ أَيّامِنا المتنكِّرُ في فَرْوَةٍ آدَميَّهْ.

* سَاهِرٌ حول صَمْتِ الجُثَثْ،
فَإِلى أين يمضي بِفُلْكِيَ هذا العبَثْ؟

الذّاكرة

٢٨٠هـ.

شَنْلَمَهْ -
شُكَّ في السِّيخ
مِن قدميهِ إلى
شفتيهِ،
وضعوهُ
فوقَ نارٍ، يُدار عليها
ويُشْوَى.

بعد هذا،
ضربوا عُنْقَهُ،
ولم يكتفوا:
صَلبوهُ!

- م -

أَينما كنتَ، أو كيفما كنتَ، تَسمعُ
في جرَسِ الوَقْتِ صوتاً يقولُ:

ابْتَدِئْ،

غَنِّ ماءَ الخليقةِ كي يتَلقَّحَ
هذا الوجودُ، وكي يُبْتكَرْ،
كُنْ على الأَرْضِ بابِلَ، أو كوكباً
يَتنزَّلُ فوق المدائنِ،
في كُرَةٍ من شَرَرْ.

* ما لأيّامنا لا تَرَى
تحتَ هذي السَّماءْ،
أيَّ نَهْرٍ لتجريَ فيهِ
غيرَ نهر الشَّقاءْ.

الذّاكرة
٢٨١هـ.

- «احْفرُوا للعدوّ
الذي لا يَرى رأينا
حُفرةً،
ثُمَّ دَلُّوهُ فيها على
رأسِهِ،
واطْرَحوا بعد ذاك
التّرابَ عليهِ،
ودوسوا التّرابَ
إلى أن يودِّعَ أَنفاسَهُ»[1].

(١) الكلام للخليفة المُعْتضِد.

(١) الإشارة هي هنا إلى الخليفة المعتضد، كذلك.

ـ ن ـ

في دَمي كائِنٌ آخَرُ
ليس نفسي، ولكنني
لستُ إلاّهُ، إلاَّ خُطاهُ وآثارَهُ.

بينَنا طَيْفُ وَصْلٍ وَفَصْلٍ
وأنا عابِرٌ مقيمٌ
لا مقيمٌ ولا عابِرُ.

* أَتُراني، حياةً وموتاً، رفيقٌ
لِيأسي؟
أَتُرانيَ بِاسْمِ الوفاء لِنفسي،
عدوٌّ لنفسي؟

الذّاكرة
٢٨١هـ.

ورَووا:
كان يَنْصبُ[١]
أعداءَهُ
كالدَّريئةِ في
قَصرهِ،
ثُمَّ يَرميهِمُ بِنُشّابهِ
إلى أن يموتوا.

- س -

هَا هُمُ الشّعراءُ:

يموتونَ في التَّيهِ،

لا قَابرونَ ولا أَضْرحهْ،

والقصائدُ من حولِهم

تَتأوّهُ مكسورةَ الأجنحَهْ.

أَلسَّوادُ يجرّ المدائِنَ

يَجترُّ أنقاضَها،

مازجاً جِسْمَها بِعقاقِيرِهِ.

الذّاكرة

٢٨٢هـ.

هل أحدٌ يُضيئ

مِصباحَهُ،

هَل أحَدٌ يقرأُ

هذا الزَّمانْ؟

أَنكرتِ الأغصانُ

أشجارَها

أنكرت الأشجارُ

أغصانَها،

واختلطَ القدّيسُ

بِالبَهلوانْ.

---

* ربّما،

في الزّمانِ الذي يُقْبِلُ

لن يكونَ هناكَ سِوى الشِّعر:

يَسأَلُ، أَوْ يُسأَلُ.

٢٨٣هـ.

هُوذَا جَيْشٌ[١] يضربُ
عُنْقَيْ عَمَّيْنِ لَهُ.
هُوَذا جيشٌ مقتولٌ
بيدي هارونَ
أخيهِ:
هل في كلّ أخٍ
شيءٌ من هارونَ،
وشيءٌ مِن جَيْشٍ؟

- ع -

يقتلُ المُلْكُ أبناءَهُ
غاسِلاً وجهَهُ ويديهِ
بِطُفولاتِهِمْ.
والمُعَزُّونَ آتونَ ماضُونَ خُرْسٌ
لا مجيبٌ ولا سائِلُ.

قلتَ: فوضَى؟ ولكن
مَا نِظامُكَ يا أيُّها العاقِلُ؟

* مِثلَ ثَوْبٍ
أجرّ زماني على الأرضِ، أكنسُ دَرْبي
بأذيالهِ،
وأُفكّك أَزْرارَهُ.

(١) هو ابن خمارويه، وهارون أخوه.

«... وثبَ الجند على جيش بن خمارويه، وقالوا «لا نرضى بك أميراً علينا، فتنحَّ عنا حتى نولّي عَمَّك».

عدا جيش على عَمّه، فضربَ عنقه، وعنقَ عَمٍّ له آخر.

هجم الجند على جيش، فقتلوه، وقتلوا أمّه، وانتهبوا داره، وانتهبوا مصر، وأحرقوه، وأقعدوا هارون بن خمارويه، مكان أخيه».

(الطبري، **أحداث السنة** ٢٨٣هـ).

الذّاكرة

٢٨٣هـ.

• قُتِلَ السَّرْخسيُّ[١]،
وكانت لهُ
كتبٌ في فنونٍ من
الفكر والقولِ ـ
كان الخليفة يَرْوي:
«دعانيَ كي أكفُرا،
ولهذا قَضيتُ عليهِ».

ـ ف ـ

أيّهذا الضّياءُ الصّديقُ،
مَنِ الحائِكُ الظّلامَ ستاراً علينا،
وَمَنْ أَسْدَلَهْ؟
رُبَّما، لن يكونَ ليَ الحقُّ،
في ما يَجيءُ مِن الوقْتِ،
أَن أتلفَّظَ بِاسْميَ،
أو أَحْمِلَهْ.

❊ أَوَّلوا أنّها الرّيحُ هَبّت تُعانِقُ مِعْراجَها،
ولماذا إذاً عادت الرّيحُ، يأساً من الأفْقِ،
أدْرَاجَها؟

(١) هو عليّ بن أحمد بن الطيّب بن مروان السّرخسي، صديق يعقوب بن إسحاق الكندي. قتله الخليفة المعتضد.

الذّاكرة
٢٨٤هـ.

رَأْسُ رافعَ[1] يجتازُ
أَوديةً وجبالاً،
ويحفّ بهِ موكبٌ،
غيرَ أنَّ له حامِلاً
واحداً ـ
حامِلُ الرّأسِ يَحملُ
في وَجْهه المتَّقِدْ
جَنَّةَ القَتْلِ:
يأخذُ جائزةَ المُعْتَضِدْ.

(١) رافع بن هرثمة.

ـ ص ـ

لا أُسافرُ إلاّ
بين ظَنٍّ وظنٍّ. مقيمٌ
في الضِّفافِ. الأقاصي
دائماً في ضيافة شِعري، وشِعري
دائماً في ضيافةِ
ما يتيسَّرُ من فلَواتٍ.

أَتُرى، هذه الغيومُ كمثل نساءٍ
يجئنَ إلى الحبّ في شَهْقَةٍ
ويَرحلْنَ في آهةٍ أو دُوارٍ؟

* مَرَضي لا يطيق الدَّواءْ
وأَنَا لا أطيقُ الشِّفاءْ.

الذّاكرة

٢٨٥هـ.

صالِحٌ[1] يقطعُ الطريقَ
إلى مكّةِ:
أَخذوا نسْوةَ الحجيج
وأموالَهم،
بعضهم ماتَ من جُوعه.

غَنَمٌ أو بقَرْ
هؤلاء الذين يُساقُونَ
كالنَّمل،
قُرْبَى إلى اللّه،
أَوْ يُذبحونَ، لماذا
أُدخلوا في عِدادِ البشَر؟

(١) هو صالح بن مدرك الطّائي، وسُمّي ذلك اليوم «يومَ الأجْفَر».

- ق -

شَبَحٌ يَتَقَفّى خُطايَ،
وَحاولْتُ في اللَّحظاتِ المضيئةِ
أَنْ أقتلَهْ،
وَأُواريَ في قبرِهِ سِرَّهُ.

ها أَنَا أتبدَّلُ -
هل أقدرُ الآنَ أَنْ أتحرّرَ
مِن ليلِهِ، وأَنْ أَبْدلَهْ؟

* لا تزال أَساطيرُنا
مثلما كتَبَتْها الطّبيعةُ مجرُوحةً،
وأَنا لستُ إلاَّ دماً
يتقطَّرُ مِنْها.

- ر -

عندما صِرْتُ أعرفُ أَنّى وكيفَ

أشقُّ الفضاءَ، أُوحِّد بيني وبينَ الفَضاءْ،

غُلِّقتْ في مَساريَ أبوابُهُ.

هَلْ أَنوحُ كغَيْري

وأقولُ: القَضَاءُ مَريرٌ؟

سَأُجاهِرُ: كَلاَّ

لا صديقٌ لِمثليَ غيرُ القضَاءِ

وَلاَ نِدَّ غيرُ القَضاءْ.

* هلِ أتعلّم سِحْرَ الأمرِ، لأعرفَ كيف أعلِّم

سِحْرَ الفوضى؟

٢٨٥هـ.

«عَربٌ يذبَحُونْ،

عَربٌ يرجزونْ»:

«ما إن رأى

النّاسُ كيوم الأَجْفَرْ

النَّاسُ صَرْعَى

والقبورُ تُحْفَرْ».

*

إنه الرّأسُ بالرَّأْسِ: هاتوا

حطباً، واطرحوهُ عليهم.

أَحرقوهم، وغَنُّوا لديار

العرَبْ

لن يطهّرَ أدرانَها

ورِجْسَ شياطينِها

غيرُ هذا اللّهَبْ.

الذّاكرة

٢٨٦هـ.

ظَهر القِرْمطيُّ[١]

الجنابيُّ ـ أوّلُ

مَا قِيلَ عنه:

«رَجلٌ مُفْتَرٍ،

لُغَةٌ تُفْترى.

هُوذَا

يَنْهبُ المدائِنَ

أو يهدمُ القُرَى».

❊

أَلجنابيُّ يظهرُ ـ أحلامُهُ

لبَنٌ، نخلةٌ، رغيفْ

تشرئبُّ الصّحارى إلى

ظِلّهِ،

وتسير على هَدْيِهِ

هجَرٌ والقطيفْ.

ـ ش ـ

شَجَرُ الزّيتونِ طريقٌ آخَرُ ـ مَهْلاً:

رجلٌ يحملُ غُصْناً.

هُوذَا يَصعد أعلى جذْعٍ.

ورأيتُ إليهِ

يتلفَّتُ حول الجذعِ، يمدّ يديهِ، يَضْحكُ ـ ماذا؟

أتراهُ يحلمُ أن يبني بيتاً؟

أَتراهُ يَرغبُ أن يتحوَّل طيراً أو سنجاباً؟

أتراهُ رجلٌ مجنونٌ؟

❊ مُدُنٌ من عروشٍ، مُدُنٌ لِلحطَبْ:

لا طريقٌ إليها إذا لم تكن

لغةً في اللَّهَبْ.

(١) الإشارة إلى أبي سعيد الجنابيّ.

- ت -

ذابِلٌ وَجهُ أيّامِنا
ذابلاتٌ رَياحينُها
ذابلاتٌ خُطاها.

وَأرى لا أرَى
غيرَ من ينسجونَ عَباءاتِهم
بِتآبينَ مِن كلّ مَوْتٍ.

يرفع الوقت قُمْصانَهُ فَوقهم
كالبيارقِ مرسومةً
بِتَجاعيدهِمْ.

الذّاكرة

٢٨٧هـ.

هَجَرٌ في يَدِ القِرْمطيّ.

جاءَ حتّى يُحارِبَهُ
الغُنَويّ[1]:
هَزمَ القرمطيّونَ
فرسانَهُ،
أَسرُوا منهُم ألفَ
شخصٍ، كما أخبروا،
غيرَ مَن قَتلوهُم.

أُحْرِقُوا -
تُرِكَ الغنَويُّ طليقاً.

* لم أَجِئْ كي أطردَ الحيرةَ،
أو أَسأَلَ: هل للموتِ عنْقٌ؟
أو لماذا تقطرُ الأرضُ دماً؟

(١) هو العبّاس بن عمرو الغُنَويّ.

الذّاكرة

٢٨٨هـ.

حُزّ رأسُ وصيفٍ[1].

سألوهُ،

قبل أن يقتلوهُ:

ـ «ما الذي تشتهيهِ»؟

ـ «كتبٌ عن ملوكٍ مَضوا،

ورَياحينُ أَشْتَمُّها».

ـ ث ـ

لا أَعرفُ كيف أَلمُّ جراحي،

وأُسَلِّمُها لِنظام هَوايَ. كثيراً،

قلتُ لجِسمي:

تلك جِراحٌ أصغرُ مِمَّا ظَنَّتْ،

فلماذا تَزْهو؟

لكنّ جِراحي جَمَحَتْ

وَاجْتَازَتْ كلَّ سِياجٍ.

أَتُراهَا تَثْأَرُ مِنّي؟

* أَلخرابُ نَجِيُّ الخرابْ

تحتَ تلك البذورِ الجذورِ القشور الخليطِ

المؤصَّلِ في طبقاتِ التّرابْ:

أَتُراها الطَّبيعةُ شَيطانَةٌ؟

(١) وصيف الخادم الذي اشتهر بذكائه، وبالهيمنة على الخلافة في وقته.

- خ -

مَا هذِي الأرضُ! كتابٌ

في فِقْهِ الحِنَّاءْ.

في أَصْلِ الدّيكِ

وَفَصْلِ البَيْضَةِ. أرضٌ

بُوقٌ لِلتَّهليل وللتَّمجيدِ، وقَيدٌ

في الخُطواتِ

وَفي الكلماتِ

وَفي الأشياءْ.

* عالَمٌ يركضُ في أنشوطةٍ
خَاطَها طائِفُ جِنٍّ
يُؤخَذُ التِّرياقُ مِن أَفْواهِهِمْ.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

أَخذُوهُ أمامَ الخليفةِ[١]،

قال الخليفةُ في

نَبْرةٍ عاليهْ،

«ذاكَ أمري:

إقلعوا واحداً واحداً، كلَّ أضْراسِهِ، علّقوه على صَخْرَةٍ،

اقطعوا ساعديهِ

ورجليهِ، ثم اضربوا

عُنْقَهُ،

واصلبوهُ

في المكان الذي ضَمّ

أصحابَهُ، قبله».

(١) المعتضِد، والإشارة هنا إلى ابنِ أبي فوارس، أحد القرامطة الكبار.

ـ ذ ـ

أَلمكانُ، وإن كان حُبّاً
طريقٌ إلى لامكانٍ.

* مِتْعةُ العيش تُضْفي
على الموتِ
أعمقَ أسرارِهِ.

الذاكرة

٢٨٩ هـ.

«عِشْتُ ـ لم أفهم
الماءَ، والنّارُ تجهل
ما كنتُ. ما سأكونُ:
تُراني
ألمح الموتَ يجلسُ
قُدّامَ بيتي،
أم أنا واهمٌ؟
مرّةً، كاد ظنّي
أن يكون يقيناً».
كلماتٌ
قالها قرمطيٌّ
في الطريق إلى
رَبِّهِ...

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

يَتحلَّقُ حولَ العمودِ
الذي صَلبوهُ[١] عليهِ،
أُناسٌ
ويُديرونَ ما بينَهم
نِقاشاً:

- هوذا جسمُه
يتدلّى.

- جسمُه؟

- رُبّما.

- ض -

نَفَلٌ. نارُ شَوْكٍ، طيورٌ
والغيومُ على عَهْدِها:
بُسطٌ تتمزَّقُ. أرضٌ
أَتَهجَّى أَسَارِيرَها
شجراً يَتنبَّأُ: هذي خُطاهُم، وهَا هُمْ
يهجمونَ، ومن كلّ صَوْبٍ
يمدّونَ أَشْرَاكهم،
والمكانُ دَمٌ نافِرُ.

قُلْ ليَ الآنَ، ماذا سَتفعلُ، مِن أين تَأتي،
إلى أين تذهبُ، يا أيُّها الشَّاعِرُ؟

* جسَدٌ جرحٌ، ونفسٌ والِههْ،
مَا الَّذي يفعله الشّاعرُ ما بينَهما،
غيرَ أن يَلْغُو كمثلِ الآلِهَهْ؟

(١) الإشارة هي دائماً إلى ابن أبي فوارس.

ـ ظ ـ

طَيْفٌ يَهْمُس: تلكَ ثيابي

رُقَعٌ مِن جِلْبابِ المَعْنى،

وأنا بين يديهِ

كُبَّةُ غزْلٍ.

قُلْ لي، يا هذا الطَّيْفُ، أَبَيْنَ الغَيْبِ

وبينكَ سِرٌّ؟

أَأَقُولُ لِجسميَ أَنْ يَرْقَى

في دَرجاتِ الظنّ إليهِ؟

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

ـ أكيدٌ.

ـ ذاكَ ما يتراءى

ـ ولكن

قتلوا آخَراً

سِواهُ.

* أَلشِّباكُ التي نَسَجتْها بُحيراتُ حُلْمِيَ،

أَلْقَيتُها

في المحيطِ، ولكن

لم أَكُنْ أَتوقَّعُ صَيْداً.

- غ -

حَلَبٌ أجملُ المدائنِ، والصّخرةُ فيها مَجرَّةٌ،
وَالبُيوتاتُ جِنَانٌ،
والأرضُ فيها سَماءُ.

غيرَ أَنَّي مَاضٍ، كما وَسْوَسَتْ نفسيَ،
نَفْسي أَمَّارَةٌ
والمجاهيلُ تُرابٌ لِنَشْوتي وَهَواءُ.

* وطَنُ الشعر يَمتدُّ في سَقَرِ الشُّعَراءِ،
وفي عَدنِ الأنبياءْ،
جسَدي طِفْلُ هذا الزَّواج الشَّقِيّ،
وشِعْري نُبوّةُ هذا الهَبَاءْ.

الذّاكرة
٢٨٩هـ.

ـ دُونَ ذلكَ،
إنْ صَلبوهُ
هُوَ، في ذاتِه،
تَتكاثَرُ عنه
الأقاويلُ،
يُفتَتَنُ النَّاسُ
فيهِ.

هوامش

(يوميات المتنبّي)



I. معراج

١ ـ تخيُّل

أتخيّلُ بغدادَ، لكنني أُحيّي
حلباً، وأحيّي
كوفةَ الثّائرين ـ اتْركِ الحُبَّ يدخلْ إليكْ
دونَ أن يقرع الباب. كالحلْمِ يأتي إلى مقلتيكْ،
دون أن يسألَ اللّيلَ. طَيْفٌ
يترصَّد بين شقوقِ النَّوافذِ:
مِن أين قلبكَ يمضي إلى سِرّهِ؟
أَتُراه يُحيّي، وهو يمضي إلى سِرِّهِ،
شجرَ الورد في ساحة البيتِ؟ هل يتلفَّتُ؟ أَيقظتُ
في داخلي أصدقائي لِيرَوْا مِنْ جديدٍ
سيفَ سُلطانِنا
كيف يَهْوي عليكَ ـ وَها هُم حولَ قبركَ. ماذا؟
هل تقومُ لِتلقاهُمُ، ونُصغي إليهم
ينشدون: سلاماً على عَهدنا
وسلاماً عليكْ.

٢ ـ حَرْبة

إنّه صوتُه
غائِبٌ ضائعٌ يتفيَّأُ في بلدٍ آخَرٍ،
من جحيم العذابِ على أرضهِ.
قَلِقٌ لا يَقُرُّ. يَسيرُ، ويَجْهلُ
من أين يأتي إلى أين يَمْضي.

حَرْبةٌ تَقْتَفيهِ.

٣ ـ عباءة

قِيلَ: تُحْصِي جِراحَكَ
تَرْمي أَزاهيرَها
في عَبَاءة أَحْزانِكَ السّاهِرهْ
وغداً سوف تتركُ
عَينيْكَ لِلدَّمْعِ ـ يَهْمي
كي يُروِّيَ تلكَ الجراحَ: لماذا؟

هل تُرِيدُ انْبِعاثاً لها ـ
صُوراً من نَباتٍ
صوراً من حياةٍ بِلا جنّةٍ أو جَحيمٍ،
أَمْ جُذوراً ـ مَرايَا لأَيَّامِكَ العابِرَهْ؟

٤ ـ ديَدْن

أتوسَّلُ الوَرْدَ: اتَّخِذْني
ضَيْفاً كمثلك فوق هذي الأرضِ، كلاًّ
لن أقولَ لجِنَّةٍ
كوني مُقاميَ، لن ألوّحَ للجحيمِ: تحوّلي
بَرْداً،
دَحَوْتُ الأرضَ شَكّاً.

هُوذَا أطوفُ بها، أَلوذُ بغيمها
أَسْتحضرُ البرقَ العصيَّ على الحضورْ
وأخطُّ فوق تُرابها
وجهي: سأعرف كيف أبني
وطناً أقيم مدائني فيهِ، وأنذر نارَها
لطقوسِ كلّ مُهيَّمٍ.

هوذا أطوف: أبثّ ديدنَها الغويّ وأرتدي
في كلّ هاويةٍ غلالتَهُ
وألتحفُ العصورْ.

٥ ـ هباء

ذاكَ صباحي:

نَخَلاتُ السَّاحة مالَتْ

وتكادُ تموتُ ـ الشّمسُ سعيرٌ

ينفرُ منه حَتَّى النّيلُ. أتأتي؟

هل تأتينَ؟ تركتُ فراشي في وحدتهِ،

وأنا أحيا

في ضوء وفاءٍ يُوشِكُ أَنْ يَرْمِيَني

في ظلمةِ جُبٍّ.

نمضي؟ يَا هذَا الشّوقُ، أعندكَ ظِلٌّ؟

يَتصاعَدُ مِن جهةِ الصَّحراء هبَاءٌ.

٦ ـ مستقبل

عندما سَيُشيّخ قلبي،
سَأوقظُ فيهِ رماداً من بقايا طُفولاتهِ
وأحلم أَنّي صاعِدٌ هابِطٌ
في جحيم شرايينهِ.
وتَجيءُ إليه عشيقاتُهُ
لَهَباً طاغياً
ويَعْرجْنَ مِن أوّلٍ إلى عَرْشهِ.
غيرَ أَنّي عرفتُ وأَعرفُ قلبي:
لن يُشيّخ إلاَّ
مرّةً واحدهْ،
عندما يتنزَّل كالوحي في حُفرة الموتِ،
في غَوْرِ أحضانِها الباردهْ.

٧ ـ مشهد (تخيُّل)

أَلخطوطُ، القناطِرُ بستانُ وَرْدٍ.
كلّ خَطٍّ وسادَةُ حلْمٍ
وطريقٌ إلى موعدٍ:
أَلحروفُ تقاسيم حبٍّ والأصابع أوتارُها.

وَاكِبوا هذه البساتينَ، شُمّوا شَذاها
واسَتضيئوا
بِالمُقَرْنَصِ فِيها
وبأقواسِها القاهريّهْ.
لَكَ بابٌ إلى السرّ، فَانهضْ إليهِ
لاقِهِ واحْتَضِنْهُ
حيث لا تعرف الكلمات سوى صَمْتِها.

إِمْضِ واهبطْ إليهِ ـ إلى كَبدِ الأبجديّهْ.

٨ ـ حيرة

أَنْتِ سَوّيتِ لِلّيلِ ـ ليليَ، ناباً،
وجَعلْتِ النّهارَ دماً سائِلاً.
هل خُلِقْتِ على صورة الموتِ،
كي تنثريهِ على كلّ شيءٍ؟

ما الَّذي أفعل الآنَ في رغبتي
أَنْ أُسرّح إبليسَ من قيدهِ
وأكنسَ هذا المكانَ وتاريخَهُ كقَشٍّ،
وأغسلَ مِمّا تَبقَّى يَديَّ؟

آهِ، نَومٌ غريبٌ يُحوِّمُ في مُقْلتيّ!

٩ ـ مسافات

من وراء التّلالِ، أرى الفجرَ ينهضُ:

ما أقربَ البُعْدَ، ما أوضحَهْ!

أَلتِّلالُ تَزَنَّرْنَ بالأفْقِ ـ يَصعدنَ فيهِ،

وطفولة حُزْني

لا تزال على رُكْبةِ الفَجْرِ تَغْفو.

المسافات تنأى، ولكن

مِن وراء التّلالِ أرَى كيف تُولَدُ

في وجهيَ الأَجنحهْ.

١٠ ـ خنفساء

أَسْأَلُ الآتيَ مِن بغدادَ: هل تحمل في قلبكَ ضَوْءاً؟

لستَ تمثالاً، ولا رأسَ هلالِ
لستَ إلاَّ ريشةً يأخذها الحِبْرُ إلى مُخْدعهِ،
كلَّ مساءٍ.
أَسأَلُ الآتيَ من بغدادَ: هل تحملُ موتي أو حياتي؟

خنفساءٌ ـ ذَهَبُ الثَّوب الذي تَلبسه
باذخُ المنظرِ. مَرَّت
تحتَ عينيّ. سأعطي
هذه اللَّيلةَ ـ من أَوّلِها
جسدي حرّاً لحِبْر الكلماتِ.

II

فاصلة استباق

جاء العصر إلى المكان، ـ

مَرَقُ رؤوسٍ مسحوقةٍ تَتهارَشُ حولها

الجيوش والّلغة تَتمَشْهَد

شِفاهاً في طور الجَمَاد.

خيرٌ لهذا الشَّاعر أن يُكثِرَ الثّقوبَ في

حنجرة اللّغة إذن هل الأرضُ محتاجةٌ

إلى الدّم لكي تفهمَ الماء؟ إذن نشدّ

أسماعَنا إلى محارات الإثم ندخلُ

في أخويّة النّار ونَنْسلُ اللّهب

ويكون لنا اللّعب طيّباً كالعمل

والمجدُ لكَ أيّها الوثنيّ النّحيلُ الجسدُ

المقبلُ في محيط احتمالاتٍ

في عصرٍ كمثل فاصلةٍ بين الموت والموت.

ـ شاعِرٌ

ليس من هنا وليس من هناك

كأنه يعيش في رمية النَّرْد.

أَلهذا يَرى شوكاً أكثرَ إلفةً مِن اليد؟

أَلهذا يرى نوافذَ أحدَّ بصراً من العين،

وطرقاً بعيدةً

أكثرَ قرباً من عَتَبةِ بيتِهِ؟

ـ لستَ، أيُّها الشَّاعر

من هنا ولستَ من هناك.

يلزمكَ جنونٌ آخر

لكي تعرفَ من أنت.

ـ يُريد

أن

يتشبّه

بالضوء.

ـ ليس

للضوء

ماضٍ.

ـ ليس

للضوء

غير

المستقبل.

ـ أ ـ

سَأُصدّقُ أَنَّ المطَرْ
يَتقمَّصُ أَحْزَانَ خَوْلَةَ، أَنَّ الشَّجَرْ
يتكلَّمُ كلَّ اللُّغاتِ،
لِكيْ يَتأوَّلَ أَشْجانَها.

سَأُصَدّقُ أنَّ الرّياحَ
التَبسْنَ بِآهاتِها
وَتَلبَّسْنَ أَرْدَانَها.

الذّاكرة
٢٨٩هـ.

قِيلَ: إحْدى
جواريهِ[1]، أعطتْهُ
سُمّاً.
بمنديلِها.

❊

كان قد أنزل اللّهُ
نصراً على أهلهِ
أولياءِ الخليفةِ ـ
جاؤوا
بالرؤوس إلى دارهِ.
نُصبت فوق جسرٍ ببغدادَ،
كانوا يقولون:
من يقطف الرأسَ عند
الطّلبْ
تطامَنْ أحوالهُ
وتُطوَق أيّامه بالذَّهبْ.

❊ كرِّرِ الآنَ قوليَ يَا أيّها الجوادُ،
وَكَرِّرْهُ يا أيُّها الحُسامْ:
آهِ ما أَقْتلَ الرّحيلَ،
وأَقْتلُ مِنه المُقَامْ.

(١) الإشارة إلى الخليفة المعتضِد.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

حَدّثوا عنه(١)، كانت:

صُورةٌ تَتراءَى لَهُ

تَتعدّدُ: طوراً

راهبٌ. تارةً فتًى،

وَمِراراً،

شكلُ شَخْصٍ له لِحْيةٌ،

وحيناً

تتراءى، وفي يَدِها

السَّيفُ،

تضربُ مَنْ

صَادَفَتْهُ.

ـ ب ـ

صُوَرٌ لِلخريفِ، وأَيلولُ فيها جِرارٌ

لا تبوحُ بِأحشائِها، وتِشرينُ سَهْمٌ

يترصَّدُ في غابَةِ الحبّ قلباً.

صُوَرٌ ـ خَوْلَةٌ

تتمزّقُ في خِدْرِهَا.

هِيَ ذي تخرجُ الآنَ سِرّاً

تزورُ الدّرُوبَ التي أَلِفْتُنَا.

هَا هِيَ الآنَ عادَتْ:

لا وسادةَ غيرُ البكَاءْ.

آهِ، ما أضيقَ الفضاءْ.

* لا تقلْ: أَتذكَّرُ،

إِلاّ إذا كنتَ تمزجُ

مَا تتذكّرُ في مَوْجِ مُسْتَقْبَلٍ.

(١) الإشارة إلى الخليفة المعتضِد.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

شَطحُوا في الرّوايةِ[1]،

قالوا: ذاك إبليسُ،

قالوا: مؤمنون مِنَ

الجنِّ جاؤوا لكي

يَردَعوهُ عن المُنكَراتِ

وسَفْكِ الدّماءِ،

وقالوا: خَدمٌ

يعشقونَ الجواري،

يجيئون في حِيَلٍ،

في عقاقيرَ تُخفيهِمُ،

وتموّه أشكالَهُمْ.

- ج -

سَأَقُولُ: اتَّسِعْ واسْتَضِفْنيَ يا أيُّها الشَّتَاتْ،

أَعْطِنِي لِفراغِكَ، خُذْني

إلى حيثُ تَهْوَى

في هبوبِ رياحٍ دمشقيّةٍ،

أَوْ عَلَى غَيْمةٍ

تَتبخَّرُ مِن صَدْرِ دِجْلةَ،

أو من زفيرِ الفراتْ.

خَوْلةُ الآنَ رؤيا تُسافِرُ في مُقْلَتَيْ،

خَوْلةُ الآنَ تَهْوي على سَاعِدَيّ.

* لِعُلوّيَ عمْقٌ لا يُفَارِقُ أَغْوارَهُ:

هذهِ جَمْرتي

تَصْطَفِيني إليها

وأَنَا سَاهِرٌ عليها.

(١) تأويلاً للصورة التي كانت تتراءى للمعتضد.

الذّاكرة
٢٨٩هـ.

بعدَ أن قدّموا
رأسَ بَدْرٍ لَهُ[(١)]،
قالَ في شَهْقَةٍ:

«أقدرُ الآنَ
أن أتذوّقَ طعم
الحياةِ، ولذّةَ هذي
الخلافةِ ـ هَيَا
إقطعوا رأسَ بَدْرٍ
نظّفوهُ
ضعوهُ هنا،
في الخزانةِ، قُرْبي».

ـ د ـ

أَتخيَّلُ نفسي كأنّي في غَيابةِ جُبٍّ.
تَارةً أَتوهَّمُ أنّي أُقاتِلُ:
جيشيَ نَحْوٌ وَصَرْفٌ
وقَتْلايَ لَفْظٌ.
تارةً أتوهَّمُ أنّي
سَفَرٌ دائِمٌ، ومطايايَ تِيهٌ:
ما أُسَافِرُ فيهِ
يُقيّد شَمسي ويُطْلِقُ لَيْلِي.
ما أَراهُ
يُلَطِّخ عَيْني
بِعماواتهِ.

* مَنْ سأكونُ إذا عرّفْتُ بنفسي؟
وأنا لغةٌ تَزْفرُ ناراً ـ
نَاراً تكتبُني، فيما تأكُلني.

(١) الإشارة هنا إلى الخليفة المكتفي.
وبدر هو غلام أبيه الخليفة المعتضِد.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

أَمَر المكتَفي

بإلغاءِ ما كانَ

وَالِدهْ يَتفَنّنُ فيهِ،

مِن أسَاليبَ

أَوْ أَدَواتٍ

لِيَقتلَ أَعْدَاءَهُ.

- هـ -

هِيَ ذي دمشْقُ - أرَى وراءَ قِبابِها

شَرراً لِجمرتِها الدَّفينه.

ويُقالُ لي: خافَ الأميرُ[1]، وجُنّ مِنْ

قلَقٍ، ويطلبُ أَنْ أسيرَ إليهِ.

أَمدحُهُ؟

مَعَاذَ هَوايَ،

واسْتَعِروا عليَّ، كما يشاءُ

المُلْكُ،

يا شُرَطَ المدينَهْ.

* آهِ بغدادُ! رأسٌ عَييٌّ،

لُغَةٌ مَوْمَأَهْ

مَن يُزيّن هذا الفراغ لبغدادَ؟ من أَنْشَأَهْ؟

(١) أمير دمشق آنذاك، وقد رفض المتنبي أن يمدحه.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

«صاحِبُ النّاقةِ،

القِرْمطيُّ، يُغِيرُ

على الشّام. حَرْبٌ

بين طُغْجٍ[1] وَأَنْصارِهِ.

عند بابِ دِمشْقٍ،

يتدحرجُ يَحيى قتيلاً.

المدينةُ في بَهْجةٍ،

وأخوه الحسينُ

يَصيرُ وريثاً لَهُ.

- و -

تُراني هُنَا الآنَ غَيْري؟ وماذا سمعتُ

وأسمعُ؟ هَذي العَرِيشُ[2]، دَمُ

النَّخل سَقّاؤُها،

واللّيالي جِرَارٌ.

في العَريشِ، الحدائِقُ تَحلمُ: قُمصانُها

مُلِئَتْ أَنْجُماً.

* أَيُّها الشِّعر خُذْني،

مِثلما تُؤخَذُ الشَّهواتُ،

وكُن لِيَ لَيْلاً.

(١) طُغْج بن جُفّ، هو القائد الذي انتدبه هارون بن خمارويه، لمحاربة «صاحب النّاقة» وكان اسمه يَحْيى بن زكرويه القِرْمطيّ.

(٢) العريش، المدينة المصريّة المعروفة، وكانت في ذلك الوقت مشهورةً بحدائِقِها.

- ز -

مِئذنَهْ ـ

أَذِنَ اللَّهُ أن تُرفعَ الصَّلواتُ

كما شاءَها

لا لسيفٍ ولا سيّدٍ،

حرّةً كالمطَرْ.

مِئذنَهْ ـ

أذِنَ الشِّعر أن يسكنَ الحبُّ حرّاً

في قلوبِ البشَرْ.

هكذا تُعلن البُروقُ التي أَضْمرْتها الحياةُ،

وتهدرُ في مُهجتي

لِكي أُعلِنَهْ.

* عاشِقٌ ذلك الرَّبُّ في مِصْرَ،

يحيا أليفاً،

ويُؤْثِرُ أن يَتغرَّبَ في وَجْهِ طَيْرٍ.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

قيلَ: يَحْيى

كان يلبس ثوباً

واسِعاً، يَتلثَّمُ،

يَعْتَمُ. قالوا:

كان أعداؤهُ

يُهْزَمونْ

إنْ أشارَ إلى

حيثُ يأتونَ،

أو يكمُنونْ.

- ح -

وَجهُها مَوْجةٌ، ويداهَا شِراعٌ -
أهيَ الرَّمْلَةُ[1]؟ المدينةُ قيثارَةٌ
والمآذِنُ أَوتارُها.

والأميرُ الحسَنْ
ضَمَّها، يَتَماهى بِها
ويقطّر فيها رحيقَ الزَّمَنْ.

* سَأجسُّ الرّيحَ، سأُغْوي قَلَقي
أن يتحوَّلَ ريحاً أُخرى
تكْسُو طُرُقي.

الذّاكرة
٢٨٩هـ.

لا جنونٌ، ولكنّني
سأقتلُ صَحْبي،
وسأقتلُ حُجّابَ
عَرْشي،
وكُتَّابَهُ،
وسأقتلُ كلَّ نِسائي.

(١) كان كافور يقول لأصحابهِ: «أترونَه يبلغ الرَّمْلة، ولا يأتينا؟». وقد كتب إلى أميرها آنذاكَ الحسن بن طُغج، يطلب منه أن يُرسلَ إليه المتنبي.

- ط -

غَزَّةٌ -

هل أقولُ لها مَن تكونُ؟ الجِراحُ
المُغذَّةُ فِيَّ ارتباكٌ،
ونُطْقِيَ لا يُسْعِفُ الآنَ. نَفسي
تَجيءُ وتَذْهبُ شَوْقاً لِمرآتِها،
وَلِأَطيافِها.
هَاتِها، أيّها البحرُ مِن فَضْلِ ذاتِكَ،
مِن مُهْجةِ الغيبِ،
مِن شَمسِهِ، هاتِها.

* بعضُهم
ينظرونَ إليَّ كأنّي
كاهِنٌ في جحيم
يُشعِلُ الماءَ في حَلْقهِ.

الذّاكرة

لا جنونٌ، ولكنّني
سوف أقتلُ حَتَّى
بَناتي، وأقتلُ
ابنيَ - كلاّ
لا جنونٌ، ولكن
إخوتي - سوف أَرمِيهمْ
واحداً واحداً
في جحيم الهلاكْ
لا جنونٌ - أَنَا
الملِكُ المُسْتَجارُ،
وَلي هَيئةُ الملاكْ[1].

(١) الكلام بلسان إبراهيم بن الأغلب، من أمراء الأغالبة في أفريقيا، مات سنة ٢٨٩هـ. قِيل إنه أُصيبَ بالماليخوليا، فقتلَ كثيراً من أصحابهِ وكُتّابهِ وحجّابهِ ونسائهِ.
وقتل اثنين من أبنائهِ، وثمانيةَ إخوةٍ له، وسائرَ بَناتهِ.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

ألحسينُ[٢] تَكاثرَ

أنصارهُ:

تَملّكَ حِمْصاً،

ودمشقٌ تُصالحُهُ،

وَتُؤدِّي الخَراجَ إليهِ.

*

- إبنيَ!

- أمّي! أخْبِري،

وقولي: ما دينُكِ

الآن؟

- لماذا السّؤالُ؟ أنتَ

عارفٌ.

- أريد أن أقولَ: ما

عرفته من قبلُ، كان

باطلاً.

- والآن؟

- قِرمطِيٌّ.

الفكر في انعتاقٍ،

والدِّين دِينُ حَقٍّ.

- ي -

رَمْلُ ظَنٍّ، وقامتيَ الآنَ تَسْبَحُ فيهِ.

رَفَحُ[١] -

وَحْدَةُ الماء والنَّار في جَرّةٍ،

وحدَةُ اللّيلِ يَقْظانَ،

والشَّمْسِ، مَقْرونةً بثيرانِها.

آهِ، يا عَطَشاً في دمي!

وَرْدَةٌ في الطّريقِ

تُمزّق أَرْدانَها.

* أَتُرانيَ أحيا كمنْ يعمرُ الأرضَ

بِاسْمِ السَّماءْ؟

يخزنُ الماءَ في مُنْخلٍ

ويخيطُ الهَواءْ.

(١) المدينة المصريّة المعروفة، وقد مَرّ فيها المتنبيّ.

(٢) الحسين بن زكرويه الذي حَلّ محلّ أخيه يحيى، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

زعموا أنّه[٢]

قَتلَ النّاسَ ـ أطفالَهم

والنّساءَ

في حمَاةٍ،

في المعرّةِ، في بعَلبكَّ،

وفي السّلميّةِ: لَم يُبْقِ

شخصاً حولها في القُرى،

كان يقتلُ يحرقُ يَسْبي

عابثاً مِثلما يشاءُ.

ـ ك ـ

فَرَمَا[١] ـ مَنْ رَمَى

في يديَّ ثِمارَ المُحالِ لِتَنضُجَ؟ هذا

كَفَنٌ يَتطاوَلُ في قَدميَّ، وهذا ـ

ما الذي قلتهُ؟

فَرَمَا ـ جِسْرُ حبّي وَرائي،

أَتُراني مِن أَوَّلٍ،

سأمرّ على جِسْر حُبّيَ، إلاّ كما

عِنْدما

مِثْلما . . .

* قَمرٌ

يَفتح كلَّ مساءٍ جُرحاً

في جِسْم امْرأةٍ.

(١) من القُرى المصرية التي رآها المتنبي في طريقه إلى القاهرة.

(٢) الإشارة إلى الحسين بن زكرويه. وقِيل إنّه أظهرَ شامةً في وجهه، زاعماً أنّها آيته، ومن هنا سُمّيَ «صاحب الشّامة».

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

ـ وَضعتْ طِفْلَها.

ـ مَنْ تُراهَا؟

ـ امرأةٌ هاشِميّةْ.

صَرخَتْ:

ـ «أخذوني

بعدَ أن ذبحوا والديَّ

وأهلي جميعاً،

وأقمتُ لديه[2]، فَتْرةً، ثم قال:

اذهبي إليهم، مُشيراً إلى صَحْبِهِ[3].

امكثي عندهم، وكوني

لهم.

مَن تُراه أبو الطّفل؟

مِن أين أدْري؟

ـ ل ـ

تلك بَلْبيسُ[1] لاحتْ.

جسَدي مُتعَبٌ، وبلبيسُ فيها

مَا يُذكِّر. لكن

كيف لي أن أعودَ؟ أَعودُ إلى

أين؟ كلاّ

سوفَ أسكنُ في ذلكَ القَيْدِ ـ

ذاك الذي كنتُ سمّيتهُ الرّجاءْ

وأقولُ لشعريَ:

أنتَ الرَّحيلُ،

وأنتَ البقاءْ.

* الموجُ يشيخُ، ولكن
قال العِشق، وقال العاشِقُ: يَبْقى
في رَحِمِ البَحْرِ جَنيناً.

(١) القرية المصرية المعروفة.

(٢) الإشارة إلى القائد القرمطيّ، الحسين بن زكرويه. وكان قد خُطب له على المنابر في حمص، وسمّى نفسه «المهدي، أمير المؤمنين»، ورووا أنّه بدأ في السلميّة، القرية القريبة إلى حمص، بقتل بني هاشم، فقضى على الصّبيان والبهائم، «وخرجَ منها، وليس بها عينٌ تطرف».

(٣) أربعة من قوّاده.

٢٨٩هـ.

سُلَّ لِسانُهُ[٢]،

قطعوهُ. دُلِّيَ بين العَيْنين،
وقالوا:

فَلْيُرْبَطْ فوق حمارٍ.

رَبطوهُ، طَافُوا في الأسْواقِ،
رآهُ النّاسُ:

مُؤَذِّننا؟

ماتَ، ولكن

إمْعاناً في تأديبِ

الموتى،

صَلبوهُ مَيْتاً.

- م -

تِلك فُسطَاطُ[١] تاريخنا.

مسجدٌ ـ بشَرٌ حولَهُ

يمزجونَ خُطاهم بأكفانِهِمْ.

والنَّوافذُ ـ أنّى نظرتَ،

سَراويلُ منشورَةٌ.

وتخيَّلتُ نُورَ قريشٍ،

وتخيَّلتُ قُوّادَها وأجنادَها.

لَنْ أحاكيَ مَوْتي.

❊ أَتُراهُ النّشيدُ النّبيُّ

قادِرٌ وحدَهُ

أَن يغيِّر هذا الوجودَ الشّقيّ؟

(١) وصل المتنبي إلى الفُسطاط (القاهرة) في السنة ٣٤٦هـ. (آب، ٩٥٧ ميلادية).

(٢) الإشارة إلى شخص يُدعَى عَروس المؤذِّن. قتله موسى بن أحمد، صاحب القيروان، آنذاك.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

حُمِلَ القِرمطيُّ[١]

لبغدادَ، حَيّاً

على ظَهْرِ فيلٍ.

ـ ن ـ

في الأزقّة، بين الحوانيتِ، في الطُّرقاتِ،

أمامَ الجوامعِ، أُصْغي ـ

أَتوهَّمُ رأسي

طائراً بابليّاً

يجرّ جناحيه في غابةٍ من حَجَر

ويَخُطُّ أَساطيرَهُ

بغبار البَشَرْ.

خَلْفَ هذي الصّوامعِ، مِلْءَ الفضاءِ، صراخٌ

أَلمدائِنُ مأسُورَةٌ ـ

جرحها نازِفٌ، قناديلُها مُطْفأَهْ

والطّفولةُ أُنشودَةٌ مُرْجَأَهْ.

* لُغَةٌ ـ جَسَدٌ حيٌّ، ـ

أَلأَرضُ تنامُ على كتفيها،

والغيبُ كتابٌ بين يَديها.

(١) الإشارة إلى «صاحب الشامة»، الحسين بن زكرويه، وقد تغلّب عليه وأسرَه بدر الحمّامي، قائد ابن طولون.

الذّاكرة
٢٨٩هـ.

مِتًا سَوْطِ
لِلشَّامَةْ.

قُطِعت رِجْلاهُ[١]،
يَداهُ،
كَوَوهُ،
قُطِعَ الرّأسُ،
وكَبَّرَ كلُّ النّاسِ،
سُروراً.

❊

لا يعرف الكلامُ أن
يقولَ كيف ماتْ
كأنّما تمزيقُه
صَلاةْ!

- س -

أَتمشَّى مع النّيلِ، آخذُ حيناً يديهِ،
نتحدّثُ، أفتح صَدري لأشجانهِ.

فوقَنا ساعدانِ، أَصابعُ
تَضْفرُ شَعْرَ الفضاءِ
الذي يتمدَّد حُبّاً
على صَدْر خُوفو.

هَرَمُ الغيب يجثو على
حُفْنَةٍ مِن غُبارٍ.
وأَرَى لا أرَى
أثراً لِنبيٍّ.

❊ أَصْغيتُ إلى دِفْلَى صلَّتْ:
كان النّيلُ إماماً،
والشَّمس أَذَاناً.

(١) الإشارة إلى «صاحب الشامة». كان يقول عنها: «هذه آيتي!».

- ع -

صَمْتٌ حول ضِفاف النِّيلِ ـ البَرْديُّ يُهيّئُ

حَفْلاً.

إيزيس سَتحضَرُ والأَهرامُ،

وقيلَ: النِّيلُ سيُلقي شعراً.

نجمٌ ينزلُ عن كرسيّ اللّيلِ ـ

يُعانِقُ خُوفو.

---

* أَلنُّجومُ؟ سَتُصبح عمَّا قريبٍ،
مُدناً وأَسِرّةَ حُبٍّ.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

أَسَرُوا كلّ مَنْ

قِيلَ عنهُ

إِنَّه قِرْمطيٌّ.

قَدّموا الكُبَراءَ[١]

لِكَي يقتلوهم:

قَطَّعوا كلَّ أَطْرافهم،

وأعناقهم ضربُوها.

(١) يُقال إنّ هؤلاء كانوا أربعةً وثلاثينَ شخصاً.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

إبْطَحوهُ على وجهِهِ[١].

وابْدأوا أوّلاً بِيُمنَى

يديهِ - اقْطعُوها،

واقْطعوا بعدَها

رِجْلَهُ،

ثُمَّ يُسْرى يديهِ ويُسْرَى

قدميهِ -

اضْربُوا عُنُقَهُ، وإلى أَسْفَلٍ نَكِّسوهُ.

- ف -

شَحّاذُ

يَأتي فجراً في زِيّ امْرَأةٍ،

ويعودُ مساءً في زِيّ عشيقٍ،

قَصَّ علينا:

عَرضَ الشَّيطانُ عليَّ كتاباً

أمسِ، وراءَ الجامعِ، كي أقرأَهُ

في شهر الصَّومْ.

قال رآهُ فوق سَريرِ امْرأةٍ

لا وقتَ لديها

إلاَّ لِلنَّومْ.

* هذهِ لحظةُ الظنّ والتَّوْرِيَهْ

أَتُراها

لحظةُ الرُّوح مهجورةً؟

قُلْ لِقيثارِ هذا الزّمانِ: ابْدَأِ الأُغْنِيَهْ.

(١) الإشارة إلى أحد القرامطة الأَسْرى.

- ص -

دَارٌ ـ «دارُ الفِيلْ»،
تتذكّر، حين تراهَا، عامَ الفيلِ
وتذكرُ بالعَدْوَى سِجّيلْ.

أمشي حول الدّارِ، وأسمعُ حولي
أصواتاً
لكن،
لا ألمحُ أَفواهاً تخرجُ منها.

هل أصواتُ النَّاسِ هُنا
تَتَصاعَدُ مِن أحشاء النِّيلْ؟

* أَلزَّمانُ دَمٌ سائِلٌ والمدينةُ مُسْتَنْقعُ،
فلماذا نُنكِّس هاماتِنا
لِلخلافةِ، أَو نَخْضَعُ؟

الذّاكرة
٢٩٢هـ ـ ٢٩٣هـ.

كانوا بضْعةَ أشخاصٍ،
قُتِلوا في بغدادَ،
وكانت تلكَ
نهايةَ عَهْدٍ[(١)].

*

مات القاسِمُ[(٢)] ابْنُ عبيدِ
اللَّهِ، السَّفاحُ. ابتهجَ
النَّاسُ. يقول الشّاعر فيه:
«شَربنا عشيّةَ مات الوزيرُ،
ونشرب، يا قومُ، في
ثالِثِهْ
فَلا قدَّسَ اللَّهُ تلك العظامَ،
ولا باركَ اللَّه في وارِثِهْ».

(١) الإشارة إلى آل طولون، ولاة مصر، وكانوا بضعة عشر رجلاً، نُقلوا مقيَّدين إلى بغداد، حيث قُتِلوا جميعاً.

(٢) هو وزير الخليفة المكتفي. كان سفّاكاً للدماء، وهو الذي قتل بالسمّ الشاعر ابن الرّومي.

ولم أعثر على اسم الشاعر، قائل هذين البيتين.

الذّاكرة

٢٩٤هـ.

بَعْد مَقْتَل ابْنَيْهِ[1]، يُشعِلُ حَرْباً.

قَتلوهُ، وشَقُّوا،

كما قِيلَ،

أحشاءَهُ.

- ق -

أَلخيالُ وبُرْهانُهُ

المقابِرُ، ظِلُّ النَّخيلِ، النَّخيلُ،

اليَمامُ، الحديثُ مع النّيلِ،

إيزيسُ،

ليلُ التوغُّلِ في كوكبِ القَصيدهْ.

أتُرى هذه كلُّها

لغةٌ في الرُّجوع القريبِ إلى خَولةَ البَعيدَهْ؟

❊ إنْ أخذتُ الزّمَنْ

وهجّرْتُ نفسيَ مِنْهُ،

أَتُرانيَ إذّاكَ أعرفُ أَنّى، وكيفَ،

وماذا يكونُ الوَطَنْ؟

(١) الإشارة إلى زكرويه، وإلى ابنيه يحيى والحسين.

ويُقال إنّه قَتل من الحُجّاج في طريقهم إلى مكّة، عِشرين ألفاً.

الذّاكرة

٢٩٥هـ.

قُبض المُكْتفِي:

قادَةٌ وقُضاةٌ

يُجمعون على خَلْعِ وارثهِ

المقتدِرْ[1]،

وعلى أن يكون الخليفةُ

شخصاً جديراً.

سألوهُ[2]،

اسْتجابَ، ولكن

بِشَرْطِ: لا دَمٌ

لا قِتالٌ.

- ر -

أَلفضاءُ الذي يلبسُ النّيلَ نِيلٌ آخَرٌ

أَقْتَفيهِ،

أَتهجَّى تقاسيمَهُ.

كانتِ الشَّمسُ تُملي عليهِ شُعَاعاتِها

عندما كان وجهيَ يَشْطَحُ في وجههِ.

كلَّ لَيْلٍ،

يقودُ النّجومَ إلى دارهِ:

هكذا وَشْوَشَتْنِي بَرْدِيّةٌ.

---

* أتذكّر أَنّي التَقيْتُ على النّيلِ،

مَوْتي مِراراً:

دائماً،

كان يبدو بهيئةِ طِفْلٍ.

(١) كان عمرهُ ثلاث عشرة سنة.

وقد رُوي أنّ القاضي المثنّى أحمد بن يعقوب، قال في هذا الصدّد: «لن أبايعَ صبيّاً».

(٢) هو ابن المعتزّ، الشّاعر.

- ش -

أَلخلودُ حبيبٌ إلى النَّاسِ، لكنْ
أَتَساءَلُ في هذه اللّحظَاتِ المريرةِ،
في ذاتِ نَفسي، لماذا
لا أُحِبُّ سوى الزَّمنِ العابرِ؟
ولماذا
لا أُنَصِّبُ ضوءاً يَسودُ على الأرضِ، إلاَّ
قَلقَ الشَّاعرِ؟

※ كيف تاهتْ غزالةُ عينيهِ عن دَرْبها؟
هُوذَا حاضِنٌ نخلةً
تتمايَلُ سكرانةً
وتُحدّث عن حبِّها.

الذّاكرة

٢٩٥هـ.

بايَعوهُ،
وأعطوهُ اسْماً
جديداً[١].

لم يدمْ أمرُهُ،
خلعوهُ،
قتلوا كلَّ مَنْ
بايعوهُ،

وأعادوا إلى
عرشِهِ، المقتدِرْ.

(١) الرّاضي أو الغالب باللّه.

الذّاكرة

٢٩٥هـ.

يسأل الناسُ: مَنْ
منهما نُبَايِعُ،
أو يسألونَ: لِمنْ
ننتصِرْ؟

حَبسوهُ[١]،
أَخرجوهُ مِن الحَبْسِ،
مَيْتاً.

- ت -

رُبَّما النّيلُ جُرْحُ
من هُيامٍ وتيهٍ
حَفَرتْهُ على جسَدِ الأرضِ،
رِيشةُ خَلاّقِها،

ربّما النّيلُ وَعْدٌ لِمثْلي -
لِملائكَ يأتونَ ليلاً إليهِ،
يَسْهرون، يجوسونَ أَحشاءَهُ
وَينامونَ بين يَديْهِ.

* ما أقولُ وما لا أقولْ
وَحْشَةٌ في طريقي إلى عتَباتِ الأُصولِ،
وَما يتخطَّى الأصولْ.

(١) الإشارة إلى ابن المعتزّ.

الذّاكرة

٢٩٥هـ.

عندما بايعوهُ[١]،

سألوا الطّبريّ[٢] عن

الأَمْرِ، ما رأيهُ؟

قالَ:

ـ كلاّ، لن يتمَّ له

الأمرُ؟

ـ كيف؟ لماذا؟

ـ أتيتُمْ،

بِرجالٍ كبارِ

كلّهم يتقدّمُ في زمَنٍ

يُدْبِرُ

كلّهم خاسِرٌ

وهو أوَّلُ مَنْ يَخْسَرُ.

ـ ث ـ

تهْتُ في النّيلِ ـ في ضوئهِ وفي ظِلّهِ.

تهْتُ، أَبْحرْتُ في سُفُنٍ جارياتٍ

بأسرارهِ

في سرَيرِ أَسَاطيرهِ.

كانَ نَخْلي يُغنّي

هذه السُّفنَ الجارياتِ، وكان عَراري

شاعِراً آخراً يتبطَّنُ الآءَهَا

ويغنّي مجاذيفَها،

وحيازيمَها،

ويُغنّي الصّواري.

* قُلْ لشعركَ ـ هذا الصّديقِ الأمينْ:

جِسميَ الآنَ نَفْيٌ لِجسمي، ـ

وَلَهٌ يُلْهِمُ العشْقَ، يَلتهِمُ العاشقينْ.

(١) الإشارة إلى ابن المعتزّ.

(٢) هو المؤرّخ والفقيه المشهور محمد بن جرير الطبريّ.

- خ -

سأشبّه نفسيَ بِالنِّيل:

تَرْحالُ فَيْضٍ

ومَسْراهُ مَسْرايَ،

والأرض فِينا

«وَرْدَةٌ كالدِّهانْ».

غير أَنَّ حياتي قَلَقٌ وَمَجازٌ

وشِعريَ كالشَّمسِ: مِن لا مكانْ.

الذّاكرة

٣٠٠هـ.

قُتِل ابْن الرِّضا:

قَطعوا رأسَهُ،

نَصبوهُ على الجِسْر

أمثولةً

لِلَّذين يقولونَ

أقوالَهُ

أو يقولونَ عنه:

نهجُهُ نهجُنا.

* بَلَدٌ ـ لم يقل مرّةً:

أُحِبُّ. اتركوه، إذنْ،

للوحوش التي تَستبدُّ

بِأَحشائهِ.

الذّاكرة
٣٠٤هـ.

قِيلَ: «رَدَّ[1] الكلامَ
إلى أصلهِ،
ولهذا
قطعوا رأسَهُ،
صَلبوهُ على ناقةٍ!».

- ذ -

مَا أَقولُ ليومي، هُنا،
ما أقولُ لِأَمْسي؟
أَتراهُ الزَّمانُ سَيُصْغي؟
فِيَّ شَخْصانِ: شَخْصٌ
للمكانِ، وشخْصٌ
لِتقاليدهِ،
وأَنا ثالِثٌ.
لا أُجادِلُ شَخْصيَّ، أَتركُ لِلشِّعر أَمْرَيْهِمَا،
وأجادلُ نَفْسي.

* أَلمكانُ يغيّر أهدابَهُ
وَتقاطيعَهُ:
سوف يُصبح، بدءاً من اليوم، أُنْثى.

(١) الإشارة إلى شخص اسمه خالد الشّعراني. وكان عاملاً على كرمان وسجستان، وقد تمرّد وسمّى نفسه أميراً.

الذّاكرة

٣٠٤هـ.

كان إماماً[1]

في الفِقْهِ، وكان

يُحبّ الشّعرَ،

ويعلن أنّ الحقَّ إمامٌ

والعَدْلَ إمامٌ.

لكن، مع ذلك،

ماتَ قتيلاً.

- ض -

سَأَقولُ لِذاتي: تَجلَّيْ

في قميصِ الظَّلامِ لكي أَتقصَّى مَداهُ،

وأُحْسِنَ قَبْضي على النُّورِ -

يا ظُلْمةَ اليَومِ. في كلّ وَجْهٍ

أَثَرٌ من شُعاعِكِ، والنّيلُ فَيْضٌ

بين ثَدْيَيْكِ. إيزيسُ تُفّاحَةٌ

في سَريركِ أَمّارَةٌ -

أُمّةٌ أنتِ، حَقّاً.

* أنا والنّور في هِجْرةٍ:

جَسدانا وأحلامُنا دارُنا

يَتحرّرُ فينا المكانُ،

وما يترمَّدُ تُوقظِهُ نَارُنا.

(١) الإشارة إلى الناصر العلويّ المعروف بـ «الأطروش».

- ظ -

أتوهَّم؟ كلاَّ

لم أُشَاهِدْ بعينيَّ كافورَ،

شاهدتهُ

بالصَّداقةِ مخنوقةً

بالحياةِ - انكساراً وَهَوْلاً.

هكذا سأجاهِرُ: كافورُ دُنْيا

وكافورُ أرضٌ.

هكذا سَوف

أَرْثي لِعَصْري.

* أَتُراهُ وَقْتي

في هذا الفَلَكِ السَّاحرِ - مِصْرَ، فَراغٌ

لا يَملؤهُ شيءٌ؟

الذّاكرة

٣٠٤هـ.

الرّؤوسُ تُقطَّع، تُهدى

لِبغدادَ: مِن كلّ

صوبٍ،

واحداً واحداً

فوق صَحْنٍ،

أو مُدَلًّى على رأسِ

رُمْحٍ.

لَم يعد في الخِلافة إلاَّ

اسمُها.

أيها الرّاحلون، تُرانا
لا نزالُ بعيدينَ
عن قَصْدِنا؟

هل أمدُّ إليكم
يَديَّ، وأفتحُ
صَدْريَ؟ قولوا

لم أعد أتذكَّرُ
مِن أين جئنا،
إلى أين نَمضي؟

- غ -

هَيَّأَتْ خُبْزَها. إنّه النِّيلُ يُومِئُ. ماذا؟
كتَبَتْ وَجهَها
فوق وجه الرّغيفْ.
حِبْرُها؟ أخذتْهُ
مِن هُبوب الشّتاءِ، ومن خَمْرةِ الصّيفِ
مَسكوبةً في دِنان الخريفْ.

أَلطَّريقُ إليها وإلى خُبْزها،
ربيعٌ.

* نَوْرسٌ يتموَّجُ،
والنِّيل يُسْلِمُ أعضاءَهُ لأعضائهِ.
سُرَّةُ الماءِ للحالمين سريرٌ.

هوامش

(يوميّات المتنبّي)



II. ديجور

١ ـ رغبة

أتخيّل بغدادَ، لكنني أُحيّي
حَلباً وأُحيّي
كوفة الثَّائرينَ ـ اهْدَئي، ذكرياتي،
وَاجْلسي. ركبتايَ سريرانِ.
هذي عروقي
عَطشٌ جارِفٌ. وهذا
كبِدُ الوَقْتِ: من جَمْرهِ
تتدفّق هذي الوجوهُ التي تتشرّدُ.
ماذا؟ إهْدَئي واجلسي.
أَفلاَ ترغبينَ هنا، الآنَ، أن تَسمعيه
يتكلَّم: ذاك الذي كان يَحيا
أبداً صامِتاً، بيننا؟

٢ ـ حلم

حلمٌ نَسيتُ سريرَهُ
يأتي إليَّ، يَجرّ قافلةَ الظُّنونِ.
غَسلْتُ وَجْهي
برحيقهِ، ـ
أتذكّر الآنَ: انحنيتُ لوجههِ
فمضَى. لماذا.
ولِمن يَعودُ، ولم أعدْ ما كُنْتُهُ؟

كُنّا وفَرّقَنا الطَّريقُ
هو جَدولٌ وأنا حريقُ.

٣ ـ مناجاة

قلتَ لي: نادِمٌ؟

أيُّها الجسمُ ـ جِسميَ. هل صِرتَ غيري، إذنْ؟

بيننا أَلَفُ حَرْبٍ وحَرْبِ

وكثيراً جرينا مَعاً

لملذّاتِنا

وسَهرنا نقطّر الآءَها،

ونمتَ، ولكنّني لم أَنَمْ

بيننا ألفُ حَرْبٍ وحَرْبِ

بيننا ظلماتٌ

بيننا ما أخاف التبسُّطَ فيهِ،

وأجبنُ عن ذكرهِ:

هكذا،

لا أكرّر ما قُلتَهُ. لا أُطيقُ النَّدَمْ.

٤ ـ نُواح

أَلمساءُ. كأَنِّي أَراهُ
آتياً من سَمَرْقَنْدَ في موكبٍ
مِن مآذنَ. يَمْشي
وعلى وجهه وَهْمُ شَمْسٍ.
يتَسلَّقُ خَصْريَ، يكبو على كتفيَّ. سِهامٌ
تَتراءَى على دَرْب غزلانهِ ـ المساءُ كشيخٍ
توحَّدَ في غرفة الكونِ منتظراً ضيفَه ـ الموتَ. أُصْغي
لحفيفٍ غريبٍ: تُراهُ
طائر المَوْتِ؟ لكنّ هذا النُّواحْ
ليس قبراً، ولم تَتنبّأْ بقيثارهِ الرّياحْ.

٥ ـ تأويل

رجلٌ يَجرح جذع النَّخلة قُرْبَ الجامعِ. يَرْوي
أَنَّ الرُّطَبَ السَّاقِطَ مِنها سُمٌّ.
هل يتوهَّمُ؟ هل يتنشَّقُ سِحْراً؟
أَعطيْتُ النّخلةَ زندي.
قلتُ لِغُصْنٍ:
كَتِفُ الشَّمس تحنُّ إليكَ. وقلتُ لآخرَ: أنتَ سَريرٌ
وسيرقدُ فيه، يوماً
طائرُ حبٍّ.

رَجُلٌ آخَرُ جاء ليحرقَ جذعَ النَّخلةِ. يَرْوي
أَنَّ الرُّطَبَ السَّاقطَ مِنها
ليس جَنِيّاً.

٦ ـ التباس

لم أعد أَتعجَّبُ، إن كنتُ سُوِّيتُ مِن طينةٍ
أو مِن التَّمْرِ ـ نُصْباً
يتعبّدُ آلاءهُ شَقِيٌّ
وإذا جاع وافتقد الخبزَ راح إليهِ
يتذوّق أشلاءَهُ لقمةً لقمةً.

لم أعد أَتعجّبُ إن كنتُ سُوِّيتُ سيْفاً
لِيُقطعَ بي كلُّ رأسٍ يقولُ: الخليفَةُ لا رأسَ لَهْ!
أَلخليفَةُ ـ آهِ الخليقةُ! آهِ الجنودُ الحروبُ السّجونُ المجاعاتُ
آلهةٌ مِن عبيدٍ،
وآلهةٌ سادةٌ،
والخليقةُ ـ آهِ الخليفةُ! مِن أينَ يا لغةَ الضّادِ،
تبدأُ هذي الفجيعةُ،
أو هذه المهزلَهْ؟

٧ ـ رحلة متخيَّلة

(أ)

أَلعناكبُ ينسجْنَ قُمصانَهنَّ. السَّماءُ
رَمتْ صدرَها
في ذِراعَيْ صباحٍ له وجهُ طِفْلٍ.
وأَرَى حولَهُ
أمومةَ أَرْضٍ
تأسر الطَّيْرَ في عُشِّهِ.

ضَجَّةٌ. لا الشَّجَرْ
لا الجداولُ. لا الرّيحُ. لا الرّعْدُ. لا خطواتٌ.
ضَجَّةٌ في فضاء النَّظَرْ.

٨ ـ رحلة مُتخيَّلة

(ب)

أَلطَّريقُ وأَنْيابُها، ـ

ربّما تأخذ الرّيحُ هذي الطُّلولَ. نَبوءاتُ رُعْبٍ

تتفتّحُ في قدميَّ وفي العُشْبِ. خُذْني

أيُّها الضّوءُ في ساعديكَ، وفي خطواتكَ. عَيْنا

هذه الصّخرة التباسٌ

في طريقيَ. نِسيانُ هذي الطّريقِ؟ أَينسى

قَدَرٌ ناظرَيْهِ؟

أَتُراهُ القدَرْ

لغةُ اليأسِ في شهواتِ البشَرْ؟

٩ـ رحلة متخيَّلة

(ج)

هُوذَا يقتربُ الذّئبُ، ولكن
ليس في عينيهِ نارٌ.

أين غابت هذه الأسطورةُ الحيّةُ؟ عُرْيٌ
في فضاء الورَق السّاقطِ. أضغاثُ رياحٍ
والخريفُ انكسرت أجراسُهُ.

يضع الذّئبُ على أهدابهِ
شَبحاً يَبْتعِدُ
ما الذي يكتبُ هذا الورقُ الميْتُ، بماذا يَعِدُ؟

١٠ ـ رحلة متخيَّلة

(د)

أَلرَّملُ يغمر وجهَ دجلةَ. هذه
صَرخَاتُ حبّي:
وَجْهُ الألوهةِ وردةٌ ذَبُلَتْ. بلادٌ
صَدَأٌ صديدٌ،
والعابرونَ يعانقون غواية الجُرْح القديمْ.

بغدادُ فتنة شاعرٍ. هذي عكاظُ؟ أَمِنْ جديدٍ
تَصحو وتسكرُ تحت قوسِ جراحِها؟
أَهُوَ المكانُ، يُشَقُّ صدرُ نبيِّهِ،
أَهو السّديمْ؟

III

فاصلة استباق

إنه النّيلُ ـ

«فاضَ المال، وكثرت الفتن،
وظهر دجّالون كلُّهم يَزعم أنّه الحقّ»،

إنها القاهرةُ،

القرن العاشر جسدي كنتُ فيه الجنونَ
واستأثرَ بيَ العقل كنت المحوَ (وربّما
سيقول التّاريخ إني الذّاكرة)

النّيل، ـ
في سريره
تكتشف السّماءُ
لَذّةَ النّوم.
في خطواته
تكتشف لذّةَ اليقظة.

أشير إلى الضّوء لكنهم لا يعرفون
أن يحدّقوا إلاّ في ثيابي «أفي
كلِّ يوم تحت ضِبْني شُوَيْعِرٌ؟»
كلاّ، لا أملَ إلاّ من جهة اليأس.

أنظروا ـ الفضاءُ أنا،

يرسل النّيل تحياتِه
مكتوبةً
على جسدِ الشّمس.

وشِعري غيومُه الممطرة.
إنه الوقتُ ليأخذَ كلُّ شيءٍ اسمَه
ولكي ترتسِمَ الطّريق.

هكذا أقول لمصر وأشيائها:
وُلدتِ في نَسَقِ الشَّمس،
وأنتِ مغامرةُ البدءْ.

ها هي
جدائلُ الشمس
تَتبلَّلُ بماء النّيل.

إِنه النّيلُ، ـ
ينبجسُ إليّ من أغوار العناصر،
ودوريَ الآنَ أن أتشبَّه به ـ
ماذا أفعلُ يا سيِّدَ الأساطير؟

زَمَنٌ ـ
فقاعاتٌ تعوم
على وجه النّيل.

اللّهبُ يزفر في اللّغة، ـ
قلبك، أيُّها العالمُ، الوحش؟ إذن
سيكون شعريَ الفَتْك.
النّيل هادئٌ؟ عنيتُ: ها هو الطّوفان.

ماءُ الموتِ للنيل
هو نفسه
ماء الحياة.

أسمعُ النّيلَ:
لا يسقط الحبّ من السّماء
إلاّ لأنّه يصعد من الأرض.

ألن تطرح عنكَ أخيراً، يا صديقي النيل،
عِبْء تلك السَّماء التي تجثم على كتفيك؟
وأرجوكَ
أن تفهمَ فيضانيَ في اتّجاهِ أحبابي.

«بمائهِ اغْتَسلتِ
النبوة الأولى»:
قالت الأرض مرّةً
تصف النّيل،
ولا تزال السّماء تكرّر
ما قالتِ الأرض.

من خيوط مائه
ينسج النّيل
ثوباً واحداً
لفرحه وحزنه،
هو ثوبه الوحيد.

أنا ضراوةُ الانشقاق
رفضاً للنخاسين «مَحْفلِ القرود»
«المرتزقين القابضين على الزِّمام»
«دولة الخدم».

كلّ يومٍ
يُلقي النّيلُ
مِن أعلى قِمَّةٍ
في جبل الحكمة،
موعظةَ الماء.

أنا الشُّبهاتُ وأنا الحقُّ
يا لهذا العالم ـ الخديعة:
«بكلِّ أرضٍ وطئتها أُمَمٌ
تُرعى بعبدٍ كأنّها غَنَمُ
إنّي وإن لُمْتُ حاسِدِيَّ، فما
أُنكر أَنّي عقوبةٌ لهُمُ».

يحضن النّيلُ
السّفن والقوارب
كأنّها بيوتٌ
وأسرّةٌ
لأطفاله.

وأسألك، أيّها النّيل:
من أين تجيء هذه اللاّنهاية
التي ترفرف على وجهك؟

أنا الواحد،
وكلّ شيءٍ فِيَّ متنافِرٌ
و«اسْمي في السّماء: لا».

أعرف الآن

لماذا آثر أبو الهول الصّمت:

أُرتجَ عليه،

وهو يحاور النّيل.

لكَ شكلٌ

أيها السيد النّيل

لا ينتهي من التشكُّل:

عَلِّمنيَ الشعر يا صديقي.

إذن، سأعترف:

خُلقت بجسمين ـ واحدٍ يعذّبني،

وآخر أعذّبه.

هكذا أُمَسْرحُ أَعْضائي

وأبتكر للشعر خطاياه.

سلامٌ لِلعُصاة في الشعر،

سلام لمن يهوِّس

وَيُضلِّل.

لِلنّيل بشَرَةٌ

يتصاعَدُ من

مَسامِّها ضوءٌ

ليس الجسدَ

وليس الجنسَ،

وليس شيئاً آخرَ

غيرَهما.

هل يمكن

أن يُقالَ:

وَداعاً، لِلنَّيل؟

الذّاكرة
٣٠٦هـ.

إجْلسِي[١]
وانظري في شكاواهمُ،
وَخُذيهم بِرْفقِ
الكلامِ، وصِدْق النَّظَرْ.

غضب الفقهاء[٢] من الأَمْرِ
وَاسْتنكروهُ:
كيف لامرأةٍ أن تُولَّى شُؤونَ
البَشرْ؟

ـ أ ـ

إنّها القاهره، ـ
أدخلُ الآنَ في طَقْسِها، وأغنّي لها
ويغنّي معي
قصبُ النّيلِ ـ (يوماً، كيوسُفَ، لكن
في منامي، أتيتُ إلى القاهره
زرتُ آمونَ في بيته.
وكتبتُ وغنَّيتُ مُسْتَسْلماً
لهوى امْرأةٍ راودتنيَ عن نفسها،
ولكنّها لا تُحِبُّ سِواهُ).
قل ليَ الآن، يا نِيلُ، من أين تأتي
إلى أين تَمضي خيولُ تَبَاريحِكَ الثَّائِرهْ؟

* لِمَ، هذا المساءُ،
يحجبُ اللّيل عنّي
نجمةً، كنتُ هَيّأتُ نفسي
كي أُسامِرَ في ضوئها
فَلَكَ الأَصْدِقاءِ؟

(١) في الرّواية أنّ أُمَّ المقتدر، واسمها شغب أمرت قهرمانةً لها اسمها ثُمْل وفي رواية ثُمل أن تجلسَ بالرّصافة للمظالم، وتنظر في كتب الناس.

انتفع بذلك المظلومون، وأنكر ذلك الكثيرون واسْتَبْشَعوه».

(٢) قال الإمام السيوطي: «صار الأمر والنّهي لحرم الخليفة ولنسائه، لركاكته. وآل الأمر إلى أن أمرت أمّ المقتدر بمُثْلِ القهرمانة أن تجلس للمظالمِ وتنظر في رقاع الناس كلّ جمعة. فكانت تجلس وتُحضر القُضاة والأعيان وتبرز التواقيع وعليها خَطُّها».

الذّاكرة

٣٠٩هـ.

قال عُرَيْبٌ[1]:

«كان الحلاّج غَوِيّاً يَنتقّلُ في البلدانِ،

يموّهُ

بين السُّنَةِ سنّيٌّ،

بين الشّيعةِ شيعيٌّ،

مُعْتزليٌّ، إنْ قابَلَ شخصاً معتزليّاً».

ـ ب ـ

لَم تَعُدْ لَذّتي

مثلَ نَبْعٍ يَهيمُ على وَجْههِ.

لم تعد قامةُ الرّيح مسكونةً

بجدائل أحلاميَ الطّويلَهْ.

رافِـعٌ غَضبي رايةً

وأقولُ الكلامَ الذي يَتفتَّقُ رفْضاً وهَدْماً.

ولهذا أغنّي، أُنَصّب نفسي

عاشِقَ الطُّرُقِ المستحيلَهْ.

❊ جسدي يَتمزّقُ مُسْتَنْزَفاً

بينَ مَا قلْتُهُ،

وما لَمْ أَقُلْ.

(١) عُرَيْب بن سعد القرطبي، في «الصِّلَة» التي كتبها تَكْمِلةً لتاريخ الطّبري.

- ج -

أَخذتْني إلى بيتها نَفْرَتيتي
وسَقَتْنِي إِكسيرَها.
(وَحده الشِّعرُ كانَ المُقامَ
الذي نتَساكَنُ فيهِ).
وأَرَى النّيلَ يلبس أَهدابَها
(لا تقولي لِيَ الآنَ ما لم تقوليهِ
مِنْ قَبْلُ) لِلنّيل روحٌ تُرفرفُ،
والكونُ وَجْهٌ لها.
أرضُهُ نَشوةٌ،
والنُّجوم عرائسُ يخرجْنَ مِن ضِلْعهِ.

قال عُرَيْبٌ:
«كان الحلاّجُ خفيفاً
في الحركاتِ ـ
يُشَعْوِذُ: مَخْرَقَ
حَتَّى استَهْوَى
مَنْ لا يفهمُ شيئاً».

* رُبَّما ينبغي
أن أخيط الرّياحَ وأن أتنزَّهَ في إبْرةٍ.

- د -

هَلْ أُلاَبِسُ نارَ الظُّنونِ،
وأَمكُرُ؟ أشياؤُها
مَكَرَتْ ومَكَرْتُ: المدائِنُ قَلَّبْتُها
صفحةً، صفحةً -
قَدَمي تتقدّمُ، رأسيَ في خَلْوةٍ:
أَعُلوٌّ، أمَهْوى
أَمْ جنونُ أَقَاصٍ؟

شَغَفٌ لاعِجٌ، شَغَفٌ جارِفٌ، -
نَشْوَةٌ أَنْ تُهدِّمَ أَسْوارَ
هذي المدائنِ،
والشِّعر مِعراجُكَ العاصِفُ.

※ لا أُسَافِرُ
إلاَّ لِصيد الكواكبِ،
والأُفْقُ لي جُعْبَةٌ.

قالَ عُرَيْبٌ:
«كان الحلاّجُ يُجاهِرُ
«إنِّي الرَّبُّ»،
و «ما في الجُبّةِ غيرُ
اللَّهِ»، وَشَاعَتْ
كتبٌ أَمْلاَها
مُلِئتْ
بحماقاتٍ،
وكلام مَقْلوبٍ،
وَبِكُفْرٍ».

ـ هـ ـ

رُبَّما ينبغي

أن أُسَلْسِلَ جِنْسَ النَّظائِرِ، جِنْسَ المجازاتِ،

جِنْسَ الفُروقِ، وأَصرخَ: أَهْلاً

بِالسّطوعِ، ـ النّساءُ يُرتِّلْنَ

أَحزانَهنَّ،

السُّهولُ هَوادِجُ محمولةٌ

في قَوافِلَ مِن كُلِّ زَهْرٍ.

رُبَّما، رُبَّما. وظنّي،

أَنّني سأقولُ لدربي خُذيني

خُطُواتي رياحٌ لواقِحُ يَصْرخْنَ حُبّاً.

* وَرْدةٌ ـ (لن أُجاهِرَ أَنّى وكيف) ولكنني
أَتغطّى هنا الآنَ فوق فِراشي
بِأَهْدابِها.

قالَ عُرْيبٌ:

«كان الحلاّجُ يقول

لِبَعْضٍ مِمَّن تَبِعوهُ:

أنتَ محمّدُ،

مُوسَى أنتَ،

ونوحٌ أنتَ.

أَنا مَنْ قالَ

لِأَرْواحِهِم

أَنْ تَهبطَ

فيكمْ».

- و -

آهِ منه، وآهٍ عليهْ
ذلك الشاعرُ المتشرّدُ في وجههِ،
وفي أَصْغرَيهْ.

هُوذا عَصْرُهُ المُرُّ
يَسْتَجْمِعُ الكلماتِ،
ويُسْلِمُ لِلضَّرْبِ أَعناقَها.

لنسورٍ تطايَرْنَ من قلبهِ
وَيَمَّمْنَ جَوّاً بعيداً،
يَنحني ويقولُ: وَداعاً.

أَتُرى عنده موعِدٌ آخَرٌ؟

❊ اللَّيالي نساءٌ
والنَّوافذ من حولهنَّ طيوفٌ.

قال الرّاوي:
«قال عُرَيْبٌ،
هذا اليومَ،
كلاماً
كادت لغتي
أن تهربَ منهُ».

- ز -

مُثْقَلاً بعجائبِ هذا الزَّمانْ:

أَتمرَّدُ في مَحْبَسٍ

وَأُغنّي وعُنْقي

يَتوسَّدُ سَيْفاً.

وَبشِعري أُدِينُ، بشِعري أُبَرِّئُ: شِعري

شَهواتي وجيشي

وحَرْبيَ - لا تنتهي،

والرِّهانْ.

* ربّما خَبَّأ اللّيلُ سِكّينَهُ

في يدَيْ نجمةٍ.

قال عُرَيْبٌ:

«كان الحلاّج يقولُ:

أَنا أَهْلكتُ ثموداً».

و«يغيبُ عن

الأَتْباع، وينزلُ

مِن طبقاتِ الجوِّ

عليهم».

- ح -

خِطْتُ صَدْري بِصدْركِ يا شَمْسُ. أمشي،

أترنَّحُ واليأسُ رَقْصي:

قَدَمي للغُبارِ،

وإيقاعُها لِلشّقاءْ.

آيةً آيةً

يتنزَّل وَقْتي هُنا في كتابٍ

لا يَرى كيف أَحْيَا

ويشَاءُ الذي لاَ أَشاءْ.

قالَ الصُّوليُّ[1]:

«الحَلاّج جَهولٌ،

لكن يتعقَّلُ،

وَهْوَ عَيِيٌّ، لكن

يتَفصَّحُ،

وَهْوَ الفاجِرُ لكن

يَلبسُ كي يتنَسَّكَ - صُوفاً».

* حملتْه إلى أرض أحلامِهِ النَّائيهْ

شَهوةٌ عالِيهْ.

(١) محمد بن يحيى الصُّولي.

- ط -

مِصْرُ، هذا هو الخيطُ بين أَثينا وبينكِ:

طالِيسُ بَرْدِيّهُ ساهِرٌ

وعلى شُرْفةِ النّيلِ

بِيزنْطيا

تتأمّل أَسْرارَها

في تقاطيعِ أَيْقُونَةٍ.

مِصْرُ: لا غَرْبَ لا شَرْقَ، بل وَحدةُ البدْءِ

في القلَم الفَاطرِ

تَتجدَّدُ في لُغةِ الشَّاعرِ.

قالوا:

«نُوظِرَ يَوْماً:

لا يَعرف شيئاً من

أخبار النّاس،

ويَجهلُ أَهْلَ الفِكرْ،

لا يعرفُ حَتَّى القرآنَ،

وحتَّى الفِقْهَ،

ويَجْهلُ حَتى الشّعرْ».

* منذُ أن كنتُ طِفْلاً

كنتُ أَسبحُ في لُجّةِ البدْءِ،

في ماء شَيْخوختي.

- ي -

مِن مُعاويةٍ والرّشيدِ ومَرْوانَ، لَمْ يَبْقَ
غيرُ الحُروفِ التي عرّفَتْنا
بأسمائهم.

غير أَنّي أرَى الشُّعراءَ وأُصْغي
كيف يُسْتَنْفَرُ الزَّمانُ لكي يَتَماهى
بِتاريخهم وميراثهم، وكلٌّ
عندَ أصحابهِ نَبيٌّ.

قالوا:
«يُحْيي الحَلاّجُ
المَوْتى،
والجِنُّ لَهُ خُدّامٌ».

* كَبِدُ الوَقْتِ مَقْرُوحَةٌ، -
هل أسائِلُ شُحرورَ هذا الصّباحِ:
لِماذا تغنّي؟

- ك -

أُصْغِي -

في هذا الشّارع أَصْواتٌ

أسمعُ فيها

همساً مِن يونانَ، وجَرْساً فِينيقيّاً.

وَأُحِسُّ بِفتنةِ بابلَ: حَقّاً

مصرُ صحيفةُ بدْءٍ

فيها رسَمت رِيشةُ آدَمْ

وَجْهَ العالَمْ.

* كم تخيَّلتُ فِينيقيا:

وَطنٌ مركبٌ،

والطّريقُ إليهِ

كَتِفَا مَوْجةٍ.

قالوا:

«كانت بغدادُ

تُسائِلُ كلَّ مكانٍ

فيها: هل أنتَ

شريكٌ حَقّاً

في نِيرنْجِ الحلاّجِ،

وماذا تعرفُ عنهُ؟».

ـ ل ـ

مِنْ أين يخفقُ هذا النّجمُ في كَبدِي؟

حَزمْتُ صَدْري بأوجاعي وطفْتُ على
أَطْلالِ حبّي ـ أراها كيف تَنسجُني
بِريحها،
وَتبقّيني وتَرْتَحِلُ.
يا للفُجاءَةِ: ثوبُ الرِّيح مُنْخَرِقٌ
مُعفَّرٌ
ورَمادُ الأرضِ يَشْتَعِلُ.

قالوا:
«كانت كلُّ دفاترِهِ
مِن وَرقٍ صينيٍّ.
بحريرٍ وَبديباجٍ
بَطَّنَها.
وبماءٍ من ذَهَبٍ
خَطَّ رُؤَاهُ».

* هل أقولُ: سَريري
قَاتِلي وأميري؟

قالوا:
«كان الحلاّجُ كثيرَ
الأَسْفارِ، وزار الهِندَ،
وفيها
زَارَ امرأةً
خَرجتْ معهُ نحو البَحْر،
وكانت
تحمل غَزْلاً مَلْفُوفاً
فيهِ عُقَدٌ
تُشبهُ أدراجَ السُّلَّمِ
قالَت بِضْعاً من
كلماتٍ.
صَمَتَتْ، جلسَتْ،
قامَتْ،
صعدت في خَيْطِ
الغَزْلِ، وغابَتْ».

- م -

في الشَّوارعِ، بين المآذنِ، في كلّ حيٍّ
وفي كلّ أَرْضٍ،
أَصْغِ لِلضَّوء، لِلوقْتِ، لا تَلْتَفِتْ
إلى العابرينْ.
وَاغْتَرِبْ واضْطَرِبْ
حائراً
يَسْتَضِيءُ بِقافلةِ الحائرينْ.

* عابِرُ الرّملِ بَقَّعَ ماءَ كواكبِهِ الآفِلَهْ
بدم القافلَهْ.

ـ ن ـ

عَضَّةُ الشَّمْسِ في كَتفِ النّيلِ،

زَرْقاءُ،

والضِّفّتانِ تمدّانِ مَهْداً

للحقولِ ـ النّباتاتُ

تُولم أثداءَها لِعُشّاقِها.

أَهُوَ الحبُّ ينزلُ في شَكْلِ دَمْعٍ

عَلى وَجْنتيَّ،

أم هُوَ النّيلُ يخرجُ من صمتهِ

ويقصُّ تَباريحَهُ عَليّ؟

قالوا:

«كنّا ننظرُ،ـ

كانَ الطّائِرُ مَيْتاً.

غَطّاهُ بِكُمِّهْ،

همسَتْ شفتاهُ

كلماتٍ لم نَسمعْها.

عادَ الطائِرُ حَيّاً».

قالوا:

«إن لم نقتلْهُ،

افْتُتِنَ النّاسُ

بِعلْمِهْ».

* الفراغُ الذي يَتقدّمُ نحوي كريمٌ،

أُحَيِّيكَ يا أيُّها الصّديقُ،

وأرجوكَ: لا تمتلئْ.

- س -

خَوْلَةٌ - أَتخيَّلُها ها هُنا،

وأقولُ الهلالُ الذي يتسكَّعُ

في ما وراءَ النُّجوم سيأتي إليها،

والطيورُ التي يرسمُ النّيلُ أعناقَها

سوف تأتي،

وسيأتي إليها

لازورْدُ المكانِ - تُرانيَ أَهْذِي، ولكن

هَا هُوَ اللّيلُ يَمْشي إلى جَنْبِهَا.

قالوا:

«ضربوهُ أَسْواطاً

لم يُحصوها.

قَطعوا رجليهِ، يديهِ،

حَزّوا الرّأسَ،

وقالوا: نصبوهُ فوق

الجِسْر، وقالوا:

حُمل الرّأسُ إلى

بلدانٍ أُخرى

كي يُنْصَبَ فيها».

* غيْرَةٌ،

سأقولُ لعاشقِ إيزيسَ: دَعْني أُلامِسْ

بأحشائيَ الخافِقَهْ

نارَكَ العاشِقَهْ.

- ع -

كوكبٌ يَتسكّعُ حيرانَ في كلّ حَيٍّ،
والنّوافذُ صَفْراءُ. ليلٌ
يزفر الآنَ أحزانَهُ
ويقولُ النّهارُ مريضٌ.
ومَنْ ذلك الذي يَغْرزُ السِّهامْ
في صدور أحبّائِنا؟

ربّما ليس لِلضّوء، في ظِلّ كافُورَ،
مُتَّسَعٌ لِلمُقامْ.

قالوا:
«أُحْرِقَ جسْمُ الحلاّج
وَذُرَّ رماداً
في دجلةَ. قالوا:
فاضَت دِجْلةُ
حبّاً».

* أسمعُ في الطّرقاتِ كلاماً ـ يَبْدُو حيناً،
سِرْبَ خِرَافٍ،
وقطيعَ جِمالٍ، حيناً.

ـ ف ـ

شَبَحٌ ـ كيف جاءَ، ومِن أين جاءَ؟

له وَجْهُ رَبٍّ.

أَلزَّمانُ يوسِّده ساعديْهِ،

والغبارُ على وجههِ صَلاةٌ.

شَبَحٌ شامِخٌ

ذراعاه ممدودتانْ

تحت رأسِ المكانْ.

* ـ أُسْكُتْ، أَفْسدْتَ هَواءَ الدِّينِ،

ـ أيفْسُدُ دِينٌ

مِن نَفْخَةِ هَمٍّ؟

قالوا:

«دُعيَ الورّاقُونَ

لِيُقسِمَ كلٌّ منهم

أَلاَّ يَقْنيَ أيَّ كتابٍ

لِلحلاَّجِ،

شِراءً،

أَو بَيْعاً».

- ص -

في هذا الشَّارِعِ كان الماءُ سَجيناً.

وهُنَا في هذا الشَّارعِ شَمْسٌ

يَسْتوطِنُ فيها عِصْيانٌ.

وهُنَا، في هذا الشَّارِعِ، شَاعَ كلامٌ

أَنَّ الضَّوءَ سيأتي سَحَراً

وعلى كتفيهِ

وَطَنٌ يَقِظٌ، وفضاءٌ حَيٌّ.

❊ تاريخٌ: ثوبٌ مفتوقٌ،

هل يقدرُ شِعْرٌ

أَنْ يرتقَهُ؟

قالوا:

سمعوهُ يهمسُ

فيما يُحتضَرُ:

«نَاسٌ بَقَرٌ

لستُ المقتولَ،

كما يَهذون. ولمِثْلي

سِرُّ هواهْ

لا يدركُهُ إلاَّ اللَّهْ».

- ق -

لا تَقُلْ: نَعْشَقُ الإمارةَ مَدْهونةً
بِبهار تواريخنا، ولكن
قُلْ: سنسكنُ أكواخَ قَشٍّ
لِنخدمَ عُشَّاقَها.
ربّما سوف يُولَدُ من أَوّلِ
كتابُ نبوّاتِنا
في جحيم غواياتِنا المُنكَرَهْ
ربّما رغبةٌ في اختناقٍ طويلٍ
سوف تلتهمُ الشَّفتيْنِ،
وتَلْتهم الأصْغَريْنِ،
وتَلْتهِمُ الحنجرهْ.

أَلحلاَّجُ فضاءُ
هُيامٍ،
والوقْتُ كتابٌ
بيت يديهِ.

* - لا نقدرُ أن نتكلّمَ فوقَ الأرضِ،
- أتقصد أن نتكلَّمَ تحت الأرضِ؟
- وداعاً.
- مَنْ أنتَ؟ كأنّك تُشبهُ مَيْتاً.

- ر -

أنتَ الغارِقُ في التّحريمِ،

وفي التَّحليلْ،

خيرٌ أَنْ تكتبَ،

أَو أَنْ تقرأَ شِعراً

عن عِشْقٍ

أو عَنْ سِرٍّ

بين البَرْديّ ونَهْرِ النّيلْ.

ألحلاَّجُ أَمامَ السِّرِّ،

وبعدَ الكتُبِ

الحلاَّجُ يفوّض أَمْرَ

المعنى ليدِ اللّهَبِ.

* رَقصُ ضوءٍ يأخذ الوقتَ إلى شهوتهِ،

والضّفاف استسلمت

لِهوَى أَعْشابِها.

- ش -

ساخِراً مِن إمامة هذا الزّمانِ،
وممّا تراهُ العقولُ،
وممّا تقول العلومْ،
سأقولُ لكافورَ: أنتَ الإمامُ على الأرضِ،
خُذْها كما شئتَ،
واكتبْ
لرعاياكَ أقدارَهُمْ -

ما تقولُ النُّجومُ وما يُعْجِزُ النُّجُومْ.

صوتُ الحلاّج كَنايٍ
في طبقاتِ الكونِ،
دَمٌ كونيٌّ،
ويعيشُ وحيداً
بين الأوّلِ والآخِرْ

لا يعرف أن يتشبَّهَ
بالينبوعِ الدّافقِ
منه، غيرُ الشّاعِرْ.

* إن تجِئْ مرّةً، وسريرُ اللّهَبْ
في انتظارِكَ، لا تَبتئِسْ.
الأساطيرُ في بدْئِها بعدُ،
والشِّعر يبتكرُ المنقلَبْ.

ـ ت ـ

ـ هل رأيتَ إلى بابهِ؟

ـ فِضّةٌ.

ـ وإلى عرشهِ؟

ـ ذهَبٌ خالِصٌ.

ـ والنّقوشَ وما حولَها؟

ـ حَجَرٌ أسودٌ كريمٌ.

كيف لا تُوغلُ المدائن في سُخْطِها؟

كيف لا تتناقَلُ أفواهُها

ما تقول سيوفُ صعاليكِها

لِلطُّغاةِ وما لا تقولْ؟

❊ نُطَفٌ من هبَاءْ

تتقطّرُ مِن ثدي

هذي السَّماء.

تَركَ الحلاّجُ فضاءً

آخرَ، غَنَّى:

ما أَبْهى

أن أُولِمَ ليلي

لنجوم المعنى

حيث الأرضُ سريرٌ

والعاشِقُ كوْنٌ.

قالوا،
سمعوا الحلاَّجَ يغنّي:
ما أَبْهى أن يتحدّثَ
عنّي لهَبٌ،
ويطوفَ عليَّ جُنونٌ.
ما أَبْهى أن أتحقّق
أَنَّ الصُورةَ كونٌ
تتشرّدُ فيهِ
عنقاءُ المَعْنى.

ـ ث ـ

أَتمدَّد فوق فراشي، أو أسيرُ أرَى النّاسَ،
لكن، لا تواصُلَ ـ ماذا
لو أكرّرُ ما قلتُهُ مرّةً:
«ليس في حاضر النّاسِ أيُّ غريبٍ عليَّ»؟
وأين هو الأمسُ كي أتأمَّلَ في ما مضَى؟

الصّباحُ صديقٌ أبداً غائِبٌ
في فراغٍ يُسمَّى غداً.

أَتُرى وحده الشّعرُ يكفي؟

* مُسْرِجاً للرَّحيلِ حصانَ الألَمْ،
قلتُ مستدركاً:
لو أطعتُ التوهُّمَ، أسرجْتُ هذا الهرَمْ.

نزَل الحلاَّجُ خفيفاً
في بُرْكانِ الشّوقْ
مِن أَعْلى سِرٍّ
في دَرجاتِ الذَّوقْ.

- خ -

لا يُكتَبُ الشِّعر إلاَّ في مُشَافَهةٍ
مع الغيوب، -
سأحيا في مخيِّلتي،
أَعلو، وأَسْتدرجُ المعنى، وأَنتظِرُ
لي منزلي خلفَ أسوارٍ أُكابِدُها
ولي جناحانِ: وَجْهُ الغيبِ والحجَرُ.

※ أيُّها المعطفُ،
أنتَ يا ذلكَ الغيمُ، كيفَ ومن أينَ
تلبسُ جسمَ السَّماءِ، ولا تعرفُ؟

- ذ -

مُقْعَدٌ، أَتُراهُ
جاءَ مِن بلدٍ آخَرٍ؟
يتراءَى كمن يمضغُ الرّيحَ،
أو مَن يجرُّ حديداً.
آهِ، من أينَ لِلشِّعر أن يتدبَّر هذا الشَّقاءْ؟

هل أقول لَهُ: كيف حالُكَ؟ لكن
ربّما كان يرفض أن يتدخّل في أمرِهِ
غريبٌ،
ربّما كان يُؤْثِر أَلاَّ يكلِّمَ إلاَّ الفضاءْ.

قالوا:
عَرجَ الحلاَّجُ إلى
ذُرواتِ اللّهِ
بلا معراجْ
مِن أَعْلى نَوْءٍ
في بحر الحبِّ،
وأَلْقى
عِظةَ الأَمواجْ.

* عندما تخرج الشَّمسُ من بيتها، شتاءً،
يأخذ الفجرُ منديلَها
ويغطّي بهِ كتفيْهِ.

- ض -

واهِنٌ في قرارة نَفسي

(أَو يُخيَّل لي أنني واهِنٌ)، وأسكنُ

بيتاً جميلاً ـ هديةَ كافورَ، لكن

هو، في ما يَرى الشِّعرُ،

أَوْهَنُ بَيْتٍ.

ألبيوتُ هنا وهناكَ البيوتْ

لغةٌ في كتابٍ

كتبَتْه يَدا عنكبوتْ.

قال الحلاّجُ: «اللَّيلُ

لِشمسي وطَنٌ

وحبيبُ:

مِنْ أَين، وأين،

وكيف تغيبُ؟».

* كيف أَرْوي حَرَجي لِلنِّيلِ، هل أَبْقى،

إلى أين أقومْ؟

وأَنَا الشَّاردُ، لا أعرفُ من أينَ إلى أينَ

التخومْ؟

- ظ -

أنتَ، وجهاً لوجهٍ
مع تباريح هذا الزّمانِ وأَشْراكهِ.
مع غيومٍ تحجَّرْنَ:
ماذا يقلن لهذا الفضاءِ،
وماذا تقولُ؟ الفضاءُ وأنتَ
اتّحادُ صديقينِ في وَرْدَةٍ:

وردةٌ - لَفْتَةٌ.
وردةٌ تقرأ الشّمسُ لِلحبْرِ أَقْلامَها
وتَلاوينَها،

وَرْدةٌ تَتهجَّى تَآبينَها.

قالوا:
سمعوا الحلاّجَ
يقولُ - «لفظتُ
اليومَ كلاماً
كادت لغتي
أَنْ تهربَ
منهُ».

* أَلَمٌ ليس فكراً ولا صورةً،
إنّه جسَدٌ يتقطَّعُ: هل ضَرْبةٌ قاضِيهْ
أَترنّح فيها - في ثُمالاتيَ الباقيهْ؟

- غ -

حَيَّةٌ؟ قلتُ يوماً

أحبُ الغوايةَ فيها،

وأحببتُ حوّاءَ مِن أَجْلِها.

وأَنَا مثلَها ـ

سأغيّر جلْدِي،

كلّما شاءَ حَدْسِيَ:

ما أَضْيَعَ القصيدَهْ

عندما لا تكونُ الطِّرادَ ومَيْدانَهُ والطَّريدَهْ.

* سوف أُولمُ هذا القمَرْ

لكواكب شِعري،

وإذا جاءَ ليلٌ غريبٌ عليهِ،

سَألوذُ بشيطانيَ المنتظَرْ.

قالوا:

«صلبوا أصحابَ

الحلاَّجِ جميعاً»[1].

(١) بينهم «حيدرة، والشعراني، وابن منصور. طولبوا بالرّجوع عن مذهبه، فأبوا. ضُربت أعناقُهم، ثم صُلبوا».

هوامش
(يوميات المتنبّي)



III. رَصْد

١ ـ وداع

أتخيّلُ بغدادَ، لكنني أُحيّي
حلباً، وأحيّي كوفةَ الثائرين ـ تَجرّأْ
قلْ وداعاً لأرضكَ، للعشب فيها، ولأشجارها وأَنهارِها.
قل وداعاً لِسجّانها، لخليفة أَنْقاضِها
وهو يُملي عليها تعاليمَهُ،
وقصائدَ غِلمانه.
وتوسَّلْ إلى غيمةٍ تتفيَّأُ في ظِلّها.

قُلْ وداعاً لهذا التمزُّق، هذا الألَمْ
وازْفُرِ الآنَ ما خَطّهُ
في يديكَ وفي ناظريكَ وفي خطواتِكَ وَاصْرخْ:
لكمُ كلُّ شيءٍ
وأنا مثلما تقولون: شخصٌ غريبٌ
ليس لي غيرُ هذي الدَّواةِ وهذا القلَمْ.

٢ ـ عجز

أَلرِّمالُ التي غمرت وجهَ تلك البلاد التي جئتُ منها،
ها هيَ الآن تَغمرُ وَجْهي،
وأنا عاجِزٌ أن أُخَمِّنَ:
هَلْ يُكْنَسُ الرَّمْلُ،
أم سوف نُطْمَسُ؟ لا وَمْأَةٌ
مِن نَبُوءاتِ حبّي.

سأَقولُ لتلك البلاد التي حملتنيَ: لا شيءَ
يَنأى بقلبي عنِ المَوْتِ، إلاّ هواها
وأقول لتلك البلاد التي حملتنيَ: لا خَيْطَ
يربطُ بيني وبين المدائنِ
إِلاَّ اسْمُها.

٣ ـ اطمئنان

قُلْ كما شئتَ عَنّي:
أحمقٌ،
وأغنّي لأيّةِ جنيّةٍ،
وأفوّضُ نفسي لأهوائِها.
قُلْ كما شئتَ عنّي:
يَدي مِن غُبَارٍ
وروحي تَبابٌ.
غير أَنَّكَ لن تعرفَ الوَرْدَ إن كنتَ تجهلُ عِطري،
ولن تعرفَ اللاّنهايةَ،
إلاَّ إذا كان شِعرْيَ
بين الدُّروبِ إليها.

٤ ـ غراب

كيف أخرجُ من بيتيَ الميْتِ؟ لكن
أين أخرجُ؟ موتٌ
حيثما دارَ وَجْهي.

ألقناديلُ تُطْبق أجفانَها
والدَّقائِقُ هَوْلٌ وفَتْكٌ.

أيُّهذا الغرابُ الجميلُ النَّقيُّ
لِمَ لا تُشْرِعُ الأُفْقَ باباً إليكَ، وتُعطي
للمكانِ وللخطواتِ ولِلرّيح ميراثَكَ الكوكبيّ؟

٥ ـ كآبة

لم أكن مرّةً
مِثليَ، اليوم. هذا القرنفلُ شَوْكٌ.
ودِفلى
هذه الياسمينَةُ. والأرض تبدو كجبّانةٍ.

جَبَلٌ مِن هبَاءٍ
جاثِمٌ فوق صدري.
لا رفيفٌ لأيِّ جناحٍ
في الحقولِ التي حَرَثَتْها تواريخُنا
ولا ريحَ في الأشرعهْ.
والفروقاتُ مَطْموسَةٌ:
مَنْ تُرى يعرف الآنَ،
أين الوجوه، وأين هيَ
الأقنعهْ؟
سَأَلوذُ بِشِعري، ـ
أَتشمَّم أعضاءَهُ
وأنام على زَنْدهِ.

٦ ـ رحلة متخيَّلة

هذه الخيلُ التي تُقبلُ. أَمْضي. إنّها تبحث عَنّي،
أين أمضي؟
أَيُغطّينيَ عشبٌ؟
أَيُؤاوينيَ بيتٌ؟
أَصديقٌ يظهر الآنَ ويعطيني يديهِ؟

ليس لي إلاّكَ يا هذا الضّياءْ
أَتقرّى غدَكَ الضَّاربَ في صحرائه،
وأرَى شمسيَ فيهِ، ـ

هوذا أعطيتُ جسمي
لتقاليدكَ واسْتَعْصمْتُ بالخَيْطِ
الذي يغزلُه وجهُ الفضاءْ.

٧ ـ احتفاء مُتخيَّل

لن أقولَ لهذي الحشودِ التي تتجمّع حَولي
وتهتفُ بِاسْمي: أنا رأسُها،
والأمينُ عليها.

لن أقول لكم أن تكونوا لِرأسي
تاجَ قولٍ، ولا تاجَ غارٍ.

لن أقولَ لكم إنني نشيدٌ لأيٍّ
مِن فتوحاتكم
أو بطولاتكم.

سأقولُ لكم إنني خائِنٌ ـ خائِنٌ
لِمعاييركم وتَعاليمكمْ.

٨ ـ تحرُّر

أَتحرّرُ من سجن جسمي، وأَسألُ حرّيتي:
أأَنا الآنَ نفسيَ، أم غيرُها؟
أأَنا قَبْلُ أم بعدُ، أم بينَ بينَ؟ الثِّيابُ تُداهِنُ،
والشَّكلُ طَيْفٌ.

لا طريقٌ سوى القَلْب نحو الألوهةِ والحبّ،
نحو التحرُّرِ،
في ما وراء الجُسومِ، وفي ما وراءَ العُقولْ.

حَرِّروا في القلوبِ ينابيعَها
واتْركُوها تَفِضْ
كي يفيضَ المكانُ بآلائِها،
وتفيضَ الفُصولْ.

٩ ـ رحلة متخيَّلة

هل أُصدّقُ؟ بغدادُ تغفو وتَنهضُ في خاتَمٍ.
زُرتها أمسِ مِن حلَبٍ، في منامِيَ. كانَتْ
ناقةً ضخمةً
تَموتُ على صَدْرِ طِفْلٍ.

رُحْتُ في كلّ حيٍّ أَجُسُّ غُبارَ الدُّروب،
وأُصْغي إلى اللّيل، أُصغي
لما يتَحدّث عنه جدارٌ
وتكتم أَسْرارَهُ مِئذنَهْ.
هكذا في مَنَامي
كنت أَسْتفسرُ الماءَ عن مَوْتِ بغدادَ، أَمْشي
وأخبطُ، أَقتصُّ آثارَ حُبّي
وأحتضنُ النّاسَ والأمكنَهْ.

١٠ ـ استباق

أَمْشي، أُسائِلُ دِجْلةَ:
مَنْ ذلك الرّسامُ يَغْرز في جبينكَ
ريشةً لا لونَ فيها؟
فَمُكَ المليءُ بِحَشْوِهِ، فَقدَ الكلامَ،
فمن يُعيد لكَ الكلامْ
أَلرِّيح فيكَ عليلةٌ
والموجُ أَشْبَهُ بالحُطامْ.

مَن ذا يُضلِّل فيكَ حتّى الماءَ؟ مُبْتهجاً،
أمدُّ يدي
إليكَ. يدي سؤالٌ، ويداكَ مِن علَقٍ وَطِينْ

بيني وبينكَ ذُروةُ الدُّنيا وأَسْفَلُ سَافلينْ.

IV

فاصلة استباق

فجأةً،

ضجيجٌ من جهة الغيب

هل نستجيبُ؟ ندخلُ تحت قبةِ هذا

المكان   مرفوعةً كسقْفٍ عائليّ   منقوشةً بأعناقٍ

كأنّها التّخاريم

خيوطاً في هذا البساط المتآلف من اللّحم

خطوطاً على الحجارة

بقايا أطلال.

كلاّ   لم تكن ترسم أيُّها الشاعر   كنتَ ماحياً   يقول

صديقك الذي لا تعرف اسمه   والذي ينتظر شَكْلَ

القوس وانحناءة الواو   فيما يرى ملاكاً يرفع يديه

ليباركَ العساكر   ويقدّم لها بَقْلَ الرّوح   في

إيقاعات خُوَذٍ وأَنْصال   لها هيئةُ الوحي

وتجلس حول الموائد
خشوعاً خشوعاً
السَّماء تنزل وتجلس هي كذلك تتأمّل كيف يتوحّشُ
النّبات الإنْسيّ كيف تخرجِ الحيوانات الجاثمة في أرحام
الكلمات كيف وجد القتلُ طريقَه إلى مكانٍ رأى اللّهُ
صورتَه فيه وقال حسَنٌ هذا

وها هي تُصغي إلى شفاهٍ بهيئة الأرجل تصدح بخطبةِ
الأزمنة تستطيع أن تواكبَها أينما تولّيتَ أن ترَى
إليها تعرجُ وتحدودب ترقص وتغنّي لا تقُلْ إنّها
تتصنّع قل إنّها تومئ طربَ العصر

عند ذلك المنعطف
رأسٌ نزل عن كتفيها
وأخذ يتنبّأ

مِن أحشائه تخرجُ طفولةُ الرّصاص.

الدَّمُ ساعةٌ رمليّةٌ
والرِّياحُ جنائزُ عائمة.

الذّاكرة

٣١١هـ.

كن وزيراً[1]

لِتسقيَ سُمّاً

أو لتشربَ

سُمّاً:

قِسمةٌ شاءَها

مَن يقسِّمُ

رِزْقَ العِبادْ

بِاسْم هذي

البِلادْ.

ـ أ ـ

رَجُلٌ مُوثَقٌ بجِراح تواريخِه.

رجُلٌ يترسَّبُ في قاعِ أوهامِهِ، رجلٌ عائِمٌ

رجلٌ هائِمٌ

يَتخيَّل أنّ الطّريق إلى أرضهِ وإلى بيتهِ

حُفْرَةٌ يتناثَرُ فيها شَظايا.

رجلٌ مِن صحارَى، رجلٌ مِن نَخيلْ

هُوذا الماء يدخل في قبضةِ النّار،

والأرض ترتجلُ المستحيلْ.

* فَرَحُ الشِّعر أَوْجٌ

لِتباريحهِ.

(١) الإشارة إلى حامد بن عبّاس، وزير المقتدر، وقد قتله هذا الأخير بالسمّ في بيضٍ مشويّ. وحامد هو الذي دَبَّر مقتلَ الحلاّج.

الذّاكرة
٣١١هـ.

ما نقولُ لِمن
مَرَّ في
فَلَواتِ التفكُر
في الدِّين والكون،
أو مَن تشكَّكَ
أو مَن مَرَقْ؟
ورَقٌ عاشِقٌ،
رمادٌ
ذهبٌ سائِلٌ
في رماد الوَرقْ:
إنها المحرقَهْ،
تتقلَّب فيها
كُتبُ الزّندقَهْ[1].

- ب -

أعرفُ الآنَ عُرْيَ الطّريدِ الذي يتدثَّر بِالكلماتِ،
أعرفُ الآنَ ليلَ الدّروبِ
التي تتمزّق في ريحها حياتي، -

واضعٌ في كثافةِ هذا الظلامْ
كبدي شمعةً
واضِـعٌ كلماتي طريقاً -
جَسدي مِثلُ عَصْفٍ
والزّمانُ الرّكامْ.

❊ كلّما راح فكري يُسَافر في جرحيَ الأوّلِ،
يتمزّقُ، يصرخُ بِاسْمي: واهاً عليَّ،
وويليَ من جرحيَ المقبلِ.

(١) يُروى أنّه في هذه السنة، «أُحرق بالنار على باب العامّة في بغداد، مئتان وأربعة أعدال (أكياس) من كتب الزّنادقة، سقط منها ذهبٌ كثيرٌ كانت مُحلاَّةً به». والوزير حامد بن عبّاس هو الذي أمرَ بإحراقها.

الذّاكرة

٣١١هـ.

ـ ١ ـ

يا أبا طاهرٍ[1]،

أَتُرى يمكن الدِّين أن

يتقدّمَ كالنّارِ؟ ماذا

تقولُ لماء الجوارح، للحبِّ،

للكلماتِ التي يتفتَّح فيها

الجسَدْ؟

ما ستتركُ لِلضَوءِ في

بَصْرة الظّلماتِ،

وأيّة أنشودةٍ

ستُغَنَّى غداً

لطفولةِ هذا البلَدْ؟

ـ ج ـ

لم أقُلْ مرّةً: كتبتُ وأكتبُ،

حَتَّى يزولَ الشّقاءُ من الأرض.

أكتبُ كي أتواصلَ مع ذلك الذي يتأصَّلُ

فِيَّ، مع الرّيحِ ـ أُمّاً لَهُ، تَتَقلَّبُ عُريانةً،

في سَرير الهبَاءْ،

ولَها اللاّنهايةُ دَرْبٌ.

لم أقُلْ مرّةً:

إنّني أتَناسَلُ في رَحِمِ الأبجديّةِ

إلاَّ لغير الغِناء، وإلاّ لِوجْهِ الغناءْ.

* أَتُراني أسير هبوطاً إلى آخر الجحيمْ؟

أَتَراني رجيمٌ

وأختطُّ للآخرين المسارَ الرَّجيمْ؟

(١) «دخل أبو طاهر الجنابي أمير القرامطة البصرة في ألف وسبعمئة فارس. هربَ أكثر النّاس. ألقوا أنفسهم في الماء. مكث فيها سبعة عشر يوماً، يقتل الرّجال، ويأسر النساء، ويأخذ ما يختار من أموالها».

- د -

أَنْتمي؟ لا لشيءٍ سوى الشِّعر. لا شيءَ
يُؤويكَ. سُكْنى أن تكونَ ضياعاً. وبدءٌ
أن تكونَ الختامَ ومزمارَهُ ونَشيدَهْ.

آهِ ما أبعدَ اليومَ دربَ الذين يريدونَ
أن يسكنوا في القصيدَهْ.

* غابَةٌ ذبحت طيرَها
كي تَرى في دم المذبَحَهْ
كيف يجترُّ رأسُ الطّبيعةِ ذاكرة الأجنحَهْ.

الذّاكرة

٣١١هـ.

- ٢ -

هَرب البَصْريّونَ
وألْقوا، مِن خوفٍ،
أنفسَهم في الماءْ
كَيْ يتآخَوا
مع لَيْل الأشياءْ.

الذّاكرة

٣١١هـ.

ـ ٣ ـ

يا أبا طاهرٍ،

أنتَ من قال للناس:

عندي

زمنٌ آخرٌ كي نعيشَ على الأرضِ،

أو نَسكُنَ السَّماءَ،

فلماذا، إذنْ،

يفعل القرمطيُّ كما

يفعل الخليفة:

يَستعبدُ الرّجالَ،

ويَسبي النّساءَ؟

ـ هـ ـ

سأغنّيكِ، أيَّتُها الصّاعِقَهْ

وأحبُّكِ، إنْ جِئتنِي اليومَ في هذهِ

الظّلماتِ ـ هنا، الآنَ، واشتدَّ

عَصْفُكِ في خُطُواتِي، وعلّمتِها

كيف تخرج منكِ، تُرَدُّ إليكِ،

وتُخلَق في ناركِ الخالِقهْ.

سأعلّم جِسْمي

كيف يَجتاح زَنديْكِ، أيّتها الصّاعقه.

❊ نهضَ الفجرُ قبلي، ولكنْ

عندما راحت الشّمس تُولم أضواءَها

لموائدَ بين يديهِ،

أخذتنيَ في عُرْيها إليهِ.

- و -

فوقَ صَحْنٍ من الضّوءِ، قبلَ الشُّروقِ،
ارتميتُ، وأقسمتُ أنّي
سأزورُ البلادَ التي لَمْ تُزَرْ.
قلتُ للشمس: ما زِلتُ أُبْحِرُ في حوضكِ
النَّيْزَكيِّ،
(كان قلبيَ غاراً ورأسيَ مِن حدسهِ،
في جحيمٍ).

هكذا رحْتُ أَهْذِي
فوق صَحْنٍ من الضّوء، قبل الشّروقِ، وأصغي
لنداءٍ من الغيب يأتي ويذهبُ منها إليَّ.

* قَدَمُ الشَّمسِ تلمس قَنْطرَةَ الياسمين على
البابِ، أسمع بين الزّهور هَسيساً،
وأرَى مُخدَعاً
يتغطّى
بأواخرِ أحلامهِ.

الذّاكرة

٣١١هـ.

- ٤ -

جيشُكَ آخَرُ بين
جيوشٍ
لا تعرف غير القَتْلِ
وغيرَ النّهْبِ:
الرَّأسُ خليَّةُ فَتْكٍ والأفكارُ
بقُولٌ.

الذّاكرة

٣١٢هـ.

- ٥ -

يا أبا طاهرٍ[1]،

هل أَسَرْت الحجيجَ،

نساءَ الحجيج وأبناءهم،

هل تملّكتَ أموالَهم،

ومَلّكتهم لِلضَّيَاعْ،

كي تُعمّرَ قَفْراً،

أو لكي تُطعمَ الجياعْ؟

- ز -

أتخيَّل أَنّي صَنعت مِن الضّوء مُهْراً،

ويَمَّمتُ وَجْهيَ شَطْرَ المدينةِ -

تلك التي لا نراها،

(قُلِ السِّرُّ تاريخُها والهُيامُ).

أتخيَّلُ أَنّي سِرتُ إليها

وليس أمامي طريقٌ.

أتخيَّلُ: أصهرُ ما كانَ في ما يكونُ،

وقل مَعدني حروفٌ

وقل أرضيَ الكلامُ.

* بلَدٌ مُقْفَلُ

جسمُهُ ذابِلٌ مقيمٌ

وشرايينُه تَرْحلُ.

(١) في هذه السنة «قتلَ أبو طاهر القرمطيّ خلْقاً كثيراً من الحجيج، وأسرَ مِن نسائهم وأبنائهم مَن اختاره، واصطفى مِن أموالهم ما أراد، وتركهم في الفيافي بلا ماءٍ ولا زادٍ ولا مَحْمل».

الذّاكرة

٣١٢هـ.

- قِي قِياقُو!

آهِ مِن زَنْدقَاتِ[1]

الذين ينامونَ مثلَ

الذّئابِ،

ويستيقظون كمثلِ

النّعاجْ،

يقرأون الكتابَ الكريمَ

بِحَرْف الدَّجاجْ!

- ح -

أفحصُ وجهيَ في مرآتي

(مِرآتيَ ماءٌ)

وأرَى كيف يسيل العمرُ، وكيف يذوبُ،

ويُمزَجُ في مَوْج الأيّامْ

وأقول لِجَفْرِ تجاعيدي:

قُلْ لي -

أهناكَ مكانٌ في عينيَّ

لِغير سرابي؟

أَهُناكَ مكانٌ لِلأحلامْ؟

* لا أحبُّ الوصولَ إلى قاع يأسي،

لا هروباً، ولكن

لا أعودُ أرى في الوجود المحيطِ،

وما يتبطَّنُ

أحوالَهُ،

غيرَ نَفْسي.

(١) في هذه السنة، ضُربت كما يُروى «رقابُ ثلاثةٍ من أصحاب الحلاَّج، وصُلبوا».

وكان يُقال عنهم: «قي قياقو! قِي قياقين! زنادقة يقرأون القرآن بحرف الدّجاج!».

٣١٣هـ.

يا أبا طاهرِ[1]،
هل تنوّرتَ في
الكوفةِ، اليوم، أحزانَها؟
ولماذا إذن عِشْتَ فيها ـ
اعتقلْتَ خُطاهَا
ومَزّقْتَ أردانَها؟

ـ ط ـ

وَطَنٌ؟ هل أسمّيه؟ يأتي الشّعاعُ
إليهِ.
وفي عُنْقهِ صَخْرةٌ.
وتجيء القصائِدُ مَخْنوقةً.

قِطَعٌ من حياتي
تَتناثر في كلّ دَرْبٍ،
أَتُراها تمثّل حالَ الوطَنْ؟

أَتُراها ستغدو ثقوباً
في رداء الزّمَنْ؟

* ذابِلٌ ليلُ هذا الخريفِ على النّيلِ،
والرّوح صَفراءُ لا تتحرّكُ، لا تنبسُ.
آهِ من أين صَبْرُكَ، يا أيُّها اللُّوتَسُ؟

(١) في هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطيّ «إلى الكوفة. أقامَ فيها شهراً، يأخذ من نسائِها وأموالها ما يختار».

الذّاكرة

٣١٥هـ.

يا أبا طاهرٍ،

أَسْرُكَ الجُنْدَ[١] شيءٌ

وقتلُكَ إياهُمْ، آخَرٌ.

أنتَ مِن طينة الخليفَهْ

سارِقٌ بيتَه في خفاءٍ

آكِلٌ في خفَاءٍ رغيفَهْ.

كلّ ما قُلتَهُ صحيحٌ

أو يكادُ. ولكنْ

ما علاقة ما قُلتَه

بما تَفعل؟

أنتَ، مثل الخليفةِ:

ماضٍ كغيركَ،

والضّوءُ والحقُّ

مُستقبَلُ.

- ي -

لا تَلُمْهُ، إذا كان جَدَّفَ، ـ

صَلَّى لأهوائهِ،

حاضِناً في تجاديفهِ

حلماً أو رجَاءْ.

لا يُجدّف إلاّ

من يُحبّ السَّماءْ.

* لا طريقٌ

إذا لم يكن نفيُها

طريقاً إلى غَيْرِها.

(١) في هذه السنة، «أسرَ القرامطة يوسف بن أبي السّاج أمير الجيش، ثمَّ قتلوه، وقتلوا خلْقاً كثيراً من جنده».

ـ ك ـ

إنّها المائدهْ، ـ

(الكلامُ حرائِقُ، والرّوح عجفاءُ،

والرّأسُ في غَيْهبٍ).

حولَها يجلسُ الغابرُ

حولها يجلسُ الحاضِرُ،

ونَرى جذرَنا والفروعَ وأغصانَها،

ونَرى الشيخَ والطِّفلَ في صورةٍ واحِدَهْ، ـ

إنها المائدهْ.

* عقله مُخطئٌ

وكرسيُّهُ مُصيبٌ:

البلادُ انحناءٌ لَهُ،

ولدولابهِ.

الذّاكرة

٣١٦هـ.

ـ ١ ـ

خَرّبَ المُوصِلا[١]

والمدائنَ من حولِها

ناهِباً سالباً قاتلاً.

ـ ٢ ـ

راحَ يدعو لمهديّهِ:

إنه الشّرقُ يدعو إلى

غَرْبهِ،

البَشائرُ خضراءُ،

والنَّاسُ يأتونَ

فوجاً ففوجاً إلى

حِزْبهِ.

(١) في هذه السّنة، «عاث أبو طاهر القرمطيّ فساداً في الأرض. حاصرَ الرّحبة. دخلَها قهراً وقتلَ من أهلها خلْقاً. خرّب الموصل وسنجار. قتلَ وسلبَ ونهبَ. دعا إلى المهديّ في المهديّة ببلاد المغرب. تَفاقمَ أمرُهُ وكثر أتباعه».

- ل -

نَخلةٌ حَضَنَتنِيَ، كان المغيبْ
يَنْحني فوقَ سُلَّم إيقاعهِ.
وجَلستُ أُسَامِرُ أغصانَها
في ضياءِ هلالِ
وَشّحته غيومٌ لم تُفارق تَقاسيمَهُ.
وأخذتُ أقصّ عليها
بلداً ليس فيهِ
مَن يُسائلُ أو مَنْ يُجيبْ.

هَل كلامي عَصيٌّ على الفَهْمِ،
هل من سؤالِ
أيُّهذا الهلالُ الغريبْ؟

* مَا الَّذي يتغيَّر فيَّ؟ تُراني
لم أعد أعشقُ الشَّيءَ، بل وَهْمَهُ؟
ناشِراً هكذا شِراعَ رحيلي
في محيطاتِ ظَنّي.

الذّاكرة
٣١٦هـ.

مُؤْنِسُ الخادِمُ(١)
عائِدٌ، رافعاً نَصرَهُ
بيرقاً عالياً،
ويُصفَقُ للنَّصر
جاهِلُ بغدادَ والعالِمُ.
يتقدَّم - أَسْرَاهُ
كُثُرٌ
نَكَسوا كلَّ أعلامهم،
كاتبينَ عليها:
«ونُريد أن نمنَّ على الذين استُضعِفوا في الأرض».

(١) في هذه السنة «انكسر القرامطة. هزمهم مؤنس الخادم. أسرَ طائفةً كبيرةً من أشرافهم. دخل بهم مدينة السَّلام وأعلامهم منكَّسة كُتبَ عليها: ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض».

الذّاكرة

٣١٧هـ.

ـ أَلـمُـرادُ: الـجـلـوسُ عـلـى العَرْشِ[1].

ـ كلاًّ، المُراد الشَّفَاعَةُ.

حربٌ

بين رأيين ـ فِقْهيْنِ.

قَتْلى.

إِنّها آفة الفِقْهِ:

يجعل مِن كل حَرْفٍ

في الشريعةِ

سَيْفاً

وسِجناً.

- م -

عَلِّمينا هَواكِ، خُذينا لأحضانكِ الحانيهْ

أنتِ، يا هذه الهاويَهْ.

ينبغي أن نسائلَ معناكِ

عن طينةٍ ثانيهْ،

كي نردَّ إلى الأرض أزهارَها

وأشجارَها

وينابيعَها،

ونردَّ إلى النَّاسِ أشكالَهُمْ.

❋ الإنسانُ كلامٌ

خيرٌ أن يتناثرَ تِيهاً

في دَفْترِ حبٍّ.

(١) الإشارة إلى فتنةٍ وقعت في بغداد بين طائفةٍ من العامّة، وأصحاب أبي بكر المروذيّ الحنبليّ، لاختلافهم في تفسير الآية: «عسى يبعثك ربُّكَ مقاماً محموداً».

وقِيل: «مات في هذه الفتنة خلْقٌ كثير».

ـ ن ـ

إنْ أتَى، يا ينابيعَ حبّي

مَنْ يُسائلُ عنّيَ، قولي:

مَرَّ مِن ها هُنَا

لم يَبُحْ بِاسْمِهِ،

ولم يتوقَّفْ.

عَالَمي؟

إنه خُطواتي

نَحْوَ ما لا أرى كيف يأتي،

ولا أينَ يَمْضي.

* ليس في العقل سِرٌّ

إذا لم يكن نشوةً.

الذّاكرة

٣١٧هـ.

ـ «اقتلوا[1] ذلك المسمَّى

أميراً،

حرِّروا مكّةَ

مِن خُرافاتهِ.

اقتلوا أهلهُ،

واقتلوا جندهُ ـ

اهدموا الكعبةَ:

الطّيورُ الأبابيلُ

آوت لأعشاشِها،

وحجارةُ سِجّيلَ

رَمْلٌ.

«أنا لِلّه، وباللّه أنَا

يخلق الخلقَ

وأفنيهم أنَا».

(١) الكلام للقرمطيّ الجنابيّ، مشيراً إلى الحُجَّاج. والبيت الأخير يُنسَب إليه.

- س -

لِتَجِئْ كلُّ تلك البراكينِ، مِن أوّل الأرضِ،

مِن آخرِ الأَرْضِ، وَلْتَتَفَجَّرْ

فوقَنا،

فوق سُلْطانِنا والعروشِ التي

تَتناسَلُ فيهِ،

تتناسَلُ مِنهُ.

ما الذي تخسَرُ الأَرَضُ

إنْ لَفظَتْ قَيحَها؟

* قَدمُ الضّوءِ تَسخَرُ من كلّ قَيْدٍ،
ومِن كلّ حدٍّ.

الذّاكرة

٣١٨هـ.

- ١ -

بعد أَنْ عَزلوهُ[١]

أَحْرقوا دارَهُ:

تكتبُ النّارُ ما يَعْجزُ

الحِبْرُ عنهُ،

فلَها حِبْرُها

ولها خَطُّها

ولهَا ورَقٌ تتقلَّبُ

فيه البلادُ

بين عَزْفِ الرِّياحِ

وأنشوة الرّمادْ.

(١) الإشارة إلى الخطّاط المشهور عليّ بن مقلة، وكان وزيراً للمقتدر. مات ابن مقلة سنة ٣٢٨هـ في السّجن، بعد أن قُطعت يده اليُمنى، وقُطع لسانَهُ.

الذّاكرة

٣١٨هـ.

- ٢ -

قطعوا يَدهُ واللّسانَ[١]:

لماذا الكتابَةُ، ما

شأنُها؟ وَلِمَ الخَطُّ

والنُّطقُ؟ يَهربُ

في زِيّ مُكْدِ

أو بزيّ امْرأَةْ -

وإلى أين؟

يُطرَحُ في السِّجْن.

للموتِ. لا نطْقَ:

ألفاظُهُ تمتماتٌ

وإعرابهُ مَومأهْ.

- ع -

أتقدّمُ في ظُلماتِ المعنى

في عيد المَوْجِ، وأرسمُ دون حدودِ

شُطآنَ المعنى.

أَتطوّحُ في هاوية المعنى

طفلاً يلهو

ويُدَحرجُ مِلْءَ هَواهُ

كُرةَ المَعْنى.

* لا اكتشافٌ ولا ذُرواتٌ

دونَ رَفْضٍ وهَدْمٍ.

(١) الإشارة إلى ابن مقلة.

وقد سُئِل عبد اللّه بن الزنجيّ الكاتب:

- ما تقول في خط ابن مقلة؟

قال:

- «ذاكَ نبيٌّ فيه. أُفرغ الخطُّ في يده، كما أوحيَ إلى النَّحل في تسديد بيوته».

- ف -

لِمَ لَمْ يفهموني؟
لا أُطالب بالمُلكِ. مُلْكي
أن أردَّ إلى الأرضِ فِطْرةَ إبداعِها -
الأرضُ بيتٌ
ليس فيه عبيدٌ ولا سَادَةٌ،
ومُلْكي
أَنْ أسائلَ نفسي:
مَنْ أنا؟ ولماذا؟
سُمِّيَ المتنبيّ شَبَحٌ فِيَّ؟ شَمْسٌ
لا تُصدّق حتى قَناديلَها.

لِمَ لَمْ يَفْهموني؟

---

* زهرةٌ
تشربُ الخمرَ مِن جَوْفِ نَجْمٍ.

الذّاكرة

٣١٩هـ.

- ١ -

مُؤنِسٌ[1] يتولّى
شؤونَ الحجيجِ،
يَسيرُ إلى مكّةٍ
في كثيفٍ من الجيش.
خوفاً أن يَصيدَهُم
القِرْمطيُّ
نَهجوا في المسِيرة
نَهجاً خَفيٌّ
في شِعابٍ وأوديةٍ
لم يزرْها
أحدٌ قبلَهم.

(١) خادم الخليفة المقتدر.

- ص -

وردةٌ تتنهَّدُ، كفَّاي طَلٌّ
يتقطَّر مِنْها.
تتنهَّدُ: آهاتُها
أَرَجٌ صاعِدٌ.
تتنهَّدُ - فيها
يتكثَّفُ صيفُ الحياةِ الخريفُ الشّتاءُ
الرَّبيعُ، ويجنح كلٌّ إلى حلمهِ،
وإلى بيتهِ.
وردةٌ تتنهَّد، ليتَ السَّماءُ
تنحني كي تلامسَ هذا البَهاءُ.

---

* آهِ، لو شعلةٌ مِن شُواظِ التمرُّدِ.
لو شعلةٌ واحِدَهْ
تتوهَّجُ في هذه الأبديّةِ، في أرضنا البارِدَهْ.

٣١٩هـ.

- ٢ -

فَاجأَتْ مؤنِساً
عجائبُ، قالوا
لم يروا مثلَها:
عِظامٌ ضخمةٌ لذكورٍ
وإناثٍ، جميعاً
مُسِخوا في حجارَهْ
لا تُطيق العبارَةُ
وَصْفاً لأحوالهم،
ولا تصدُق العبارَهْ.

الذّاكرة

٣١٩هـ.

- ٣ -

حملوا ما استطاعوا
وجاؤوا بهِ للخليفة
كي لا يكذّب ما
شَاهَدوهُ،
وقالوا:
إنّهم قَومُ عادِ
أو شُعَيْبٍ،
وقالوا:
ربّما من ثَمُودٍ.

- ق -

إنّها وَحْدتي -
لا لأنّيَ شَيَّخْتُ تزدادُ عمقاً.
لا لخسرانِ ما كنتُ راهنْتُ أنّي
سأرفع راياتهِ.

لا لحلمي - أَسيراً
لوقائعَ من كلّ طينٍ.

وَحْدتي أَنّيَ المبعثَرُ في هذه الفَلاةِ
التي سُمّيت حياةً.

* ألغيومُ
تقصُّ
على ماءِ عينيَّ صَحْراءَها.

الذّاكرة

٣٢٠هـ.

ـ ١ ـ

جاءَهُ[1] مُؤنِسٌ

وبقيّةُ غِلمانهِ.

أخرجوه، أخرجوا أُمَّهُ

وأولادَهُ،

وقالوا: سنُبايِعُ

مِن بعده أخَاهُ.

فَشلوا،

جاءَ أعوانُه

وأعَادُوا لَهُ عَرشَهُ.

ـ ر ـ

رُبَّما كنتُ في حاجةٍ

لِأُقدِّمَ قُرْبَانَ تَقْوى

لِسلطانِنا، ولكن

أَتُراهُ سيَرْضَى ويَعفُو،

إن ضَعفْتُ، وتُبْتُ، وأعطيتُه طاعتي

وذبحتُ خروفاً لَهُ؟

سأقولُ لِرْفضي

أن يُفكِّر في أَمْرِهِ.

* أخذَ اللَّيلُ آخرَ ما يعرف الفجرُ عَنّي،

مَن أنا الآنَ؟

لا الفجرُ بيتي، ولا اللَّيلُ مِنّي.

(١) الإشارة إلى الخليفة المقتدر.

الذّاكرة

٣٢٠هـ.

ـ ٢ ـ

فقهاءٌ يرفعون المصاحفَ

والنّاسُ من حوله.

قالَ: مَنْ جاءني برأسٍ

فله خَمسةٌ[١].

ومَنْ جاءني بِأسيرٍ،

فَلهُ عَشْرةٌ.

ـ ش ـ

قلتُ، فيما أُسائِلُ نفسي، تُرَى

هل تكونُ ليَ القاهِره

أُفُقاً آخراً، وهوىً آخراً ـ

ونسيت الرّياحْ.

ربّما ينبغي الآنَ في هذه اللَّحظة الماكِرَهْ

كي أُجيبَ،

وكي أَسْتجيبَ لِظنّيَ، أن أسألَ الجِراحْ.

* لا أرَى النُّور بيتاً،

أراهُ رحيلاً.

(١) خمسة دنانير، والكلام للخليفة المقتدر، يخاطب أنصاره مشجّعاً إياهم على قتل خصومه، وقطع رؤوسهم، ووضعها بين يديه.

- ت -

أَقرأُ النّيلَ، فيما يَنامُ

على ساعدِ السَّماءِ، وأسألُ:

ما أنتِ يا هذه السَّماءُ

وماذا يُؤالِفُ ما بينَنا؟

ولماذا،

عندما أتنوّرُ مَسْراكِ

يَسْودُّ وجهُ الفضاءِ؟

* زمَنٌ يأخذ الأرضَ من عُنْقِها
يتقدّم في جُثَّةٍ
ويُحبُّ التنكُّرَ في شَكْلِ جِنٍّ.

الذّاكرة

٣٢٠هـ.

- ٣ -

حشدُ جندٍ يقودهُم

مؤنِسٌ.

هجموا، طوّقوهُ:

- أأنَا، ويلكم؟

- أنتَ إبليسُ،

فاسجدْ.

ذبَحوهُ،

قطعوا رأسَهُ،

رفعوهُ فوق الرؤوسِ،
ابتهاجاً.

- ث -

منذ أن سَكنَ الحبُّ قَلبيَ،
لم يُنْزِلِ اللَّيلُ
عن كتفيَّ
حقائبَ أَسْفارهِ.

أَلهذا،
نهضَ النِّيلُ كي يَشْرَبَ، اليومَ،
عنديَ شَايَ الصَّباحِ،
بلا مَوْعدٍ؟

* إنه الضّوء يجهلُ أَسرارَ ليلي،
وأنا عاشِقٌ جَهْلَهُ.

٣٢١هـ.

- ١ -

- «طيِّنُوا الحائطَيْن عليهِ[١]»،
وهو حَيٌّ، ولكن
أَكْثِروا الكِلْسَ.
هَيّا، واذبحوا ابْنَ
بُليْقٍ»[٢].

ذَبحوهُ،
وضعوا رأسه
فوق طَسْتٍ
أمام أبيهِ[٣].

(١) الإشارة إلى ابن المكتفي.
(٢) عليّ بن بُليْق.
(٣) بُليْق. وكان القاهر باللّه هو الخليفة آنذاك، أبطلَ الخمر والغناء، «ونفى المخانيث وكسر آلاتِ اللّهو. وكان مع ذلك لا يصحو من السُّكْر، ولا يفتر عن سماع الغناء».

- خ -

عتَبَاتُ الأزقّةِ في حيِّنا
حجَرٌ من حنينٍ
حجَرٌ من بُكَاءٍ،
والنَّوافِذُ منقوشَةٌ بالغضَبْ.

آهِ، مِن أين تأتي لوجهي
إلى أين تمضي بقلبي،
يا رسولَ التَّعَبْ؟

---

* زمنٌ عنكبوتٌ
يلمُّ الخيوطَ من الشُّعراءِ،
وينسج للأرضِ قُمصانَها.

الذّاكرة

٣٢١هـ.

- ٢ -

حين قَبَّل رأسَ
ابنهِ،
باكياً،
ذَبحوهُ[1].

- ٣ -

أخذوا مُؤْنِساً
وضَمّوا لرأسيهما
رأسَهُ.

(١) الإشارة إلى بُليْق.

- ذ -

عند خُوفُو، قُبيلَ التقاءِ النُّجومِ
بأحبابِها، أَمْسِ،
أَحْسَسْتُ أنّ السَّماءَ سَتُوقِـعُ
فِيَّ،
وَخُيِّلَ أنّ النّجومَ كَمثلِ الشِّبَاكْ.

صِرْتُ أرنو إلى النُّور يَلْتَفُّ
حَوْلَيَ خيطاً فخيطاً،
وألمسُ في كلِّ خَيْطٍ ملاَكْ.

❊ إنه الحبُّ يمشطُ رأسَ الفضاءِ،
ويُجْلس تاريخَ يأسيَ في حضْنهِ.

الذّاكرة
١٣٢١هـ.

- ٤ -

طوّفوا بالرؤوسِ
الثّلاثةِ،
مُستبشرينَ:
«الصَّلاةُ على الأنبياء
وأصحابهِمْ،
والسَّلامْ
إنّ هذا جزاءُ
لمن ينقض العهدَ،
أو من يخونُ الإمامْ».

الذّاكرة

٣٢١هـ.

ها هُوَ الحجَرُ

الأسودُ ـ اقتلَعوهُ[١]،

وساروا إلى دار

هِجرتهم في هَجَرْ.

أربعونَ بعيراً

في الطّريقِ تنوءُ

وتهلك مِن ثِقْلهِ.

بعد عشرين عاماً،

عندما أرجعوهُ،

سَمُنَتْ ناقةٌ

حملتْه،

وتغيّر شَكْلُ القَمَرْ!

(١) في الأخبار أنّ القرمطيّ «لمّا أخذ الحجر الأسود، هلَك تحته أربعون جملاً، من مكّة إلى هجَر.

ولمّا أعيد، بعد عشرين سنة، حُمِلَ على قَعُودٍ هَزيلٍ، فَسَمُن!».

ـ ض ـ

لا أُواجِهُ دَهريَ إلاَّ

هازِئاً مِن بقاءٍ

كمثل الرَّحيلِ، وأعني

هازِئاً من رحيلٍ

كمثل البقاءْ.

مازجا صَخْرتي بالهواءِ

وقَهْقَهتي بالبُكاءْ.

* لِلسَّماء التي أتحرَّكُ في ظِلّها

كَتِفا نَاقةٍ.

- ظ -

فَرَّ قلبيَ منّي

لِيخفقَ في غير جسميَ، لمّا

هَبطْتُ إليها،

وأوغلتُ فيها،

وأوغلَ في كَبِدي سِرُّها.

آهِ، ماذا أسمّي بلاداً

لم تَعُدْ تنتمي إليَّ،

ولا أرضَ لي غيرُها.

* ليس هذا الضجيجُ هديراً
لعـواصفَ، أو ثـورةً لـموجٍ.
إنّ هذا الضّجيجَ حَفِيفٌ لخَمائلِ أفكارهِ.

الذّاكرة

٣٢٢هـ.

- ١ -

إبْن بُويْهِ[1] يأخذُ

فارسَ، هذا بدءٌ

لِسيادة آلِ بُويْهِ.

صُعلوكٌ يعرف كيف

يَسُوسُ الدّنيا.

- ٢ -

كان بويهُ[2] صُعلوكاً،

فَرأى في النَّوم كأنَّ

عموداً من نارٍ

يخرج منهُ.

ورآه تشعّبَ حتّى

مَلأَ الدُّنيا.

(١) عليّ بن بويه.

(٢) قال الإمام السيوطي («تاريخ الخلفاء»):

١ - «كان بويه فقيراً صعلوكاً يصيد السَّمك رأى كأنَّه بال، فخرج مِن ذكرهِ عمودُ نارٍ ثم تشعّب العمودُ حتَّى ملأ الدّنيا. فَفُسّرت الرُّؤيا أنَّ أولاده يملكون الدّنيا».

٢ - وقال الإمام السيوطي عن عليّ بن بويه:

«قلّ ما عنده من المال، فنام على ظهره، فخرجت حيّة من سقف المجلس، فأمرَ بنقْضه فخرجت صناديقُ ملأى ذهباً».

الذّاكرة

٣٢٢هـ.

ـ ٣ ـ

قالوا في تفسير الرُّؤيا:

«سيكونُ لآلِ بُويْهِ

سُلْطانٌ

وسيملأ هذا السُّلطانُ

الدّنيا».

ـ ٤ ـ

بين السَّيفِ وفِقْه الرّؤيا،

يتدفّق ماءُ العرشْ،

وطريقُكَ: إمَّا هذا الكرسيُّ،
وإمّا هذا النَّعْشْ!

ـ غ ـ

كلَّ ليلٍ، أحاولُ أن أتقرّى

طُرقاتٍ، منائِرَ، دُوراً،

زوايا

لأرى كي تُولَدُ أشواقُها

ونيرانُها.

لا أشيرُ إلى فتنةٍ

أو إلى ثورةٍ

أو إلى شهوةٍ عابره،

بل أُشِيرُ إلى القاهِرهْ.

❊ أيُّها الطيّبُ الجدولُ،

لا طريقي طريقكَ، والماءُ ـ هيهاتِ

أن يرويَ الرَّملَ، والعابرونَ

هوىً آكِلٌ وهوىً يُؤكَلُ.

٣ ـ وقال الإمام السّيوطي: «ركب يوماً فساخت قوائم فرسه، فحفروا فوجدوا كنزاً».

استولى على بلاد فارس، وخرجت خُراسان وفارس عن حكم الخلافة.

هوامش

(يوميّات المتنبّي)



IV. فلك

١ ـ إمكان

أتخيَّل بغدادَ، لكنّني أُحيّي
حلباً، وأحيّي
كوفةَ الثائرين ـ الأزِقّةُ مَحْشوَّةٌ
بالبكاءِ وبالموتِ، رأسٌ

يتدحرجُ. صدرٌ
ثَقَبَتْهُ الرِّماحُ. دماءٌ
تتحوّلُ غَزْلاً، وتُنْسَجُ للأفْقِ منها ثيابٌ.

هل ستُصبح، يا أيُّها الأفقُ، بُوقاً
أم ستُصبح مرثيَّةً؟

يمكن الفكر أن يُطفئ الآنَ مصباحَهُ
كي يسيرَ على هَدْي تاريخهِ.

يمكن الآنَ أن تتحوّل شمسُ الغروبِ إلى بُومةٍ.

٢ ـ غَزْو

كنتُ أَصغيتُ يوماً لِصمت الفلَكْ
مُوحِشاً، فاتِناً.
قلتُ للجسم: آنَ الأوانُ لتعلوَ كالطّيْرِ،
تُصغي لِآهِ الملائكِ في خِدْرها.

فجأةً، يخرقُ الصّمتَ صوتٌ
يُوَشْوِشُ: لَبّيْكَ،
ها أنتَ في مُخدَعي، هَيْتَ لَكْ.

هكذا رُحتَ تَغْزُو الفلَكْ!

٣ ـ أسئلة

هي ذي تَعبسُ، تَسْتَلْقي، وفي أَهْدابِها
شَزَرٌ أعمى. لماذا
كيف تُغويك، وتَسْتَنْفِرُ أحشاءكَ هذي الأنجمُ؟
ولماذا
تَنْفرُ الخاصرةُ البيضاءُ في حِسّك؟ والشَّعْرُ ـ لماذا
شَعرُها يَحجب عينيكَ، ويَسْترسلُ زهواً؟

ربّما في ذلك المصباحِ، في مِشْكاتِهِ
بين أوراقكَ، في دفتركَ الطّائرِ من حِبْرٍ لِحبْرٍ
أُفقٌ آخَرُ ـ فيهِ
يكشفُ المجهولُ عن أَبعادهِ
وَيُضيىءُ المظلِمُ.

٤ ـ دعوة

نَثَرت بغدادَ في كلِّ مكانٍ
وبنت تاريخَها
كَلماتٌ ودماءٌ ـ
أَفلَنْ تَفْصلَ بغدادُ هواهَا
عَن تقاليد خُطاها؟

أفلن يعلوَ صوتُ اللّه في ثورة مَسْروقٍ
على سارقهِ،
بدلاً من مِئْذنَهْ؟

أُضْمِرُ الآنَ هوىً حرّاً وأَدعو
ذلك الشّاعرَ في عزلتهِ،
أَنْ يُعْلِنَهْ.

٥ ـ الغصن

فقراءُ: رَمْلُ هذي الأَرْضِ مسكوبٌ على أَهْدابهم،
وَمجَرّاتٌ مِن القَشّ تؤاسي زَرْعهم.

كلُّهم يَمْضي ويأتي
حامِلاً تابوتَهُ،
موغلاً في غابة اليأسِ.
يعيشون حيارَى
بين سلطانٍ يُعمِّيهم، ودينٍ
يقتلُ الرّغبةَ في أجسادهم.

غُصُنُ الحُلْم على أهدابهم مُنْكَسِرٌ.

٦ ـ عَرّافة

لا تَقُلْ لِلنُّجومْ
أنتِ نورٌ. ضياءُ المجَرّاتِ مِن أدمع الشَّمسِ ـ
هَذي التي
تغسل الآنَ في جُرْنِها
راحتيها
من دماء الذين يُساقون للذَّبح في ضوئِها.

قُلْ لتلكَ النّجومْ
لستِ إلاَّ تراباً
لستِ إلاَّ صدىً.

وَاصْطحِبْ في مسيركَ نَحو المجاهيلِ
عَرّافةَ الغيومْ.

٧ ـ عجباً!

عجباً! أَلخليفةُ يُصبح في ليل بغدادَ في شمس بغدادَ،
هِرّاً.
عجباً! شعراءٌ
يَسْهرونَ عليهِ، سُكارَى بهِ.
عجباً! كلُّ رأسٍ وِسادٌ لَهُ.
عجباً! في الأزقّة، في كلِّ بيتٍ مُواءٌ
لِلتّعاطُفِ مع ذَيْلهِ.

عجباً! رأسُهُ
يتحوّلُ في كلّ رأسٍ كتاباً
لِأساطيرَ من كلّ إِفْكٍ.

عجباً! لا مَكانٌ
لِغير اسْمهِ،
ولغير تعاليمِهِ.

٨ ـ قراءة

للمكانِ، كما رسمَتْهُ أساطيرُ هذا الزّمانِ، نيوبٌ.
وَلَهُ آلَةٌ تَقْرأُ الطّينَ. هذي
يَرَقاتٌ مِن الشَّحْم والرَّمْل يَنْثُرْنَ
ألآءَهُنَّ على خَصْرِهِ.

أَضَعُ الآنَ صَحْناً،
أضع الآن في الصَّحْنِ رأساً، وأسألُ:
أينَ المَلاكُ الذي يَتَجرَّأُ
أن يقرأَ اللّهَ في طينهِ؟

٩ ـ حُلْم

أسألُ الماءَ متى يطفو عليهِ
وجهُ تاريخي، وأَسْترسلُ في اسْتِفْسارهِ
عَن هَوى آدمَ: هل يَهْفُو لطوفانٍ جديدٍ؟

وَعَنِ الفُلْكِ الذي يَصنعه الشِّعرُ،
لِينجو مِثْلَ نُوحٍ.

شُرَطيٌّ زاحِفٌ خَلفي. أغنّي
زاحفاً خلفَ صباباتي،
على الضّفّةِ، مِثْلَهْ.

كنتُ سكرانَ على ضِفّة دِجْلَهْ.

١٠ ـ أسطورة

أَلجميلةُ تَسْتيقظُ الآنَ في دِجْلةٍ.

أَلجميلةُ عرشٌ على الماءِ يَمْضي إلى سِرّهِ.
أَلجميلةُ تَستودع الحُبَّ أشلاءَها
وأسرارَها.
أَلجميلةُ مالَتْ على خَصرها
كي تودّعَ في الماءِ مِرآتَها.

أَلجميلةُ تُولَدُ من أَوَّلٍ
في طفولةِ أيّامِها
في هوَى الرّافدَينْ
في الهواء وما بَيْنَ بينْ!

أَلجميلةُ ـ آهاً،
أَتُراني أُحدِّث نفسيَ عن خَوْلةٍ؟

V

فاصلة استباق

أمسِ جَدّتك الأبجديّة   الرّمل جدُّك الآن

ولكَ حيض الصّحراء

لماذا تنكر أحوالك   وتولول بِاسْم اللَّه   كمن يتسلَّق

جذعَ نارٍ   أو يسبح تحت ذيل الحبّار   لا أثَرَ

الأثرُ كلُّه لوقتٍ يجري جريانَ سائلٍ كأنّه مَنِيُّ أتانٍ

حُبلى

أين جسر الجحيم لِنَتّكئ ونعبر؟

جيم:

ما أقسى،

لكن ما أكبر أن تحبَّ الكلَّ،

وَألاّ يُحبَّك أحد.

عين:

جرثومة فضائيّة تبتكر حُمّى الشِّعر.

ألف:

محيطٌ يلتهم شواطئه.

ميم:

فراشةٌ تحاول عبثاً أن تحمل وردةً ذابلة.

عصركَ دونَ خطواتهم ضَوءٌ لكنَّه حُباحِب

ذهبيٌّ لكنه ذبابٌ

لا بُدّ

لا بُدّ

تأخذ الفراغَ بيتاً وتستكمل السُّقوط

تَرى حشراتٍ لها أنوفُ الكواكب

تَرى التّرابَ يَترضْرضُ ويتبجَّس دماً

تَرى جدراناً تلتهم البشرَ

تَرى إلى الكلام يتدفَّق جُثثاً من الحناجر.

الذّاكرة

٣٢٢هـ.

سُمِلَت عيناهُ[1]. وقالُوا:

سالت عيناهُ

على خَدَّيهِ!

ما أصغرَها ـ بغداد

اليوم،

تروحُ وتأتي

مِثلَ الدُّميةِ فوقَ يَدْيِهِ!

ـ أ ـ

هُوذَا النِّيلُ: تاريخُهُ ومِعراجُهُ

شغَفٌ واحِدٌ

وحدةَ الجَفْنِ والجَفْنِ في مُقْلَةٍ.

هُوذَا النِّيل، هذا سريرُ الفتوحاتِ

هذي صَباباتُهُ.

وأظنُّ: الزّهورُ التي تَتخاصَرُ في الظلّ،

تقرأُ لِلتُّرْبةِ المثقلَهْ

بِفُصولِ مواعيدهِ،

مَوْسِمَ النَّشوة المقبلهْ.

* مركبٌ عاشِقٌ

رسمَ الحُلْمُ شطآنَهُ:

حبُّه، في الطّريقِ إلى بيتهِ، خانَهُ.

(١) الإشارة إلى الخليفة القاهر.

الذّاكرة

٣٢٢هـ.

ـ ١ ـ

ضُرِب الشّلمغاني[1]

ثمانين سَوْطاً،

بعد هذا

ضُرِبت عُنُقُهُ.

ـ ٢ ـ

أيّها الثَّائِرُ

يسألُ الفكرُ فيكَ،

ويَسْتَفْسِرُ الشّاعِرُ:

حَلَقَتْ شَعرَها السَّماءُ

ما الذي ستقولُ لها

الأرضُ، هذا المساءُ؟

ـ ب ـ

كَبِدُ النّيلِ في خَلْوةٍ

مع دفاترِ بَرديّهِ.

أتأمَّلُ في زَهْرةٍ لُوتَسٍ

تَسْتحِمُّ،

وها هِيَ، في خِفْيَةٍ،

تُجَفِّفُ منديلَها.

عُنُقُهَا مائِلٌ إليَّ، تُراها

تتساءَلُ: مَنْ ذلك الغريبُ

الذي لا يزال الرَّحيلُ فراشاً لَهُ؟

* سوفَ يأتي زمانٌ، يقول ليَ النّيلُ،

يأتي زمانٌ

يتحوّل فيه المكانُ إلى دَرَجاتٍ

لصعودِ المحبّين صوبَ أَقاصِيهمُ.

(١) ذُكر سابقاً في «الكتاب».

وهو محمد بن علي، أبو جعفر الشلمغاني. ادّعى أن اللاّهوت حلّ فيه، ويقول: «إن اللّه يحلّ في كل إنسانٍ على قَدْره».

أفتى علماء بغداد بإباحة دمه. فقتله الخليفة الرّاضي باللّه، وأحرق جثته.

يُعرف بابن أبي العُزاقر، وإليه تُنسب الفرقة «العُزاقرية».

الذّاكرة

٣٢٣هـ.

ـ ١ ـ

قُتِلَ الدّيلميُّ[١]

الذي كان يزعمُ:

روحُ سُليمانَ فيه،

وسُليمانُ ثَوْبٌ لَهُ.

ـ ٢ ـ

تخرج الرُّوحُ من جسمِها،

وتدخلُ في آخَرِ:

لِمَ هذا التنقّلُ، هذا السَّفَرْ

أيّها الرّوحُ، في ما

تَدمِّينَهُ وتُهينينَهُ

وتقولينَ عنه

إنَّه موطِنٌ لِظلامِ البَشَرْ؟

- ج -

تهبط الشَّمسُ، هذا الصّباحَ، على النّيلِ

فَلاّحةً،

يتغنّى بِأهدابِها وبأَردافها

زهَرٌ أحمرٌ أبيضٌ،

لا يُجَمْجِمُ، لا يكتمُ.

وتَميلُ لَهُ الضفَّتانِ، ويَسْري

في جوانحِ بَرْديّها ارتعاشٌ.

المسافاتُ سَكرانَةٌ

وتضاريسُها تحلمُ.

* كلَّ يوم أرَى النّيلَ في حُلَّةٍ
غيرِ تلكَ التي كنت شاهدتُها،ـ
آهِ ما أعجبَ الطِّرازَ الذي يتخيَّر خيطانَها
وألوانَها.

(١) هو مَرْداويج، وكان يزعم أن روح سليمان بن داود حلّت فيه. وقيل كان يجلس على سرير من ذهب. قتلَه بَجْكَم أخَصُّ مماليكه.

وبَجْكم هو الذي استنقذَ الحجر الأسود من القرامطة.

اشتراه بخمسين ألف دينار.

الذّاكرة

٣٢٤هـ.

ـ ١ ـ

جُثَثُ الموتى

تَتناثَرُ في الطّرقاتْ

والنّاسُ شَتاتْ.

ـ ٢ ـ

عَلَّمتنا تجاربُنا:

كلُّ ربٍّ إذا لم يكنْ

سلطةً أو رغيفاً،

ليس إلاَّ تُراباً.

ـ د ـ

أَوْمأَ النّيلُ، قالَ اتْركُونيَ

في فُلْكِ حبّي،

وأنا لا أُعلّمُ، لكنّني أُلْهِمُ.

بيتيَ الطّينُ، ميراثيَ الأنجمُ.

غيرَ أنّ زماني غريبٌ

كتفاهُ سماءٌ

وخُطاهُ دَمُ.

* أسَرَتْني خفاياكَ يا نِيلُ،

والوقت يُولم أشجارَهُ

لأعاصيرِهِ،

والمدائِنُ فِيَّ انْشِقاقٌ.

الذّاكرة

٣٢٦هـ.

يا أبا طاهرِ[1]،
فُرْقةٌ في جنودكَ،
بعضٌ يُهارش بَعْضاً.
وثمَّةَ قَتْلى.
أَتَرى كيف يَلْتهم
الثائرين الخلافُ
على المُلْكِ والمالِ؟
وانظرْ: ها هُوَ
الفقر ما زال
يَشْحَذُ أعضاءَهُ
كي ينامَ على جرحِهِ،
حاضِناً ما تفتَّتَ
مِن خُبْز أَحْلامهِ.

- هـ -

طِينُ أجدادِنا البَابِليُّ على النّيلِ:
في القلب غيمٌ، وفي الغيم نارٌ.

أَعْرِبوا أَعْرِبوا، فأنا المُعْجِمُ.

ما أقولُ لقومي
وأنا فيهمِ بهمِ مِنْهُمُ؟

يا لَقلبيَ مِن طائشٍ:
أَلحقيقة في نبضهِ
وهو لا يَعلَمُ.

* إنَّ لِلَّيلِ كالنّيل شُطآنَهُ
ولَهُ سفنٌ جارياتٌ،
وله لغةٌ في الحَنينِ وأمواجِهِ السَّاهره،
نَهَرٌ آخَرٌ هو اللَّيلُ في القاهِرَهْ.

(١) أبو طاهر القرمطيّ.

- و -

صورةٌ للطفولةِ ـ محضونةً
بعذاباتِها
في الأزقّةِ، قَلبي كليمٌ لها.

وحنوتُ عليها كأنّي أبٌ
ومشينا مَعاً، وهمَسْنا للزّمان بأوجاعِنا
تارةً وجَهَرْنا بها تارةً
ومزجنا بآهاتِنا شمسَنا ومزاميرَ أضوائِها،
والبلادَ وهَوْلَ الظّلامْ.

آهِ، كم يُوجِعُ الكلامْ.

❊ ما أطيبَ أن نَسْتَلْقي
شِعري وأنا، عندَ النِّيلِ،
ونشربَ صَفْوَ دموع
عَتّقناها.

الذّاكرة

٣٢٩هـ.

- ١ -

قتلوا بَجْكَماً،
والغلامَ[1] الذي كان
يحملُ أَسْرارَهُ.

- ٢ -

آهِ من ليل تاريخنا:
ليس في أرضِنا
غيرُ شَخصيْن ـ إمَّا
قاتِلٌ أو قتيلٌ.

(١) كان اسمه بَكْبَك.

الذّاكرة

٣٣٠هـ.

ـ ١ ـ

منجنيقاتُ بغدادَ

منصوبَةٌ :

الخلافةُ أُضحوكةٌ

والقُرى والمدائنُ

نَهْبٌ وقَتْلٌ.

ـ ٢ ـ

كيف لم يفهمِ الذين

يسيرون في موكبِ

الخِلافَهْ.

أنّها مَرضٌ في الحياةِ

وفي العَقْل، أو أنّها

لم تكن، غالباً، تحت

فَيْءِ الحقيقةِ،

بل تحتَ فَيْءِ الخُرافَهْ؟

ـ ز ـ

مَسجدٌ، سَاحَةٌ ـ طيورٌ

تتناثَرُ فيها.

عاشقانِ يطيرانِ في زَهْوِ رِيشَيْهِما

في عناقٍ طويلْ

بين أحضانِ هذا الزّمانِ البخيلْ.

كيف، مِن أين جاءت إلى النّيلِ

هذي الثّلوجُ التي تتساقَطُ

مِن كلّ صَوْبٍ؟

❊ أتخفّى (أحلمُ أن أتخفّى)

في أحضان النّيل، وأعرفُ

كيف يكونُ الماءُ رسائلَ حبٍّ.

- ح -

أَسْأَلُ النّيلَ مِن أين يأتي
بهذا البَهاءْ،
وَهْو مُحْتَبَسُ الضِّفَّتَيْنِ،
أسيرُ جِداريْهما؟
فأرَى صوتَهُ ـ لا كلاماً
بَلْ هسيساً غريباً
يَسيلُ على الأُفْقِ حِبراً،
يُذوّبُ فيه اللّغاتِ،
ويرسمُ لي صورةً في الهوَاءْ.

* هَيّأ النّيلُ إبريقَهُ
لِيقدِّمَ شايَ الصّباحِ إلى أختهِ،
أختُه الشَّمسُ، في كلّ فَجْرٍ،
تقصُّ عليه رؤاها.

الذّاكرة

١٣٣١هـ.

- ١ -

كَثُرَ الرّافضونَ
ببغدادَ، في كلّ حيٍّ
أَثَرٌ منهمُ:
يُولمون لأيّامهم
ولأتراحها
شَهواتِ الجسَدْ،
وَيُضيئونَ ليلَ الأبَدْ.

الذّاكرة
٣٣١هـ.

ـ ٢ ـ

أنظرُ الآنَ في
كَبِدِ الأفْقِ، في وَجْه
بغدادَ: للرِّفض قَرْنانِ
والأرض حُبْلَى
بأساطيرهِ ـ

بطيورٍ من النّار
تَجهل من أين جاءَتْ،
إلى أين تَمْضي.

ـ ط ـ

كوكبٌ يَتَشهّى
أن ينامَ على زَنْد فلاّحةٍ،
رسمت وجهَها بِحبْرٍ
كان خوفو يُخبِّئُه تحت بَرْديّةٍ،
في خزانة أوراقهِ.

ما الذي يستطيعُ ابْنُ حِنْزَابةٍ(*) ضِدَّها؟

* يحفر الحبُّ كالشِّعر ثقباً
في جدار الزّمَنْ،
كي يجدِّدَ ميلادَهُ،
ويمزّقَ عنه الكفَنْ.

(*) كان ابن حِنْزابة وزيراً لكافور، وعدوّاً للمتنبي. وكان له «مجلسٌ يتلاقى فيه الشعراء والعلماء، والمحدثون».

وكان ابن حنزابة يحاول، كما جاء في الصبح المنبي، أن يتحدّث دائماً عن سرقات المتنبي. اسمه جعفر بن الفرات، ومن أصلٍ عراقي.

الذّاكرة
٣٣١هـ.

ـ ٣ ـ

يسأل الرّافضونَ
الخليفةَ، في حَيْرةٍ:

قُل لنا كيف تأتي
إلينا
أبآياتِ عِلمكَ،
أم بالهبوطِ علينا
مِن عَلٍ؟
ولماذا،
يا خليفةَ أيّامِنا
وأموالِنا، لماذا

ت تَمرأى بِنا

ـ ي ـ

مِن جديدٍ، تعود السَّماءُ لكي تسكنَ اللَّحمَ
والعظمَ: هذا مَقالٌ
قد يَسرُّ العَقيليَّ(*) لكن،
كيف يدخلُ في الجسم ضَوءُ الحبيبةِ؟

مِن أين تأتي
خميرةُ هذا الهبوطِ الصُّعودْ
في مَجرّة أعضائِها؟

هل أُسائِل فُسْطاطَ هذا التخيُّلِ عند
العَقيليِّ، أم أسألُ الوجودْ؟

❋ إِبتدئْ ابْتدئْ
وجهُكَ الآنَ كالنّارِ ـ
تُوشِكُ أن تَنْطَفِئْ.

(*) هو الشريف علي بن الحسين بن حيدرة العَقيلي (توفي في أواخر القرن الرابع الهجري). من الشعراء في زمن كافور. له ديوان مطبوع. ومن شعره في حبيبته: «ضاقت عليَّ نواحيها، فما قدرتْ
على الإناخة في ساحاتِها القُبَلُ».

- ك -

رجلٌ في طريقي (ربّما كان كافورَ أو ابنَ حِنْزابَةٍ)،
رجُلٌ هالَني،

رأسُهُ فرَّ عن كتفيهِ، وها هُوَ يمشي
تاركاً جسمَه خلفَهُ،
ويطوفُ وحيداً
وها هو يمشي ورائي
لاعِقاً خطواتي.

عندما راحتِ الشمسُ تسكبُ تِرْياقَها،
أَخذتْهُ إلى بيتِها نملةٌ.

* ظُلْمَةٌ ـ والأزقّةُ تَحْتضِن السَّابِلَهْ
في دماءِ الخريفِ الرّماديّةِ السّائِلَهْ.

الذّاكرة

٣٣١هـ.

في حناجر أبنائِنا
وآبائِنا ـ
ساطِعاً،
قاطِعاً مثلَ سيفٍ؟

قل لنا كيف يحدثُ
هذا،
قل لنا كيف تأتي؟

- ٤ -

رافِضٌ مات موتَ
الطّبيعةِ، لم يقتلوهُ،
ولكن
صَلبوهُ، بعد أَنْ
ماتَ، حَزُّوا

الذّاكرة

٣٣١هـ.

رأسَهُ، نَشْوة.

آدَمُ

حائِرُ العَقْلِ في

دينهِ،

وفي سِرّ تكوينهِ،

وفي شهواتِ

بنيهِ.

ـ ٥ ـ

حمرةٌ في السَّماءِ،

الوجوهُ، الحجارةُ

حمراءُ. حَبْلُ

المجانين يمتدُّ ـ

حَبْلٌ مسَدْ.

ـ ل ـ

سأقول لهذا الموسوسِ، هذا الذي لَقّبوهُ

سَيْبويْهِ(*): القصيدةُ، يا قارئي، رحيلٌ

خارجَ النَّحو والصَّرْفِ، سَيْرٌ

في جميع الجهاتْ.

نَفَسٌ صاعِدٌ من قَرارةِ أحشائِنا

يُلابِس أيّامَنا وأشياءَنا

قلَقاً، زهرةً، حصَاةْ.

سأقول: القصيدةُ كالشّمس، كالماء،

مُسْتَقْبَلٌ للكلامْ

لا تنامُ، ولا شيءَ في ضوئِها ينامْ.

* جَاهِدٌ أن أعلِّمَ خَصْمي

كيف يحيا بهيّاً وحُرّاً

ليصيرَ جديراً بِعدائي لَهُ.

(*) هو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي، المُلقَّب بالجُبّيّ، والموسوس، وسَيبويه المصري. وُلِد في البصرة سنة ٢٨٤هـ. ومات في مصر، سنة ٣٥٨هـ.

١٣٣١هـ.

لا تَـشـكُـوا. تـريـدون أن
توقنوا؟

اسْألوا الرّافضين

الذين يُحبّونَ

هذا البَلَدْ.

- ٦ -

ترك الرّافض القتيلُ

كتاباً:

«لم أشاهد إلهاً

يتصدَّر جَمْعاً

أو يسيرُ على رأسِ

حَشْدٍ.

فلماذا تُصِرُّ الحشودُ

على أن تقود السَّماءُ

خُطاها؟».

- م -

أتخيَّلُ نفسيَ تقتلُ نَفْسي:

رجلاً سائراً أماميَ خلفي

طالعاً مِن ثيابيَ في صورةٍ - صُورتي.

ويواكبني أينما كنتُ أو سرتُ. حربٌ

عليَّ. شديدٌ عنيدٌ لا يُقاتل غيري.

وأنا واثِقٌ:

سيرانيَ أعداءُ شِعري،

ذاتَ يومٍ، قتيلاً

بين قُمصانهِ.

* كُنْ كبيراً على الأرْضِ،
كن ذَرّةً مِن ضياءْ.

الذّاكرة

٣٣١هـ.

- ٧ -

رافِضٌ آخرُ قال:

«أعرفُ أنّي

سأُقْتلُ، فليهنأِ

الخلفاءُ على هذه

الأرضِ، لكن

بعد قَتْلي

سَأُولَدُ في

كلِّ شيءٍ».

- ن -

لا أرَى في الفَراغ، كما يزعمُ الهَجْرُ، عُرْياً

بل أرَاهُ كساءً.

كيف نَلمسُ ثوبَ الضّياء، إذا لم يُحرِّك

جسمَهُ في فراغٍ؟

ألهذا

كان بستانُ حزني أشدَّ احتفاءً

بالطُّيور التي هاجرَت

كي تُدفّئ بالصّمت أعشاشَها(*)؟

* كلَّ يومٍ أعودُ إلى البَدْءِ،

أجبُلُ من زَفراتيَ طيناً

وأنقش فيه تَقاطيعَ حبّي.

(*) قلت هذا لمدّاحهم، فكأني قلتُه لجدارٍ.

وهو المدّاح الأنصاري، أبو القاسم بن أبي العفير، صاحب كافور والوزير ابن حنزابة.

- س -

لا أرَى أنّ جسمي تُزلزلهُ الآنَ
أيّةُ أُغْويّةٍ.
لا أرَى في شعوريَ أيَّ انفجارٍ
تَتفتّقُ عنه دروبٌ،
أو تسافرُ منه الجِراحُ إلى نَشْوةٍ
لم تكن تتراءَى لها.

ما الذي يحدث الآنَ فِيَّ؟ وأين اختفَتْ
رَغباتي؟
إِنْهضي، هل سمعتِ، وماذا تقولينَ
يا كلماتي؟

* ربّما كان هذا أوّلَ المنحدَرْ،
وأُحِسُّ كأنّ الدّقائِقَ سَيْلٌ
يجرُّ الصِّراطَ إلى رَبّهِ،
ويَجرُّ البَشَرْ.

الذّاكرة
١٣٣هـ.

- ٨ -

هُوذا رافِضٌ يُنْشِدُ
كلّ شيءٍ لهُ معبدُ:
«لا أريدُ لهم أن يموتوا،
كما شاء غيريَ أو يُقتلوا
(أقصد الآلهه)
بل أريد لهم أن يعيشوا
أن يظلّوا أشدّاء في
حربهم علينا، وأَنْ
يُغلَبُوا،
هكذا يكبرُ اللاّعبونَ
ويَزْدهِرُ الملعبُ.
هكذا تُولَدُ اللّغة
الوالهةْ».

الذّاكرة

٣٣٢هـ.

ألبُريْديّ[1] يقتلُ حتّى

أخاه:

كيف تقدر مِن بعد

هذا الدّمِ المُرِّ،

أن تتلمّس خَدّيهِ

أو صدرهُ،

يَداهُ؟

- ع -

أتمدَّد مستسلماً في سريري إلى حيرتي،

كأنّي

لم أعد قادراً أن أُحسَّ ولا أن أرَى.

هل هُزِمْتُ؟ هل انكسرَ الضّوءُ فِيَّ؟ وكيفَ

سأعرفُ نفسيَ؟ أَسْتلُّها

من ركاماتِها القديمةِ، أم أستعيدُ الظَّلامَ

الذي لَفَّها خِفْيةً، عندما كنتُ أزهو

بِلَأْلائِها؟ وأرَى أين كانت، وكيف،

وماذا؟

هل هُزِمْتُ؟ أم الشِّعر في آخر اللَّيلِ، يرفعُ

نفسي إلى البَدْءِ ـ يقرأ أورادَها،

ويُجدِّدُ ميلادَها؟

* غسل الأفْقُ أسنانَه، بالغيومْ، ـ

قلتُ هذا وصدّقَني الشِّعر، لكن

عَبَستْ وتولَّت في خُطايَ النّجومْ.

(١) قُتل أبو الحسين البريديّ، وصُلب، ثم أُحرق. وكان بعض الفقهاء قد أفتى بإباحة دمه.

ومعه انقضت أيّام البريديّة.

الذّاكرة

٣٣٣هـ.

ـ ١ ـ

مَنْ تُرى يَسْتَضيفُ

الخليفةَ: قبقابَهُ

والعباءَةَ، هذا

المساءُ؟

هوذا يتمزّقُ: لا مُلْكَ،

لا خبزَ، لا شيءَ

إلاَّ الشّقاءُ.

ـ ٢ ـ

إسمهُ القاهِرُ ـ

اسمهُ ظلماتٌ

جموعٌ تمزّقُ

أحشاءَها

ـ ف ـ

جسَدُ الضّوءِ في مِصْرَ، فِيَّ، وفي

صَبواتي

جسَدٌ عاشِقٌ

دَهَنَ الوقتُ أطرافَه ببهارٍ

وأدارَ على عُنْقِهِ

ذَهباً ذائباً في لُجَينْ،

يَجْهدُ اللّيلُ كي يَتحوّلَ فيهِ

إلى مُقْلتينْ.

* ما لَهُ ـ ذلكَ اللَّيلُ لا يُهْزَمُ؟

أَهُوَ الغَيمُ لا يُتَسَلَّقُ،

والجرحُ لا يُلأَمُ؟

(١) هو الخليفة القاهر، ويُروى أنه «افتقر حتّى لم يبقَ له شيءٌ سوى قطعة عباءة يلتفّ بها، وقبقاب من خشب في رجله».

- ص -

كَبِدي ـ ما الَّذي دَهاهَا؟

لم أعد أتعرّفُ فيها إلى أيّ شَخْصٍ،

أو إلى أيّ شيءٍ.

وأُحِسّ كأنّيَ في حاجةٍ

كي أُخَاصِمَ أهواءَها ـ أُعانِقَ أهواءَها،

وأُسَافرَ فيها إلى مُنتهاها ـ إلى أينَ؟

أين المكانُ الذي يقدرُ الآن أن يتقبَّل

مَا بِي، ويفتحَ أحضانَه لجراحي؟

آهِ يا نفسيَ الرّجيمةُ يا نفسيَ الكريمَهْ

مِن جديدٍ أعودُ لِصحرائيَ القديمَهْ.

---

* أرسلتُ لِلَّيل كتاباً

ونَشرْتُ حروفَهْ

في طُرقاتِ همومي في أنحاءِ الكوفَهْ.

الذّاكرة

٣٣٣هـ.

بِأظافرَ مِن فِضّةٍ،

وتُقادُ إلى كلِّ ما

لا تشاءُ.

غَنِّ، كرِّرْ نشيدَك

يا أيّها الشّاعِرُ:

مَسْرحٌ للخِلافةِ،

يُسْتَأْصَلُ العقلُ

فيه،

ولا شَيءَ يُؤخَذُ

غيرُ الدّماءِ،

وغيرُ الهبَاءِ.

الذّاكرة

٣٣٣هـ.

ـ ١ ـ

أخذوا رأسَهُ ـ

ذلكَ الخارجيُّ[١]،

دامِياً طازَجاً،

ورَموه إلى القائمِ

الفاطميّ!

ـ ٢ ـ

لم يعد دَفْتَرُ

السَّماء

في فضاءِ الخوارج

إلاّ

وَرقاً لكتابةِ مرثيّةٍ.

(١) أبو يزيد الخارجيّ.

ـ ق ـ

لَوَّحَ الرّاحلونْ

بمناديلهمْ، وأَناخوا نِياقَ التّعَبْ.

يبسطُ الأفْقُ كفّيهِ، أَصْغُوا:

فِتَنٌ في الأقاليمِ، أرضٌ

تتمزّقُ. هذا وارثُ العَرْشِ، يَجْتَرُّ كرسيَّهُ

والبِطَانَةُ نَسْجُ الذّهَبْ.

يرقصون ويسْتمرئونْ

لحمَ آبائهم وأبنائِهِمْ في مَهَبّ الطّرَبْ

وعلى كلّ دَرْبٍ، وفي كلّ فجٍّ، بشَرٌ مِثلهُم،

بَشَرٌ مِن معادِنَ، مِن صلواتٍ

ومِن شَهواتٍ،

رُكّعٌ خاشعونْ.

---

* تتردّد هذي اليمامَةُ

في قولِها لِلسَّماءِ: اصْدُقي مَرّةً.

- ر -

ـ «لا مَفرٌ. كتبنا عليكم ذُلَّكُمْ، وكتبنا الخضوعْ»،
ـ «لا فضاءٌ»، تقولُ الأضاحي،
ـ «لا ملاذٌ»، تقولُ الدّموعْ.

ـ كيف يمكن أن تُفهَمَ الشعوبُ التي ترسمُ
اللّهَ فوقَ الرؤوسِ على حَدِّ سَيْفٍ،
وتدلّيهِ في ساحةٍ،
وتعلّم أطفالَها
أن يحيُّوه، كلَّ صباحٍ؟

* آهِ، ما هذه الأرض ـ تَجهدُ أن تخنقَ
الهواءَ الذي تتنفّسهُ رئتاها،
في فضاءٍ يَزُقُّ الطُّيورَ بِكبْريتهِ!

الذّاكرة
٣٣٣هـ.

لم تعد هذه الأرضُ،
في خطوات الخوارج،
إلاّ
نهراً
لغيوم البُكاءْ.

ـ ٣ ـ

ألتّرابُ يمدُّ يديه
كريماً إلى الخارجيّ
وأبنائهِ
وأصحابهِ،
حانِياً،
مُصْغياً
لِتباريحِهِمْ.

الذّاكرة
٣٣٣هـ.

ـ ٣ ـ

فجأةً، يتغيَّرُ ـ
يأتي بلا موعدٍ
يَزورُ بيوتاتهم
وأكواخَهم،
ويَجْتثُّهُمْ
واحداً واحداً.

ـ ٤ ـ

زمَنٌ مُنْهَكٌ ـ
زَمَنٌ خارجيٌّ:
الفضاءُ بلا نعمةٍ
وَبِلاَ حكمةٍ،
وَيدُ الماءِ مَبْتُورةٌ.

ـ ش ـ

لِعليٍّ،
لابْنِ رِشْدِينَ، لابن أبي الجوع، لِلرُّوذَباريّ(*)،
أصغيتُ، أُصْغي،
وأقولُ لأوجاعِهم:
حولكم رَبَّةُ العَمَاءِ وراياتُها،
معكم ليلُ أكفانكم،
لا سقوفٌ لكم،
غيرُ ما يتبخّر منها، ـ
لا طريقٌ، وما من بديلْ.

ليس إلاّ الرّمادُ،
وهذا الفضاءُ القتيلْ.

* المُحبّونَ ماتوا، ـ
لا بحارٌ ستكفي ليغرقَ فيها حنيني،
لا سَماءٌ ستكفي ليعلوَ فيها ضَياعي.

(*) صالح بن رِشْدِين، من كُتّاب ديوان الرسائل في العصر الإخشيدي.

ـ عليّ بن صالح الروذَباريّ كان والياً على دمشق، وكانت له في مصرَ حلقة أدبية.

ـ علي بن أحمد المهلّبي، (عبد اللّه بن أبي الجوع)، من اللغويين النحويين، في أيام كافور.

كانوا جميعاً يتدارسون ديوان المتنبي، تحت إشرافه، كما جاء في «يتيمة الدّهر» للثعالبي (١: ٣١٤ ـ ٣١٧).

الذّاكرة

٣٣٣هـ.

ـ ٥ ـ

هذه وَرقَاتٌ
خَطُّها خارجيٌّ،
وَلعلّي تأخّرتُ
في نَشْرها،
فَعُذراً:

«ألمُلْكُ سَيْفُ
هوىً،
ورمْحُ فَتْوى،
وتابوتٌ،
وبَحْرُ دَم.
ألمُلْكُ ساحَةُ
أنيابِ
وفأْفَأةٌ.

ـ ت ـ

الكلامُ إلى فاتكٍ(*) وعليهِ، حجابٌ.

مَعهُ أَتغيَّرُ، أصعدُ من أَوّلِ
درَجاتِ الكلامِ، أغيِّر معراجَهُ
وأرجّ الحُدوسَ التي فَيّأتْهُ
والخيالَ الذي يتفيّأ فيهِ.

وَأُكاشِفهُ ـ بين حِبْريَ والكلماتِ هَوىً آخَرٌ.

فاتِكٌ شَاعِرٌ،
ويعرف من أين يُؤخَذُ شِعْري.

* ليس للسّائرين على الأرض إلاَّ
أنْ يصيروا غُباراً:
حكمةٌ بَالِيهْ
نَتقلَّبُ في نارِها العالِيَهْ.

(*) هو فاتك الإخشيدي. كان يُعرف بالمجنون. وكان المتنبي يعدّه بين أقرب الأصدقاء إليه.

- ث -

شَغَفٌ عالٍ
يرسمُ فِيَّ طيوفَهْ:
ما أطيبَ أن أتحوَّلَ ماءً
وأذوِّبَ جسمي
في جسم الكوفَهْ.

* مِثلَهُ - ذلك الوفيّ لترحالهِ
في صَحارَى عذاباتِه:
لا أَخُونُ الرِّياحَ التي لَبَسَتْني.

الذّاكرة
٣٣٣هـ.

أَلمُلْكُ من وَرَقٍ،
أَلمُلْكُ مِن عَلَقٍ.
أَلمُلْكُ قِدْر حِسَاءِ
رأسُ قافلةٍ
مِنَ الذّئابِ، وَبِيدٌ
لا حدودَ لها.
أَلمُلْكُ بَسْملَةٌ
أَلمُلْكُ مئذنَةٌ
مخنوقَةٌ، وحَديدٌ
دافِقٌ ذَهباً.
أَلمُلْكُ
مُسْتَنْقَعٌ.

- خ -

إن أَقُلْ ما أقولُ، فَكَيْ أُرضيَ الأصدقاءَ،
أُحيّي بيوتاتِهم وتقاليدَها.
غيرَ أنّ شُعوريَ أعلى وَأَنْأَى،
وأسألُ: ماذا سأفعلُ؟ لا أرضَ تعلو إلى
ما أُحِسُّ، كأنَّني
لم أعد قادراً أن أكون نَمِيّاً
أو نجيّاً لبيتٍ أو دمٍ أو عشيرٍ.

لم أعد قادراً أن أُحِسَّ بنفسيَ إلاّ إذا
رحتُ أَقْتَصُّها كالطَّريدَهْ،
لم يعد أيُّ شيءٍ يؤكّد نفسيَ لِنفسيَ، إلاّ القصيدَهْ.

---

* خُطواتُ الطفولةِ ـ ماذا
يَتبقّى مِن السرّ فيها؟
كيف لي أن أشمَّ شذاها
وأن أنحني عليها؟

الذّاكرة

٣٣٣هـ.

أَلمُلْكُ سَمَّى
يَديهِ رايةً رُفِعَتْ
على السَّماءِ، وسَمَّى
طينَهُ لهبَا.

ألمُلْكُ يَحْسِبُ وَجْهَ
الكَونِ مُتَّكَأً
لإِلْيَتَيْهِ، ودارَ
الخُلْدِ مُنْقلبَا.

الذّاكرة

٣٣٣هـ.

أَلمُلْكُ أوّلُ مَنْ
لَبّى، وأوّلُ مَنْ
صَلّى، وأَوّلُ مَنْ
غَنّى وَمن طَربا.

المُلْكُ غابَةُ غِيلانٍ
دَمٌ شَرَقَتْ
بِهِ الحياةُ، ولم
تَعرفْ له نَسَبا.

ـ ذ ـ

خَطُّكَ الأعوجُ ـ المستقيمْ
أيُّها العَقْلُ، لا أطمئنُّ إليهِ،
ولا شيءَ فيهِ،
سِوَى النّافلِ الغُفْلِ:
سَيرٌ بليدٌ على درَجاتِ النّعيمْ.

وأنا عاشِقُ الجحيمْ.

* أنتَ، يا عَقْلُ نورٌ ـ يُقالُ، ولكن
كيف لا تتوهَّجُ فيكَ مسافاتهُ؟
ولماذا تقدّمه للمسافرِ نحو المجاهيلِ،
في كأسِ سُمٍّ؟

- ض -

نَاقتي -

هل تيقّنْتِ أنّي

تارِكٌ لِلطَّوافِ المؤرَّقِ حول الموائدِ،

لِلنَّومِ في شحمها سوايْ؟

أتشكّينَ؟ جُسّي عروقي، وأَصْغي لنبضي،

وها مُهجتي، ها يَدايْ:

صَدريَ الآنَ أعلى وأرحبُ مِمّا ظَنَنْتِ، ومن كلّ أرضٍ -

خُذيني وسيري

في فيافيهِ، لكن بحقّ تباريحِنا،

حاولي أن تمرّي بِخشوعٍ وَصَمْتٍ

في مَدارِ بَراكينهِ؛

في مَدار براكينهِ هَوايْ.

* الحقيقةُ وَحْيُ الجنونِ، -
تقول الحياةُ لمعراجها.

الذّاكرة
٣٣٣هـ.

أَلمُلْكُ

نيلٌ

فُراتٌ

دِجْلةٌ

بَرَدَى.

أَلمُلْكُ آيَةُ

إعجازٍ

بحكمتهِ

وحكمهِ

وَبما أعطى

وما كَسَبا.

- ظ -

فجأةً، صورتي تتجلّى في مَراراتِ بغدادَ، في حلَبٍ، في دمشقٍ.

فجأةً، خَولَةُ.

فجأةً، نشوةٌ ودروبٌ وكواكبُ لا يعرف الحِبرُ أَسْماءَها.

فجأةً، نأخذ الزّمنَ الميْتَ، نرميه في قَبو أَيّامِنا.

فجأةً، يحمل الأفْقُ أثقالَه ويسافر فينا.

فجأةً، يخرج اللَّيل من بيتِهِ ويطوف علينا بأباريقهِ.

فجأةً، قَصَبُ اللَّيلِ، ورد المسافاتِ، خشخاش حزنٍ وصَمْتٍ:

نتعلَّمُ هذا المزيجَ ونبني سقوفاً لأحلامِنا،

فجأةً، تتقدّم شَمْسٌ وتكتب في دفتر الضّوءِ أَسماءَنَا.

فجأةً، يلبس الفجرُ وَجْهي،

فَجأةً، أتجلّى لنفسي.

الذّاكرة

٣٣٣هـ.

أَلمُلْكُ

سيِّدُ

أسيادٍ

ملائكةٍ

إنْ شاءَ

صَيَّرَ من

أعناقهم

دَرَجاً،

---

* أرضُنا جرحُنا:

فَعلى أيِّ جَنْبٍ نميلُ، وماذا

مَن نُسالِمُ، أو مَنْ نُقاتِلْ؟

مائِلٌ عُنُقُ الكونِ مائِلْ.

- غ -

أَلنبوّاتُ قالت:

اتركوا الشِّعرَ يا أيُّها المؤمنونْ

قبلَها، قال ذلك تلميذُ سقراطَ: لا شيءَ

في الشِّعر إلاَّ الضّلالُ وإلاَّ الجنونْ.

غيرَ أَنَّ الخليقةَ لم تُصْغِ،

والشعراء اسْتمرّوا يعيشونَ كالأنبياءْ

مع شياطينهم، يسألونَ، ونسألُ:

ماذا،

ما الذي يتبقّى

خارجَ الشّعر، غيرُ العَماءْ؟

---

* صوتٌ ـ يخرج منه عِطْرٌ

وضعَ النّيلُ عليه يدَهُ،

كي يبقى حرّاً:

صوتُ زمانٍ آتٍ.

الذّاكرة

٣٣٣هـ.

أو شاءَ، صَيَّرَ

مِن أجْسادِهِم

حَطَبا.

أَلمُلْكُ ينزلُ مِنْ

أُمِّ الكتابِ،

ومِنْ

أَهْلِ الكتابِ،

وَمِنْ...».

هوامش

(يوميّات المتنبّي)



V. غيوم

١ ـ قِباب

أتخيَّلُ بغدادَ، لكنّني أُحيِّي
حَلَباً، وأُحيّي
كوفةَ الثائرينَ ـ القِبابَ،
الشيوخَ ينامون في ظِلّها،
أو يقصّون أيّامهم.
ألدَّقائقُ أوتارُ قيثارةٍ
والمصلّون: كُلٌّ حاضِرٌ غائبٌ، وكلٌّ
يتحدَّثُ في نَفْسهِ إلى غيرهِ:
كلُّ ما يخلق الضّوءَ فينا،
لُغَةٌ مُرْجَأَهْ.
وَطَنٌ ـ حِبْرُهُ جِراحاتُنا
وَنجهلُ أَنْ نَقْرأَهْ.

٢ ـ صحراء

أينَ سَتبحثُ عن بيتٍ؟

هل تسْكُنُ بين خيوطِ الشَّمْسِ؟ ولكن

خيرٌ أن تسكنَ في أوراقِ العُشْبِ، وغَيِّرْ

ترتيبَ الأحرف حتّى تبقى

تتشرّدُ في بَيْداءِ النّاسِ كذرّة رَمْلٍ.

هي ذي صحراءُ المِحْنَهْ

بشَرٌ مذعورونَ، وكلُّ فضاءٍ سُدٌّ.

هذي الأرضُ وصيّةُ عَرْشٍ، والعرشُ قضاءٌ، ـ

يَا للّعنَهْ!

٣ ـ استغناء

هذي الأرض كمثلِ امرأةٍ
لا تعرف كيف تعيش، وماذا تَعملُ. يَومٌ يمضي
يومٌ يأتي
ويداها قَيْدٌ مُحكَمْ
تحت مظلّةِ عَرْشٍ أَبْكَمْ.

مَن قال لشِعركَ: أنتَ المعنى،
ولصورتهِ: أنتِ الصُّورُ؟
كلاَّ،
في هذي الأرضِ، هنا وهنالكَ،
لا يَحتاجُ إليكَ البَشَرُ.

٤ ـ سراب

هُوَذا يُبتكَرُ الآنَ سرَابٌ:
حَيوانٌ أخضرُ القامَةِ، رأسانِ كبيرانِ
على حَوْضٍ صغيرٍ،
ولِلَيْل الرّدِفينْ
قمَرٌ يسكن تحت الكَتِفينْ.

غيرَ أَنَّ العُنُق استلْقى على شَفْرة حُلْمٍ.
ربّما لا ترغب الشَّفرة أن تستيقظَ الآنَ. تَعلَّمْ
أيُّها الشّاعرُ أن تُصغي لِوَقْع الكلماتْ
في سرابِ الخُطُواتْ.

٥ ـ نسيان

أَلسَّماءُ رَمَتْ طينَها
فوق أجفان بغدادَ. أَلْقت
قدميها وكرسيَّها على رَأْسِها. دُوارٌ
في شرايين بغدادَ، تبكي
لم يعد دمعُ بغدادَ طِفْلاً
لم تعد تعرف البكاءْ.

نَسيتْ كيف تزفرُ أو كيفَ تَشْهَقُ في صدرها كَربلاءْ،
هكذا
نَسيتْ وَجْهَها ـ
أَتُراها أُحِيلَت إلى مُومياءْ؟

٦ ـ التباس

عَرْشُهُ في كَنَفِ اللَّهِ مقيمٌ.
يَهدمُ البيتَ على أطفالهِ
والمعزّون حِرابٌ وسيوفٌ.

كيف لا أَصرخُ باسم اللّهِ،
في الشَّعب الذي يرتجفُ الآنَ، أطِعْهُ:
كُنْ حِساءً.
كيف لا أسأل هذا العَرْشَ: قُل لي
أَأَنا مَيْتٌ. ولم تأذن لموتي،
هكذا أُنْبَشُ مِن قَبْري لكي أُدفنَ
في ظِلِّكَ، في سجنٍ وراءَ المقبرَهْ؟
لم أعد أعرفُ: هل عنديَ، في ظِلِّكَ، رأسٌ وذراعانِ
وساقانِ، وعندي
مثلَ غيري، حُنْجَرَهْ؟

٧ ـ خَبّاز

خَبّازُ هُمومٍ، لكن
في كلِّ رغيفٍ قيثارةُ نورٍ.
تَنُّورُ الحكمةِ نارُ سَلامٍ.

يا خَبّازَ هوانَا
أَلحكمةُ تبكي، والكونُ دموعٌ.
أَرِني عينيكَ
أفي شفتيكَ هَوىً
وشعاعٌ من عينيها؟
يا خَبّازَ هَوانَا
قُلْ لعشيقِ الحكمة: حاوِلْ
أن تُلقيَ، هذا اللّيلَ، يديكَ على كتفيْها.

٨ ـ الوردة

تتكلَّمُ ـ في صَوْتِها وَخْزُ شوكٍ،
وفي شفتيها ارتعاشٌ.

وحدَها، ويكادُ البكاءُ
أن يُغطِّيَ بالنُّطَفِ الحُمْرِ أوراقَها.

إنّها وردةُ اللّيل، أو هكذا سُمِّيَتْ،
لبست عُرْيَها
وَانحنَتْ فوق خَصْرِ المساءْ.

٩ ـ لوتس

أمسِ، فجراً، على ضِفّة النّيل، غُصنانِ من لُوتَسٍ
يقرآن على الماء نَهديْهما.
رحتُ أصغي، وكان الهواءُ
يَتنصَّتُ. نَهْدانِ من لُوتَسٍ.

مَرَّ فوقيَ سِرْبٌ
مِن يَمامٍ. ومرّت
صُوَرٌ بين عينيّ عن عَهْد حُبٍّ
كدتُ أَنسى تَفاصيلَهُ.
آهِ، في هذه اللّحَظاتِ النبيّةِ، ما أكْرمَ البكاءْ.

١٠ ـ ولادة

إِنَّه النّيل يفتح شُبّاكَهُ
لِلصّباحِ وللشّمسِ، ضَوْءٌ
يَستحمُّ. وضوءٌ يتمطّى، يفكّ عُرَى ثوبهِ. ضِفافٌ
تتلألأُ. مَوْجٌ
وَادِعٌ يتخاصَرُ. يَلْهُو
كأنّ الهواءَ فِراشٌ لَهُ.

أَشتهي مَوْجةً
أُوَشْوِشُ أحضانَها
وأخيِّل جسمي لها
وأخيِّلُ مِعْراجَهُ إليها، وتباريحَهُ، وعِنادَهْ.

في المياه العَميقةِ
أُصْغي إلى زَفْرةِ الموت فينا وأُصغي إلى شَهْقة الولادَهْ!

VI

فاصلة استباق

من أنتَ أيُّها المنتظَر؟

لن تحظى بالحياة إلاَّ مصادفةً

بين الموتِ والموت.

مَن أنتَ أيُّها المنتظَر؟

الخريفُ يكملكَ

وجسدك يكمل الغبارَ

في تاريخٍ يتسلّى،

يكتب شِعراً عن أرجل العناكب.

مَن أنتَ أيُّها المنتظَر؟

لا تقدر ملائكةُ العلْم

أن تبتكرَ أسطورةً واحدةً

تُولَد فيها الشّقائقُ من دمٍ عاشقٍ،

أو ينفصل فيها

رأسُ شاعر عن جسده،

ويجري مغنّياً

في ماء الطّبيعة.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟
غداً
يبقرون الخرافةَ
ويستخلصون من جوفها
الحقائق.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟
اهتفوا للانهيارات
احتفِلوا بالأنقاض
استبشِروا بالخرائب.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟
الغيبُ يؤاخي الجسدَ،
والسرُّ زهرة الكلام.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟
على حيوانٍ خرافيّ
نجلس غداً ونقرأ العالَمَ.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟

بلى،

الإنسان يسير نحو البّبغاء.

بلى،

يولَد جنسٌ آخر من حيوانات اللَّه.

مَنْ أنتَ أيُّها المنتظَر؟

الحمدُ لكلّ التباس.

الذّاكرة

٣٣٤هـ.

المُعِزّ يعانِقُ بغدادَ،
يجمع أنصارَهُ حولَهُ،
مثلَ راعٍ يعدُّ خِرافَهْ،

المُعِزّ يسوقُ الخليفة،
يَسملُ عينيه، يُلقيه
في السِّجن. ما هذه
البطولةُ في سَمْلِ
عينيْن؟ ما هذه
الخِلافَهْ؟

ـ أ ـ

أَتَساءَلُ حيناً، وأنا أتمشَّى
في الفسطاط، لماذا، كيف رحلتُ؟
ولماذا لم أتحمّل رَهَقي،
وأعِشْ بين النَّاسِ كفرْدٍ منهم؟

أَغضبُ حَقّاً من هذا العالم، لكن
أَغضبُ حَقّاً منّي ـ
فأنا الآثِمُ أين ذهبْتُ، وأَنّى
صرتُ، ومهما قلتُ.
فلماذا ـ كيف سأرحَلُ، كيف رحلتُ؟

* آهِ للكوفةِ الآنَ: هل ملمَحٌ، هل أَثَرْ
لطفولاتِ حُبّي؟
أَتُرى لم تَزلْ، مثلما كُوِّنَتْ،
ذئبةً، وتُحبّ القمرْ؟

(١) «سِيقَ الخليفةُ المستكفي باللّه ماشِياً إلى معزّ الدولة بن بويه في بغداد. سمَل عينيه وسجنه. بُويع مكانَه المطيعُ باللّه».

وكان المعزّ، واسمه أحمد، «يحمل الحطبَ على رأسه، في أول أمره».

ويُقال له: «الأقطع»، لأنّ يده اليُسرى قُطعت في معركة مع الأكراد. دام مُلكه في العراق ٢٢ سنة إلاّ شهراً، بدءاً من سنة ٣٣٤هـ.

الذّاكرة
٣٣٤هـ.

ألمُعزّ يَجرُ
ذُيولَ الظَّفَرْ:
أَقطَعَ الجُنْدَ[١] أرضَ
العراقِ ـ الخَرابُ
يعمّر أرضَ البشَرْ.

ـ ب ـ

سأعودُ إلى الفَلَواتِ، ـ
وكيف أعيش أجيراً
عند أميرٍ؟
كيف أمجّد عَرْشاً مَيْتاً ـ عَرْشَ خضوعٍ
واسْتِخذاءٍ؟
كيف أعلّم أنّ الظّلمةَ نورٌ، واللَّهَ قَضيبٌ
أو عُكّازٌ عندَ العَرْشِ،
وأنّ العرشَ يرفرفُ فوق الماءْ؟
كلاّ، سأعودُ إلى فلَواتِ المعنى
حرّاً، وغريباً
وَجْهاً آخرَ لِلصّحراءْ.

* كيف أقول لهذي الأرضِ، بلاديَ أنتِ،
وكلَّ صباحٍ، تُعلِنُ:
كلاًّ، لا يتحدّثُ بِاسْمي
إلاَّ سِجْنٌ أو سفّاحٌ؟

(١) في أيّام المعزّ «أُقْطِعَ الجُنْدُ البلادَ والأرض. أدّى ذلك إلى الخراب».

الذّاكرة

٣٣٥هـ.

ألمعزُّ شغوفٌ
بمن يُتقنونَ فنونَ
الصّراعِ[1] ـ فهيّا،
إن تكن بارعاً
في ملاكمةٍ أو صراعٍ
تَفُزْ:
ألجموعُ تحيِّيكَ،
والمالُ يَهْمي عليكْ.
كلُّ شيءٍ يَصير كما
تتشهّى
طَيِّعاً في يديكْ.

- ج -

مَن يخلِّصُ قيداً من القيد؟ مَنْ يتفهّم
سِرّيَ في الوَصْل والفَصْلِ، في أنّني
دَمٌ واحِدٌ:
فارِسٌ وطريدٌ.

مَنْ تُراهُ سيشرحُ أُنشودتي
للحروفِ التي تتكوّنُ منها؟

* هل أحَدٌ يعرف أنّي
أعشقُ موتي،
لا شغفاً بالموتِ، ولكن
كي أبقى سِرّاً؟

(١) «أعجب معزّ الدّولة بالمصارعين والملاكمين، وغيرهم من أرباب هذه الصّناعات التي لا ينتفع بها إلاّ كلُّ قليل العقل، فاسد المروءة».

- د -

لا مَفَرَّ. الطَّريدةُ تَهْذي،

تَتَململُ فِيَّ - تُرانيَ وحشُ المكانِ،

تُرانيَ بلبالُهُ؟

أخذَ الفجرُ حزني

وغَطّى بهِ كلَّ شيءٍ.

والدُّروبُ شِبَاكٌ: بَشَرٌ مُتْعَبُونْ

هاربونَ إلى موتِهم،

لا يرونَ ولا يسألونْ.

الذّاكرة

٣٣٥هـ.

أَلجنودُ يعيشونَ

في العالمين فساداً:

كلّهم فاتِكٌ

وقُصاراهُ أنْ

يتفنَّنَ في فَتْكهِ.

* كلَّ يومٍ، أفتّشُ عن هاربٍ،

تحتَ جِلدي.

- هـ -

لم يجئْنيَ يوماً غرابُ اليقينِ ولا هُدهدُ
الجِنِّ، بيني وبين السَّماءِ الحواجزُ
تَعلو، وتمتدُّ من كلِّ صَوْبٍ.

وَأرَى الأرضَ أضيقَ
من ظلِّ طيرٍ، والسَّماءَ كَلَحْدٍ.

غيرَ أَنّي أرَى الكونَ طِفْلاً.

* عظمُ تَيْسٍ هناكَ تُرَشُّ عليه التّعاويذُ،
تُصنَعُ منه عكاكيزُنا،
وتُضاءُ خُطانا بهِ، وَتُلقَّحُ أيّامُنا.

٣٣٨هـ.

- ١ -

فتنةٌ: شِيعةٌ
سُنَّةٌ.
كلُّهمْ يُضمِر الحربَ
ضِدّ أخيهِ،
كلُّهم يَتَّقيه.
شيعةٌ - سُنَّةٌ،
سُنّةٌ - شيعةٌ:
رجلٌ واحدٌ
يتآكلُ
من داخلٍ.

- و -

لو نعيشُ كما نَتَشهّى

لا يَدٌ فوقَنا

لا لِشَحْمِ الوجودِ ولا لِلورَمْ

لا نُبوَّاتُ حربٍ وقَتْلٍ

ولا شَرْقَ لا غربَ، لا عَرَبٌ لا عجَمْ،

أبداً في مهبِّ الأبَدْ:

هكذا كنتُ أصغي لِفقْهِ الجسَدْ.

* ليتَها تغرقُ -

سفُنُ الكلماتِ التي لا تُجَنُّ،

ولا تَعشَقُ.

٣٣٨هـ.

- ٢ -

سُنّةٌ - شيعةٌ:

رجلٌ واحدٌ

يتمزَّق من داخلٍ

يتجزّأُ في ذاتِه،

لا لشيءٍ سوى

ضيقهِ:

لا يرَى معه آخراً

لا يرَى غيرَ

أظفارهِ.

- ز -

هَيّأتُ لِجسمي
جِلْداً آخرَ أظهرُ فيهِ
أنّيَ غَيْري.

وَحديثي مع هذا الجِلْدِ يطولُ
ولن أتحدّثَ عنه
مع زمَنٍ مَيْتٍ.

هذا زمَنٌ مَيْتٌ.

* لا ضياءٌ ـ سوى ذلك البَرْقِ،
يَخرجُ مِن قَوْلَةٍ
تتلألأ، أو خطوةٍ.
ألبقيّةُ جبّانَةٌ.

٣٣٨هـ.

- ٣ -

شيعةٌ ـ سُنّةٌ:
زهرةٌ واحدَهْ
تتقصَّف ضِغْناً
وجهلاً
في عَواصفِ
أهوائِها البارِدَهْ.

- ح -

تلعبُ النّردَ مع سيّد الحظِّ؟

مِن أين تَحظى بهِ؟

صُوَرٌ في صَحارَى تُسمَّى مدائنَ، لكنّها

تتحرَّكُ عمياءَ ـ ماذا؟

سيّدُ الحظِّ يكبو على سَرْجهِ.

لا أشكُّ: خيولُ الزّمانِ بِلاَ سَائِسٍ.

* رقصُ دُبٍّ على عرشِ هذا السَّديمِ
المُزَكَّى
بِالخُرافةِ، أم رَقْصُ رَبٍّ؟

الذّاكرة

٣٣٨هـ.

ـ ٤ ـ

سُنَّةٌ ـ شيعةٌ:

مدنٌ من شكوكٍ،

مُدنٌ مِن جراحٍ،

مُدنُ الصَّمْتِ

والهَمْسِ

والمومأهْ،

لِمَ لاَ يبعث اللَّهُ

ضوءَ الحقيقةِ

في هذه المدُنِ

المُطْفَأهْ؟

- ط -

هل أرى شكلَ غُصْنٍ من الغَارِ في

مُدخَلِ البابِ، أم أتوهَّمُ؟ بابٌ

يذكّر بالبَدْءِ - هل كنتُ أحلمُ؟

هل كان رأسيَ شكلاً لِطيْرٍ؟

أَمْ تُرانيَ أعطيتُ إِذَّاكَ جِسمي

إلى آلةٍ؟

كلُّ شيءٍ يذكّر بالبَدْءِ،

دَعْ جسمَكَ الآنَ يَنْهَضْ إلى سِرِّهِ.

---

* دائماً،

يبدأ اللَّيلُ مِن سُرَّةٍ.

الذّاكرة

٣٣٨هـ.

- ٥ -

سُنَّةٌ - شيعةٌ:

كُرةٌ سُوداءُ

تتدحرجُ فينا

نتدحرجُ فيها،

حَتَّى لَنَكادُ نَضيعُ،

ونجهلُ كيف نميِّزُ

فينا

بين المَوتى والأحياءُ.

- ي -

أشعر الآنَ أَنِّيَ في حاجةٍ

كي أغنّي

لا لهذا الأمير ولا ذاك،

لا للخليفةِ، لا للمكانِ ـ ولكن

لِلضّياء الذي لا يُسمَّى.

أشعرُ الآنَ أنّ الشّرارَ الذي فِيَّ

من هذه الطّبيعةِ

في حاجةٍ كي يُصلّي.

---

* أتُرى ذاكَ مُسْتَقبلي:

خَيْطُ أَرْيَانَ

يُسْجَنُ في مغزلِ؟

الذّاكرة

٣٣٨هـ.

ـ ٦ ـ

شيعةٌ ـ سُنّةٌ:

نِسوةٌ أو رجالْ،

بعضُهم بِاسْم سُنّيّةٍ

بعضُهم بِاسْم شيعيّةٍ،

يحرقون البيوتَ،

يَجرُّونَ أصحابَها

بالحِبالْ.

- ك -

أَلطريقُ التي سلكَتْها خُطايَ، سَلُوها

لِتروا ما رأيتُ. سَلُوها

عرفَت كلَّ شيءٍ:

شغَفَ القافلَهْ

وعذاباتِها،

والسُّهولَ التي رصدتْني، والجبالَ التي طاردتْني،

سَلُوها

عرفَتْ نكهةَ الموتِ في زفَراتِ النِّياقِ،

وضاعَت

بين أنّاتِها ومالَتْ

تحت أعناقِها المائِلهْ.

* أَتقصَّى، أسائِلُ: أين جذوريَ - في صخرةٍ، مثلَما قال جُرْحي؟

أَمْ تُراها، كما قال شِعريَ، في مَوْجةٍ؟

الذّاكرة

٣٣٨هـ.

- ٧ -

سُنّةٌ - شيعةٌ:

أَلقوافِلُ من عهدِ

عادٍ، تجوبُ

مفازاتِنا،

وفي كلِّ دَرْبٍ، وفي

كلِّ حيٍّ لها مَحْفَلُ.

فَبأيِّ الخُرافاتِ

نرفع في أرضِنا

رايةً لقتالٍ

ولمن، ولماذا

نَتقاتَلُ، يَا أيُّها

الرُّحَّلُ؟

الذّاكرة

٣٣٨هـ.

ـ ٨ ـ

شيعةٌ ـ سُنّةٌ:

نُهِبَ الكَرْخُ[1]. قَتْلى.

والوزير البويهيُّ

تُؤخَذُ أموالُهُ.

صائدون يَصيدونهُ.

أيّها الصّائدونْ

ألإمامُ هُوَ

الفَتْكُ.

وتُعْساً لدولابِ

هذا الجُنونْ.

ـ ل ـ

في الغُرفةِ حيثُ أنَامُ، بُيوتُ عناكبَ،

حَظٌّ

ألاّ يصدرَ عنها أيُّ هسيسٍ.

في صمتٍ تبني، وتعيش كأنّ العالَم خيطٌ

أَوْهَنُ مِمَّا تنسجُ   أروي

لِفراشي كيف تُسافرُ تحت السَّقْفِ

وبين زوايا، حول سريريَ، في أَشيائي

إِحداهنَّ تجيء الآنَ وتذهبُ فوق غطائي.

مِن نافذتي

يتدلّى خيطُ بَياضٍ.

* كيف تبني مقامَكَ يا شِعرُ في الأرضِ،
مِن أين يأتي إلى رئتيكَ الهواءُ،
والفضاءُ فَمٌ خَيَّطتْهُ السّماءُ.

(١) نُهب الكَرْخ في هذه الفتنة. وخرج، في السَّنة نفسها، «عمران بن شاهين الصيّاد، وانضمّ إليه الصيّادون. هزموا الوزير البويهيّ، وأخذوا أمواله. قويت شوكتهم».

الذّاكرة

٣٣٨هـ.

ـ ٩ ـ

سُنَّةٌ ـ شيعةٌ:
لَفْظتَانِ تنوءانِ
تحت الجِراحْ،
كلُّ حَرْفٍ محيطٌ
مِن دَمٍ وبكاءٍ.
لم تعد تتغنّى بغير
أَساطيرِ قتلاهما،
شَهقاتُ الرِّيَاحْ.

ـ م ـ

رأسيَ الآنَ ملآنُ شَوْكاً.
تَعَبٌ راكِدٌ في قرارة جِسمي،
تَعَبٌ آسِنٌ.

أَلزَّمانُ يلمُّ الفصولْ
وَيُقطِّعُ أوصالَها ـ يزنّر جسمي بها.

إقْرعِ البابَ، يا أيّها الذُّبولُ
ولا تَفتحِ البابَ، يا أيّها الأُفولْ.

* ما دمتَ تُجاهِرُ أنتَ ملاكٌ
فلماذا لا تبقى طيْراً أو تبقى ظِلاًّ؟

- ن -

في سريريَ شمسٌ ترنُّ خلاخيلُها،
والوسادَةُ محشوّةٌ
برياحينَ لا حلمَ فيها.

لم أعُدْ مالكاً لِنفسي:
وَطني قَشُّ غَيْبٍ
ودروبي شرارٌ -
وكأنّي أسيرٌ لهذا الكَلامْ.

ليلُ هذا المكانِ ثقيلٌ
وأنا عاجِزٌ أن أنَامْ.

* كلُّ ما قلتَهُ، أو أشرْتَ إليهِ
صُوَرٌ في كتابِ المُحالْ،
فلماذا، لماذا
لم تزل تعشقُ الأرضَ، يا أيّها الخيالْ؟

الذّاكرة

٣٣٨هـ.

- ١٠ -

شيعةٌ - سُنّةٌ:
فتنةٌ دائِرهْ
كيف لا يَنْفرُ
الضَّوءُ منها،
وترفضُها
اللّغةُ الشّاعِرهْ؟

الذّاكرة

٣٣٩هـ.

أُرجِعَ الحَجرُ

الأَسْودُ[١]:

أَلطَّريقُ التي شَقّها

عائداً،

بعد عشرين عاماً

إلى بيتِهِ،

حَجَرٌ يَنْحني،

وأَساطِيرُ

تُسْتَوْلَدُ.

- س -

أَلحُروفُ السّواكنُ، شأنَ الحروفِ

الصّوائتِ، ليست غُراباً

ولا هُدهداً.

سُوَرٌ من غيوم الخريفِ، يُحوِّمنَ في

رأسِ صَيْفٍ:

يَسْتَشْرِنَ ينابيعَهُ

ويؤكِّدنَ ما قَلتُهُ.

---

* لا أريد العراقين مُلْكاً،

لا أريدُ الولايةَ حتَّى على كوكبٍ، فخذني

أيّها الشعرُ، خذني

إلى خيمةٍ، أو إلى وَرْدةٍ.

(١) قِيل في تنويع على الرّواية التي تقدّم ذكرُها: «لَمّا أخذه القرامطة، حملوهُ على عِدّة جِمالٍ تقرَّحت ظهورها، ولمّا رَدّوه، حملوه على جملٍ واحدٍ، ولم يُصبْه أذىً!».

الذّاكرة

٣٤٠هـ.

ـ ١ ـ

يَدّعي أَنّه الرّبُّ[1]؟

خَلُوهُ في شأنهِ.

ما الذي يتغيَّرُ إن

قال لِلشّمس أو للألوهةِ

شَخْصٌ:

إنني وَجْهُكِ الآخَرُ؟

قد يُقال له أنتَ طِفْلٌ

أو يُقال كلامُكَ

مُسْتَغْرَبٌ، ولكن،

لا يُقالُ لَهُ كافِرُ.

- ع -

حَقّاً، كأنّ الكونَ مُنْقلِبٌ عليَّ.

ماذا جنيتُ من الحياةِ؟ تشرُّدٌ

وصداقةُ امرأةٍ. فقيرٌ

لِلدّمع يمزجني بنبع جراحِها

لِغلالةٍ

أتنوّر الجسدَ البهيَّ وراءَها

وأزيحُها خَفِراً وأَهوي

في لُجَّةِ الجسَدِ البهيّ.

* لا تَقُل هذه طريقيَ، أو هذه طريقٌ،
إذا لم يكن بدؤُها هُوّةً.

(١) «رُفع إلى الوزير المهلّبي رجلٌ مِن أصحاب جعفر بن أبي العزّ الذي قُتِلَ على الزّندقة، كما قُتِل الحَلاَّج. اتّبعهُ جماعة من الجهلة صَدَّقوه في ادّعائه الرّبوبيّة، وأنّ أرواح الأنبياء والصّدّيقين تنتقل إليهم. وُجدت في منزله كتبٌ تدلّ على ذلك. كان معزّ الدولة يُحبّ الرّافضة. قبّحه اللّه!».

٣٤٠هـ.

ـ ٢ ـ

أَنْ يجيءَ نبيٌّ
أَوْ مَلاكٌ، وينزلَ
في صَدْرِ شَخْصٍ
شاعرٍ أو سواهْ،
حدَثٌ من بَهاء السَّماءِ،
بَهاء البشَرْ
حَدَثٌ ليس فيهِ
ما يَضيرُ الإلهْ،
حَدَثٌ يُنْتظَرْ.

ـ ف ـ

هَلاَّ سمعتَ هديرَ مَوْجِيَ أيّها الزَّمنُ
الحطامُ
لا صوتَ يقدرُ أن يُحيطَ بما أُحسُّ
ولا كَلامُ.
بزغت نجومٌ في فضاء تشرُّدي
ناجَيْتُها،
وسألتُ عن أسمائِها
لا نورَ أَصْغى للسؤالِ ولا ظلامُ.

* أَشْعِلْ قنديلاً، حيث ذهبْتَ،
ولا تَسْتغرِبْ
إنْ لم يَرهُ إلاَّ عميانٌ.

الذّاكرة
٣٤٠هـ.

ـ ٣ ـ

نَفخَ اللّهُ من روحهِ
في جسوم بنيهِ،
فرأى بعضُهم
أنَّ في روحهِ نبيّاً
ورأى بعضُهم ملاكاً،
لا مسافةَ، لا فَصْلَ
في نَشْوة الكونِ،
بين الحضورِ وبين
الغيابْ،
ورحيقُ السَّماء رفيقٌ
وصِنْوٌ
لِرحيقِ التّرابْ.

ـ ص ـ

أهو الفرارُ؟ أفرُّ من حُلْمي، ومِمّا كانَ
لي أفقاً، وأتركُ مِصْرَ؟ عفوكَ
يا كليميَ، أين أنتَ؟ وأنتَ يا هذا
النّخيلُ أَجِبْ، ويا ذاكَ العرارُ.

أَتُرى طريقيَ شئتُهُ،
أم شاءَني؟
أَتُراه ضوءٌ مُسْتَعارُ؟

---

* لا تَخفْ غيرَ عِلْمِكَ،
يا أيّها العالِمُ.

- ق -

ماذا أقولُ لِمصرَ؟ كلاّ،

لم أَهْجُ مِصْرَ - سَخرْتُ من حُكّامِها

(لكنّني أخطأتُ إذْ ماهَيْتُ بين تُرابِها

ونظامِها).

لم أَهْجُ مِصْرَ - هجوتُ ذُلاًّ

وضمائراً منخورةً.

وهجوتُ عَرْشاً: ما شأنهُ

إن لم يكن ضوءاً يُسبِّح وجهَ مِصْرٍ؟

---

* ربّما كان ذَنْبي

عند أعداء شِعري،

أَنَّني

لا أكنُّ لهم أيَّ شَرٍّ.

الذّاكرة

٣٤٠هـ.

- ٤ -

شَزَراً، طِفْلَةٌ

نَظَرت للمعلّم، قالت:

لا أرَى بين عينيكَ

أيَّ ملاكٍ.

قِيل كان المعلّم

يَرْوي لها

أنّه نَجمةٌ.

الذّاكرة

٣٤٠هـ.

ـ ٥ ـ

شاعِرٌ أكّد الأصدقاءُ
وأكّد جيرانُه
أنَّه، كلَّ يومٍ،
يَتقمَّصُ مِصْباحَ ما
كان يُدعَى زقاقَ
العروسةِ في حَيِّهِ
ويأوي إلى حانةٍ.

قِيلَ من قَبلُ عنه:
عادةً تشرق الشَّمسُ
في جَوّ بغدادَ
مُسْلِمةً خَصْرَها
لِهوى كتفيْهِ.

ـ ر ـ

بيني وبين النّيل فاتحةٌ على غيب الجراحِ،
وبين شِعري
والنّيلِ سِرُّ غوايةٍ كُبْرى، وبينهما انفجارُ
أَبَدٌ من المعنى تقمَّصَ أرضَ مِصْرٍ
مِيثاقُهُ ماءٌ
وصورتُه من الماءِ الشَّرارُ.
وأقولُ مِن وَلَهٍ، وأكتم غَيْرتي:
يا نِيلُ كيف يصحُّ أن تستقطبَ الدّنيا،
وتعشقَك العناصِرُ والفصولُ،
ولا أَغارُ؟

---

* قُلْ: نعمْ لِلطَّريقِ،
وكلاًّ لمن شَقَّها.

- ش -

أَتُراه يشتاقُ الفراتُ إلى خُطايَ؟

تَرى إليَّ أزقّةٌ

في الكوفةِ ارتسمتْ عليها

آهاتُ سَقّاءٍ؟ أتحتاج السّماءُ إليَّ،

كي أصلَ النّجومَ بليلِ جَدّتي البعيدِ،

وكي أُلاَمِسَ غيبَ أمّي؟

هوذا أعود إليهمُ

هوذا أعودُ بلا رجاءٍ وبدون يأسٍ،

أحيا غريباً مثلَهم

الشِّعر كوكبُنا وفتنتُه المدارُ.

---

* ليلاً، حين أنامُ، يكون العالم في رأسيَ

مَعْنى،

فلماذا، حين أفيقُ صَباحاً

يصبح هذا المعنى صُورَهْ؟

الذّاكرة

٣٤٠هـ.

- ٦ -

انظروا هذه المِدفأةْ

حولها، حول جَمْرٍ

يتأجّج في صدرِها،

تتبادَلُ روحيهما

وردةٌ وامرأةْ -

فوق رأسيْهما

مَلاكٌ

يغطّيهما بأهدابهِ.

انظروا، ها هو

الملاكُ يوحّد

وَجْهيهما.

٣٤٠هـ.

ـ ٧ ـ

ظَبْيةٌ قَتلَتْها

رماحُ القبيلَةِ، لكن

هِيَ ذي تتناسَخُ في حانةٍ

كان يأوي إليها

نَواسيُّنا.

ظبيةٌ تتناسَلُ

في ماء أحزانِها.

ـ ت ـ

خمرُ الغيوبِ تَسيلُ في جسد المكانِ،

شُعاعُها

جسَدُ الهواءِ: دمي رحيقٌ

مِمّا تُعتّقُهُ، وأيّامي جِرارُ.

مِن أين آخذُ هذه الدّنيا، ولؤلؤ عَرْشِها

طينٌ، ومالِكُها غبارُ؟

أَتُرى حياتيَ نَشْوَةٌ

طاشَت وطاشَ بها المسارُ؟

* يُوشكُ من يَفهمُني حَقّاً،

أن يَسْتَعْبِدَني.

- ث -

شَرَرُ الرَّحيل لَبستُهُ
وَبنارِهِ لَقَّحْتُ خَطويَ: لا قَرارُ.

أَلخالِقونَ كأنَّما خُلِقوا لكلّ مدينةٍ
ولكلِّ عَصْرٍ،
في كلّ مُفتَرَقٍ لهم بيتٌ،
وكلُّ سَحابَةٍ لهمُ دِثارُ.

* الوجودُ عَطاءٌ:
أَعْطِ كي تَتيقَّنَ أَنَّكَ حَيٌّ.

٣٤٠هـ.

- ٨ -

أَلرُّوحُ رحيلٌ.
ماذا لو شاءَتْ
أن تتوقَّفَ أو أَنْ
تَسكن في مفتاحٍ
أو في قِفْلٍ؟

أَلرُّوحُ هواءٌ أو نورٌ
ولها أن تسكنَ أَنّى
شاءَتْ.

أَهناكَ ملاكٌ
ليس هواءً،
أو نوراً؟

الذّاكرة
٣٤٤هـ.

- ١ -

إنّها الحربُ[1]

تغسل أردافها

بدم المسلمين!

- ٢ -

سمَكُ العَرش

يَسبحُ في

بركةٍ من دماءٍ،

والحياةُ جحيمٌ

حيثما كنتَ في ظلّ

هذي العروشِ -

عروشِ العَرَبْ،

فازْفري عالياً وانْشُجي،

يا رياحَ اللّهَبْ.

(١) «جرت حروبٌ كثيرة في هذه السنة، بين المعزّ الفاطمي، وصاحب الأندلس عبد الرحمن النّاصر الأمويّ».

- خ -

يا ذلكَ الوجهُ الذي رسمَتْه أيَّامي على

جسَد الحياةِ أَنِزْ خُطايَ أَنِرْ

هَوايْ

لي منكَ في الظنّ الجميلِ على فِراشيَ شَمْعةٌ

هوذا أَدورُ بها وأكتبُها،

وأَقرأ ما تَخبَّأَ من دفاترِها،

وتسكر بِاسمها لغتي، ويَسْكر بِاسمها

حبّي، ويسكر ساعدايْ.

* لا ضياءٌ،

إذا لم يكن آتياً مِن جراحِكْ.

- ذ -

أَلشَّمسُ تدخلُ في خِبَاء حنينِها -

حانَ الرّحيلُ

ماذا؟ كأنّ هوايَ مُنْشَقٌّ

وترحالي عليلُ

في ساعديَّ قيودُ أحلامٍ

وفي قلبي طلولُ.

❊ الدّمعُ طريقٌ

تسلكه العينُ لتكتبَ فيهِ

ما لا تقدرُ أن تَقْرَأَهُ.

٣٤٤هـ.

- ٣ -

فاطميٌّ هنا، أمويٌّ

هنالكَ، والنّاسُ

في أمرهم، وفي غيِّهم

سَادرونْ،

ولماذا، إذن، لا يُربَّى

على الحَرْب آباؤنا

وأَبناؤُنا؟

ولماذا

لا تُشَقُّ القُبورُ

لِتُشْرَكَ فيها،

ويُبْتَعَثُ

الميّتونْ؟

- ض -

غَنّيتُ للمتشرّدينْ

أَلغاضبينَ على الهواءِ - يهبُّ دونَ رسالةٍ

مِن طائرٍ أو وردةٍ وقرأتُ شعريَ

للفضاء - ممزَّقاً بحدودهِ وأقولُ للمتجبِّرينْ،

في أيّ قافلةٍ مَضَوْا مِن أيّ قافلةٍ أَتَوْا:

ناموا وراءَ سيوفكم،

ناموا أمام سيوفكم،

وَلْينهمرْ كَذِبُ المدائحِ فوقكم،

وَلْيَصطَخِبْ قالٌ وقِيلُ،

في هذه الأرضِ الجميلَةِ

وحدَه، يَبْقَى الجميلُ.

* عَبثُ الواقع عالٍ
لا يقدرُ أنَ يَبلغهُ حُلْمٌ.

الذّاكرة

٣٤٤هـ.

- ٤ -

فاطميٌّ هنا، أمويٌّ

هنالك: رُمْحٌ

في افْتِتانٍ،

وسْيفٌ

في عبَاءة زَهْوٍ.

يَا بلادَ الكتابِ

وأسرارِه العاليهْ،

رُبّما فَاتَكِ الوَقْتُ:

هذي الحياةُ التي

شِئْتِها،

لا طريقٌ لها،

لا مكانٌ سِوى

الهاويهْ.

- ظ -

أَلوحدةُ اتّكأَتْ على أَوْجاعِها
والضّوءُ يقرأ جُرحَهُ
لكواكبِ اللّغةِ البعيده.

في كلِّ شيءٍ بُحَّةٌ
والأفْقُ منكسِرٌ: حضَنْتُ
هَواجِسي،
ودخلتُ في كَنَفِ القصيدَهْ.

* لا جحيمٌ، ليعرفَ كيف يُحسُّ بنارِكَ،
أو يرتقي إليها، أيّها العاشِقُ
لا نعيمٌ، ليعرف كيف يُحسّ بنشوتكَ
الكوكبيّة، أو يرتقي إليها، أيّها
الخالِقُ.

الذّاكرة
٣٤٤هـ.

- ٥ -

أمويٌّ هنا، فَاطميٌّ
هنالكَ: يا هذه
الأمُّ، يا أبجديّةَ
تاريخنا الدّامِعَهْ،
لم نعد فيكِ إلاّ
تَعِلّةَ شَكلٍ:
نحن تمثالُكِ العَجينُ
وخِرْقتُكِ اللامِعَهْ.

- غ -

لا حدودٌ لِمَسْرى هَوايَ. الحنينُ رداءٌ.
أتخيَّلُ ما تهمسُ الأرضُ،
ما يجهرُ البَحرُ،
ما ستقولُ التُخومْ.
سيكونُ افْتِتَاناً أن تسيرَ بيَ الأرضُ
حرّاً غريباً
قدَماً في الثّرَى، قَدَماً في الثُّريّا.

أتبعثَرُ في فَلَكٍ من ظنونٍ
وأسائلُ مِن أين جئتُ إلى أين أذهَبُ،
عَرّافةَ النّجومْ.

* من يقولُ: القصيدةُ ليلٌ
وعُزْلَةُ مُسْتَوحدٍ في سَفَرْ؟
ألقصيدةُ أرضُ البَشَرْ.

الذّاكرة

٣٤٤هـ.

- ٦ -

فاطميٌّ هنا، أمويٌّ
هُنالِكَ: والنَّاسُ
في حيرةٍ سَاهمونْ.
أنقولُ السَّلامُ على
أرضِنا
أَنقولُ وداعاً لتاريخنا؟
وأنا لستُ إلاّ سؤالاً،
هل لديكم جوابٌ
أيّها العارفونْ؟

هوامش
(يوميّات المتنبّي)



VI. غَوْر

١ ـ لو

أَتخيَّلُ بغدادَ، لكنني أُحيّي
حَلباً، وأُحيّي كوفةَ الثائرينَ ـ تَرصَّدْ
كيفَ تَعجنُ بغدادُ أحزانَها
في الميادينِ، في كلّ حيٍّ، وفي كلّ بيتٍ
وتُزاوِجُ بين الرَّغيفِ وأَحلامِها والسَّهَرْ.

لَوْ ترصّدْتَها،
لَصنعتَ من اللَّيل قيثارةً وغنّيتَها
وتَمثَّلْتَ فيها هواكَ ومَهْديَّكَ المُنتظَرْ.

٢ ـ عهد

لم تتركْ إِثْماً

إلاَّ علَّمتَ جراحي أن تُتْقِنَهُ

مائي ظَمَأٌ

ودمي لُججٌ مِن حيتانٍ.

لكَ عَهْدي ـ أَنْ أَبْقى

أتعلَّمُ كيفَ سأولَدُ، كلَّ نَهارٍ،

بِاسْمِ الحبِّ،

وكيف سأحيا.

٣ ـ تجويف

ليس هنالك، حيث وُلِدتَ،
وحيث سَتُقْبَرُ، إلاّ
تَجْويفٌ يُنْفَخُ فيهِ
مِن رُوح غبارٍ شَيْخٍ
طِفْلٌ قاموسيٌّ.

هل يُزْهِرُ صَخْرٌ حَقّاً
إنْ لامَسَهُ رَبٌّ؟

٤ ـ عندما

عندما تعبرُ
يُكْسَرُ الضَّوءُ في خطواتكَ،
والشَّمسُ تفتح أحضانَها
لكتابِ الجراحِ وأسرارِها،

عندما تعبرُ
في زِقاقٍ تَعلَّمْتَهُ خطوةً خطوةً،
أو إلى جَنْبِ مئذنةٍ نمتَ في ظِلِّها،
أو قبالةَ بيتٍ من الطِّينِ آخيتَهُ ـ ولكن،
قُلْ، لماذا
عندما تعبرُ
لا تلوِّحُ، لا تَنظرُ؟

٥ ـ مُداوَلة

حَلَبُ ـ كيف صارَتْ
أنتَ يا مَنْ شَبَبْتَ على زَهْوِها
وتَشَبَّبْتَ بالكَوْنِ فيها؟

أَلغبارُ فَمٌ يَشْرَبُ الضَّوءَ
والشَّمس ترثي قُوَيْقاً.

أَتُراها الأرائِكُ مَحشوَّةٌ رؤوساً؟
وما هذهِ الجسومُ التي تَتوحَّشُ،
ما هذهِ الرّؤوسُ التي تُرْكَلُ؟

جَحفَلٌ مِن عظامٍ يَغِيبُ
لِيَظهرَ في إِثْرِهِ جَحفلُ.

٦ ـ مطبخ

يَقْرأ القَصْرَ والشّعراءَ وأهلَ السياسةِ، طَبّاخُهم:
أَعْطِهِ صُرّةً،
أَعطِهِ منزلاً، أو حصاناً،
أَعْطِه ريشةً ودَواةً،
وقِدْراً
لِلحساءِ، وخُذْ ما تيسَّرَ
مِنْ حَشْدِ هذا الورَقْ.

وَرَقٌ قُرَشِيٌّ
مَنْ تُرى يتجرَّأُ أن يتوسَّل طَبَّاخَهم
كي يكونَ رفيقاً بهذا المَرَقْ؟

٧ ـ إنَّها

إِنَّها ـ لا تردُّدَ، لا شَكَّ في ما أقولُ ـ السَّماءْ
فوق بغدادَ، في حلَبٍ، في دِمشْقٍ
وعلى ضِفّة النّيلِ، ترعى
وتحرسُ عَرْشَ الخِلافةِ،
والوارثينَ،
وغِلْمانَهم.

إِنَّها إنَّها السَّماءْ:
في يَدٍ خَنْجَرٌ،
في يَدٍ بَبَّغاءْ.

٨ ـ أبداً

أَبداً، لو تَوضَّأْتَ بالعِطْرِ،
لو أَنَّكَ العِطْرُ،
باركتَ أيّامَنا وباركْتَنا
بالكلام الذي سُمِّيَ الوَحْيَ،
أو بالتّراب الذي لا يزال على وجههِ
أَرَجُ الأنبياءِ وآثارُ أقدامهم،

أبداً،
لن يكونَ لتاريخِ مَعْناكَ إلاَّ
شَكْلُ مُسْتَنْقَعٍ.

٩ ـ نقائض

ما تُرانا نقولُ هنا الآنَ في المَرْءِ ـ هذا الذي
تتحيَّرُ فيه البصائرُ: جَمْعٌ
من نقائضَ. ذاتٌ
تتقنَّعُ حتَّى لَتلبسُ كلَّ قناعٍ. جُزَيْءٌ
يحتوي الكُلَّ. يُخلَقُ لكنه خالِقٌ.
عاقلٌ والجنون هواءٌ له. واهِمٌ
غيرَ أنَّ له بصَراً من حديدٍ،
حائِلٌ ثابِتُ.

ما تُراكَ تقول هنا الآنَ فيه ـ
أنتَ، يا عقليَ الصَّامِتُ؟

١٠ ـ رقص

يَضْحكُ النّيلُ أم ذاك طِفْلٌ
له النّيلُ وجهٌ؟

رقصُ مَوْجٍ
وفي العُشب، في الضفَّتيْنِ، عيونٌ
تتلمَّسُ أحلامَها،
وقاماتُ ضَوْءٍ، وأكفٌّ تُصفِّقُ. عِيدٌ.

عاشِقٌ ممسكٌ بيديْ شَمسهِ:
يَلبسُ الفجرُ ثوباً
حَاكَهُ من براعمِ أزهارهِ.

آهِ، يا ذلك الحبُّ. من أين تأتي إلى كوخِ أَيّامِكَ الباكيَهْ
هذه النّجمةُ العاليَهْ؟

VII

فاصلة استرجاع

(المتنبي يخاطبُ امْرَأَ القيس)

التّخيلُ يفتح لك الطريقَ حيث تعبر ناقةٌ تشبه الكلام. ألهذا
سمّيتَ الحبَّ غزالةً رحتَ تطاردها وتركتَ أنحاءكَ
تتشبَّه بالأفُق ونفسَك «تتساقطُ نفوساً»؟
«اليومَ خمرٌ وغداً أمر»:
عرفتَ كيف ترقص منفرداً، وكيف تصنع لموتك فضاءً.

حين تناءَتْ «فاطِمُ»،
خرجَتْ أحزانُكَ وراءها تِلالاً.
أنتَ الآن مُفْرَدٌ وأستطيع أن أسألكَ:
هل أحزانُكَ لك؟
هل أنتَ أنت؟

ـ غديرٌ عارٍ:
نساءٌ
يلبسنَ
الماء.
ـ هل الحياةُ امرأةٌ تعيش
في غابات
المجاز؟

ـ كان فارسَ
الهجوم،
لهذا
خانته
الأشياءُ الهاربة.

ـ أليست الغيمةُ
الصيّادَ الوحيدَ
الذي يموتُ
لتحيا
طريدتُه؟

خدعتك «فاطمُ» ـ
مَنحتكَ كلَّ ما ليس منها.
خانتكَ ولم تهجرك:
هكذا، غالباً، يُولَد الحبُّ.

في «المُلْكِ الذي حاولتَه»، وتركْتَه تائهاً، يمتدُّ
شهيقٌ يحمل تاريخك:
العمل حصادُك الذي اكتمل،
والحلم الزَّرعُ الذي لا يكتمل.

إنها الصَّحراءُ لا تشيخُ وهيهاتَ أن ترتوي
بماء كلماتك.

ها همُ «الحُرّاسُ» يَسْتسرّون في الهواء
ها هو «القتل» بساطُ المسافات
قُل لصاحبكَ: «لا تبكِ»، وضَعْ خَدَّك على التّراب.

حولك رياحٌ

وفي مكانٍ ما، بقرةٌ وحشيّة تزفر حنيناً.

مع ذلك   لا تزال شفتاكَ بين حروفكَ،

وما زلتَ معنا،

تهجمُ، وتجوبُ المفازات.

- هل الغبارُ يكتبُ الرّيحَ، أم الرّيحُ تكتبُ الغبار؟

«مَوجٌ هو اللَّيل، والصّباحُ ليلٌ آخر»،

«ذراعك تضيق أن تقومَ فتلبسَ رداءك»،

وها هي الرِّيحُ تَنسجُ المكان.

خَطِّطْ لهذه النهاياتِ حروبَها، واستبسلْ.

سيكون الرّملُ فخوراً حين يغمرُكَ،

وسوف ترقصُ الرّيح.

أعطيتَ أطرافَكَ للأقاصي مازجاً بين الشّمس

ولهبكَ: هكذا وسَّعتَ حدودَ سِجنِكَ.

أيُّ عُرْيٍ في أن تشاهدَ الصّحراءَ تلبسُ

أحلامكَ!

أيّةُ حرّية في أن يكون الهواءُ حصاراً!

أنت الآن تتشرَّدُ في قبيلة الصّمت، والشِّعر وحدَه

يَستعيدُ صراخَكَ   في مجالسَ لِلنّبيذِ والطِّيب

حيث تَغْتصب اللّذةُ لُطفَ السَّماء   وتتصالح مع

السَّرابِ النبوءات

مُخالِفٌ مُنازِع:

أيّها التّائهُ كيف تقودُ غيرَكَ؟

قوسُ قُزحٍ من جهة الشآم:

إنَّه شِعركَ ينزفُ الضّوء.

الذّاكرة

٣٤٥هـ.

ـ ١ ـ

فتنة تتواصَلُ. قَتْلى.
شيعةٌ. سُنّةٌ.
وهذا
نِصْفُ جِنٍّ. وهذي
نِصْفُ شيطانةٍ،
والبقيَّهْ
صُورٌ تتألَّهُ في
نُسَخٍ آدميَّهْ.

ـ أ ـ

وَطَنٌ تُدَحرجُه عروشُ اللّهِ،
هَلْ يُجدي المقامُ لكي نُغيِّرَهُ؟
وهل يُجدي الرَّحيلُ؟

فَلأَحتفِظْ بِهواهُ،
وَلأَهمسْ لقلبيَ: كلُّ جرحٍ
وَطَنٌ لِنبْضِكَ، أو دليلُ
وَلَسوف تُؤويكَ الغيومُ كريمةً
وَلسوف يُسعفكَ النَّخيلُ.

* فَرحي طاغ:
أَلِهذا لستُ سعيداً
فيما أتنسَّمُ عَصْري؟

- ب -

عجباً! نَهارِيَ كيفَما عاينتُهُ

ظلماتُ شَكٍّ

ويُضيئُني،

ويُضيءُ ظلمةَ شكّيَ اللّيلُ الطّويلُ.

رُدّي عليَّ غطاءَ حبّي

رُدّي إليَّ غوايتي -

يا فتنةَ الدّنيا، أنا وجحيمُ عطرِكِ واحِدٌ

والمستحيلُ.

* رَبٌّ لا يعرفُه أحدٌ غيري

لا يفهمُه أحدٌ غيري،

أَيقنْتُ وأوقنُ فيهِ.

الذّاكرة

٣٤٥هـ.

- ٢ -

مُنْشِدُ الكَرْخ

مِنْبَرُ أَحزانهِ

شارِدٌ وارِدٌ.

والجموعُ على عَهدها

تتصوَّرُ حُزْناً

وجوعاً.

إِمَّحي واخْرُجي

من تهاويللكِ

النّيزكيّهْ

أيّها الهالَةُ الماضويّهْ.

- ج -

هُوذَا أعانق حيرتي

وأَرَى إلى زَمني يدورُ كأنَّه

كُرَةٌ من الورَقِ العماءِ،

يجرُّها حِبْرٌ عمَاءُ،ـ

أَلأَرضُ وارثةُ السَّماءِ؟ خرافَةٌ.

ما أفقرَ الأرضَ التي تَرِثُ السَّماءُ.

❊ أرضُنا كُرَةٌ من تُرابٍ

وهذي

قَدَمُ اللَّه تلهو بها، وَحْدَها.

الذّاكرة

٣٤٦هـ.

ـ ٣ ـ

عاشِقٌ يتسلَّقُ

ضوءَ النّجوم إلى

حبِّهِ،

أَخذَتْهُ فَجأةً، بين أنيابها،

فتنةُ العرشِ والدِّينِ.

أَحْرِقْ

ما تَبقَّى: أغانيهِ.

أَشلاءَهُ البارِدَهْ،

أيّها الشُّرَطيُّ الذي

يحرسُ المائدَهْ.

الذّاكرة
٣٤٧هـ.

ـ ٤ ـ

بَعْدَ طَعْنٍ هَنيءٍ،
أبْحَرَ الرُّمح في
الغيم، نحو السَّماءْ
كي يُزكّيَ
سِنَّهُ، ويُروِّي
ساقَه ويديْهِ
برحيقِ الملائكِ
والأنبياءْ.

ـ د ـ

مدنٌ تصيرُ مقابراً
وخُطىً تصيرُ دبيبَ نَمْلٍ.
حيِّيتُ ثَدْيَيْ نجمةٍ
وطويتُ تحتَ عباءتي ورقاً ضنيناً
أودعتُه ما كان بين دمي وهجرتِها النبيّهْ.

أأَقول هذي سَقْطَةُ الدّنيا، تمور تُخومُها
بجحافلِ الموتى،
وترتطم الضحيّةُ بالضَّحيّهْ.

* أسَألُ: ماذا يمكن أَنْ يعني
أيُّ كتابٍ لم يقرأْني؟

الذّاكرة

٣٤٨هـ.

ـ ٥ ـ

كوكبٌ ـ فِتْنَةٌ:

هو في عين مَحمودَ

وجهٌ

هو في عين حمدانَ

تُفّاحةٌ

فلماذا تكون الطّريقُ

إليهِ،

دَرَجاً مِن دماءٍ

صاعِداً هابِطاً؟

شَغفني كوكبٌ آخرٌ

يجيءُ إلينا

بطيئاً على فِيلهِ.

والطَّريقُ إليهِ

دَرَجٌ من وُرودٍ.

ـ هـ ـ

«أهناكَ شَيطانٌ يروِّعُني؟» سألتُ

سريرتي،

وأخذت أوغلُ في مخيِّلتي ـ أجسُّ

وريدَ حبّي،

وأقولُ، مِن ضَجَرٍ، كغيري:

رَخْوٌ هو الحَبْلُ الذي يصلُ الفجيعةَ بالرَّجاءْ.

وأقولُ مِن يأسٍ، كغيري:

نامَتْ نواطيرُ المدينة في طواحينِ الهواءْ.

* وحدَهُ، الغيبُ، يقدرُ أن يوقفَ الهواءَ

على رأسهِ:

هل يُتاحُ لِشكّي

أن يَرى هذه المعجزهْ؟

- و -

أَتعجَّبُ مِنّي: لماذا، جسَدي شائخٌ، وحبّيَ طِفْلٌ؟ ولماذا

جسدي، رُغمَ أهوالهِ، جامِحٌ،

وروحيَ في صُورَةٍ لا تُشَبَّهُ؟ سِيري

نَحوهم، يا خُطايَ -

إلى هؤلاء الذين يدقُّونَ بابَ

الرّجاءِ، يعيشون في ظلّ أحلامهم.

واحِدٌ نحنُ:

حُبّي،

والكونُ لا يَنْتَهي.

---

* غيَّر الوقتُ كرسيَّهُ

والدّقائقُ نَحْلٌ - خلاياهُ في كلِّ حَقْلٍ.

الذّاكرة

٣٤٩هـ.

- ٦ -

نَهضَتْ شمسُ هذا

الصّباح، رأَت جِسْمَ

بغدادَ أحمرَ،

والنّاسَ في شُغُلٍ

فاكهينْ.

إنَّه القَتْلُ يولِمُ

أَنْقاضَهُ،

إنها الحَرْبُ تَستنفرُ

الجائعينْ!

- ز -

رحْتُ أُوهِمُ صَحْبي

أَنَّني راغِبٌ في مقامي، ولكن

كنتُ في وحدتي أُهيِّئُ سِرّاً

لِلرّحيلِ بلطفٍ ورِفْقٍ.

أَشكرُ الرَّملَ ـ فيه دفنتُ رماحي،

وحملتُ على الإبلِ الماءَ في اللَّيل زاداً

لعشرين يوماً.

قلقي كالسَّحاب يقيسُ السَّماءَ بأشلائهِ.

❊ زمني غابَةٌ من خيوطٍ

لعناكبَ مِن كلِّ حِبْرٍ،

وأنا طائِرٌ يُقلَّب فيها.

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

- ٧ -

أَتُرى ذاكَ ما قَالهُ

الدِّينُ:

إمّا هُناكَ، وإمَّا

هُنَا؟

قِسْمةٌ مُرّةٌ

وخيارٌ عقيمٌ.

مَنْ تُرى أَنْتَ،

إن لم تَكُنِّي أَنَا؟

الذّاكرة
٣٥٠هـ.

ـ ٨ ـ

أيّها الولَدُ النّابهُ
أيّها المتسكّعُ في
كُوفةِ الشِّعر،
مُسْترشِداً
بأزقّةِ أحلامِها،
ربّما، كلُّ ما قالت
النّبوّاتُ خيرٌ.
ولكن،
كلُّ ما قالتِ الحياةُ
جميلٌ، ويؤكّد هذا
خِياري،
ما خِيارُكَ يا أيّها
الوالِهُ،
أيّها الولدُ النّابهُ؟

- ح -

إنَّه العِيدُ(*)، والنّاسُ «في شُغُلٍ فاكهونْ»،
والأميرُ وحرّاسُهُ
في ابتهاجٍ وفي غَفْلةٍ.

جاهِزٌ كلُّ شيءٍ،
وطريقيَ بيَّتُّها.

الرّحيلَ الرّحيلَ وهم غافلونْ.

* تَعَبٌ ـ لا أُقايضُ هذا التَّعَبْ
لا بِمُلْكٍ على الرّافدينِ، ولا بالذَّهبْ.

(*) عيد الأضحى، وعشية العيد بالذات كتب قصيدته «عِيدٌ بأية حالٍ...»، وانتهزَ انشغال كافور والناس بالعيد، ليرحل.

٣٥٠هـ.

ـ ٩ ـ

ألنبيُّ الذي كانَ،

من حكمةٍ،

مُسْتَطيلاً،

يُصبحُ الآن، مِنْ

حيرةٍ، كُرويّاً.

طيّبٌ ليلُ هذا

اللِّقاحْ

بين بَاهِ الغِنَاءِ

وبَاهِ النَّواحْ!

ـ ط ـ

هِيَ بَلبيسُ: عبد العزيز بن يوسفَ(*) ضوءٌ

في ظلاميَ ـ ضوءٌ صديقْ.

سيذلِّلُ من أجليَ الصِّعابَ، وأعرفُ

أنَّ الأميرَ يسيِّر خلفيَ خيلاً ورَجْلاً،

ويأمرُ عُمّالَهُ

كي يسدّوا عليَّ الطَّريقْ.

❊ ربَّما كان هذا الحجَرْ

قطعةً مِن شهابٍ هوَى.

ربَّما كان هذا الغمامُ بريدَ المطَرْ.

(*) كان الشاعر يعرفه، وقد نزل عنده في بَلبيس، فأكرمه وأرسل معه دليلاً.

- ي -

جِسْمَى(*) - أرضُ نخيلٍ، طيّبةٌ وندَى فَجْرٍ

مَحْمولٍ بين شِفاه نساءٍ يغزلْنَ

الضّوءَ، وقومُ فَزَارةَ - ما أكرمهم.

لكن، خيرٌ أن أرحلَ، يبدو أنّ فساداً

يَسْري بين عبيدي.

رأسُ الصّوّانِ وراءَ خُطانا

رأسُ حصانٍ بُحَّ ونامَ - الأفقُ نِداءٌ.

---

* كلّما قلتُ لِلشمس: لا تشربي ماءَ حبّي،

دَهَنَ اللّيل جسمي بِمرهم أحلامهِ.

(*) جِسمى موضع جميل يكثر فيه النخل.

ورأس الصوّان اسمٌ لموضعٍ آخر.

٣٥٠هـ.

- ١٠ -

دجلةٌ - مُتْحَفٌ سائِلٌ

لِلرّؤوسِ التي أُلْقِيَتْ

فيه، بِاسْمِ الخلافةِ،

أَو بِاسْمِ نُور الإلهْ.

دجلةٌ يتشهَّدُ رُعْباً:

فَمُهُ من حديدٍ،

ومن ذَهَبٍ رَاحتاهُ!

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

- ١١ -

إِنَّها ريشةُ الشَّمس

تكتب في دفتر الضَّوءِ:

«قولوا

للمحبّين، للرافضين، لأهل

التمرُّد، للخارجين وأصحابِهم،

إِنَّهم فتنةُ اللّغةِ العاليهْ

في حَناجر أيّامِنا الآتيهْ».

- ك -

جِسْمَى - كأنَّ ظلامَ اللَّه منبسِطٌ

على المدَى، وجراحاتي قناديلُ

تهبّ خيلي كمثْلِ الرّيحِ غامرةً

وَجْهَ الشّروقِ، وفي صدري صدىً وهوىً

لدجلةٍ، للفراتِ السَّمح يرفدُه

حبٌّ ورفضٌ وتنزيلٌ وتأويلُ.

أَرضُ العراق تباريحٌ على طُرُقي

وفي عروقي وأحشائي تراتيلُ.

* أَلنَّوافذُ تصطادُ صيّادَها، -

كان طيْرٌ تنزَّلَ مِن كوكبٍ غامضٍ

يتخبَّطُ في قَفَصٍ من نُحاسٍ

جرفته النّوافذُ في دَمْعِها،

وفي رِيحِها.

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

ـ ١٢ ـ

أَلمدائِنُ مخنوقَةٌ، ـ
أرضُها غابَةٌ مِن
عِظامٍ،
والتُّخُومُ ينابيعُ
حمراءُ ـ حَقّاً،
موتُك الآن،
يا أيها الخليفةُ،
يا أيّها البائِسُ،

أَنَّك القائِدُ الأمينُ
لقطعانِ هذي
المدائِنِ،
والحارِسُ.

ـ ل ـ

دومة الجندلِ[*] ـ
صخرةٌ؟ رأسُ شخصٍ مَرَّ والتهمتْهُ
شياطينُهُ؟
أَم تُراها صورَةٌ بينَ بينْ؟

في الفضاءِ نوافِذُ مِن كلِّ ريحٍ
والسَّماءُ تغيّر قمصانَها ـ السَّماء تواكبُ
ترحالَنا،
جسداً عارياً
وذراعين ممدودتينْ.

* وضع الغسَقُ الورديُّ يديهِ
فوق جبيني، ـ
مِن خاصرتي
يَهْمي عَرَقٌ ويسيلُ غبارٌ.

(*) اسم مكان.

- م -

إبلي تَضربُ التِّيهَ مِن أَوَّلٍ

إبلي غابَةٌ من رماحٍ

إبلي تتآلَفُ مع غيمةٍ راحلَهْ

وتقولُ لِلَيل العراقِ انتظرْنيَ في

فَيْءِ شُبّاكِها،

بعد أن تعبرَ القافلَهْ.

---

* رَحلَ العاشقون كما ترحَلُ النَّارُ

من ليل صَوّانِها، -

وَرَقُ الآسِ يقضم أظفارَه باكِياً.

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

- ١٣ -

شَعْوذَ الفيلسوفُ

الذي يتكلّم سِرّاً

مع جناحَيْ يمامَهْ،

فَاتَّعِظْ،

لا تُرَدِّدْ كلامَهْ!

(*) اسم موضع.

الذّاكرة
٣٥٠هـ.

ـ ١٤ ـ

فقهاءُ؟
حسناً، يعرفون مِن
الكَلِم المَيْتِ أعشاشَهُ
والطّيورَ التي
تتناسَلُ من بَيضِها
والمصيَدَهْ،
أَلهذا
يجرؤونَ على الشِّعر؟
ذُعْرٌ
يَتشرَّبُ أَعْضاءَهُم
كلَّما وَاجَهُوا قَصيدَهْ!

ـ ن ـ

نَخْلٌ. موضعُ ماءٍ لا نحتاج إليهِ،
لا نحتاجُ لأيِّ خفيرٍ.

بعدَ قليلٍ،
نَأتي لِنقابٍ(*)، وهناكَ سنسألُ
أيّ طريقٍ
بعد نقابٍ نسلكُهُ؟

أَلشَّمس تغازِلُ خلفَ النَّخْلةِ
عَينيْ ضَبٍّ.

* لم أزل
مثلما عوَّدَتْني ضفافُكِ، أسبحُ في
لغةٍ ماكِرَهْ،
يا فضاءَ الطُّفولةِ، أيَّتُها الذّاكرهْ.

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

ـ ١٥ ـ

شاعِرٌ فلكيٌّ

يتسكَّعُ

في أمّةٍ لاهيَهْ

ويقولُ الخلافةُ بيتٌ

لتقاليدها الباليَهْ.

هُوذا ـ يَتَفَنّنُ في

جَرْوِهِ شُرَطيٌّ.

ـ س ـ

تُرْبانُ(*) ـ أينَ العراقُ الآنَ، يا إبِلُ؟

ما هذه الأرضُ؟ نامَ الذُّلُّ في دمِها

في نَبضها، وتساوَى البحرُ والوشَلُ.

تُرْبانُ، أوقظُ مَيّاً ـ أنتشي فَرحاً

بِرَبْعِها، وبغيلانٍ

وأحتفلُ.

* دخلَ الضوء في رَقْصهِ، ـ

أَلتّراب يُسائل عن وردةٍ

لم يسلِّم عليها أمسِ سَقّاؤها

والسَّماء ترشُّ على الأرضِ مِلْحَ

مواعيدِها.

(*) موضع مَرّ فيه المتنبي.

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

- ١٦ -

«شاعِرٌ

هارِبٌ

مِن ضجيج الرُّعاعْ

سِجْنُهُ - وحدَهُ

الطَّرِيقُ إلى نفسه

في الظَّلام الذي

يَتكاثَفُ مِن حولِهِ؛

سجنُهُ وحدَه الشُّعَاعْ».

هكذا أَرَّخوا

للحياة التي عاشَها.

- ع -

أَلبويَرةُ(*) نَقْرٌ على بابِ قَفْرٍ.

أَلبويرةُ ألقت على الرّمل جعبةَ أحلامِها

ونامَتْ.

طَلَلٌ دارِسٌ وآثارُ نارٍ، -

ربّما تُولدُ الأرضُ مِن أوّلٍ

في بقايا رَمادٍ.

* نبتَ الشَّعْرُ في رأسِ هذا الحجَرْ

بِاسْمِ مُسْتَقَبلٍ مُنتظَرْ.

(*) موضع مرّ فيه المتنبي.

الذّاكرة
٣٥٠هـ.

- ١٧ -

قال: «أعطيكمُ
الخلافةَ، أرضَ
الخلافةِ، سلطانَها،
وما قبلَها وما بعدَها.

لا أريدُ سوى أن
تعيدوا إليَّ ذواتي
وحِبْري،
لا أريدُ سِوَى
وَحْدتي».

كَانَ يرنو إلى
السَّيفِ كيف يُفرِّقُ
بين الرُّؤوسِ
وأعناقِها.

- ف -

هذه أرضُ نَجْدٍ
وبُسيطَةُ(*) فيها وطنٌ لِلمها والنّعامْ.

وأكاد أرَى طيفَ ليلى
وألمسُ أردانَه الطّويلَهْ
وأكادُ أُلاَبِسُ قيساً.

وطنٌ فارغٌ من هُذاءِ العقولِ ومِن
هَذَيَانِ الكلامْ،
وطنٌ للوحوشِ الجميلَهْ.

---

* أَلْفيافِي تُتَرْجِمُ خيلي
وَخيلي تُترجِم حرّيتي.

(*) اسم موضع.

(*) موضع، والجُراويُّ نبع.

- ص -

كانت الشَّمس في عقدة الجَوْف(*) تشربُ
ماءَ الجُراويِّ(*)، حين هبطنا عليها.
شربنا. شربتْ نوقُنا وأفراسُنا.

عقدةُ الجَوْفِ تسأل من أين جئنا؟
تحاور أحزانَنا، ونفهمُ ما لا تقولُ،
وتفهم ما لا نقولْ.

عقدةُ الجَوْفِ تغزلُ أَبْهى عبَاءاتِها
مِن رُغاءِ النّياقِ ومن حَمْحماتِ الخيولْ.

* أَرَّقتْني الوحوشُ التي تتقافَزُ بين الورَقْ،
هل سيبقى طويلاً،
أيُّها الربُّ، هذا الأرَقْ؟

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

- ١٨ -

«أَعْطِني جُرعْةَ ماءٍ
وخُذِ العالَمَ.
لا أعرفُ. ماذا
قلتَ؟ لا أعرفُ.
كلاّ،
وَطني جِلْدي،
ولا أملكُ إلاّ
كلماتي».

الذّاكرة

٣٥١هـ.

ـ ١٩ ـ

ـ «هُرطوقيٌّ، مَنْ
يقتلُهُ،
يَعلُو بِاسْم اللّهِ،
ـ دَعوهُ
لن يعلوَ حتى عُشْبٌ
يُسْقَى
مِنْ شَرْيانِ
هُرْطوقيّ».

ـ ق ـ

أَتُراها الرُّهَيْمةُ(*) وجهٌ
لشقاءٍ تلاشَى؟
أَتُراها تودِّع أيّامَها الحزينَهْ؟

دجلةٌ والفراتُ نشيدانِ
والعشب يرقصُ:
للأرضِ عيدانِ، عيد السَّوادِ
وعيدُ المدينَهْ.

(*) موضع قرب الكوفة.

* أيّها الواقِعُ،
ما الذي يجرحُ الصّدقُ في رئتيكَ،
وماذا يضيركَ نَوّارُهُ الطّالِعُ؟

- ر -

شاطئانِ ـ البَقاءُ، الخُروجُ: الزَّبَدْ
موكبٌ من كُراتٍ. وَمَرْسى
لِيعاسِيبَ تَبْحثُ عن خُبْزِها.

يتخيَّلُ قِنّينةً، وَيَطْفُو
مثلَها ـ
لا اتّجاهٌ
لا مَدىً
لا أَحَدْ.

الذّاكرة
٣٥١ هـ.

قاتِلٌ يتمرأى
في خَناجرِ
أَسْلافِهِ.

* يدخل الضّوءُ في حالةٍ
يخرج الضّوءُ من حالةٍ ـ
لا شهيداً، ولا شاهِداً.
عابِرٌ يَتقَرَّى الطَّريقَ إلى نفسهِ.

الذّاكرة

٣٥٢هـ.

ـ ٢٠ ـ

الأَسواقُ سمَاعٌ[1]:

قيثاراتٌ سودٌ

بِيضٌ

تتدلّى

مِن أعناقِ رياحٍ

طِلَّسْمِيَّهْ.

الأَسواقُ نساءٌ

في شهواتٍ

روحانيّهْ.

ـ ش ـ

لم أُعِرْ مرّةً ذراعي لموتي.

هوذا الآنَ أدخلُ في روحهِ البارِدَه

وأطوِّق أطرافَهُ،

وأحسّ كأنَّا

طائرانِ يعيشانِ في أيكةٍ واحدَهْ.

* كَبدِي تتوغّل قُدّامَ جسمي،
وجسميَ يمشي أمامَ حياتي.

(١) «أمرَ معزّ الدولة بن بويه، قبّحهُ اللّه، أن تُغلقَ الأسواق، وأن تلبس النّساء المسوحَ من الشَّعر، وأن يخرجن في الأسواق حاسِراتٍ شُعورهنَّ، يلطمنَ وجوههنَّ، ينحنَ على الحسين، ولم يمكن أهل السّنة منع ذلك، لكثرة الشيعة، وكون السلطان معهم».

الذّاكرة

٣٥٣هـ.

ـ ١٠ ـ

الأسواق ثِيابٌ

أَحْلى

ما حَاكَتْهُ

أَيْدٍ بَغداديَّهْ.

الأَسواقُ

خَطايا لاَهُوتيَّهْ.

ـ ت ـ

لا تَسَلْ، لا تَسَلْني

عن أَبٍ أو قبيلَهْ،

نَسبي(*) في لساني.

جئتُ مِن غِيلِ دَهْري، وظنّي

أنني ذاهِبٌ إلى اللّهِ، غِيلَهْ.

* يقرأ الماءُ في شفتيَّ أناجيلَهُ، ـ
عَطشي عاشِقٌ.

(*) روى الخطيب عن عليّ بن المحسّن عن أبيه، قال:

«وسألت المتنبي عن نَسَبه، فما اعترفَ لي به».

(البرقوقي، ١: ٢٠).

الذاكرة

٣٥٤هـ.

ـ ٢٢ ـ

الأسواقُ خَمائِرُ حبٍّ
في أجسادِ جُثَثْ،
وعشاءاتٌ
حول موائدَ سِرّيّهْ.

الأسواق وجوهٌ
تتوهَّجُ في استحياءٍ،
يتلاقى فيها
ضوءُ الشَّمسِ
وضوءُ الحُريّهْ.

ـ ث ـ

نَجمةٌ
تتغطَّى بِبُرقُعِ أحزانِها
زَمَّلت وَجْهَها
بحنيني، وغابَتْ.

عَرَقي صارَ ثوباً لها.

* أَذِنَ اللَّيلُ للعاشقينْ
أن يظلُّوا على حبِّهم ساهرينْ.

الذّاكرة
٣٥٤هـ.

ـ ٢٣ ـ

«النّساءُ يخوّضْنَ في
النّهر، يُلقينَ أفخاذهنَّ،
وقمصانهنَّ، ويصرخْنَ
في الماءِ: أينَ الحسينْ؟

عَبَثُ الرّيحِ والرَّمْلِ مِلْءَ
الفضاءِ،
وملءَ الحقولِ،
ومِلْءَ اليدينْ»:

هذه صورةٌ
لمثالٍ قديمٍ
قدَّمَتْها لِسُكّانِ
بغدادَ، هذي العشيّةَ،
أَسْوَاقُها.

- خ -

أتخيَّل أنّي أسائِلُ قيساً: أَيْن ليلى؟
تُرى ما تزالان عِطرين في وردةٍ واحدَه؟
وبماذا أُدفِئُ أحشاءَ هذا الفضاءِ وأعضاءَه
الباردَه؟

وأُسائِلُ: ما الكوفَةُ الآنَ؟
قيثارُ حبٍّ،
أم لقاءٌ أليفٌ بين قَتْلٍ وَقَتْلٍ؟

* هوذا نرجسٌ:
لِماذا
لا أرى فيهِ وَجْهاً، ولا زَهْرةً؟

- ذ -

إنّها الأرضُ مخنوقَةٌ

ودمُ الطَّبع ينقضُ ميثاقَهُ

معَ نبض الطّبيعةِ. والحبُّ يرثي لِأحلامِهِ

نازفاً عند شبّاكهِ:

قَلَّما تقرأ البيوتُ قناديلَ عُشّاقِها،

وأرَى، لا أرَى - هل أصدِّق عينيَّ -؟ إلاَّ

بشراً ميِّتين يَعيشون في طينةٍ حيّةٍ.

* قل لِعدوِّكَ: سوفَ تظلُّ صديقاً

ما دمتَ فضاءً

أقْرأُ فيه أخطائي.

الذّاكرة

٣٥٤هـ.

- ٢٤ -

الأَسْواقُ جِراحٌ

أَردَافُ جنونٍ

وصدورٌ تصرخ حُبّاً.

مَهْلاً، يا هذا الرَّعدْ،

الأسواقُ تَكادُ تميدُ

وتهوي

تحتَ هَديرِ الوَجْدْ!

- ض -

أهناكَ ابتداءٌ؟ أهناك انتهاءٌ؟

أم لغاتٌ توسوسُ أحشاءَنا

ونُهاجِرُ فيها نُهاجِرُ منها

كي نُحرِّرَ إيقاعَنا

مِن سلاسلِ إيقاعِها

ونعودَ إليها

ونكرِّرَها في لغاتٍ سواها؟

* أتغيَّرُ - كي تبقى

نفسيَ نَفْسي.

الذّاكرة

٣٥٤هـ.

- ٢٥ -

الأَسواقُ زواجٌ

بين الطَّبْعِ

وهذي الأرضِ - اللُّعْبَهْ.

الأَسْواقُ

جِبِلَّةُ دَمْعٍ،

يأسٌ يَشْرَبُ،

لكن،

لا يَشْربُ إلاَّ

ماءَ الرَّغْبَهْ.

الذّاكرة
٣٥٤هـ.

ـ ٢٦ ـ

«بين سُنّيةٍ
تتغرّب في فِقْهِها
وشيعيّةٍ
تتغرّب في كُنْهِها،
أتخيَّل أنّي
غابةٌ من لغاتٍ.
أَلفضاءُ سريري
ورأسُ السّماء على
ركبتيَ.
آهِ ـ ماذا؟ أَحَقّاً
نسيَ الضّوءُ، هذا
الصّباحَ، مفاتيحَهُ
في يديّ؟»:
هذه صُوَرةٌ
لرسالةِ حبٍّ
قديمٍ.

ـ ظ ـ

لَمْ أحاولْ، كما وَسْوَسَتْ جراحي،
أَن أهدِّمَ جسرَ التودُّدِ
بين امْرئِ القيس والمُلْكِ،
حاولتُ أن أُغويَ الزُّهْرةَ العربيَّةَ
كي تتجلّى على دَرْبهِ
وترافقَ أحوالَهُ.

غيرَ أنّ يدَ اللّه جاءت:
أخذَتْ وقتَهُ،
أخذَتْ وقتَها،
أخذَتْ وقتَنا.

* فوَّضَ الرّاكبُ الغيمَ، نبعَ الحياةِ
إلى جَوْفِ إبريقهِ.
جوفُ إبريقهِ رمادٌ.

- غ -

ها هُنَا نستقرُّ. أنَخْنا. «ركَزنا الرّماحَ»،

أخذنا «نقبّل أسيافَنا».

«وكُنّا وفَيْنا، وكُنّا أبَيْنا، وكُنّا عَتَوْنا على من عَتَا»،

و«ما كلُّ من قال قولاً وَفَى

ولا كلّ مَن سِيمَ خَسْفاً أبَى،

ومن كان يحملُ قلباً كقلبي

يشقُّ إلى العزّ قلبَ الهلاكِ، بشعرٍ

مدحتُ به الكركدنّ، بين القريض وبين الرُّقَى

وما كان ذلك مَدْحاً لَهُ،

ولكنّه كان هَجْوَ الورَى».

---

* إنَّه الشِّعر يأتي

من يقين المكانِ إلى لا مكانٍ.

الذّاكرة

٣٥٤هـ.

- ٢٧ -

آهِ، ما أحوجَ الصّلاةْ

لحناجرَ من ياسمينٍ

وطيبٍ.

هكذا مَنْ يُصلّي

ومن لا يُصلّي،

يَصْعدون على سُلّم

الفضاء

إِخْوةً في البهاءْ.

هكذا تُصبح الحياةْ

شغفاً وابتكاراً.

هكذا يُصبح الشّعرُ

لِلكلِّ تَرْتِيلةً.

هوامش

(يوميّات المتنبّي)



VII. غيب

١ ـ إصغاء

في التشرُّدِ، أصغيتُ دوماً إلى الأرضِ تُنبتُ أعشابَها.
عَملٌ شاعِرٌ. غير أَنَّ النّباتَ يحبُّ الرَّتابةَ كالبحرِ. كلاّ،
لا أحبّ الرّتابةَ لكنني
ذُقْتُ شعر التموُّج، شعرَ الفروقاتِ، فيها، وذقْتُ
الهبوطَ إلى الجَذْرِ: حاوَلْتُ
أن أتبيّنَ فيه جناحَيْنِ، ليلاً، ولكن
صَرْخَةٌ أخذتني إلى بُومَةٍ،
تتذوَّق مثلي طريقاً إلى جَذْرِها.

أتشرّدُ. ضَوءُ الصّباح أمامي، هنالكَ، يعلو وحيداً على تَلّةٍ.

٢ ـ انطفاء

أَلشِّتاء انْتَهى
وأنا لم أكد أَبْدأُ.
الفصولُ مرايا، والحقولُ وجوهٌ.
سَقطت شمسُ هذا الصّباحِ على وَجْهها،
عندما رحت كالطّفل أَلْهو ـ أتسلَّقُ أرَدْافَها.

طائِرٌ؟ يُطلق الطّائرُ المهاجرُ آخرَ أصواتهِ
عائداً. كيف أعرفُ أنّ طريق الرّجوع إلى بيتهِ،
آمِنٌ؟

أَلرّبيعُ انْتَهى
والخريف انتهى،
كيف أصبحتَ يا أيّها الصّيفُ؟ عيناكَ حزْنٌ،
ووجهُكَ، في حيرةٍ، مُطفَأُ،
وأنا لم أكد أبْدَأُ.

٣ ـ غيمة

نَقَّلْتُ من حَذرٍ خُطايَ كأنّني
طيْرٌ. يكادُ العشبُ ينبتُ في خُطايَ،
صَرختُ: كيف يسيلُ صوتٌ
مِنْ لَهْفةٍ، كالماء؟ أَصرخُ
كي أُطَمْئِنَ وَحْدتي.
أَنْزلتُ عن كَتفِ النَّهار يدي وجرّةَ حُزْنِها، ودعوتُه:
قِسْنا معاً طولَ الصَّدى
بين الصّراخ ووَحدتي.

ـ «أتريد أن تأتي إليكَ يمامَةٌ؟»

أغمضتُ عَيْني،
وحلمتُ: بيتيَ غَيْمةٌ.

٤ ـ غربة

أن تكونَ غريباً
هو أن تقرأَ الكونَ في بَدئه، دائماً.

المدينة ماضٍ أليفٌ،
والغرابةُ في كيفَ كانت.
أَتُراها المدينةُ، بغدادُ، مخنوقَةٌ؟
ولماذا تذكّرتُها الآنَ؟ عَصْرٌ
يتشكَّل في جَوْفِ جَبّانَةٍ.

وأنا مثله ـ حائرٌ بائرُ
إِشْفِني الآنَ، مِن عَهْدِ حبِّيَ، يا أيّها الشَّاعِرُ.

٥ ـ قدَر

قَدَري أَنّني
لا أُطِلُّ على الأرضِ من شُرُفاتِ القَدَرْ.

ربّما يفهم الطّفلُ فِيَّ العذابَ الذي يتخثَّر من عهدِ آدمَ،
في رئتيَّ. اضطرابٌ
في الضِّياء الذي يتسلَّلُ من كهف حرّيتي. ضياءٌ
آخَرٌ مِن فضاءٍ غريبٍ
يتسكَّعُ في خَيْطِ شَمْسٍ.

آخُذُ الآنَ حُلميَ شيخاً وطفلاً
وأفتح أبوابَ ليلي لَهُ
وأَنذر أهدابَهُ لِلسَّهَرْ.

٦ ـ حرب

ما أقولُ إذا سألَتْني
خطواتيَ عن بيتها؟
لن تعودَ الحياةُ؟ الطّريقُ وأشباحُها
تتخاصَمُ فيهِ وفي حبّهِ؟
أم أقولُ انتهى ـ
والرِّمالُ تُظلِّل تاريخَهُ؟

ولماذا
لا أحبّ التذكُّرَ إلاَّ إذا كانَ حَرْباً؟

أيُّهذا الفضاءُ الذي يتوهّج في بيتها ـ لماذا
لم تقل للطريقِ إلى بيتِها،
إنَّني خُنْتُهُ؟

٧ ـ عطش

أتهجّاكِ، يا هذه الأرضُ ـ أَرْضيَ، أشباحُ موتِكِ في ناظريَّ،
أغانيكِ مَرْثيّةٌ ونَواحٌ، وأيَامُكِ احتضارٌ.

الجحيمُ الذي فِيَّ منكِ ـ التبسْتُ بتاريخهِ،
وانتميتُ إليهِ،
فكيف وأيّانَ أخرجُ منهُ؟
وأُحسُّكِ فِيَّ الهواءَ وميراثَهُ: لا خلاصٌ.
ومَنْ فيكِ يعرفُ إنْ مُتُّ أو عِشتُ؟ عيناكِ
لا تنظران، وقَلبُكِ رَمْلٌ وقَشٌّ.

عَطشي أَنّكِ الماءُ، والماءُ وَصْلٌ.

٨ ـ تنقُّل

لا أسائل موتي عن حياتي، أو حياتيَ عنه، فمَوْتي
كحياتي رحيلٌ.

ولهذا،

لا أحبّ المُقامَ، أحبّ الرَّحيلْ.

في الرَّحيلِ، أكون وحيداً، وأُصغي لنفسي، ونفسي تُصْغي
إليَّ، ولا شأنَ لي في السَّماء،
ولا شأنَ لي في البقاءِ على هذه الأرضِ. وحدي
أَتَكاثَرُ في الصَّمْتِ، في ذلك الحوارِ المُعمَّى
بين ليلِ الإلَـهِ وبَيني ـ
أتَنقَّل مِن مستحيلٍ إلى مُستحيلْ.

٩ ـ عبوديّة

ربّما صرتُ عبداً لذاك الكلامِ الذي كنتُ أجتاحُهُ
وأروِّضُ عِصيانَهُ
وأطوِّعُه مثلَ عَبْدٍ.

أصديقٌ يصيرُ عدوّاً؟
أعدوٌّ يصير صديقاً؟
أم هو الضدُّ يظهرُ في ضدِّهِ؟

قل ليَ الآنَ، ماذا سأفعل؟ هل كنتُ أصرخُ من دونِ صوتٍ؟
وهل كنتُ أُخطئ في الظنّ والقول؟ هل خَطأي ظاهرٌ؟
قل ليَ الآنَ، ماذا
أيّها الطائرُ البشريُّ الذي طار في حُلْمهِ
فَتفكَّكَ في شمسِهِ واحترَقْ،
أَيُّهذا الورَقْ.

١٠ ـ الوداع

لحظةٌ ـ كَيْ أقولَ وداعاً
للبلادِ التي أنتمي إليها،
لحظةٌ يتحوّل فيها
كلُّ شيءٍ إلى ذكرياتٍ.

هل سأبدأ من أوَّلٍ؟ أين؟ لا دجلةٌ تتراءى
والفراتُ عصيٌّ على أيِّ حبٍّ.

هوذا أترقَّبُ ـ (آهٍ،
كم ترقَّبْتُ!) ماذا؟
ما الذي يتجلَّى؟
أهنالكَ شيءٌ تَبدَّى، أهنالكَ شَخْصٌ بدَا؟
إتَّعِظْ اتَّعِظْ وتَعلَّمْ
أيّهذا الفسيحُ البهيُّ المدَى.

الخاتمة

I. كتاب السَّواد

II. رماد المتنبّي

كتاب السّواد

(أوراقٌ خاصّة أوصى كافور أن تُنشَر بعد موته. وقد وصلت إلى أدونيس، بطريقة غامضة، وفي صندوقٍ واحد مع «يوميّات المتنبي». وهي تُنشر هنا، بناءً على هذه الوصيّة، للمرة الأولى. والعنوان هو من وَضْع أدونيس).

❊

لا بلادي بلادي، لا يَدي في يَدي، -

كيفَ لي أن أقولَ لهذي المدينةِ:

خَبّأتُ حُزنَكِ في جِلْديَ الأَسْودِ؟

❊

المدينة شَحْمٌ

وأنا لستُ إلاَّ

هيكلاً مِن عظامٍ، -

شِخْتُ يا هذه المدينةُ، يا شَمْسَ أوجاعِنا،

وأنا لم أَزْل، بعدُ، طِفْلاً.

❊

كيف جئتُ إلى مِصرَ؟ وحديَ؟ مع آخرين؟ أَتَذْكُرُ
يا جِسْميَ المُتَشوِّهُ؟ من أين؟ كيف اشترانيَ تاجِرُ زَيْتٍ؟
ومن أين صِرْتُ إِلى إِبْنِ وَهْبٍ؟ وإخشيدُ
مِصْرٍ ـ لماذا اصْطفاني، وأَعْتقَني،
وحَماني؟
عَجبي غامِرٌ. أحكمةُ غَيْبٍ؟ مُصادَفةٌ؟ فَلْتَةٌ؟
ما أقولُ؟ سأتركُ هذا لغيري،
ولتاريخ هذا الزّمانِ.

❊

كنتُ أَسْتَرِق السَّمْعَ، أُصْغي إلى مالكي ـ سيّدي
يتحدّث عَنّي
معَ زُوَّارهِ:
«هُوَ عبدٌ خَصِيٌّ،
غير أَنَّ لَهُ خُلُقاً عالياً
لا يَليقُ به غيرُ قَصْرٍ».

❊

أَلمدينةُ مَنْفوخَةٌ بِأباطيلِها
والعَبيدُ الجِياعُ يدورونَ فيها،
ينظرون إلى قُبّةِ السَّماءِ، يُشيحون عنها:
كِسْرةُ الخُبْزِ أَجْملُ مِن كوكبٍ.

❊

أَلطَّبيعةُ ـ أمّيَ، ضِدّي.

❊

كلُّ ما كان يقطرُ في القلب من ذلك الرَّحيقِ،
رحيق المناماتِ،
أَوْلمتُه للغيومْ.
فجأةً، ذاتَ لَيْلٍ،
وأنا أتقلَّبُ في النّومِ، شاهدتُ أَنِّيَ نجمٌ
يتَلأْلأُ بين النّجومْ.

❊

عِشْتُ زِنْجيَّتي كريماً
أترصَّدُ وَقْتي ـ
فاتِحاً شهَواتِي على كلِّ ريحٍ.

❊

آهِ، ماذا؟ كأنِّيَ، طوراً

أَتأَرْجَح في عُنْقِ سَيْفٍ، وطوراً

في يَدَيْ نَجْمةٍ.

*

لي فراشٌ على شَكْلِ حَوْضٍ

والوسادَةُ نَهْدٌ:

حُلمٌ كنتُ أَرْويهِ حتى

لا أكرِّرَ دوماً

أنني كنتُ أحيا ـ كأنّي

أشربُ الماءَ من جَوْفِ غُولٍ.

*

آهِ، لِلضّوءِ وَجْهٌ ـ

لا أريدُ منَ الأرض إلاَّ

أن أكون سواداً لأهدابِهِ.

*

أَتُرانيَ في مَرْكبٍ يتخبَّطُ في لُجَّةٍ؟

لا مَنارٌ ولا شاطِئٌ.

أين أمشي، إذن؟

*

دائماً، كنتُ أُومنُ:

بيضٌ وسُودٌ ـ طينةٌ واحدهْ.

لا تُقاسُ الحقائِقُ بالطِّينِ. فاذْهبْ

أيُّها العِرْقُ وارقدْ

في رمادِ خرافاتكَ البائدهْ.

❊

يَتضامَنُ، لكن بألفاظهِ:

رَجلٌ مِن رياحٍ ونَرْدِ.

❊

ما هذا الغيمُ؟ كأنّ خُطاهُ

تَتشَحَّطُ، تمضي تأتي، وتُسِفُّ وتَعْلُو

في ما يُشبهُ مَوْجاً:

يبدو أنَّ الأُفْقَ مَريضٌ.

❊

كلُّهم أصدقاءٌ

في البِطانَةِ، في القَصْرِ: بعضٌ لبعضٍ خليلٌ.

وبعضٌ لبعضٍ قريبْ،

وأنا وحديَ الغريبْ.

❊

مِتَعي، ولَذائذُ فِكْري، وكوابيسيَ الماردَهْ
تتجاذَبُ روحي وجسميَ في لحظةٍ واحدَهْ.

❊

هُوذَا ـ هَل أُشاهِدُ نجماً
يتبسَّمُ في خِفَّةٍ
ويقومُ ويقعدُ مُسْتهزِئاً
وَيُدغدغُ أعضاءَهُ؟
أم أنا واهِمٌ؟

❊

أَلطَّريق الذي قادَني للخروجِ من التِّيهِ؟ يبدو
أنّه قائدي مِن جديدٍ
للدُّخولِ إليهِ.

❊

إنه العَرْشُ يَنْهارُ. هل آخُذُ العَرْشَ من أَوَّلِ الخَيطِ
بالبأسِ والعَقْلِ؟ أم أتركُ المسألَهْ
مثلما أَلِفَ النَّاسُ تاريخَهم ـ
حِيلةً، مَرَّةً،
مَرَّةً، مَقْتلَهْ؟

❊

حوليَ الآنَ، مِن كلِّ فَجٍّ،
بشَرٌ يطمحون إلى سُدّة الحُكْمِ،
أو يطمحونَ إلى لَمْسِها وتقبيلِها ـ

بَشَرٌ يجعلونَ من الأرضِ مُسْتَنْقَعاً.

❊

لن أقولَ لخيليَ: مُرّي على جُثثِ الآخرينْ
ألّذين يُعادُونَني.
سأقولُ لهم: بينَنا
شِرْعَةُ الحَقِّ،
والفِكْرِ ـ حُرّاً،
وميراثُها الأمينْ.

❊

ينبغي أَنْ يُعادَ إلى العَرْش ما يمنحُ العَرْشَ مَعْناهُ:
لا ظِنَّةٌ،
لا رَشاوى،
لا توسُّطَ بين الأميرِ وشعبِ الأمير،
ولا مُرْتشونْ.

والأباعِدُ، في الحقِّ والعَدْلِ، مثل الأقاربِ، لا خَوْفَ،
لا يُقْمَعُ الَّذينَ يُنادون بالعدل، أو ينقدونَ الأسيرَ وأعمالَهُ

وأقوالَهُ،

ولا يُعْزلونَ،

ولا يُحرَمونَ،

ولا يُقْتَلونْ.

❊

لا أُمثِّل شَعبي،

لستُ منه سوى ذَرّةٍ.

غيرَ أَنِّي تَمثَّلْتُهُ

وتنوَّرْتُ أوجاعَه وأَسرارَها،

وصوَّرْتُهُ فضاءً

ورسمتُ حياتيَ حُبّاً

فوق طِرْسٍ أمينٍ

من طُروسٍ بهاءاتهِ.

❊

هل أَدُقُّ عروقَ الرِّماحِ، وأَصْنَعُ حِبْر الحقيقةِ منها؟

هل أقولُ السَماءُ كأيَةِ جَبّانةٍ؟

غَضَبٌ في اللَّهَبْ

والفضاءُ انحناءٌ وبقايَا قَصَبْ.

❊

أَتَدثَّرُ أَنْحاءَ مِصْرٍ
وأفوِّض قلبي لأقاليمها.

*

سَمِعَ النّيلُ هَمْساً:
«ما الذي يخسرُ النّيلُ، إن قُطِفَتْ زهرةٌ
بين أحضانهِ؟»
ضَحِكَ المَدُّ والجَزْرُ فيهِ،
ومضَى يَتَسقَّطُ أخبارَ أزهارهِ.

*

نَزفَ الأُفْقُ مِن أجلكَ، اليومَ، يا نِيلُ، وانْصهرَ الحبُّ:
لا عَصْفَ إلاَّ
ما يَهُبُّ من النّاسِ،
لا دَرْبَ إلاَّ الصّعودْ.

ما تَبقَّى فُتَاتٌ لكي يَستمرَّ الوجودْ.

*

حافِياً، مُتْعباً
يتقدّم نحوي. يَداهُ
مِثْل خيطيْنِ ـ هذا نُحولُ اليقينِ الذي يتعذَّبُ
في نارِه الفُقراءُ:
آهِ مِمّا يُحَبِّرهُ الأغنياءُ،
ويُفْتي له الفُقهاءُ.

*

رُبَّما نتقدَّمُ نحو العدالةِ. . . لكن،

عندما يتدفّق نَهرُ المجرَّة في جَوْفِ حُوتٍ.

*

حزَمَتْ خَصْرَها

النّجومُ ونامَتْ

في سرير الأُبوَّهْ:

مِصْرُ في جوعِها تنَامُ وأعضاؤها

أُتْخِمتْ مِنْ ركوعٍ؛

مِصْرُ مختومَةٌ

بِشُموع النّبوّهْ.

*

وَشوشَتْنيَ، في حَسْرةٍ، وردةٌ

(وردةٌ صورةٌ لملاكٍ

لا أقولُ اسمَهُ):

«سيكونُ بعيداً، ولن يحضرَ اليومَ حَفْلَ العشاءْ»

كيف أكتمُ حُزْني؟

كنتُ هَيَّأْتُ للحفْلِ أجملَ ما عرفت مِصرُ من شَطحاتِ الغِناءْ.

*

لا أُحِسّ بأعداءِ عَرْشي،

وأُحِبُّ الذين يغارونَ مِنّي.

*

هذهِ مِصْرُ؟ بُرْجٌ يُقامُ على الكلماتِ،
ومَشْنَقةٌ كي تسوسَ الشّقَاءْ؟
ما الذي فَعلَتْهُ
أرضُ مصرٍ لِمحراثِ تلكَ السَّماءْ؟

❊

مِنْ غُبارِ السياسة يأتي إلى القَصْرِ هذا الهواءْ،
دَبِقاً، خانِقاً
آهِ، لو كنتُ أقدرُ أن أغسلَ الفضاءْ.

❊

لا كرامةَ، لا صِدْقَ، لا كبرياءْ:
الحياة على هذه الأرضِ أُنشوطَةٌ
والسِّياسَةُ فَنُّ البَغاءْ.

❊

غَثَيَانٌ تهبُّ أعاصيرُهُ علَيْ،
وأَنا قانِـعٌ:
ليس لي غيرُ هذا الهبَاءِ الذي في يَدَيّ!

❊

يَخْطُرُ اليومَ لي أن أخونْ
ما أُحِبُّ، لعَلّي
أتنوَّرُ ما كنتُ، ما سأكونُ
وأعرفُ كيف يكون التعقُّلُ في لَحْظَةِ الهيَجانِ،
وكيف يكونُ الجُنونْ.

❊

ما الذي يجعلُ الشعبَ، في الضّيقِ،
وَحْشاً غريباً يُحبُّ الجَريمَهْ؟
أَلدِّماءُ له خَمرةٌ، مِراراً
وَمِراراً تميمَهْ.

❊

لا أُحسّ بأنّيَ كنتُ الضحيّةَ. كلاّ، وأكرهُ تمثيلَ أَدْوارِها.

❊

ليس من عادتي أَنْ أُؤَجِّلَ ما أعمل اليومَ حَتَّى غَدٍ، ويكفي
أن أقولَ لهذي السّتارةِ: نامي،
أوِ استيقِظي لتلك السِّتارَهْ.
هكذا، مُذْ أَفَقْتُ، تساءَلْتُ: ماذا لديَّ، وماذا
سأفعلُ؟ يَبْدو
أَنّني مِثلَ غيري سَجينٌ ـ
أَنّني سأكرِّر يوميَ هذا كما شاءَتِ الأَمارَهْ.

❊

الخُرافَةُ حِبْرُ العُروشِ،
السُّجونُ بَساتينُها.

❊

سَوْفَ أُثْبِتُ لِلماءِ أَنِّيَ جَذْرٌ، ولكن
أَتُرانيَ في حاجةٍ
كي أُبَرْهِنَ لِلرِّيح أَنّي غُبارٌ؟

❊

بي حنينٌ إلى رفقاءٍ نَشأتُ على حُبِّهم.
رَفقاءٌ مَشَيْنا حُفاةً معاً،
وأَكلْنا معاً خبزَنا
وقسمنا معاً أرضَنا
بعضُها للعماءِ، لِلَيل القَدَرْ
بعضُها للتشرُّد في البؤسِ أو في يَبابِ البَشَرْ.

غيرَ أَنّيَ في لحظةِ الوعي أَعرفُ أَنّي وحيدٌ،
وأعشقَ هذا البقاءَ وحيداً،
كي أُعاشِرَ نبضَ الوجودِ وأدخلَ في فَيْضِ أَسْرارِهِ.

لا أُحِسُّ بأَنّي أسكنُ في مُخْدعِ الأَرْض،
أو مُخْدَعِ الألوهةِ إلاَّ إذا كنتُ وَحْدي.

❊

مَنْ يَرانا، ونحن نعذِّبُ جسمَ المدينةِ، نكسوه ثوباً جديداً؛
مَنْ يرانا، ونحن نقطِّع أوصالَه، ونَسوسُ تآبينَهُ،
ونُؤالِف ما بين خَشخاشهِ وترْياقِهِ؟
مَنْ يَرانا، ونحن نجرّ الوجوهَ التي عَشِقَتْنَا ـ الوجوهَ الأمينَهْ
بحبالِ المدينَهْ؟

*

أَفتحُ النَّافذه ـ
عابرونَ، سُكارَى. عَسَسٌ، وقناديلُ سوداءُ صَفراءُ. لَيْلٌ
آخَرٌ من جراحٍ وتمائمَ كي يُطردَ الحزنُ عن وجه مِصْرٍ.
نجمةٌ تأخذ النّيلَ مِن خَصرهِ.
ساهِرٌ. لن أزورَ سريري، ولن أُغْلِقَ النَّافِذَهْ.

*

بَعْدُ، لم تُوجدِ الحياةُ التي قِيل عنها
إنّها غائبَهْ.
وكثيراً تَخيَّلْتُها ـ أتتنيَ سِرّاً، ورافقتُها،
ودخلنا معاً دارَها ـ
دارَها الكاذبَهْ.

*

أَلحِصانُ المُجنَّحُ بالحبِّ،
يَجمحُ في اللَّيلِ،
يَأْتي لِيرتادَ يَنبوعَ مَوْتي.

*

كيف صِرْتُ إلى هذه الحالِ؟ لا الأمْرُ أَمْري، ولا المالُ مالي.
وأنا لا أحبُّ القتالَ على المُلْكِ، أو غيرِهِ،
وأكرهُ سَفْكَ الدِّماءْ.
لا أُصدّق أَنَّ لِحرّاسيَ الآنَ أمراً ونَهْياً
ولهم حَرْبُهم في الشّرابِ، وراياتُهم في المجونْ
ولهم حوليَ الرُّقباءُ، لهم حوليَ العيونْ
يملكون الدُّروبَ إليّ وأسبابَها
ويُسْتَعطفونَ، ويُسْتَرحمونْ.

لا أُصدِّق أَنّي كغيري يُجرّ العبيدُ إليَّ هدايا
مِن جميع أقاليم مِصْرٍ، وأَهْدي
منهمُ مَنْ أشاءُ إلى مَنْ أشاءْ.
لا أصدّق أَنّي أُنقِّل جسمي كما أَتشهَّى
بين ما ملكتْه يميني، وبين الحريمِ، وبين الإماءْ
لا أصدّق أنّي أتيتُ إلى هذه الأرضِ مِن هذه السَّماءْ،
لا أصدّق أَنّي أميرٌ.

*

شَمْسُ هذي الظّهيرةِ مالَتْ
رسمتْ حزنَها على بابِ بيتي ومالَتْ.
كانتِ امرأةٌ قُرْبَهُ
تتعلَّم سِرَّ التشبُّثِ بالأرضِ من عُشْبَةٍ. غُرابٌ
حامِلٌ حَظَّهُ
والغبارُ يجرُّ على الباب منديلَهُ.

كنتُ أمشي، وكنت أُحسُّ كأنّ السَّماءَ سَتسقطُ عَمّا قريبٍ
كِسْرةً كِسْرةً فوق رأسي.
أتوقَّف كم أشتهي الآنَ أَنْ أتمدّدَ في ظِلّ رُمّانةٍ
فوق هذا التّرابِ. تُراها يَدُ اللّيل، تلك
التي تدخل الآنَ في جَيْبِ فَلاَّحةٍ؟ أتراها السَّماءُ تنام
على كَتِفيها؟
كوكبٌ يهبط الآنَ عَفْواً على سُلَّم الفضَاءْ:
هوذا شارِدٌ في الحقولْ
وأنا غارِقٌ في البُكاءْ.
آهِ شَيخوخةُ القَلْبِ أَدْهى وأفجعُ مِمّا تظنُّ العُقولْ!

*

يخدمُ العَرْشَ، يخدمُ كرسيَّه. ولكن
أَهُنالِكَ في العَرْشِ مَن يخدمُ الشَّعْبَ،
مَن يخدمُ الشِّعر، أو يخدمُ الجَمالْ؟
عرشيَ الآنَ هذا السُّؤالْ

*

كنت أَحلُمُ أن يأخذَ المتنبّي
بيدَيْ أَسْودِ
يتبوَّأ عَرْشاً
بنبالةِ أفعالهِ وأفكارهِ
لا بِإرْثٍ، ولا باغتصابٍ.

كنت أحلمُ أن يتآخَى
مَعَ أيّامهِ وتباريحِها،
والحدودِ التي اخترقَتْها خُطاهُ،
رسمَتْها خُطاهُ
في مسيرةِ هذي البلادْ،

كنتُ أحلمُ أن يُجريَ الشِّعْرَ أبيضَ،
في لُجّةِ السَّوادْ.

*

لم أَشَأْ أَن أُطيعَ هوَى المتنبّي
وَأُنيطَ به ضَيْعةً.
لَمْ أَشَأْ أن أُدَجِّنَ ما في حَناياهُ مِن شامخٍ عَصِيٌّ.
شِئْتُ أن يستمرَّ كما رسَمَتْه رؤايَ:
الشَّريدَ، النَّذيرَ، النَّقيّ.

*

نَقلوا عنه ما قالَهُ فِيَّ، ـ حالٌ
أَتُراها،
مَثَّلَتْ حالَهُ؟

لا أغيِّر في نَظْرتي إليهِ
ما بِنفسيَ عنهُ. لهذا
لا أُعيرُ انتباهاً لما قالَهُ.

*

لن أقولَ سوى الحقِّ عنه:
شاعِرٌ لا أُجادِلُ في شعرهِ.
هو إيقاعُ هذا الزَّمانِ ومعراجُهُ
إلى سِرّهِ.

شِعْرُهُ القوسُ والشُّعراءُ جميعاً يمرُّونَ مِن تحتِهِ.
وأَرى أنَّ أوجاعَنا تَتشابَهُ:
يَمْضي إلى سِرِّهِ، غريباً
وأَعودُ لِسِرّي، غريباً.

*

لا أُريدُ امتداحَ السَّوادِ، ولكن
ربّما أخطأ المتنبّي
في قراءةِ لَوْني وقراءة ما بيننا.

لم أشَأْ أَنْ ألبِّيَ ما شاءَ. لم أُعطِه الولايةَ كي
لا يكونَ سجيناً لَها.
شئتُ أن يَستمرَّ وَفيّاً
لمراراتهِ.
أن يُطلَّ على الأرضِ من شُرْفة الأنبياءْ
كوكباً مُلْكهُ الفَضاءْ.

*

هُوَ لم يَرَني، مرّةً
وأنَا لم أُشاهِدْ
بين نفسي وبيني سِواهُ.
كيف خانت طريقي إليهِ خُطاهُ؟

*

يا جدائلَ ذاك الحنينْ
كيف أَنْسَيْتِني؟
لم أَعُدْ أتذكَّرُ ما قالَهُ
لجراحاتِنا
في اللّقاءِ الأخيرِ، الغبارُ الأمينْ.

*

أيُّهذا الصَّديقُ العدوُّ، البعيدُ القريبُ، المقنَّعُ ـ كلاّ

لا تَقُلْ أيَّ شيءٍ.

لم أُرِدْ أن تبوحَ، وأُوْثِرُ أَلاَّ يكونَ الخِطابُ طريقاً

إليَّ. تعوَّدْتُ أن أقرأَ الصَّمتَ، أن أسمعَ

الصَّمْتَ. في الصّمتِ ما يتخطَّى الخِطابَ،

وما يُعْجِزُ الخِطابْ:

لا يقولُ الكلامُ عن النُّورِ، نُورِ الألوهةِ،

غيرَ الحجابْ.

*

كنتُ غَيَّرتُ صَوتي وقَلبي

وحرّيتي في الكلامِ وفي الفكرِ، والرّايةَ التي

واكبتْ خُطُواتي،

والسَّماءَ التي ظَلَّلَتْني، وغَيّرتُ ما عَقَدَتْه الصَّداقَةُ ـ

أَحْلافَها،

وعَهْدي،

وجراحاتِ حبّي وآفاقِه، ودروبي.

ولكنّ وجهيَ ظَلَّ عَصِيّاً - ظلّ يَحْنو على نفسهِ

مثلما شِئْتُه

مثلما كانَ - لم يَتغيَّرْ.

❊

أَلغبارُ كليمُ الهواءِ، يُرتِّب أوراقَهُ

في خزائنِ حرّيتي.

❊

أسأل الآنَ: كيف السَّبيلُ لتعلوَ مِصْرُ؟

لا سؤالٌ إذا لم يكن خائِناً.

رماد المتنبّي

I. تدخل الأرضُ في أبجديّة أَهوائها

صَوتُ نايٍ، أنينٌ ـ مَنْ تُرى يَعْزفُ؟
وتَرُ الشَّمس في دهشةٍ يَتساءَلُ، والرِّيحُ لا تعرفُ.

تَدخلُ الأرضُ في أبجديّةِ أَهْوائِها
يدخلُ الشِّعر في مائهِ، ـ
رُبَّما تثق الآنَ يا سيّدَ الغَيم أنَّ المطَرْ
ليس إلاَّ بُكاءً.
آهِ، ما أبعدَ الصُّعودَ وما أقربَ المنحدَرْ.

إنه الكونُ كالطّفل يدرجُ في ذُرواتِ القصيدةِ،
عيناه لِلَّيل مَنْذورتانِ،
وأعضاؤه لِلسَّهَرْ.

أَلرَّمادُ على القَلب والرُّوحُ مأخوذَةٌ
بدمٍ آخَرٍ
ليس مِمَّا قرأناهُ في مُعجم الدِّماءْ.

أَتوقّع أن يمزجَ الوَقْتُ سِرّاً
عَطَشاً شِئْتُهُ،
بالمياهِ التي لا أشاءْ.

أَتردَّدُ: ما الصُّورة التي سوف أَخْتارها
لِأُسافرَ فيه إليهِ؟
أَتُراها
وردةُ الرّفض يومَ افتَتَحْتُ الطّريقَ إلى شعرهِ؟
أَمْ تُراها
وَجَعٌ يخرج الآنَ من غَوْرِ تاريخهِ؟
قَلقي أَنَّني أَترنَّح فيما أَقُود التَّحوُّلَ. ماذا؟

أَتُرى يكذبُ الماءُ حيناً لكي يَصدُقَ الهوَاءُ؟
أَتُرى يأخذ الضّوء شَكْلَ الظّلام لكي يَتقرَّى تباريحَه،
ويَمتحنَ الأنبياءُ؟

أَلرَّمادُ يجرُّ الفُراتَ على وجههِ
أَلرَّمادُ يُؤاخي
بين دَيْجورهِ والفضَاءُ.

وَثِقَتْ دجلةٌ
بِسَلاسلِ آلامِها
بالغبار الذي كدّسَتْهُ على وَجْهها
بِالنِّفاقِ الذي حَفَرتْهُ
في تجاعيدِها، وَبِالنّافِقَاءُ.

أَتُرى، منذُ كُنَّا
مِن بدايةِ تاريخِنا،
لم يَمت أحدٌ بَعْدُ مِنَّا؟

عُمَرٌ وعليٌّ وعثمانُ والصَّاحِبُ الأَوَّلُ
ومعاويةٌ ويزيدٌ
وأَبُو طالبٍ
وأَبُو لَهَبٍ
لا يَزالون يَحيون. أَبْناؤُهم
نُسَخٌ عنهمُ.

مِثْلَهم،
نتدبَّر أحوالَنا ونسوسُ ونحيا
مِثْلَهم،
نشربُ الماء، نغسل أجسامَنا، مِثلَهم نأكلُ.
لا يزالون يحيون في كل شيءٍ.
في المدينة ـ أَيّامِها، وأَسْواقِها
والمآذنِ، والطُّرُقَاتِ، وفي كلِّ حيٍّ
وفي كلّ بيتٍ.

هذه دُورُهمْ وسَاحَاتُهم وأقدامُهم
هذه أرضُهم ومقالاتُهم وأصواتُهم.
يعملون، يقولونَ ما يشتهون، ونُصغي إليهم

لا نقولُ ولا نفعلُ.
منذ تكوينِنا القُرَشيّ
لم يَمت أحدٌ بعدُ مِنّا
لم يمت بيننا
غيرُ ضوءِ الحياة وَمِعراجِها البهيّ وغيرُ النبيّ.

ـ كيفَ يا ذلك الشّرارُ
الذي كان يكمنُ في جَذْر بغدادَ، لم تتكلَّمْ؟
ـ في الكلام الحرائِقُ،
والرُّوح عجفاءُ، والرّأسُ في غَيْهَبٍ.
ـ كيف لم تتكلَّمْ؟
ـ أتغنَّى
بدم الثائرينَ لكي لا يُريقَ الطّغاةُ دماً بعدَه؟

أتقصَّى مدارَ التوحُّش حَتّى
تَتَأَنَّسَ أيّامُنا وأفكارُنا؟

ـ كيف لم تتكلّم؟

ـ يعجز المدُّ والجَزْرُ في الشّعر أن يتنوَّرَ
ذاكَ المحيطَ من القَتْلِ، ما أَوْجَعَ الذَّاكرَهْ:

أَبَدٌ من صَحارَى
يَجيءُ ويذهبُ فيها
أَبَدٌ من قوافلَ مَكْسُورةٍ حائِرَهْ.

ـ كيف لم تتكلّم؟
ـ في شَفَا جُرُفٍ. لا مكانٌ سِوَى الصَّمْتِ يَلْتهِمُ النَّاطِقينْ.
وانْظُرِ الهَوْلَ. ما أَبْلغَ الهَوْلَ! لا موضِعٌ
ولا موقِعٌ.
كُرَةٌ تَتدحرجُ في ظِلّ سَجّانِها.

دجلةٌ. واسِطٌ ـ دَيْرُ عاقولِها،
لغةٌ ـ لم تكن مَرّةً
لغةً في الطُّلولْ
إِنّها لغةٌ في الأُصولْ
أَلرّياح مزاميرُها، وإيقاعُها الفُصولْ.

ـ كيف لم تتكلَّمْ؟
ـ قل دمي حيرةٌ، وقل الحُنجرَه
أوّلُ المقبَرَه.

II. الغَيْهب

في الموجِ صخَبٌ وعلى اليابسة
بَشَرٌ بِعُمْر اللُّؤلؤ
ينسجون بِأَجفانهم شِبَاكَ الأيّام

فاصلة

سُئِل المتنبي، فيما يُروى:
ـ كيف تدّعي النبوّةَ، والحديثُ
يقول: «لا نبيَّ بعدي»؟
فأجاب:
هذه قراءةٌ للحديث غيرُ
صحيحة. الصَّحيح أن يُقْرَأَ:
[«لا، نبيٌّ بعدي».
وأنا،
اسمي في السَّماء: لا».
المتنبي]

قمرٌ نصفُ نائمٍ
يرتق الشِّباكَ في زاوية المرفأ
وها هو يبتعد
أَشْعثَ الشِّعر بين النَّوارس
والنّجومُ حَولَه
يُسْلِمْنَ جدائِلَهنَّ إلى مِقصّاتِ اللّيل.

ما هذه الرِّيحُ
التي تقهر الأشرعة!
تَكادُ المراكبُ
أنْ تتحوَّلَ إلى أحواضٍ لِلدّمع.

أنتِ أيّتها الأسْيِجَةُ الحَديديّةُ التي تُزَنِّر بِحارَنا، بَسْملي كما

تشائين هل لكِ أن تَكْبحي أو أنْ تَردّي الوحوشَ

التي تهمُّ أن تفترسَ الشَّواطئ؟

وما هذه السُّفُن التي تقلِّد حكمةَ السَّماء؟

ما هذا الماءُ الذي يَتموَّجُ حولَها ولا يُبلِّلُ أحداً؟

شموعٌ تُنافِس الشّمسَ

نساءٌ

يرسُمْنَ الأفْقَ بضفائرِ العذاب.

فاصلة

[«كان يعلم طَرفاً من

السِّيمياء. قال للمطر

أن ينزلَ حولي وَألاّ يُصيبَني.

كانت الغيومُ تُظلِّلُني،

فيما تمطر حولي».

معاذ بن إسماعيل]

أين يَقِفُ الآنَ أولئكَ الرِّجالُ المائلون على عكاكيزِ تاريخِهم؟

وكيف أُغْري الزّمنَ بالسَّير فوق هذا الورَقِ الأبيض،

وأغْري جراحي؟ وكيف أتذوَّقُ مُعجمَ هذا

الشَّاطئِ الذي يتَطاوَلُ بين الإسكندرونة وطنجة كمثلِ شريطٍ

مِن أَطْباقٍ إلَهيّةٍ
تحمل الأَسلحةَ والآلاتِ والحوانيت؟

مَنْ يخدعُ الموجَ؟
مَن يَغَرِّرُ بِرُسُلِ الغربِ والشّرق،
يَفتحُ لهم المصائِدَ
في اللّغة وفي الدُّروبِ، كما تُفتَحُ النّوافذ
ويُنَصِّبُ البُومَ ذا القَرنينِ،
مَلِكاً على المفارق ـ
في اللَّيل الذي يُتَأتِئُ، اللَّيلِ الذي هو ابْنٌ
لنَجمةٍ لا تعرف كيف تمجِّد الشّهوةَ
في سرير عرسها في وَقْتٍ يعرجُ
ناسياً نَحْوَ التَّاريخِ وصَرْفَه.

فاصلة
[«دَلَّتْ
أشياءُ
في ديوانهِ،
أَنَّه
كانَ
متألِّهاً».
المعرّي]

أَدِرْ وجهَكَ إلى مكانٍ يستقبلُ الخِرافَ
الضّالَّةَ   إغرقْ في أحضانِ نخيلهِ
حيث كنائس العشب ومآذِنُ السَّكينة
حيث الأرضُ
لا تزال تنتمي إلى غناءِ الطّيور.

الأمواجُ تُواصِلُ أَنينَها في بَحْرٍ يتنكَّر لشطآنهِ، وها هو الماءُ
يتزوَّج الرَّمل.

.

ـ «قِسْتُ حُنجرةَ الهواء»،
قال المتنبي،
«كان عَددُ أوتارها أقلَّ مِمّا تملكُ حُنجرتي،
وتنبَّأْتُ بمصيرِ الهواء».

II

مُدُنٌ ـ
سَطْحٌ مجدورٌ، والقَرارُ يتقيَّأُ أَحْشاءَه
مُدُنٌ ـ
أسماكٌ من كلِّ نوعٍ تتأرجَحُ بِاسْم الآلهةِ وبِاسْم المعدة
في موازينَ تتأرْجَحُ بين البَرِّ والبحر.
بِاسْم البخور تَلتصقُ روائح السُّوق
بوجوه زُوَّارها بين أَعْشابٍ
نادرة في صناديقَ تَنْحني فوقَها سماءٌ
يرشح منها سائِلٌ لا يُعرَف إن كان
عسَلاً أو قَيْحاً.

فاصلة
«إِنَّ غُلَيِّماً مِعطاءً بالريّ
(الصّاحب بن عبّاد) يريد أن
أَزُورَه وأمدحَه، ولا سبيلَ
إلى ذلك».
المتنبي]

وحيث كانتِ الأبوابُ آخذةً في

الصَّدأ، كان رجالٌ مائلونَ على عكاكيزهم يبلِّلون

سُؤالَهم بماءِ الهجرة.

كانَ البحرُ يَرْتجلُ هديره كأنّه جرحٌ يلتهمه الملحُ في «ليلٍ أَرْخَى سُدولَه»

كأنَّه الرّفيقُ الأعلى لامرئ القَيْس،

بعيداً،

تحت نخلةٍ،

لا يزال امرؤ القيس ينهض فاتحاً صَدرَهُ

لناقته الذّبيحةِ ـ احتفاءً بالحبّ.   غير أنّ الغديرَ جَفَّ

الغِزلانُ تَشربُ دموعَها والقلوبُ أطلال   الماء ليس ماءً وليس

هناكَ صيّادٌ غير الرَّمل

مع ذلك لا يزال جرح المكان ينزف وَحْياً

مِن أجل حضوركِ يا صحراءَ العالم

مِن أجل شهواتكِ

مِن أجل أصابعكِ التي تعزف على

أراغنِ الدّمع

مِن أجل ركبتيكِ والشّقّ الذي

يتلألأُ بينهما

مِن أجل ضفائركِ التي تزيِّنُ كتفَيْ ليلنا

مِن أجل روحكِ التي لا مادّة فيها غيرُ المادّة

مِن أجل وقتكِ الآنَ وأَيّامكِ الآتية

الذّاهبةِ على ظهر فِيلٍ سِجِّيلٍ

فاصلة

[«بلوثُ (من أبي الطيّب)

ثلاثَ خِلالٍ ذميمة،

وتلك أَنَّه

ما صامَ

ولا صلَّى

ولا قرأَ القرآن».

علي بن حمزة

(راوية ديوان المتنبي)]

في مُدُنٍ تعمرُها صلواتُ الآخرة
في دروبٍ مرّت على حَصْبائِها مِسْحاةُ التَّقوى
مِن أجل أن نظلَّ دائماً نَجيءُ في اللَّحظة نفسِها قبلَ
الوقتِ وبعدَه
في اللَّحظة نفسِها
لا تناقُضَ في المصادفات
لا تناقُضَ في الرِّيح
وأوّلُ الغبار كآخرِهِ
ولستُ ابناً للحُلم ـ الحُلمُ وجهيَ الآخر.

«قِسْتُ حُنجرة الفضاء»،
قال المتنبّي.
«كانَ عددُ أوتارِها أقلَّ مما تملك حنجرتي،
وتَنبّأْتُ بمصيرِ الهواء».

III

ـ قُلْتِ: «لا مكانَ لجسدينا».
ـ قُلتَ: «بيننا جُزُرٌ، ولا جِسرَ غيرُ الكلام».
ـ قلنا: «البُعدُ حِدادٌ وجسدانا مَسْرحُ الحِداد».

مَنْ إذن سيشرَحُ لكَ صدركَ،
أيّها العاشق؟

تَحدَّثنا عن أُفول الحضارات

عن شعوبٍ تَرِثُها واضعةً جذورَها في قاعِ طُحلبٍ سَماويّ

تَحدَّثنا عن الحَلْوى تُؤكَل بعد السَّمك تيمُّناً بحديثٍ وضعناه.

كنّا ننتظرُ وصول صيّادين تلمع على وجوههم لآلِئُ الغَوْص

كنّا نقشِّر لهم خُرْشوفَ السرِّ فيما نُردّد:

أَللَّهُمَّ،

أَغْرِقْنا في حوضكَ الذي لا يَفْنى.

وكانَ قِرْدٌ مِن فصيلةٍ عاليةٍ تنحدر من سلالةٍ من أَرْضٍ لا تبعد إلاَّ

قليلاً عن كربلاءِ الحسين يُغنّي مستعيداً موسيقى غاباتٍ

لم تَصل إلى أعناقِها بعدُ سيوفُ الإبادة

كنّا نرتّل معه أناشيدَ تبدو كأنّها طالعةٌ مِن قيثار

زِرْياب.

كان رجالٌ مائلونَ على عكاكيز تاريخهم

يسيرون في الماء أمامنا يحرّكون

رؤوسهم يَمْنةً ويَسْرةً

فَجأْةً غابوا خُيِّل إلينا أَنّ

الماءَ انشقَّ وابتلعَهم

فجأةً ظَهروا،

فاصلة

[«اشترط المتنبي على سيف الدّولة

إذا أنشده مَديحه، أَلاَّ ينشده

إلاَّ وهو قاعِد، وأَنَّه لا يُكَلَّف

تقبيلَ الأرض بين يديه.

فَنُسِب إليه الجنون!

ودخل سيفُ الدّولة تحت هذه الشّروط».

الصبح المنبي]

يلبسون قشورَ حيتانٍ ويهزّون أكتافَهم
كأنّما لكي يؤكّدوا أَنَّ العقل طَيِّعٌ كمثل الظلّ،
أَنَّه خُلِقَ لكي يخضعَ للنبوّات.

«قِسْتُ حنجرةَ الفضاء»،
قال المتنبّي
«كان عددُ أوتارِها أقلَّ مما تملك حنجرتي،
وَتنبّأتُ بمصير الهواء».

IV

فاصلة

ـ أ ـ

[«أنزلُ دائماً على قبائل
العرب،
وأُحبُّ ألاّ يعرفوني».
المتنبي]

ـ ب ـ

[«حُدِّثت أنّ المتنبّي كان إذا
سُئِل عن حقيقة هذا اللّقبِ،
قال: هُوَ من النَّبْوَة،
أي المرتفَع من الأرض.
وكان قد طمَعَ في شيءٍ

سِرْنا
وراءَنا تعلو أبراجٌ شَبّهها بعضنا برؤوس
الشّياطين   قال آخرون إِنها جبالٌ
عُقلِت بأقدام الغيم.

في نَهر بردَى قبل أن يجفَّ، أخذتنا
مراكب المعرفة إلى خاناتٍ يُخزن فيها
ما يَتبقّى من قوافل الزّمن

الذّكريات مَحفوظةٌ في أكياسٍ من الدِّمقس
التَّاريخُ طاحونٌ يُسيّرها ماءٌ أحمر
مَنْ يخلف مَنْ

قَد طَمعَ فيهِ
مَنْ هو دونه».
المعرّي]

- ج -

[«صَحِب سيفَ الدولة في عدّة
غزوات إلى بلاد الرّوم، ومنها
غَزْوة الفناء (فني فيها الجيش
إلاَّ سبعة منهم سيف الدولة
والمتنبي).
قال سيف الدّولة:
كان المتنبي يسوق فرسه، فَاعْتلقَتْ
بعمامته طاقةٌ من الشجر المعروف بأمّ
غيلان، فكان كلّما جرى الفرس، انتشرت
العمامة. وتخيّل المتنبي أنَّ الرّوم قد
ظفرت به، فكان يصيح: الأمان، يا عِلْج!
فهتفتُ به وقلت: أيّ عِلْج؟ هذه
شجرة علقت بعمامتك.
فَوَدَّ أَنَّ الأرضَ غَيَّبَتْهُ».
قال له ابن خالويه:
«أيّها الأمير،
أليس أن ثبتَ معكَ حتّى
بقيتَ في ستّة أنفارٍ،
تكفيه هذه الفضيلة؟».]

الكرسيّ العنكبوت
البلاد النّعامة
هاتوا أنباءَ الصّباح
قليلاً من البكاء أيّتها الشّمس
الفكرةُ هنا تُقيم تحت الكاحل وتتشحَّطُ وراءَ
الكعب

بِي حاجةٌ للحديث مع سوفوكليس، ليلاً،
إن أمكن،
ومع إسخيلوس، نهاراً، فيما يفتح
الفجرُ ذراعيه،

هل الفاجعة وحَدها تعلّم الفَرح؟
من يسلك معيَ الطّريقَ التي تأخذُنا إلى بيتها؟
المسرح لا يكفي
لا بُدَّ من رؤية السّرير والسُّرَّة والسّريرة،
وَلْتَتمزّقِ السّتائر.

لكن ها هو الزّمنُ،
مياهٌ شحيحةٌ تَسيل في الغرابيل
أعناقٌ تتطايَرُ بين الأسلاك
الطّيورُ لا تعرف أين تمضي
تكاد أن تجهلَ كيف تبني أعشاشَها

ولم نعد نخافُ
الخوفُ هجومُنا الآخر.

ألعادَةُ أن يُلوّحَ رجلٌ بِعصاه ويُعلن نفسَه قائِداً
ألعادَةُ أن تجتذبَ العَصا جنوداً غيرَ مَرْئيّين لكي يتغلغلوا أينما حَلُّوا
في المادّةِ وصولاً إلى جزئها الذي لا يتجزّأ
ألعادَةُ أن يَنْحني الجمهورُ الثائر أمَامهم حَتَّى يُعانِقَ غُبارَ أقدامهم وغالباً
ما ينسى الحيوانُ النّاطِقُ أنَّه حيوانٌ ناطق

فاصلة

[«كان المتنبّي
داهيةً،
مُرَّ النَّفْس».
ابن فورَّجة]

مَنْ أُولئكَ
الذين يرسمونَ بلدانَهم كمثل أَسْلاكٍ شائكةٍ
على صفحاتِ القانون
ماضِياً
عقصتنيَ رِيحٌ منهم
وتنقَّلتُ في عربَةٍ تنقل بعضَ أَنقْاضِهم

ماضِياً
زرعوا في خاصرتي قرنيْنِ لأيّلٍ طَريدٍ، ولم
أُفِدْهُم شيئاً
كنتُ لهم دائماً

حقيبةً فارغةً
ومليئةً بالثُّقوب.

لكن ها هو الزّمن ـ
أطفالٌ يلبسون البنادق
جنودٌ يبطّنون رصاصَهم بالحَلوى
كُهّانٌ يفترشون صلواتِهم على عتبَاتِ الموتى
الأفقُ فَحْمٌ والهَواءُ يتأكسدُ
يكاد النَّاس أن يتحوّلوا إلى بثورٍ في جلدةِ الأرض
ومن يقدر الآنَ
أن يميّزَ بين اللُّغةِ واللَّغْو؟

قل لي، أيّها البابونَجُ السّماويُّ
من أين لكَ أن تَشفيَ سُعالَ المادّة؟

غَابَ حارسُ الملكوتِ
في زاويةٍ
في رُواقٍ
في قَصْرٍ
في مدينةٍ طالمَا غَنّاها أبناؤه
وما أكثرهم ـ حشدٌ من الشعراء
الأفاعي بناتِ آوى
أوه! سُلَّمٌ بيانيٌّ من عَظاياتٍ
تتنسّم رَمْل اللّغة!

فاصلة

ـ أ ـ

[«كان المتنبي
يعمل الشِّعر للِنَّاس،
لا للممدوح».
الصبح المنبي]

ـ ب ـ

[«... ومولانا يعلم أَنَّ الثَّوبَ
لا يعلمه البَزّازُ كما يعلمه الحائك.
لأنّ البزّاز يعلم جملته، والحائك
يعلم تفاصيله.
وإنما قَرنَ امرؤ القيس لذّةَ النَّساء
بلذّة الركوب للصيد، والشّجاعةَ في مُنازَلةِ
الأعداء بالسَّماحةِ في شراء الخمر للأضياف،
لِلتّضايُف بين كلٍّ من الفريقين.
وكذلك لمّا ذكرت الموت في صدر

البيت الأول، أتبعته بذكر الردَّى في آخره
ليكون أحسنَ تلاؤماً. ولمّا كان وجهُ
الجريح عَبُوساً، وعينه باكيةً،
قلت: ووجهُكَ وَضّاحٌ،
لأجمعَ بين الأضدادِ في المعنى».
المتنبي]

هَلاّ عُدتم إلى الصّراطِ
أيّها الضّالّون؟

ومِن أين للمجهول الذي يرقد تحت
سُرّة الكون،
هذا الجذبُ؟ وهذا الفلَقُ
الذي يُغري بالغسَق؟

– ج –

[«رأى بعض عبيده
ثوراً يلوح فقال:
هذه منارةُ الجامع.
نظر آخر إلى نَعَامةٍ،
فقال: هذه نخلة!
فضحك المتنبي».
الصّبح المنبي»]

فوقَنا –
ربّما ليست النّجومَ تلك المعلَّقة في هذه
السَّماء الجَرْداء
لعلّها أن تكونَ رؤوسَ بَشَرٍ يَلَذُّ لنا أَنْ
نتشبَّه بهم
وذلك الماء الذي تعوَّد أن ينظرَ مِن عَلُ إلى
الحقول الظَّامئة لم يعد ينظر إليه الآنَ غيرُ القَشّ.

– د –

[«أخفى طريقَه،
فلم يُؤخذ له أثَر.
عمل طريقاً تحت
الأرض؟».
الصّبح المنبي»]

ربّما،
ليس الغبَارُ في هذه الحقول، شأنَه في جميع
الحقول الأخرى التي تحرثها يَدُ اللّه إلاّ ناراً
تتغذَّى بِأجساد المارقين والعُشاق أولئك الذين
يحسبون أَنَّ المعرفة كمثل برميلٍ مثقوبٍ في
شكل نَهْدٍ يُسمَّى الأبدَ،
لا يَتَّسعُ حَتَّى لنقطةٍ من الماء.

«قِسْتُ حنجرة الفضاء»
قال المتنبي.
«كان عددُ أوتارِها
أقلَّ مما تملك حنجرتي
وتَنبّأتُ بمصير الهواء».

V

صُفْرٌ داكنونَ أولئك الرِّجال المائلون على
عكاكيز تاريخهم   غيرَ أنّهم ينامون
مِلْءَ عيونهم ويسيرون في نومهم كمثل
جداولَ تَلتهمها الضِّفاف قَبل أن تَصِلَ
إلى مَصبّاتِها

فاصلة

[«بلوثُ من أبي الطيّب
ثلاث خلالٍ محمودة، وتلك
أَنَّه ما كذَب،
ولا زَنَى،
ولا لاطَ».
علي بن حمزة»]

وها هم الأطفالُ يضطجعون   مخمورين
بين الأحذية ودواليب العرَباتِ التي لم
تعد صالحةً إلاَّ للخراب   ولم يكن القمر
امرأةً ولا خَشْخَاشاً عندما نظرتُ إليهِ
آنذاكَ فيما كنت أتنشَّقُ روحَ ياسمينةٍ
دمشقيّةٍ   كان ذاكرةَ وَقْتٍ يعيش
في الهجرة

فاصلة

ـ أ ـ

[«أيجوز للأديب أَلاّ
يعرفَ شِعر أبي تَمَّام،
وهو أستاذ كلِّ من قال
الشِّعرَ بعدَه»؟
المتنبي»]

في شِعْرٍ ـ حَدٍّ
يَقطعُ الرِّيحَ
ويبسطُ أجزاءَها
على مائدة المعنى.

ـ ب ـ

[«في شِعره (المتنبي) غرابةُ المُحدَث،
وفصاحةُ القديم. خاتَمُ الشعراء».
ابن الأثير»]

لا أزال أَسْتَبْشرُ بفتنة اليأس في
هذا الغار المديدِ الغائر الذي يصطرعُ فيه
الزّمنُ والأبدُ حول رمَادِ الآخرة
اليأس الذي يُبهجُني أن أسكبه كمثل
حنطةٍ في حَوْصلة الموت
اليأس الذي ينظر إلى ما حولي لا يرَى
إلاَّ سراباً ينعقد على أطرافي
كحبلٍ أسود لا يرَى إلاَّ ثمرةً
حمراءَ في وجنتيَّ كأنّها دمعةُ الشَّكّ
لا يرَى إلاَّ كرةً بين يديّ اسمُها
ياجوج الهجرة
اليأس الذي ينظر يرَى لا يرَى شيئاً.

«قِست حُنجرة الفضاء»،
قال المتنبي.
«كان عدد أوتارها أقلَّ مما تملك حنجرتي،
وتنبأتُ بمصير الهواء».

VI

هَلْ أعطي لنفسيَ الحَقَّ أَنْ أرسمَ خطّاً أحمرَ
تَحت لفظة النّهاية؟
اتركوني، أنتم يا أبناءَ هاجرَ، لا أزالُ
قادراً أن أعيش هنا قربَ هذه البئر
لا تزال هناك أوتادٌ
لا تزال خيامٌ
وثمَّةَ أصداء تؤكّد أنّ هناكَ أصواتاً
لا تزال الشِّفاه التي بَثَّتْها ترتسم في
الأثير.

فاصلة
[«ما خدمَتْ
عينايَ
قلبي،
كاليوم».
المتنبي]

لاَ بُدّ أن تَفْتَح عينيكَ وتَرى
تَرى ذلك الحائطَ
يُديرُ إليكَ رأسَه كأنه ينقل
رسالةَ الطّين الآدميّ.
أوه! طينٌ لا تزال شفتاه مُبتَلّتينِ
بندى الكلامِ الأوّل!
وماذا تفعلين إذن يا هذه
الشَّمسُ!
ترَى الطّفل يَعرجُ عليه مُصدِّقاً أَنَّهُ

سَريرٌ سماويّ   ترى الشّيءَ يقول الحاضرُ
ليس حاضِراً   ترَى شريطَ النّهايات
يتنقَّلُ بين دجلةَ والأندلس   ترى كائِناً
مِمّا قبل التّاريخ كأنّه وليدٌ في شهره الأوّل
واليومَ يُوقظكَ صوتٌ يُشَبَّهُ
لك فيه أَنَّ النّهارَ بركةٌ آسنةٌ نتخبّطُ
فيها   نحن سُكّانَ تلك المدينة   كمثل أسماكٍ
شِبْهِ ميّتة   وتَرى الضّوءَ يتمهَّل في سيره ويعدّ
خطواتِه خِشْيةَ السّقوط.

وهذه النّجوم، كم هي مجنونةٌ!
لا تزال تعتقد أنها يمكن أن تسافرَ إلى الكوفة
لكي تُمضي السّهرةَ فيها ثم تعودُ في اللّيلة ذاتِها
أَحَقّاً أنتَ نفسك الآن ذلك الذي وُلِد
من عناقٍ يتكرَّر كلَّ يومٍ بين الغبار والشّمس؟

الفكرةُ تزدرد أختَها،
والشوكُ نكهة الحنجرة.

حَقّاً،

من زمانٍ بيعتِ السّماء   لم يبقَ فيها
مُتَّسَعٌ إلاَّ لبعض الكلمات التي تَيَسَّر لها أن
تَسْتوليَ على عرش اللّغة.

تَمهَّلْ أيّها الصوتُ الذي يبتعدُ وراء الأبجديّة
كمثل جَرَسٍ في عُنُقِ فراشة،
دروبي سديمٌ تخترقه مجرّاتٌ محلولةُ
الضّفائر   وحياتي فراغٌ لا تقيم فيه إلاَّ
الأشعةُ   ولا أحلم   ضُمّيني يا ذراعَ
الواقعِ إلى احتمالاتكِ   وأسألُكِ:
متى يَحينُ قَطافي؟

التّاريخُ يتموَّجُ في قنّينةٍ تتموّج في اللجّ
وآهٍ من تلك الكتب التي تعمرُ العقول ولا تقولُ
إلاّ اليباب

حَقّاً لا حِبْرَ إلاَّ الجسد   أَصْغُوا
لِلسَّلالم التي تتطايَرُ درجاتُها في غوايات
الأرجل   للهبوطِ ـ

فاصلة

[«رأيتُ النّاس
عادلينَ فيه عن التوسُّط.
فإمّا مُفْرِطٌ في وصفه
وإمّا مُفَرِّط».

«هؤلاء الثلاثة (أبو تمام،
البحتري، المتنبي)
لاَتُ الشّعر وعُزّاهُ
وَمناتُه».
ابن الأثير]

إن كانت هناكَ حقيقةٌ فهي في الجسد

وأوجاعهِ

في

الغَوْر الغَوْر الغَوْر.

«قِسْتُ حنجرة الفضاء»

قال المتنبي.

«كان عدد أوتارِها أقلَّ مما تملك حنجرتي،

وتنبّأتُ بمصير الهواء».

VII

لِلَّيل ذؤاباتٌ

تسبح في دخانِ بخورٍ

لا إلى النّار ينتمي لا إلى الرّماد

ينتمي إلى بَرْقٍ

يجرُّ الموتَ أمامنَا

حاملاً مقلتيه في صَحْنٍ أعمى.

وَمِن أينَ لك أيّها الشِّعُر أن تُفْلِتَ

فاصلة

[«أبِخُرْءِ الطّير تُخشّيني؟

ومن عبيد العَصا

تخافُ عليّ؟

معاذ اللَّه

أَنْ أشغل فكري

بهم

لحظةَ عين.

ولا أَرضى

أن يتحدّثَ

النّاسُ

بأني سِرْتُ

في خَفارةِ

أحدٍ

غيرِ سيفي».

المتنبي]

فاصلة

[«قاتلَ حتى قُتِل».]

*

[«لَمّا قُتِل،

في طريق الأهواز،

وُجِدِ معه ديوانا

أبي تمّام والبحتري،

بِخطّه».]

*

[«شُغِلَتْ به الألسن،

وسهرت في أشعاره الأعين.

طالَ فيه الخُلْفُ،

وكَثُرَ عنه الكَشْف.

له شيعةٌ

تغلو في مَدْحه،

وعليه خوارجُ

تتعب في جَرْحه».

ابن شَرَف القيرواني]

مِنْ قيدكَ الملائكيّ حَتّى لو صرتَ حارسَ

الجحيم؟

أقول لكَ

لا أعرف اليوم إن كانت الشَّمسُ

لا تزال نائمةً

إِنْهض يا ليليَ اسْأَلْ:

ما هذه الرّياحُ التي تتأوّهُ

حِداداً؟

أوه!

كأنّ دم الأرض يتخثّر في أجرانِ الآلهة.

.III

ساهِرٌ حول صَمْتِ الدَّم
المتدفِّق مِن آدَمٍ

ـ كيف لم تتكلَّمْ؟
ـ هل أقول ابتكرْتُ لجسمي
جسداً آخراً؟

هل أقول لبيتي
أنتَ نِصْفٌ لنفسي
ونصْفٌ لغيري؟

ـ كيف لم تتكلَّمْ؟
ـ لم يَعُدْ من فضاءٍ لنا غيرُ تِيهِ خرافاتِنا،
لم نعد نتحرّك إلاَّ
في دِمَقْس وإِسْتبرَقٍ وجِنَانٍ
مِن حروفِ الهِجَاءْ،
فاحترِقْ صامِتاً، أو تقمَّصْ قميصاً
سَمِّهِ الببَّغْاءْ.

ـ كيف لم تتكلَّم؟

ـ أيُّهذي المدائنُ، ساحاتُها والبيوتُ القناطِرُ أبوابُها

وأَسواقُها والقِبابْ

هَا أَمُدّ عروقي ينابيعَ فيكنَّ تجري، وماذا؟ لماذا

لا يخاطِبُ أحشائيَ الحانياتِ عليكنَّ غيرُ الخَرَابْ؟

رِعْشَةٌ في الحُقولْ

في البلاد التي أَنْتمي إليها

تَتمازَجُ بِالدَّمع،

تمزج بالدَّمع ماءَ الفُصولْ.

لِيكنْ. لن أقولَ وداعاً

للبلاد التي أنتمي إليها،

ولأشيائِها. لَن أقولْ.

ـ كيف لم تتكلَّم؟
ـ خرجَتْ من جُفوني وأنا أحلمُ
صورةٌ عن حياتيَ،
عن هذه البلاد التي أَنتمي إليها
تنوَّرْتُها، ونَوَّرْتُها

وأنا اليومَ أسألُ: ما الأَوْضَحُ، الآنَ،
هذا المُنوَّرُ، أم ذلكَ المُبْهَمُ؟

ـ كيف لم تتكلَّمْ؟
ـ ساهِرٌ حول صَمْتِ الدَّم المتدفِّق مِن آدَمٍ.

IV. شرقٌ بلا شَرْق

أمسِ الآنَ غداً
نجتمع على اسْمِكَ بضعة شُعراءٍ نابذين منبوذين ليس
في الهواء حولَنا غيرُ الخُوَذِ وغيرُ لَبْلابٍ بَشَريٍّ يُعَرّش عليها
الدّروبُ أقدامٌ لا تعرف غيرَ السَّلاسل والزّمنُ ساقان
مَشْلولتان
لكن ها نحن ننظرُ إليكَ شِعرك الدَليلُ والسَّبيلُ وكلُّ
قصيدةٍ بداية

هل كتبَتْ إليك الكوفة؟
ما لهذه اللّقالق تحوّم حول آثار طفولتك؟
أهناكَ نَوافِذُ تتحوّل إلى أجنحة؟
أهناكَ آهاتٌ تَصير أَنْهاراً؟
أُهناكَ أَلفاظٌ لِلمدّ لا تقول غيرَ الجَزْر. وألفاظٌ للجزْرِ لا تقولُ
غيرَ المدّ؟
وطَمْيُ الفُراتِ هل تحوّلَ إلى كتبٍ ورسائلَ؟
وهل لنباتاته حروفٌ وإيقاعات؟

حَشْدُ أقاويلَ يَلْتطِمُ بخطواتكَ يَهذرون يَهْرفون
يحسدونكَ حَتّى على غبار قدميك حَتّى على رمادِكَ
يَتَجيَّشونَ ضِدَّكَ في قبائلَ وعشائرَ في أفخاذٍ وعائلات

أَدْخِلْنا في عُلوِّكَ
في سكونكَ وحركتك
عَلِّمْ تقاطيعَنا أَرَقَ مَسافاتِك
قل لنا هُيامَكَ وسُلطانَ أعشابهِ
أَرْشِدْنا إلى حكمة الحروف والنّقاط والفواصل
في نَسيمِكَ وإعْصارِك

هكذا يكون لنا أن نُعلن
مِن عَصْفٍ واحدٍ نحن
ورفضُنا يتوحَّد برفضك
هكذا نَتَبَيْرَقُ بكَ وفيك

ونقولُ هذه رايةُ الوَقْت
ونقول السَّماءُ والأرضُ مِن سُلالةٍ واحدة
ونقول الحبُّ والشِّعرُ نَحْوٌ واحدٌ
ونقول أَهْلاً بالكيمياء
بقوسِ قُزَحِ العناصر
بالعقل والقلب في إِنبيقٍ واحد
ومَدارُنا التّحوُّل.

هل ينفصل البحر عن أمواجه   هل يقول الفضاءُ: لن ألبسَ الغيمَ،
والشَّجرُ: لن أُوْرِقَ؟
إذن، كيف لا نكونُ واحداً؟

آهِ، اهْدِنا الصّراطَ وأَوِّلْ وأَوِّلْنا
هل يكفي أن نتعلَّم صَبْرَ الماء،
وماذا نفعل لِشرْقٍ بلا شَرْق؟

ما العاصِفُ الذي يهبُّ؟
ما مجهولُكَ، أيّها الشِّعر؟

٧. الشّاعر

وُلِدَ العَصْرُ في جُثَّةٍ.

ـ أ ـ

أَلرَّمادُ ـ سأُوقِظُ من نومهِ أورفيوسَ:

تُراكَ تَعلَّمْتَ سِرَّ الهبوط على درجاتِ الجحيمْ؟

جَرَّتِ الشَّمسُ أردانَها حول قيثارِهِ الكَليمْ، ـ

أَلسُّهول مرايا تتدافعُ فيها

شهواتُ الشَّجَرْ

والنُّجومُ نِساءٌ

يَتفحَّصْنَ أجسادَهنَّ ويفتقْنَ ثوبَ القمَرْ.

ـ ب ـ

هَا هُوَ الطَّلْعُ يسألُ رِيحَ صَباباتِهِ:

«كيف أُلقي بِذاري لِعَصْرٍ

قال عنه كتابُ نبوءاتِهِ:

«لم يجِئْ قبلَهُ

قاتِلٌ مِثْلَهُ».

ـ ج ـ

أَلرّمادُ ـ ولكن

ما يقول لِلَيل الطّبيعةِ ليلُ البشَرْ؟
وأنا لا أكادُ أصدّق غيرَ الرّياحِ التي تتدثَّر ثوبَ الغُبارِ. وماذا
لم أكن مَرّةً
كوكباً تابعاً، لن أكونْ
جسَدي سفنٌ جارياتٌ وَرُبَّانُهنَّ الجنونْ.

ـ د ـ

أَلرَّمادُ ـ ولكن
ما تُرى ذلك السِّحْرُ يُمْسِكُ بالأرض مِن عُنْقِها؟ وظَنّي
أَنَّ تلكَ النُّجومَ سَتُصبح عَمَّا قريبٍ
غُرَفاً وأَسِرّةَ حُبٍّ
وشوارعَ تأتي وتذهبُ في كلّ ضَوْءٍ.

ـ هـ ـ

أَلرّمادُ كتابٌ، أَلكتابُ رمَادٌ
لا الكتابُ ـ الرَّمادُ، بل الصَّبَواتُ التي تتبجَّسُ من عَتماتِ الجسَدْ
لا الرَّمادُ ـ الكتابُ، بل الحبُّ لا حَدَّ فيهِ،
والطّريقُ بلا رايةٍ
والرّياح تروح وتغدو
في مَهَبِّ الأبَدْ.

لا الكتابُ ـ الرّمادُ، اكتبي أنتِ أيَّتُها المَعْصِيهْ
جسدَ الأغنيهْ
واقرئي: الكونُ صوتي
غيرَ أَنَّ الدُّروبَ إليهِ
مُدُنٌ مُقْفَلَهْ.
واقْرَئي: اليومَ تُدرَجُ آياتُ حبّي وحبّك في سُوَرِ الأسئلَهْ
واقرئي: هَيْتَ لَكْ
عاشقي، أيُّها الفَلَكْ.

الكتاب، الرَّمادُ ـ سأُوغِلُ حَتَّى ألامِسَ ما كان خارِجَ لَمْسيَ،
ذاك البعيدَ العصيَّ الذي لا يعبِّر عنه رمادٌ.
أتآخى معَ الضَّوءِ،
لا مَعْ ترابٍ ولا مَعْ سَماءٍ.
وأصادق ما يتجلَّى
وأُعاشر تَرحالَهُ،
وأقول لأحلاميَ اسْبقيني
نحو مجهولِكِ، اغمريني
ببهاءاتهِ ـ

زمني حَيْرةٌ
ومكاني هو اللاّمكانْ.
أيّها التّيهُ، شكراً

أنتَ سِرُّ الطّريقِ،
وفاتِحةُ العُنفوانْ.

لا أقولُ: الحقيقةُ بيتي.
لا أقولُ: الضّلالُ طريقي، ـ

إنّها الكَلِماتُ التي تتأوّهُ في مَهْدِها
إنّها الكلماتُ التي قُيِّدَتْ
والتي عُذِّبَتْ
فُصِلت عن هَواها
فُصِلت عن مَداها.

هل يكون لنا من جديدٍ كلامٌ
لا كسيْفٍ يُهَزُّ وعيداً وَوَعْداً
بل كبحرٍ كريمٍ لا ضِفافٌ لَهُ.

ـ و ـ

الرَّمادُ ـ الكتابُ، وماذا
أَتُرى لم يعد للقصيدةِ من شاعرٍ
يتغنَّى بها ويغنّي لها:
ليس للحبِّ شرعٌ،
ليس للشِّعر شَرْعٌ.

يشرب الشِّعرُ، كالحبِّ، ماءَ الحياة، ولكن
مِن ينابيعَ مطموسةٍ في حنايا الجسَدْ
يَادَنَا فتدَلَّى
مُريداً، مَدَدْ.

- ز -

أَلنُّجومُ ترنُّ خلاخيلُها
والرِّياح اللّواقحُ في هِجْرةٍ.
هكذا سَأُسِرُّ إلى اللَّيل ما لا أُسِرُّ إلى غيرهِ،
مُلقياً كتِفَيَّ على جِذْعِ زيتونةٍ، -

أَلرَّمادُ،
وما أكرمَ الشمسَ تأخذ منديلَهُ
وتغطّي به قَدميها.
وانظُروا -
ها هي الآنَ تمشُطُ رأسَ الفضاءِ، وتُجلس في حِضْنها بيتَنا.

أَلرَّمادُ - ولكنَّني
لا أدوِّنُ، بل أفتح الجرحَ في غَيْهَب الدِّلالَهْ
لا أدوِّنُ، بل أتعلّم أن أشربَ الكونَ حَتَّى الثُّمالَهْ.

أَلرَّمادُ ـ ولكن

أشعرُ الآنَ أَنِّي في حاجةٍ كي أغنّي

جسَدي وَرْدَةٌ وفِكريَ عِطْرٌ.

(باريس ـ برلين ٢٠٠١)

للشاعر

(آثَرْنا، اختصاراً، أن نكتفي بالإشارة إلى الطبعتين الأولى، والأخيرة).

١) شعر

قصائد أولى، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أوراق في الريح، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أغاني مهيار الدمشقي، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦١؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل،
ط١ المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

المسرح والمرايا، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

وقت بين الرماد والورد، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.

هذا هو اسمي، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.

مفرد بصيغة الجمع، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب القصائد الخمس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.
كتاب الحصار، دار الآداب، بيروت ١٩٨٥.
شهوة تتقدم في خرائط المادة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧.
احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
أبجدية ثانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٤.
الكتاب I، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٥.
الكتاب II، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٨.
فهرس لأعمال الريح، دار النهار، بيروت.

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥؛
ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥؛
الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.

الأعمال الشعرية الكاملة، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦.

زمن الشعر، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢؛
ط٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.

الثابت والمتحوّل، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب،
الطبعة الثامنة (طبعة جديدة، مزيدة ومنقحة، في أربعة أجزاء):
١ ـ الأصول،
٢ ـ تأصيل الأصول،
٣ ـ صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني،
٤ ـ صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري.
دار الساقي، ٢٠٠١.
فاتحة لنهايات القرن، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠؛
الطبعة الثانية، دار النّهار، بيروت.
سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.
الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.
كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.
الصوفية والسوريالية، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٢.
النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.
النظام والكلام، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.
ها أنت أيها الوقت، (سيرة شعرية ثقافية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦٢.
ديوان الشعر العربي،
الكتاب الأول، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.
الكتاب الثاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.
الكتاب الثالث، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٨.
ديوان الشعر العربي (ثلاثة أجزاء)، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.
مختارات من شعر السياب، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧.
مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
مختارات من الكواكبي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
مختارات من محمد عبده (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
(الكتب الستة الأخيرة، وُضعت بالتعاون مع خالدة سعيد).

٥) ترجمات

حكاية فاسكو، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
السيد بوبل، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
مهاجر بريسبان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
البنفسج، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
السفر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
سهرة الأمثال، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
مسرح جورج شحادة، طبعة جديدة، بالعربية والفرنسيّة، دار النهار، بيروت.
الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس،
منارات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦؛
طبعة جديدة، دار المدى، دمشق.
منفى، وقصائد أخرى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨.
مسرح راسين
فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٩.
الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦.
كتاب التحولات، أوفيد، المجمّع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢



ISBN 1 85516 535 X

